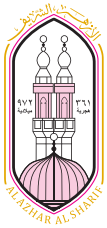


سقيفة الصفا العلمية



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

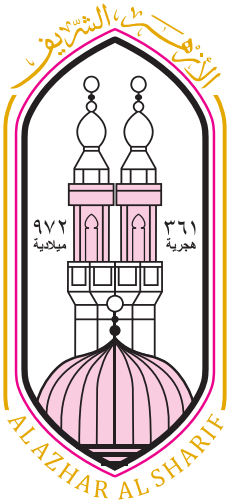


المجلد الستون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠٨هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org



الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الأول *
* السنة الستون *
* المحرم ١٤٠٨ هـ *
* سبتمبر ١٩٨٧ م *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قبل الهجرة

للعرب - قبل الإسلام - نُظُم استحكمتْ - في إطارها علاقاتهم الاجتماعية والسياسية والدفاعية - فيما بينهم - على سواء .

هذه النظم كانت - في واقعها - التزامات ينبغي للقبيلة أن تمارسها في علانية لا تحفظ فيها ، ولا دَخَلَ في تطبيقها ، وإلا عدت القبيلة من أحط القبائل شأنا وأدناها مروءة .

ثم إن هذه النظم سواء منها ما عُمِلَ به داخل القبيلة ، أو تناول علاقاتها الخارجية بالقبائل الأخرى ، هى - في ذاتها وحال ممارستها - تشكل سلطان القبيلة وعزتها ، وتأخذ بأسباب القوة في حكمها داخلياً،فلا « حق » لفرد في القبيلة لا يسلم بـ « واجب » اعتناق هذه النظم عن طواعية وتقدير ، وللقبيلة - في هذا الشأن - عقوبتها الرادعة لمن تسول له نفسه العبث بنظامها .

←

مقدمة قبل الهجرة

والدارس لهذه النظم يجدها ألواناً : فمنها عام ارتبطت به العرب جميعاً ، ومنها خاص ، هو ـ في مجموعهِ ـ النظم الداخلية التي تستقر بها أحوال القبيلة ، ويتَّزن عليها كيانها ، وهذه النظم الأخيرة قد تختلف ـ في مجموعها ـ من قبيلة إلى أخرى ـ تبعاً لما تراه القبيلة عوناً لها في الحفاظ على ذاتها من جهة ، وعنواناً لها من جهة أخرى فيما تميزت به في المجتمع العربي .

ومن هنا زادت النظم الداخلية لقريش عن غيرها ، حتى إن بعضها أثّر ـ فيما بعد ـ في علاقاتها الخارجية ، وبدا ذلك واضحاً في ثلاث :[1]

أ) التَّحَمُّس : وهو نظام ـ في وثنيتها ـ تشددت في تطبيقه على نفسها فتميزت به على غيرها من العرب ، وترتب عليه اختصاصها بأوضاع في نُسُكِها : حَجاً وغيره ، وقد أثّر هذا النظام في علاقاتها الخارجية باشتراطها ألا تُنْكِحَ بناتها لعربي ـ في غير قريش ـ إلا أن يرتضى ـ عن طيب خاطر ـ أن يكون ولده من زوجته أَحْمَسِياً ، ولذلك عرف أن « أحماس العرب أمهاتهم من قريش » ومن هنا انتشر التحمس في : كنانة وجَدِيلةِ قيسٍ ، وهم : فَهْمُ وعَدْوان ، وبنو عامر بن صعصعة ، مع أنهم ـ أصلاً ـ ليسوا من قريش[2] ، وتبتعد مواطنهم عن أرضها .

ب) السقاية : فقد أوجبت قريش ـ على نفسها ـ أن تقوم بتوفير أكبر قسط من الراحة للحجيج ، فأنشأت ـ قبل حفر زمزم ـ حياضاً من الأدم[3] وضعتها في فناء الكعبة ، وكانت تَنقُل إليها الماء العذب والتمر والزبيب .

جـ) الرفادة ، وكانت طعاماً تعده قريش للحجيج معتقدين أن الحاج ضيف الله ، فهم احق بإكرامه .

وما من شك في أن أثر هذه النظم في غير قريش كان حميداً إلى مدى بعيد ، وجعل لقريش شرفاً كانت العرب تلتمسه ، في كل أن وبخاصة في الحج .

كذلك نقصر الحديث على أهم نظم ثلاثة عامة خارجية منتشرة بين القبائل جميعا ، تعترف بها العرب ـ فيما بينها ـ حقاً مقدساً لهم ، تلك هي :
الحِلْف ، والْجِوار ، والإيلاف .

(١) اقتصرنا على ثلاثٍ ، رغبة في الاختصار بما يناسب المقال .
(٢) راجع لسان العرب مادة ح م س ومجلة الأزهر المجلد ٥٦ ص ١٩٩٠
(٣) الجِلد .

في قيود تلك النظم وغيرها من داخلية وخارجية جاهد ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعانى ، وإنها لترينا إلى أي مدى كانت تكبل الدعوة وكم استدعت من جهد ليشق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طريقه بينها ، ثم يستعلى بها على خير وجه كريم ينتفع به ـ فيما بعد ـ أتباعه عليه الصلاة والسلام .

★★ ★★

الحلْف :

وهو عهد يكون بين قبيلة وأخرى ، أو قبيلة تفرعت عن قبيلة[٤] ، أو فرد وآخر ـ توافرت فيه الكفاءة بين الطرفين .

قال الليث :

حَالفَ فلان فلاناً فهو حليفه ، وبينهما حِلْف ، لأنهما تحالفا بالأَيْمَان أن يكون أمرُهما واحداً بالوفاء .

وقال ابن الأثير :

أصل الحِلف : المعاقدة والمعاهدة على التناصر والتساعد والاتفاق كانوا يتعاهدون ويتعاقدون على النُّصْرَة والإعانة ، وأن يأخذ كل واحد منهم بالآخر[٥] .

فيحلفون لذلك ويتعاقدون أي يؤكدون الأَيْمان مستوثقين، يقسمون في ذلك بالله ، وبأوثانهم ، وبشتى ما يقدسون ، قال الجاهلي :

حلفتُ بالْمِلْح والرماد وبالـ ـنار وبالله نُسْلِمُ الْحَلقهْ
حتى يَظَلَّ الجَوَادُ مُنْعَفِراً وَيَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الْدَّرَقَهْ[٦]

وقال :

حَلَفْتُ لهُمْ بِالْمِلْحِ والْجَمْعُ شُهَّدٌ
وبالنَّارِ واللاَّتِ التي هى أَعْظَمُ

وربما دَنَوْا من النار وهم يَحلفون حتى تكاد تَحمِشُهم أو تكاد تحرقهم ويهولون بها على من يستخف بحقوقها[٧] .

★★ ★★

(٤) كما حدث للأوس والخزرج ، وهما بنو أب واحد هو : حارثة بن ثعلبة بن عمرو ، فقد صارت كل منهما قبيلة وتوافرت لكلٍّ خصائصُها .

(٥) انظر مادة (ح ل ف) في كل من « لسان العرب »، و« النهاية » لابن الأثير.

(٦) يقسم الا يسلم للأعداء حلقة القوم أي جماعتهم حتى يقتل جواده ويَكسِرَ نَبْلُ العدو تُرْسَه ، يريد ـ والله أعلم ـ حتى يَفْنَوْا .

(٧) راجع د / على أحمد الخطيب ـ وثنية العرب وأثرها في الأدب الجاهلي ٢/٢٢٠ .

قبل الهجرة

ويتم الحلف ويسري مفعوله على « تناصر مطلق » وتعاون تام بين الحليفين فيتعاضدون ولو على عُدوان .
أو يتحالفون على « تناصر في الحق ونصر المظلوم وصلة الأرحام » ونذر ما كان كذلك - في الجاهلية كـ « حلف المُطَيَّبِين » .

فأما الأول فما كان أكثرَ وقوعه حتى إنه حَدثَ داخل بطون قريش كلها - عدا بني هاشم وبنى المطلب - ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وشذ من ولد عبد المطلب أبو لهب - لعنه الله - فانضم إلى قريش ، وكانت المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية التي الجات المسلمين وبنى هاشم والمطلب إلى الشِّعْب ، وقد حرصت قريش يومئذ على تدوينها كتابة . فكان من نصوصها :

ألا يكلموا بنى هاشم ولا يُجالسوهم ولا يُناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلِموا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وتَمَادَوْا على العمل بما فيها ثلاث سنين[٨] .

وكان تنفيذ هذا الحلف وراء أمْرِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإذْنِهِ للمؤمنين جميعاً - من غير بنى هاشم والمطلب - بالهجرة الثانية إلى الحبشة ، فقد كان هذا الحلف - يعنى فصله - عليه الصلاة والسلام - عنهم ، أو ما يشبه الفصل فيقع هؤلاء المؤمنون لقمة سائغة بيد كفار مكة ، فيتفرغون لتصفيتهم ، فكان أذنه - صلى الله عليه وسلم - لهم بالهجرة حيث المَلِكُ الصالح والعبد الصالح النجاشي ملك الحبشة رضى الله عنه .

وفاتت - بذلك - على كفار مكة فرصة التخلص من هؤلاء المؤمنين أو فتنتهم عن دينهم . فكان نصر الله - سبحانه - لرسوله - عليه الصلاة والسلام . وقريش تظن أنها في أوج انتصارها بعزل هؤلاء عن هؤلاء .

لقد وَقَّعَتْ - في الحقيقة - صك فشلها ، فإن هذه الهجرة بالذات كانت أولى العلامات في طريق عالمية الدعوة ، ودخولها مجالاً سياسياً دولياً يتولى الدفاع عنها ، ويعلم المتابع - لهذه الهجرة - محاولةَ قريش واستماتتها في استرداد المهاجرين ، ثم بَوْءَ محاولاتها بالفشل .

(٨) راجع للإمام يوسف بن عبد البر النمرى - الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٥٥ ، ٥٦ . نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط . دار التحرير .

وهذه حقيقة تاريخية مستمرة لا تتخلف أبدا .
لكن القوة غاشمة والغباء شامل .

وإذا كان هذا الحلف لوناً من « التناصر المطلق » فإن التاريخ يسجل لعِمارات من قريش [٩] ـ في عهدها الجاهلي ـ حلفاً إنسانياً كريما هو حلف « المطيبين » مضمونه التناصر على الحق ونصر المظلوم وصلة الأرحام »[١٠] .

وعهود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميعاً من هذا اللون ، وورد ـ في الإسلام ـ النهي عن الأول ، قال ابن الأثير :

« فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات (وهو الأول) فذلك الذي ورد النهى عنه في الإسلام بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا حلف في الإسلام [١١] .

وما كان منه ـ في الجاهلية ـ على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه ، فذلك الذي قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لم يزده الإسلام إلا شدة »[١٢] .

ووقع الحلف بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأنصار ـ وكانوا نيفاً وسبعين ـ في العقبة الأخيرة ـ على نصرة الحق وأهله .

قالت الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك ولربك ما أحببت ! فقال عليه الصلاة والسلام :

«أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .
ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم ..الخ »[١٣]
ونصوصه صريحة في وجوب حماية الإسلام والمسلمين داخل المدينة .

والدارس للسيرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ في ضوء هذه العهود يعلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يسمح لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة إلا بعد

(٩) القبيلة والعشيرة بمعنىً ، فَهُمْ بَنُو أب واحد وتنقسم ـ في داخلها ـ إلى العِمَارة ـ بفتح العين وكسرها ـ ثم البطن ثم الفخذ . راجع اللسان .

(١٠) انظر بمراجع السيرة الشريفة حلف الفضول ، وانظر المادة باللسان .

(١١) رواه البخاري ومسلم .

(١٢) انظر اللسان . والحديث في أبي داود ـ فرائض ، والترمذي ، والدارمي في السير ، ورواه الإمام أحمد ٢٠٧/٢ ، ٨٣/٤ الميمنية .

(١٣) الخضرى ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٠٥ ط ٥ مطبعة الآداب ١٣٢٨ .

مقدمة قبل الهجرة

وقوع هذا الحلف الذي نص ـ صراحة ـ على حمايتهم ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما فعله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشأن هجرة المؤمنين إلى الحبشة ـ علمنا كم كان اهتمامه ، عليه الصلاة والسلام ـ بسلامة المؤمنين ، وإنقاذهم من براثن العذاب ، وتأمين سلامتهم من بعد . وصدق الله العظيم ـ إذ يقول عنه :

« بالمؤمنين رءوف رحيم » (١٤)

ووقعت عهود كثيرة بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين غير المؤمنين كان « التناصر على الحق » مبناها لحمة وسدى (١٥)

★★ ★★

ونحن ـ بصدد دراسة الحلف في العهد الجاهلي ـ بشطريه : الجماعي والفردي . نعطي أمثلة سريعة عنه تتضح بها الدراسة وتلقى ضوءاً على لون من التكتلات عمت ظلماتها هذه الجزيرة :

تحالفت قبيلتا : أسد وغطفان ، وأسد وطيء ، وأسد وفزارة .(١٦)

وفي هذه السياسة من « أسد » ما يوضح ما تبغى من قوة . وما تريده من ربط أكثر من قبيلة في عجلة سياستها لفرض سلطانها .

ولقد صارت « ثقيف » فرقتين بهذه الأحلاف ، فقد تضامت عماراتها جميعا عدا ـ بني مالك ـ في حلف وسُمّوا "الأحلاف".

وحدث ذلك في قريش نفسها ، فكان الأحلاف منها : عبد الدار وسهم ومخزوم وَعدىّ بن كَعْب ، وجُمَح(١٧)

(١٤) التوبة ـ الآية قبل الأخيرة .

(١٥) راجع الدكتور محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٢٩ وما بعدها . دار الارشاد للطباعة والنشر ـ بيروت ط ٣ ـ ١٣٨٩ ـ ونور اليقين ص ١٤١ .

(١٦) ، (١٧) انظر اللسان مادة الحلف .

ولكثرة تعداد كل عمارة منها أطلق بعض المؤرخين عليها لفظ « القبائل » فقال : (والأحلاف ـ في قريش ـ خمس قبائل) مع أنهم جميعاً من « فهر » الذي هو قريش[١٨] .

ولما اختلفت كلمةُ وَلَدَىْ حارثة بن ثعلبة بن عمرو : الأوس والخزرج ، ووقعت بينهما الحروب حتى تفانى رؤساؤهم حالف الأوسُ يهودَ بنى قريظة ، وحالف الخزرج يهود بني النضير وبني قينقاع ، وكانت فرصة لليهود تاجروا فيها بالسلاح بيعاً لكلا الفريقين ، وسعى الأوسُ لإقامة حلف بينهم وبين قريش ليقوم شيء من التعادل مقابل الخزرج الذين حالفوا فرقتين ، وأرسلوا من أجل ذلك : إياس بن معاذ وأبا الحسير أنس بن رافع مع وفد يلتمس ذلك الحلف من قريش فلم يتم لهم[١٩] .

ولنترك هذه الأحلاف الجماعية لنلم باللون الفردي وهو قائم بدوره على«التناصر»أيضا ـ فنجد من أمثلته :

تحالف العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ قبل إسلامه مع عتبة بن جحدم أحد بني الحارث بن فهر [٢٠] .

وحلف حمزة أخيه ـ رضى الله عنه ـ قبل إسلامه أيضا مع أبي مرثد الغنوى وابنه : مرثد بن أبي مرثد [٢١]

وحلف الأخنس بن شريق بن عمرو الثقفي مع بني زهرة [٢٢] .

وحلف نُفَيل بن عبد العزي ـ جد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ مع عبد ياليل بن ناشب الليثي الكناني .

وحلف الخطاب ولده مع خَوْلَى بن أبي خولى الجعفي ، وحلفه أيضا ـ أي الخطاب بن نفيل ـ مع عامر بن ربيعة بن كعب[٢٣] . ←

(١٨) د /على احمد الخطيب ـ عمر بن الخطاب : حياته . علمه . أدبه ص (١٨) عالم الكتب ـ بيروت ط ١ ـ ١٤٠٦

(١٩) نور اليقين ص ١٠٠ ، وانظر اللسان مادة حلف ، والدرر ص ٧٠ .

(٢٠) مسند أحمد ٣٥٣/١ الحديث رقم ٣٢١٠ .

(٢١) انظر الدرر ص ٨٤ .

(٢٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ قسم أول ص ٣١٥ تحقيق مصطفى السقا ط ٢ / ١٣٧٥ .

(٢٣) عمر بن الخطاب : حياته علمه أدبه ص ٢٠ .

والأمثلة ـ على أي النوعين ـ كثيرة مبثوثة في التاريخ والأدب تريك لوناً من السعى على التناصر في مجتمع لا يأمن بعضه بعضاً .. هذا إلى ما فيها من استجماع القوة للغارة على الضعيف قبيلة أو فرداً ، فكانت تمثل ضرباً من القهر ينوء به الضعفاء .

★★ ★★

ويعترى الحلف ـ لأمر ما ـ ما يفسده ، فيدعو طرفاه أو أحدهما إلى نقضه ، هذا النقض الذي يسمونه : « خُلْعا » .

وفي اللسان : « تخالع القوم ، نقضوا الحلف والعهد بينهم » . وخذ ما شئت ـ بعدها ـ من خصومة فقتال .

قال ابن الأثير :

فإذا أرادوا أن يتبرءوا من إنسان قد حالفوه أظهروا ذلك للناس ، وسَمَّوْا ذلك الفعل .. « خلعاً » والمتبرأ منه خليعاً (٢٤)(٢٥) .

وليس بعيداً أن يكون وراء انخلع شيء من قواعد الحلف ففي « السيرة الحلبية » :

« من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف » وهى قاعدة تجعل الظلم ظلمات .

يتبع

د. علي أحمد الخطيب

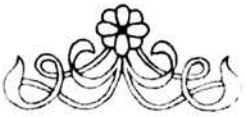
(٢٤) راجع المادة باللسان .

(٢٥) ينبغي الفصل هنا بين « الخليع » بسبب نقض العهد ، وهو الذي معنا ـ في الدراسة و « خليع » آخر بسبب جناية يرتكبها فتخلعه القبيلة وتطرده من بين صفوفها ، جاء في اللسان . والخليع : الرجل يجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرءون منه ومن جناياته ، ويقولون : إنا خلعنا فلاناً فلا نأخذ أحداً بجناية تُجْنَى عليه ، ولا نؤاخذ بجنايته التي يجنيها . اهـ . وفي صحيح البخاري ـ باب الديات ـ من هذا القبيل قوله : « وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم في الجاهلية » .

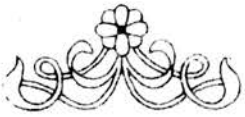
قال ابن حجر : خلعه قومه ، أي حكموا بأنه مفسد فتبرءوا منه ، قال : ولم يكن ذلك في الجاهلية يختص بالحليف ، بل كانوا ربما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من صميمها إذا صدرت منه جناية تقتضي ذلك ، انظر فتح الباري !

مع فضيلة الإمام الأكبر

الهجرة كانت تجاوز العوامل القهر



إلى المسلمين في عيد الأضحى المبارك



بيان من الأزهر الشريف

الهجرة

كانت تجاوزًا لعوامل القهر

وتحولاً إلى مواقع النصر

هاهم سادة مكة قد ضاقت صدورهم ، واحتبست انفاسهم ، وهم يطالعون كل يوم الجديد والعديد ممن دخلوا فى الإسلام من أهل مكة وممن حولها من وفود الحج .

وها هى أخبار هذا النبى محمد ـ ﷺ ـ وبعثته داعياً إلى الله على بصيرة من وحيه ، قد ذاعت وشاعت بالرغم مما بذله هؤلاء السادة أعداء النبى من جهد لطمس معالمها ، وإطفاء نورها ، والصد عنها بالوعد والوعيد .

وها هو الرسول ﷺ ـ مثابر على إبلاغ رسالته ، باذل نفسه وكل جهده للتعريف بدين الله ، تالٍ ما أوحاه إليه ربه فى كل مجتمع وناد .

وحين أعرض أولئك السادة ومن تبعهم عن الاستجابة لدعوة الإسلام وصدوا عنها فى مكة كان الله قد شرح صدور قوم آخرين فى يثرب ، فآمنوا برسالة محمد ﷺ وأسلموا لله رب العالمين ، وكثر عددهم وتعاهدوا على حماية الدعوة الإسلامية والتمكين لها ، ولما تهيأت أرض النصر ، كانت الهجرة تجاوزاً لعوامل القهر التى تعرضت لها الدعوة إلى مواقع النصر التى أذن الله أن تكون لها مقراً ومنهاً منطلقاً ، وبداية لعهد استقرت فيه القيم الإسلامية العليا ، وانتصرت فيه كلمة الله .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كان النبى ﷺ بمكة فأُمر بالهجرة إلى المدينة ، وأنزل الله عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ .

فكان هذا إيذاناً بالهجرة ، وكانت المدينة هى المدخل الصدق لرسول الله ﷺ ولدعوته ، فقد أيده الله فيها بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، وجعلهم أمناء على وحيه الكريم يبلغونه للناس ، فكانوا الأوفياء الأمناء .

لقد فتح بالهجرة باب الأمل والعمل ..

تفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

الأمل فى أن يسود الإسلام دنيا الناس كافة ، باعتباره الدين الخاتم ، الظاهر على الأديان التى سبقته المصحح لسيرها حتى تلتقى جميعاً على توحيد الله وتحتكم إلى شريعته ذلك قول الله فى القرآن :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

فرسالة الإسلام تقرر المساواة بين الناس جميعاً لأنها موجهة إليهم ، وتقرر العدل وتقيمه . والأمل فى إقامة مجتمع يدين بالإسلام ، ينتظم جميع الأجناس والأقوام على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، ينسق بين شعوب البشرية ويحفظ خصائصها النقية ويعقد الإخاء بينها ، مترابطة بروابط المودة وأواصر الرحم والقرابة ، ووحدة الغاية وسمو الأهداف ، وقد كانت هذه الآمال حقيقة ظاهرة فى مجتمع الهجرة فى المدينة ، فقد ألف الإسلام بين قلوب المسلمين فى المدينة كما قال الله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقد ابتدأ عمل الرسول ﷺ لإيجاد هذا المجتمع المتساند المتعاطف بوضع روابط تربط إخاء الأمة الإسلامية الناشئة ، بحيث تكون وحدة تحتوى العناصر المختلفة الأنساب والأوطان ، ويصير مجتمعاً مؤتلفا فى شعوره ، تنمحى فيه الفوارق وتنجاب مسببات الفرقة ، فكانت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرة ، كما كانت بين كل صنف منهم فانعقدت الألفة وتكاملت الوحدة وارتبطت القلوب المؤمنة بالمودة وبالإيثار ، بدلاً من الأثرة ، فلم يكن هذا التآلف قلبياً فحسب ، بل شمل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية ، حيث وضعت الهجرة أسس إقامة المجتمع الجديد الرشيد .

وكانت الهجرة باب العمل الدءوب المثمر لنشر الدعوة الإسلامية واتساع آفاقها وتأصيل قواعد الإدارة والسياسة والتشريع والقضاء على هدى وبصيرة من قواعد الإسلام وآدابه وعدله ، وأقيمت الصلاة وفرضت الزكاة والصوم والحج وتحدد الحلال والحرام ، وحراسة المجتمع من العاديات وانعقدت له سماته المميزة له عما سواه ، فكانت لهذا المجتمع عاداته وأعرافه التى تميزه ، كما فرضت له عباداته وشعائره وشعاراته التى يستقل بها ، ولم يعد فيه مكان لظلم أو لظالم ، حيث كان الجميع يتسابقون إلى السماحة والتسامح وقضاء الحقوق ، فكان قضاء الرسول ﷺ بينهم إذا ترافعوا

←

إليه فى أمر من أمورهم أشبه بالفتوى ، يلتزم بها من ظهر أن الحق لديه ، يؤديه إلى مستحقيه دون مطل أو لحن فى القول ، تضيع به الحقوق أو تتأخر .

نعم ؛ أسست الهجرة مجتمعاً اعتصم بأحكام الإسلام ، وتحلى بأخلاق القرآن ، ورعى أواصر الإخاء والوحدة بين المؤمنين والعدل والمساواة بين الناس أجمعين ، كانت هجرة إلى السمو الإنسانى وإلى الحضارة التى تبنى الإنسان عميق الصلة بربه ، صادق الأخوة مع بنى البشر جميعاً .

فما أحوج المسلمين اليوم ـ وقد أظلتهم هذه الذكرى ـ إلى أن يستمعوا إلى آثار هذا الحدث الخطير فى حياة أمتهم وينصتوا إلى قول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

فكف الأذى عن الناس .. أذى اللسان واليد ، وهجر المنهيات أى المحرمات نزولاً على حكم الله من أخلاق الإسلام ، وما أحوج أمة الإسلام ـ شعوباً وحكاماً وحكومات ـ اليوم إلى الهجرة إلى الله بالعمل فيهجروا ما نهى الله عنه من الخلاف والفرقة والشقاق .﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ وأن يعودوا إلى أواصر الإسلام ودعائمه التى عليها قام مجتمع الهجرة من التراحم والتواصل والإخاء الوثيق والتعاون على البر والتقوى ، إذ أن هذا كله من عهدة الإيمان الذى التزم به المسلمون ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ .

لم تعد الهجرة المكانية من فروض الدين ، وإنما صارت الهجرة المستمرة هى هجرة المحرمات والبعد عن المنكرات والمفسدات كما وجهنا الرسول ﷺ فى قوله : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » إذ مؤدى هذه القاعدة الشرعية أن ثواب الهجرة يكون لمن أعرض بقلبه وجوارحه عن كل ما نهى الله عنه من الآثام الظاهرة والباطنة .

ولعل من أهم صور هذه الهجرة فى عصرنا مما ينبغى هجره والدعوة إلى نبذه ، والحذر منه هذه المشاكلة والتشبه بأمم أخرى تختلف عنا فى الدين والعادات والأعراف ، ففى الإقدام على هذا تذويب لشخصية الأمة المسلمة ، ولا يقال إنها فى أمور ظاهرية ، لأن الخطورة تكمن فى الظواهر التى تجر ـ حتما ـ إلى مشابهة ومشاكلة فى أمور كثيرة تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه وفى هذا التقليد إضعاف لشخص المسلم وإزهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة الآن : أن نهجر تقاليد غيرنا فيما ينافى المروءة والغيرة على حرمات الله ، وفيما يحض على الخروج على أوامر الله .

ولنأخذ من الهجرة الصدق مع الله ومع رسول الله ، ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولنحذر من يدعون إلى الانفلات من القيم والمبادىء القيمة التى جاء بها القرآن وجرت بها سنة رسول الله ﷺ فإنه لاصلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فانبذوا الشقاق فقد أنهك الأمة وجعلها نهباً لأعدائها ، وخذوا حذركم مما يراد بكم ومما يوجه إليكم من دسائس ووساوس فرقت جمعكم وأوقعت الحروب بينكم ولن ينجيكم إلا الاعتصام بالإسلام . ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ .

لا يدخل اليأس إلى القلوب ولتكن منكم فئة داعية إلى رأب الصدع وجمع الكلمة حتى تتغلب على الأهواء وترتفع فوق هذه المصاعب والمتاعب التى جرتها الفتنة القائمة والحروب المستعرة فى الشرق والغرب بين المسلمين .

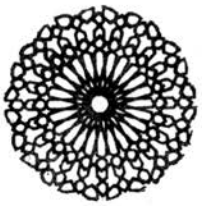
لا يكن أمركم عليكم غمة فلن تحل قضاياكم إلا على أرضكم وبجهدكم ، فاسمعوا وأطيعوا أوامر الله وأقدموا على هذه النيران وحاصروها واخمدوها قبل أن تأتى على الأخضر واليابس .

فى ذكرى الهجرة الشريفة أهنىء المسلمين جميعاً .. وتهنئة خاصة خالصة بالعام الجديد .. إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين فى كافة أقطارهم . وأدعوهم باسم الأزهر أن يتجاوزوا عن كل ما وقع وأن يسارعوا إلى رأب الصدع لتقوم الوحدة وإلى وقف الحرب بين إيران والعراق وغيرها من الحروب بين المسلمين ، وأن يؤيدوا ويمدوا يد العون للمعتدى عليهم من شعوب الإسلام فى أفغانستان وفلسطين ولبنان وتشاد .

وباسم الأزهر الشريف : طلابه وعلماءه أدعو علماء المسلمين فى كل أقطار الأرض أن ينصحوا وأن يفصحوا عن كلمة الله وأن يجهروا بها وأن يعملوا على وحدة الصف فالإسلام واحد وإن انتحل الناس المذاهب لأنها فى جملتها مذاهب فقه واجتهاد ، لا مذاهب جدل وعناد ، ولا تثيروا ما اندثر من قضايا الفكر ، فكفى ما ترتب عليها فيما مضى فلا تذكوا النيران بإلقاء المواد القابلة للاشتعال . ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

ومرة أخرى أوجه النداء ، ونحن فى مستهل الشهر الحرام ، شهر المحرم .. إلى المتحاربين من المسلمين لاسيما إيران والعراق أن ألقوا السلاح واحقنوا الدماء .. وانزلوا عند حكم الحكماء ، فإن التحكيم عند الاختلاف شرع الله الذى نؤمن به جميعاً .

أسأل الله أن يجعل هلال شهر المحرم بشيراً بالسلام والوئام بين بنى الإسلام .



إلى المسلمين في عيد الأضحى المبارك

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد ..
فإن عيد الأضحى أحد عيدين شرعهما الله على لسان رسوله محمد ﷺ على ما رواه أبو داود والنسائى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أُمِرْتُ بيومِ الأضحى عيداً جعله الله لهذه الأمة) ..

والأعياد فى حياة الأمم رمز لأحداث مجيدة ، تعيد إلى الأذهان مناسبات جليلة القدر عظيمة الأجر ..

واهتمام الأمة بعيدها واحتفاؤها به هو بمثابة التعبير عن سرورها وتقديرها للمناسبة التى من أجلها اتخذ هذا اليوم عيداً ..

وتنفرد الأعياد فى الإسلام بأنها ليست من اختيار الناس ولكنها تشريع من الله سبحانه تتويجاً لعبادة فرضها الله ، ورمزاً لمكافأة ربانية ، وابتهاجاً بأداء طاعة تتجدد كل عام . ترأب صدع النفوس ، وتحيى مواتها ، وتضعها على طريق الله المستقيم .

ثم هى فى معالمها ومراسمها تربط الأمة بماضيها العزيز الكريم ، واصلة الفروع بالأصول ، مذكرة بمثل من إيمان راسخ لسلفنا الصالح .

إن الأعياد الإسلامية ليست محل عبث وإفساد ، بل باعث على الخير والرشاد ، تحفز إلى التآلف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، فى مسرة دون مضرة ، فلا يمتنع أو يحرم فيها اللهو البرىء من العبث بحرمات الله وحقوق الناس ، كما لا يمتنع فيها اللعب النافع المفيد .

وعيد الأضحى يوم اختصه الله بسمات من البر والإحسان ، وصلة الفقراء وذوى الحاجات من الأهل والأقربين والجيران ، ففى الحديث الشريف الذى أخرجه أصحاب

لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

السنن وصححه الترمذى:(يوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب) ..

ومن ثم ينبغى أن تصفو النفوس ، وينتشر البشر والتسامح والتقارب ..

ولقد شرع الله لنا فى هذا اليوم سنة الأضحية سمة من سمات البر والتكافل بين أفراد المجتمع ، ووسيلة إلى التهادى بين الأقارب والجيران . تغيض بها الأحقاد ، وتفيض القلوب بشراً ومودة ، والأضحية فى يومنا هذا سنة مؤكدة على كل قادر عن نفسه ، وعمن يعولهم ، ومن الأئمة من رآها واجبة على المستطيع وبقدر استطاعته ومن تطوع خيراً فهو خير له .

وتمتد أيام الأضحى إلى اليوم الرابع لهذا العيد السعيد .. هذا العيد يأتى فى أيام مباركة ، أتم الله فيها الدين حيث نزل قول الله سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .. إذ قد كملت فى هذا اليوم شعائر الحج ومناسكه ولذكر الله أكبر ..

فهلا تذاكرنا معانى هذه الشعائر ومبانيها ، وتعلمنا من شعيرة الأضحية التضحية بالأهواء والأغواء واستعدنا الصفاء والنقاء للأمة الإسلامية ، تلك الأمة التى أعزها الله بالإسلام ، وأقام بنيانها على الطهر والعدل والتقوى ، فأرست قواعد الحرية الزكية وأسس المساواة السوية ، وزمام الأمن الذى ينعم الناس فى ظله بكوامن الأمل وبثمرات العمل .

هلا تذاكرنا أننا قد أظلتنا الأشهر الحرم ، فأوقفنا الظلم وبددنا هذه الظلمات التى تحيط بنا ، وحررنا أنفسنا من الظلم والظلمات :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ ..

ومع هذا النهى عن الظلم والتظالم قتل المسلم أخاه ، واشتعلت الحروب واشتدت الكروب فى محيط الأمة ، لا دفاعاً عن الدين ، ولا طلباً لإصلاح ، وإنما بغياً وعدوانا واستعلاء فى الأرض وعوناً على نشر أفكار وعادات تتنافى مع حقائق الإسلام وأصوله وفروعه .

ها هو العناد يستبد بطائفة من الأمة فأعرضت عن كل نصح إحياء لعصبية عرقية ، واذكاء للخلافات المذهبية ، فامتد النزاع والخصام وشاع واحتدم التمزق والفرقة ، مع أن الإسلام هو نسبنا وهو حسبنا .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ..

←

فيوقفوا هذه الخلافات والحروب التى اشتدت وامتدت ، وكلما خبت زادها المفسدون فى الأرض اشتعالاً حتى أحرقت الأخضر واليابس وأكلت البشر والوبر ..

هلا نذكر اليوم ما كان بالأمس على عرفات من اجتماع المسلمين من كل لون ولغة يبتهلون إلى الله تلبية وتضرعاً وخشية ، لم يعرف أحد

منهم وهو فى هذا الموقف إلا أنه مسلم ينتسب إلى أمة الإسلام وليس إلى أرض ولا إلى ملك أو مذهب ألا ما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يتذاكروا أن أحداثاً تتناوشهم من كل جانب وأن قضاياهم تفصل فيها أمم أخرى ..

ألا ما أحوج المسلمين فى كل مكان أن يذكروا اليوم هذه المآسى التى تحيط بهم وأن يأخذوا على أيدى العابثين بمصائر الأمة :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ..

لقد انعقد مؤتمر المسلمين العام أمس ،على عرفات .. بدعوة من الله العلى الأعلى ، وتجاور الفرقاء والغرباء ، فهل يذكر هؤلاء وأولئك هذا الموقف العظيم وهذا المؤتمر الكريم الذى كانوا فيه بدعوة من الرحمن الرحيم وعلى مائدة الكريم ذى الفضل العظيم فتتأثر به قلوبهم ، وتنير أفئدتهم ، فتطرد الشتات والفرقة وتنهى هذه الخلافات التى تتفجر دون سند ولا سبب مشروع .

باسم الأزهر الشريف

أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين بعيد الأضحى المبارك وأدعو الله سبحانه أن يوفقهم لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ووقف الحروب والخلافات ..

وأدعو علماء الأمة إلى أن يعملوا جاهدين على نبذ الخلافات المذهبية فإن مذاهب الإسلام كلها من رسول الله ﷺ ملتمس .

ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وليذكر المسئولون جميعاً أن الآخرين قد وحدوا صفوفهم على باطل أمرهم يظاهر بعضهم بعضاً مع أنه لا توجد بينهم وشيجة المودة فى حين قد تفرقنا نحن المسلمين ، مع أن الله وصفنا بالأخوة فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وحذرنا من الشقاق والنزاع فقال : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ..

فى عيد الأضحى المبارك أهنىء المسلمين جميعاً فى أرجاء الأرض

وتهنئة خالصة خاصة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية ـ وأسأل الله أن يجرى على يديه ما نأمله من إصلاح وصلاح .. وللشعب المصرى أن يمنحه الله الهداية والاستقامة .

(جاد الحق على جاد الحق)
شيخ الأزهر

بيان من الأزهر الشريف

في أحداث الحرم المكي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعـــــد

فقد تواترت الأنباء عن سقوط مئات من الحجاج في رحاب المسجد الحرام في أحداث عنف دموية أثارها الحجاج الإيرانيون الذين قاموا بمظاهرات سياسية في مكة واشتبكوا في معارك عنيفة مع جموع الحجاج ومع قوات الأمن السعودية . وقد اوضح البيان الرسمي السعودي انه قد قتل في هذه الاحداث ٤٠٢ اشخاص وأصيب ٦٤٩ شخصاً . وأسفرت الحوادث عدا هذا عن إحراق وتدمير عشرات السيارات وغير هذا من الممتلكات . وهذه الحوادث والاعتداءات والمظاهرات في هذه الأماكن الحرام قد حرمها الله سبحانه . ففي سورة المائدة قول الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا . . ﴾

وقول الله سبحانه : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وفي سورة العنكبوت قول الله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

وفي سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً . . ﴾ .

وغير هذا آيات كثيرة في القرآن الكريم حرمت القتل والقتال في الحرم ..

وقد نهى رسول الله ﷺ نهياً مؤكداً عن هذا حين فتح مكة حفظاً لحرمة البيت الحرام وشرف مكة وحرمتها . وأوضح أنها لم تحل له إلا ساعة من نهار حيث خطب فقال : « أيها

← بيان من الأزهر الشريف

الناس ـ إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهى حرام كحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يسفك دماً أو يعضد شجرة (يقطعها) فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له :

إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لى ساعة من زمان وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليعلم الشاهد فيكم الغائب » ..

أيها المسلمون في جميع بقاع الأرض : إن الأمر خطير وإن عدواناً أثيماً قد وقع على الحرم الشريف الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً . وأن على المسئولين في الدول الإسلامية أن يقوموا بواجباتهم نحو حماية الحرم وأن يؤيدوا ويؤكدوا ذلك ويتخذوا الإجراءات المناسبة .

إن إيران قد كشفت عن سوء النية باستهانتها بالمقدسات الإسلامية عندما تثير الشغب والقتل والقتال فى أرض حرمها الله وجعلها حرماً آمناً ، فالأمر صار عداء للمسلمين جميعاً ولم تعد حرباً مع العراق ، فقد داست كل الحرمات والمقدسات . إنها فتنة موجهة إلى الأمة الإسلامية في أشرف بقاعها ، وفى موسم إسلامي يفد إليه الناس من كل بقاع الأرض فأخمدوا هذه الفتنة . ولا تأخذكم فى الله لومة لائم واعلموا أنكم مسئولون عن حماية حرمات الإسلام وحرمه ..

وعلى هؤلاء الذين أيدوا الثورة في إيران أن يراجعوا أنفسهم ، بعد أن كشفت بفعلتها المحرمة وبانتهاكها للمقدسات عن أنها غير ملتزمة بأوامر الله فى كتابه الكريم . وأن الأزهر الشريف ليعلن رفض ما أحدثه الإيرانيون في مكة ويحمل حكومة إيران وقادتها عواقب انتهاكهم للحرم المكى وإثارتهم الشغب والقتل والقتال في مكة ، البلد الحرام فى شهر حرام وفي موسم الطاعة لأداء فريضة هى ركن من أركان الإسلام ويدعو المسلمين جميعاً شعوباً وحكومات إلى موقف حازم تجاه هذه الأحداث .

فاجمعوا أمركم فإن الأمر جد وإن الإسلام والمسلمين يتعرضون لمؤامرة تقودها هذه الفئة الباغية على حرمات الله ...

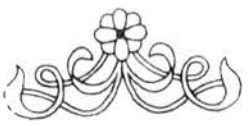
أيها المسلمون :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِم وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

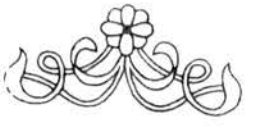


دراسات إسلامية

بالهجرة قامت دولة الإسلام



الترابط بين الأسرة والأمة



خطورة الصراع الديني في افريقيا



إن الله العلى القدير مذ عزل العبرانيين عن الوحى الإلهى وغضب عليهم وأقصى عنهم النبوة أولى قيادة العالم جنساً جديداً قوامه أمة تقدس الحق وتصون آياته وترفع فى الأرض راياته تلك هى أمة الإسلام قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1] .

فهم مُصْطَفَوْن من بين الأمم ، وهم الأمة المسئولة عن الميراث الدينى الخاتم الذى آل إليها ، فتبعاتها أمام الله جسيمة إزاء هذا الاختيار الأعلى وأمام الكتاب الضخم الذى اختتم الله به الوحى ووكل إليها درسه ونشره وكُلِّفَتْ أن تحيا به وتحيا له ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف ـ ٤٤ .

ومن هنا تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة إليها . دِعائم لابد منها لقيام دولة الإسلام التى تحتضن هذه الأمة الربانية فكان تحقيق الشئون الآتية :ـ

١ ـ صلة أفراد هذه الدولة بالله .

٢ ـ صلة أفراد هذه الدولة بعضهم بالبعض الآخر .

٣ ـ صلة أفرادها بالأجانب عنها ممن لا يدينون دينها .

٤ ـ إعلاء العصبية القبلية بين أفرادها عامة وبين قبيلتى الأوس والخزرج خاصة إلى أسمى صلة إنسانية .

٥ ـ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

٦ ـ توجيه المسلمين إلى القتال للدفاع عن أنفسهم أولاً ثم لإزاحة قوى الشر التى تمنع وصول دعوة الحق ـ دعوة الإسلام ـ إلى العالمين .

٧ ـ وضع أساس النظام الاقتصادى الذى يقوم عليه كيان الدولة الجديدة[2] .

(١) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٢) انظر كتاب سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد لطيب النجار تنشره مكتبة الجامعة الأزهرية .

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

أولا : صلة أفراد هذه الدولة بالله :

وتحقيقا لهذا الأمر بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ وصل إلى المدينة إلى بناء مسجده لتظهر فيه شعائر الإسلام وبخاصة الصلوات الخمس .. هذه الشعائر التى طالما حوربت من الكفار والمشركين وهى التى تربط المسلمين بربهم وتنقى القلوب من أدران الأرض ودسائس الحياة الدنيا وقد شارك عليه الصلاة والسلام أصحابه فى حمل الأحجار واللبنات على كواهلهم مما ضاعف من حماس المشتغلين بالبناء ، وقد تمت إقامة المسجد فى حدود البساطة فكان فراشه الرمال والحصباء وسقفه الجريد وأعمدته جذوع النخل[٣] .

هذا البناء المتواضع البالغ حد البساطة هو الذى ربى جيل المسلمين الأول فكانوا ملائكة البشر ومؤدبى الملوك والأباطرة والجبابرة وسادة الدنيا والآخرة مما يشير إلى أن مكانة المسجد فى المجتمع الإسلامى تجعله مصدر التوجيه الروحى والمادى .

وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هى لباب الإسلام ، ومع ذلك فلم تكن الصلاة وقفاً على المسجد وحده فالأرض كلها مسجد والمسلم أينما أدركته الصلاة أقامها وأداها قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[٤] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ ﴾[٥] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل »[٦] .

فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد وتجهل اليوم الآخر ولا تذكر بالله رب العالمين .

ثانيا : صلة أفراد الدولة بعضهم بالبعض الآخر :

هذه الصلة أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإخاء الكامل بين المهاجرين والأنصار سكان المدينة فذابت نعرات الجاهلية ولم تظهر إلا حمية الإسلام ، وترتب على ذلك أن سقطت فوارق النسب واللون ورقعة الميلاد فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بتقواه ومروءته ، وكانت عواطف الإيثار ←

(٣) كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد النويرى ـ السفر السادس عشر .
(٤) سورة العنكبوت آية ٤٥ .
(٥) سورة التوبة آية ١٨ .
(٦) من حديث رواه الإمام البخارى باب التيمم الجزء الأول .

والمواساة والمؤانسة تمتزج فى هذه الأخوة وتملأ مجتمع المدينة بأروع الأمثال وكيف لا ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأخ الأكبر لهذه الجماعة والقدوة الفذة لها .

قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٧) .

وقد ظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة فى توارث التركات إلى موقعة بدر حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٨) ، فألغى التوارث بعقد الأخوة ورجع إلى ذوى الأرحام(٩) .

ثالثا : صلة أمة الإسلام بالأجانب عنها ممن لا يدينون بدينها :

وفى معالجة هذه الصلة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره تعالى قوانين السماح والتجاوز اللذين لم يُعْهَدَا فى هذا الزمان فى عالم ملىء بالتعصب والتغالى فلم يقرر الإسلام سياسة الإبعاد والنفى والمصادرة .

فمثلا اشتملت معاهدته صلى الله عليه وسلم مع اليهود على :-

١ ـ أن حرية الدين مكفولة .

٢ ـ وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين مادامو محاربين فلا يوالون أحدا من مشركى مكة ولا يسدون العون لهم .

٣ ـ اتفاق المسلمين واليهود على نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق الخاصة والعامة .

٤ ـ اشتراك الفريقين فى الدفاع عن المدينة إذا هاجمها عدو .

٥ ـ قررت حرية الخروج من المدينة لمن يريد تركها ، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها .(١٠) .

رابعا : إعلاء العصبية القبلية بين قبيلتى الأنصار فى المدينة وكذلك بين جميع المسلمين :

فلقد كان منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إعلاء تلك العصبية هو تهذيبها وتوجيهها إلى الناحية الصالحة المستقيمة فحول ذلك التيار القومى الذى كان يغذيها فى الجاهلية إلى غاية سامية هى نصرة الحق ولو حارب المرء فى هذا السبيل أهله وبنيه فصارت عزة إسلامية وأخوة دينية وأصبح التنافس القبلى البغيض تنافساً رشيداً يسعى إلى التعمير لا إلى التدمير ويهدف إلى الإنشاء والبناء لا إلى الهدم والإفناء وصار التسابق بين أفراد القبيلتين وكذلك بين جميع المسلمين تسابقا فى سبيل الله لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الإسلام .

(٧) سورة الأنفال آية ٦٣ .
(٨) سورة الأنفال آية ٧٥ .
(٩) كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .
(١٠) المرجع السابق .

خامسا : تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام فى مكة :

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان يتوجه فى صلاته هو والمسلمون إلى بيت المقدس واستمر على ذلك ستة عشر شهراً ، لكنه كان يتوق إلى التوجه إلى بيت الله الحرام بمكة لأن البيت الحرام أو الكعبة كانت أقدم القبلتين فهى قبلة أبى الأنبياء إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ومفخرة العرب حيث كانت مثابة للناس وأمنا ومزاراً ومطافاً قال الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(١١) .

وبتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام برزت الشخصية المستقلة لأمة الإسلام بعيداً عن اليهودية وما انبثقت عنها من نصرانية وبات واضحاً اتصال المسلمين بدين أبيهم إبراهيم فإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فساعد ذلك على تأليف القلوب نحو الإسلام رويداً رويداً حتى أشرقت به جزيرة العرب ثم نفذ ضياؤه بعد ذلك إلى سائر الأرجاء العالمية تحقيقاً لعالميته فى دنيا الناس .

سادسا : توجيه المسلمين إلى القتال :

بعد أن وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أساس المجتمع الجديد لأمة الإسلام كما بينا آنفاً رأى ضرورة إحاطة ذلك الأساس بما يقويه ويدعمه ويمنع عنه العوادى وأذى المتربصين من الأعداء والحاقدين وقد تجلى ذلك فى :-

١ - الدفاع عن النفس ورد الظلم والعدوان ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(١٢) .

٢ - الدفاع عن دعوة الإسلام إذا حاول أعداؤها :

(أ) فتنة من آمن .

(ب) أو صد من أراد الدخول فى الإسلام .

(جـ) أو منع الداعى من تبليغ دعوته .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾(١٣) .

٣ - تقرير حرية العقيدة والبعد عن الأغراض والأهواء ، كى يكتمل لها الجو الملائم فينضوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد أو فتنة وفى ذلك يقول الحق تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١٤) .

(١١) سورة البقرة آية ١٤٤ .
(١٢) سورة الحج الآيات ٣٩ - ٤٠ .
(١٣) سورة البقرة الآيات ١٩٠ - ١٩١ .
(١٤) سورة البقرة آية ١٩٣ .

ثم يأمر الله المسلمين بالجنوح للسلم متى جنح له أعداؤهم وأظهروا رغبتهم فيه ، لأن الغرض هو تأمين الدعوة ، والسلام كفيل بذلك وفى هذا يقول الله عزوجل : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٥) ، بل ذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك فإن من اعتزل الفتنة من المشركين وترك قتال المسلمين ولقيهم بالسلام فلا سبيل للمسلمين إليه قال الله تعالى : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾(١٦) .

أما إذا لم يكن ميلهم للسلام حقيقياً بل كانوا مخادعين ومذبذبين فعلا فعلى المسلمين أن يقاتلوهم حتى يستأصلوا الشر ويقطعوا دابر الفتنة وفى ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّواْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾(١٧) .

٤ ـ عندما تعدى القتال قريشا ومن جاراهم وحالفهم من يهود المدينة إلى باقى العرب الذين اتحدت قبائلهم لحرب المسلمين أمر الله المسلمين بقتال المشركين من كافة القبائل فقال سبحانه : ﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(١٨) .

٥ ـ لما أظهر يهود المدينة ومن حولها روح الشر والعدوان ولم يلتزموا بالعهود والمواثيق التى أبرمها معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم عليه الصلاة والسلام هو والمسلمون وحاقت الهزيمة باليهود جزاء سوء صنيعهم وتحالفهم مع المشركين حيث كتب الله على فريق منهم الجلاء وقضى على الفريق الآخر بالهلاك والفناء قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴾(١٩) .

التعايش السلمى سمة ظاهرة بين المسلمين ومن خالفهم فى العقيدة :

وفيما عدا ما أشرنا إليه سابقاً فإن سماحة الإسلام تتسع للمخالفين له فى الدين بل والإحسان والبر معهم ماداموا هادئين مسالمين وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢٠) .

(١٥) سورة الأنفال الآيات ٦١ ـ ٦٢ .
(١٦) سورة النساء آية ٩٠ .
(١٧) سورة النساء آية ٩١ .
(١٨) سورة التوبة آية ٣٦ .
(١٩) سورة الأحزاب آية ٢٦ .
(٢٠) سورة الممتحنة الآيات ٨ ـ ٩ .

سابعا: وضع أساس النظام الاقتصادى لمجتمع المدينة الجديد:

إن أساس ذلك النظام الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله ـ سبحانه ـ هو القضاء على الفقر، والتعاطف الكامل بين الأغنياء والفقراء بقصد التعاون والتضامن وفى سبيل ذلك :ـ

١ ـ دعا كل إنسان إلى أن يأكل من كسب يمينه وعرق جبينه ما استطاع إلى ذلك سبيلا وفى هذا ما فيه من احترام للنفس وحفظها من الذلة والمهانة وضن بماء الوجه أن يراق أمام الطغاة واللئام وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »[٢١] كما ورد عنه أنه قال كان زكريا (عليه السلام) نجاراً[٢٢] وقد أوردت كتب السيرة النبوية المطهرة أنه عليه الصلاة والسلام كان يشتغل بالتجارة قبل تكليفه بالرسالة .

٢ ـ جعل للفقراء حقاً معلوماً فى أموال الأغنياء وذلك بأن جعل الزكاة ركنا من أركان الإسلام وأوجب أداءها على كل مسلم مستطيع توافرت فيه شروطها قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٢٣] ، وقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢٤] ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أوعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً »[٢٥] .

ومما تجدر الإشارةإليه أن الإسلام جعل الإحسان إلى الفقراء والمساكين كفارة للخطايا والذنوب .

(أ) **فكفارة اليمين** ، إذا ماحنث فيها الإنسان هى إطعام الفقراء والمساكين قال تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[٢٦] .

(ب) وكفارة الظهار تكون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾[٢٧] وتلك من خير الإحسان إن لم تكن قمته .

(جـ) وكفارة الإفطار العمد فى نهار رمضان فقد روى مالك وابن جريج ، عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة : « أن

←

(٢١) أخرجه البخارى .
(٢٢) رواه مسلم .
(٢٣) سورة التوبة آية ١٠٣ .
(٢٤) سورة التوبة آية ٦٠ .
(٢٥) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن علىٍّ كرم الله وجهه .
(٢٦) سورة المائدة آية ٨٩ .
(٢٧) سورة المجادلة آية ٣ .

رجلاً أفطر فى رمضان فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا » .

٣ ـ نهى الإسلام المسلمين عن اكتناز المال ودعا ، إلى تداوله واستثماره بالطرق المشروعة التى سنها الإسلام حتى يزداد نماء وبركة ويزداد انتفاع صاحبه وانتفاع الجماعة المسلمة به من إنفاق على النفس والأسرة واستخراج الزكاة عنه وقد توعد الكانزين للمال بالعذاب الشديد فالمال قوام الحياة ، والحضارة والرفاهية ظل المال يتبعانه أينما كان قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٢٨] .

٤ ـ قضى على الربا فى معاملات الناس بعضهم بعضا :

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢٩] ، وبتقرير الإسلام تحريم الفائدة الربوية على رأس المال أبرأ المجتمع الإسلامى من هذا الداء الوبيل الذى يعزى إليه سبب الأزمات الاقتصادية فى العالم ولا أدل على ذلك مما أعلنه صندوق النقد الدولى طبقاً لما بثته وكالة الأنباء الكويتية من مكتبها فى واشنطون يوم ١٩٨٦/٥/٢٥ من دراسة عميقة قام بها ذلك الصندوق للنظام المصرفى العالمى إثر اتساع موجة الكساد وما نتج عنها من ارتفاع ديون عشرات من دول العالم المتقدم ومن الدول النامية وبعد إعداد تقرير اقتصادى نشر أخيراً يتضمن الإعلان عن إفلاس ٣٣ مصرفاً أمريكيا فى النصف الأول من عام ١٩٨٥ وحده[٣٠] .

فلقد جاء فى الخبر أن نظام الفائدة المصرفية المفتوحة على أساس العقيدة الإسلامية التى تقوم على تحريم الربا يكون أكثر استيعابا للصدمات المالية وبهذا يثبت أنه أكثر استقراراً لأن نظام المشاركة المطبق حسب شريعة الإسلام يبدى كفاءته الواضحة من الناحية الاقتصادية البحتة بعكس الحال فى ظل النظام المصرفى الربوى فإن أى هبوط فى قيمة الموجودات فى مواجهة قيمة اسمية ثابتة للالتزامات سوف يوجد حالة من عدم التوازن بين الموجودات الحقيقية والالتزامات القانونية مما يمكن أن يزعزع استقرار النظام المصرفى وركزت الدراسة التى أصدرها صندوق النقد الدولى بصورة خاصة على تحريم الإسلام لمعدل الفائدة فى حين يجيز ويحلل معدل الربح وقالت إنه فيما يحرم الإسلام بوضوح معدل

(٢٨) سورة التوبة آية ٣٤ .
(٢٩) سورة البقرة آية ٢٧٨ .
(٣٠) مجلة منار الإسلام ـ ذى القعدة ١٤٠٦هـ ـ يوليو ١٩٨٦م .

الفائدة لا يكتفى بذلك ولكنه يشجع التجارة والأرباح التى تجنى من ورائها بينما نجد أن هناك تصلبا فى النظام الربوى يمنع التكيف الفورى (انتهى ماجاء فى تلك الدراسة) .

وبعـــد :

فهذه هى دولة الإسلام التى أراد الله فأرسى قواعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر هجرته إلى المدينة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، لم تفقد تلك الدولة ، ولن تفقد أبداً ، تلك الأسس الربانية التى قامت بها ، فلازال بين ظهرانينا كتاب ربنا عز وجل وسنة رسوله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما على المسلمين إلا أن يجنحوا إلى الله ـ تعالى ـ فتستقبلهم رحمته ، ويعود إليهم مجد سلف ، وعزة أضاعوها ولعل الإنسانية فى يومها القريب أشد حاجة إلى الإسلام من أمسها البعيد لأنه يبنى حاضر الناس على الحق والخير تلك هى طبيعة الصدق فى عقائده والعدالة فى وصاياه قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٣١) .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

« تصويب »

سقط من افتتاحية العدد الماضى .. « ذى الحجة » ١٤٠٧ السطر الأول من المقال . وهو :
النعمة قَدَرُ ومن مقادير النعمة ماهو فَذٌّ كريم

(٣١) سورة الأنعام آية ١١٥ .

التفسير الميسر للقرآن الكريم

نزل القرآن بلسان عربى مبين ، وقد يسّره الله للذكر ، بحيث يشرق نوره فى العقول ، ويسرى إشعاعه فى القلوب متى قرىء أو سمع ، وقد كان المسلمون فى الصدر الأول يفهمونه عن وعى بأساليب العربّية ، إلا ما خفى من كلمات على بعض دون بعض ، فكانت مجال السؤال المتطلّع ، والرد المسعف ، ولكنّ الزمن توالى بأحداثه السياسية وموجاته الثقافية ، وهزاته الفلسفية ، ففاء الناس إلى كتاب اللّه يستشيرونه فى ما ادلهّم من المعاضل .

ووجدت العقول المتباينة فى نصوص القرآن ما زيّن لها أن تسير فى تأويله قدر ما تستطيع .

وطبيعى أن تتفق التأويلات وتختلف ، وأن يتسع مجال النقاش حول مالم يكن موضع الاتفاق من هذا التأويل ، وأن تصدر كتب التفسير مثقلة بالآراء المتضاربة ، والأقوال المتعارضة . حتى يتحول الشرح إلى موسوعات نظرية تبعد عن النص الكريم أكثر مما تقترب .

وإذا كنا الآن بعد خمسة عشر قرناً من نزول القرآن نشكو هذا الركام الهائل من الأقوال المحتشدة فى مجلدات التفسير ذات العدد الكبير ، فإن هذه الشكوى نفسها كانت موضع ترديد فى القرون الأولى منذ ازدهرت الثقافة فى العصر العباسى ، إذ امتلأت كتب التفسير بآراء المعتزلة والمرجئة وأصحاب الجدل من ذوى الديانات المختلفة ، بحيث تضخم التفسير تضخماً شكا منه ذوو الغيرة على النصوص الواضحة من كتاب الله أن تختلط بأقوال لا تكاد تمت إليها بسبب ، وأنت تقرأ فى هذا العهد شكوى الإمام ابن قتيبة من احتجاب النّص المبين فى ستور زائفة مما حملت عليه حملاً بمختلف التأويل ، فهو

للدكتور/ محمد رجب البيومى

يقول فى مقدمة كتابه (غريب القرآن)[1] :

« وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا ، أن نختصر ونكمل ، وأن نوضح ونجمل ، وألا نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ، وألّا نحشو كتابنا بالنحو وبالأحاديث والأسانيد »

وإذن فحشو التفسير بالنحو والأحاديث والأسانيد كان مدعاة طولٍ ، تغيب معه بعض الحقائق فى عصر ابن قتيبة فإذا أضيف إلى هذه العلوم مسائل الفلسفة والطبيعة وعلم الكلام كما نرى فى شروح متداولة ، فإن العناء كبير ، ولعل الاكتفاء بكتب الغريب فى هذا العصر كانت رداً عملياً على الإسهاب المطيل فى غير طائل ، فقد حظى هذا العهد بكتب كثيرة ، تحمل مضمون (غريب القرآن) كتبها الكسائى . والنضر بن شميل ، وقطرب ، والفراء وأبو عبيدة والأخفش الأوسط . وأبو عبيد القاسم ، وغيرهم من أئمة اللغة والدين ، وكلها تقتصر على توضيح المعنى المراد من اللفظ فحسب ، ليصل القارىء إلى الجوهر الخالص من كلام الله دون أن يخوض ركاماً من النقول والحشود ، وقد كان فى طوق إمام كابن قتيبة أن يمتد بالتفسير فى كتاب الغريب حتى يشمل تأويل المشكل ، ولكنه اختص تأويل مشكل القرآن بكتاب مستقل ، لينجو التفسير المباشر للفظ من لجاج الجدل المستحر ، فيكون للخلافات المذهبية مجالها النظرى بعيداً عن كتب التفسير ، وليت ذوى المذاهب الفكرية ممن تصدوا لكتاب الله قد دونوا نقاشهم الجدلى فى كتب خاصة ، لا تحمل عنوان التفسير ولكنهم شاءوا غير ما نشاء .

ومن العجب أن الوعاظ وذوى النهج التأثيرى من ذوى الفهم المباشر لكتاب الله ، لم يخرجوا بعد ابن قتيبة تفسيراً يقتصر على الهداية الخالصة ويعمد إلى جلاء النص وحده دون إضافات تتعلق بالمذاهب والآراء ، إذ كان هم المفسر أن يعقب وأن يناقش وأن يدفع ، وكل نقاش يستلزم عرض ما قيل أولاً ، ثم الوقوف موقف التأييد أو التفنيد بأدلة تذكر فى مجال الترجيح ، فإذا أضيفت إلى هذا الجدل مسائل البلاغة ، ومعضلات النحو ، وتخريج القراءات الشاذة ، فقد لمم السّيل .

وقد شعر الأقدمون بضرورة الحاجة إلى تفسير مباشر يقتصر على المعنى المراد ، ولكن هذه التفاسير الموجزة لم يتح لها التداول المطّرد ، بل زاحمتها التفاسير المسهبة حتى باعدت بينها وبين الانتشار ، إذ وقر لدى طلاب البحث القرآنى أن دارسه لابد أن يحيط بأقوال السابقين ، ليمتلىء صدره بكل ما قيل ، فعليه إذ تعرض لتفسير الآية

←

(١) غريب القرآن : صـ ٣ .

الواحدة أن يجمع كل ما دار حولها من مسائل العلوم المختلفة وإلا ما كان مفسراً ذا إطلاع وتمكن ، لذلك نرى حشود التفسير تترامى عهداً وراء عهد ، وهى فى اتجاهاتها المختلفة من فقهية وبلاغية ونحوية وكلامية وحكمية تنحو منحى الحشد المتراكم ، والرد على المخالف ، وكل فى ميدانه الخاص يصول كما يشاء .

لذلك بعثت الضرورة بعض الفضلاء إلى اختصار المطّولات من كتب التفسير ، ليصل القارىء إلى المعنى المباشر من النص القرآنى سافراً دون حجاب ، وفى هذا العمل سداد صائب ، لأن من حق ذوى الاطلاع المحدود أن يجدوا أمامهم كتباً واضحة تسير إلى المراد فى سبيل لا تملؤه العواثير ، وقد طبع فى هذه الأيام كتاب جليل يحمل اسم « المفسر الميسر » وقد قيل إنه مختصر لتفسير الإمام الطبرى قام به عالم أندلسى يسمى (ابن صمادح الأندلسى) وقد أعيانى أن أجد له ترجمة ما أو تحديداً يبين عصره ، ويلم بشذور من حياته العملية والعلمية ، وناشر الكتاب قد سكت عنه سكوتاً تاماً فى المقدمة التى صدر بها التفسير ، ولكنه لخص هدف الكتاب تفسيراً شافياً حين قال عنه[٢] .

« ووقع الاختيار على (مختصر من تفسير الطبرى) الذى وضعه ابن صمادح الأندلسى ، والذى استغنى فيه عن كثير مما يشق على جمهرة المسلمين ، ولا يلزم إلا أولى العلم والمتخصصين ، مثل القراءات والأحكام والإعراب واللغات والاشتقاقات والأخبار والروايات وما إليها . واقتصر فيها على أبرز الروايات المعتمدة عن أئمة التفسير واختيار أقربها إلى معرفة الناس من الخواص والمتوسطين ، كما اقتصر على تفسير اللفظة غير الجارية على الألسنة ولا المتعارفة بين أكثرهم ، وآثر فى مجموعه الإيجاز غير المخل ، حتى يكون سهل التداول ميسور المنفعة ، قريب المأخذ ينتفع به العامة والخاصة » .

ومن المسلّم به أن هذا التفسير الموجز قد أدى دوره فى عصره ، ولبى حاجة من يريدون التفسير الكاشف دون ستور ، ولا زالت هذه الحاجة قائمة فى هذا العصر ، لذلك طبعته دار الشروق فى احْتفاء كبير .

تفسير الجلالين

لابد أن عدداً من التفاسير الموجزة قد تواكب على مر العصور إلا أن تفسير الجلالين مع تأخره الزمنى نسبياً كان من أشيع هذه التفاسير تداولاً بين أيدى القارئين ، والحق أنه يهدى القارىء إلى المعنى المراد من أقرب طريق ، ولكن قارىء زمن السيوطى كان ملماً بالقواعد النحوية لأنه طالب علم حيث لم تكن المخطوطات تتداول على نطاق واسع إلا بين أيدى الطلاب ومن يشدون جانباً من الثقافة ، أما فى عصر الطباعة فالمطبوعات تتداول بين الناس جميعاً ، من عرفوا القواعد النحوية ومن لا يعرفون ، لذلك قام الجلالان المحلى

(٢) مقدمة الكتاب ـ دار الشروق .

والسيوطى بإعراب موجز وبإيضاح ألفاظ كثيرة غير عربية ونسبتها إلى أممها ، وتعيين قراءات مختلفة لقراء شتى ، وهذا الجهد العلمى الآن لا يهضمه القارىء المتعجل ، ولعل إيجاز هذا التفسير كان الدافع لكتابة الحواشى المختلفة عليه ، وأظهر ما لدينا من هذه الحواشى حاشيتا الجمل والصاوى والأول مغرق فى مسائل الجدل المتشعب ، والثانى أوجز منه وأخصر ، ولكن اهتمامهما بالشرح والتعليق يؤكد أنهما يريان أن الجلالين قد تركا فراغاً يجب أن يملأ ، وقد نسيا أن الإيجاز متعمد من الجلال المحلى الذى بدأ بالتفسير حتى لقى ربه فى منتصف الطريق فقام السيوطى بالتكملة ملزماً بخطته فى الإيجاز ، وهو أقدر القادرين على البسط الممتد الفسيح ، لو أنه رأى فى الاختصار نفعاً محققا يرضى حاجة الكثيرين ، وقد تعددت طبعات هذا التفسير تعدداً ذاهب المدى فى البلاد الإسلامية ، فأدى دوره الميسر ، وإن اشتمل على أشياء تاريخية لم يقم الدليل الثابت على صحتها ، ولم يكن النص عليها مطلوباً لأحد ، كحديثه عن كتب السحر التى تنسب إلى سليمان عليه السلام دون تحقيق ، ووصفه للألواح فى سورة الأعراف بأنها من سدر الجنة أو من الزبرجد والزمرد ، وتفسيره هم يوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز بما يستبعد ، وهى أقوال تتردد فى التفاسير الطوال على بطلانها الظاهر ولا محل لرصدها فى تفسير موجز ، ولتفسير الجلالين بعد حديث طويل ليس هذا مكانه .

فى العصر الحديث

كثرت التفاسير الموجزة فى هذا العصر بحيث تستعصى على الحصر ، فللمدارس أجزاء من التفسير مستقلة ، تخدم الناشئة إيجازاً وتبويباً ، ولغير الطلاب من جمهرة القارئين تفاسير شتى نذكر منها ماقام به الأستاذ حسنين مخلوف والأستاذ عبد الجليل عيسى وابن الخطيب والأستاذ محمد فريد وجدى ، ولجنة التفسير فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكان الأستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله أسبق هؤلاء جميعاً إلى التفسير الميسر ، وقد ذكر فى المقدمة أنه فى نشأته الأولى حاول أن يقرأ القرآن قراءة فهم وتدبر ، فأعوزه أن يجد من التفاسير ما يبلغه أمنيته من أقرب طريق ، لأن المطولات لا يتسع وقته لتلاوتها مع اشتغاله بفروع أخرى من مسائل النظر العلمى ، والمختصرات قد توجهت إلى النواحى القاعدية فى العلوم ، والأستاذ رحمه الله ينشد تفسيراً واضحاً يوفى الألفاظ العربية حقها من البيان ←

دون تعرض للقواعد العلمية ، فشرع يكتب تفسيراً لنفسه ، ولم يكن بادىء ذى بدء يقصد تداوله . ولكنه بعد إتمام ما كتب رأى أن حاجة القراء ماسة إليه لأن كثيراً منهم لا يصبرون على الكتب القديمة . لأمور ذاتية ترجع إلى طريقتها . فبدأ بطبعه ، ولاقاه القراء بترحيب زائد إذ سدّ فراغاً كبيراً ، وأذكر أن دار الشعب قد طبعت منه عشرات الآلاف فى سنين متوالية طارت بين أيدى المسلمين شرقاً وغرباً ، وقد كان من منهجه أن يذكر معانى الألفاظ فى أعلى الصحيفة ، ثم يسرد المعنى الكلى للآية الكريمة عقب ذلك ، بحيث يستطيع القارىء المتواضع أن يواصل القراءة فى اطراد متصل يهدف إلى إيضاح المراد فى تسلسل صاف ، وقد اختار الأستاذ ما رآه أصح الأقوال ، دون تعرض إلى زيادات قليلة الغناء وإذا كانت الأعمال بالنيات فإن نية الأستاذ الحسنة قد أسعدته بالتوفيق والنجاح .

المنتخب فى التفسير

وكتاب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ليس عمل فرد واحد كابن صمادح الأندلسى ولا فردين كالجلالين المحلى والسيوطى ، ولكنه تأليف لجنة مختارة من أفاضل العلماء ، وهى لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، وقد رأت أن يكون التفسير بأسلوب عصرى سهل واضح العبارة . وجيز لا يخل ولا يمل بعيد عن الخلافات المذهبية والمصطلحات الفنية حتى يكون ـ كما قالت اللجنة ـ على حالة مرضية لترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية التى يرجى للمتكلمين بها أن يطلعوا على ما فى القرآن الكريم من العقائد والمبادىء فيتسنى للرسالة المحمدية أن تكون كافة للناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، واللجنة بهذا العمل تسد الطريق ـ كما قالت ـ أمام كثير من الترجمات الزائفة المغرضة المحشوة بالأباطيل التى تعمدها بعض المستشرقين .

إذن فللتفسير المنتخب رسالتان ، رسالة داخلية تؤدى الوجه الواضح الموجز للقارىء العربى .

ورسالة خارجية هى تقديم معانى الكتاب للمترجم الأمين الذى يود أن ينقل رسالة الإسلام إلى ألسنة شتى ، ولهذا الاعتبار الأخير ، جاء التفسير المنتخب معطياً للمعنى الإجمالى فحسب ، وتفسير الأستاذ محمد فريد وجدى ومَن حاذاه يشرح المفردات أولاً ثم يعطى المعانى الإجمالية ويخيل إلى أن هذا أصوب بالنظر إلى القارىء العربى ، وذلك أيسر

بالنظر إلى قارىء المعانى القرآنية المترجمة .

وفى التفسير المنتخب ميزة رائعة هى تقديم السورة القرآنية الكريمة بملخص دقيق لأغراضها الجامعة ، فيقرأ المطلع إلمامة وافية بالأغراض تصور الدائرة الخاصة بالسورة فى إيجاز ، ففى سورة « العلق » مثلاً وهى على المشهور أول سورة نزلت تجىء هذه المقدمة .

« فى هذه السورة دعوة إلى القراءة والتعليم وأن من قدر على خلق الإنسان من أصل ضعيف قادر على أن يعلمه الكتابة يضبط بها العلوم ويعلمه ما لم يعلم فهو سبحانه مفيض العلم ، وتنبه السورة إلى أن الثراء والقوة قد يدفعان الناس إلى مجاوزة حدود الله ، ولكن مصير الكل إلى الله فى النهاية وتوجه الحديث لكل من يصلح للخطاب منذرة الطغاة الصادين عن الخير مهددة لهم بأخذهم بالنواصى إلى النار ، فلا ينفعهم الأنصار ، وتختتم السورة بدعوة الممتثلين إلى مخالفة المعاندين المكذبين ، والتقرب بالطاعة لرب العالمين » ويجىء بعد ذلك شرح الآيات آية آية .

والطبعة التى أنقل عنها هى الطبعة الحادية عشرة (سبتمبر سنة ١٩٨٥) ولهذا الذيوع الممتد معناه الكبير فى زيادة التداول للكتاب وامتداده الدائم إذ يكاد يطبع كل عام !

هذا عرض موجز للتفسير الموجز الميسر ، وهو عمل له ضرورته ، وقد أعان على إيضاح الكتاب المبين وتيسيره للذكر والتدبر ومتابعة حلقاته مما يفيد .

محمد رجب البيومى

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم ٤٠٠ جنيه ٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* باقى دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

من كبار المستشرقين توماس أرنولد

يبرز فى ذهنى كلما اتجهت إلى دراسات المستشرقين الانجليز ثلاثة من كبارهم ، هم : السير توماس آرنولد ، والفريد جيوم ، وا . ج . آربرى ، ولكل منهم ميزة خاصة وإسهام بارز فى درس التراث الإسلامى وقد مات آربرى ـ فيما ذكر لى الدكتور مارتن لينجس ـ مدير المتحف البريطانى وهو الآن الدكتور سراج الدين ـ مات على دين الإسلام . وله ترجمة قرآنية وبحوث إسلامية عديدة ، وأدع ذكره الآن وآمل أن أكتب عنه بعد .

أما جيوم فقد عاش ومات ملحدا ، وكتابته عن الإسلام مسمومة بها مغالطات كثيرة متعمدة ، ويقال : إن كتابه « الإسلام » كتب بإيعاز يهودى صهيونى ردا على بحوث إسلامية لم يسترح إليها اليهود . وهناك مستشرقون انجليز كبار منهم المستشرق الاسكوتلاندى « مونتوجو مرى وات » صاحب عظمة الإسلام ، و « محمد فى مكة » ، و « محمد فى المدينة » و « الخلافة » ، ومنهم « كنيث كرانج » صاحب كتاب « نداء المئذنة » والذى اشرف على مجلة « العالم الإسلامى » نحو ثمانية أعوام (١٩٥٢ ـ ٦٠) ، ومنهم كثيرون بارزون ، وقد جمع د . آربرى تراجم لعشرة منهم ـ أو ربما أربعة عشر ـ فى كتاب غير كبير . سمى بعضهم باسم الرواد ، وبعضهم باسم الأتباع ووضع نفسه فى آخر القائمة واختار لقب الحوارى أو التلميذ .

وتوماس آرنولد من الرواد الأوائل فى كل ما عمل . وقد عاش بين سنتى ١٨٦٤ و ١٩٣٠ .

وهو قد تخرج فى جامعة كامبريدج ـ وألم بعدد من اللغات الشرقية ، وأجاد اللغة العربية والأوردية والفارسية ، ومعظم اللغات الأوروبية ـ من الفرنسية والأسبانية والألمانية والهولاندية .. وغيرها ، وقد أتعب مترجمى كتبه إذ اضطرهم إلى التجول بين هذه اللغات واللجوء إلى دارسيها .

وفى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ترجمة ضافية له كتبها « د . يوفا » ، واعتمد عليها من كتبوا عنه بعد ذلك ، فلم يزد عليها أحد شيئا إلا ما كان من درس كتبه وتحليل آرائه ، وقد ظهر تفوقه ونبوغه منذ فجر شبابه ، ولكن هذه الدراسة لها دلالتها على ما لمدارس الاستشراق من فضل على عقول أبنائها ، وليس آرنولد أول نابغة تخرج فيها ، وإنى

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

أوثره بالذكر لما له من أثر باق فى تاريخ الإسلام ، ولما اتصفت به بحوثه من دقة وعمق واعتدال وسعة اطلاع ولست بمستطيع أن أعرض الثبت الضافى من البحوث والكتب والتعليقات التى تركها مع أن حياته لم تكن طويلة .

عمل آرنولد ـ وهو فى الثانية والعشرين من عمره أستاذا للدراسات الفلسفية فى جامعة « عليكرة » بالهند فمكث بها نحو عشرة أعوام ، ثم انتقل إلى « لاهور » فمكث نحو ستة أعوام ثم عمل أمينا مساعدا فى مكتبة « ديوان الهند » فى لندن . ومن تلاميذه فى الهند ـ باكستان الآن ـ الشاعر « محمد إقبال » .

وفى سنة ١٩٠٤ تبوأ كرسى الأستاذية فى قسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى لندن ، وهو أول من تبوأ هذا الكرسى ، ثم كان عميدا لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية وظل فى هذا المنصب حتى تبوأه بعده الفريد جيوم ، وأثناء عمادته لهذه المدرسة (الكلية) زار الجامعة المصرية ، وألقى بها محاضرات فى التاريخ الإسلامى ، وتوثقت صلته بتلميذه الوفى المخلص الدكتور حسن إبراهيم الذى كان قد تلقى عنه فى انجلترا طوال خمسة أعوام واستفاد منه كثيرا ، وبصديقه ومحبه الدكتور عبد الوهاب عزام الذى كان على صلة به أثناء إقامته فى لندن ، وقد أبدى فى كل مراحل تدريسه ودراسته ميلا بالغا إلى العرب وتقديرا وحبا للدين الإسلامى ، وأثناء اقامته القصيرة فى مصر آثر أن يرتدى الملابس الأزهرية وقال : إنى حين ألبس هذا الزى أشعر أننى أستاذ ، أما حين أرتَدُّ إلى الملابس الأوروبية فأشعر أننى تلميذ . وقد لبس هذا الزى قبله كل من ماسينيون وجولد زيهر ـ ولكن هذين كانا يتلقيان دروسا فى الجامع الأزهر ، أما هو فكان أستاذا فى الجامعة المصرية ولم يكن ثم ما يدعوه إلى ارتداء ملابس الأزهريين .

وأهم آثاره الفكرية ـ ومعظم آثاره إسلامية ـ هو كتابه « الدعوة إلى الإسلام » « preaching of islam» كتبه بالانجليزية وترجم إلى الأردية والعربية ، وبعض اللغات الأوروبية ، أخرج هذا الكتاب وهو فى الهند ، وكان الباعث الأول على إخراجه هو بيان أن الإسلام انتشر بنفسه ومبادئه ، ولم يفرض نفسه على الناس بالقوة والسيف ، ولذا ذهب يعرض فى هذا الكتاب خطوات انتشار الإسلام بدءا من حياة رسول الله ﷺ ثم بذل جهدا كبيرا فى عرضه سير الإسلام فى البلاد التى لم تصلها فتوح المسلمين ، فى غرب أفريقية وجنوبها ثم فى شرقها وأواسطها ، وفى شرق آسيا وجنوبها وفى استراليا والصين إلخ ، وترك أقاليم صغيرة مثل أرمينيا ، وبعض القبائل التى كانت فى شرق روسيا ـ

←

وهى القبائل التى استأصلها ستالين نهائيا بعد الحرب الثانية ، وقد رجا العالم الكبير أن يأتى بعده من يسد هذه الفجوات ، ويمد ما فى كتابته من إيجاز فى بعض المواقف ، ولكن إلى الآن وبعد ما يقرب من ستين عاما لم يفعل أحد شيئا ، ولم يزد أحد على ما كتبه حرفا .

كتاب « الدعوة إلى الإسلام » فريد فى نوعه لم يسبقه أحد إلى منهجه وطريقته ، ولم يكتب أحد بعده مثله أو ما هو قريب منه ، وكما قال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام : لم يكتب مثله مسلم ولا غير مسلم ، ومن أجله بذل جهودا جبارة حتى أنه تعلم اللغة الهولندية خصيصا ليقرأ السجلات التى تبين انتشار الإسلام فى جزيرة جاوة وما حولها ، وأقرر بدورى أننى عندما كتبت عن « التبشير والإسلام » كان أهم ما اعتمدت عليه هذا الكتاب فى ترجمته العربية وكتاب « تاريخ الإرساليات التبشيرية » لمؤرخ التبشير الكبير « استيفن نيل » ـ فى لغته الانجليزية ، وقدرت لكل من الكاتبين دقة بحثه وشموله ، إلا أن « نيل » كان قاسيا على الإسلام بغير علم بقدر ما كان آرنولد منصفا له بعلم .

يدافع آرنولد عن الإسلام بحجج تاريخية منطقية ، وقد عناه فى المقام الأول موقف الإسلام من النصرانية وأيضا من اليهودية ـ وقد كان أول احتكاك بين المسلمين والنصارى فى عهد عمر ، وبعد انتصار المسلمين على الروم فى غزوة تبوك ، وقد « أعطى عمر أهل ايليا ، أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، لا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم .. إلخ » .

وقد اعطى خالد بن الوليد حين دخل دمشق عهداً مثل هذا فرح به البطريرك ورجال الدين النصرانى ورأوا أن العرب خير لهم من الروم فاندمجوا بهم آمنين ، وحين اضطر القائد العام للمسلمين أبو عبيدة بن الجراح أن ينسحب من دمشق وما حولها لمواجهة هجوم رومى أمر برد الجزية التى كانت جمعت ، وقال للناس أخذناها منكم للدفاع عنكم ، ولكننا الآن لا نستطيع الدفاع عنكم ، فلاحق لنا فى أموالكم .. فكانوا دهشين وقالوا : ردكم الله إلينا ، أعدتم إلينا أموالنا وهى فى أيديكم ، ولو كانت فى يد الرومان ـ أبناء ديننا ما ردوا إلينا منها شيئا .

وفى النصف الثانى من القرن الثانى عشر كتب القديس ميخائيل الأكبر يقول : إنه بعد أن خبرت الكنيسة الشرقية حكم الإسلام خمسة قرون ، وبعد أن رأت من اضطهادات هرقل كذا وكذا ، ولما أن رأى الله شرور الروم الذين نهبوا الكنائس وسلبوا الأديرة ، وأنزلوا بنا العذاب فى غير رحمة .. أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم .. وليس كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم ، وإذ نجد

البقية ص ٩٣



للأستاذ
محمد حافظ سليمان

« بناء الفرد أولاً » .

لقد اهتم الإسلام بالإنسان منذ أشرقت الأرض بنور الوحى المنزل على النبى الأمى المرسل ، فقد منح الفرد ـ ذكراً كان أو أنثى ـ عنايته فصحح له الاعتقاد ووضح المنهاج وحارب الوثنية والإلحاد ، وبهذه الرعاية البالغة عرف العبد ربه وحاسب نفسه وأضحى يمشى سويا على صراط مستقيم .

والله يقول : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾« سورة الزخرف ـ ٤٣ ـ » .

والله عز وجل يقول ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكَ لَآإِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ١٠٦ » .

ولقد جاء القرآن كاملاً لا يقبل النقص ولا الزيادة فلا تبديل لكلمات الله ، لكيلا يتبدل الناس : وهو منهاج الحياة المتكامل للأفراد والجماعات ومن أعرض عنه فقد ضل سواء السبيل ، لأن القرآن فيه حياة ونور للقلب وللعقل وللروح ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّه لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾ والله يقول : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ١٢٢ » .

والله ـ عز وجل ـ يريد من المسلم أن يكون إنسانا بجسده ، ملكاً بروحه وسريرته

←

وسيرته ، وكلفه بأن يقرأ آيات الله فى الأكوان وأن يتلو آيات الله في القرآن ليستدل بهما على أن للكون صانعا واحداً يقول للشيء كن فيكون ليقتنع بأن الإسلام يقول للعقل اسبح كما شئت ولكن احذر الغرق لأن الإنسان إذا تبصر بعقله وتدبر بفكره فى أطوار حياته وفى أمور نفسه وتذكر أصل خلقه آمن بربه ولكنه قد ينسى فيضل أو يجحد فيزل ، لذلك أرشده ربه إلى الانتفاع بعقله واحترام فطرته السليمة التى فطره الله عليها . والله يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ١ »

والله يذكر عبده بشيء من نعم الله عليه فيقول : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ « سورة عبس ـ ٢٤ ـ ٣١ » .

وبهذا التوجيه الإلهى يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه عن طريق عقله وقد جاءت الرسالات الإلهية تساند العقل وترشده إلى أن عقيدة الإسلام ليست معقدة ولكنها واضحة تدعو العقل إلى توحيد الله الذى يقول للإنسان ﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّاشَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ « سورة الانفطار ـ ٦ ـ ٨ »

والإسلام يريد من العاقل المسلم أن يتفقه فى دينه ، لأن الفقه فى الدين فرض على كل مسلم وذلك لأن التفقه فى الدين يصحح العبادات والمعتقدات ، فما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه .

ذلك لأن علوم الدين هى علوم التربية والتكوين لمن شاء أن يستقيم وقد بين الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ فضل العلم والمعارف الإنسانية فقال رضى الله عنه :

من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وذلك لأن كل علم لا يوطده علم فهو مذلة ، وكل علم لا يؤيده عقل فهو مضلة ، وإن المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، فليس فى كثرته فضيلة ولو كانت كثرته فضيلة لخص الله به ، من اصطفاه لرسالته واختاره لنبوته والله يقول ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وبالعقل والعلم والأخلاق يكتمل بناء شخصية الإنسان ، وأما التوحيد فإن كل آية فى القرآن متضمنة التوحيد شاهدة به ، داعية إليه ففى القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وذاك التوحيد العلمى الخيرى ، ومن التوحيد والسلوك المستقيم تكون قيمة المرء الأخلاقية ، فضلاً عن صلته بربه القوى العلى والتى تتأكد وتتجدد بكلمة « الله أكبر » أما القوة فهى تكمن فى قول المؤمن لاإله إلا الله محمد رسول الله ، والمؤمن السوى هو الذى يراقب ربه سراً وعلانية فى كل قول أو فعل والمسلم القوى هو الذى يأمر بالمعروف وينهى

عن المنكر ، يأمر نفسه وغيره بذلك وعن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يا أبا ذر « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق . » (رواه ابن حبان) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كرم المؤمن دينه ، ومروءته عقله وحسبه خلقه » (رواه ابن حبان والبيهقى والحاكم) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مامن شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذىء » (رواه الترمذى) .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سألت النبى ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » « رواه مسلم » إن الإيمان بالله عصمة من النقائص والخبائث والدنايا والخطايا والله يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ « سورة هود ـ ١١٤ »

وينظر الإسلام إلى الفرد على أنه لبنة فى بناء الأسرة ، والأسرة جزء من الأمة : وعلاقة الأسرة بالأمة هى علاقة الجزء بالكل ، لأن الأمة هى مجموع الأسر فيها ، فهى المجتمع الصغير الذى يبنى المجتمع الكبير .

ثانيا : « بناء الأسرة فى المجتمع الإسلامى »

يقوم بناء الأسرة فى المجتمع الإسلامى على القواعد السليمة ليؤسس البنيان على تقوى من الله ورضوان ولتحيا حياة طيبة آمنة مستقرة مطمئنة فى مجتمع إنسانى فاضل كريم .

ويبدأ بناء الأسرة بالزواج الذى شرعه الله لتقوية الروابط بين الزوجين ولابد فى الزواج الشرعى من الإيجاب والقبول والرضا فى قيام هذا العقد الأبدى الدائم ، فلا إكراه فى الزواج ، أى لا تزوج المرأة بغير رضاها ، وقد أباح الإسلام الرؤية ليعرف الحقيقة فلا خداع ولاغش فى الزواج « فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (من حديث رواه المغيرة بن شعبة » ولا يتم شرعاً العقد فى السرّ ، منعا للريب والشبهات ولابد من الإعلان والشهود ، فلا غموض فيه ، ولابد كذلك من نية التأبيد لأن نكاح المتعة والمؤقت باطل حيث لا استقرار فيه ، والمهر يؤديه الزوج للزوجة بحسب ما يتفق عليه بينهما ، ولكن الإسلام ييسره ولا يبين ذلك إلا رضاهما لأن أمامهما مسئولية البيت وأعباء الأسرة ، أما العقود « العرفية » التى وفدت إلينا من غير البلاد الإسلامية وقلدها أقوام من المعجبين بهم والمتخذيهم أولياء فهى نزعات يأباها الإسلام ويمقتها الذوق السليم لما فيها من عبث بالحقوق الزوجية والمواريث ، فى زمن أصبحت فيه الوثيقة ضرورية للنسب وللميراث وللنفقة الخ والله يقول ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ « سورة النحل ٧٢ » .

والزواج سنة المرسلين والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾ « سورة الرعد ـ ٣٨ » وعباد الرحمن يدعون ربهم راجين منه أن يهب لهم قرة أعين من أزواجهم وذرياتهم ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ « سورة الفرقان ـ ٧٤ » .

والإسلام يكره للمسلم أن يتسرع بزواج امرأة يخدعه بريقها الظاهرى لكيلا يقع فى شرك خضراء الدمن وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، ولا يخفى أن العرق دساس ، فليس الزواج سلعة أو صفقة تجارية ، ومن المآسى ما يحدث من الزواج على غير علم من أسرة الفتاة وأهلها ، ومن الأمور المحزنة ما يعرفه الناس عن الزواج بالمنحرفين لثرائهم أمثال تجار المخدرات والسكارى والشاردين من الهدى العصاة وغيرهم ، وقد حذر الرسول من هذا وتوعد بسوء العاقبة وبخيبة الأمل ، من يتزوج امرأة غير ذات دين ومن الناس من لايبالى بحسن اختيار الأزواج والزوجات فيجرون وراء المال ، وفى هؤلاء وأمثالهم يقول رسول الله ﷺ : « من تزوج إمرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » الطبرانى . والإسلام لا يمنع المؤمنة الصالحة التى يرغب الزواج بها أن يكون لها مال وجمال وجاه بجوار الأخلاق الفاضلة والسلوك المستقيم وحسن البيئة وطيب العنصر وما إلى ذلك .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (رواه البخارى ومسلم) وتربت يداك قول ينفر الذى يتهافتون على المال وحده عند الزواج بفتى أو بفتاة . وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » . (رواه ابن ماجة) .

وعلى الزوج المهر والنفقة . والزوج رئيس البيت ومدبر شئونه . ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . . ﴾ ولكن المسئولية فى الإسلام لم يفلت منها مكلف رشيد ذكرا كان أو أنثى .

عن ابن عمر رضى الله عنه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (رواه البخارى ومسلم)

ولكن الإسلام يفرض على الزوج حسن المعاشرة وطيب المعاملة والرسول الكريم ﷺ يقول فى هذا المعنى فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « أكمل

المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » (رواه الترمذى) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » (رواه الترمذى والحاكم) وعن عائشة أيضا رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » (رواه ابن حبان فى صحيحه) .

الإنفاق على الأسرة واجب

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهى صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى صدقة » (رواه الطبرانى) .

وعن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته . » (رواه ابن حبان فى صحيحه) .

تربية الأولاد ضرورة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » (رواه ابن ماجه) .

الأولاد زينة الحياة الدنيا : ولكن نحن اليوم نرى شكوى مكررة من الشباب ومن المسئول ؟

إن التربية الإسلامية ضرورة اجتماعية وفريضة دينية ، وذلك لأن البيت هو المدرسة الأولى المؤثرة بحنوها وعطفها ورعايتها وعنايتها وتوجيهها وتربيتها ورحم الله القائل :

« وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه »

لهذا ألزم الإسلام الآباء بتقديم القدوة الحسنة للأبناء وإلا فلنستمع إلى قول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُواْ مَالاَ تَفْعَلُونَ ﴾ . (سورة الصف : ٢ ـ ٣)

إن واجب الآباء أن يحسنوا تربية الأبناء بالسلوك الطيب الذى يقلدونه والخلق الحسن الذى يتبعونه ويجدونه فيهم ، وبغير الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة وطاعة الله ورسوله ـ بغير ذلك يحدث التفكك الأسرى . بعصيان الرحمن وطاعة الشيطان ، (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ يشكو عقوق ابنه ، فوجه عمر رضى الله عنه إلى الولد لوما قاسيا عنيفا فقال الغلام : مهلا ياأمير المؤمنين : أليس للولد حق على أبيه ؟ فقال عمر نعم .. أن ينتقى أمك ، وأن يحسن اسمك ويعلمك الكتاب : (القرآن الكريم) ، قال الغلام : إن أبى لم يفعل ذلك : فأنا أمى كانت لمجوسى وقد سمانى جعلا (جعرانا) ولم يعلمنى شيئاً من القرآن ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : لقد أسأت إلى ابنك قبل أن يسىء إليك) لأن الإسلام لا يعرف إنحرافاً للشباب ولا للشيب ولا يعرف أفلاماً محمومة ، وأقلاماً مسمومة تشارك الوالدين فى التوجيه والتكوين على الرغم من التقدم العلمى الذى عجز عن صنع الإنسان السوى ، الذى من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب التى جاءت بالهداية والرشد ،

وحاربت الفساد في جميع صوره وأشكاله .. وحذرت من أخلاء السوء والله يقول : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (سورة الزخرف ـ ٦٧) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . (رواه ابن ماجة) . عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن » (رواه الترمذى) . وعلى الوالد أن يحسن إلى أولاده فلا يتركهم لرفقاء السوء لأن آثارهم ضارة فهم يجرون على الشباب الهموم والسموم كتعاطى المخدرات مثلاً وهى التي يصدرها أعداء الأمة إلى ديار الإسلام للفتك بالأجسام والعقول والأموال وليعلم أبناؤنا أن الصديق الوفى التقى الأبى يأخذ بيد صديقه إلى الفلاح والنجاح والسعادة ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل ، وعدوى السيئات سريعة وخطيرة فلنحذرها ، وأما الأم فلن تكون سعيدة إلا بفضائل أبنائها إذا كانت تبغى السعادة وما عليها إلا أن تغرس فى نفوس الناشئة المثل العليا لأن الأم مدرسة تربى وتعلم وتوجه وتراقب .

الترابط بين الأسرة والأمة

« شخصية الأمة المحمدية »

الأمة المحمدية أمة واحدة كما وصفها القرآن الكريم فقال ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء ـ ٩٢)

ولها شخصية قوية لا شرقية ولا غربية ..

والأمة الإسلامية هى مجموعة الأسر ، والأسرة إذا صلحت صلحت الأمة والفرد هو البداية ، والأسرة هى الوسط ، ثم الأمة ، وهى المجتمع الذى تكونه الأسر والإسلام يجمع لبنات بناء أمة الإسلام من عناصر المؤمنين والمؤمنات ، لأن المؤمنين إخوة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات ـ ١٠) .

وبالثقة المتبادلة ـ بين الأفراد فى الأسرة المتماسكة المسلمة وبالثقة بين الأسرة والأمة التى يريدها الإسلام ـ بهذه الثقة يبنى المجتمع المتعاون ، لأن الثقة تجعل الأجزاء متماسكة والتماسك يجعل الأمة مترابطة متعاونة فأما التفرق فيجعل الأمة الواحدة متنافرة متنازعة متباغضة والله يحذر المؤمنين من التنازع فيقول : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ ويقول جل جلاله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران ـ ١٠٢ ـ ١٠٤) وهذه النصائح الإلهية تحذر من التنازع والتمزق وتأمر بالوحدة للنهوض بالأمة والتقدم والرقى .

ثم ما هو مقياس الرقي والتقدم ؟

قالوا إنه « الأخلاق » لأن الأمة أو الأسرة التى لا خلاق لها جثة هامدة راكدة تتحرك حولها الجراثيم المؤذية الضارة ، ولكن الأمة الحية القوية يتألق نجمها ويسطع نورها ، وتقوى مناعتها ضد الهوام فلا تؤتى من ضعف خلقى ، لأن الإيمان نور يضيء جوانب النفس ويبعث فيها القوة والمنعة والعزة والعفة ، وقد يقال إن الأخلاق قد تتغير ، ولكل زمن أخلاق ينشدها وواجبات يفرضها ! وأقول إن أخلاق الأمة المحمدية لا ينبغى لها أن تتغير لأنها جاءت من عند الله تعالى فلا تبديل لكلمات الله ، والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الحسنة المثالية كان خلقه القرآن قد أدبه به ربه فأحسن تأديبه وأدب به هو أصحابه فأحسن تأديبهم وبدون خلق الإسلام يحدث التغيير إلى تدهور فى كل الشئون ، والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (سورة طه ـ ١٢٤ ـ ١٢٧) ونحن الأمة التى أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس وقد أمر الله المؤمنين باتباع سيد المرسلين فقال ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدَ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وحرم عليهم مخالفته والله يقول فى كتابه الكريم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ . (سورة الأنفال ـ ٢٤ ـ)

فليس للأفراد ولا للأسر ولا للأمة أن يفعلوا ما يريدون حسب ماتهوى الأنفس بدون قيود ولا حدود ، ولكن الله أوجب عليهم أن يهتدوا بهديه فقال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة ـ ٣٨ ـ) . وقال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ سورة طه ـ ١٢٣ ـ والتربية الدينية تغرس فى النفوس القوة بعقيدة راسخة وبإيمان سليم وخلق قويم ، وكان الواجب أن تنال العناية التامة فى جميع المجالات والاتجاهات ، لأن الجو قد أضحى مغموراً بتيارات من الأمور المتناقضة والمذاهب الوافدة التى تنشر الرذيلة فى أشكال وألوان كثيرة والصخرة التى تتحطم عندها أمواج الشر التى تتدافع هى العقيدة الإسلامية الصامدة الراسخة . ولن يغنى شيء عن التربية الدينية مهما تفلسف المتفلسفون ، وقلد المقلدون ، لأن الله الذى خلق النفوس شرع لها ما يصلحها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ وبتربية النفوس يتكون مجتمع الفضائل والكمال الإنسانى فلا ضعف ولا فساد ولا انحلال ولا استغلال ، ولا نفاق ولا رياء ولا شر ولا شقاء ، ومن شاء أن يعرف كيف تكوِّن التربية الإسلامية رجالاً وتصنع أبطالاً فليقرأ سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله فيهم ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلا ﴾ (سورة الأحزاب ـ ٢٣ ـ)

سيادة المهندس وزير الصناعة

سدد الله خطاك

كتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى السيد المهندس وزير الصناعة بشأن ما انتشر من كلمات تحملها صدور الشبان والفتيات تدرجت إلى فحش سافر ، فتلقى سيادته كتاب الإمام وأردفه بالعمل الواجب . نسأل الله ـ سبحانه ـ لسيادته كل التوفيق .

وكتب إلى فضيلة الإمام بالرسالة التالية :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

شيخ الأزهر

تحية طيبة وبعد :

فقداطلعت ـ بكل الاهتمام ـ على تأشيرة فضيلتكم على كتاب مجمع البحوث الإسلامية المؤرخ في ١١ من ذى القعدة ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٧/٧/٧ م بشأن انتشار ظاهرة كتابة كلمات وألفاظ غير لائقة على قمصان و « فانلات » الشباب ، واهتمام سيادتكم بضرورة حسم هذا التجاوز حفاظاً على القيم والأخلاق الحميدة .

وأتشرف بإفادتكم أنه على الفور تم اتخاذ كافة الإجراءات وتكليف أجهزة الرقابة الصناعية لتقصي حقيقة هذا الموضوع ، حيث تبين أن شركات القطاع العام لا تقوم بالطبع على القمصان أو « الفانلات » ، واتخاذ كافة الإجراءات لعدم تكراره ، والعمل على سحب أية كميات من السوق المحلية .

ومع خالص شكري وتقديري لفضيلتكم

أرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام

والله المســـــتعان

١٩٨٧/٧/٢٠

وزير الصناعة

توقيع

(مهندس محمد محمود عبد الوهاب)

خطـــورة

الصراع الدينى

فى أفـريقيـا

للدكتور عبد الله نجيب محمد

يدور الآن صراع قاس ومرير فى القارة الأفريقية بين مختلف الأديان وليست النصرانية ولا الإسلام بالأديان الجديدة على أفريقيا ، ولكن الموقف الذى يواجهانه اليوم جديد فى عمقه وعرضه ، فهما يعرضان على المجتمعات الأفريقية بنشاط جديد ، وتدور حولهما عواصف من النقد والتحليل بأقلام مختلفة الاتجاهات والثقافات ، ويحاول الأفريقيون اليوم أن يحكموا من جديد ـ وهم فى حالة من التوتر والقلق ـ على العقيدتين اللتين كان لهما أكبر الأثر فى حياة الإنسان الأفريقى ، ويحاولون أيضاً صياغة الأسس التى يجب أن تقوم عليها حضارة المجتمعات الأفريقية الحديثة وثقافتها النامية .

ونتيجة هذا الصراع هامة وخطيرة ، لأنها أبلغ فى الدلالة على النتائج النهائية التى يمكن أن يسفر عنها هذا الصراع المحلى فى ظاهره ، العالمى فى حقيقته ، الظاهر حينا والمستتر أحيانا حيث يواجه الإسلام والثقافة الإسلامية الثقافة الغربية بشقيها الرأسمالى والشيوعى ، وقد أعد الغرب من أجل النصر فى هذا الصراع عدته ، وخطط له ، وحدد له الأهداف والغايات ، وجهز الوسائل الكفيلة بإحراز النصر ، والتى من بينها : وقف زحف الإسلام بالفصل بشتى الوسائل بين المسلمين وغيرهم ، والقضاء على الثقافة الإسلامية بالقضاء على نفوذ اللغة العربية واستبدالها بلغات محلية أو أوروبية .

يحدث ذلك أمام أعيننا فى كل بقعة من بقاع القارة ، وأوضح الأمثلة ما نراه فى

←

جنوب السودان ، والمحاولات المستميتة التى تقوم بها منظمة « الإنيانيا » المتطرفة ، والتى يؤيدها الغرب وأثيوبيا (الحبشة) وتهدف إلى فصل الجنوب عن الشمال ، ونراه أيضا فى أثيوبيا ذاتها ، التى حرمت تدريس العربية فى « اريتريا » والمناطق الأخرى ذات الكثافة الإسلامية الخاضعة لها ، وتفرض عليهم تعلُّم « الأمهرية » وحدها دون العربية ودون لغاتهم الوطنية ، ونراه أيضا فى شرق القارة فى « كينيا » ، و « تنزانيا » ، و « رواندا » ، و « بوروندى » وفى غربها ووسطها : فى « نيجيريا والسنغال والكونغو وغانا والكاميرون » وغيرها ، وقد صنع الغرب حزاما من الإرساليات التبشيرية (رغم اختلاف مذاهبها) يمتد من شرق القارة إلى غربها ، مارا بجنوب السودان ، والغرض من هذا الحزام مقابلته بالحزام الإسلامى الشمالى الذى ينطلق منه دعاة المسلمين إلى الوسط والجنوب ، لمنع تسربهم إلى الجنوب من هذا الخط .

والإسلام فى هذا الصراع ، لا يقف جامدا مكتوف الأيدى ، بل إن له ميراثا ضخما يمتد إلى ثلاثة عشر قرنا أو تزيد من الاتصال والإندماج والتأثير فى الحياة والثقافة الأفريقية ، وهو اليوم يقوم بدور جديد فى أفريقيا ، حيث ينطلق من ذلك النطاق العريض الممتد من « داكار » وجمهوريات « السنغال » ، و « مالى » ، و « غينيا » إلى المناطق الجنوبية فى كل أفريقيا الغربية ، وخصوصا « نيجيريا » ومخترقا جمهوريات « تشاد » ، و « الكونغو » إلى « كينيا » ، و « أثيوبيا » ، و « تنزانيا » ، و « موزمبيق » ، وسواحل القارة بطولها على المحيط الهندى إلى آخر نقطة فى جنوب القارة فى مدينة « دربان » الجميلة و « كيب تاون » .

من هذا الحزام العريض ينطلق الدعاة المسلمون من التجار والمعلمين ، بل والناس العاديين ، منادين بأن الإسلام هو دين العالمين ، دين الوحدة والتوحيد ، دين الأخوة الشاملة المفتوحة لجميع الأجناس والشعوب على اختلاف طبائعها وألوانها ، دين العدالة والمساواة أمام الله والقانون ، ولقد احتفظ المسلمون دائما بحقيقة الإسلام الحية فى التوحيد ، وأصروا فى كل البقاع على التعلق به فى حياتهم وشرائعهم ، مقاومين بذلك كل الإغراءات ونفوذ الإرساليات التبشيرية ، وكل دعاوى الغرب العلمانية أو الشيوعية ، ولذلك نرى أمرا عجبا ، وهو التجدد المستمر لاعجاب الأفريقيين بالإسلام وسلوك المسلمين برغم ذلك يقول كثير من المثقفين الأفريقيين : إننا سوف نحكم ـ من جديد ـ على الإسلام على أساس قدرته على تطوير نفسه لمقابلة الاحتياجات العصرية وفى المساعدة فى تطوير الشخصية الأفريقية ، وهم أشد ارتيابا فى النصرانية لارتباطها الطويل والدائم بالاستعمار والعنصرية .

يتواجه الدينان على أرض القارة : النصرانية مسلحة بإمكانات هائلة ، والإسلام بقوته الذاتية وقليل من دعاته المخلصين ، ويتوقع الكثيرون أن يحظى الإسلام بمكاسب ضخمة فى السنوات القليلة القادمة ، ويعلل بعضهم ذلك بأسباب عديدة ، من بينها أن

الأفريقيين يشعرون ـ عند الاتصال بدعاة المسلمين ـ بإنسانيتهم وحرارة عواطفهم ، وصدق إخوتهم ومشاعرهم ، وذلك على النقيض من المبشرين بالنصرانية الذين يتعالون على الناس ، وينظرون إلى الأفريقيين وكأنهم من عنصر أقل منهم ، ويعتقدون أنهم يمثلون مدنية وحضارة راقية يجب أن يحطموا بها عقائد الأفريقيين وتقاليدهم دفعة واحدة .

أشار فلاح ثرى من قبيلة « الكيكويو » إلى قمة تل من التلال السوداء فى « كينيا » قائلاً لأحد المبشرين : « هل ترى الإرسالية التى هناك ؟ إنهم يديرون ملجأ للأيتام ، ومدرسة للتجارة ومستشفى ، وكل ذلك لصالحنا ، ولكن هل تعلم أننى لم أر قط أى قسيس أبيض منهم فى أى اجتماع أو قداس بقريتنا ؟ إذا كانت هذه هى النصرانية فإننا نستطيع الاستغناء عنها » .

ومما قاله أيضا أحد كبار القسس من مدينة « بانتون » فى جنوب أفريقيا ، فى اجتماع سرى فى « جوهانسبرج : « يزداد الأمر صعوبة يوما بعد يوم فى أن أقنع الناس بالتزام عقيدتهم النصرانية ، إنهم يريدون أن يعرفوا حتى متى يمكن أن يظلوا مسيحيين فى حين تعاملهم الدولة وكأنهم ليسوا بشرا ، إن سلالة المستوطنين البيض (الأفريقانيين) يرون أنفسهم ـ كتقليد توارثوه ـ كأنهم يعيدون تمثيل الدور الوارد فى الإنجيل عن شعب الله المختار وأهل الميعاد ، حيث فرض الرب ـ كما يدّعون ـ على الرجل الأسود أن يصقل الخشب ويجلب المياه خدمة للرجل الأبيض ، بل إنهم يقولون : إن التفرقة العنصرية حق لهم طبقا للكتاب المقدس ، ويزعمون أنه « لو كان الرب قد أراد المساواة بين الأجناس لقال ذلك فى الإنجيل » .

من هذا ندرك أن التفرقة العنصرية الوحشية باسم النصرانية هى أكثر أجنحة النصارى كشفا وقابلية للانثلام والسخرية ، حتى أصبحت رمزا عليها ، ولهذا بدأت بين النصارى الأفريقيين حركة « أفرقة » للدين النصرانى ، فتعددت الكنائس الانفصالية حتى بلغت خمسة آلاف كنيسة ، وعملت فى معظمها على إعادة تفسير الإنجيل ، وعملت أيضاً على زيادة ارتباطها بالتقاليد الأفريقية القديمة من رقص وطبول وطقوس مما أصبح الأفريقيون ينظرون إليه كتعبيرات تربوية عن الروح الأفريقية .

والطرف الثالث فى هذا الصراع ، هو تلك الحركات الدينية التى تحاول الرجوع تماما إلى ما يسمى « الدين الطبيعى الأفريقى » وهناك الكثير والعديد من المفكرين يتجهون هذا الاتجاه ، ويرون إنها الدين الوحيد المناسب للروح الأفريقية ، المتغلغل فى تربتها .

يلوح من كل هذا أن كثيرا من الأفريقيين مصرون على أن يتجهوا فى دينهم اتجاها خاصا بهم ، وتجتار أفريقيا الآن ثورة روحية تغاير بوضوح الأثر القديم ، وتعيش فى قلق بالغ بحثا عن ذاتها وشخصيتها ، وبرغم انسحاب الآلهة والأرواح القديمة والسحر إلى حد كبير من حياتهم ، إلا أنهم لازالوا فى حيرة وتردد ، وهم فى بحثهم عن ذاتيتهم يتابعون الاتجاهات الدينية المتسمة بالطابع الأفريقى

الخالص ، ويتساءل كثير من الصفوة الأفريقية : ما الأساس الدينى والأخلاقى الذى يجب بناء المجتمعات الأفريقية عليه ؟

وبعضهم يتساءل : هل الشيوعية بديل روحى عن الارتباطات الدينية القديمة ؟

وفى الإجابة عن هذه الأسئلة ، يجمع المثقفون الأفريقيون على أن الشيوعية ليست لها جاذبية روحية لدى الأفريقيين وقد رفض العديد من مفكريهم مرارا وبشدة الشيوعية كطريقة للحياة الأفريقية ، وسبب ذلك كما - يوضحون - أن جوهر الأساس الاجتماعى فى أفريقيا هو التضامن العائلى لا النزاع الطبقى ، والإيمان بكائن أعظم هو على حد تعبيرهم « إله المسلمين » أو « رب النصارى » أو « الرب الشامل الكامل » .

إن أهم الظواهر قاطبة فى مستقبل هذا الصراع هو شعور الصفوة الأفريقية بقيم الحضارة الأفريقية الأصلية ، وأن ما بدا كحماس للبشارة النصرانية وأسلوب الحياة الغربية قد تحول الآن إلى معاداة للغربية .

أما الإسلام فهو يحاول أن يشق طريقه بقوة واقتدار وحيوية مع سماحة ويسر وليونة وسط هذا القلق والحيرة ، لا يقف الإسلام على رأس الأفريقيين صارخا بأن عليهم أن يختاروا وبسرعة ، ولكنه يقف هادئا هاديا متأنيا ، يستقبل الحيارى فيضمهم إلى رحابه المتسعة ، ويشملهم بسكينته الحانية ويمد لهم يد المعونة فى سماحة ويسر جديرة بدين الله - دين العالمين .

د . عبد الله نجيب محمد
جامعة القاهرة

سياسى موفق وداعية ناجح

"السير أحمدو بللو"

رئيس وزراء شمال نيجيريا الأسبق

بقلم فضيلة الأستاذ
الشيخ عبد الحكم عبد القوى حسن

كان الحاج احمدو بللو غيورا على الإسلام والمسلمين فى نيجيريا وفى خارج نيجيريا على سواء . وقد منحه الله مقدرة فائقة على الجهاد فى سبيله والصبر على مواصلة الدعوة الإسلامية فكان رحمه الله مثلا أعلى للمسلمين فى نيجيريا وغرب افريقيا فقد كان من الدعاة الذين لا يرجون إلا رحمة الله ورضاه . ورغم مشاغله السياسية بصفته رئيسا لوزراء شمال نيجيريا كان يدعو للإسلام بجد واجتهاد ونفس تتمنى لكل الناس ان يكونوا مسلمين وقد اسلم على يديه عدد كبير . وقبل استشهاده بشهور قلائل وبفضل جده واجتهاده دخل دين الله مايقرب من مائتى الف من الوثنيين وغيرهم فى سنة واحدة وكساهم الحاج احمدو بللو وزودهم بنسخ من القرآن الكريم واحضر لهم المعلمين ليعلموهم أمور دينهم .

كانت رغبة الحاج أحمدو بللو أن يوثق الدعوة الإسلامية ويرفع مستواها ويوحد كلمة المسلمين وكان يرى أن الجامعة العربية يجب أن تأخذ طريقا أشمل من ذلك فتكون جامعة الدول الإسلامية لتشمل الدول الإسلامية والعربية فى وقت واحد ، لأنه كان لا يعترف بالحدود التى تفصل الدول الإسلامية عن بعضها ويعتبر نفسه مواطنا فى كل بلد إسلامى . ولا عجب فى ذلك فهو سليل المجاهد الإسلامى الكبير الشيخ عثمان بن فوديو الملقب بأمير المؤمنين والذى قام بنشر الإسلام فى معظم أنحاء نيجيريا ولا زال هذا

اللقب موجوداً فى (سوكوتو) يتوارثه أحفاده من حكام ولاية (سوكوتو) فى شمال نيجيريا .

كان الحاج أحمدو بللو ودوداً شفوقاً على كل عربى وكل مسلم ، هذا كان شعوره وهذه كانت روحه الطيبة . وقد عرفت عنه ذلك عن قرب فقد كان لى شرف العمل بالتدريس ونشر الثقافة العربية فى شمال نيجيريا بعد الاستقلال مباشرة وكنت وزملائى نلقى كل رعاية واحترام من كل النيجيريين على اختلاف طبقاتهم ، وقد مكثنا هناك مدة طويلة أدينا فيها واجبنا وقمنا به خير قيام فقد كنا نشعر بالمسئولية نحو هذا الشعب المسلم فى شمال نيجيريا ، وكنا نشعر بالحب المتبادل بيننا وبين الطلاب الذين نعلمهم وبيننا وبين المواطنين وهم متدينون جداً ويحافظون على الصلاة والصوم ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تجد فيهم من يتهاون فى صلاته أو صيامه .

كان كل شىء على مايرام إلى يوم ٢٤ من رمضان ١٣٨٥هـ الموافق ١٥ من يناير ١٩٦٦م وحدثت الفاجعة الكبرى التى اهتز لها كيان العالم الإسلامى فى كل بقاع الأرض واستشهد الحاج أحمدو بللو على يد ضابط صغير فى الجيش النيجيرى من الإقليم الشرقى يدعى (شوكوما) وثارت القلاقل وبدأت المشاكل بمقتل الشهيد البطل السير أحمدو بللو وكان قتله صدمة مروعة للعالم العربى والعالم الإسلامى وقد نعته مجلة الأزهر وجميع الصحف الإسلامية عوض الله عنه الإسلام خيراً .

مولده ونشأته

ولد الحاج أحمدو بللو فى مدينة (رباح - Raba وتبعد عشرين ميلاً (٣٢ كيلو مترا) أعلى نهر النيجر على ضفته الشمالية وذلك فى عام ١٩٠٩ وكان أبوه وقتها حاكم مدينة (رباح) ، وكان غنياً يملك مزارع كبيرة وأحد الثمانية والأربعين الذين كانوا يحكمون مقاطعة (سوكوتو) .

ذهب الحاج أحمدو بللو إلى المدرسة فى مدينة (سوكوتو) ودرس خمس سنوات وكان ترتيبه الأول فى نهايتها .

والتحق بكلية المعلمين فى (كاتسينا) ١٩٢٦م Katsina Teachers College وهى أرقى المعاهد فى شمال نيجيريا ، وكانت متخصصة فى تدريب المدرسين ولازالت كذلك ، وكان معظم أساتذتها أوربيين والدراسة فيها باللغة الانجليزية حتى الآن ولكن حكومة شمال نيجيريا فرضت تعليم الدراسات الإسلامية بعد الاستقلال وذلك بفضل جهود السير أحمدو بللو وفرضت الحكومة ذلك أيضاً فى المدارس الثانوية وكليات الحكومة حتى أصبح يوجد مدرس أو أكثر بكل مدرسة ثانوية أو كلية معلمين أو كلية حكومية يدرسون للطلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى تلك المعاهد .

ولما أتم الحاج أحمدو بللو الدراسة فى كلية تدريب المعلمين (بكاتسينا) عاد إلى (سوكوتو) وقد عين مدرساً للغة الانجليزية والهندسة فى المدرسة التى تعلم فيها أولاً .

وفى عام ١٩٣٤م عينه السلطان رئيساً للمركز فى مدينة (رباح) ـ مسقط رأسه ـ الذى خلا بوفاة ابن عمه ، فكان أصغر رئيس لأحد المراكز الثمانية والأربعين التى تتبع مقاطعة سوكوتو . وقد عمل بجد واجتهاد فى مدينة رباح لرفع مستواها فشق الطرق وبنى المدارس لتعليم القراءة والكتابة ، وكان يتولى بنفسه التدريس لعدم وجود المدرسين فى هذا الوقت مما جعل كل المواطنين هناك يحبونه ويثقون به .

وفى عام ١٩٣٨م ترك رباح Raba إلى مدينة جوسو Gusau فقد عينه السلطان أبو بكر فى وظيفة جديدة هناك وكلفه بالإشراف على أربعة عشر مركزاً تمتد أراضيها على طول الحدود الشرقية . وقد أعلنت الحرب العالمية الثانية بعد تعيينه بسنة واحدة وعين ضابطا للحرب فى (سوكوتو) .

وفى عام ١٩٤٨ سافر إلى لندن لدراسة نظم الحكم المحلى وعقب عودته رشح نفسه لعضوية المجلس الشعبى حين مات وزير سوكوتو فنجح وأصبح العضو الثانى الذى يمثل سوكوتو .

وفى عام ١٩٤٩ سافر إلى (لاجوس) عاصمة نيجيريا الاتحادية وتعرف على السياسيين البارزين ومنهم الدكتور نامدى أزيكوى .

واجتمع مع زعماء شمال نيجيريا فى مدينة (كادونا) للمشاورات لتعديل الدستور النيجيرى وكان الحاج أحمدو بللو من المندوبين المختارين للاشتراك فى تعديل الدستور ، وكان يمثل دائما الشمال فى مجلس النواب الاتحادى أو أى مجلس آخر .

وفى عام ١٩٥٣ تقلد وزارتى تطوير المجتمع والحكومة المحلية وفى أول أكتوبر عام ١٩٥٤ أصبح رئيساً لوزراء الإقليم الشمالى واستمر فى هذا المنصب حتى مات شهيداً فى ٢٤ من رمضان ١٣٨٥هـ الموافق ١٥ من يناير ١٩٦٦م .

مؤلفاته : ألف كتاب حياتى باللغة الانجليزية .

من ألقابه : (الحاج) وهو لقب شائع محبب إلى نفوس النيجيريين عموماً و(السِّرْدَوْنا) : وهو لقب خاص بسكوتو ومعناه : قائد الحرس أو حامل السيف الشجاع وفارس الامبراطورية البريطانية Knite of British Empire وهو لقب تمنحه بريطانيا للمشاهير وزعماء البلاد وكان أحد الأوائل الذين منحوا هذا اللقب واختصاره K.B.E. ولقب Sirسير وهو يعادل لقب « بك » سابقاً فى مصر وتمنحه بريطانيا كذلك للزعماء الوطنيين المشهورين فى بلادهم .

الحاج أحمدو بللو واسرائيل

كان الحاج أحمدو بللو قد زار البلاد

←-

العربية واستطاع أن يفهم مشكلة فلسطين مع الصهيونية العالمية ، وعاد إلى وطنه ليقف ضد إسرائيل ويرفع لواء العداء لمحاربتها فى نيجيريا وفى كل أفريقيا فكان ـ رحمه الله ـ شوكة فى جنب إسرائيل والصهيونية العالمية . ودخل الشهيد الراحل معركة مع زعماء الأقاليم الأخرى فى نيجيريا الذين حاولوا أن يتفاهموا مع إسرائيل بشأن افتتاح قنصليات لها فى أقاليمهم وقد كسب المعركة فى محاربة هذا الاتجاه وأصبح علماً من الأعلام الأفريقيين الذين يحاربون الاستعمار الحقيقى الذى يتسرب عن طريق إسرائيل والصهيونية العالمية . وكان موقفه من إسرائيل ينبع عن عقيدة واقتناع ذاتى وليس مجاملة للعرب وإنما كان غيرة على الإسلام والمسلمين .

ففى مؤتمر صحفى عقد فى (كادونا) عاصمة نيجيريا الشمالية سأله أحد الصحفيين الأجانب عن حجم العلاقات بين بلاده وإسرائيل .

فأجاب بغضب : « ماهى إسرائيل ؟ »

واستطرد بعد فترة من الصمت بقوله : « بالنسبة لتفكيرى فإسرائيل غير موجودة ، وهى لن توجد أبدا ، وأنا لا أعرف ماهى » .

وحدث أن سئل فى مطار لاجوس عاصمة نيجيريا عن تصريح إسرائيلى بعقد اتفاق اقتصادى بين نيجيريا وإسرائيل فأجاب بعنف : « إن إسرائيل بالنسبة لنا غير موجودة . ولن تكون موجودة أبدا » .

ولذلك كنت تجد العرب والمسلمين هناك يرددون عبارته الشهيرة باللغة الانجليزية والتى كان يذكرها دائما إذا سأله أحد عن إسرائيل . Israel does not exisr .

وحدث ذات مرة أن أبا إيبان كان مسافرا ونزلت الطائرة فى مطار كانو للتزود بالوقود وبناء على إلحاحه اتصل المطار برئيس الوزراء الحاج أحمدو بللو ليسمح لأبا إيبان بالتجول بضع دقائق فى المدينة . فرفض الطلب قائلاً : إذا نزل أبا إيبان إلى المدينة فسيمزقه الشعب النيجيرى إربا إربا وسأكون أنا أول من يشترك فى عملية تمزيقه .

رحم الله الشهيد رحمة واسعة .

من خطابه فى المؤتمر الاسلامى المنعقد بمكة المكرمة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م

إخوانى الأعزاء :

كل منا له مشكلات فى بلاده . وأنا شخصياً لا أعرف الكثير عن مشكلات إخواننا الآخرين غير أنى أعلم على التحديد وبدقة مشكلات بلادى وأعمل جاهداً مع إخوانى المسلمين هناك على حلها والتى من أجلها أطلب العون من كل من يستطيع العون والمساعدة حتى نتمكن من نشر الإسلام ورفع مستوى المسلمين فى بلادى النامية .

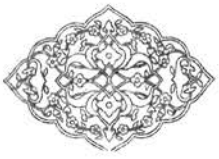
بلادنا نيجيريا مازال ينقصها الكثير ولم

تزل فى طريقها إلى التطور . ومع هذا فهى تحتل موقعاً جغرافياً وتاريخياً على جانب كبير من الأهمية .

ولعل نقطة الضعف فى نيجيريا هى أنها دولة حديثة الاستقلال ، وإن السكان خليط من أجناس مختلفة العقيدة والثقافة . وبالرغم من أن المسلمين يكونون غالبية السكان فإن مستوى الثقافة والتعليم الحديث بينهم منخفض إلى حد كبير إذا ماقارناهم بالأقليات الأخرى ، وعلى الخصوص النصارى الذين يتفوقون فى هذا المضمار على المسلمين كثيراً بفضل المساعدات التى يتلقونها من الخارج وكلنا يعلم هذه الحقيقة ، وكلنا يعلم كذلك أنهم لا يألون جهداً فى التمكين لدينهم ونشر رسالتهم . وحمداً لله وشكراً فقد تأذن سبحانه وتعالى أن يحفظ كلمته ويحمى دينه . ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

يوجد فى نيجيريا كما فى غيرها من الأقطار الأفريقية كثير من الوثنيين . وهناك صراع شديد بين دعاة الإسلام ومبشرى النصرانية كل يعمل جاهداً لكسب هؤلاء الوثنيين إلى عقيدته .

والإسلام وحى السماء إلى البشر ونور الله إلى الخلق لا يحتاج منا إلا أن نرفع مشكاته حتى يسير الحائرون من الوثنيين إلى نوره وهديه . وفى نيجيريا أعمل وبعض الإخوة المسلمين بنشاط وجد فى حقل الدعوة والهداية بين هؤلاء الوثنيين وصادفنا والحمدلله نجاحاً كبيراً وأقبل الكثير منهم على الإسلام يدخلون فى دين الله أفواجاً كل يوم وفى كل جزء من أجزاء بلادنا ونحن نشكر الله كثيراً فبعونه وتوفيقه ، وبرغم المشاغل الأخرى التى أرادها لنا سبحانه فقد آتت مجهوداتنا ثمارها واعتنق الإسلام من هؤلاء الوثنيين (١٧٦٩٣٠) فى الفترة من ديسمبر ١٩٦٣م إلى مارس ١٩٦٥م .



(١) سورة التوبة الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

الدولة الإسلامية

الحقوق الاجتماعية

عرفت الدولة الإسلامية فكرة « الحقوق الاجتماعية » قبل أن تعرفها الدول الحديثة بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، فقد تحدث علماء المسلمين وأفاضوا فى كتاباتهم عن « التكافل الاجتماعى » ، الصورة الإسلامية الأصيلة للحقوق الاجتماعية ، كما طبق التكافل الاجتماعى منذ فجر الإسلام وخلال كل عصور الإسلام بشكل عملى يعد مفخرة للمجتمعات الإسلامية .

بين الحقوق الاجتماعية والتكافل الاجتماعى

أدت الحريات الاقتصادية المطلقة غير المنضبطة ، التى عرفتها أوروبا بقيام الثورة الصناعية فى نهاية القرن الثامن عشر - إلى تفاوت كبير بين الطبقات ، فظهرت الأفكار الاشتراكية التى طالبت بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ونادت بتدخل الدولة لتنظيم علاقات العمل بين الرأسماليين والعمال ، وبتقديم الإعانات المادية للطبقات الاجتماعية القادرة .

ولقد اشتملت الدساتير المعاصرة ، منذ مطلع القرن العشرين ، على نصوص تقرر الكثير أو القليل مما أطلق عليه « الحقوق الاجتماعية » : كحماية الأسرة والنشء ، وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعمال ، وتقرير الإعانات الاجتماعية فى حالات العجز والمرض والشيخوخة ، والرعاية الصحية .

بيد أن الحقوق الاجتماعية المذكورة - كما قرر علماء القانون الدستورى - ليست لها أية قيمة قانونية ، إذ لا تمثل سوى وعد من

للعقيد أ.ح
د. فوزى محمد طايل

الدولة لا يستطيع أى فرد من الأفراد الاستناد إليه للحصول على حقوقه عن طريق القضاء . فعدم الوفاء بالحقوق الاجتماعية لا يمكن أن يعتبر سنداً قانونياً كافياً فى دعوى قضائية ضد الدولة ، إذ أن هذه الحقوق غير محدودة المضمون .

وفى المقابل نجد أن الإسلام قد أتى « بالحقوق الاجتماعية » جميعها ، وزاد عليها وعمق مفهومها ، وحدد مضمونها ، وجعل لها أبعاداً لم يصل إليها أى تشريع وضعى معاصر ، علاوة على أن « التكافل الاجتماعى » فى الإسلام ـ بخلاف الحقوق الاجتماعية التى عرفتها الإنسانية حديثاً ـ له قيمة قانونية ، وتحميه دعاوى قضائية ، ويمكن للفرد فى المجتمع الإسلامى التمتع به ، والحصول عليه رضاء أو قضاء .

مضمون التكافل الاجتماعى

ومشروعيته ومقوماته

لعل خير ما يعبر فى إيجاز عن معنى التكافل الاجتماعى حديث الرسول ﷺ الذى (رواه البخارى) : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (متفق عليه) .

فالتكافل الاجتماعى هو أرقى مراتب العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد ، إذ يحس كل فرد فيه بواجبه نحو الآخرين فيؤديه طواعية واختيارا حفاظاً على تماسك المجتمع ، وحرصاً على ألا يعتوره المرض والانهيار ، فتتحقق المصلحة العامة ، وتحفظ المصالح الخاصة من الضياع بفضل ما يسود المجتمع من شعور عام بأن لكل فرد فيه حقوقاً يجب على المجتمع أداؤها إليه دون تقصير أو إهمال ، فيتحول العدل الاجتماعى من مجرد مبدأ نظرى إلى واقع عملى . ولقد صور رسول الله ﷺ المجتمع الإسلامى فى صورة بليغة فيما (رواه البخارى) : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

والتكافل الاجتماعى فرض من الفروض الكفائية ، على السلطة العامة فى الدولة الإسلامية مراعاة القيام به وإلا أثم المجتمع كله حكاما ومحكومين . فالدولة وكل فرد من أفراد المجتمع مسئولون جميعاً عن أى فرد فى المجتمع يمرض ، أو يجوع ، أو يعرى ، أو يعجز عن العمل ، فلا يجد ما يعينه على القيام بلوازم الحياة .

إذا كانت « الحقوق الاجتماعية » ـ كما عرفتها المجتمعات المتقدمة حديثاً ـ تقوم أساساً على أمور مادية من أجل توفير « حد

أدنى » لمعيشة الطبقات غير القادرة فى المجتمع فإن « التكافل الاجتماعى » يقوم على دعامتين :

أولاهما : مادية تتمثل فى محاربة الفقر وتوفير « حد الكفاية » لكل فرد فى المجتمع حتى يذوق العيش الكريم وتحفظ عليه كرامته .

وثانيتهما : معنوية تتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل على نظافة مظهر المجتمع ، بإبراز الفضائل ، وستر الجرائم ، وإفشاء السلام ، وتكوين الرأى العام الفاضل المنزه عن الدعايات الكاذبة المغرضة أو الغش والخداع .

الصورة المادية للتكافل الاجتماعى.

« محاربة الفقر ».

الفقر ظاهرة ممقوتة فى الإسلام ، وهو مرض اجتماعى يستعاذ به كما يستعاذ من الأمراض الجسمية ، فمن دعائه ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » (رواه البيهقى) .

والتكافل الاجتماعى يهدف إلى مد يد المعونة فى حاجة المحتاج ، وتفريج كربة المكروب ، وإغاثة الغارم والمنكوب ، وإشباع الجائع ، وإقالة عثرة العاجز ، كل ذلك محاربة للفقر للقضاء عليه .

إن الفقير الذى لا يجد حاجته من طعام أو كساء أو مسكن ، فلا ينال بذلك حظاً من نعم الله تعالى ومن فضله على عباده ، لن يمكنه - بكل تأكيد - أن يقوم بالتكاليف الدينية ، وبالواجبات الاجتماعية بالشكل الذى ينبغى أن يقوم به .

لقد حصر التشريع الإسلامى الفئات التى تستحق العون المادى حتى يسهل توجيهه إليها ، فيقضى بذلك على الفقر والعوز ، كما حدد الأسلوب الذى يتم به رفع آثار الفقر والفاقة فالزكاة والصدقات وما إليها يتم بها مساعدة الفقراء ، والمساكين ، والمرضى ، والمقعدين ، والشيوخ ، والمشردين ، واللقطاء ، واليتامى ، والأسرى . هذا فضلاً عن أن التشريع الإسلامى قد أمر بالعون المادى لفئات أخرى - رغم قدرتها المادية - تخفيفاً عن هذه الفئات وإشعاراً لها بتضامن المجتمع معها فيما ألم بها من كارثة أو ما نزل بها من مكروه : كالتعاون فى تحمل الدين عن الغارمين ، وغوث الملهوف ، ومساعدة الغريب الذى انقطع عن ماله ولو كان غنيا .

والتكافل الاجتماعى لا يختص به المواطن المسلم دون غيره ، بل هو شامل لكل مواطنى الدولة الإسلامية . فقد روى الإمام أبو يوسف فى كتابه « الخراج » : « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر برجل يهودى مسن وهو يسأل على الأبواب ، فذهب به إلى منزله ، فرضخ له بشىء ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له : انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ، ثم خذلناه عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ،

والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . وأمر بأن توضع عنه الجزية وينفق عليه من مال الدولة » .

إن مشكلة الفقر هى مشكلة « سوء تنظيم » اقتصادى ، وانعدام « عدالة » فى توزيع الثروات والدخل القومى ، لذا فقد عنى التشريع الإسلامى بوضع الضوابط التى تقضى على التفاوت الصارخ بين الثروات ، بتقريره لنظام كامل دقيق للمواريث والوصايا ، والأوقاف يتم من خلاله تجزئة الثروات ، ونقلها من يد إلى يد ، ليس فقط داخل الأسرة الواحدة ، وإنما يتم النقل بهذا النظام من أسرة إلى أسرة فتتسع قاعدة من يملكون الثروة . كما قرر الإسلام نظاماً للزكاة والصدقات وما إليها لا يؤدى إلى إفقار الغنى كى تتقارب الطبقات ، وإنما يهدف إلى رفع مستوى الفقير ، بل وإغنائه ، فيتمكن من امتلاك نفس نوع المال الذى يمتلكه الغنى ، فيشعر بالعزة والكرامة ، ويزول من نفسه الحقد والحسد ، ولا يلبث أن يشارك فى بناء المجتمع وتنميته دون ما شعور بظلم أو غبن .

الصورة المعنوية للتكافل الاجتماعى.

« الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » :

تختص الدولة الإسلامية ، دون سائر النظم السياسية قديمها وحديثها ، بالصورة المعنوية للتكافل الاجتماعى ، وجماعها : « أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ، وتفصيلها : إسداء النصيحة ونظافة المظهر العام للمجتمع ، وإفشاء السلام ، وتكوين الرأى العام الفاضل .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية لقول الله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة / ٧١) . ولقول رسول الله ﷺ : « كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم (يقصد اليهود) (رواه الترمذى وأبو داود) .

كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين على القادرين عليه ، الواقفين على حدود الله ، وقد جعله الله شأنا من شئون المؤمنين وألبسه ثوب الولاية ورتب عليه الفلاح ، وجعل جزاءه رحمة الله ومغفرته وثوابه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران / ١٠٤) ويقول سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمعرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . (التوبة / ٧١) .

وتعد النصيحة أظهر صور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل إنها تعتبر جوهره . وقد عبر رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله :

←

« الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله .. قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم) .

لقد حث الإسلام على نظافة مظهر المجتمع بإبراز الفضائل وستر الجرائم ، والمجتمع الفاضل لا يثير بالجريمة أو يغرى بها كما يحدث فى الإعلان عنها بشتى وسائل الإعلام ، فإن كان ولابد ، فليعلن عنها على وضع ينفر منها مع ذكر الجزاء الذى لحق بمرتكبيها بعد انتهاء المحاكمة العادلة ، فالإسلام حريص ، يفضل سرية التحقيقات ، وسرية إجراء المحاكمة ، لا إعلان الحكم حتى لا يساء إلى برىء فالأحكام الشرعية تقرر ، « درء الحدود بالشبهات » والمتهم برىء حتى تثبت إدانته ، وبذلك لا يساء إلى المسلمين فى كرامتهم ولا أعراضهم ، وحتى لا تكون الجريمة مادة للتسلية يلوكها الناس على ألسنتهم فيفسد الجو الخلقى للمجتمع ، ويصبح الشر ظاهرا ظهورا يغرى على مقارفته فيشيع الفساد وتعم الفاحشة .

لعل من أهم آثار التكافل الاجتماعى فى صورته الأدبية تكوين رأى عام فاضل مبنى على أسس قوية ، منزه عن كل شائبة أو ضلالة أو اتباع أعمى .

ولما كانت وسائل الإعلام ، التى أصبحت تصل إلى الأفراد فى كل مكان وفى كل زمان ، عاملاً هاماً من عوامل تكوين الرأى العام وتوجيهه ، لذا وجب أن تهتم الدولة الإسلامية بها اهتماما يضمن ألا يصدر عنها إلا كل ما يرفع من الذوق العام ، ومن المستوى الثقافى والحضارى ، ويبرز الفضيلة ويحض عليها ، ويوجه سلوك الأفراد الوجهة المحمودة ، ويرفع من الروح المعنوية للشعب ، ويزيل أسباب التفكك والانحلال فى المجتمع . بعرضها لموضوعات شيقة فيها من الترويح المباح ما فيها ، وفيها من التوجيه غير المباشر ما فيها .

ضمانات التكافل الاجتماعى :

إن أول ضمانة من ضمانات التكافل الاجتماعى فى الدولة الإسلامية هى ما يمتلكه الفرد المسلم الحق من ضمير واع بمسئولياته تجاه ربه وتجاه عقيدته وتجاه مجتمعه .

فالتكافل الاجتماعى المنبعث من النفس ابتداء أنفع للمجتمع وأكبر تأثيراً وأجدى من ذلك الذى يفرض بقوة القانون من غير اعتماد على الإيمان والعقيدة .

بيد أن النظام السياسى الإسلامى لم يقف عند حد الضمانات الدينية والاخلاقية للتكافل الاجتماعى بل قرر ضمانات تشريعية « قانونية » تحميها دعاوى قضائية . فالزكاة تجمعها السلطة العامة فى الدولة عن طيب خاطر ، وقهراً إذا لم يضع المسلم طواعية لحكم الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج / ٢٤) وقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

(التوبة / ١٠٣) . وهذا الأمر الأخير هو أمر عام لولى أمر المسلمين ، وليس أمراً خاصاً إلى رسول الله ﷺ كما فهمه بعض ما نعى الزكاة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره : « فقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ » .

وقد اتبع التشريع الإسلامى أسلوبا مماثلاً فى تحديد نفقة الزوجة والأبناء والأقارب غير القادرين ، فأصبح لمستحق هذه الأمور أن يستوفى حقه ممن هو مستحق عليه رضاء أو قضاء .

الوسائل المادية لتحقيق التكافل الاجتماعى. الحقوق الاجتماعية:

أولا : حق العمل وحقوق العمال :

يقضى المبدأ العام الإسلامى أن يسد الفرد حاجته وحاجة من يعول عن طريق العمل الذى يختاره ، وعلى الدولة الإسلامية مسئولية القضاء على البطالة المستترة ، كما أن على الدولة أن تيسر السبيل لكل فرد فيها أن يجد العمل المناسب لقدراته الجسمية والعقلية .

ولا نقصد بذلك أن تقوم الدولة بإيجاد وظيفة لكل فرد فيها ليعمل فى الجهاز الإدارى للدولة ، أو حتى فى أجهزة أخرى إنتاجية تابعة للحكومة ، فهذا أمر غير معقول وغير مقبول إنما السبيل إلى ما ذكرناه أن تشجع الدولة الأفراد والمجموعات على إقامة المشروعات الاستثمارية النافعة ، وأن تيسر لهم هذا السبيل ، وأن تحمى المشروعات الصغيرة حتى لا تقضى المشروعات الكبيرة عليها ، وعلى الدولة أن تتولى تدريب كل فرد وتأهيله التأهيل المهنى المناسب لقدراته ، فتعد العامل الزراعى والعامل الصناعى ومن إليهم ممن يعتمدون على سواعدهم فى العمل ، وتزودهم بالخبرة الفنية العلمية المناسبة ، وتتعهد المهندسين ، والمحاسبين ، والأطباء ، ومن إليهم ممن يعتمدون على العمل الذهنى بجانب الجهد الجسمانى ، تتعهدهم بالرعاية وتيسر لهم سبل المعرفة والتزود بأحدث ما وصل إليه العلم والتطبيق العلمى العملى .

كما أن على الدولة أن ترعى علماءها ومفكريها فى شتى المجالات ، وأن تدرب القيادات فى مختلف الميادين .

وعلى الدولة الإسلامية أن تخصص جزءا من مال الزكاة ، أو من غيرها من الموارد المالية للدولة ، يمكن به مساعدة من لا يجد المال كى يبدأ المشروع المناسب لقدراته وتأهيله ، فيعود ذلك بالنفع عليه ، إذ يسد حاجة نفسه وينفق على أسرته وعلى من يعول من أقاربه المحتاجين ، ويفتح أبواب عمل لآخرين ، ويعود بالنفع والخير على المجتمع الذى سيوفر له بعمله حظاً مما يحتاج إليه من سلع أو خدمات .

يتبع

د . فوزى محمد طايل

الفتاوى

« حكم صلاة الجمعة فى المساجد المقامة تحت عمارات

س : من السيد ع ـ أ ـ شاهين ـ جاردن سيتى ـ القاهرة .

أثير فى هذه الأيام أن صلاة الجمعة فى المساجد التى يقيمها بعض المسلمين تحت العمارات لا تصح ولما كانت هذه المساجد تقام فيها صلوات الجمعة من سنوات طويلة ومازالت تقام مساجد جديدة فنرجو بيان الحكم فى صحة صلاة الجمعة بتلك المساجد . علماً بأن بعضها مما تدعو إليه الحاجة . خصوصاً فى الأحياء والمدن الجديدة التى لا يراعى فى تخطيطها أحياناً مكان للمسجد .. وما يتصل بهذا الموضوع من بناء مؤسسات علاجية أو تحفيظ للقرآن أو مشاغل لأبناء المسلمين وبناتهم فوق هذه المساجد ، فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فنفيد بأن من خصائص الأمة الإسلامية أن جعل الله لها الأرض كلها مسجداً ، فقد روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى » وجاء فيه « وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصلها حيث كان » فكل مكان فى الأرض صالح للسجود والصلاة فيه يسمى مسجداً ، غير أن هناك بعض أماكن يطلق عليها اسم المساجد لها أحكام تميزها عن غيرها كما يطلق عليها اسم بيوت الله . قال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** ﴾ سورة البقرة : ١١٤ وقال ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُواْ مَعَ الله أَحَداً** ﴾ سورة الجن : ١٨ وقال ﴿ **فى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** ﴾ سورة النور ٣٦ .

ومن الأحكام الخاصة بهذه المساجد :

أفضلية الصلاة فيها لأنها خير بقاع الأرض ، وصيانتها من النجاسة وكل ما يخل بحرمتها ، وتحيتها بالصلاة عند دخولها ،

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

وحرمة مكث الجنب فيها ، والحث على التردد عليها والاعتكاف فيها ، وغير ذلك من الأحكام التى ألفت فيها كتب خاصة كما فعل الزركشى .

وعندما فرضت صلاة الجمعة كان أنسب مكان تقام فيه هو المسجد ، ونظراً لكثرة الذين كانوا يشهدون صلاة العيد كان النبى ﷺ يقيمها فى مكان فسيح يسعهم .

وجمهور أئمة الفقه لا يشترطون لصحة صلاة الجمعة أن تكون فى مسجد والإمام مالك هو الذى شرط ذلك ، بل شرط أن تكون فى المسجد الجامع وإذا كانت إقامتها فى المسجد أفضل عند الجمهور فإن المسجدية تثبت للبقعة من الأرض إذا عينها مالكها للصلاة ، سواء كان التعيين بالقول أم بجعل البناء على صورة تدل عرفا على أن هذا مسجد ، أم بإقامة الصلاة فى هذه البقعة جاء فى (تفسير القرطبى ج ٢ ص ٧٨) ما نصه : أجمعت الأمة على أن البقعة إذا عينت للصلاة بالقول خرجت من جملة الأملاك المختصة بربها ـ مالكها ـ وصارت عامة لجميع المسلمين . فلو بنى رجل فى داره مسجدا وحجزه عن الناس واختص به لنفسه لبقى على ملكه ولم يخرج إلى حد المسجدية ، ولو أباحه للناس كلهم كان حكمه حكم سائر المساجد العامة وخرج من اختصاص الأملاك » أ . هـ .

وبناء على ما تقدم نقول : إن المساجد المقامة تحت العمارات قد خصصها أصحابها للصلاة وأباحوها لجميع الناس ، وأذن ولى الأمر بذلك وبهذا تثبت لها كل أحكام المساجد التى سبقت الإشارة إليها .

وإذا كثر المصلون ولم يسعهم مسجد واحد جاز تعدد الجمعة بإقامتها فى عدة مساجد وصحت كلها مادام التعدد لحاجة .

هذا والمبانى فوق المسجد إما أن تكون بعد تمام المسجدية على النحو المتقدم ، واما أن تكون قبل ذلك ، فإن كانت بعد تمام المسجدية فيرى كثير من الفقهاء أنها ممنوعة حتى لو كانت لصالح المسجد .

وإن كانت قبل تمام المسجدية فإن بنيت لصالحه أعطيت حكمه بمجرد تمام المسجدية .

وإن بنيت لغير صالحه كالسكن والتعليم والعلاج وغيرها فلا يسرى عليها حكم المسجد ، ولا تخرج عن ملك صاحبها مع وجوب الحفاظ على حرمة المسجد ومراعاة شعور المصلين والمترددين عليه لنعبادة والله تعالى أعلم .

راجع : الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٩١ ، والفتاوى الإسلامية مجلد ١١ ص ٣٩٦٤ ـ فتوى للشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ ١٩٤٤/١١/٣٠ .

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر
عبد الله عبد الخالق المشد

الفتاوى

س : من السيد / م . ج . سليم - كفر الشيخ .

يملك رجل قطعة أرض من الاصلاح الزراعى منذ فترة طويلة ، على أن يسدد ثمنها على أقساط سنوية ، ونظراً لمرضه فقد وكل ابنه الأكبر فى زراعة الأرض وسداد الأقساط وفعلاً قام الابن بالإشراف على الأرض وسدد الأقساط وزوج أخوته الذين هم أصغر منه وعلمهم .. وقد صدر عقد الملكية باسم الوالد ..

فما حكم الشرع فى توزيع هذه الأرض ؟ وما حكم الابن الأكبر الذى قام بجميع الأعمال المذكورة ؟

ج : ما دامت الأرض كانت فى حيازة والد الورثة ، ثم أسند العمل فيها إلى ابنه الأكبر ووكله فى ذلك ثم مات الأب ، وقام الابن الأكبر بالإنفاق من ريعها على إخوته وأخواته ونفسه وأولاده ، كما قام بسداد ما عليها من أقساط من ريعها أيضاً .

فإن الأرض المذكورة توزع على الورثة جميعاً حسب الفريضة الشرعية فى توزيع الميراث .. وينبغى على الورثة أن يقدروا مبلغاً من المال لأخيهم الأكبر نظير عمله ، يتفق عليه فيما بينهم بما يحقق العدالة أمام لجنة تحكيم من أهل المعرفة بالقرية .

س : من السيد / ع . رمضان - مصر الجديدة .

توفيت امرأة عن أخت شقيقة ، ابن أخ شقيق ، بنت أخ شقيق ، ابن أخت فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضاً ، لانفرادها ولعدم من يعصبها .. والباقى لابن الأخ الشقيق تعصيباً .

ولا شىء لبنت الأخ ولا لابن الأخت لأنهما من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من الحاج / م . ع . زغلول - حلوان .

توفى رجل عن زوجة ، بنت ، أولاد عم شقيق ذكور وإناث ، أولاد أخت شقيقة . ما الحكم ؟

ج : للزوجة الثمن فرضاً لوجود الوارث ، وللبنت النصف فرضاً لعدم من يعصبها ، والباقى للذكور من أولاد العم الشقيق تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى ..

ولا شىء للإناث من أولاد العم الشقيق ، ولا لأولاد الأخت الشقيقة ، لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

من أعلام الأزهر

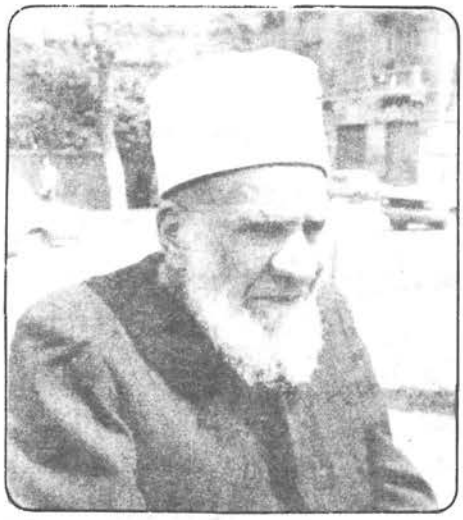
العلامة

محمود خليل الخطيب

شاعر الرسول "صلى الله عليه وسلم"

للأستاذ/ أحمد عزت البرادعى

● **عالم أزهرى جليل ، وفقيه إسلامى كبير ، ولواء من ألوية الحق والإيمان ، وعبقرية ناصعة حلقت فى سماء العلم وطافت فى ميدان الأدب والمعرفة فأخرجت للناس علما نافعا يزهو فى كل آن .**



مولده ونشأته :

حَدَّث ـ رحمه الله ـ عن نفسه فى كتابه « إتحاف الأخيار بأصح الأدعية والأذكار » أنه الشيخ محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد الخطيب ينتهى نسبه إلى الدوحة المباركة المطهرة .. إلى رسول الله ﷺ .

ولد فى قرية (نِيدة) بمركز (أخميم) محافظة (سوهاج) فى ٩ من مارس ١٩٠٩ م وطلب العلم بمعهد أسيوط الدينى عام ١٣٤٠ هـ ، ونال العالمية من الأزهر سنة ١٣٥٠ هـ والتخصص فى اللغة العربية عام

←

١٣٥٤ هـ ثم أخذ مكانه مدرسا بمعهد طنطا الدينى فى نفس العام .. وعاش بطنطا حتى وافته المنية فلحق بالرفيق الأعلى فى ٢١ من فبراير ١٩٨٦ م عن سبعة وسبعين عاما حيث استضافه مثواه بمسجده بمدينة طنطا طيب الله ثراه وغفر له ونفعنا به وبعلمه . آمين .

مؤلفاتـــه

أثرى فضيلته المكتبة الإسلامية بما ينيف على ستين كتابا فى الفقه والأدب والحديث والشعر والقصص[1] فى مقدمتها :

(١) اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام ﷺ .

(٢) عقيدة الخطيب .

(٣) ديوان الخطيب .

(٤) شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى .

(٥) غاية المطالب بشرح ديوان أبى طالب ، جمعه الشيخ ـ رحمه الله ـ من مختلف أمهات الكتب على مدى أكثر من عشر سنوات ، وقام بشرحه .

(٦) إتحاف الأبرار ببعض ما للذكر من أسرار .

(٧) ألفية الخطيب فى الصرف .

(٨) روضات الخطيب فى مدح الحبيب سيدنا محمد ﷺ .

(٩) رباعيات الخطيب .

(١٠) أراجيز الخطيب .

تلاميـــذه

لهذا العالم الجليل أفذاذ تلقوا العلم على يديه ، وصاروا من أعلام هذا العصر ، من أمثال : الدكتور الحسينى أبو فرحة عميد كلية أصول الدين ـ بالقاهرة .

والعلامة توفيق محمد سبع المدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،والدكتور إبراهيم الدسوقى خميس أستاذ التفسير بكلية البنات بالسعودية والدكتور حامد إسماعيل الميرغنى رئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة صنعاء باليمن الشقيق ، وغيرهم كثير من علماء هذا العصر وعباقرته .

كان ـ رحمه الله ـ ملتزما بكتاب الله وسنة

(١)يذكرنى الشيخ رحمه الله ، وقد دَوَّن علم البلاغة شعرا وهو طالب فى السنة الثانية الثانوية بفضيلة شيخنا الجليل الشيخ حسنين مخلوف المفتى الأسبق ـ أطال الله بقاءه ـ الذى ألف وهو طالب فى السنة الثانية الابتدائية كتابه فى الرفق بالحيوان ، ونشرته مجلة الأزهر هدية ... د . على الخطيب

رسوله ـ ﷺ ـ[٢] وكان الصوفى ـ فى نظره : « من صفا من الكدر ، وامتلأ من العِبَر ، وانقطع لله بعيدا عن البشر إلا فيما ينفعهم فمن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن هنا كان دارسا لأحوال مجتمعه واعيا كل الوعى بشتى شئونه وتمثل ذلك كله فى شعره دراسة ونقدا فقال يحارب مرض « الوساطة » :

إنْ رمتَ أمراً فاعتمدْ
عليه جداً واجتهدْ

مَنْ جَدَّ فى أَمْرٍ وَجَدْ
ومَنْ له نَزْعٌ حَصَدْ

ترجو النفوس الساقطة
نوالَهُ بالواسطة

وَمَنْ مكانُهُ ارتفع
لنفسه عنها رَفَعْ

ومن إليها قَدْ رَكَنْ
أصاب عقلَهُ الوهن

●●●●

وأى شعب ذا سلك
بغير ما شك هلك

ونصح ـ رحمه الله ـ فى شعره بما تقابل به الواسطة فقال :

إنى أَرَاها تَجبُ
لذى حقوق تُغْصَبُ

أَعِنْهُ يَحْمَدْ صُنْعَكَا
من غير شَكٍ رَبُّكا

فمن يُعِنْ أخاهُ
أعانه مَوْلاهُ

وَطَوَّفَ شعرُهُ ـ رحمه الله ـ فى كل واد داعيا لكل خلق كريم مُشَهِّرا بالفساد ، فقال لبعض الشباب :

منك استغاث المَسْرحُ
والسينَمَا ، هل تنجح ؟

عن الهوى لا تبرح
بالله كيف تربح ؟

وللعاقل منهم نصيب من توجيهه فيقول :

ياطالب « الحليله »
عليك بالأصيله

من أمها مؤدبه
فى بيتها محجبه

اياك والجميله
فى منبت الرذيله

إن ولدتْ فنسلُهَا
سبيله سبيلها

وهذه للمجتمع
أضر ما فيه وقع

←

(٢)أذكر أنه رحمه الله ـ عمل على شرح الجامع الصحيح للإمام الترمذى ، ولست أدرى ما تم فيه ، فلعل من تلاميذه ومحبيه من يلقى الضوء بتفصيل على تراث الشيخ ـ رحمه الله . د . على الخطيب

من أعلام الأزهر

وفى أراجيزه يندد ببعض أشياخ الطرق الذين أساءوا إلى الإسلام ، ويرفع من شأن الصالحين منهم ، فيقول :

مشايخ الطريق
ضلوا عن الطريق

فى أشهر الحصاد
يأتون كالجراد

وإن منهم طائفه
على الصلاح عاكفه

وشعره فى رسول الله ﷺ كثير يتناول جوانب حياته - عليه الصلاة والسلام كما يتناول معجزاته ، ويلم بخصائصه - ﷺ - عن حب ورجاء .

فعن مولده ﷺ - يقول :

ياعيد ميلاد النبى الهادى
العيد أنت لسائر الأعياد

سطع الهدى لما سطعت على الورى
والبشر عم حواضرا وبوادى

واهتز بيت الله والأملاك - من
جذل إليك - روائح وغوادى

ويقارن بين معجزاته ﷺ وقلوب العباد فيسوقها حية نابضة مفعمة بالتأثير فيقول :

أَشْكى[٣] البعير ، وقد شكا من ربه[٤]
والجِذْعُ حَنَّ له حنين ودادِ

ما بالُنا حَنَّ الجمادُ لِبُعْدِه
أفلا نَحِنُّ له حنينَ جمادِ

ومن رقائقه فى المديح :

ياخير خلق الله سرك قد سرى
فى الخلق مسرى الروح فى الأجساد

إن جاء قبلك آدم وسواه من
رسل فأنت ختامهم و « الباد »

والله ليس بمؤمن من لم يكن
بهداك فوق النفس والأولاد

ويكون ما يهواه تابع شِرْعةٍ
لك سنها الرب الكريم الهاد

ثم يناجيه - عليه الصلاة والسلام :

ياواصلا للقاطعين ومعطيا
للحارمين وعافيا من عاد

إن جاء غيرى بالصلاح وسيلة
فوسيلتى مدحى لكم ووداى

إنى لحبك قد دُعيت (محمداً)
وكذا دَعَوْتُ (محمداً) أولادى

(٣) أزال شكواه .

(٤) صاحبه .

فلنا الأمان بمن نُسَمَّى باسمه
فى هذه الدنيا ويوم تنادى

شعرى عليك وقفتُ ياعلم الهدى
فله بعزِّك عِزَّةُ الأوتاد

ثم يتجه إلى مولانا الأجل وربنا الكريم :

ياذا العطاء دَقِيقُهُ وجَلِيلُهُ
يامصدر الإيجاد والإمداد

أنت الكريم ونرتجيك تكرما
زاداً فقد جئنا بغير الزاد

أنت الرحيمُ ومن أحق برحمة
ممن على النفس الضعيفة عاد

إن كان لا يرجوك إلا مصلح
فمن الذى يرجو أخو الإفساد

أعطيتنا الإيمان قبل سؤالنا
فاستبقه ذُخْراً ليوم معاد

وسحائب الرحمات أمطر دائما
جدث النبى الهاشمى الهادى

وعليه صَلّ مباركا ومسلما
مقدار علمك سائر الآباد

وعلى صحابته الكرام وآله
والسالكين بهم سبيل رشاد

ورضاك فامنحنْا وَحَسّنْ حالنا
ولـ (ذَاتِكَ) اجعلنا من الشُّهَاد

وأدم لنا التوفيق وارفع ذكرنا
واختم لنا بالخير والاسعاد

أحمد عزت البرادعى



من العلوم الكونية

الإعجاز العلمى

العمق الثامن عشر فى

فى القرآن الكريم

(١٩)

يستخدم القرآن الكريم كلمة (صيحة) فى ثلاث عشرة آية للتعبير عن ظاهرة موجية عاتية قد تسبب الموت الفجائى للبشر ، ولم يعرف لها الناس مثيلاً إلا فى عصر العلم عندما تم تفجير القنبلة الذرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، إذ انبعثت عنها موجات عاتية من التضاغط والتخلخل أماتت الناس عن كثب .

وهناك بطبيعة الحال صور عديدة للصيحة ، منها مثلاً صدمة الصوت القاتلة .. الناجمة عن ارتطام نيزك بالأرض ، أو صدمة الفزع الفجائى كما يحدث عند انقضاض الصواعق بأصواتها المخيفة ، ويكون استخدام لفظ (الصيحة) فى مثل تلك الحالات العمق الثامن عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

الآيات الكريمة

١ ـ ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ ـ هود (٦٧) ـ .

٢ ـ ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِين ﴾ ـ هود (٩٤) ـ ، ومعنى جاثمين : راقدين لا حراك بهم .

٣ ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ ـ الحجر (٧٣) ـ ، أى استحوذ عليهم صوت شديد الإزعاج عند شروق الشمس .

٤ ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ ـ الحجر (٨٣) ـ .

★ ماورد بهذا المقال من تفسير هو اجتهاد كاتبه ومسئوليته وحده ، ومن حق أى متخصص نقده نقداً علمياً نزيها . « مجلة الأزهر » .

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

٥ ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ـ المؤمنون (٤١) ـ ، أى أهلكتهم الصيحة هلاكا جديراً بالظالمين لطغيانهم وكفرهم .

٦ ـ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ـ العنكبوت (٤٠) ـ ، إن تلك الأمم التى كذبت رسلها أهلكها الله بكفرها بأن سلط عليهم ظواهر الطبيعة القاسية المهلكة مثل الرياح العاصفة التى ترمى بالحصى ، ومثل الصيحة ومثل الزلازل التى تخسف الأرض ، ومثل الطوفان الذى يغرق البلاد .

٧ ـ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ ـ يس (٢٩) ـ ، أى فإذا هم ميتون لاحراك لهم .

٨ ـ ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ ـ يس (٤٩) ـ ، أى تقضى عليهم الصيحة الواحدة وهم يتنازعون فى أمور الدنيا ، وقد غفلوا عن الآخرة .

٩ ـ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ـ يس (٥٣) ـ ومعنى الصيحة هنا الدعوة العظمى إلى الخروج يوم الدين .

١٠ ـ ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ ـ ص (١٥) ـ ، أى صيحة لا حاجة إلى تكرارها لشدتها .

١١ ـ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ ـ ق (٤٢) ـ .

١٢ ـ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ ـ القمر (٣١) ـ ، أى كانوا كالشجر اليابس الذى يجمعه من يريد اتخاذ حظيرة له .

١٣ ـ ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُو فَاحْذَرْهُمْ ﴾ ـ المنافقون (٤) ـ .

بعض حقائق العلم

لقد ثبت علمياً أن عدداً وفيراً من ضحايا قنبلتى « هيروشيما » و« ناجازاكى » فى أواخر الحرب العالمية الماضية كان بسبب موجة التضاغط الصارمة التى صحبت انفجار كل قنبلة . وتنجم عن انقضاض الصواعق ظواهر مماثلة بسبب الحرارات العالية التى تولدها الصاعقة فى عمود الهواء الذى تنبعث فيه فيتمدد فجأة .

وهناك صيحات خفيفة جداً نسبياً تسبب الإقلاق ينجم عن تكرارها ارتفاع ضغط الدم والأمراض العصبية .

وفى هذا العصر ـ عصر الآلة ـ ظهر عدو جديد للإنسان هو الضوضاء التى تحدثها الآلات ، والضجيج الذى يحدثه الناس بأصوات مزعجة ، وأزيز المحركات فى الجو وعلى الأرض . ولقد نجم عن كل ذلك إقلاق تعمل الدولة على الحد منه .

وكان الناس فى الماضى لا يعانون من الضوضاء والأصوات العالية غير المتجانسة لعدم توافرها باستثناء أصوات بعض الحيوانات أو ضجيج الجماعات . ومن رقة الإسلام وحرصه على عدم إقلاق الناس أنه يستنكر مثل تلك الأصوات فيقول مثلاً :

١ ـ ﴿ . . . وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ـ لقمان (١٩) ـ .

٢ ـ ﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون ﴾ ـ الحجرات (٢) ـ .

٣ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى . . . ﴾ ـ الحجرات (٣) ـ .

٤ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ ـ الحجرات (٤) ـ .

وفى عصرنا الحالى لا تنتج أغلب الضوضاء من أصوات الكائنات الحية مثل الإنسان أو الحيوان ، بقدر ماتنتج من أصوات الآلات ، ومكبرات الصوت ، وآلات التنبيه . وهناك مراكز خاصة بأبحاث الضوضاء والإقلاق ، تجرى فيها التجارب المختلفة على الناس تثار فيها الضوضاء بطرق صناعية ، وتعمل أجهزة خاصة على تسجيل التأثيرات الحيوية المتباينة النوع والشدة على أعضاء الجسم المختلفة ، كما توجد غرف خاصة من أجل الاختبار .. وترسل الإشارات الكهربائية التى تبين المعلومات المطلوب الحصول عليها بواسطة أسلاك خاصة تتصل بأعضاء الجسم ، وعلى رأسها الجمجمة . وتظهر التسجيلات بكل جلاء ووضوح على خرائط خاصة معدة لهذا الغرض .

ومن التجارب التى تجرى فى هذا المجال متابعة نشاط الفرد فى اليوم التالى لتعْريضه للإقلاق حيث يكون غالباً فى حاجة إلى مزيد من الراحة أو النوم .

والراديو والتليفزيون ومكبرات الصوت كلها مصادر إقلاق فى هذا العصر وإن اختلفت شدتها ودرجات أصواتها . ومن الواجب أن يكون لدى أصحابها الوعى الكافى لكى لا تتلف أعصاب من ينشدون الهدوء والراحة كالمرضى ، والدارسين ،... إذ تعتبر الضوضاء نوعاً من أنواع الصيحات المتكررة والمألوفة التى تلوث البيئة الطبيعية تماماً كما تلوثها الأتربة وسحب الدخان المختلفة .

وإذا أصيب إنسان بمس من صاعقة أو بصيحتها وجبت المبادرة بعمل التنفس الصناعى له لمدة طويلة فقد تعود إليه الحياة كما دلت على ذلك التجارب . ونحن نعيش عصر العلم وواجب المسلمين أن يتلمسوا حل ما استجد من المشاكل والمسائل الاجتماعية

البقية ص ٨٤

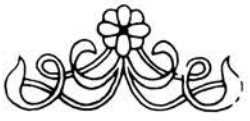
الشعر والشعراء

إشراف: د حسن جاد

من وحي الهجرة



وارحمتاه إخاء



تبارك الله

من وحي الهجرة

دعهم وما دبروا فالحق منتصر ... وانهض فصاحِبُك الصدّيقُ ينتظرُ
دعهم فتدبيرُهم واهٍ وندوتهمُ ... مآلها كمآل الكفر مندثر
دعهم يغطون في نوم وقد سكنت ... كل الجوارح لا حِسٌّ ولا بصر
أغشاهم الله فانهارت قوائمهم ... أصابها الضَّعفُ والخذلان والخَوَر
حتى إذا ما ضياء الشمس أيقظهم ... جُنّوا على صفحات البيد وانتشروا
يمشّطون دروب البيد ما علموا ... أن النبي بظل الله مستتر
تحلقوا حول باب الغار في فرح ... حيث استقر على أعتابه الأثر
هنا « محمد » نال القوم بغيتهم ... تمكنوا منه ، ضَلَّ القومُ بل خسروا
أيُخنَق الفجرُ والأكوانُ ضارعة ... أيُطفأ النور والأيامُ تنتظر ؟!
أيترك الحق يبغي كل طاغية ... بأرضه ويسود الشر والشرر ؟!
حاشا وربّك والدنيا بقبضته ... والخلق والأمر والأرزاق والقدر
قد أشرقت في رحاب الغار بارقة ... من الأمان فلا خوف ولا خطر

◆◆◆

ياداعي الله إن القلب في فزع ... مما يراه ومما يصنع البشر
تَغَرَّبَتْ في دروب التيه خُطوتُنا ... وطال فيه عذاب مُثقل عسر
ياداعي الله أرضُ الله قد عمرت ... بمن أساءوا ومن خانوا ومن غدروا
كأنما القوم في وجدانهم عطب ... لا يعقلون وفي أبصارهم قصر

للأستاذ/ رشاد محمد يوسف

تغافلوا عن حمى الإسلام وانشغلوا ... وقد أحاطت به الاخطار والنذر
نسوا صراط الهدى فانساق خطوهمُ ... خلف المضلين لا وعى ولا حذر
وطال ترحالهم فى التيه واختلطت ... على عيونهم الأبعادُ والصور
ايّ الأحاديث انقاها إذا سمعوا ... وأى لون حقيقى إذا نظروا
عقولهم اصبحت سوقا منوعة ... فلا انتماء ولا فِكْرٌ ولا فِكَرُ
وفكرهم وهو من وحى السماء غدا ... مضّيعَ النبر لا لحن ولاوتر
على الموائد ايتام وما وجدوا ... ولاة أمر على أحوالهم سهروا

◆◆◆

خلف الظهور كتاب الله مغترب ... لا طبقوا حكمه يوما ولا اعتبروا
ولا استناروا بنور الحق او حفظوا ... محارم الله او ثاروا او انتصروا
تنازعوا الأمر فانحلت اواصرهم ... وللعداوة والبغضاء قد نفروا
كأنما حادثات الدهر قد فرغت ... للمسلمين بما يدمى ويعتصر
القدس والشام والأفغان فى كرب ... والمسلمون "ملايينا" قد انتشروا
عزوا وهم قلة ، واليوم أبْصِرهُم ... نهب الضياع وقد زادوا وقد كثروا
يامسلمون كفى نوما وتفرقة ... وحولنا النار لا تبقى ولا تذر
يامسلمون وما للأمر قائمة ... والأرض فى خطر والعدل يُحتضر
اعيذ قومى من خُلْف يُفرّقهم ... وهم على فطرة التوحيد قد فطروا

◆◆◆

أدركْ خطانا رسولَ الله إنّ لنا ... وعدا من الله فى القرآن يُدَّخَر
تلوح فى ساعة العسرى بشائره ... وينصر الله من للحق ينتصر

من الظلام إلى النور

أحمد بلقاج آيه وارهام

نَـــرُومُ الـدُّنَـــى أَمَـانًـــا ... وَنَحْسُـــو الْخَنَـــا دِنَـانَـا
وَإِنْ نَفْحَـــــةٌ أَطَلَّـــتْ ... مَسَحْنَـــا بِـهَـــا الـزَّمَـانَـــا
أَيَـغْـــدُو اللَّظَـــى نَـعِيمـــاً ... وَيَـغْشَـــى الْـعَمَـــى دِمَـانَـا؟!
وَكَـــأْسُ الضَّـــلَالِ نَـــارٌ ... بِـهَـــا طَيْشُنَـــا سَقَـانَـا
وَبُـــؤْسُ الْحَشَـــا قُبُـــورٌ ... تَـــوَارَتْ بِـهَـــا مُنَـانَـــا
كَـــأَنَّ الصَّـــدَى سِيَـــاطٌ ... وَرَيْـــبَ الـدُّجَـــى خُطَـانَـــا

*

فَمَـــنْ يَمْتَطِـــى فُسُـوقـــاً ... إِذَا مَـــا الـرَّدَى تَـدَانَـــى؟!
تَـــدَلَّى الْخَنَـــا فَـأَمْسَـــى ... لِبَـغْـــضِ الْـــوَرَى لِسَـانَـــا
فَـهَـــلْ تُـرْتَجَـــى حَيَـــاةٌ ... وَمَـوْجُ الْخَنَـــا غَـزَانَـــا ؟
وَهَـــلْ لِلنُّـهَـــى سُيُـــوفٌ ... تَقُـــدُّ الَّـــذِى عَـــرَانَـا ؟

*

ضِيَـــاءُ الـرَّشَـــادِ دَرْبٌ ... لِمَـــنْ لِلإِلَـــهِ دَانَـــا
أَلَا فَـامْتَشِـــقْ صَـــلَاةً ... فَبَحْـــرُ التُّقَـــى جِمَـانَـا
وَقَطِّـــعْ وَتِـيـــنَ حُـــوبٍ ... فَـوَحْـــيُ السَّمَـــاءِ بَـانَـا
وَلَاتَصْطَبِـــحْ بِقَفْـــرٍ ... فَحَقْـــلُ السَّنَـــا دَعَـانَـــا
فَـــلَا ازْهَـــرَتْ نُفُـــوسٌ ... غَـــدَا زَرْعُـهَـــا هَـــوَانَـا
وَلَا أَبْصَـــرَتْ حُـــرُوفٌ ... تَسُـوقُ الْقَـــذَى بَيَـانَـا
فَـدِيـــنُ الْـهُـــدَى حَيَـاةٌ ... بِـهَـــا أَشْـرَقَـــتْ رُبَـانَـــا
وَهَـــذَا الْكِتَـــابُ نُـــورٌ ... بِـــهِ رَبُّنَـــا حَبَـانَـــا

إخاء

شعر: محيي الدين عطية

أَتَدْرى أَيْنَ سُكْناهُ ... أَخوكَ وَأَيْنَ مَسعْاهُ
وَهَلْ عَيْناكَ تُقْلِتُهُ ... إذا فاتَتْكَ عَيْناهُ
أَخوكَ يَعيشُ كالتّاريـ ... ـخِ في جَنْبَيْكَ مَسْراهُ
بِلا لُغَةٍ ، تُصافِحُهُ ... وَتَدْمَعُ حينَ تَلْقاهُ
كَأَنَّ النَّهْرَ مَفْطورٌ ... عَلى تَقْبيلِ مَجْراهُ
لَئِنْ ضاقَتْ بِهِ الدُّنْيا ... فَصَدْرُكَ أَنْتَ مَأْواهُ
وَتَسْخُو دونَما مَنٍّ ... تُخَفِّفُ عَنْهُ بَلْواهُ
وَتَرْفَعُ دونَهُ حِمْلاً ... إذا كَلَّتْ ذِراعاهُ
وَتُسْدِلُ حَوْلَهُ سِتْراً ... إذا الشَّيْطانُ أَغْواهُ
تَرى أُخْراكَ مُثْمِرَةً ... فَقَدْ أَخْصَبْتَ دُنْياهُ

وارحمتاه

تَجَرَّعْ يامديد العمر صابا ... وقَضِّ بقية العمر اكتئابا !
وَعِشْ مستوحشا فى الأهل نِسْياً ... وَذُقْ فى آخر الأجل اغترابا
تغافل ياكليل الجسم واخضع ... فقد يجد السلامة من تغابى !
وحين يزورك ابنٌ بعد هجر ... فلا توسعه لوما أو عتابا !!
وطِلْبتك التمسها فى انكسار ... عساها - بعد لأى - أن تجابا !
فمالك حيلة تجديك نفعا ... وطيب العيش قد صار انتهابا !
ولذ بالصمت مُنْتَبذاً بركن ... لتَجْتَرَّ الذى عفَّى وغابا
وأطيافا لأترابٍ تَوَلَّوْا ... تباعا عنك والتحفوا الترابا
وأنت بقيت فى الدنيا غريبا ... ترى فى عيشك العجب العجابا !
وحكمتك التى قد لَقَّنَتْها ... لك الأيام ، لا تُرضِى الرغابا
فدعها فى زوايا الفكر تذوى ... وبادر - بالمداهنة الشبابا
وقل للعابث المهذار مَزْحَى ... فتحت إلى رفيع المجد بابا
وقولك عبقرى فيه رأى ... حكيم للحقيقة قد أصابا
سيصغى عند ذلك فى انتشاء ... ويلتمس المزيد المستطابا !!
وأحلام الشباب لها وميض ... بعقل المرء يغتال الصوابا
فليس يرى بدرب العيش شوكا ... ولا صخرا يعوق ولا ضبابا

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

بل الدنيا له انقادت وأحنت ... وصيرت النجوم له ركابا

فلا يَثنِيه نصحك عن مرام ... وان كان الخيال أو السرابا

ألم تصبح كليل الفكر نِضْواً ... قعيدا لا تحابى أو تُحَابَى ؟!

ولست رفيق عربدة ولهو ... وأنك لم تعد جَلْداً مهابا

وعيشك قد غدا فى الناس حِمْلا ... وإن كانوا الأقارب والصحابا !

ومالُك صار - يامسكين - خصما ... وقد أغرى الثعالب والذئابا

فموتك رحمة لك .. لا تَخَفْه ... ألا ترضى من السفر الإيابا

فلحدك فى مضيق القبر أحنى ... وأفسح من مدى الدنيا رحابا

ألا سُحْقاً وتَتْرِيبا لعصر ... يسام شيوخه الغُرُّ العذابا !!

تبارك الله

للشاعرة: علية الجعار

تجلت قدرة الخلاق فينا ... تذكرنا به إمّا نسينا
فهذا الجسم من لحم وعظم ... وروح كان عند الخلق طينا
وفي الأرحام من ماء مهين ... يد الرحمن سوته جنينا
وينمو عمره طورا فطورا ... ويذوى عمره حينا فحينا
وقد جئنا جميعا من تراب ... إليه سوف نمضى عائدينا
وفي الإنسان آيات تبدت ... إلى الإيمان تهدى الحائرينا
تبارك من بنا يهدى إليه ... تعالى الله رب العالمينا

مجلة الأزهر من خمسين عاما

النساء في العهد النبوى

لفضيلة الأستاذ طه محمد الساكت

إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

هذه صفحة من تاريخ النساء في صدر الإسلام نعرضها على نسائنا في هذا العصر علّهن يجدن فيها عظة ينتفعن بها أو حكمة يهتدين بنورها. متى أصغين القلب. وألقين السمع وقام أولياؤهن بما فرض الله عليهم من التعليم والارشاد. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ..

قال الأستاذ : ـ

عن أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه قال : « قالت النساءُ للنبى ﷺ : غَلَبَنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ؛ فوعدهن يوماً لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ؛ فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تُقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : واثنين ».. رواه الشيخان .

* * *

قالت النساء : فى رواية مسلم أنهن كن من نساء الأنصار ، والقائلة إحداهن ، ولعلها كانت أكبرهن سناً أو شأناً ، ولرضاهن كلهن نسب القول إليهن .

غلبنا عليك الرجال : زاحمونا عليك فلم يكادوا يتركون لنا وقتاً معك ، تعلمنا فيه مما علمك الله[1] .

(١) نستعين فى شرح الحديث إجمالاً وتفصيلاً برواياته المختلفة ، قصداً إلى الجمع والافادة وخير ما فَسَّرَ الوارد ، الوارد .

ولدها : الولد يشمل الذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، والمفرد والجمع .

إلا كان : أى هذا التقديم المفهوم من « تقدم » وفى رواية « إلا كانوا » أى هؤلاء الثلاثة ، وفى رواية ثالثة « إلا كن » أى هؤلاء الأنفس ، أو النسمات .

فقالت امرأة : هى أم سليم الأنصارية والدة أنس خادم رسول الله ﷺ ، وقيل أم مُبشر ، وقيل أم أيمن ، ولا مانع أن تكون كلٌ سألت ، فيروى القول عن كلٍ .

* * *

لم تكن حياة النساء في العصر الأول كحياتهن فى هذا العصر ، مضطربة حائرة ، أو متبذلة سافرة ؛ بل كانت إلى الفطرة أقرب ، وإلى الطهر أدنى . ولم يكن يمنعهن الحياء الذى يتحلين به ، والحياء من الإيمان ، أن يتفقهن فى الدين ، ويسألن رسول الله ﷺ وأصحابه عما جهلن منه ؛ ولم تكن رعايتهن البالغة بحقوق الزوج والبيت والولد ، لتحول بينهن وبين المنافسة في الهدى والخير ، والمسارعة إلى المثوبة والبر ، ابتغاء رضوان الله ورسوله ﷺ .

قلن يوماً لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، غلبنا عليك الرجال ، فاستأثروا بك ، وذهبوا بحديثك ، فاختر لنا يوماً من تلقاء نفسك نأتيك فيه ، فتعظنا بمواعظ الله ، وتعلمنا مما علمك الله ؛ فقال : موعدكن بيت فلانة يوم كذا وكذا فاجتمعن فيه .

اجتمعن فى الموعد المضروب ، حتى جاء رسول الله ﷺ فحدثهن وعلمهن ، وتخير من الحديث ما هن أحوج إليه ، وما هو أمس بهن ، وأزكى لهن . وكذلك الداعى إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يحدث كل أحد بما هو أصلح له وأجدر به .

واقتصر أبو سعيد رضى الله عنه على تلك البشارة العظيمة التى سنذكرها بعدُ ، ولم يبين لنا ماذا أمرهن به فى هذا اليوم ؟ إما لعنايته بهذه البشارة وجليل شأنها عند الناس ولا سيما النساء ، وإما لأنه لم يبلغه ما وجه إليهن النبى ﷺ من أمر . ومن يتتبع عظاته للنساء صلوات الله عليه يطمئن إلى أنه أمرهن ، فيما أمرهن ، بالصدقة جبراً لنقصهن ، وتطهيراً لقلوبهن ، وتكفيراً لسيئاتهن . على أن أبا سعيد نفسه هو الذى روى عنه الشيخان أن النبى ﷺ خرج فى أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء ، فقال : يا معشر النساء تصدقن ، فإنى أُريتكن أكثر أهل النار ، فقلن وبمَ يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير [٢] ؛ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ! قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى ؛ قال فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصلِ ولم تصم ؟ قلن بلى ؛ قال فذلك من نقصان دينها . وفى رواية لمسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم ؛ لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن

(٢) المعاشر والمخالط ولا سيما الزوج .

العشير ؛ فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين فى ثوب بلال من أقرطتهن [٣] وخواتمهن .

ولا يعيب المرأة أن يكون النقص فى أصل تكوينها وخلقتها ، لأنها لايد لها فيه ، وإنما هو لحكمة عالية أرادها العليم الحكيم ، ليكتب على الرجل ولايتها ورعايتها ، وبذل الجهد فى إكرامها والإحسان إليها ؛ ومن أجل ذلك لم يحملها مالا طاقة لها به ، بل نهاها أن تتعاطى مالا تحسنه من كل مالا يتفق مع جبلتها وتكوينها . وقلما وليت أمراً ليس من شأنها إلا باءت هى وأنصارها بخسران مقيم ، وخزى أليم ! على أنها إذا تأملت فى هذا النقص وجدته من نعم الله عليها ، ورحمته بها إذ رفع عنها إصرا لا تقوم به ، ووزرا لا تحمله ، وقد يعوضها الله بصالح الأعمال ما تسبق به كثيراً من الرجال .

بقى الكلام على البشارة التى بشرهن بها النبى ﷺ ، وهى أن من أصيبت فى ثلاثة من أولادها فصبرت عند الصدمة الأولى واحتسبت راضية بقضاء الله وقدره ، فقد ضمن الله لها الجنة ، ووقاها عذاب النار .

واشترط بعض العلماء أن يكونوا صغاراً لم يبلغوا الحلم ، أخذاً مما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه ؛ قال : قال النبى ﷺ « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث [٤] إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » لأن الرحمة بالصغير أعظم ، والمحبة له أكثر ؛ ولكن لا يخفى أن المصيبة فى الكبير أقطع ، والفجيعة فيه أفظع ، والآمال به أعلق ، فإن لم يفق الصغير فى المثوبة فلا أقل من أن يساويه .

طمعت النساء فى فضل الله ، فسألن الرسول ﷺ ، وما أكثر تساؤلهن فى مثل هذا المقام ، أيكون هذا الفضل لمن أصيبت فى اثنين ؟ فأجابهن صلوات الله عليه بأنه ثابت كذلك لمن فجعت فى اثنين . بل أخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر بن سمُرة مرفوعاً « من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة ، فقالت أم أيمن : أو اثنين ؟ فقال : واثنين ، فقالت : وواحداً ؟ فسكت ، ثم قال وواحداً » . ولا عجب فى هذا عند من يعلم أن لا حرج على فضل الله عز وجل ، وكيف ؟ وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » . ففى هذا بشارة شاملة لكل من أصيب فى عزيز لديه ، من ابن بار أو أب رحيم ، أو أخ كريم ، فقابل المصاب بالصبر والتسليم ، والرضا بقضاء العليم الحكيم !

ودلت الأحاديث المتواترة على أن الرجل والمرأة فى هذه البشارة سواء ، وإنما قال ﷺ : « ما منكن امرأة » الخ لأن العظة كانت خاصة بالنساء .

* * *

البقية ص ٩٦

(٣) القرط : ما يعلق فى شحمة الأذن ، ذهباً كان أو غيره ، وجمعه قراط كرماح والأقرطة جمع الجمع .

(٤) الذنب ، والمراد لم يكلفوا فيكتب عليهم الحنث .

طرائف

على أى شىء

جاء إلى سفيان بن عيينة ابن اخيه ؛ فقال :

جئتك خاطباً ابنتك : فقال له عمه : كفء كريم ثم قال : اجلس فجلس .

قال يا بُنى : اقرا عشر آيات من كتاب الله تعالى فلم يستطع الشاب .

قال : ازو عشرة احاديث ، فلم يستطع الشاب .

قال : انْشُدْ عشرة ابيات من الشعر ، فلم يستطع .

فقال له سفيان : لا قرآن ولا حديث ولا شعر فعلى اى شىء اضع ابنتى عندك ؟

ثم قال له : لا اخيبنك ، وامر لَهُ باربعة آلاف درهم .

« أمهات »

يقال : أم القِرى للنار ، وأم النجوم للمجرَّة ، وأم خِتور للدنيا وهى من كنى الضبع ، وأم الطعام للحنطة ، وأم عامر للضبع ، وأم عوف للجرادة ، وأم طلحة للقملة ، وأم ملدم للحمى ، مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر ، وأم الخل للخمر ، وأم عبيد للمغارة ، وأم شملة للشمس لأنها تشمل الخلق بطلوعها ، وأم جابر للسنبلة ، وأم الندامة للعجلة ، وأم الفضائل للعلم ، وأم الرذائل للجهل .

« فضل العلم »

اخو العلم حى خالد بعد موته
واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على
الثرى يُظَنُّ من الاحياء وهو عديم

« تقدير العلماء »

دخل عروة بن الزبير بستاناً لعبد الملك بن

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

مروان ..

فقال عروة : ما أحسن هذا البستان !!!

فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه هذا يؤتى أكله كل عام ، وانت تؤتى أكلك كل يوم .

« لم لحنت ؟ »

دخل الشعبى على الحجاج فقال له : كم عطاءك ؟

قال : ألفين .

قال : ويحك : كم عطاؤك ؟

قال : ألفان .

قال : فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك ؟

قال : لحن الأمير فاعرب انا عليه فاكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول قبله .

فاعجبه ذلك منه ووهبه مالا .

« حقا »

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن
إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة
وقد شبعت فيها بطون البهائم

« سياسة الدنيا وسياسة الدين »

قال أبو العباس محمد بن يزيد : قسم كسرى أيامه فقال :

يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج .

قال الحسين بن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1] . ولكن نبينا - ﷺ - قد جزا

(١) الروم ٧ .

طرائف ومواقف

نهاره ثلاثة أجزاء : جُزْء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة وكان يقول : أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فإنه من أبلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله ـ تعالى ـ يوم الفزع الأكبر ..

« زهر الآداب »

« دعـــاء »

أرجوك يارب فى الدارين ترحمنا
بجاه من بيده سبح الحجر
يارب أعظم لنا أجراً ومغفرة
فإن جودك بحر ليس ينحصر

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم "بقية"

والاقتصادية والصحية و ... وأن يجتهدوا فى تفسير ما أثاره القرآن الكريم من قضايا العلم فى ظل الثابت من حقائقه ، مثل حقيقة أن الصيحة تحدث وقد تكون قاتلة ، وأن الحد من الضوضاء واجب ، حتى يلمس الناس عن يقين وبينة إن القرآن الكريم معجزة كل العصور ، لا يقف إعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات .

إن موجات الضغط الجوى الناجمة عن الصيحات العظيمة مثل ما يحدث عند انفجار بركان ، أو سقوط ينزك جبار يَرُج الأرض ، أو الانفجارات الذرية أو النووية ، كلها إنما تنتشر فى الهواء بسرعة عظيمة مثل سرعة انتشار الصوت وانتقاله ، فتصل إلى نحو ٣٢٠ متراً فى الثانية .

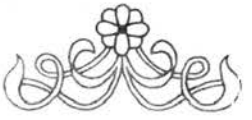
وإن جميع الدراسات والتفاصيل التى تهم الدول منذ تفجير الأسلحة الذرية أو النووية تدور حول الحد من آثارها وأضرارها قدر المستطاع .

وقد تبين أن موجات التضاغط تراوحت مدة ذبذبتها بين دقيقة واحدة ودقيقتين ، مما يلقى الضوء على التفسير العلمى لكلمة (صيحة) . أما مستوى الطاقة الجبارة المنبعثة فهو يسمح بالقتل وبالتدمير والتخريب مالم يتم التفجير على بعد مناسب تحت سطح الأرض .

والله تعالى أعلم
وللحديث بقية

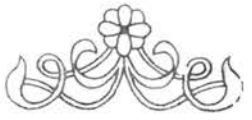
اللغة والأدب والنقد

مع لا الناهية في القرآن الكريم



حول زوجات الرسول

صلى الله عليه وسلم



هل هو التجني على الشيخ المرصفي

مع لا الناهية في القرآن الكريم

« لا » تستعمل استعمالات كثيرة وهى تتردد بين النفى والنهى وقد تاتى زائدة ، وسوف نحصر دراستنا هذه فى « لا » الناهية وهى التى لطلب الترك ، ويعبر عنها « بلا » الناهية ، وتختص بالدخول على المضارع وتقتضى جزمه واستقباله .

قال سيبويه[1] « ولا » فى النهى وذلك قولك : لا تفعل فإنما هو بمنزلة لم ، وهذا النهى قد يكون موجهاً ـ فى الغالب للمخاطب أو الغائب كما ورد فى القرآن الكريم قال المبرد[2] (فأما حرف النهى فهو « لا » وقد يقع على فعل الشاهد والغائب ، وذلك قولك : لا يقم زيد ، ولا تقم يا رجل ، ولا تقومى يا امرأة ، وتقول لا يقم زيد ولا يقعد عبد الله إن عطفت نهيا على نهى . وإن شئت قلت : لا يقم زيد ، ويقعد عبد الله وهو بإعادة « لا » أوضح ، وذلك لأنك إذا قلت : لا يقم زيد ، ولا يقعد عبد الله تبين لك أنك قد نهيت كل واحد منهما على حياله . وإذا قلت : ويقعد عبد الله بغير « لا » فهذا وجه) وقال الرضى[3] (و« لا » المطلوب بها الترك وهى تجزم بخلاف « لا » فى النفى . و « لا » النهى تجىء للمخاطب والغائب على السواء ولا تختص بالغائب كاللام . وقد جاء فى المتكلم قليلاً كلام الأمر وذلك قولهم لا أرينك هاهنا ، لأن المنهى فى الحقيقة ها هنا هو المخاطب أى لا تكن هنا حتى لا أراك) .

ومفهوم النهى هو الترك وهذا حقيقى فيما إذا صدر الأمر به من الأعلى للأدنى فإذا صدر من الأدنى لم يكن نهياً وإنما يصير دعاء ، قال سيبويه[1] : واعلم أن « لا » فى الدعاء بمنزلتها فى الأمر والنهى ، وذلك قولك : لا يقطع الله يمينك ، واعلم أن الطلب من النهى بمنزلته من الأمر ، يجرى على لفظِهِ كما

(١) الكتاب ١ : ٤٠٨ بتصرف

(٢) المقتضب ٢ : ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) الكافية : ٢ : ٢٥٢

جرى على لفظِهِ ، ألا ترى أنك لا تقول : نهيتُ من فوقى لكن طلبت إليه وذلك قولك : لا يقطع الله يد فلان ولا يصنع الله لعمرو فالمخرج واحد والمعنى مختلف .

وينجزم الفعل فى جواب النهى كما ينجزم فى جواب الأمر فلو قيل على هذا « لا تَدنُ من الأسد يأكلْك كان محالا ، لأنه إذا قال لا تدنُ فإنما هو أمر بالتباعد فيكون : تباعد ، فَتَبَاعُدُهُ منه لا يكون سبباً لأكله إياه ، ولكن إذا رفع الجواب « يأكلُك » جاز فيكون المعنى : لا تدنُ من الأسد ثم قال إنه مما يأكلك .

استعمالات لا الناهية

لا لنهى المتكلم : وهذا نادر لأن أمر الشخص ونهيه لنفسه غير مألوف ومخالف للواقع وقد جاء فى قراءة شاذة فى قوله تعالى ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهادةَ اللَّهِ ﴾[٤] فقد قرأ الحسن والشعبى بجزم نكتم ، نهيا أنفسهما عن كتمان الشهادة ولا ناهية للمتكلم ، ودخول لا الناهية على المتكلم قليل ومثله قول الوليد بن عقبة (أو الفرزدق) يعرض بمعاوية ، والبيت من « الطويل » :

إذا ماَ خرجنَا من دمشقَ فلا نَعُدْ
لها أَبداً مادَام فيها الجَرَاضِمُ

وقول النابغة ؛ وهو من « البسيط » :

مردفاتٍ على أعقاب أكوار
لا أعرفَنْ رَبْرَباً حُوراً مدامِعُها

وهذا النوع مما أقيم فيه السبب مقام المسبب والأصل لا تكن هناك فأراك لأن المنهى فى الحقيقة هو المخاطب حتى قال الرضى : وقد جاء فى المتكلم قليلاً ومثله فى الأمر قوله ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[٥]

وأما جزمها الفعل المبنى للمفعول فكثير كقولك : لا أُخْرَجْ ولا نُخْرَجْ ، لأن المنهى عنه غير المتكلم وهو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلم ، والأصل لا يخرجنى ولا يخرجنا أحد فلما حذف الفاعل بنى الفعل للمجهول ومن ذلك قول زهير بن أبى سلمى ، من « البسيط » :

ياحَارِ لا أُرْمَيْنْ منكم بداهية
لم يلقَها سوقةٌ قبلى ولا ملكُ[٦]

لا الناهية : تستعمل فى الدعاء إذا كان الكلام بها صادراً من الأدنى للأعلى فالإنسان يدعو ربه راجياً منه أن يجنبه صفة ذميمة أو وضعاً مهينا ولا يسمى الطلب بها عندئذ نَهْياً ، وإنما يسمى دعاء ورجاء . وقد جاء ذلك كثيراً قال سيبويه[٧] : (واعلم أن لام

←

(٤) سورة المائدة ١٠٦ وراجع البحر ٤ : ٤٤ ومختصر الشواذ لابن خالويه ٣٥ .
(٥) سورة التوبة ١٢٣ والمعنى وأغلظوا عليهم ليجدوا ذلك .
(٦) الشاهد : لا أرمين حيث جزم محلاً بلا الناهية وهو للمتكلم مبنى للمجهول . راجع ابن يعيش ٢ : ٢٢ ، الهمع ١ : ١٦٤ الديوان ١٨٠ .
(٧) الكتاب ١ : ٤٠٨

مع " لا " الناهية

الأمر و « لا » فى الدعاء بمنزلتهما فى الأمر والنهى ، وذلك قولك : لا يقطع الله يمينك ، وليَجْزك اللهُ خيراً) وقال المبرد[٨] (والدعاء يجرى مجرى الأمر والنهى . وإنما سمى هذا أمراً ونهياً ، وقيل للآخر طلب للمعنى أما اللفظ فواحد ، وذلك قولك فى الطلب اللهم اغفر لى ، ولا يقطع الله يد زيد .. فإنما تقول :

سألت الله ولا تقل أمرت الله) وقد جاءت للدعاء فى مواضع كثيرة منها الآيات التالية قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[٩] ومثله قول مالك بن الريب من « الطويل » :

يقُولُون : لَاتَبْعِدْ وَهُمْ يدفنوننى
وأين مكان البعد إلا مكانيا

وقول رجل من بكر بن وائل من « الوافر » :

فلا تشلل يدٌ فَتَكَتْ بعَمْرو
فإنك لن تذل ولن تُضَاما (وافر)

ومثل ذلك الآيات ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا[١٠] ﴾ ﴿ وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[١١] ـ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [١٢] ـ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [١٣] ـ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [١٤] ـ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ[١٥] ـ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُواْ [١٦]) وهذا كله من باب الاستعطاف وأن يجنبهم الله أن يكونوا من هؤلاء الذين عضب الله عليهم فظلموا أنفسهم أولاً وظلموا غيرهم أو أن يجعلهم من الكافرين الذين كفروا بنعم الله فعبدوا غيره مع أنه المستحق للعبادة ثم رجوا ربهم أن ينزع الغل على المؤمنين من قلوبهم فلا يجعل فيها موجدة عليهم ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْداً

(٨) المقتضب ٢ : ٤٢

(٩) سورة البقرة ٢٨٦ وهذا على إضمار القول : أى قولوا فى دعائكم لا تؤاخذنا ... الخ

(١٠)سورة آل عمران ٨ ويحتمل أن يكون هذا من جملة القول السابق وكأنهم لما رأوا انقسام الناس إلى زائغ ومتذكر مؤمن دعوا الله ألا يزيغ قلوبهم بعد هدايتهم ويحتمل أن يكون تعالى علمهم هذا الدعاء والتقدير عليه قولوا ربنا . والإزاغة هنا الضلالة . القراءات : قرأ الجمهور « لاتُزِغْ قُلُوبَنَا » وقرأ الصديق وأبو قائلة والجراح « لاتَزِغْ قلوبنا» . وقرأ بعضهم « لايَزِغْ قُلُوبَنَا » جعله من زاغ وأسنده إلى القلوب وظاهره نهى القلوب عن الزيغ وإنما هو من باب لا أرينك ههنا أى لا تزغنا فتزيغ قلوبنا راجع البحر ٣ : ٣٨٦ العكبرى ١ : ١٢٤

(١١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(١٢) سورة الأعراف ٤٧

(١٣) سورة يونس ٨٥ .

(١٤) سورة المؤمنون ٩٤ طلب ألا يجعله فى القوم الظالمين على إطلاقه ليشمل الدنيا والآخرة .

(١٥) سورة الممتحنة ٥ ـ وقال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيسبوننا ويعذبوننا .

(١٦) سورة الحشر ١٠ ـ وقد دعوا الله أن ينزع الغل من قلوبهم فلا تحمل موجدة على مؤمن .

وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (١٧) ﴾ فقد دعا ربه أن يرزقه ولداً يرثه ثم رد أمره إلى الله فقال : « وأنت خير الوارثين » أى إن لم ترزقنى من يرثنى فأنت خير وارث ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً (١٨) ﴾ أى لا تذر أحداً من الكافرين فهذا دعاء عليهم بالإهلاك الشامل .

ومنه دعاء هارون ورجاؤه لأخيه موسى عليهما السلام فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ فقد سأل أخاه أن يترك ما يسر المرتدين من قومه بما هم أنْ يفعله به فيكون ملوماً من موسى ومن قومه ، وبدأ أولاً بسؤال أخيه ألا يشمت به الأعداء لأن ما يوجب الشماتة هو فعل مكروه ظاهر لهم فيشمتوا به فبدأ بالأوكد ثم سأله ألا يجعله ولا يعتقده واحداً من الظالمين ، إذ جعله معهم واعتقاده من جملتهم هو فعل قلبى وليس ظاهرا لبنى إسرائيل ، أو يكون المعنى ولا تجعلنى فى موجدتك على قريناً لهم مصاحباً لهم فى ظلمهم .

استعمالات لا الناهية فى النهى :

إذا أريد بـ « لا » النهى تنوع أدائها له حسب المقام الذى أريد بها اقتحامه فقد يكون النهى (مباشراً) موجهاً إلى من أريد نهيه عن شىء وقد يكون (غير مباشر) كما أنه قد يكون (عاماً) أو مراداً به العموم حتى وإن وجه على سبيل الخصوص ، وقد يكون (خاصاً) وهى فى هذه الحالة قسمان : إما أن يراد به الخصوص أو يراد به العموم ، وتتضح هذه الأمور بدراستنا لأساليب النهى التى سيقت من أجلها « لا » الناهية :

١ ـ لا الناهية : تستعمل للنهى عن قربان الشىء وهو أبلغ من النهى عن فعله فقوله

(١٧) سورة الأنبياء ٨٩ ـ أى لا تذرنى وحيداً بلا وارث .

(١٨) سورة نوح ٢٦ .

(١٩) سورة الأعراف ١٥٠ ـ وقد قرأ ابن محيصن « تَشْمِتْ بِى الْأَعْدَاءَ » وقرأ مجاهد « تَشْمَتْ بِى الأعداء » وخرج ابن جنى قراءة مجاهد على أن يكون الفعل لازماً والمعنى فلا تشمت أنت بى فتشمت بى الأعداء فحذف الفعل ـ وجاز هذا كما قال « الله يستهزىء بهم » ثم عاد فأضمر فعلاً نصب به الأعداء كقراءة الجماعة « فَلَا تُشْمِتْ بِى الْأَعْدَاءَ » وهذا خروج عن الظاهر وتكلف فى الإعراب يجب الا نخرج عليه القرآن لأنه قد روى تعدى شمت لغة فلا يتكلف لزومها مع نصب الأعداء . أما قوله « الله يستهزىء بهم » فهو فى مقابلة « إنما نحن مستهزئون » فقال : الله يستهزىء بهم ـ وكقوله « ويمكرون ويمكر الله » ولا يجوز ابتداء من غير مقابلة . وقرأه حميد بن قيس « تَشْمِتْ بِى الْأَعْدَاءَ » فجعله لازما أيضاً والظاهر أنه نهى للأعداء عن الشماتة به ويدخل فى باب نهى المتكلم فهو من باب « لا أرينك هاهنا » والمراد نهيه أخاه : أى لا تحل بى مكروها فيشمتوا فالنهى فى اللفظ للأعداء وفى المعنى لغيرهم وهو موسى عليه السلام ـ البحر ٤ : ٣٩٦ العكبرى ١ : ٢٨٥ .

← مع " لا "الناهية

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى (٢٠)﴾ أبلغ فى النهى من قول القائل لا تصلوا وأنتم سكارى لأنه سبحانه وتعالى بقوله (لا تقربوا) بالغ أشد المبالغة فى النهى عن أن يصلى المؤمن وهو سكران ، ولذا فالخطاب موجه إلى المؤمنين الصالحين ؛ لأن السكران إذا عدم التمييز بسكره ليس بمخاطب ، لكنه مخاطب إذا صحا بامتثال ما يجب عليه وبتكفير ما ضاع فى وقت سكره من الأحكام التى تقرر تكليفه إياها قبل السكر . وهذه الآية محكمة عند الجمهور . وذهب ابن عباس إلى أنها منسوخة بآية المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . المائدة ٩٠

والصحيح أن هذه الآية لم تنزل فى إباحة الخمر فلا تكون منسوخة ولا أباح بعد إنزالها مجامعة الصلاة مع السُّكْر لأن فى ذلك تخليطا فى الصلاة التى هى رأس العبادة بسبب شرب الخمر ولقد وجب تخليص الصلاة من شوائب الكفر التى توقعها على غير وجهها لذا أمر الله تعالى بإتيانها على وجهها دون ما يفسدها ليجمع لهم بين إخلاص عبادة الحق ومكارم الأخلاق وفى هذا غاية الامتثال لأمر الله بترك مالم يحرم قبل تحريمه وفى ذلك نهى عن السُّكْر عامة ؛ لأن الصلاة فرضت عليهم بأوقات محددة وأوقات السُّكْر ليست محفوظة عندهم ولا بمقدرة ، لأن السكر قد يقع بالقليل وبالكثير ولذا وجب ترك الشرب احتياطا حفاظاً على ما فرض عليهم من الصلاة ـ ومنه قوله

(٢٠) سورة النساء ٤٣ ـ وقيل لا تقربوا مواضع الصلاة فحذف المضاف والصحيح أنه لا حذف والمعنى على ما أوردناه ـ وجملة « وأنتم سكارى » حال من واو الجماعة فى « تقربوا » الواقع فاعلاً . سكارى : جمع سكران ، ويجوز ضم سينها وفتحها وقرىء ايضا « سُكْرَىَ » بضم السين وفتحها .

« سكارى » بضم السين قراءة الجمهور واختلفوا أهو جمع تكسير أم اسم جمع ، ومذهب سيبويه أنه جمع تكسير قال « الكتاب ٢ : ٢١٢ » وقد يكسرون بعض هذا على فعالى وذلك قول بعضهم سُكَارَى وعُجَالَى بضم الفاء ومنهم من يقول « عَجَالى » وقال ابن الباذش اسم جمع وهو القياس ، وحكى السيرافى فيه القولين ، ورجح أنه تكسير وهو الصحيح .

« سَكَارَى » بفتح السين قرأت فرقة فهو كندامى وهو جمع تكسير . وليست فى المتواتر وقرأ النخعى « سَكْرَىَ » فاحتمل أن يكون صفة لمؤنث كامرأة سكرى ولجماعة نحو أنتم جماعة سَكْرَىَ ، وقال ابن جنى جمع سكران على سكرى كقولهم هلكى وميدى جمع هالك ومائد وقرأ الأعمش « سُكْرَىَ » بضم السين على وزن حبلى ويخرج على أنه صفة لجماعة أى وأنتم جماعة سكرى . وهو شاذ .

تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا[٢١] ﴾ ومن ذلك قوله تعالى :

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا [٢٢] ﴾ فى النهى عن القربان منعهم من دخوله والطواف به بحج أو بعمرة أو غير ذلك كما كانوا يفعلون فى الجاهلية وهذا النهى من حيث المعنى متعلق بالمسلمين أى لا يتركونهم يقربون المسجد الحرام والظاهر أن النهى مختص بالمشركين وبالمسجد الحرام .. وهذا مذهب أبى حنيفة وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد الحرام وغيره . وقال الزمخشرى إن معنى « فلا يقربوا المسجد الحرام » فلا يحجوا ولا يعتمروا ويدل عليه قول « علىّ » حين نادى ببراءة « لا يحج بعد عامنا هذا مشرك » ولا يمنعون من دخول المسجد الحرام وسائر المساجد عند أبى حنيفة . وقال الشافعى هى عامة فى الكفار خاصة فى المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين فى سائر المساجد . وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ، ومنع من دخول الجميع فى جميع المساجد . وقال عطاء المراد بالمسجد الحرام : الحرم وإن على المسلمين ألا يمكنوهم من دخوله . وقوله تعالى ﴿ فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى ←

(٢١) سورة البقرة ١٨٧ ـ والفاء عاطفة على محذوف أى تنبهوا فلا تقربوها ـ والنهى عن القربان للحدود أبلغ من النهى عن الالتباس بها وهذا كما قال ﷺ أن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه » والرتع حول الحمى وقربانه واحد . وقيل معنى لا تقربوها لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم .

وجاء هنا « فلا تقربوها » وفى موضع آخر « فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله ـ ومن يعص الله ويتعد حدوده » لأنه غلب هنا جهة النهى وما كان منهيا عن فعله كان النهى عن قربانه أبلغ ـ وأما « فلا تعتدوها » فقد جاء عقب بيان عدة الطلاق وذكر أحكام العدة الإيلاء والحيض فناسب أن ينهى عن التعدى وهو مجاوزة الحد الذى حده الله فيها وكذا « ومن يعص الله » جاء بعد بيان أحكام المواريث وذكر الأنصباء والنظر فى أحوال الأيتام وبيان عدد ما يحل من الزوجات فناسب أن يذكر عقيب ذلك كله التعدى وهو مجاوزة ما شرعه الله من هذه الأحكام إلى مالم يشرعه . البحر ٣ : ٥٤ العكبرى ١ : ٨٣ .

(٢٢) سورة التوبة ٢٨ ـ وقال الجمهور : والمشرك من اتخذ مع الله إلها آخر وعلى أن أهل الكتاب ليسوا بمشركين ، ومن العلماء من أطلق عليهم مشركين لقوله تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به » أى يكفر به .

القراءات : « نَجَسٌ » قرأ الجمهور بفتح النون والجيم وهو مصدر نَجَسَ نَجَساً أى قذر قذراً والظاهر الحكم عليهم بأنهم ذوو نجس .

وقرأ أبو حَيْوة « نِجْسٌ » بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف أى جنس نجس أو ضرب نجس وهو اسم فاعل من نجس فخففوه بعد الاتباع مثل كبد وكرش . وقرأ ابن السميفع « أنجاس » فاحتمل أن يكون جمع نجس المصدر كما قالوا أصناف ، واحتمل أن يكون جمع نجس اسم فاعل .

مع " لا " الناهية

يَطْهُرْنَ (٢٣)﴾ « لا تقربوهن » كناية عن الجماع ومؤكد لقوله « فاعتزلوا النساء فى المحيض » وظاهر الاعتزال والقربان إنهما لا يتماسان ولكن بينت السنة أنه اعتزال وقربان خاص وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (٢٤)﴾ أى اتركوا ظاهرها وباطنها فظاهرها الزنا وباطنها اتخاذ الأخدان .

وقيل ظاهره ما نَصَّ الله على تحريمه بقوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (٢٥)﴾

والباطن الزنا ، وقيل ظاهره عمل الجوارح وباطنه عمل القلب من الكيد والحسد والعجب وسوء الاعتقاد وغير ذلك من معاصى القلب . والظاهر أن ما ذكروه يدخل فى هذا العموم . ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ (٢٦)﴾ وهذا نهى عن القرب الذى يعم جميع وجوه التصرف وفيه سد للذريعة ، ولما كان اليتيم ضعيفاً عن أن يدفع عن ماله لصغره ، نص على النهى عن قربان ماله . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٢٧)﴾ وهذا نهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهى عن الزنا ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٨)﴾ نهاهما عن القربان وهو أبلغ من أن يقع النهى عن الأكل لأنه نهى عن القربان فكيف يكون الأكل منها والمعنى لا تقرباها بالأكل لأن الإباحة وقعت فى الأكل . وفى نهى الله آدم وزوجه عن قربان الشجرة دليل على أن سكناهما فى الجنة لا تدوم لأن المخلد لا يؤمر ولا ينهى ولا يمنع من شىء . .

(٢٣) سورة البقرة ٢٢٢ ـ وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر والمفضل عنه « يَطَّهَّرْنَ » بتشديد الطاء والهاء وأصله يتطهرن . وقرأ الباقون من السبعة « يَطْهُرْنَ » مضارع طهر . وفى مصحف أنس ـ تفسيراً ـ « ولا تقربوا النساء فى محيضهن واعتزلوهن حتى يطهرن » ورجح الفارسى يطهرن بالتخفيف إذ هو ثلاثى مضاد طمث ، ورجح الطبرى ـ التشديد وقال هى بمعنى يغتسلن لإجماع الجميع على أنه حرام على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر وإنما الخلاف فى الطهر ما هو . وقراءة التشديد معناها حتى يغتسلن . وقراءة التخفيف معناها ينقطع دمهن قاله الزمخشرى وقال ابن عطية كل واحد من القراءتين يحتمل أن يراد به الاغتسال بالماء وأن يراد انقطاع الدم وزوال أثره . راجع البحر : ٢ : ١٦٨ العكبرى ١ : ٩٤ .

(٢٤) سورة الأنعام ١٥١ والفواحش جمع فاحشة وهى كل ما حرم الله فعله من المعاصى « ماظهر منها ومابطن » بدل من الفواحش بدل اشتمال ومنها فى موضع الحال من ضمير الفاعل . البحر ٤ : ٢١٢ : ٢٥٢ العكبرى ١ : ٢٦٥ ، ٢٧٢ .

(٢٥) سورة النساء ٢٣ .

(٢٦) سورة الأنعام ١٥٢ والإسراء ٣٤ . وراجع البحر ٤ : ٦/٢٥٢ : ٣٤ .

(٢٧) سورة الإسراء ٣٢ .

(٢٨) سورة البقرة ٣٥ والأعراف ١٩ .

أنفسنا فى أمن وسلام . ثم يقول : ولما رأت البلاد المجاورة لدمشق صلحها الرائع مع العرب أسرعت تنسج على منوالها ، فعقدت عدة معاهدات أصبحت بها تابعة للعرب ، وظفرت بالأمن والاطمئنان .

ويعارض آرنولد فقهاء المسلمين المتأخرين فى فهمهم « نظام الجزية » واعتبارها ضريبة على الرأس ، لأن هناك من الشواهد ما يدل على أن العرب الفاتحين أبقوا على النظام المالى الذى وجدوه سائدا فى البلاد من قبل . وقد أَعْفَوْا منها قبيلة الجراجمة لأنها سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عونا لهم كما أَعْفَوْا منها من دخل فى خدمة الجيش الإسلامى ، وقد شغل النصارى وظائف كبيرة فى الدولة الإسلامية وتوسع الخليفة معاوية فى الحاقهم بخدمته وحذا حذوه خلفاؤه ونجد الأمر كذلك فى عهد أبى جعفر المنصور العباسى والمعتصم بن الرشيد حتى فى العهد التركى العثمانى .. كل ذلك ينفى وجود أى تعصب فى الإسلام .

وآرنولد حريص على ذكر التسامح الإسلامى فى كل بلد يتحدث عنه ، وذلك ردا على من يتهمون الإسلام بالتعصب ، ومن الأدلة القوية لديه أن كنائس النصارى باقية فى جميع البلاد التى فتحها المسلمون ، ولو كان ثم تعصب ضدهم ما بقيت كنيسة واحدة ، وإنما كان التعصب ضد المسلمين ، فالبلاد التى غلب عليها النصارى أسبانيا وصقلية وبلاد البلقان واليونان .. مُحِيَتْ منها المساجد نهائيا ، وكان الرجل لا يقف فى صقلية بجانب مسجد إلا وهو يرى المسجد الآخر ، ومع هذا التحامل على المسلمين فى البلاد الأوروبية لم يتحرش المسلمون بالنصارى فى البلاد الشرقية .

والحديث عن كتاب « دعوة الإسلام » يستدعى مقالات مطولة ، ولكنى أدعه لأذكر أن آرنولد هو صاحب فكرة إنشاء التراث ـ ومنها تراث الإسلام وتراث مصر . وكانت هذه آخر أعماله وقد أعد موضوعات « تراث الإسلام » وكون الجماعة التى تقوم عليها سنة ١٩٢٩ ، وقبل أن تقدم للطبع وافته منيته ، فاضطلع بهذا العبء الفريد جيوم ، وبعد أكثر من أربعين عاما قام المستشرق الألمانى « جوزيف شاخت » بإخراج سلسلة « تراث الإسلام » على نسق أختها السابقة . وقد ناله المصير المحزن نفسه ، فبعد إعداد موادها واختيار الأعضاء الذين يسهمون فى إخراجها ، وقبل تقديمها إلى المطبعة فارق هو الحياة الدنيا إلى لقاء ربه ، ولكن السلسلة ظهرت وترجم منها إلى الآن ثلاثة أجزاء ، ولا يستغنى الباحث الإسلامى عن أى منهما ، بل لابد منهما معا .

وآثار آرنولد الفكرية من التأليف والتعليق والترجمة والنشر والموازنة بين الأديان وتحقيق المخطوطات .. كل ذلك مما لا يتسع له هذا الحديث ، وهو بهذا جدير بالمحبة من كل منصف .

د / عبد الجليل عبده شلبى

على هامش النقد

حول زوجات الرسول

صلى الله عليه وسلم

فى أخبار ٢٠ من رمضان ١٤٠٧ هـ الموافق ١٨ من مايو ١٩٨٧ م كتبت مقالاً دار حول السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها ، سلكت فيه سبيل التعريف والتنويه حتى أصحح هفوات يقع فيها كتاب السيرة فى هذه الأيام ، وفى مقدمة من أعنى بالرد عليهم وإسداء الصواب إليهم الدكتورة بنت الشاطىء ، لأنها فى مقام أستاذ الثقافة الإسلامية ولا سيما تاريخ أمهات المؤمنين ، والسيرة النبوية بوجه عام ، ولها تحقيقات رائدة ، حسبك منها « الغفران » لأبى العلاء المعرى ، فالقارىء ـ دارسا أو محققاً أو متأدباً ـ يجد جهداً مشكوراً ، وعملاً مذكوراً ، وريادة هادفة تعد نموذجاً للتحقيق القائم على العلم والتمحيص لذلك تجدنى فى « حديث رمضان » الذى تقدمه كل عام فى شهر الصوم أقرؤه وأنظر فى صحته أو الخطأ فيه ، لأن القراء يرون فيها حاملة العلم وفاحصة التاريخ ، ودامغة الحجة ، وأنا لا أسأم ما تقدمه من عام إلى عام ، وقد أكتب إليها مبيناً مازل فيه قلمها ، لأنه يعنينى فى المقام الأول ألا يخدش أسلوبها الجميل خطأ أو هفوة .

وفى مقالى هذا أسير على الدرب ، وأبين بعض أخطاء وقعت فيها فى « حديث رمضان » بجريدة الأهرام ، وقد أرسلت مقالة للقائم بالفكر الدينى ولم يشأ أن ينشر ما سقته من نقد وليس هو الحريص على مكانة الدكتورة بنت الشاطىء حين يمنع نشر ما يهدى إليها من عيوب أو شبه العيوب حتى نحصل مما تهدف إليه على التوجيه السليم ، والرأى السديد والحقيقة الناصعة وسأذكر المؤاخذات ، ومع كل مؤاخذة ما يقابلها من الصحة مدعومة بالتوثيق والمراجع المعتمدة وسأترك ما نشرته جريدة الأخبار ، وإليك ما نحن بصدده :

فى ١٣/٥/١٩٨٧ ـ حديث رمضان ، الإسلام فى موازين القوى ، جند الإسلام والتعبئة ليوم بدر . بالعمود الثانى فى المقال : مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة ـ أمها عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية ، والمراد بالمشى هنا هو السعى لنقض الصحيفة الظالمة التى منعت

قريشا من التعامل مع بنى هاشم بيعاً وشراء ونكاحاً .

أين الخطأ ؟

الخطأ فى نسبة أم سلمة إلى « عاتكة الهاشمية » لأن عاتكة الهاشمية أم أخويها لأبيها أبى أمية المخزومى وهما زهير وعبد الله ، وليست أما لأم سلمة .

ومن العجيب أن أم سلمة اسم أمها عاتكة أيضاً ، ولكنها من « كنانة » .

راجع الطبقات الكبرى لابن سعد فى حديثه عن زوجات الرسول - ﷺ .

وفى موضع آخر من المقال نفسه كتبت فذهب هشام إلى المطعم بن عدى فقال له : « يامطعم ، قد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف ، يعنى بنى عبد المطلب وبنى هاشم وأنت شاهد على ذلك ؟ » .

أين الخطأ ؟

فسرت البطنين بقولها : « يعنى بنى عبد المطلب وبنى هاشم » - والصواب : بنى المطلب وبنى هاشم ، والمطلب : عم عبد المطلب جد النبى محمد ﷺ .

وعبد المطلب اسمه « شيبة الحمد » فلما أحضره عمه من يثرب وهو يافع قال الناس « عبد المطلب » ولم يعرفوا أنه ابن أخيه هاشم ، وجرى « عبد المطلب » اسما له ولم يفترق المطلب وهاشم فى جاهلية ولا فى إسلام . ولهما أخوان : عبد شمس ومنه أمية وإخوته ، ونوفل ومن ذريته : المطعم بن عدى .

وفى ١٩٨٧/٥/١٥ - حديث رمضان فى موازين القوى . البدريون . جاء فى المقال للدكتورة بنت الشاطىء قولها : من الأنصار النقيبان : « سعد بن معاذ » الأوسى ، « وسعد بن عبادة » الخزرجى فى أصحاب العالية تجعل ذلك فى مقابلة البدريين من المهاجرين .

أين الخطأ ؟

الخطأ فى أنها جعلت سعد بن عبادة ممن حضر غزوة بدر مع أنه لم يحضرها ، ولكن التعبير بذكرهما راق لها فكان « النقيبان سعد بن معاذ .. وسعد بن عبادة » يمثلان القبيلتين ، ونحن نحب أن نقول : السعدين أو السعدان الأوسى والخزرجى ، ولكن بدراً لم تجمع بينهما .

يقول ابن سعد فى ترجمة سعد بن عبادة : « وشهد سعد العقبة مع السبعين من الأنصار - فى روايتهم جميعاً - وكان أحد النقباء الاثنى عشر فكان سيداً جواداً ، ولم يشهد بدراً ، وكان يتهيأ للخروج إلى بدر ويأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصاً .. » ثم يقول : « ولم يذكره أحد ممن يروى المغازى فى تسمية من شهد بدراً » ولكن الدكتورة بنت الشاطىء عز عليها ألا يكون من أهل بدر فألحقته بهم ، ولكنا نرد هذا القول بما ذكرنا .

حول زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

وفى ١٩٨٧/٥/١٧ ـ حديث رمضان ـ الإسلام فى موازين القوى ـ المشركون فى معسكر قريش يوم بدر ـ جاء فى المقال : « فكان أن خرج عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى الأموى من صف المشركين يختال ، ثم نادى مناديهم : يامحمد أخرج إلينا أكفاءنا ، فأخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب ، وابنى عميه : على بن أبى طالب ، وعتبة بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنهم .. » .

فى هذا الخبر ثلاثة أخطاء :

جعل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس من بنى أمية ، وأمية لم يلده وإن جمعهما « عبد شمس » .

وفى ذكر عقبة بن الحارث تجد الخطأين ، فالرجل اسمه « عبيدة » وهو من بنى المطلب لا بنى هاشم ، وقد يكون فى ذكر الحارث ما مال بالدكتورة نحو الخطأ ، لأن لعبد المطلب ولداً هو الحارث وهو أكبر بنيه .. فلنضع عبيدة فى نسبه ، وهو رجل لا يخفى مكانه فقد بارز فى بدر واستشهد .

وأنا حين أعمل على توضيح المواقف ، وإحقاق الحق ، وتمحيص الأخبار أساعد على إحياء التراث فى صورته الجميلة النبيلة الصادقة ، والله المعين .

السيد حسن قرون

مجلة الأزهر من خمسين عاما "بقية"

هذه صحيفة تصور لنا على الرغم من إيجازها مكانة المرأة في الإسلام ، وحدبه عليها ، وعنايته بتعليمها وإرشادها ، وحمايته لها من وخامة الابتذال والاختلاط ، وما يجران عليها من وبال وبلاء . ثم تبين لنا كيف استجابت المرأة فى الصدر الأول لدعوة الإسلام وتأدبت بأدبه ؟ فلم تعْدُ طورها ولم تجاوز حدها ، ولم تفكر يوماً أن تزاحم الرجل فيما كتب الله عليه من حقوق وأعباء ، وإن عملت على أن تكون معه فى الخير العام على سواء .

ولا نريد هنا أن نبين منة الإسلام على المرأة فيما فرض لها من حقوق وواجبات ، وفيما أنقذها من طغيان

وإنما الذى نريد ونرجو من المرأة فى عصرنا الحاضر أن تقرأ ، ولو على سبيل التسلية ، تاريخها فى الإسلام ، وعنايته بها ؛ فعسى إن فعلت أن تذكر نعمة الله عليها ، فتخفف من غلوائها ، وتقصد فى غيها ، وتتبين أنها كانت مخدوعة بمفاتن المدنية الحديثة وآثامها وشرورها !

وحينذاك تضع أكرم اللبنات وأقواها فى بناء أمتها وعزها ، وسعادتها وارتقائها ..

المجلد السابع عشر

هل هو التجنى على الشيخ حسين المرصفى ؟

د. إبراهيم عوضين

استطاع الشيخ حسين المرصفى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن يجتذب أنظار الدارسين وعقولهم بما اجتمع إليه من موهبة الفنان واستيعاب العالم ، وتمكن اللبيب الأريب حتى أجلس على عرش النقد الحديث ، وأقر له الجميع بمكانه الريادى فى التطوير الأدبى المتمثل فى التوجيهات الفعالة الصاقلة للموهبة الفنية عند شعراء العصر أمثال البارودى وشوقى .

ولكن بعض الدارسين الذين تناولوا الشيخ فيما بعد بالدراسة والتقويم ساءهم أن يسلم الأمر هكذا له من غير أن يكون هناك ما يؤخذ عليه أو يزحزحه عن مكان الريادة ، فحرصوا على افتعال المواقف والآراء التى تحقق لهم مرادهم ، سواء كان ذلك منهم عن قصد الإساءة إلى الشيخ ، أو عن قصد إبراز جهدهم النقدى وإمكاناتهم العلمية ، وسعة آفاقهم على حساب الأعلام .

وممن كتب عن الشيخ حسين المرصفى الأستاذ الدكتور محمد مندور صاحب الباع الطويل فى النقد الأدبى الحديث .

ولكن الدكتور مندور قدم الشيخ فى صورة مشوهة ، لا أدرى أكان ذلك منه عن قصد التشويه ، أم كان ذلك ناشئا عن العجلة فى تصيد خطأ للشيخ يحسب لدارسه وناقده ؟!

تناقض واضح

فى مقال للدكتور مندور عن الشيخ حسين المرصفى والوسيلة الأدبية(★) ذكر أن الشيخ سبق الدارسين والنقاد فى العصر الحديث إلى الوحدة العضوية فى القصيدة . ثم عاد فنقض ما قرر فى قوله :ـ

(★) نشر في مجلة (المجلة) العدد التاسع والعشرون مايو سنة ١٩٥٩ ص ٤٠ ، ٤١ .

« ... ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نزعم أن الشيخ حسين المرصفى قد جدد أصول النقد الأدبى على نحو ما فعل صاحبا (الديوان) ، وصاحب (الغربال) فيما بعد ، فالشيخ حسين نفسه لا يزال يقرر أن البيت مثلا وحدة شعرية مستقلة بذاتها ، حيث يقول فى مستهل حديثه عن الشعر : إنه كلام مفصل قطعا قطعا متساوية فى الوزن ، متحدة فى الحرف الأخير من كل قطعة ، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الأخير الذى تتفق فيه رويا وقافية ، وينفرد كل بيت بإفادته فى تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده ، وإذا أفرد كان تاما فى بابه ، فى مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل فى إفادته ، ثم يستأنف البيت الأخير كلاما آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن إلى فن ، ومن مقصود إلى مقصود ، بأن يوطىء المقصود الأول ومعانيه إلى أن يناسب المقصود الثانى ، ويبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشبيب إلى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ، ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والعزاء فى الرثاء إلى التأثر وأمثال ذلك .

ثم يعلق الدكتور مندور على ذلك بقوله :-

« ومن البين أن مثل هذا المنهج النقدى لا يخرج فى شىء عن منهج النقد التقليدى عند العرب ، وهو يعتبر اليوم قديما باليا بالنسبة إلينا ، بعد أن اتسعت آفاقنا النقدية ، وأصبحنا نبحث عن فلسفة الأدب وأهدافه ومصادره ووظائفه فى الحياة وفى خصائصه الجمالية ومبادئه الفنية وأصالته المتميزة .

موطن التناقض

وعلى الرغم من أن الدكتور مندور بذلك يومىء إلى أن الشيخ المرصفى وقع فى تناقض حين قال بالوحدة العضوية فى القصيدة ، وسار فى دراسته على أن البيت فى القصيدة ذو كيان مستقل ..

على الرغم من ذلك .. أرى أن الدكتور مندور هو الذى وقع فى التناقض فى قراءة الشيخ المرصفى أو فى تقويمه ، فالشيخ المرصفى ـ فى الفقرة التى أوردها الدكتور مندور ـ قدم وصفا للشعر عند العرب فى العصور السابقة ، وأبرز منهجهم فيه ، ولم يقدم رؤيته هو للشعر .

ولكن الدكتور جعل ذلك رأيا للشيخ فى الشعر يحسب عليه ، ويؤخذ به ، وينتقض بسببه ما ذكره تصريحا عن احتفاله بالوحدة العضوية للقصيدة .

ويبدو أن العجلة أذهلته عن التدقيق فى عبارة المرصفى فلم يميز بين رأيه فى الشعر ، ووصفه لرأى العرب فى الشعر .. أو أن الغرض دفعه إلى أن يحكم « بالكفر على ناقل الكفر » !

فلو كان هذا الذى نقله الدكتور مندور من كلام المرصفى يتضمن رأيه النقدى فى التعريف بالشعر لما كان هناك داع لأن يقول الشيخ :

« وتسمى كل قطعة من هذه القطعات (عندهم) بيتا .. » .

فكلمة (عندهم) هذه مفتاح كاشف ينبه إلى أن الشيخ لا يقوم رأيه هو ، وإنما يصف لتلاميذه منهاج الشعراء العرب السابقين الذين يرجع إليهم الضمير فيها ، حتى لا يغيب عن الناقد مفهوم الشعر عند العرب ، فيزن شعرهم بموازينهم ، لا بموازين العصر .

وليست كلمة (عندهم) فى عبارة الشيخ وحدها هى التى تشير إلى مقصوده هذا ، بل إن سياق العبارة كله يومىء إلى ذلك !

فالشيخ يقرر لتلاميذه أن الناقد الحقيق بهذا اللقب لابد له من موازين مختلفة تمثل أطوار الأدب فى بيئاته المتعددة ليزن نتاج كل بيئة بما يلائمه من الموازين النقدية .

وليس هو الذى يحمل ميزانا واحدا ليقيس به الأعمال الأدبية كلها مهما تباين أصحابها ، ومهما اختلفت البيئات ، وتباعدت الأزمان ..

والشيخ اقرارا لمنهجه الموضوعى فى النقد - يضع بين يدي تلاميذه مفهوم الشعر عند السابقين من الشعراء العرب وناقديهم ، بعد أن تعددت المفاهيم ، وأوشك الجديد منها أن يطغى على القديم ، مما يخشى معه وقوع الناقدين فى خطأ الخلط والاضطراب !

وليس أدل على ذلك من اعتراض الشيخ على تعريف العروضيين للشعر وقولهم : إنه الكلام الموزون المقفى ، وذلك قوله :

« وقول العروضيين فى الشعر إنه الكلام الموزون المقفى .. ليس بحد لهذا الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب ، والبلاغة ، والوزن ، والقوالب الخاصة . فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح (عندنا) ، فلابد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية ، فنقول : إن الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به .

ويبدو أن الدكتور مندور لم يتنبه إلى قيمة كلمة (عندنا) فى قول الشيخ هنا : « إن حدهم ذلك لا يصلح عندنا » كما لم يتنبه إلى قيمة كلمة (عندهم) فى عبارته السابقة ، ولذلك نراه ينقل اعتراض الشيخ المرصفى على تعريف العروضيين للشعر ليدلل به على أنه فطن إلى خاصية أساسية تميز الأدب عامة والشعر خاصة عن غيره من الكتابات ، وهى التصوير البيانى ، بدلا من التعريف الجاد .

ولو التفت الدكتور إلى القيمة البيانية لكلمة (عندهم) و (عندنا) لخلص نفسه من كل ذلك الاضطراب ، ولاجتنب الوقوع فى هذا التناقض ، ولما أصيب بتلك الحيرة ، التى نقلتها عبارته لقارئه فلا يدرى إن كان الدكتور لم يلتفت إلى الكلمتين فى تعبير الشيخ المرصفى عن غير قصد منه ، أو عن قصد .

وكم كنا نود ألا تقف دقة الدكتور ومذهبه النقدى دون إغفال قيمة هاتين الكلمتين أو التغافل عنهما ، حتى يتم له تقديم الشيخ المرصفى فى صورته الواضحة الجليلة خالصة من الشوائب حفاظا على مكانة الدكتور النقدية فى نفوس من تتلمذوا عليه ، أو تلقوا عنه !

الدكتور / ابراهيم عوضين
وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة

نظرات فى القوة الذاتية للإعلام فى بلاد المسلمين

بداية .. ينبغى ألا نغض من شأن أنفسنا ، فتعلو الصرخات والتحذيرات من ضعف الإعلام كأداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدول ، أو كأداة من أدوات التنمية فى بلاد المسلمين ، أو من ضعف القائمين بالاتصال والعاملين فى وسائل الإعلام وأجهزته فى بلاد المسلمين ، أو من المحتوى الإعلامى لإعلامنا .. فليس ما ينشر فى صحافتنا العربية والإسلامية كله شر ، وليس ما يذاع عبر الأثير من برامج ومواد إذاعية و« تليفزيونية » كله شر ، وليس العاملون فى مجال الإعلام فى بلاد المسلمين جميعاً غير أكفاء ..

هذه الحقائق لابد أن تكون واضحة أمامنا ونحن نتأمل قوة الإعلام فى بلاد المسلمين .

ولابد للباحث المنصف أن يبحث عن مواطن القوة ويستثمرها ويقويها ويبرزها ويلفت النظر إليها ويضعها تحت بصر المسئولين فى بلاد المسلمين .

ولابد للباحث المنصف أن يتفحص مواطن الخلل فى إعلامنا وأن يشخص الداء بروح محايدة ونفس خالية من الشكوك والظنون والتجريح ..

من أجل ذلك نطرح تلك النظرات فى إعلامنا الإسلامى لنعرف قوتنا الحقيقية فى مواجهة القوة الذاتية للإعلام المضاد لإعلامنا الإسلامى حتى ندعو إلى الله على بصيرة .

« الخريطة الاعلامية للعالم العربى »

١ ـ خريطة الإرسال اذاعى فى الدول العربية والاسلامية

توجد فى العالم العربى نحو ١٩٨ محطة إرسال رئيسية وإضافية موزعة على نحو « ١٥ » خمس عشرة دولة عربية بما فيها منطقة الصحراء المغربية كذلك يوجد نحو « ٢٥٦ » محطة إرسال « تليفزيونى » فى نحو « ١٢ » اثنتى عشرة دولة عربية .

١ ـ بمصر « ٢٨ » ثمان وعشرون محطة إرسال تليفزيونى بلغت حالياً « ٣٥ » خمسا وثلاثين محطة [١].

(١) حسب الخطة الإعلامية لعام ١٩٨٤/٨٣ .

بقلم :
حسن على العنيبسى

٢ ـ وبالجزائر « ١٨ » ثمانى عشرة محطة إرسال تليفزيونى بلغت عشرين محطة فى عام ١٩٨٤

٣ ـ السعودية « ١٢ » اثنتى عشرة محطة إرسال تليفزيونى بلغت « ٢٢ » اثنتين وعشرين محطة حسب إحصائية عام ١٩٨٤/٨٣ .

٤ ـ لبنان « ١١ » إحدى عشرة محطة إرسال تليفزيونى .

٥ ـ الكويت « ٨ » ثمانى محطات إرسال تليفزيونى .

٦ ـ اليمن الجنوبية « ٧ » سبع محطات إرسال تليفزيونى .

٧ ـ الأردن « ٦ » ست محطات إرسال تليفزيونى .

٨ ـ العراق « ٥ » خمس محطات إرسال تليفزيونى .

٩ ـ السودان « ٤ » أربع محطات إرسال تليفزيونى .

١٠ ـ قطر « ٤ » أربع محطات إرسال تليفزيوني (٢)

● ترى لو اجتمعت كل هذه القنوات الإعلامية على كلمة واحدة ألم تكن تكون رأياً عاماً لا يقف أمامه كيد عدو فضلاً عما فيه من تقوية وحدة الصف فى جبهة يعسر إرضاخها .

٢ ـ خريطة الصحافة فى العالم العربى

● فى العالم العربى نحو ١١٣٦ صحيفة يومية تطبع مليونى نسخة مثلاً : فى لبنان ٣٧ « سبعة وثلاثون » صحيفة ، السودان ٢٢ « اثنتان وعشرون » صحيفة ، مصر ١٤ « أربع عشرة » صحيفة ، المغرب ١١ « إحدى عشرة » صحيفة ، السعودية ٧ « سبع » صحف ، الكويت ٤ « أربع » صحف ، اليمن الجنوبية ٣ « ثلاث » صحف ، الصومال ٢ « ثنتان » . ولو اجتمعت هذه الصحف تحت « استراتيجية » إعلامية موحدة تتكامل فيما بينها ، لأزالت عن الوجود العربى كل العوائق التى تحول بينه وبين أمانيه ولنجحت كل قضاياه ، فإن العالم المعادى لوحدة المسلمين والعرب لا يستطيع مواجهة أكثر من مائة مليون عربى على قلب واحد وكلمة واحدة وليذكر إخواننا العرب هذا الأثر ، فإنه بقدر ما يعطيهم من فخر بقدر ما يطالبهم بالمسئولية :

إذا عز العرب عز الإسلام .

(٢) راجع تقرير اليونسكو « الحق فى الاتصال لسنة ١٩٨٥ » .

٣ ـ أما وسائل المواصلات بين الدول الإسلامية

● فهى ما تزال أبهظ وأغلى الأجور فى العالم فتجد أجور المسافات بين دولة ما وأخرى مسلمة تزيد بكثير عن مثيلتها بين دولتين غير مسلمتين .. !! ناهيك عن الحدود المفتوحة والحدود المغلقة بين الدول الإسلامية ، وما قد يترتب على اتصال فرد بإحدى الدول من بلاء ، قد يدخل فى نطاق الخيانة العظمى !! وهذا الوضع من التمزيق هو عين الرضا لأعداء المسلمين والإسلام .

● كذلك فإن عواصم النصرانية : « لندن وباريس وواشنطن » وما تبعها من إعلان مرتبط بمصالحها فى أوربا الغربية يشكل المصدر الأساسى لـ « ٨٠٪ » من الأخبار ، وإن العالم بمجريات الأمور ليكتشف :

كم من خبر مدسوس ، أو مبتور ، أو كاذب تتلقاها صحافة العالم العربى والإسلامى وتنشره لأنه من « رويتر » أو « فرانس برس » وهى فى الوقت نفسه تجهل ما ينبغى أن تتعاون فيه مع دولة إسلامية مجاورة .

٤ ـ وبالنسبة للبرامج الإذاعية

راديو ـ تليفزيون

فإن نحو ١٢ دولة إسلامية تتصدر التوجيه فى عالمنا الإسلامى تستورد ٥٠٪ من برامجها من الخارج وتقوم ببث وإذاعة هذه البرامج المستوردة عبر أجهزتها الإعلامية[٣] .

كما يوجد نحو عشر دول إسلامية تستورد ٦٠٪[٤] من برامجها من الخارج وتقوم ببث هذه المواد من خلال أجهزتها . كذلك يوجد نحو تسع دول إسلامية تستورد ٧٠٪ تقريباً من برامجها من الخارج ولا تنتجها محلياً وأربع دول إسلامية تستورد نحو ٨٠٪ وأكثر أى معظم المضمون الإعلامى من برامجها المذاعة وهى كلها من الخارج . وهذه الدول ليس من بينها دولة واحدة مسيحية .

أما المصدر الرئيسى للبرامج والمسلسلات فى بلادنا الإسلامية فهو للأسف من الولايات المتحدة الأمريكية حيث تبيع لهذه الدول نحواً من (١٠٠) ألف ساعة إلى (٢٠٠) ألف ساعة سنوياً !! وينبغى أن تعلم أن ما تصدره الولايات المتحدة وتبيعه لبلادنا الإسلامية يحمل قيماً واتجاهات ومفاهيم غريبة عن مجتمعنا الإسلامى ، ناهيك عن السم الذى تبثه فى هذه المسلسلات وتلك الأفلام فيتشربه شبابنا وأطفالنا !!

ويقلده مخرجو (الأفلام) ببلادنا الإسلامية فيزيدون الطين بلة .. والويل لنا إذا لم نفتح أعيننا جيداً ونحدد ما نقبله وما نرفضه ..!!

وترجع خطورة استيراد المضمون الإعلامى الترفيهى من مسلسلات أو (أفلام) أساساً

(٣) راجع لد . جيهان رشتى : التحديات والغزوات الإعلامية المعاصرة ـ بتصرف ـ بحث غير منشور ص ٧

(٤) نفس المصدر .

إلى ما فيها من إشباع « رغبات » وليس إشباع « حاجات » المشاهدين فى الدول التى يصدر إليها ، ثم إن هذا المضمون الإعلامى المستورد لا يتفق غالباً مع احتياجات مجتمعاتنا الإسلامية ، وأستطيع أن أجزم انه يضر بمسيرة عمليات التنمية فى بلادنا الإسلامية .. ويسبب مشكلات اجتماعية خطيرة .. وبهذا يحقق للبلاد المصدرة وكل الدوائر المعادية للإسلام استمرار السيطرة والهيمنة والنفوذ على شتى بلاد المسلمين فى العالم ..

فمثلاً من أخطر تأثيرات استيراد المسلسلات والأفلام الأمريكية والإنجليزية والفرنسية أنها تنمى وتطور الحوافز الاستهلاكية(٥) بين الشعوب الإسلامية وتعمل على خلق مجتمعات استهلاكية محضة تبنى حياتها على استخدام المصنوعات الأجنبية فتتعثر الصناعات الوطنية ويتدهور الاقتصاد الوطنى ..!!

ومع انتشار الرغبات الاستهلاكية للمواد الأجنبية وتفضيلها دائماً يتدهور الدخل القومى ، وتبدأ الجريمة والفساد فى الانتشار فى المجتمعات الإسلامية ، فضلاً عن طمس الهوية الإسلامية وطغيان الثقافات اللاأخلاقية على ثقافتنا القيمة الأصيلة وفى ذلك ما فيه من خطر على كيان المسلمين عامة ، وبث روح التهاون والازدراء على كل ما هو وطنى مهما تحسن إنتاجه مما يتسبب فى ضياع الملايين من الأرصدة أدراج الرياح .

القوة الحقيقية للإعلام فيما يعكسه من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية

قلنا فى بداية هذه الدراسة إن الإعلام لا ينطلق من فراغ ، وإن الإعلام لا يستطيع أن يحول الهزيمة إلى نصر .. لأنه يستمد قوته من الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. وكلما كانت الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية قوية كلما كان الإعلام قوياً ، وأكثر قابلية للتصديق وأكثر قدرة على المناورة ، وأكثر قدرة على انتزاع زمام المبادرة ..

ولمعرفة حجم القوة التى يعكسها الإعلام فى بلاد المسلمين لابد من معرفة الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى بلاد المسلمين،لأن هذه الأوضاع اتخذتها الدعايات المضادة للإسلام وسيلة لمحاربة الإسلام فقالوا : إن « الإسلام تخلف » بدليل أن كل بلاد المسلمين تقع فى عداد الدول الفقيرة وتحت حزام الفقر وقليل منها ، يقع فى عداد الدول النامية ونادراً ما نجد دولة مسلمة فى عداد الدول المتقدمة .

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد المسلمين

إنه على الرغم من استيلاء غير المسلمين على معظم وسائل الإعلام ، فإن ما بين أيدينا ←

(٥) ومن المواد الإعلامية الخطيرة التى تنمى الحوافز الاستهلاكية بشكل خطير الاعلان التليفزيونى وقد ثبت من بحوث الاعلام أن الاعلان هو المضمون الاعلامى الأكثر تأثيرا وهو الوحيد الذى يرتبط فيه القول بالسلوك

منها لا بأس به ، وقد عرضنا لبعض من هذه الوسائل فى دول إسلامية ، ولكن هذا البعض يظل عديم القيمة قليل الفائدة ، طالما أنه يسير فى اتجاهات متعارضة . بلا هدف واحد ، ولا تصحبه « استراتيجية » إسلامية عربية شاملة فى مواجهة طوفان الإعلام والأخبار والمعلومات القادم من الغرب .

سوف يظل ما بين أيدينا قليل التأثير ، ضعيف القابلية للتصديق ، قليل الانتشار طالما تتصارع فيما بينها الدول التى يعنيها الأمر .

وبالنظرة الموضوعية لأحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأحوال الدوائر المعادية للإسلام تكتمل الصورة وأضعها بين يدى المسئولين عن الدعوة والإعلام الإسلامى راجياً أن تكون لبنة لاتخاذ خطوات فعالة لرفع كلمة الله وتبليغها على أحسن وجه ..

ومن واقع الأرقام التى ذكرناها فى خريطة الإعلام فى العالم ، وفى الإعلام العربى نجد أن الأمر جد خطير .

ولقد ذكرت هذه الأرقام وتلك الإحصائيات ـ فى البداية ـ لنكون على علم بما يدور حولنا ، ولنعرف ـ أيضاً ـ حجم قدراتنا وإمكاناتنا لنعمل ونجتهد ونجد والله المستعان .

أغنياء ... وفقراء ... ومعدمون

● صنفت الجمعية العامة للأمم المتحدة دول العالم عام ١٩٧١ إلى ثلاث فئات :

دول متقدمة .. ودول نامية فقيرة ، ودول معدمة أو تحت حزام الفقر .

● فأما الفئة الأولى ـ أى المتقدمة ـ فتشكل (٢٥٪) من مجموع سكان العالم ، وتتمثل فى سبع وثلاثين (٣٧) دولة ، تعدادها (١١٠٠) مليون نسمة ، يندر أن يكون من أبنائها مسلمون .

● وأما الفئتان الثانية والثالثة فهى تشكل النسبة الباقية من سكان العالم ، أى (٧٥٪) ومجموع هذه الدول حسب التصنيف المتقدم تسع وثمانون (٨٩) دولة ، تعدادها (٣٠٠٠)[٦] مليون نسمة ، والنسبة الغالبة ـ فى هؤلاء ـ هى للأسف مسلمون برغم الثروات الطبيعية التى فى باطن الأرض تحت أقدامهم ، تلك الثروات التى لا يملك أدنى أدناها شعوب الفئة الأولى .

● وفى عام ١٩٧٧ حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدول الواقعة تحت حزام الفقر ـ المعدمة ـ بست وثلاثين (٣٦) دولة تقريباً ، وفى الجدول التالى أسماء هذه الدول[٧] .

(٦) راجع مجلة صحة العالم ، عدد يونيو ١٩٨٢ .

(٧) افقر دول العالم حسب بيانات الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٧٧

الدولة المعدمة			ب ـ آسيا
أ ـ أفريقيا			
١ ـ تشاد	١٠ ـ الحبشة	١٧ ـ بوتسوانا	١ ـ افغانستان
٢ ـ غينيا	١١ ـ غينيا بساو	١٨ ـ ليسوتو	٢ ـ بنجلاديش
٣ ـ مالى	١٢ ـ جزر القمر	١٩ ـ رواند	٣ ـ بهوتان
٤ ـ النيجر	١٣ ـ افريقيا الوسطى	٢٠ ـ چيبوتى	٤ ـ اليمن الشمالية
٥ ـ الصومال	١٤ ـ الراس الأخضر	٢١ ـ أوغندا	٥ ـ اليمن الجنوبية
٦ ـ السودان	١٥ ـ بورندى	٢٢ ـ غينيا الاستوائية	٦ ـ المالديف
٧ ـ جامبيا	١٦ ـ بنين	٢٣ ـ ساو تومى	٧ ـ نيبال
٨ ـ تنزانيا		٢٤ ـ سيشل	٨ ـ لاوس
٩ ـ فولتا العليا			٩ ـ اوقيا نوسيا
			١٠ ـ تونجا
			١١ ـ هايتى
			١٢ ـ ساوموا الغربية

الجدول التالى يبين نسبة الفقر بين السكان فى بعض الدول الافريقية والآسيوية حيث تعيش غالبية المسلمين(*)

افريقيا	السنة	دخل الفرد بالدولار فى العام باسعار عام ١٩٧٠	نسبة الفقر
١ ـ شمال نيجيريا	١٩٧٠ ـ ٧١ م	—	٪٥١
٢ ـ الصومال	١٩٧٦	٦٥	٪٧٠
٣ ـ غانا	١٩٧٠	٥٧ ـ ٧١	اكثر من ٥٠٪
٤ ـ سيراليون	١٩٧٧	٨٠	٪٥٥
٥ ـ تنزانيا	١٩٦٩	٤٣	٪٦٥
٦ ـ كينيا	١٩٧٤ ـ ٧٥ م	٥١	٪٤٠
٧ ـ مصر	١٩٧٤ ـ ٧٥ م	٨٧	٪٢٨

(★) عن كتاب الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين للدكتور نبيل صبحى الطويل ص ٣٠ .

آسيا	السنة	دخل الفرد بالدولار فى العام باسعار عام ١٩٧١	نسبة الفقر
٨ ـ اندونيسيا	١٩٧٧	٣٨	٪٨٠
٩ ـ ماليزيا	١٩٧٠	١١٥	٪٥٥
١٠ ـ بنجلاديش	١٩٧٥	٤٦	٪٧٤
١١ ـ الهند	١٩٧٥	٥١	٪٥٦
١٢ ـ الفيلبين	١٩٧٠	٨٩	٪٥٩
١٣ ـ إيران	٧٥ ـ ١٩٧٦ م	٩٢	٪٣٨

والجدول ـ كما نرى ـ غنى بالدرس والبيان . فهذه الدول فيما عدا دولة أو دولتين ـ يقطنها أغلبية ساحقة من المسلمين لا تكاد تمثل طوائف الأديان الأخرى بجانبها نسبة تذكر .

ولقد كانت إسرائيل خلف الأحداث فى الوقت المناسب عندما هدد الجفاف أثيوبيا فلم تترك يهود (الفلاشا) لزحف الجفاف ، بل زحفت سياستها لتتلقاهم بعيدا عن الصحراء ..

وكان درسا لمن يعى أو يريد نهوضا .

تراكم الديون الخارجية العامة لبعض دول العالم الإسلامى(★)

الدولة	عـــام ١٩٧٠		عـــام ١٩٨٠	
	المبلغ بالملايين بالدولار الامريكى	النسبة المئوية من اجمالى الناتج القومى	المبلغ بالملايين بالدولار الامريكى	النسبة المئوية من اجمالى الناتج القومى
١ ـ افغانستان	٤٥٤	ـــ	١٠٩٤	ـــ
٢ ـ باكستان	٣٠٥٩	٪٣٠,٥	٨٨٧٥	٪٣٤,٧
٣ ـ السودان(٨)	٣٠٨	٪١٥,٣	٣٠٩٧	٪٣٧,٢
٤ ـ اليمن الجنوبية	١	ـــ	٤٩٩	ـــ

(★) راجع الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ـ مصدر سابق ـ ص ٤٨ .

(٨) بلغت ديون السودان عام ١٩٨٢ (٧٨٠٠) مليون دولار .

الدولة	عـــام ١٩٧٠		عـــام ١٩٨٠	
	المبلغ بالملايين بالدولار الأمريكى	النسبة المئوية من اجمالى الناتج القومى	المبلغ بالملايين بالدولار الأمريكى	النسبة المئوية من اجمالى الناتج القومى
٥ ـ اندونيسيا[٩]	٢٤٤٣	٪٢٧,١	١٤٩٤٠	٪٢٢,٥
٦ ـ موريتانيا	٢٧	٪١٦,٨	٧١٤	٪١٣٩,٧
٧ ـ مصر[١٠]	١٦٤٤	٪٢٣,٨	١٣٠٥٤	٪٥١,٧
٨ ـ المغرب	٧١١	٪١٨	٧٠٩٨	٪٣٨,٦
٩ ـ نيجيريا	٤٧٨	٪٦,٤	٤٩٩٧	٪٥,٥
١٠ ـ تونس	٥٤١	٪٣٨,٢	٢٩٥٥	٪٣٣,٩
١١ ـ سوريا[١١]	٢٣٢	٪١٢,٨	٢٤٩٣	٪٢٠,١
١٢ ـ تركيا	١٨٥٤	٪١٤,٤	١٣٢١٦	٪٢٢,٤
١٣ ـ السنغال	٩٨	٪١١,٦	٩٠٦	٪٣٤,٩

وبعد :

فقد حاولت ـ قدر المستطاع ـ أن أدع الأرقام وحدها تتحدث دون تدخل بتحليل أو توجيه ، وما من شك فى أن القراءة فى أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية أمر يثير القلق والحزن ، ويدعونا للتفكير فى مصائر هذه الشعوب !!

والسؤال : أين الخلل .. ؟

لقد حبانا الله سبحانه موارد طبيعية ثرية : أنهاراً .. أراضى زراعية ، شمسا ساطعة فى معظم بلاد المسلمين طوال العام ، مواد خام أولية ، مواد زراعية يمكن أن تصنع : « بترول »ومشتقاته .. !! ، عقولا وقوى بشرية متخصصة فى أدق شئون الحياة .. خبراء فى كل مجال تستعين بهم الدول الكبرى ذاتها ..

هل بعد كل هذا خير ؟

وهل بعد كل هذه النعم من الله سبحانه وتعالى نشكو الفاقة والجهل والمرض ؟

ماهكذا تكون أمة القرآن ! وما هكذا عهدنا أمة يعتبر العمل فيها عبادة ، والعلم من الإيمان .

لقد انعكس الحال الاقتصادى السيء ، والاجتماعى المتخلف على وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين فأصبحت هذه الوسائل هزيلة ، ضعيفة لا تدفع شبهة ، ولا ترد فرية ولا تصنع شيئا ذا بال !!

حسن على العنيبسى

(٩) بلغت ديون اندونيسيا عام ١٩٨٢ (٢٥,٠٠٠) مليون دولار .

(١٠) صارت ديون مصر عام ١٩٨٢ نحو (١٩,٠٠٠) مليون دولار وحسب آخر احصائية لديون مصر عام ١٩٨٦ (٤٦,٠٠٠) مليون دولار مدنية وعسكرية .

(١١) بلغت ديون سوريا عام ١٩٨١ (٣٩٠٠) مليون دولار .

أنباء وآراء

○ تخريج خمسين عالما وداعية من عشر محافظات .

طالب الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف الأمة العربية والإسلامية بضرورة الالتفاف حول دعوة الرئيس محمد حسنى مبارك لعقد قمة إسلامية طارئة لحماية المقدسات الإسلامية بالأرض الحرام وقال : إن الإسلام لا يعرف التعصب أو الأحقاد كما أشار الوزير فى كلمته إلى إنه سيتم تخريج خمسين عالماً وداعية من عشر محافظات فى الدفعة الأولى لمعهد التدريب الراقى بالوزارة

معرض للخرائط الإسلامية

يقام فى العاصمة البريطانية لندن معرض للخرائط الإسلامية القديمة ، يضم المعرض أكثر من مائتين وخمسين خريطة أصلية تمثل أجزاء متعددة من المملكة الإسلامية القديمة كتركيا ، وشمال أفريقيا ، والعراق ، وإيران ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، والسودان . وقد ألقى الدكتور مقبل أحمد الأستاذ فى جامعة « ليقادت » الإسلامية فى الهند ، محاضرة عن الجغرافيا الإسلامية القديمة . تعرض فيها لأصول هذا العلم وتأثير ما توصل إليه العرب من اكتشافات على الجغرافيين الغربيين .

وقال : إن العرب قبل الإسلام عرفوا مواقع القمر والنجوم ، وقد بدأ عهد الجغرافيا الإسلامية فى عهد الخليفة العباسى المأمون بتأسيسه دار الحكمة . وقد تولت إحدى المكتبات فى لندن مشروع إعادة طبع خريطة العالم الإسلامي للإدريسى على ورق فاخر وحديث وعرضها للبيع .

الاقتصاد الاسلامى

عقدت فى ماليزيا مؤخراً ندوة « لتقييم نتائج الأبحاث وتدريس الاقتصاديات الإسلامية فى ظل الضوائق المالية » . وحضرها ستة وثلاثون باحثاً إسلامياً من مختلف الدول الإسلامية وقد أصدر المشتركون فى الندوة : توصية بإنشاء لجنة تنسيق للأبحاث وتدريس الاقتصاديات الإسلامية ، وأوصوا بضرورة قيام المعاهد الاقتصادية الإسلامية بإعداد كتيبات فى مختلف الموضوعات لمختلف مستويات الطلاب .

وأوصت الندوة التى أقيمت فى الجامعة الإسلامية الدولية بأن تقوم المعاهد الإسلامية الاقتصادية بإعداد قائمة بالأعمال الأساسية غير المترجمة فى الشريعة الإسلامية . وتتم ترجمتها إلى الإنجليزية والفرنسية . كما أوصت الندوة بأن يقوم مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ : صفوت عبد الجواد

فى جدة بإعداد برامج تدريبية لمعلمى الاقتصاد الإسلامي ، وكبار مسئولى الحكومات ، ومديرى المصارف والمؤسسات المالية فى مجال الاقتصاد الإسلامى .

معهد العلوم الإسلامية

احتفل المعهد الصينى للعلوم الإسلامية فى العاصمة الصينية « بكين » بتخريج أول دفعة من طلبة العلوم الإسلامية لهذا المعهد الذى تصل مدة الدراسة فيه إلى خمس سنوات . وقد تأسس هذا المعهد فى عام ١٩٥٥ وأوقفت السلطات الصينية الدراسة فيه خلال فترة الثورة الثقافية التى امتدت من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٦ ثم استأنف المعهد نشاطه . وبدأ فى قبول الطلاب فى عام ١٩٨٢ م .

ندوة عن الإمام مسلم فى المغرب

بدأت فى مدينة الرباط بالمغرب ندوة إسلامية كبرى عن « الإمام مسلم » بمناسبة مرور اثنى عشر قرناً على مولد هذا الإمام الكبير . ويشارك فى هذه الندوة عدد كبير من علماء الإسلام فى الدول الإسلامية . وصرح عبد العزيز التويجرى مدير مساعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الأيسيسكو » التى تنظم الندوة بأن هناك أربعة موضوعات رئيسية ناقشتها الندوة وهي : حياة الإمام مسلم وعصره ، ومنهج مسلم فى علم الحديث والنقد ، ودراسة مصنفات الإمام مسلم وعصره وأخيراً الإمام مسلم فى المغرب الإسلامي .

الشريعة الإسلامية فى مصر

أعلن الدكتور محمد محجوب وزير الأوقاف : أن المرحلة القادمة ستشهد تعديل بعض مواد القانون المدنى لتتمشى مع الشريعة الإسلامية ، وأن المرحلة الحالية لن تشهد إصدار قانون واحد يخالف الشريعة . وقال : إن سبب تخلف المسلمين يرجع إلى انشغالهم بالفرعيات وترك جوهر الإسلام ، وتضييع الوقت فى أمور لا تستحق العناء . وأكد الوزير : أن الدولة بجميع أجهزتها تؤيد شعار « الإسلام هو الحل » الذى يطالب به الشباب ، وتعمل على تحقيقه بشتى الوسائل .

مصحف وسجادة فى كل حجرة بالفنادق الكبرى

وافق حمدى الشامى وكيل أول وزارة السياحة على وضع مصحف وسجادة صلاة ، وعلامة تدل على القبلة فى كل حجرة بالفنادق الكبرى والأماكن السياحية ، جاء ذلك استجابة لما أبداه « لاشين أبو شنب » و « محمود نافع » عضوا لجنة الثقافة والإعلام والسياحة فى مجلس الشعب ، خلال

أنبـاء وآراء

زيارة اللجنة لبعض الأماكن السياحية والثقافية بكل من الأسكندرية ومطروح ورشيد ،

« بنـك أسـلامى فى كل قريـة »

تم إعداد خطة لإنشاء فرع للمعاملات الإسلامية بكل بنك ، من بنوك القرى فى جميع محافظات الجمهورية . وسيستغرق تنفيذ هذه الخطة الجديدة عامين ، صرح بذلك المهندس « عادل عزى » رئيس مجلس إدارة البنك الرئيسي للتنمية والائتمان الزراعى .

وقال : إن هذه الفروع الجديدة سيكون التعامل فيها بنظام المعاملات الإسلامية بدلاً من المعاملات الربوية التقليدية . ووفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

متحـف للحضـــــارة الإسـلامية

وافقت هيئة الآثار المصرية على إقامة متحف للتاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر . صرح بذلك الدكتور فتحى عفيفى رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلاميـة بجامعـة الأزهر.

وأضاف إن الهدف من المتحف تنمية حاسة البحث العلمى عند الطلاب والباحثين الذين يرجعون فى بحوثهم إلى المراجع والبحوث الأجنبية والتى تحتوى أحيانا على معلومات خاطئة عن الحضارة الإسلامية .

○ تعيين ٦٠ ألف خريج مدرسين بالتعليم الأزهرى .

تبدأ وزارة القوى العاملة والتدريب خلال الفترة الحالية توزيع الدفعات الاستثنـائية من خـريجي الجامعـات والمعاهد العليا : دفعات ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٩٨٦ .. الذين تقرر تعيينهم لسد العجز فى وظائف التدريس بوزارة التعليم والمعاهد الأزهرية وذلك حتى يمكنهم تسلم أعمالهم قبل بدء العام الدراسى الحالى ويبلغ عدد هذه الدفعات نحو ٦٠ ألف

الإمام الغزالى حجة الإسلام ..

أذاع « راديو » لندن صباح ١٥ من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧/٨/٩ م فى الساعة الخامسة والربع بتوقيت « جرينتش » السابعة والربع بتوقيت القاهرة فى باب « لكل سؤال جواب » - إجابة الأستاذ « نقولا زيادة » على أحد أسئلة المستمعين .

كان المستمع يسأل عن جانب فى حياة حجة الإسلام الإمام الغزالى .

مر خير ما كتب

عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى

الصحوة الاسلامية واقع ملموس

ليس من شك فى أن الصحوة الإسلامية اليوم قد أصبحت واقعاً ملموساً فى مشارق الأرض وفى مغاربها ومن الأدلة على ذلك أننا نرى الذين يعتنقون الإسلام من الكثرة بحيث لا نستطيع إحصاءهم .

وهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام بعد دراسات مستفيضة لتعاليمه جماعة من العلماء ولكى نستثمر هذه الصحوة لصالح الإسلام والمسلمين علينا جميعاً أن نكون قدوة طيبة لغيرنا من أصحاب الديانات الأخرى . فإن القدوة الطيبة كثيراً ما تجعل الغير يقتنع اقتناعاً عقلياً وعاطفياً بأن دين الإسلام هو الدين الصحيح ، بدليل أن أتباعه يمثلون الفضيلة وهى تتحرك على الأرض .

كذلك مما يعين على استثمار هذه الصحوة لصالح الإسلام والمسلمين أن يكون المسلمون فى قمة السلوك الإنسانى الرشيد وعلى قسط وافر من العلم النافع الذي يسابق علوم غيرهم ، وأن تكون عندهم وسائل الحياة التى تتعلق بمعاشهم وشرابهم ودوائهم وسائر شئون حياتهم ، فإن عدم الحاجة إلى الغير يجعل هذا الغير يحترم المسلمين ، ويعلم أن غناهم عنه إنما هو نابع من تعاليم دينهم أما الاحتياج إلى الغير فى النواحى العسكرية أو الاقتصادية أو غيرهما فكثيراً ما يكون سبباً فى انصراف الناس عنه .

الأستاذ / محمد الصالح بن عزيز

أطفالنا فى خطر التبشير

من المؤكد أن غاية المبشرين فى بلدان العالم الإسلامى ـ العربى منه بالخصوص ـ ليست إدخال المسلمين فى النصرانية بقدر ماهى إبعادهم عن دينهم وتركهم لا إلى

النصرانية ولا إلى الإسلام .. فقد جاء على لسان الراهب « زويمر » فى المؤتمر الذى انعقد بجبل الزيتون بلبنان إن مهمة التبشير هى إخراج المسلم من الإسلام ليس من الضرورى أن يكون نصرانياً لأن هذا شرف لا يستحقه المسلم .. إننا نريده شبحاً لا صلة له بالله ولا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الكسل والراحة ويسعى للحصول على الشهوات حتى تصبح هذه الشهوات هدفه وغايته .

إنها نفس الغاية ، ونفس المقولة التى رددها « جلادستون » فى مجلس العموم البريطانى حين رفع المصحف وقال : « مادام هذا الكتاب فى أيدى المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به فلن تقوم لنا قائمة فلابد من العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم » .

وقد أيقن المبشرون أن أيسر طريق وأقصره هو السيطرة على عقول الناشئة الذين سيكونون رجال الغد ، وخططوا لذلك فى دهاء وذكاء فحققوا لهم أهدافاً لا يستهان بها .

فمن هذه الأهداف التى حققوها :
إعداد الأم للقيام بهذا الدور .

لاشك أن المرأة المسلمة هى وحدة المجتمع الإسلامى ، لذلك لابد من إعداد الأم إعداداً يؤهلها لأن تقوم بمهمة التبشير على الوجه المطلوب ، وسخروا - أى المبشرين - لهذا العمل جهوداً جبارة وأموالاً طائلة لإنشاء مدارس للبنات فى العالم الإسلامى تخضع فى برامجها لسلطة التبشير لإرضاخ الفتاة - التى ستصبح أماً - لبرامج تعليمية لا تؤصل فى نفسها روح العقيدة بل تنفرها منها - ويفرحون أشد الفرح إذا اجتمع فى مدارسهم بنات من أسر معروفة لأن نفوذ هؤلاء فى بيوتهن أعظم .

السيطرة على مدارس التعليم :

يقول المبشر « هنرى جب » إن التعليم فى مدارس الإرساليات النصرانية إنما هو واسطة إلى غاية فقط.هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً نصارى وشعوباً نصرانية وهكذا استطاع المبشرون السيطرة على مدارس المسلمين لوضع الناشئين تحت تأثير التعليم النصرانى وإبعادهم قدر الإمكان عن تأثير التعليم الإسلامى مبتدئين بدور الحضانة ورياض الأطفال .

توجيه لَعِب الأطفال :

لقد أدرك المنصرون أن اللعب ميل من أقوى الميول وأكثرها قيمة فى التربية الاجتماعية والرياضية والخلقية ، وأنه وسيلة لا يستهان بها لإكساب الطفل بعض الاتجاهات والمفاهيم والقيم ، لذلك لم يهملوا هذا الجانب المهم من تفكيرهم وتخطيطاتهم ، فملأوا أسواقنا بأنواع من اللعب التى تحول

هذا النشاط إلى مضيعة للوقت ، ولا تساهم بشيء فى تنمية قدرات الطفل وذكائه وتفكيره الابتكارى والتى لا تزيد أطفالنا إلا إيماناً بتفوق العقل الغربى النصرانى علينا وتؤصل فى نفوسهم روح التبعية والانهزامية .

التبشير فى التليفزيون :

أريد أن أذكر بأن ثلاثة أرباع البرامج التليفزيونية فى الوطن الإسلامى يتم إعدادها على أعين الصليبيين والشيوعيين والصهيونيين ، وأما برامج الأطفال منها فكلها مستوردة من أمريكا أو أوروبا مما يؤكد أن ما يبث حاليا فى تليفزيون البلاد الإسلامية للأطفال هو جزء من الحملة التنصيرية على أوطاننا لتدمير ثقافة الطفل المسلم وتدمير شخصيته .

فضيلة الشيخ : عطية صقر

الحج مؤتمر إسلامى عالمى

إن المسلمين فى مؤتمر الحج يملكون من عوامل الوحدة ما يعلو على كل العوامل ، فربهم جميعاً واحد ودينهم واحد وقبلتهم واحدة وغايتهم واحدة ، وزيهم واحد ، ولسانهم فى تأدية المشاعر واحد .وهم بهذه العوامل كشخص واحد ينبغى أن يكونوا كما قال النبى ﷺ « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم .

إن العدو أحرص ما يكون على تفتيت وحدة الأمة الإسلامية ، وأشد ما يحرص عليه فى هذا الميدان هو صرف المسلمين عن تعاليم دينهم وعرقلة كل جهد يبذل فى سبيل اجتماعهم وتعاونهم ، والحج أحد المظاهر التى يخشى العدو بأسها ، إنه يتميز غيظاً عندما يرى هذه الاجتماعات الإسلامية وبخاصة إذا كانت فى مستوياتها العالية التى ترفرف عليها روح الدين ويدفع إليها الشعور بالمسئولية نحو الجماعة الإسلامية ، إذ فيها قضاء على مخططات الاستعمار ويقظة لألاعيب المستغلين . إن مؤتمراً يدعو إليه الله سبحانه أو يخطط الرسول ﷺ له وينعقد فى مهبط الوحى ومشرق النبوة لخليق بأن يكون له دوره الإيجابى الفعال فى معركة السلام والرخاء للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة ، وإن ملايين المسلمين ينتظرون بأمل قوى ما تسفر عنه هذه الاجتماعات وتلك المؤتمرات من خير لهم وللناس جميعاً .



فهـرس العـدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحيـة « ما قبل الهجـرة » د . على أحمد الخطيب	
بـاب مع الإمام الأكبر « شيخ الأزهر »	
● الهجـرة كانـت تجـاوزا لعوامـل القهـر لشيـخ الأزهـر	١٠
● إلـى المسلميـن فـى عيـد الأضحـى المبـارك للشيـخ جاد الحق على جاد الحق	١٤
● بيـان مـن الأزهـر فـى احـداث الحـرم المكـى	١٧
(دراسـات إسلاميـة)	١٧
● بالهجـرة قامـت دولـة الإسـلام للمستشار محمـد عـزت الطهطـاوى	٢٠
● التفسيـر الميسـر للقـرآن الكريـم د . محمد رجب البيومى	٢٨
● مـن كبـار المستشرقيـن « توماس أرنولـد » د . عبـد الجليـل شلبـى	٣٤
● الترابـط بيـن الأسـرة والأمـة للأستـاذ محمـد حافـظ سليمـان	٣٧
● خطـورة الصـراع الدينـى الدائـر فـى افريقيـا د . عبد الله نجيب محمـود	٤٥
● سياسـى موفـق وداعيـة ناجـح « السيد أحمد وبللو » الشيخ عبد الحكم عبد القوى حسن	٤٩
● الدولـة الإسلاميـة « الحقـوق والواجبـات » د . فـوزى محمـد طايـل	٥٥
● الفتـاوى إعـداد : عبد الحميـد السـيد شاهيـن	٦٠
● مـن اعـلام الأزهـر « العلامـة محمـود خليـل الخطيـب » للأستـاذ أحمـد عـزت البرادعـى	٦٣
● الاعجـاز العلمـى فـى القـرآن الكريـم د . محمد جمـال الديـن محفـوظ	٦٨
الشعـر والشعـراء د . حسـن جـاد	
● مـن وحـى الهجـرة للأستـاذ رشـاد محمد يوسـف	٧٢
● مـن الظـلام إلـى النـور أحمـد بلقـاج آية وارهـام	٧٤
● إخـاء شعـر : محيـى الديـن عطيـة	٧٥
● وارحمتـاه شعـر : محمـد عبد الرحمـن صـان الديـن	٧٦
● تبـارك الله للشاعـرة علية الجعار	٧٨
● مجلـة الأزهـر مـن خمسيـن عامـا النسـاء فـى العـهد النبـوى إعـداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٧٩
● طرائـف ومواقـف للأستـاذ عبد الحفيظ محمـد عبد الحليـم	٨٢
اللغـة والأدب والنقـد	
● مـع لا الناهيـة فـى القـرآن الكريـم د . عبد العزيز على صالح رضوان	٨٦
● حـول زوجـات الـرسول ﷺ للأستاذ السيد حسن قرون	٩٤
● هـل هـو التجنـى علـى الشيـخ حسيـن المرصفـى ؟! د . إبراهيم عوضين	٩٧
● نظـرات فـى القـوة الذاتيـة للإعـلام للأستاذ حسن على العنيسى	١٠٠
● انبـاء وآراء د . أحمد عبد الرحيم السايح الأستاذ صفوت عبد الجواد	١٠٨
● مـن خيـر ما كتـب للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	١١١
القسـم الانجليـزى	
● المقالـة الثانيـة للأستاذ سعد مصطفى مصطفى	١٢١
● المقالـة الأولـى د . أنس مصطفى النجار	١٢٦

its coming later cannot be a future event. Besides the word (comforter) should be considered in its original context and the meaning given to be it by the different schools of Christendom. The Muslims abide closely to the text of the Holy Quran indicated above, and believe that the term (comforter) by necessity refers to the Prophet Muhammad.

In Conclusion, the Holy Quran in its clearest terms asserts that Jesus Christ was a true servant and messenger (apostle) of Allah. Muslims hold Jesus Christ in the highest reverence. He was the produce of a virgin birth; he was endowed with the power to perform many miracles, and he was sent to preach the true worship of God and to announce the coming of Prophet Muhammad after him.

REFERENCES

1. Pickthall, Muhammad Marmaduke, The Meaning of the Glorious Qur'an, Mentor, New York, N.Y., 1961.

2. The New Testament, John 17 : 3, Mark 17 : 29, Luke 11 : 20; John 5 : 3 , John 12 : 47; Matthew 2 , 38, 39.

3. Sale, George, Translation of the Qu'ran, F. Warne & Co., London, P. 38.

4. Chadwick, John W., Old and New Unitarian Belief, George H. Ellis, Boston, Mass., 1894.

The issue of the death and crucifixtion of Jesus Christ remains a matter of discrepancy between Islam and Christianity. The doctrines of Islam maintain that Jesus Christ was not put to death nor was he crucified. This is evident in the Quranic text.

> "And because of their saying: "We slew the Messiah Jesus, son of Mary, Allah's messenger." They slew him not, nor crucified him, but it appeared to unto them; and behold! those who disagree concerning it are in doubt thereof; they have no knowledge thereof save pursuit of a conjecture; they slew him not for certain. But Allah took him up unto Himself. Allah is ever Mighty, Wise."
>
> (Surat Al Nissa, 157, 158)

The Christian doctrine believes very rigidly that Jesus Christ was put to death on the cross by his enemies, and that Jesus Christ died thus to redeem all the sins of mankind. The sign of the cross remains a very popular emblem among Christian to denote the act of crucifixtion.

One of the missions of Jesus Christ was to bring news of the coming of a final Prophet after him. This is held very precisely by Islamic teachings according to the Holy Quran:

> "And when Jesus son of Mary said : O Children of Israel ! Behold! I am the Messenger of Allah unto you, confirming that which was (revealed) before me in the Torah, and bringing good tidings of a messenger who cometh after me, whose name is the Praised One (translation of the Arabic Ahmad, one of Prophet Muhammad's names). But when he hath come unto them with clear proofs, they say: This is mere magic."
>
> (Surat El Saff, LXI,)

The New Testment also relates of the coming of a "Comforter" to follow after the ministry of Jesus Christ. The christian church, however, twists the interpretation of this statement of the promised "Comforter" as being the Holy Spirit. This view cannot be successfully maintained, since the Holy Spirit was already present during the ministry of Jesus Christ and

(The term "Father" as used by Jesus Christ is one who nourishes, sustains, and assumes responsibility).

After centuries of dogmatic decree that Jesus Christ was the Son of God, modern Christendom is sure no longer just who he was. Since a large segment of the so called Christian world believes practically that "God is dead," where does that leave Jesus Christ ? Jews and Muslims have held throughout history that Jesus Christ could not have been the Son of God. But, whereas Judaism does not accept the mission of Jesus, Islam accords him the exalted position of prophet of Allah to his people. Nevertheless, this question of sonship stands as a barrier between Christians and Muslims, being the cause for each labelling the other infidel: Christians because only an unbeliever would deny Christ's sonship; Muslims because only an unbeliever would associate anything with the One God (Allah).

The Prophethood of Jesus Christ ordained him by the will of Allah to achieve miracles. He could heal the blind, cure the leper and bring back the dead to life. He caused provisions for his disciples to come miraculously from heavens.

> "Then will God say: "O Jesus the son of Mary ! recount My favour. To thee and to thy mother behold ! I strengthened thee with the holy spirit, so that thou didst speak to the people in childhood and in maturity. Behold ! I taught thee the Book and Wisdom, The Law and the Gospel. And behold ! thou makest out of clay, as it were, the figure of a bird, by My leave, and thou breathest into it, and it becometh a bird by My leave, and thou healest those born blind, and the lepers, by My leave. And behold ! thou bringest forth the dead by My leave. And behold ! I did restrain the Children of Israel from (violence to) thee when thou didst show them the Clear Signs, and the unbelievers among them said: "This is nothing but evident magic."
>
> (Surat Al Maida, V, 110)

Miraculous was his virgin birth and his speech while an infant in the cradle. Islam indicates these supernatural deeds precisely in the Holy Quran as a proof of the prophethood of Jesus Christ. The Christian church, however, ascribes these miracles to the alleged claim of his divinity.

sound reasoning that if the four men were divinely inspired, then why are there so many very serious discrepancies and deletions in their individual accounts of the life of Jesus Christ ? Furthermore the "four Gospels" were written 30 - 70 years after the ministry of Jesus Christ, and represent only a fraction of the so called original "Gospels" written at that time, the others being rejected and unaccepted by the Christian church.

The Holy Quran condemns the Trinity and indicates that Jesus Christ never claimed divinity, and that he has always taught the worship of One Almighly God.

> "And when Allah saith (namely, unto Jesus on the Day of Judgement): O Jesus, son of Mary ! Didst thou say unto mankind : Take me and my mother for two gods beside Allah ? He saith: (God) be glorified ! It was not mine to utter that to which I had no right. If I used to say it, then Thou knowest it. Thou knowest what is in my mind, and I know not what is in Thy mind. Behold, Thou, only Thou art the knower of Things Hidden. I speak unto them only that which Thou commandest me, (saying): Worship Allah, my Lord and your Lord. I was a witness of them while I dwelt among them, and when Thou tookest me Thou wast the Watcher over them. Thou art Witness over all things".
>
> (Surat Al Maida, V, 11 , 117)

According to the verses quoted above from the Holy Quran, Muslims believe that Jesus Christ has disavowed any claim to divinity and that he never preached such doctrine to his disciples when he was among them. The narrative of Jesus Christ as reported in the "four Gospels" although considered unauthentic for the greater part by Muslims, still contain statements conforming with fact that Jesus Christ never claimed divinity and preached the worship of "One Almighty God". These statements appear in the New Testment in several places.

[I do nothing of myself (John 8 : 28)].

[The Lord our Lord is one Lord (Mark 17 : 27)].

[My God, my God, why hast Thou forsaken me. (Matt. 27. 4)].

[Father into Thy hands I commend my spirit (Luke 23 : 4)].

The Christian church maintains that Jesus Christ was the only begotton "Son of God" and that he was "God himself", since the doctrine of the Trinity consider God as the Son, as the Father, and as the Holy Ghost all at the same time. This doctrine is an unauthentic assumption an unauthorized addition to the New Testment. The Catholic faith goes further to attribute Divinity to Mary as the "Mother of God". The Islamic understanding from the Holy Quran totally rejects these concepts and refutes the idea that Jesus Christ was the "son of God". The Holy Quran declares and emphasizes that he was a human being, a Messenger and an Apostle.

> "The Messiah, son of Mary, was no other than a messenger (apostle), messengers (the like of whom) had passed away before him. And his mother was a saintly woman. And they both used to eat (earthly) food. See how they are turned away !"
>
> (Surat Al Maida, V, 75)

From time to time, there have arisen "heretics" in the Christian Church, who refuted the doctrine of Jesus's divinity. Long before Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him) was born, certain sects of Christians - the Corinthians, the Basilidians and the Carpocratians - believed that Jesus was not crucified, but one of his followers, looking very much like him, was put on the cross. The Corinthians and Basilidians in addition asserted that Jesus was a mere man. The early Christians who did not accept Jesus as God were harshly suppressed by the Church hierarchy. At the present time Christian sects such as the Unitarians, Christadelphians and Jehovah's Wintnesses rejet the doctrines of divinity of Jesus and Trinity.

The virgin birth of Jesus Christ without a father was not any more supernatural than the creation of Adam. Allah created him from dust and said unto him "Be" and he was. Allah then bestowed upon Jesus Christ guidance and light in the Gospel which confirmed that which was previously revealed in the Torah. The Muslims believe firmly that Jesus Christ was given the Gospel, however, they do not recognize the present "four Gospels" preached by the Christian Church as the authentic utterances of Jesus Christ. The Christian Church admits that the "four Gospels" were scribed by four different men, but they believe that they were divinely inspired. This understanding is rejected by Islam and present the

from clay the likeness of a bird, and I breathe into it and it is a bird, by God's leave. I heal him who was born blind, and the leper, and I raise the dead, by God's leave. And I announce unto you what ye eat and what ye store up in your houses. Behold ! Herein verily is a portent for you, if ye would believe. And (I come) confirming that which was forbidden unto you. I come unto you with a sign from your Lord, so keep your duty to God and obey me, God is my Lord, so worship Him. That is a straight path."

(Surat Al-Imran, III, 45 - 51)

The birth of Jesus Christ was miraculous and supernatural. Mary retired into a state of privacy for prayer and devotion. The Holy Spirit (the Archangel Gabriel) appeared to her as a man bringing her the news of the word of Allah, the news of a son, that was the will of Allah. She conceived and retired to a distant place to give birth to Jesus Christ which she brought to her people. They accused her of profanity and unchastity. In replay, she pointed to the infant, where upon they said that they could not converse with an infant in the cradle. According to the text of the Holy Quran, the infant answered.

"He spoke: Behold ! I am the servant of Allah He hath given me the Scripture and hath appointed me a Prophet. He hath made me blessed wheresoever I may be, and hath enjoined upon me prayer and alms-giving so long as I remain alive. And (hath made me) dutiful toward my mother, and hath not made me arrogant, unblest. Peace be on me the day I was born, and the day I die, and the Day I shall be raised alive !"
"Such (was) Jesus the son of Mary: (it is) a statement of truth, about which. They (vainly) dispute."
"It is not befitting To (the majesty of) Allah That He should beget a son. Glory be to Him ! When He determines a matter, He only says to it, "Be", and it is."
"Verily Allah is my Lord and your Lord; Him Therefore serve ye: this is a way that is straight."

(Surat Maryam, XIX, 30 - 3).

JESUS CHRIST IN ISLAM AND CHRISTIANITY

By :
Saad Moustafa Moustafa M . D .

The name Jesus Christ son of the Virgin Mary (Al-Maseih Issa ibn Mariam) is very popular to both Christianity and Islam. The significance, however, that is attached to the person is basically and radically different in the two religions. Muslim doctrines as stated in the Holy Quran consider Jesus Christ as a Prophet of Allah and attribute all respect, reverence, belief for prophethood as they rank other prophets as Ibrahim, Issac, Moses, etc. and Muhammad. The Christian church, on the other hand regards Jesus Christ as the "son of God", attribute him with Divinity and worship him as such.

The Islamic Quranic concepts indicate that Jesus Christ never claimed to be God, that he was the subject of Allah as the Prophet to bani Israil, that he was not put to death nor was he crusified, and that he prophicied the coming of Muhammad as the last of the Prophets. The Holy Quran describes the miraculous birth of Jesus Christ by the Virgin Mary, who was chosen and purified by Allah and raised her to the highest supreme rank above all women of mankind to be the Mother of Jesus Christ. The Holy Quran states:

> "Behold! The angels said: O Mary ! God giveth thee glad tidings of a Word from Him, whose name is the Messiah, Jesus son of Mary, illustrious in this world and the Hereafter, one of the company of those nearest to God. He will speak unto mankind in his cradle and his manhood, and he is among the righteous ones. She said: My Lord ! How can I have a child when no mortal hath touched me ? He said: So (it will be). God createth what He will. If He decreeth a thing, he hath only to say 'Be!' and it is. And He will teach him the Scripture and wisdom, the Torah and the Gospel, and will make him a messenger unto the children of Israel, (saying): Behold ! I come unto you with a sign from your Lord, I fashion for you

his brilliant inspiration accepted and witnessed that Allah is One with no associates, and that Muhammad was the Messenger Prophet of Islam, and Bearer of the Holy Revelation, the Glorious Quran, the words of Allah, the Light and redemption to mankind. His acceptance was with no hesitation nor doubt; he realized in the doctrines of the new religion, the Reality, the Truth and the golden dictum of certainty and absoluteness. With this solid belief, Abu Bakre lived in very close company with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as the first companion, and the first adult to witness that "There is no God but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah". Abu Bakre absorbed assimilated and stored the elements of Faith, adopted the practices, realized the concepts, adhered to the teachings, and developed the mannerism of the profound pious muslim. His very strong faithful friendship and companionship to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) adorned him with reverence and profundity in knowledge and ability; and matured his inborn qualities to prominent distinction and excellence.

From the moment of his Islam, Abu Bakre became active and took the initiative to call for the words of Allah; amidst his friends from Quraysh he spoke of the new religion with knowledge, certainty and true faith. He called them to listen to the reason and logic of Reality. They listened to the eachoes fo Truth within themseleves, and answered the call to enlist in the early lines of the faithful. Such men as Osman ibn Affan, Abdel-Rahman ibn Oaf, Talha ibn Ubied Allah, Saad ibn Abu Waqqas, Al-Zubair ibn Al-Awam, Abu-Ubaidah ibn Al-Garrah, and several others. These were the pioneers of Islam, the very early companions, the vanguards and precursors of the very early Islamic community.

The life of Abu Bakre as companion and close friend to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued in genuine truthfulness to the faith he believed in and to the man who carried the Message of that Faith.



him). At Al-Madinah, Abu Bakre married Habibah bent Kharijah; and Asmaa bent Umays, who gave birth to Muhammad.

Abu Bakre was of slim statues, whitish complexion, prominent forehead, sunken eyes and characteristic facial features. He was an example of honesty, good manners, kindness, patience, leniancy and competence. He was gifted with natural instinct, inherent wisdom and a self determined resolution in decision. His impartial correct character impeded his ego and prohibited the self desires. He was talented with an enduring sagacity of discrimination between the right of truth and the wrong of falseness. He was never known to have indulged in intoxicants, nor to have practiced idol worship; through his outright character, he refuted the idea of defiling his personality by such uncouth practices.

Abu Bakre lived in Macca in the same district where Khadija bent Khuwaylid dwelled and where rich merchants had their residence. The trade convoys of those merchants travelled north to Syria during the summer, and south to Yemen during the winter. When Muhammad (prayers and peace from Allah upon hi) married Khadija and moved to stay at her house; friendly relations between him and Abu Bakre developed to become very intimate. Both men had a great deal in common to share regarding their aptitude, predilections, character, and the shade of life they lived. Some chroniclers relate that the two men were very close friends before Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) received the Holy Revelation. Other authors are of the opinion that faithful friendship developed between the two men only after Abu Bakre accepted Islam; and that their relations before that was limited to neighbourhood, sharing similar characters and trends of thoughts. Abu Bakre was two years and few months younger than the Prophet and therefore was of the same age group.

When Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) received the Divine Commission to carry the Message of Islam and was commanded by the Holy Revelation to call for that message; he recognized in Abu Bakre the suitable character to accept what the Message of Islam brought to mankind. Muhammad confronted Abu Bakre with the initial words of the Holy Revelation, the belief in the Oneness of the Creator, and that he Muhammad was commissioned by Allah to be the Apostle and Messenger of Islam, and the bearer of the Revelation of the Holy Quran. Abu Bakre with

Divine guidance. Who is Abu Bakre; who was the friend and companion of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); the first Caliph, the champion, the victor, and the towering administrator.

All chroniclers bow in servile respect and humbleness when they attempt to document the annals of that unique exceptional greatness. Abu Bakre was friend and companion of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for twenty three years since the descent of the Holy Revelation, and certainly knew each other, closely as friends of the same age group living in Macca, members of the tribe of Quraysh. During that lengthy period, Abu Bakre absorbed the reality of belief, formulated the elements of truth and faith deepened his inborn wisdom from his closeness to prophethood, and gained complete realization of virtue by his maind, heart and soul. The portrayal of the biography of the great master, the Imam of Muslims and the first Caliph will attempted in a series of forth coming articles. May Allah provide this humble undertaking with endowment and support expedient with the prominence of distinction, and eminence of greatness of the man.

Abu Bakre belongs to the tribe of Taym ibn Murrah ibn Kaab, one of the clans of Quraysh. He meets with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in retrograde at the seventh grandfather Murrah. His real name is Abdullah ibn Abi Quhafa. Abi Quhafa his father is Osman ibn Amer. His mother is Salma bint Sakher ibn Amer, she was called Um Al-Khair (mother of abundance). The origin of his popular cognomen Abu Bakre is not known, however, it was certainly his most popular name throughout his lifetime. His early childhood and youth is very poorly documented and devoid of any rich or important events. The clan of Taym was responsible for the collection of rewards, fines, and monetary penalization. At the start of his youth, Abu Bakre occupied himself in the trade of cloth, which prospered to make him popular and successful; and Abu Bakre soon became famous as one of the opulent cloth merchants in Macca.

Abu Bakre married four times during his life, the first was Qutaylah bent Abd-Al-Uzza, who gave birth to a son Abd-Allah and a daughter Asmaa; the second was Um Ruman bent Amer ibn Uwaymer, who gave birth to a son Abd-Al-Rahman, and a daughter Aisha (who later became the wife of the Prophet Muhammad, prayers and peace from Allah upon

←

Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It was therefore evident that Abu Bakre assumed responsibility to confront an avalanche of matters of very gross difficulty that threatened to split the unity of the Muslims.

The reign of Abu Bakre lasted for two years three months and ten days; from the time of his succession immediately after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) till the hour of his own death. During that short period of time, Abu Bakre administered the affairs of the Muslim Ummah, dominated difficulties, overcomed critical situations, and crossed the ocean from impending collapse and total frailty of the Islamic creed to the grandeur of supremacy and stability. It was the character and wisdom of Abu Bakre and his genuine understanding of Islam that provided him with the profound ability of such unique and outstanding excellence in government. Abu Bakre was the first man to embrace Islam, he remained a very close companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). He learned, stored, developed and multiplied through his instinctive wisdom to gain the climax of understanding and perception of the reality, essence and universality of Islamic teachings. When he assumed authority, he optimized his true knowledge of Islam to become the essential elements of his policy and administration of the affiars of Muslims. This optimization of Islamic thought in government decision-making was very natural for Abu Bakre, for he was the prime graduate of Islam with proof of excellence.

Abu Bakre, an Imam to Muslims as part of the function of his office, rigorously implemented Islamic teachings, practices and jurisprudence with the full preservation of human rights and freedom as dictated by the Holy Revelation and the Honourable Sunnah. Besides that, there were two essential pivots of thought that dominated and directed the political strategy of Abu Bakre; these were the Unity and Universality of Islam. The psychological built-up of character, and intrinsic perception together with the full mastery of the potentialities of Islamic teachings constituted the genuine substance of the man that was proclaimed successor to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The man that was commissioned to govern the wholesome affairs of Muslims during the most sensitive endangered precarious period of early Islamic history. The true honesty of Abu Bakre, his deep confident unfaltering faith, and his strict adherence to the teachings of Islam in all processes of human life; certainly made him gain

ABU BAKRE AL –SIDDIQ

THE FIRST COMPANION

By :

Dr . Anas Moustafa El –Naggar M . D ., Ph . D

In the name of Allah, most Gracious, and most Merciful.

The succession of Abu Bakre Al-Siddiq as the first Caliph was settled after a fervent debate between the Muhagereen and the Ansars at the roofing of Bani-Saidah immediately after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was ascertained. The following day witnessed the public proclamation of the succession of Abu Bakre as the first Caliph at the mosque when he was sworn allegiance and given fealty by unanimous consensus by everbody present.

The burden of responsibility falling on the shoulders of that man was certainly the most sensitive and of gross magnitude. Abu Bakre was entrusted to govern and manage the nation of Islam at the pinnacle of criticality. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) has died, the era of prophethood had ended, and the Holy Revelation had been completed. Islam was well secure in the hearts of the companions, but very juvenile and immature in the minds of the Arab tribes at large. Islam had propagated throughout the Arab peninsula encompassing all tribes that dwelled within the geographic territories from the northern borders to Yemen in the South, and from the Persian gulf east to the Red Sea west. Only individuals groups of Jewish and Christian faith remained in sporadic places mainly in the northern borders of Syria, and in Yemen in the south. Some Arab tribes in Yamama in the East, and in Yeman in the South renounced Islam, and reverted to oppose the teachings of the Holy Revelation, some of their leaders claiming prophethood. Other tribes refused to pay the Zakat to the new administration that assumed authority at Al-Madinah after the death of the

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60, PART I

MUHARAM, 1408 HIJRAH

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
The First Companion.

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. Jesus Christ in Islam and Christianity.

By: Saad Moustafa Moustafa.

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الثانى *
* السنة الستون *
* صفر ١٤٠٨ هـ *
* أكتوبر ١٩٨٧ م *

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله ورسوله وصدقنا

نزل القرآن الكريم ، هذا الكتاب العزيز ، ومايشك مؤمن فى أنه من عندالله ، ولا فى وجوب الإيمان بما حقٌّ من حق وأبطل من باطل .

وحسبنا ذلك .

هذا الكتاب الذى يقص الحق ، ويهدى إلى الرشد حدثنا ، ولايزال ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسله الله ـ عزوجل ـ إلى الناس كافة : عربهم وعجمهم ، أحمرهم وأسودهم ، فأنزل أمره الإلهى إلى هذا الرسول الأمين بهذا البلاغ :

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٥٨ الأعراف .

ومضمون رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العقيدة واضح أشد الوضوح فى قوله تعالى :

﴿ يأيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ٢١ البقرة .

﴿ وَاعْبُدوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ١٧ العنكبوت .

وشهد ـ سبحانه ـ بعموم هذه الرسالة فقال :

﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾ ٧٩ النساء .

وهى رحمة بخلقه أجمعين قبل أن تكون عذابا للجاحدين ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ ٢٨ سبأ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلعَالَمِينَ ﴾ ١٠٧ الأنبياء .

والنصوص ـ فى الآيات الكريمة ـ صريحة فى عموم رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فليست بخاصة للعرب ، وإن القرآن الكريم لينص على بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لليهود والنصارى ، أى أهل الكتاب ، كما ينص على بعثتة للعرب والناس أجمعين .

فقال ـ فيما يخص أهل الكتاب :

﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٩ المائدة .

والآية صريحة فى إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم ، على فترة طالت من الزمن لم يبعث فيها رسول لكيلا يقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فها قد جاءكم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشيراً ونذيراً .

وهذا البشير النذير ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يعلم من أمرهم مايُخْفُونَ ولا يَكشفون :

﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ١٥ المائدة .

فقد آمن بالله ورسوله من آمن ، وكفر من كفر ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٠٣ يوسف .

فلم يخص الكتاب العزيز العرب بالذكر بل خاطب الوثنيين جميعاً فى العرب وغيرهم وخاطب ماطراً على الوحدانية فى اليهود والنصارى ليخلص للوحدانية بيانها الصريح دون شائبة أو تأويل .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ٦٥ المائدة .

فرسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى عمومها مقررة ، بل إنها لتشمل الثقلين جميعاً بنص الكتاب العزيز ، وإنما يعتقد ذلك من آمن بالقرآن العزيز،فإن التقط أحدهم من الكتاب العزيز حديثه عن العرب مُغْفِلاً ماعداه مركزاً على فكر مُسَبَّق فذلك قصور فى الدراسة . والله أعلم بما كان من خلف ذلك .

ولو أن الأمر ـ كما يقول صاحب السياسة العربية للأحزاب المصرية[1] :

« لقد أتم الله ـ سبحانه وتعالى ـ نعمته على العرب حتى رضى لهم الإسلام دينا ، وحتى أكمل لهم هذا الدين .

والذين يذهبون إلى غير ذلك واهمون ، والذين يذهبون إلى أن الخطاب القرآنى باللغة العربية موجه إلى عموم الناس وإلى البشرية جمعاء لا يدركون أبداً أنهم بذلك يضعون المولى ـ سبحانه وتعالى ـ الموضع الذى لايليق » ... الخ .

نقول : لو أن الأمر كما يريد هذا الكاتب لما أكدت السنةُ الصحيحةُ أمرَه ، ولكان للناس على الله الحجة ، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

«أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى :

نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ؛ فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » رواه البخارى فى كتاب التيمم .

وفى رواية مسلم :

« كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود » .

مسلم ـ كتاب المساجد .

فالحديث مما اتفق عليه .

وكانت تلك عقيدة أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وَبَدَا ذلك في خطاب أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول له : يا نبى الله ، إنا كنا أهل جاهلية وعبادة للأوثان فبعثك الله رحمة للعالمين .. الخ،مسند أحمد ٥/٢٦٥ .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن الرسالة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » .. الترمذي ـ كتاب الرؤيا .

(١) انظر الأهرام ص ١٢ فى ٢٣ من المحرم ١٤٠٨ ـ ١٩٨٧/٩/١٦ .

وكيف نتصور أن تعدل رحمة الله بآخر رسالة فيجعلها في العرب وحدهم ويترك الناس أجمعين . أفليس ـ في ذلك ـ حجة للناس على الله .
تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

●●● ●●●

وفي ضوء قوله تعالى :
﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة ٦٧ .

نجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا اليهود والنصارى وغيرهم من المجوس وبقية الوثنيين فأرسل كتبه ورسله إليهم ، وأمر ذلك معروف مشهور ، كما كَلَّفَ الكتابُ العزيز المؤمنين من بعده بحمل الرسالة إلى الناس ودعائهم إياهم إلى الإيمان بالله وحده . أَوَكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يفعل ما فعل لو أن الرسالة خاصة ؟!

فلننظر ـ في ضوء الحق ـ كيف تكون الرسالة خاصة ، قال تعالى :
﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف ١٣٨ ، ١٣٩ .

لقد نهى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قومه ، ولم ينه العاكفين على الأصنام ، فلم يكونوا قومه . ذلك أنها رسالة خاصة .
والأناجيل المتداولة تذكر أن المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ إنما جاء لخراف بني إسرائيل ، ويذكر بعضها أمر امرأة غير إسرائيلية طلبت شيئاً فلم يستجب لها . والله به أعلم . إنها أيضا رسالة خاصة ..
ليس للرسول ـ فيها ـ أن يترك قومه إلى غيرهم كما يشاء .

●●● ●●●

ثم نسأل الكاتب :
إذا كان الأمر كما تقول ، فما حكمك على ما فعله الخلفاء الراشدون وَجَنَّدُوا له الدعاة المجاهدين

ضد الصادين عن الإسلام وما فعله مَنٌّ بعدهم من صالحي أمراء المسلمين ؟ هل كانوا على حق ، أم كانوا آثمين ؟!

لقد طَوَّفَتْ أجنادُهم طباق الأرض لترسل الدعوة إلى المستضعفين ولتخذل جبابرة مسيطرين ؟! فهل خرجوا على الإسلام ؟

●●● ●●●

ثم هل يجوز لنا نحن البشر أن نجعل حكمة الله كحكمة البشر ؟
وهل تَصَوَّرتَ لتكون الرسالة عامة أن ينزل القرآن الكريم بكل لغات الأرض ؟
ثم من حدثك : أن الأوثان بأرض العرب كانت عربية ؟
إن هذا لعجيب ، ولدى دكتورٌ جواد علىٌّ في موسوعته ما يرشد إلى أصول هذه الأوثان ، ومثلك جدّ خبير !!

ثم حدثنا : لماذا لم يرفض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين صفوف المؤمنين : سلمان الفارسي ، وصهيبا الرومي ، وبلالاً الحبشي ، وزنيرة الرومية وأسماء . وغيرهم .. ولماذا كلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صحابته من يتعلم العبرية ؟ .. ألم يرد ذلك في الصحيح .

قال زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه :

« أمرنى رسول الله ﷺ فتعلَّمتُ له كتاب يهود ، وقال ﷺ : إنى وإلله ما آمَنُ يهودَ على كتابى ، فتعلَّمته ، فلم يمر بى إلا نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إذا كَتَبَ وأقرأ له إذا كُتِبَ إليه » . أبو داود ٢/٢٨٦ .

وفي الكتاب العزيز قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الأنعام ١٩ .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

« نَضَّر الله أمرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » رواه الترمذى ٥/٣٤ .

فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

د. على أحمد الخطيب

حبس المدين
فى الفقه الإسلامى

فى لسان العرب لابن منظور :
أن الحبس ، والمحبسة . والمحبس اسم موضع .
وحبسه ، يحبسه ، حبسا ، فهو محبوس وحبيس ، واحتبسه ، وحبسه ، أمسكه ـ عن وجهه أو وجهته ، والحبس ضد التخلية .
وحبسه ، ضبطه ، واحتبسه ، اتخذه حبيسا .
وقد جاءت مادة ـ حبس ـ فى غير موضع من آيات القرآن الكريم :
من هذا ماجاء فى الشهادة فى الوصية فى السفر فى قوله تعالى(١) : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ .. ﴾ وقوله(٢) : ﴿ .. وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَايَحْبِسُهُ .. ﴾ .

وفى الحديث الشريف(٣) ـ كما جاء فى كتب السنة والسيرة عن يوم الحديبية ، عن ناقة الرسول ﷺ (حبسها حابس الفيل) أى منعها عن المسير تجاه مكة ، مامنع فيل أبرهة من دخول البيت الحرام ، حين جاء بجيشه لهدمه .

والسجن ـ بكسر السين المشددة ـ الحبس ، والسجن ـ بفتح السين المشددة ، المصدر يقال : سجنه يسجنه ، سجنا ـ بفتح السين ـ أى حبسه .

وقد جاءت هذه المادة ، بهذا المعنى ، فى آيات عديدة من القرآن الكريم ، وعلى الأخص فى سورة يوسف قوله تعالى(٤) : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَارَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ **وقوله(٥) : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ وفى**

(١) من الآية ١٠٦ من سورة المائدة .
(٢) من الآية ٨ من سورة هود .
(٣) رواه البخارى .
(٤) من الآية ٣٥ من سورة يوسف .
(٥) من الآية ٣٦ من سورة يوسف .

غير هذا من آيات هذه السورة[٦] وردت هذه المادة بذات المعنى . كما جاءت مادة ـ أمسك ، بمعنى ـ حبس ـ فى القرآن الكريم ، من هذا قوله تعالى[٧] : ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ، فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ .

وقال عبد الله بن مسعود (ليس شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان)[٨] .

وبذلك يكون : السجن ـ بالكسر ـ المحبس ، وبالفتح ، مصدر سجنه سجنا ، والسجان ، صاحب السجن ، والسجن ، أو الحبس ، باعتبارهما ، اسم موضع ، للعقاب ، قديم ، فقد سجن نبى الله يوسف ، عليه السلام وقد كان معاصراً لأحد فراعنة مصر ، وفى السجن تعرف على صاحبيه اللذين قص الله قصتهما فى القرآن الكريم فى سورة يوسف .

وتروى كتب التاريخ[٩] أن السجن عند الأقدمين كان على أخشن ما يتصوره العقل فقد اتخذ على هيئة سراديب تحت سطح الأرض ، أو قلعة حصينة ، أو مكانا مخوفا ، موحشا ، تعافه النفس ، ويهابه الرائى ، لا تمييز فيه بين السجناء ، فالقاتل والمزور والخائن للوطن والعالم الذى جهر بكلمة حق أو دعا إلى الرأفة بالشعب وترقية أحواله دينيا أو علميا أو سياسيا ، كل أولئك سواء فى السجن .

ومن هذه المعانى لمادتى الحبس والسجن ، نرى : أنه لا فرق بينهما فى الاستعمال فى اللغة العربية ، وكذلك لا مفارقة بينهما فى اصطلاح الفقه الإسلامى ، وأن التفرقة بينهما فى المدلول الآن ، جاءت اصطلاحا ، وافداً إلينا أو مستورداً ضمن ما أخذنا عن الغير من مصطلحات فى التقنين وفى الفقه القانونى ، بل وفى القضاء .

والعقوبة فى شريعة الإسلام جاءت : إما مقدرة من الشارع وسميت ـ حدا : وذلك كعقوبات السرقة والزنا والقذف وشرب الخمر .

وإما غير مقدرة نوعا ولا كما ، وإنما ترك أمر تحديد نوعها وقدرها لأولياء أمور المسلمين ، تختلف فى الزمان والمكان والوقائع ، لكن سند التشريع العام وارد فى القرآن الكريم وفى سنة رسول الله ﷺ ، قولاً وفعلاً وقد سميت العقوبات غير المقدرة فى أدلة

(٦) الآيات ٢٥، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤١، ٤٢، ١٠٠ سورة يوسف .
(٧) من الآية ١٥ من سورة النساء .
(٨) غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ٥ ص ١٨٢ ط دار الفكر ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٩) دائرة المعارف جـ٥ مادة سجن ـ لفريد وجدى .

الشرع باسم التعزير ، ويستحقها الجانى فى كل كبيرة أو جناية أو فعل أثمته قواعد شريعة الإسلام وأصولها العامة ، دون أن تحدد عقوبته ، نحو شهادة الزور وخلف الوعد وخيانة الأمانة .

وعقوبة التعزير هذه اتخذت صوراً فى الفقه الإسلامى ، فقد تكون بالحبس أو بالضرب أو باللوم والتوبيخ أو بالتغريم بأخذ مال من الجانى ، على خلاف بين الفقهاء فى التعزير بأخذ المال .

السند التشريعى لعقوبة الحبس :

إن مصادر الأحكام التى استقام عليها فقه الإسلام أربعة : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، قولاً وفعلاً وتقريراً ، والإجماع ، والقياس ، لم يختلف فى ذلك فقهاء المسلمين ، فيما عدا داود الظاهرى وأصحابه منهم ابن حزم الذين أنكروا العمل بالقياس ، ولا يعتد بخلافهم فى هذا المصدر ، حتى إذا قلنا إن مشروعية تقرير الحبس عقوبة ثابتة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع ، كان قولاً له ركائزه من النصوص التشريعية فى الإسلام .

ففى القرآن الكريم ، قد ترددت كلمة السجن ، كموضع ، والسجن ، كفعل وعقوبة ، دون نكير فى القرآن على اتخاذه أو فعله ، وأنكر الإسلام ماقد يصاحب السجن من تجاوز يمتد إلى إهدار كرامة السجين وإنسانيته . وفيه - مع هذا - قول الله سبحانه[١٠] : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ .

فقد ذهب كثير من المفسرين والفقهاء[١١] إلى أن (أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ) مقصود منها تقرير عقوبة السجن ضمن الجزاءات التى سوغ الله إنزالها بالفاسدين المفسدين .

أما السنة : فقد قال الخصاف[١٢] الحنفى : أن الأصل فى هذا الباب وغيره ماروى عن النبي ﷺ أنه قال[١٣] (لىُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) وفى بعض الأخبار : مطل الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ، والعقوبة هى الحبس .

وكذا روى عن السلف .

روى بهز بن حكيم عن أنس عن جده أن النبى ﷺ : حبس رجلا فى تهمة دم .

وروى سلامة بن مسكين عن الحسن ، أن

(١٠) من الآية ٣٣ سورة المائدة .

(١١) يراجع تفسير ابن كثير فى الآية السابقة .

(١٢) كتاب أدب القاضى للخصاف مع شرحه لأبى بكر أحمد بن على الرازى المعروف بالجصاص المتوفى عام ٣٧٠هـ ط ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ط دار نشر الثقافة بالفجالة بالقاهرة تحت عنوان : باب الحبس فى الديون وغيره ص ١٣٤ .

(١٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير جـ١٠ هامش تكملة المجموع شرح المهذب ص ٢٢٨ رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه وعلقه البخارى ، ولكن لفظه عند الطبرانى فى الأوسط (لى الواجد يحل عرضه وعقوبته) وقال : لا يروى عن الشريد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به ابن أبى دليلة .

ناسا من الحجاز اقتتلوا ، فقتل بينهم قتيل فبعث إليهم رسول الله ﷺ من حبسهم .

وروى إسماعيل بن رجاء عن أبى مجلز أن النبى ﷺ حبس رجلاً من جهينة أعتق شخصا له فى مملوك حتى باع فيه غنيمة له[١٤] .

وفى فتح القدير[١٥] للكمال بن الهمام الحنفى على الهداية :

والحبس مشروع بالكتاب لأنه المراد بالنفى المذكور بقوله تعالى : ﴿ . . أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ . . ﴾[١٦] .

وبالسنة ـ على ماسلف ـ أنه ﷺ حبس رجلا فى تهمة ، وذكر الخصاف : أن ناسا من أهل الحجاز اقتتلوا ، فقتلوا بينهم قتيلا ، فبعث اليهم رسول الله حبسهم ، ولم يكن فى عهده ﷺ ، وأبى بكر ـ سجن ـ إنما كان يحبس فى المسجد أو الدهليز حتى اشترى عمر رضى الله عنه داراً بمكة بأربعة آلاف درهم ، واتخذها محبساً ، وقيل بل لم يكن فى زمن عمر ولا عثمان أيضاً إلى زمن على رضى الله عنه ـ لكن ثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه كان له سجن ، وأنه سجن الحطيئة على الهجو ، وقال له اندفعت تغنى بأعراض المسلمين ، يعنى أنه يهجو الناس ويقدح فى أعراضهم ، وكان هجاؤه مقذعاً حتى لقد هجا نفسه ، حين نظر فى بئر فرأى وجهه ، وكان قميئاً ، دميماً فقال عن نفسه :

أرى لى وجهاً قبح الله شكله
فقبح من وجه وقبح حامله

بل ولقد قال فى زوجته :

أطوف ماأطوف ثم آوى
إلى بيت قعيدته لكاع

ولم يكف عن الهجاء بعد إسلامه ، فسجنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهدده بقطع لسانه فاعتذر إليه حتى عفا عنه وذلك بأبيات منها :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر[١٧]
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله ياعمر .

فعفا عنه عمر ومنحه ثلاثة آلاف درهم ، يعول بها أسرته ، على ألا يهجو أحداً ، ولكنه عاد إلى الهجاء بعد وفاة عمر وامتدت حياته حتى مات فى خلافة معاوية .

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على مشروعية الحبس .

الديون المالية واهتمام الاسلام بالوفاء بها

إن الإسلام أمر بالعمل المستقيم ، ورغب فيه ، لأنه وسيلة الحصول على المال ، الذى به قوام الحياة وقد ورد ذكر المال فى آيات القرآن

(١٤) كتاب أدب القاضى للخصاف السابق ذكره .

(١٥) جـ٥ ص ٤٧٦ ط المطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٦هـ مع حاشيتى العناية وسعدى حلبى .

(١٦) من الآية ٣٣ سورة المائدة .

(١٧) أفراخ : أطفال ، ذى مرخ : اسم مكان كان يعيش فيه بأسرته . زغب الحواصل : المراد صغار كالطير التى يغطيها الزغب وهو الريش الصغير قبل أن تقوى على الطيران .

الكريم ، فى نحو نيف وتسعين موضعاً ، فى أغراض شتى ، سواء فى الأمر بكسبه والمحافظة عليه ، وإخراج زكاته ، أو التحذير من اكتنازه ، وحبسه عن التداول والتحذير كذلك من فتنته ، واتخاذه وسيلة للبطش ، وللإعراض عن الحق ، ومن أكله بالباطل . ولقد خص القرآن الديون بالذكر ، فكان الأمر بكتابتها . وبالاشهاد عليها ، فى آية المداينة ، قوله تعالى[١٨] : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

وأيا ما كان اختلاف الفقهاء فى تكييف هذا الأمر وحكمه ، هل هو : للوجوب أو للندب والاستحباب احتياطاً للأموال فإن هذا الأمر دليل العناية بالديون لأنها أثر لازم للتعامل ، بل وللتكامل بين الأمة ، ولم يقتصر الأمر على الدعوة إلى تسجيله كتابة ، بل عنى القرآن بأداء الديون وإبراء ذمة المدين ، حتى بعد وفاته نجد هذا فى آيات المواريث[١٩] ، فقد اختتمت أولاها[٢٠] بقوله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ . . ﴾ والثانية[٢١] بقوله تعالى : ﴿ . . مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

ومن هنا : كان قضاء الديون التى علقت بذمة المتوفى ، حال الحياة ، حقا ، حتما مقضيا قبل الوراثة بل إن بعض الفقهاء قدم الوفاء بالديون المتعلقة بأعيان التركة ببعضها على حق تجهيز المتوفى ونفقات دفنه ، على ماسنشير إليه فيما بعد .

ترتيب اقتضاء الحقوق والديون من التركة

ولقد بلغت عناية الفقهاء الإسلاميين بالديون ، أن تحدثوا فى ترتيب الوفاء بها من التركة عند وفاة المدين واختلفوا فى هذا ، بعد أن قسموها إلى ديون لله تعالى ، كالزكاة والنذور والكفارات وزكاة الفطر ، وديون للناس أيا كان سببها ، وديون صحة ، وديون مرض .

فذهب فقه مذهب الإمام أبى حنيفة إلى أن الديون التى هى حقوق لله تعالى ولا مطالب لها من الناس كدين الزكاة ، والنذور ، تسقط بالموت ، فى حق الدنيا ، لا فى حق الإثم بالترك ، ولا يلزم الورثة أداؤها من التركة ، مالم يوص فإذا أوصى بها قبل الوفاة ، فتؤدى من ثلث التركة ، بعد نفقات تجهيزه وقضاء ديون الناس .

أما الديون التى هى حقوق للناس ، ولها مطالب منهم ، فما كان دينا عينيا ، أى متعلقا حال حياة المدين بعين من الأعيان ، كدين الرهن ، يبدأ بأدائه من تركته بعد موته ، ويقدم على مايكفى لتجهيزه إلى دفنه ، ومابقى من التركة بعد أداء الديون العينية يؤدى منه مايكفى لتجهيز المتوفى ، ثم مابقى تؤدى منه

(١٨) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .
(١٩) هى الآيات ١١ و١٢ والأخيرة من سورة النسأء ولم تعرض هذه للديون والوصايا .
(٢٠) الآية ١١ سورة النساء .
(٢١) الآية ١٢ سورة النساء .

الديون المرسلة أى ديونه التى لحقت بذمته فقط حال حياته ، دون تعلق بعين من أعيان أمواله ، على أن يقدم فى الوفاء دين الصحة منها على دين المرض[٢٢] .

ونص فقه الإمام مالك على أنه يخرج من تركة الميت ، كل الديون المتعلقة بأعيان التركة ولو استغرقتها جميعا كالشىء المرهون فيه دين ، لتعلق حق المرتهن بذاته ثم مؤنة تجهيزه بالمعروف بما يناسب حاله ومؤنة تجهيز من كانت تلزمه نفقته ثم تقضى ديونه التى لآدمى ، سواء كانت بضامن ، أم لا .

وفقه المالكية ، بهذا المضمون قريب إلى فقه مذهب الحنفيين ، وهو أن ديون العباد مقدمة على الديون المتعلقة بحقوق الله سبحانه وتعالى ، وفقط يختلفون عنه فى أمرين :

أحدهما : فى اعتبار هذه الحقوق ديونا تثبت من غير وصية .

والأمر الآخر : أنها لا تحتسب فى الثلث ، وتقدم على الوصايا والمواريث ، ولكن المالكية مع هذا لا يجيزون أداء هذه الديون ، إلا إذا أشهد المتوفى على نفسه ، وهو حى ، أنها واجبة فى ذمته ، وهذا الإشهاد للإعلام لا للايصاء[٢٣] .

وبهذا يبين التقارب فى هذا الموضع بين المالكية والحنفية مع الاختلاف فى جوهر الأداء . والأساس لهذا الرأى هو القاعدة التى قررت : أن الحق الذى له مطالب من العباد أولى بالأداء ، لأن الله يعفو ويرحم .

وفقه الإمام الشافعى يقرر فى الحقوق التى تقتضى من التركة بما فيها الديون : إنه يبدأ من تركة الميت بمؤنة تجهيزه ثم تقضى ديونه ، مقدماً منها دين الله تعالى كزكاة ، نصابها قائم ، لم يهلك ، ولم يستهلك قبل وفاته بمعنى أن المال الذى وجبت فيه الزكاة لازال قائماً بحاله ، لتعلق الزكاة به ، كتعلق حق المرتهن بالعين المرهونة بل إنه أقوى من هذا .

أما إن كان المال الذى وجبت فيه الزكاة قد استهلك أو هلك ، فقد انتقل الدين إلى الذمة ، وصار كالكفارات غير المعينة ، فى مال معين ، وهنا يفصل الشافعيون ولهم فى هذا مقال وترجيح[٢٤] .

وفقه الإمام أحمد بن حنبل أنه : يبدأ مما بقى من التركة بعد تجهيز المتوفى بأداء الديون العينية ، ثم بأداء الديون المرسلة ، وهذه جميعها فى مرتبة واحدة فلا يقدم منها ماهو حق الله على ماهو حق للناس ولا يقدم دين الصحة على دين المرض ، وقالوا : يجب الإسراع فى قضاء دينه سواء كان لله تعالى أو لآدمى ، لما روى الشافعى وأحمد عن أبى هريرة مرفوعاً : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه)[٢٥] .

(٢٢) جـ٥ ص ٧٤٠ ، ٧٤١ وما بعدهما من الدر المختار للحصكفى وحاشية رد المحتار لابن عابدين فى كتاب الفرائض .

(٢٣) باب الفرائض بحاشية الدسوقى على شرح الدردير لمختصر خليل ج ٤ ص ٥٣٦ ومابعدها .

(٢٤) حواشى تحفة المحتاج شرح المنهاج جـ٦ ص ٣٨٢ ومابعدها فى كتاب الفرائض ط مصطفى محمد .

(٢٥) الروض المربع للبهوتى بشرح زاد المستقنع للحجاوى ص ١٤٠ ط دار المعارف بالقاهرة وشرح قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ . للمرحوم فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف .

من هذا نستبين كيف أن فقهاء المسلمين قد أعطوا أهمية قصوى لإبراء الذمة من الديون .

ونجد هذا واضحا فيما روى من أن رسول الله ﷺ[٢٦] ، لم يكن يصلى على ميت مدين ، وأنه حين قدمت جنازة أحد المسلمين ، وعلم الرسول ﷺ أنه مدين ، توقف عن الصلاة عليه ، وطلب إلى الحاضرين الصلاة عليه فلما تكفل أحد الصحابة بدين هذا الميت ، صلى عليه ، هذا فى شأن الموتى ، أما شأن المدينين الأحياء ، فقد ألزمت النصوص الشرعية ، هؤلاء بالوفاء بما استدانوا ، بل جاءت أوامر الشارع بالوفاء بالعهود والعقود والأمانات ففى القرآن الكريم قول الله تعالى[٢٧] :

﴿ . . فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ وقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾

وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[٢٨] وقوله تعالى[٢٩] : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ . . ﴾ .

ومما يدل على عناية الإسلام بالمداينات ، وحثه على قضاء الديون أنه عدَّ الغارمين من مصارف الزكاة ، داعيا الموسرين الذين يزكون أموالهم ، أن يدفعوا بعض هذه الزكاة إلى من لحقته الديون ، جاء هذا بيِّنا فى قوله تعالى[٣٠] : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ . واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

اختص الله سبحانه هذه المصارف ـ ومنها الغارمون ـ أى المدينين ـ بالصدقات وهذا يشير إلى أهمية سداد الديون فى شريعة الإسلام ، وأنه ليس مجرد خلق محمود .

ويوضح هذا أيضا ماحدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : قال : (أصيب رجل فى ثمار ابتاعها فى عهد رسول الله ﷺ ، فكثر دينه ، فقال رسول الله ﷺ تصدقوا عليه ، فتصدق الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه : خذوا ماوجدتم وليس لكم إلا ذلك[٣١] .

وفى السنة الشريفة وصف رسول الله ﷺ . المدين الموسر ، الذى يقعد عن الوفاء بدينه

(٢٦) الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٤٠٧ ويراجع المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ٥ ص ٨٢ ومابعدها .
(٢٧) من الآيتين ١٧٨ ، ٢٨٣ من سورة البقرة .
(٢٨) من الآية ٥٨ سورة النساء .
(٢٩) أول سورة المائدة .
(٣٠) من الآية ٦٠ سورة التوبة .
(٣١) المحلى لابن حزم جـ٨ ص ١٧٠ وفى هامشه أن الحديث فى صحيح مسلم جـ١ ص ٤٥٨ مع تقديم وتأخير .

مطلا بأنه ظالم فقال[٣٢] : (لىّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) وفى خبر آخر : (مطل الغنى ظلم يحل عرضه وعقوبته) .

والمطل[٣٣] : المد ، يقال مطل الحبل وغيره ، يمطله مطلا ، فأمطل ، ومطل الحديدة يمطلها مطلا ، ضربها ومدها وسبكها ، والمطال صانع ذلك .

وفى نطاق هذا المعنى لهذه المادة يكون معنى / (مطل الغنى ظلم ..) أى مده المديونية ، ونكوصه عن السداد فى الأجل ، مع الغنى واليسار والقدرة ظلم ، لا يبيحه الإسلام .

وفى معنى الحديث : (لىّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) جاء فى سنن[٣٤] ابن ماجه (عرضه) يعنى شكايته (عقوبته) يعنى سجنه .

وفى حاشية السندى[٣٥] فى ذات الموضع : أن قوله (لى الواجد) بفتح اللام وتشديد الياء أو مطله ، ـ والواجد بالجيم ـ القادر على الأداء ، أى الذى يجد مايؤدى ، يحل عرضه للدائن بأن يقول ظلمنى وعقوبته الحبس والتعزير .

وفى لسان[٣٦] العرب فى الحديث قال : إن عرض الرجل حسبه ، وقيل نفسه ، وقيل خليقته المحمودة ، وقيل مايمدح به ويذم .

وفى الحديث : إن أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، قال ابن الأثير : هو جمع العرض المذكور على اختلاف القول فيه .

ويقال : فلان كريم العرض ، أى كريم الحسب ، وأعراض الناس أعرافهم ، وأحسابهم ، وأنفسهم ، وفلان ذو عرض إذا كان حسيبا .

وفى الحديث : (لى الواجد يحل عقوبته وعرضه) أى لصاحب الدين أن يذم عرضه ، ويصفه بسوء القضاء ، لأنه ظالم له ، بعد ماكان محرماً منه ، وقيل : عرضه : يغلظ له ، وعقوبته الحبس .

وقيل معناه : أنه يحل له شكايته منه ، وقيل معناه أن يقول : ياظالم أنصفنى لأنه إذا مطله وهو غنى فقد ظلمه .

ولعل أقرب المعانى وأوضحها لهذا الحديث ماجاء فى سنن ابن ماجه من تفسير كلمة (عرضه) بالشكاية ، فهى بهذا ليست من العرض ـ بكسر العين ، وإنما من العرض ـ بفتح العين أى الشكوى ، وكلمة عقوبته بالسجن .

←

(٣٢) سنن ابن ماجه ، باب حبس المدين فى الدين والملازمة ص ٨٠ جـ٢ مع حاشية السندى ط أولى بالمطبعة التازية بالقاهرة .

(٣٣) لسان العرب لابن منظور مادة مطل .

(٣٤ ، ٣٥) الموضع السابق ص ٨٠ جـ٢ .

(٣٦) مـادة عـرض .

ويصبح معنى الحديث ـ والله أعلم ـ أن مطل المدين القادر على السداد يحل للدائن شكواه إلى الحاكم ليعاقبه بالحبس .

قال صاحب العناية[٣٧] شرح الهداية تأييداً لمشروعية حبس المدين ، إذا مطل مع القدرة : ولأن القاضى نصب لإيصال الحقوق إلى مستحقيها ، فإن امتنع المطلوب من أداء حق الطالب ، لم يكن للقاضى بد من أن يجبره على الأداء ، ولا خلاف فى أنه لا جبر بالضرب ، فيكون الحبس أولى .

ولعل هذا الذى يحمله هذا الحديث الشريف ، وماقاله صاحب العناية ، من ضرورة تنفيذ القضاء أو إيصال الحق لأهله هو ماصرح به عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى كتابه المشهور إلى أبى موسى الأشعرى الذى بنى عليه العلماء ـ كما قال ابن القيم ـ أصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتى حين قال فى افتتاحه .

(أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ـ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له إذ أن مراد عمر بهذا : التحريض على تنفيذ الحق إذا فهمه الحاكم ، ولا ينفع تكلم به ، إن لم يكن له قوة تنفيذه فهو تحريض منه على العلم بالحق ، والقوة على تنفيذه[٣٨] .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر



(٣٧) جـ ٥ ص ٤٧٦ مع شرح فتح القدير ط ٣/٦/هـ المطبعة الأميرية ببولاق مصر .
(٣٨) أعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٧١ وما بعدها ط إدارة الطباعة المنيرية .

يد الله مع الجماعة

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . . . ﴾
الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .

البيـــان ●

بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولا يتحقق ذلك إلا بالوحدة وعدم التفرق ، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ الآية ١٢٩ من آل عمران .

وقد استمع المسلمون إلى نصيحة الله تعالى فعزوا وعز بهم الإسلام ، ولا يليق بهم وهم الدعاة إلى الحق ، المنوط بهم تبليغ الرسالة إلى أهل الأرض جميعاً ـ لا يليق بهم ـ أن يتفرقوا شيعاً وأحزاباً ، يقاتل بعضهم بعضا ، فإن فى ذلك ضعفاً لهم ، وسببا لتربص الأعداء بهم ، ونيلهم منهم ، واستلابهم حريتهم .

لقد آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وجعل منهم أمة واحدة ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

فإذا وسوس الشيطان بين فريقين منهم ، وحرض بعضهم على بعض حتى اقتتلوا ، وجبت المسارعة إلى الإصلاح بينهم حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، كما كان النبى ←

(●) تأسف مجلة الأزهر ـ إذ تأخر هذا المقال عن ترتيبه . ولكنه مستقل الموضوع ..

ﷺ يصنع مع أصحابه ، وعلى كلا الطرفين أن ينقاد إلى الصلح حفاظاً على الوحدة بين المسلمين .

روى المعتمر بن سليمان عن أنس بن مالك قال : « قلت يارسول الله ، لو أتيت عبد الله بن أُبيٍّ - يعنى ابن سلول - أس المنافقين - فانطلق إليه النبى ﷺ فركب حمارا ، وانطلق المسلمون يمشون ، وهى أرض سبخة ، فلما أتاه النبى ﷺ قال : إليك عنى فقد آذانى نَتَنُ حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لَحِمارُ رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك ، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه ، وغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهم حرب بالجريد والأيدى والنعال ، فبلغنا أنه أنزل فيهم هذه الآية »[1] ، وعلى أساسها أصلح النبى ﷺ بينهم . وقال مجاهد : نزلت فى الأوس والخزرج .

قال مجاهد : « تقاتل حيان من الأنصار بالعصى والنعال فنزلت » فَنَفَّذ الرسول ما أمرت به الآية من الصلح بين الفريقين .

أقول : ولعل مارواه مجاهد هو ما رواه المعتمر عن أنس بن مالك ، فإن الذين تقاتلوا من أجل كلام عبد الله بن أبى للرسول كانوا من الأوس والخزرج .

كيف يكون الاصلاح بينهما ؟

والإصلاح بين الفئتين يكون بالعدل وعدم التحيز إلى فئة على حساب الأخرى ومن ألوان الصلح التنازل عن حق الإمارة ، فقد بويع الحَسَنُ بن على رضى الله عنهما بعد قتل أبيه ، ثم تنازل عن حقه فى الإمارة والخلافة حقنا لدماء المسلمين ، وجمعا لكلمتهم .

وقد أخبر النبى ﷺ بذلك فى طفولة الحسن ، روى الإمام البخارى بسنده عن أبى بكرة « أن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسنُ بن علىٍّ ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول « إن ابنى هذا سيِّدٌ ، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فكان كما قال ﷺ ، فقد أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق ، بعد الحروب المدمِّرة التى كانت بين أبيه وبين معاوية ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ الآية فإن تطاولت إحداهما على الأخرى وقاتلتها ولم تستجب للصلح العادل ، فهى باغية عليها ، فيجب على المسلمين قتالها حتى ترجع إلى حكم الله فى كتابه وسنة رسوله ، فإن رجعت وفاءت إلى حكم الله ، فكفوا عن قتالها ، وأصلحوا بينهما بالعدل إن الله يحب العادلين .

مايستنبط من الآية والسنة

(١) استدل البخارى وغيره بالآية على أن المؤمن لا يخرج من إيمانه بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقول الخوارج وفريق من المعتزلة ونحوهم ، والآية صريحة فى ذلك فإنها سمتهم (المؤمنين) مع قتالهم ، وكما صرح به الحديث السابق « ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن معتمر ، ورواه البخارى فى الصلح عن مُسَدَّد ، ورواه مسلم فى المغازى بسنده عن محمد بن عبد الأعلى - كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه .

(٢) فى هذه الآية حجة على وجوب قتال الفئة الباغية على الإمام أو على سواه من المسلمين ، كما أنها حجة على من منع قتال المؤمنين مطلقاً ، محتجاً بقوله ﷺ : « قتال المؤمن كفر » ولو كان قتال المؤمن الباغى كفراً لكان أمر الله بقتاله أمراً بما يكفره ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، كما أن هذا القول مخالف لقوله ﷺ « خذوا على أيدى سفهائكم » .

ولو كان قتال المؤمن محرما على الإطلاق لما قاتل أبو بكر الصديق وصحابة الرسول من امتنعوا عن أداء الزكاة ، مع تمسكهم بالإيمان بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد أمر الصديق أن لايتبع فارٌ ولايجهز على جريح منهم ، ولم تحل أموالهم بخلاف الواجب فى الكفار .

وعلى هذا يحمل حديث « قتال المؤمن كفر » على قتال غير البغاة من المؤمنين .

(٣) إذا كان كل من الفريقين باغياً على الآخر فى قتاله إياه ، فالواجب فى ذلك السعى بينهما بالصلح ، فإن لم يصطلحا وأقاما على البغى قوتلا جميعا ، وإذا كان الباغى أحدهما قوتل حتى يكف ويتوب ، فإن فعل أصلح بين الفريقين بالقسط والعدل ، فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما ، وكلاهما عند نفسه محق ، فالواجب إزالة الشبهة بينهما بالحجة والبرهان ، فإن لم يستجيبا بعد وضوح الحق قوتلا كما يقاتل الفئتان الباغيتان .

وقد كان القتال بين الإمام على ومن معه ومعاوية ومن معه لشبهة قامت بينهما فالإمام على يطلب البيعة من أهل الشام وعلى رأسهم معاوية ، ومعاوية يطلب الأخذ بثأر عثمان ممن يوجدون فى معسكر علىّ قبل بيعته ، فكان على يقول : ادخلوا فى البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه ، وكان معاوية ومن معه يقولون : لا تستحق البيعة وقتلة عثمان معك تراهم صباحا ومساء .

ولو أن عليا قتل الذين قتلوا عثمان قبل تمام البيعة لتعصبت لهم قبائل ، وصارت حربا أخرى ، فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة ، ويقع الطلب من الأولياء فى مجلس الحكم ، فيجرى القضاء بالحق والمسلمون يد واحدة .

ومما يدل على أن عليا كان على الحق قوله ﷺ « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » وكان عمار مع على رضى الله عنهما ، والذين قتلوه من أهل الشام مع معاوية ، وإن كانوا يغالطون ويقولون قتله من أخرجه .

ومما يدل على أن عليا صاحب الحق قوله ﷺ فى شأن الخوارج : « يخرجون على خير فرقة » وقد خرجوا على فرقة على ، وقوله أيضا « تقتلهم أولى الطائفتين إلى الحق » وكان الذى قتلهم على بن أبى طالب ومن كان معه .

ولا خلاف بين الأمة فى أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة .

والكلام فى هذا الموضوع طويل ، وباب التأويل فيه واسع ، ولهذا ثبت كلا الفريقين على رأيهما ، حتى قتل الإمام على غيلة ، ولما بويع ابنه الحسن ـ رضى الله عنهما ـ تنازل عن بيعته إلى معاوية حقنا لدماء المسلمين ، ولهذا قال فيه جده المصطفى ـ ﷺ ـ « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله تعالى أن يصلح به

بين فئتين عظيمتين من المسلمين » كما تقدم ذكره والواجب على المسلمين أن لا يدخلوا حكاما بين الفريقين بأكثر مما قلناه ، فقد كان فى كل منهما أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وقد عرفت شبهة الفريقين ، والله تعالى أعلم . ذلك ، لكثرة ما استحدث من آلات التخريب

بقية مايستنبط من الآية والسنة

(٤) ويستنبط من قوله تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ ألا يطالبوا بما جرى بينهما من دم ولا ما أنفق من مال ، ففى طلب ذلك منهم تنفير لهم عن الصلح ، واستشراء فى البغى ، وهذا أصل فى المصلحة .

ويقول العلماء : إن من حكم الله فى حرب الصحابة تعريفهم بقتال أهل التأويل وأحكامه ، إذ كانت أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت قولاً وفعلاً من رسول الله ﷺ .

(٥) إذا خرج على الإمام العدل فئةٌ باغية ولا حجة لها ، قاتلهم الإمام ، وعليه أن يدعوهم قبل القتال إلى الطاعة والدخول فى الجماعة ، فإن أبوا الصلح قوتلوا ، ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم ولا يقتل جريحهم ، ولا تسبى نساؤهم وذراريهم وأموالهم وإذا قتل العادل الباغى أو الباغى العادل ـ وهو قريبه ـ لم يتوارثا ، ولا يرث قاتل عمداً بأى حال ، وقيل إن العادل يرث الباغى قياساً على القصاص .

(٦) ما استهلكه البغاة والخوارج من دم أو مال ثم تابوا لم يؤاخذوا به ، وقال أبو حنيفة : يضمنون لأنه إتلاف بعدوان فيضمنون ، وللشافعى قولان :

والمعول عليه عند المالكية أن الصحابة فى حروبهم لم يتبعوا مدبرا ، ولا أجهزوا على جريح ولا قتلوا أسيراً ، ولا ضمنوا نفسا ولا مالاً وهم القدوة ، قال ابن عمر : قال النبى ﷺ « ياعبد الله ، أتدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : لا يجهز على جريحها ، ولا يقتل أسيرها ، ولا يطلب هاربُها ، ولا يقسم فيئها » .

(٧) قال القرطبى : لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوعا به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا الله بالكف عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ، ونهى النبى ﷺ عن سبهم ، وذكر أن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم(٢)

هذا ما ماقد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبى ﷺ « أن طلحة شهيد يمشى على الأرض » فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانا ، لم يكن بالقتل فيه شهيداً ، وكذلك لو كان الذى خرج إليه خطأ فى التأويل ، وتقصيراً فى الواجب عليه ، لأن الشهادة

البقية صفحة ٢٢٩

(٢) قال تعالى فى سورة التوبة ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . . . ﴾ من الآية ١٠٠ .

وقال فى سورة الفتح ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . ﴾ من الآية ١٨ .

الرسالات السماوية

بين التطور والتجديد

للأستاذ الدكتور
محمد شامة

خلق الله الإنسان ليكون خليفة له فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١) ،

لذا ميزه الله بالعقل على سائر الكائنات الحية ، ليستعين به فى الانتفاع بما سخره الله له ، إذ أن الله سخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكثيراً مما يسبح بينهما .. يقول الله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾(٢)

ويقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾(٣)

ويقول :

﴿ اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤)

ولكى تكون له الحرية فى التفكير والسلوك لم يجبره على سلوك طريقة معينة ، بل ترك له الخيار فى أن يسلك ما يشاء فى الانتفاع بما أعطاه الله ، وكان من الطبيعى أن يعجز هذا العقل عن الوصول إلى كنه الوجود ، وإلى معرفة ما يحدث له بعد الموت ، بل قد ثبت عجزه

←

(١) البقرة ٣٠ .
(٢) إبراهيم ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) الحج ٦٥ .
(٤) الجاثية ١٢ ، ١٣ .

عن التوصّل إلى نظام ثابت للحياة يحفظه من الدمار ويساعده على بناء مجتمع سليم متماسك .

ومن هنا أرسل الله له رسلا ليبينوا له ما عجز عقله عن ادراكه ، وليوضحوا له ما خفى عليه من أحداث ما بعد الموت ، فكان لكل قوم رسول .

يقول تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾(٥)

ويقول :

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾(٦)

ويقول :

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾(٧)

ويقول :

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٨)

ويقول :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٩)

ويقول :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾(١٠)

ويلاحظ فى هذه الآيات أن كل رسول كان يبعث إلى قومه ، فهل كانت الرسالات واحدة باعتبار أنها من مصدر واحد وهو الله ؟ أم أنها كانت متعددة باعتبار تعدد الأقوام واختلاف درجة حضارتهم ، وتنوع تقاليدهم وعاداتهم ؟

يرى بعض الباحثين أن الجنس البشرى مر بمراحل فى تطوره ثم يعقد مقارنة بينه وبين تطور نمو الطفل فيقول : « إن الجنس البشرى بدأ كما يبدأ الطفل ، أقرب إلى البدائية والبساطة ، ثم نما الجنس البشرى ، ونمت أفكاره فوصل إلى ما يمكن أن يسمى مرحلة الصبا البشرية ثم نما مرة أخرى فوصل إلى مرحلة يمكن أن تعد مرحلة شباب البشر ، ويستنتجون من هذه النظرية أن الرسالات كانت مختلفة ، إذ أن كل رسالة كانت تناسب كل طور من الأطوار .

سيطر هذا الرأى على جمهور العلماء قديما وحديثا حتى أصبح من المسلمات التى لا تنقض وكثيرا ما يستشهد المحدثون على

(٥) الأعراف ٥٩ .
(٦) الأعراف ٨٠ .
(٧) الأعراف ٨٥ .
(٨) الأعراف ٧٣ .
(٩) الأعراف ٦٥ .
(١٠) الزخرف ٢٦ .

هذا الرأى بنص للإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد يقول فيه :

إن الأديان خاطبت الحس يوم كانت الإنسانية فى دور الطفولة لا يعرف الإنسان فيها إلا ما يقع تحت حسه ، ولا يتناول بذهنه من المعانى ما لايقرب من لمسه ، فلما سار ركب الإنسانية ، وجربت ، وكسبت ، وتخالفت ، واتفقت ، وتقلبت فى السعادة والشقاء أياما وأياما ، ونما بها الوجدان ، وبددت العواطف ، جاء دين يتحدث عن الزهادة ، وعن الصفاء وملكوت الله ، ولكن الإنسانية فى صراعها لم تستطع أن تعيش على الإيثار ، ولم يطل مقامها فى الصفاء ، فراحت تتعارك ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان المسالمة ، فجاء دين ينظم الشئون كلها ويرعى الحس والعاطفة ، ويدرس القلب والعقل ، وينظم للناس شئون دنياهم وآخرتهم وهذا هو الإسلام .

ويرى أصحاب نظرية التطور فى الرسالات السماوية ـ طبقا لما عليه الجنس البشرى من درجة التطور ـ أن كل مرحلة لها سمات خاصة تتفق مع درجة حضارة من أرسلت إليهم الرسالة ، وعليه فقد قسموا الرسالات السماوية إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وهو ما كان فى مرحلة الطفولة البشرية وتبدو ملامحه فى

[١] : أن الدعوة كانت محدودة بقوم الرسول ، وأن كل رسول كان يبعث إلى قومه فقط .

[٢] : أن ما تضمنته من مبادىء ، كان فى حدود ضيقة ، دون تنظيمات وتفريعات فى جوانب الحياة المختلفة ، اللهم إلا ما كان من مرض اجتماعى تفشى فى المجتمع حتى أصبح ظاهرة عامة فكانت الدعوة تنهى عنه وتحاربه .

[٣] : أنه لم يكن للدعوة فى تلك المرحلة كتب واضحة ، إنما هى بضع نصائح ، وقد توجد بعض ألواح أو صحف عامة .

[٤] : أننا لم نعرف لأديان هذه المرحلة تواريخ ، إذ لم يحدد ـ مثلا ـ العصر الذى أرسل فيه نوح ، أو هود ، أو إبراهيم .. الخ

القسم الثانى : وهو ما كان فى مرحلة « صبا البشرية » وكانت ملامحه أكثر تعقيدا وشمولا .. وتبدو مظاهره فيما يلى :ـ

[١] : دخلت الدعوة بعض التفاصيل والتشريعات ، ففى سفر التثنية : « بخطيئة لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل »(١١)

« إذا كانت خصومة بين أناس ، وتقدموا إلى القضاء ليقضى القضاة بينهم فليبرروا البار ، وليحكموا على المذنب »(١٢) .

« إذا سكن أخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل اجنبى ، أخو زوجها يتزوجها ، والبكر الذى يلده يقوم باسم أخيه الميت ، لئلا يمحى اسمه من إسرائيل »(١٣)

(١١) ٢٤ : ١٦ .
(١٢) ٢٥ : ١ .
(١٣) ٢٥ : ٥ ـ ٦ .

[٢] : أصبح للدعوة كتاب هو التوراة أو الإنجيل ، ولكن معانيهما فقط هى الموحى بها ، وصاغها البشر فى عبارات ، وقد أصابها التحريف والضياع .

[٣] : وجدت فى هذه المرحلة تواريخ ولكنها غير دقيقة .

القسم الثالث : وهو ما كان فى مرحلة « شباب الجنس البشرى » فله ملامح خاصة وضحها هؤلاء العلماء فيما يلى :ـ

[١] : اتضحت وحدانية الله وحطمت الأصنام ، وفتح بالإسلام عهد جديد لا يقبل الشرك بأى صورة من صوره ، فالإسلام « عقيدة تامة » لا تسمح لعارض من عوارض الشرك والمشابهة ، ولا تجعل لله مثيلا فى الحس ولا فى الضمير ، بل له المثل الأعلى وليس كمثله شىء .

[٢] : أصبحت الدعوة عامة لكل البشرية ، وأصبح محمد ﷺ رسولا للعالمين يقول تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(١٤)

[٣] : ختمت الرسالات بدعوة محمد ﷺ ، والدليل على ذلك واضح للغاية أيضاً ، فقد مرت القرون تلو القرون بعد محمد ﷺ ، ولم يأت من يدعى الرسالة منذ طلع على العالم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

[٤] : ديانة الإسلام شاملة لأمور الدين والدنيا وضحت لنا ما يجب لله تعالى ، وصورت لنا جنته وناره ، وأبرزت معالم الخير والشر وراحت إلى أمور الدنيا تتحدى تفكير العالم بنظم رائعة فى الميراث والسياسة والاقتصاد والبيع والشراء والوصية والهبة والسلم والحرب ، وكل حاجات الإنسان .

هذا هو مجمل رأى القائلين بنظرية التطور فى الرسالات السماوية ، وهى غير سليمة ، إذ أنها ظهرت فى الأوساط الفكرية متأثرة بنظرية « داروين » التى لم تسلم من النقد والتجريح ، ولذا لا يجوز أن يسلم بها علماء المسلمين ، لأن رأيهم ـ بناء عليها ـ فى تطور الرسالات السماوية :

- يتنافى مع الواقع .
- ويحمل فى طياته نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى .
- كما أنه يوحى بأن رسالة محمد ﷺ ليست خاتمة الرسالات .

أما أنه يتنافى مع الواقع ، فإن من ينظر إلى عملية التطور يرى أنها ذات شقين :

الأول : تطور فى أساليب الحياة المادية ، إذ انتقلت حياة الإنسان من بدائية لم يستعمل فيها إلا أدوات بسيطة كانت من الحجر فى بادىء الأمر ثم تطورت إلى مادة ثانية ، وثالثة ، .. الخ . كما انتقل معظم الناس من سكن الكهوف والمغارات إلى البيوت البسيطة ، ثم إلى العمارات الشاهقة فناطحات السحاب بكل ما فيها من آلات تعمل بالطاقة على اختلاف مصادرها ، كذلك تطورت وسائل المواصلات حتى بلغت السفن الفضائية .

(١٤) سبأ ٢٨ .

فإذا كان هذا هو مقصدهم بالتطور ، فالإسلام لن يكون هو خاتم الرسالات ، لأن البشرية قطعت فى هذا السبيل منذ ظهور الإسلام حتى الآن أضعافا مضاعفة لا يمكن مقارنتها بما قطعته بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أو بينهما وبين محمد ﷺ ، الأمر الذى حتم - بناء على رأيهم - أن تأتى رسالة محمد ﷺ لأن مرحلة موسى وعيسى عليهما السلام كانت قد انتهت .

الشق الثانى : من التطور هو تطور عقلية الإنسان ، ومن المشاهد أن التطور فى هذا الجانب ليس تطورا بالمعنى الذى يقصدونه من التطور ، ذلك أنه لا فرق بين عقلية إنسان يعيش فى القرن العشرين ، وآخر عاش فيما قبل الميلاد ، إلا فى زيادة كمية المعلومات التى حصل عليها ابن القرن العشرين نتيجة التجارب البشرية .

أما التطور فى ذات العقل فلا دليل عليه ، بل هناك شواهد فى حياتنا المعاصرة تنفى هذا ، إذ لو قارنا بين أخوين شقيقين ، أحدهما أخذ قسطا كبيراً من الثقافة المحلية والعالمية حتى وصل إلى درجة مرموقة فى مجال الفكر العالمى والآخر ظل مقيما فى بيئته لم يذهب إلى مدرسة ، ولم يتعلم إلا حرفة الآباء والأجداد فالأول على رأى من يقول ، بنظرية التطور يمثل مرحلة « شباب الجنس البشرى » والثانى يمثل مرحلة « الصبا » وربما مرحلة « طفولة الجنس البشرى » وهذا لا يقبله عقل ، فالاثنان فى درجة واحدة من القوة الكامنة فى العقل وقد يكون الذى حرم من التعليم أكثر ذكاء من الذى تعلم - غاية الأمر أن الذى تعلم أتيحت له فرصة اظهار ما كمن فى عقله من قوة على الفهم والإدراك وكان ذلك نتيجة ما حصله من معلومات .

فلو اعتبر القائلون بنظرية التطور هذه الظاهرة تطورا ، للزم على هذا ، التسليم بأن درجة التطور فى القرن العشرين فاقت - بمراحل عديدة - درجة التطور فى القرن السابع الميلادى ، حين نزلت رسالة الإسلام على محمد ﷺ ، الأمر الذى يتطلب رسالة جديدة .

وعليه فليس هناك تطور فى العقل البشرى ، بل زيادة فى المعلومات ، ورسالة الإسلام جاءت لتخاطب العقل ، أيا كانت درجة معلوماته عن الحياة وما فيها ، وعن الكون وما يحتوى عليه من أسرار .

أضف إلى ذلك أن عملية التطور تسير فى الحياة الإنسانية فى خط متعرج ، فبينما يكون بعض المجتمعات قد قطع شوطا كبيراً على طريق التقدم ، يكون هناك بعض آخر لازال فى أول الطريق ، وثالث فى منتصفه .. وهكذا ، لأن عوامل التقدم والرقى ليست متاحة للجميع بنسب متساوية ، وهذا ما نشاهده اليوم فى المجتمع الدولى ، إذا اصطلح على تقسيمه إلى دول متقدمة ، وأخرى نامية ، بل إن درجة التقدم متفاوتة داخل المعسكر المتقدم ، وخطوات النمو مختلفة فى دائرة مجموعة الدول النامية .

وما لنا نذهب بعيدا ، فنحن نرى داخل المجتمع الواحد - سواء كان فى جانب المتقدمين ، أو فى جانب المتخلفين حضاريا - تفاوتا كبيرا بين الأفراد والأسر ، فبينما يكون التمدن ، والتحضر واضحا لدى أسرة ما ، أو

←

فرد فى أسرة يلاحظ بجوارها أسرة أخرى ، أو فرد داخل الأسرة المتحضرة ، لازال فى أول طريق التحضر حسب المفهوم المصطلح عليه فى مجال تحديد معنى التحضر .

فإذا طبقنا نظرية التطور التى يقول بها بعض العلماء على واقع الجنس البشرى ، فإننا نجد جزءا منها تطور حتى وصل إلى مرحلة « الشباب » وجزءا آخر وصل إلى مرحلة « الصبا » بينما نرى جزءا ثالثا لازال فى مرحلة « الطفولة » فهو يعيش عيشة بدائية أو ما يقرب من البدائية .

وعليه ، فيختلف ـ بناءً على رأيهم ـ وضع كل منهم بالنسبة للرسالة التى ينبغى عليهم الايمان بها ، إذ يلتزم من لازال فى مرحلة « الطفولة » بالرسالة التى تخاطب الحس وهى فى نظرهم (رسالة موسى) عليه السلام ، ويكلف من هم فى دور «الصبا » برسالة عيسى عليه السلام ولا يكلف برسالة محمد ﷺ إلا من بلغ مرحلة «الشباب » فيكون هذا أشبه بالفصول الدراسية فى المرحلة التعليمية ، حيث لا يقوى من التلاميذ على فهم مواد السنة الأعلى إلا من درس مواد السنوات التى قبلها ، وتهيأ ذهنيا لدراسة مواد السنوات العليا وفهمها .

وهذا تصور خاطىء ، إذ لو سلمنا معهم بهذا ، لقسم المجتمع الواحد إلى فئات بل لقسمت الأسرة الواحدة إلى مجموعات ، وهذا أمر يثير سخرية أقل الناس ثقافة وإدراكا لمفهوم رسالة الإسلام ، لأن الرسالة التى نزلت على محمد ﷺ خاطبت جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، وتفاوت درجاتهم الحضارية ، إذ يفهم الرجل العادى القرآن الكريم ويدرك ما هو مطلوب منه فى مجال العبادات والمعاملات ، كما يجد فيه أغزر الناس علما ، وأوسعهم ثقافة فى مجال العلوم الفلسفية ما لم يجده فى دهاليز الفلسفة وأضابير الحكمة من معطيات علمية فى مجال الحياة وآفاق الكون ، فهو كتاب يجد فيه كل إنسان مبتغاه ، ويحصل منه على متعته الذهنية والروحية ، مهما كانت درجة هذا الإنسان فى سلم الحضارة البشرية .

والقول بأن الرسالات السماوية خاطبت كل مرحلة على قدر طاقتها العقلية يحمل فى طياته نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى ، ذلك أننا فى عالمنا البشرى نصف الكاتب الذى يتمتع بأسلوب تفهمه قطاعات عريضة من الناس مختلفة فى الثقافة ومتفاوتة فى الرقى الحضارى ، بأنه بارع فى كتابته ، لأنه استطاع أن يضع أفكاره فى أسلوب لا يعجز عن فهمه أنصاف المثقفين ، ولا يَمَلّ من قراءته العلماء المتخصصون !! .. فإذا كان هذا شأن الإنسان المخلوق ، أفلا يستطيع الخالق أن يصوغ أوامره ونواهيه فى أسلوب يمكن أن يخاطب به كل الناس ، مهما اختلفت درجة حضاراتهم ؟!!

بلى !!! لقد جاء القرآن الكريم بأسلوب يفهمه البدائى فى كهفه ومغارته ، كما يدرك أسراره العالم فى ملقاته العلمية ، ومدرجاته الدراسية ، فهو لجميع الناس : أحمرهم ، وأسودهم ، وأبيضهم ، سواء كانوا فى مجاهل الكرة الأرضية أو فى بروجها وناطحات السحاب .

يتبع

الحسد المذموم

للدكتور
محمود محمد رسلان

أخرج الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[1] .

هذا الحديث الشريف يعد قاعدة من قواعد إصلاح المجتمع حيث يستل من نفوس أبنائه إحدى الصفات الذميمة التى تستشرى بينهم ، أعنى : صفة الحسد ، فينفرهم منها ، ويبغضهم فيها ، وفى نفس الوقت يرغبهم فى أمر آخر يعود عليهم بالنفع والفائدة ، فيحثهم على التشبه بمن أعطاه الله المال ، فهو يجمعه من حلال ، وينفقه فى موضعه الذى شرع من أجله كذلك على المسلم ، أن يتشبه بمن أعطاه الله الحكمة فيتعلمها ويعمل بها ، فيعيش المجتمع بعيداً عن القلاقل والاضطرابات النفسية .

إذاً فما الحسد ؟ وهل هناك حسد مذموم وآخر محمود ؟

ورد فى اللغة : حسده حسدا ، بمعنى تمنى أن تتحول إليه نعمته ، أو أن يُسْلَبهَا . ويقال : حسده النعمة وحسده عليها . وتقول العرب : حسدنى الله إذا كنت أحسدك : أى عاقبنى الله على حسدى إياك[2] .

والحسد المذموم هو : تمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم ، وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع هو الذى وَرَدَ ذمه فى القرآن الكريم حيث يقول العزيز الحكيم﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[3] .

وإنما كان مذموما ، لأن فيه اعتراضا على

(١) ورواه البخارى فى كتاب العلم باب الاغتباط فى العلم والحكمة .
(٢) المعجم الوسيط مادة : حسده .
(٣) النساء : ٥٤ .

الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

والآية تفيد أن اليهود حسدوا النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ، وقد منعهم من تصديقهم إياه حَسَدُهم له لكونه من العرب ، وليس من بنى إسرائيل .

أخرج الطبرانى بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ . . ﴾الآية ، قال : قال الله تعالى : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً ﴾[٤] أى فقد جعلنا فى أسباط بنى إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة ، وأنزلنا عليهم الكتب ، وحكموا فيهم بالسنن وهى الحكمة ، وجعلنا منهم الملوك ، ومع هذا فمنهم من آمن به أى بهذا الإيتاء ، وهذا الإنعام ، ومنهم ومن جنسهم أى من بنى إسرائيل[٥] ، فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يامحمد ، ولست من بنى إسرائيل ، وقال مجاهد : فمنهم من آمن به أى بمحمد ﷺ ، ومنهم من صد عنه فالكفرة منهم أشد تكذيبا لك ، وأبعد عما جئتهم به من الهدى ، والحق المبين ، ولهذا قال متوعدا لهم : ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ أى وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم ، وعنادهم ، ومخالفتهم كتب الله ورسله[٦] .

والحسد على هذا المعنى مذموم ، وصاحبه مغموم ، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، نَفَس دائم ، وحزن لازم ، وعبرة لا تنفد ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

لا تعادوا نعم الله . قيل له : ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله فى بعض الكتب : الحسود عدو نعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى[٧] .

قال منصور الفقيه :

ألا قل لمن ظل لى حاسدا
أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى حكمه
إذا أنت لم ترض لى ما وهب

ويقال : الحسد أول ذنب عُصى الله به فى السماء ، وأول ذنب عُصى به فى الأرض ، فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم ، وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل .

وقيل : إذا سرك أن تسلم من الحاسد فعمِّ عليه أمرك ، ولقد أحسن من قال :

اصبر على حسد الحسو
د فإنّ صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

(٤) النساء : ٥٤ .
(٥) أى من بنى إسرائيل من لم يؤمن بهذا الإيتاء .
(٦) راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥١٤ ، والقرطبى فى هذه الآية .
(٧) تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٨٢١ .
(٨) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب قول رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به .

وهذا بعض ما يفهم من النهى فى الحديث ، الشريف : « لاحسد ... »الخ .

وأما الحسد المحمود : فهو ما جاء فى هذا الحديث ، وفى الحديث الشريف الآخر : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل ، وآناء النهار »[٨] .

والحسد هنا هو الغبطة ، ومن ثم ترجم له البخارى باب الاغتباط فى العلم والحكمة .

وحقيقتها : أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ، ولايزول عنه خيره ، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة[٩] ومنه قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١٠] .

وهذا الحديث مع ما صدرت به هذه الكلمة يعلمنا الحسد المشروع أى الغبطة ، فمن أعطاه الله المال فعرف مصرفه ، ووضعه فى موضعه ، وأعطى كل ذى حق حقه ، فهو الذى يغبطه الناس ويقتدون به ، والتعبير « فسلطه على هلكته .. » أى إهلاكه ، بأن أفناه كله فى الخير .

أما من أعطى المال ، فأنفقه على ملذاته وشهواته ، ومنع منه إعطاء كل ذى حق حقه ، ووضعه فى غير موضعه ، فهو المذموم حقا ، ولا ينبغى تقليده ، ولا الاقتداء به ، لأن هذا هو الإسراف الذى نهى الله عنه فى قوله سبحانه : ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١١] وقوله تعالى :﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[١٢] .

والشق الثانى من الحديث وهو : « ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

فما الحكمة ؟

قال ابن عباس : المعرفة بالقرآن .

وقيل الحكمة : القرآن .

وعن مجاهد قال : الحكمة : الإصابة فى القول .

وقيل : الحكمة : خشية الله ، فإن خشية الله رأس كل حكمة :

وقيل : الحكمة : الفهم .

وقيل : الحكمة : العقل .

قال الإمام مالك : إنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هى الفقه فى دين الله ، وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته ، وفضله ، والدليل الذى يوضح ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا ، إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ، ويحرمه هذا .

فالحكمة : الفقه فى دين الله .

وقيل الحكمة النبوة « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه .[١٣] » .

فما أصل الحكمة ؟ الحكمة : ما يمتنع به المرء من السفه ، ومن ثم قيل : للعلم حكمة ، لأنه يمتنع به من السفه .

فما السفه ؟ إنه كل فعل قبيح وقال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[١٤]

(٩) القرطبى جـ ١ ص ١٨٢١ .
(١٠) المطففين : ٢٦ .
(١١) الأعراف : ٣١ .
(١٢) الإسراء : ٢٧ .
(١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٢٢ .
(١٤) البقرة : ٢٦٩ .



نتطرق فى عالمنا العربى والإسلامى إلى الحديث عن الاستشراق والمستشرقين ، بيد اننا نادرا ما نعرض لفحص اعمالهم . فإذا عرضنا لكتاباتهم فإننا نستشهد بقدامى المستشرقين امثال المجرى : جولدزهير ، والالمانى : نولدكة ، والفرنسى : ماسينيون ، والانجليزى : هاملتون جبّ . اما المستشرقون الجدد المعاصرون فاننا لا نعرفهم . أو نعرف منهم من يقول : إنه صديقنا ندعوه إلى ديارنا ليحدثنا عن انفسنا إذا مدحنا مجّدناه ، وإذا نقدنا لعنّاهُ او تجاهلناه . وفى كلتا الحالتين بعدنا عن الاعتدال وبعدنا أكثر عن الموضوعية .

إذا نظرنا للاستشراق الهولندى كما يعرفه بعض العرب ، فيمكننا الزعم بأننا لا نعرفه حق المعرفة مع أنه يهمنا كل الأهمية . فهذه الدولة الأوروبية الصغيرة ـ التى تشبه فى حجمها حجم القزم الصغير مقارنة بجيرانها العماليق أنجبت نخبة من المستشرقين . نعم : تعرف هولندا الاستشراق منذ قرون طويلة وله فيها تقاليد عريقة .

إن البلاد الواطئة كما تعرف رسميا ، لا شعبيا تتكون من أقليات دينية . ففيها الكاثوليك الذين يمثلون أكثر من ثلث السكان ، وبها البروتستنت الذين يمثلون ثلثاً آخر من أهل البلاد ، وعندها من لايؤمن بالأديان والعقائد السماوية ويسمونهم (الإنسانيين) وهم الثلث الأخير من الشعب .

أَثَّرَ الاختلاط الدينى والثقافى المتعايش فى هولندا على نفسية شعبها المشهور بتسامحه وميله للحرية الفكرية والعقلية ، وأثّر موقع البلاد وحجمها على تكوينها العقلى . فيوجد فى

بقلم :

إيهاب محمد مهدى

هولندا أثر فرنسى تلمسه فى فنونها ، ويوجد أثر انجلو ـ سكسونى تراه فى ثقافة الشعب بمختلف طبقاته . وتراه فى معاهد العلم جنبا إلى جنب مع أثر الجار الألمانى . غير أن هذه المؤثرات الخارجية لا تعنى عدم وجود خصوصية هولندية .

إن غرضى فى هذه المقالة ليس تتبع الاستشراق الهولندى منذ نشأته حتى شكله الحاضر ، فهذا عمل متروك للمؤرخين ، وقد عرض الأستاذ بروخمان لنشأة الاستشراق فى هولندا فى مقالة مكتوبة باللغة العربية وأحاول أن أعرض هنا لبعض أعلام الاستشراق المعاصر فى هولندا عن طريق القراءة فى كتاباتهم التى تمثل خلاصة نتاجهم الفكرى .

أسس الاستشراق الهولندى الحديث رجل زار بلادنا الإسلامية وحكم فى جزء من امبراطورية هولندا الإسلامية بأندونيسيا : إنه : سنوك هورخورنيه (توفى سنة ١٩٣٦) الذى زار مكة المكرمة فى نهاية القرن التاسع عشر تحت اسم عبد الغفار ، وادعى اعتناقه للدين الإسلامى وتسامح معه أهل مكة فأسكنوه وآوَوْه حتى إنهم زوجوه من سيدة مكية انجب منها ولدا . وتمخضت رحلته عن كتاب وضعه عن مكة المكرمة وصف فيه حياة المكيين فى فترة إقامته . عاش سنوك بجوار الكعبة .. وقرأ على يد شيوخها المخلصين الذين لم تنتابهم ريبة فى سلوكه .. لم يفضح أمره مسلم ، وإنما كشف أمره قنصل فرنسا بجدة . وكان دافع قنصل فرنسا ليس تنبيه العرب كما يُتصور ! إنه الخوف من توغل قوة أوروبية غير قوة بلاده فى الأراضى المقدسة . ولكن كان هناك من لا يزال يعتقد فى حسن إسلام سنوك هورخورنيه . فقد ذكر سفير هولندا السابق للسعودية السيد : فان درمولن فى مذكراته أن السعوديين قد أخبروه عن هولندى زار مكة تحت اسم عبد الغفار وحاولوا إقناعه بأنه كان مسلما حقا وفعلا .

وَفَنَّدَ فان در مولن هذا الادعاء الذى يُعْتَقَدُ فيه حتى من بعض الهولنديين ، ومنهم كاتبو سيرته ومترجمو أعماله للغة الانجليزية . فقد عاش سنوك منطويا على نفسه وتمسك طوال حياته بالتقاليد المحافظة فى بلاد متحررة أخلاقيا ، ولم يسمح لأحد بمعرفة شىء عن عقيدته وديانته . لكن ماذا قال سنوك عن الإسلام ورسول الإسلام ؟

كتب سنوك سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مستخدما المنهج النفسانى الفرويدى ، بل يمكن مقارنة دراسته لرسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه بدراسة فرويد لرسول اليهود سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وكما حاول فرويد إثبات أن موسى كان مصريا وليس يهوديا حقيقيا،حاول

سنوك أن يشكك فى حقيقة رسول الإسلام عن طريق إثبات أن رسالة الإسلام مأخوذة من اليهود والنصارى ، اقرأ هذه الفقرة وتذكر أن ناقل الكفر ليس بكافر « كان الرسول شخصية قلقة ذا طبيعة لا تعرف البشاشة ، وقد وعى صغيرا بتفوقه الروحى ودفعه تفكيره فى مآسيه الشخصية وتجاربه (الحياتية) المريرة إلى التأمل فى معنى الحياة والغرض منها . وأقام رسول الله علاقات مع النصارى واليهود منذ مراهقته وقد أخبروه عن يوم القيامة والجنة الموعودة للمؤمنين وجهنم التى يُقذف اليها الملحدون . وعلم محمد عن الرسل والأنبياء ، وتساءل : لماذا لم يظهر رسول من العرب .. وأخيرا قرر أن يكون هو رسول العرب » ويضيف سنوك فى فقرة أخرى « كان محمد مصابا بالوهم ولتأثره باليهود والنصارى بدأ يرتل « اقرأ » .. إن مفهوم محمد للوحى « ميكانيكى » والرب والملائكة يتحدثون للإنسان بطريق مباشر .. لم يدع محمد لدين عالمى ، وإنما لدين للعرب واليهود » .

أما فى كتابه عن مكة المكرمة فنقرأ أن « الوهابية ليست إلا هرطقة دينية لا تمت للإسلام بصلة » .

سنوك سياسيا :

عمل سنوك هورخورنيه كمستشار لحكومته للشئون الإسلامية وعمل بأندونيسيا أكثر من عشرين عاما . وألف كتابا عن هذه الفترة . وقد كافأته حكومته بتعيينه أستاذا للغة العربية بجامعة ليدن ويشبهه الأستاذ بروخمان بـ « لورنس العرب » فقد تعاون كلاهما مع حكومته ثم سرعان ما انقلب عليها ، وأخذ فى مهاجمتها ، غير أننى بعد اطلاعى على كتاباته وجدت أنه شديد التأثر بالفكر السياسى الألمانى وبخاصة بفكر النمساوى ميترنخ . فإذا كان ميترنخ قد عمل على تحييد الثورة الفرنسية وأفكارها باعتبار أن هذه هى الوسيلة الأنجع لمحاربة الفكر الليبرالى[1] فإن سنوك قد دعا إلى التفريق بين الإسلام كـ « دين » بمعنى عبادات ، والإسلام كـ « مبدأ » سياسى بمعنى « الجهاد » . وقد دعا إلى الحياد تجاه العبادات والعداء نحو الجهاد ، كما طالب بتشكيل جيش من المتعصبين الدينيين ليقوم

(١) ضد محدد .

بمهاجمة ومحاربة عادات وتقاليد الشعب ذات الجذور الهندوكية والبوذية لأن هذا العمل سيؤدى إلى إبعاد العامة عن الدين الذى سيظهر حينئذ وكأنه دعوة بربرية كما سيؤدى ذلك إلى توسيع الهوة بين الدين كعبادات وكمبدأ . وفى ذلك إضعاف للإسلام كدين وعقيدة معا .

بعد ما ذكرناه لا أعتقد أن القارىء سيتشكك فى عدم إسلام هذا المستشرق الهولندى الذى يعتبره الغرب أحد أعظم المستشرقين فى التاريخ .

ومن أنجب تلاميذه اثنان خدما الإسلام خدمة جليلة ـ بقصد أو بدون قصد ـ أولهما البروفسير فنسنك الذى بدا عمله الضخم فى « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » وقد عاونه فى ذلك بعض المستشرقين والعلامة المصرى ـ الذى لم نكرمه ، الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى[٢] ، ويشبه هذا المعجم كتاب « الكاشف » الذى كتبه الخراسانى . إلا أن فنسنك وكان متخصصا فى الفلسفة الإسلامية ارتكب ما اعتبره المسلمون إلحادا فقد عين عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وفى إحدى الجلسات وأثناء مناقشة دارت بين الأعضاء عن الإسلام جاهر فنسنك برأى أستاذه سنوك عن الوحى وقال : إن رسول الإسلام لم يتلق وحيا سماويا وإنه كتب القرآن بنفسه فعاقبه المجمع بالطرد وعلقت إحدى الصحف على ذلك بقولها : إذا كان المثل يقول « إن اللورد عالم بالقراءة والكتابة بقوة القانون فإن هذا متعالم عالم بقوة القانون » .

عاصر فنسنك أستاذا آخر هو كريمر وكان أستاذا للغة التركية والفارسية ، وكان شديد التأثر بالحركة الأحمدية القديانية التى كفرها عامة المسلمين ، وقد ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الهولندية واتبع فى ترجمته ألفاظ الإنجيل ، وكان يعتقد أنه يمكن الفصل فى الإسلام بين الدين كـ « دعوة » والدين كـ « معتقد » .



(٢) قامت مجلة الأزهر بواجبها نحو هذا العالم الجليل واستكتبت كريمته السيدة : الأستاذ عفاف محمد فؤاد مقالاً عنه نشر بمجلة الأزهر السنة (٥٧) العدد الخامس جمادى الأولى ١٤٠٥ ص ٧١٩ .

حفظ الله السودان

اجل .. قبل ان يضيع السودان ..
فالمؤامرة على هذا الشعب الشقيق ليست وليدة اليوم .. بل بدات احداثها منذ حوالى قرن .. ونصف قرن .
وقد كانت الثورة المهدية ابعد نظراً تجاه هذه المؤامرة ، كما فاضت منشورات هذه الثورة بالتحذير منها منذ الأيام الأولى لهذه الثورة .

تقول مجلة العروة الوثقى :[1]

إن السودانيين لم تلتئم جراحهم من ظلم « جوردون »[2] أيام كان حاكماً عليهم وقد رسخ في قلوبهم أنه أعدى أعداء الديانة الإسلامية . فقد طلب وهو فيهم قسسا من السويس لتنصيرهم والقضاء على عقيدتهم ..

فالجنرال « جوردون » كان مبشراً قبل أن يكون حاكماً ، وكان فى أعماق أعماقه « كاهناً » قبل أن يكون والياً ..

وعندما لقى مصرعه على أيدى « الأنصار »[3] فقدت الملكة فكتوريا صوابها وكما يقول « ألن مورهيد »[4] : لقد هرعت إلى بيت سكرتيرها وهى ترتجف وتنتحب بعد أن علمت بمصرع « شهيد المسيحية البطل » والقائد الفذ الذي لم يقهر ... !!!

وقد حذر « الإمام المهدى » الخديوي توفيق من الركون إلى أعداء الله ، والاستعانة بهم في سفك دماء أمة محمد لأنه من كان يؤمن بالله .. فلا ينبغى أن يأمن لكافر .. ومن رسخ في قلبه أنه « مؤمن » اطمأن إلى نصر الله وتأييده ضد كل عدو فاجر[5] ..

* * *

إن بلاد السودان .. أو سودان وادى النيل يحتل في حدوده الإدارية ما يقرب من مليون ميل مربع ، وهو فوق ذلك يعادل في مساحته ثمانى دول أوروبية هى السويد والنرويج والدنمارك والجزر البريطانية وإيطاليا وأسبانيا وفرنسا والبرتغال .

كما تقع على حدوده الجنوبية أوغندا ، وزائير ، وكينيا ، وشرقا أثيوبيا ، واريتريا ،

(١) مجلة العروة الوثقى كان يصدرها السيدان جمال الدين ومحمد عبده في باريس .
(٢) الجنرال الإنجليزى « جوردون » كان حاكماً على السودان باسم مصر في عهد الخديوى إسماعيل .
(٣) الأنصار أتباع المهدى .
(٤) في كتاب « النيل الأبيض » ص ٢٧٥ الطبعة العربية .
(٥) انظر الجزء الثانى من منشورات الإمام المهدي .

لفضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبى

الأمين العام للدعوة بالأزهر

وغربا تشاد وأفريقيا الوسطى ، وشمالاً جمهورية مصر كما يشترك في الشمال الغربي مع ليبيا[٦] .

والميزة الرئيسية لموقع السودان أنه يمثل أكبر عمق إسلامى في أفريقيا كذلك يمثل أكبر وحدة عربية إسلامية حافظت على لغتها العربية وعقيدتها الإسلامية[٧] ...

هذا الموقع المتميز للسودان يجعله واقعاً تحت تأثير مختلف الثقافات والتيارات التى تهب على القارة الأفريقية من شتى المنافذ والاتجاهات كما تجعل منه في الوقت نفسه مصدر اشعاع وحضارة إذا توافرت له الأسباب والإمكانات .

ومنذ تفجرت الثورة المهدية أدركت بريطانيا أن استقرارها وتحكمها فى منطقة الشرق الأوسط ووسط أفريقيا يتوقف على القضاء على الكيان السودانى واستقلاله .[٨] فبدأت تفرض سيطرتها على السودان وبخاصة المناطق الجنوبية لتكون عازلاً بين مستعمراتها في وسط وشرق أفريقيا من ناحية ، والعالم الإسلامى والعربي من ناحية أخرى ... !!!

وتنفيذاً لوصية الجنرال المبشر « جوردون » فتحت بريطانيا الطريق أمام التبشير النصرانى ليبدأ عمله في الجنوب - ولأول مرة - بين القبائل الوثنية الزنجية واستمراراً في هذه السياسة التخريبية انشأت « الفرقة الاستوائية » لتحل محل الجنود المسلمين الذين كانوا في نظرها بعثة تبشيرية إسلامية !!!

ومحاولة فصل الجنوب عن الشمال لم تكن إلا حلقة أو خطوة في سبيل تنفيذ هذه المؤامرة[٩] ..

* * *

لقد اعتمدت عصابات « التبشير » في دعوتها إلى كراهية المسلمين والعرب على أكذوبتين :

أما الأولى فالربط بين الإسلام والرق .

وأما الثانية فالربط بين الإسلام والتفرقة بسبب اللون والعرق .

وكما يقول « جاك مندلسون » إن هذه أوقح أكذوبة يروج لها المُنَصِّر أو المبشر ، لأن هذه التفرقة « بدعة » سيئة لم تعرف إلا بين

(٦) معالم تاريخ السودان . الشاطر عبد الجليل البوصيلي - القاهرة - ١٩٥٥ م .

(٧) دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان . د . عبد العزيز كامل - القاهرة ١٩٧٢ م .

(٨) النيل الأبيض - الن مورهيد - ص ٢٢٤ .

(٩) دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان . دكتور عبد العزيز كامل .

المبشرين أو المُنصّرين وأسيادهم في بلاد الغرب ، كما أن هذهَ التفرقة لا تزال تمارس حتى يومنا هذا في الكنائس وفى دور العبادة ، وفى اختيار القساوسة والكهنة ، وهذه التفرقة هى إلى يومنا هذا « الإنجيل المقدس » الذي يبشر به هؤلاء الذين يقولون دائماً .. غير الحقيقة ..

وما يقوم به البابا « جون بول » هذه الأيام من إدانة التفرقة والوقوف إلى جانب قضايا الشعوب المظلومة .. إنما هى محاولة ساذجة لنقل « الجبل » الذي تحطمت فوق صخوره الكنيسة ! ومحاولة لإحياء موعظة « الجبل »[١٠] التى دفنها المبشرون في أغوار سحيقة .. !!!

* * *

وتعتبر مأساة الكاهن الهندي [١١] « متى دى كاسترو » نموذجاً صارخاً لهذه التفرقة .

وتتلخص هذه القصة ـ كما ترويها وثائق التنصير ـ فى أن « متى دى كاسترو » كان شاباً هندوكيا من ولاية جوا (التى كانت آنذاك مستعمرة برتغالية) وقد تحول إلى النصرانية .

لكن أسقف جوا (البرتغالى الكاثوليكى) رفض رسامته كاهناً ... فما لبث أن نجح في شق طريقه إلى روما ، وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهناً في عام ١٦٣٠ ، وأعيد إلى الهند ليعمل فى التنصير بين شعبه . بيد أن أعداءه أقاموا الكثير من العقبات فى وجهه ، مما اضطره فى عام ١٦٣٦ أن يعود ثانية إلى روما بطريق البر .

وهناك تمت رسامته مطرانا وأعيد ثانية إلى الهند ، إلا أن مصاعبه تضاعفت منذ لحظة وصوله ، فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطرانا .

وأخيراً لم يجد « متى » أمامه مفراً من العودة إلى روما مرة ثالثة ليعرض قضيته بنفسه ، وبعد مجهود عقيم بذل في إقناعه بالذهاب إلى الحبشة ، فإنه عاد إلى الهند مرة ثالثة في عام ١٦٥١ ، وهو ينفث تهديداً ووعيداً ضد البرتغاليين وجميع اليسوعيين ... ولما بدأ « متى » فى إرسال الشكاوى المتلاحقة إلى روما ضد البرتغاليين وما كان عليه أمر الكنيسة فى جوا ، تبين من بحثها أن جزءاً من اتهاماته كان صحيحاً .

إلا أنه رؤى من الحكمة التخلص من المصدر الأساسي للقلاقل (وهو متى) ولذلك جرد من لقبه في عام ١٦٥٨ ، وأعفى من وظيفته ، إلى أن توفى عام ١٦٧٧ ..

ولم يتم رسم المطران الهندى الكاثوليكي التالى إلا عام ١٩٢٣ .. أى بعد حوالى ٣٠٠ عام من بدء تلك المأساة الدينية الساخرة .

* * *

ولقد فطن القادة والمثقفون فى أفريقيا إلى خداع حركة التبشير ، ولذلك انتهزوا كل فرصة للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم ، فنراهم يقولون : « حينما يكون للرجل الأبيض

(١٠) موعظة الجبل إحدى المواعظ الشهيرة في التراث النصرانى .. انظر انجيل متى .. الاصحاح الخامس .
(١١) نقلاً عن كتاب « حقيقة التبشير » للسيد اللواء أحمد عبد الوهاب مكتبة وهبة .

اليد العليا ، فإن المبشرين يتقبلون برضاء غريب هذه التفرقة العنصرية .

(وفى حديث مع أحد المبشرين) أشار فلاح ثرى من « كيكويو »[١٢] إلى قمة تل من التلال السوداء بكينيا قائلاً : هل ترى الإرسالية التى هناك ؟ انهم يديرون ملجأ للأيتام ومدرسة للتجارة ومستشفى ، وكان هذا لصالحنا نحن الكيكويين .

ولكن هل تعلم أننى لم أر قط أى قسيس أبيض منهم في اجتماع أو قداس بقريتنا ؟ إذا كانت هذه هى المسيحية فإننا نستطيع الاستغناء عنها ...

ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيري نصراني مثقف ، اشتغل بالتدريس لبضع سنين في مدارس الإرساليات ، وكان في بلده واعظاً مرخصاً له وشغل عدة منابر للوعظ ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية ، ثم عاد إلى نيجيريا ، وكان السؤال الذى طرحه المبشر هو :

ماذا ترى مستقبل المسيحية كالتزام ديني لنخبة أفريقيا الناهضة ؟

فكان جواب الشاب النيجيري :

« فى المستقبل القريب جداً سوف تخسر المسيحية نهائياً في أفريقيا انها تخسر فعلاً . هل تظن أننى عائد إلى أفريقيا لأظل مسيحياً ؟ كلا ..» ..

وحينما ضغط عليه المبشر « ليشرح لماذا يظن أن للمسيحية مثل هذا المستقبل الضئيل في أفريقيا ، فإنه انتقد المبشرين وقادة الكنيسة الأفريقية قائلاً :

« إن المبشرين البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا للتبشير بالإنجيل ، لم ينصروا شعبهم بعد . يجب عليهم أن يروا الرمد الذي في عيونهم قبل عيون جيرانهم .

أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن تكون هناك تفرقة عنصرية في الكنيسة .

إن الكنيسة مشروع تجارى ، ففى الوقت الذى نرى فيه المبشرين البيض من المتخمين من الفقراء .. نرى عكس ذلك فى القساوسة السود الذين يعيشون عالة تحت أقدام هؤلاء المبشرين البيض .. !

لقد كانت الملكة « اليزابيث » الأولى تاجرة رق ، وكانت شريكة لأكبر تاجر رقيق في عصرها واسمه « جون هوبكنز » ، وكانت السفينة التى تحمل المخطوفين من أفريقيا اسمها « يسوع » له المجد !!! وكان القسس ورجال الكنيسة يتقاضون ضريبة عن كل « رأس » ولم يكونوا يسمحون بإيجار السفن المحملة بالرقيق قبل التسليم والتسلم من يد النخاس الأبيض الذي يدفع هذه الضريبة قبل الإبحار من الشط ..[١٣] .

والشىء المخزى .. أن منظمة الوحدة الأفريقية التى تجعل من « اديس ابابا » مقراً لها رسمت في مقر هذه المنظمة أو في مدخله صورة رجل أفريقي يجره رجل عربي إلى حظائر الرق .. !! يحدث هذا في الوقت الذي تشترك فيه دول عربية كثيرة في هذه المنظمة ، ويشاهد وزراؤها ورؤساؤها هذه الصورة البغيضة دون تدخل من اى احد .. ودون كشف هذا الزور

حتى لا يبقى لاصقاً بالعرب والمسلمين إلى الأبد

يتبع

(١٢) قبيلة في كينيا . (١٣) انظر كتابنا حتى لا نخدع . فصل « الجذور » أو قصة الرق على مدى العصور .

بيع المرابحة
فى ضوء التطبيق المصرفى الحديث

ظهر(*) فى الآونة الأخيرة ، جدل فكرى واسع حول الصيغة الحديثة لبيع المرابحة الذى تجريه المصارف الإسلامية ، وهذا الجدل جعل بعض المترددين على هذه المصارف يتشكك فى مشروعية هذا البيع ، بل ويرتاب فى مسيرة المصارف الإسلامية كلها ، خصوصاً بعد أن ظهرت بعض الدراسات التى تنص صراحة على أن البيع بهذه الصيغة أمر فى غاية التلفيق وهو عمل غير جائز شرعاً(١) وقد تفضل أحد الفقهاء المعاصرين بتقديم دراسة تفصيلية وفقهية حول هذا البيع ، رد فيها على الشبهات والاعتراضات التى أثارها المعترضون(٢) ، وفى هذه الدراسة الموجزة نتناول بيع المرابحة فى الفقه الإسلامى والتطبيق المصرفى الحديث لهذا البيع .

وبادىء ذى بدء نود أن نشير بصورة مختصرة إلى تاريخ إنشاء صيغة بيع المرابحة كما تجريه المصارف الإسلامية ـ بيع المرابحة للآمر بالشراء ـ فقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى فى دراسة علمية تقدم بها الدكتور سامى حسن حمود إلى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ ، للحصول على درجة الدكتوراه ، وكانت بعنوان الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية وبمجرد طبع هذه الرسالة ، نقلها البعض بعد إضافة بعض التعديلات ثم اعتمدت عليها الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية ، وتناقلتها

★ ورد هذا الموضوع لمجلة الأزهر ، ويسر المجلة أن يكون عُرْضَةً للبحث من مختص .. مجلة الأزهر .

(١) انظر د . رفيق المصرى تعليق وتحليل كتاب بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تجريه البنوك الإسلامية ، مجلة الأمة القطرية العدد ٦١ لسنة ١٩٨٥ .

(٢) د . يوسف القرضاوى ، بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تجريه المصارف الإسلامية ـ دار القلم بالكويت .

بقلم: محمدى عبد الفتاح سليمان

المصارف الإسلامية وأصبحت دستوراً يرجع إليه عند تنفيذ هذا البيع .

بيع المرابحة فى الفقه الاسلامى

المتأمل فى كتب الفقه يجد أن جمهور الفقهاء أجمع على إجازة بيع المرابحة من غير خلاف :

فالإمام ابن قدامة صاحب كتاب المغنى قال :[٣] : « بيع المرابحة جائز لا خلاف فى صحته ولا نعلم فيه عند أحد كراهة » .

وقال الإمام ابن رشد[٤] : « أجمع جمهور الفقهاء على أن البيع صنفان مساومة ومرابحة » .

وقال الإمام الطبرى فى كتابه اختلاف الفقهاء[٥] : « وأجمعوا أن بيع المرابحة جائز وذهب الإمام الزيلعى فى (تبين الحقائق شرح كنز الدقائق) ، إلى أن بيع المرابحة جائز شرعاً لاجتماع شرائط البيع »[٦] .

والإمام الرملى صاحب نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج قال[٧] : « ويصح بيع المرابحة من غير كراهة » .

ويؤكد الإمام ابن تيمية فى مجموع فتاويه على أن البيع بتخيير الثمن جائز سواء كان مرابحة أو مواضعة أو تولية أو شركة[٨] وقد ورد فى كتاب (الإفصاح عن معانى الصحاح) لابن هبيرة : « أن بيع المرابحة صحيح وقد أجمع الفقهاء على هذا »[٩] .

وجاء فى كتاب الميزان للإمام الشعرانى : « اتفقوا على جواز بيع المرابحة بصورتها المشهورة »[١٠] .

ما بيع المرابحة؟

عرفه الإمام السمرقندى صاحب تحفة الفقهاء[١١] : « بأنه تمليك المبيع بمثل الثمن الأول وزيادة ربح » .

وعرفه الإمام ابن قدامة[١٢] : « بأنه البيع برأس المال وربح معلوم ويشترط علمهما برأس المال » .

وقال صاحب الهداية : « المرابحة نقل ما ملكه بالعقد الأول بالثمن الأول مع زيادة

(٣) الإمام ابن قدامة : المغنى ، حـ ٤ ص ١٩٩ مكتبة ابن تيمية .

(٤) انظر الإمام ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ١٨٧ المكتبة التجارية الكبرى .

(٥) الإمام الطبرى ، اختلاف الفقهاء ، ص ٥١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

(٦) الإمام الزيلعى ، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، جـ ٤ ص ٧٣ طبعة دار المعرفة .

(٧) انظر الإمام الرملى « نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج » ، جـ ٤ ص ١١١ طبعة الحلبى .

(٨) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جـ ٣٠ ص ١٠٠ ، مكتبة ابن تيمية .

(٩) انظر الوزير ابن هبيرة ، الإفصاح عن معانى الصحاح ، جـ ١ ص ٣٥٩ المؤسسة السعيدية .

(١٠) الإمام الشعرانى ، الميزان ، جـ ٢ ص ٧٠ ، المطبعة الشرفية بمصر ١٣٠٦ هـ .

(١١) انظر الإمام السمرقندى ، تحفة الفقهاء ، جـ ٢ ص ١٠٦ دار الكتب العلمية .

(١٢) الإمام ابن قدامة ، مرجع سابق جـ ٤ ص ١٩٩ .

ربح وعرفه الإمام الشيرازى فقال[١٣] : « وهو أن يبين رأس المال وقدر الربح بأن يقول ثمنها مائة وقد بعتكها برأس مالها وربح درهم فى كل عشرة » .

والإمام ابن جُزَىّ يعرفها بقوله[١٤] : « فأما المرابحة فهو أن يُعَرِّف صاحب السلعة المشترى بكم اشتراها ويأخذ منه ربحاً إما على الجملة مثل أن يقول اشتريتها بعشرة وتربحنى ديناراً أو دينارين ، وإما على التفصيل وهو أن يقول تربحنى درهماً لكل دينار أو غير ذلك .

والمتأمل لتعريفات الفقهاء لبيع المرابحة يجد أنهم متفقون على شرطين أساسيين :

الأول : بيان الثمن وما يدخل فيه ويلحق به .

والثانى : زيادة أو إضافة ربح معلوم على هذا الثمن .

الاستدلال على مشروعية بيع المرابحة

استدل جمهور الفقهاء على جواز بيع المرابحة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع .

من القرآن الكريم :

قوله تعالى فى سورة الجمعة الآية ١٠ : ﴿ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٢٧٥ : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وفى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ١٩٨ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

وقد علق الإمام الكاسانى ـ الملقب بملك العلماء ـ على هذه الآية فقال : « والمرابحة ابتغاء للفضل من البيع نصاً[١٥] .

وقال الإمام الرملى[١٦] ويصح بيع المرابحة من غير كراهة لعموم قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ ﴾ .

من السنة الشريفة :

استدل صاحب الهداية على جواز بيع المرابحة فقال[١٧] : « وقد صح أن النبى ﷺ لما أراد الهجرة ابتاع أبو بكر رضى الله عنه بعيرين فقال له النبى ﷺ ولى أحدهما ، فقال هو لك بغير شىء . فقال عليه الصلاة والسلام « أما بغير ثمن فلا » .

واستدل صاحب المهذب بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه إنه كان لا يرى بأساً « بده يازده وده داوزده » .. قال صاحب

(١٣) الإمام الشيرازى ، المهذب ، جـ ١ ص ٣٨٢ طبعة الحلبى .

(١٤) انظر الإمام ابن جزى ، قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية ـ عالم الفكر ، ص ٢٧٥ .

(١٥) الإمام الكاسانى ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ٧ ص ٣١٩٣ طبعة زكريا على يوسف .

(١٦) الإمام الرملى ، مرجع سابق ، ص ١١١ جـ ٤ .

(١٧) انظر الهداية جـ ٥ مطبوع مع فتح القدير ـ طبعة دار صادر بيروت .

النظم المستعذب[١٨] « ده » عشرة بالفارسية و« يازده » أحد عشر ، « وده دوا زده » اثنا عشر « أى لا يرى بأساً ان يبيع ما اشتراه بعشرة بأحد عشر وباثنى عشر .

الحكمة من بيع المرابحة

الحكمة هى الحاجة الماسة ، وقد قال الفقهاء : لأن من لا يهتدى إلى التجارة يحتاج أن يعتمد على فعل الذكى المهتدى فيها ، ويطيب نفسه بالزيادة على ما اشتراه ولهذا كان مبناها على الأمانة والاحتراز عن الخيانة وشبهتها .

شروط بيع المرابحة

ـ أن يكون الثمن الأول معلوماً للمشترى الثانى ، فإن لم يكن معلوماً فالبيع فاسد

ـ أن يكون الربح معلوماً ، لأنه بعض الثمن والعلم بالثمن شرط صحة البياعات

ـ أن يكون رأس المال من ذوات الأمثال كالمكيلات والموزونات والعدديات .

ـ ألا يكون الثمن فى العقد الأول مقابلاً بجنسه من أموال الربا .

ـ أن يكون العقد الأول صحيحاً

وقد فصل الفقهاء أحكام بيع المرابحة فبينوا رأس المال وما يلحق به وما يجب بيانه من المرابحة وما لايجب .

بيع المرابحة والتطبيق المصرفى الحديث

الصيغة الحديثة لبيع المرابحة هى بعنوان « بيع المرابحة للآمر بالشراء » وهى الصيغة التى أشرنا إليها فى صدر هذه الدراسة والتى طرحها الدكتور سامى حمود فى رسالته العلمية كإطار إسلامى لتوسيع نطاق مجال الاستثمار المصرفى الإسلامى ، وقد أوضح هذه الصيغة فقال : « الطبيب الذى يريد شراء أجهزة طبية لعيادته الجديدة يتقدم إلى المصرف طالباً منه شراء الأجهزة المطلوبة بالوصف الذى يحدده الطبيب ، وعلى أساس الوعد منه بشراء تلك الأجهزة اللازمة له مرابحة ، وهى ليست من قبيل بيع الإنسان ما ليس عنده لأن المصرف لا يعرض أن يبيع شيئاً ولكنه يتلقى أمراً بالشراء وهو لا يبيع حتى يملك ما هو مطلوب ويعرضه على المشترى الآمر ليرى ما إذا كان مطابقاً لما وصف[١٩] .

وقد وجه إلى هذه الصيغة العديد من الاعتراضات لدرجة أن قال أحد الباحثين : إن هذه الصيغة بعيدة عن بيع المرابحة المعروف فى الفقه الإسلامى وهذه الصيغة تقوم أساساً على التزام المشترى بالوفاء بوعده وشراء ما أمر به وحسب الربح المتفق عليه .

بينما توجد صيغة أخرى تطبقها بعض المصارف الإسلامية القائمة على أساس إعطاء الخيار للآمر بالشراء فى أن يشترى السلعة أم لا ويعطى الخيار أيضاً للمصرف فى البيع أو عدمه .

(١٨) انظر الشيخ محمد بن احمد الركبى ، النظم المستعذب فى شرح غريب المهذب مطبوع بذيل المهذب ، مرجع سابق ، جـ ١ ص ٣٨٢ .

(١٩) د . سامى حمود ، تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية .

والواقع أن بيع المرابحة بصورتيه المذكورتين لم يسلم من النقد إذ أن هذين النموذجين لا يتفقان مع بيع المرابحة ـ كما يقول د . حسن عبد الله الأمين ـ لا لغة ولا اصطلاحاً[٢٠] .

وقد صرح أحد الباحثين[٢١] بأن صيغة بيع المرابحة الحديثة غير جائزة إلا إذا كان المصرف مالكا للسلعة وعند ذلك يتم البيع ولا حاجة للوعد وقد قدم الأستاذ عبد الرحيم محمود حمدى دراسة بعنوان (أشكال وأساليب الاستثمار الإسلامية) من واقع تجربة بنك فيصل الإسلامى السودانى ، ركز فيها على بعض المشاكل منها :

ـ عدم التزام الآمر بالشراء بشراء البضاعة حتى بعد أن يقوم البنك باستيرادها وما قد يصحب ذلك من صعوبات وتعقيدات قانونية .

ـ عدم مواكبة الإجراءات والسياسات الممارسة حالياً فى مجال التجارة لمفهوم التعامل الإسلامى .

ـ معاملة هامش المرابحة الذى يأخذه البنك مقابل الاستيراد فى إطار هوامش الارباح القانونية التى تحددها الدولة للتجارة فى السلع المختلفة .

ومن وجهة نظرنا إن اعتماد المصارف الإسلامية على صيغة بيع المرابحة للآمر بالشراء قد جلب الكثير من الانتقادات والمتاعب لهذه البنوك ، بالإضافة إلى بعض المشاكل الفنية التى يتم اكتشافها أثناء التطبيق ، من هنا فقد طالبنا فى دراسة لنا بتصحيح المسار والتخلى عن بيع المرابحة بصيغته المستحدثة ، والعودة إلى تطبيق بيع المرابحة بصورته المشهورة فى كتب الفقه الإسلامى والتى أجازها جمهور الفقهاء بدون كراهة حتى إذا كانت هناك كراهة فهى كما يقول الفقهاء كراهة تنزيه لا كراهة تحريم .

والواقع أن تطبيق بيع المرابحة بصورته المشهورة فى كتب الفقه يحتاج إلى كثير من الإجراءات نذكر منها :

- **إن الأمر يحتاج إلى تعديل فى قانون البنوك رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ والذى تحظر بعض مواده على البنك التجارى القيام ببعض العمليات مثل التعامل فى المنقول أو العقار بالبيع أو الشراء ، ولما كان بيع المرابحة هو بيع يقتضى تملك البائع للسلع ، فإن هذا الحظر يقف مانعاً لتطبيق هذا البيع بصيغته الإسلامية الأصيلة .**
- **إن الأمر يحتاج إلى إنشاء إدارة فنية متخصصة لمتابعة أسواق السلع ومعرفة درجة الطلب عليها ومعرفة أسعارها حتى إذا حضر أحد المتعاملين مع البنك ويرغب فى شراء سلعة فيكون التعاقد معه فوراً من خلال ما تضعه الإدارة الفنية من شروط لتنفيذ هذا البيع .**

(٢٠) انظر د . حسن عبد الله الأمين ، الاستثمار اللاربوى فى نطاق عقد المرابحة ـ مجلة المسلم المعاصر العدد ٣٥ لسنة ١٤٠٣ هـ .

(٢١) د . رفيق المصرى ، مرجع سابق ص ٢٥ .

التربية العسكرية في الإسلام

للـــواء/ أ/ ح
محمد جمال الدين محفوظ

بعد حياة عسكرية طويلة حافلة بالخبرة في القيادة والحرب قال القائد العسكرى المشهور المشير مارشال الأمريكي في كتابه (الجنود في مواجهة النيران) :
« إذا رغبنا في الحصول على الجندى الصالح للقتال ، فيجب أن تتجه انظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلاً . ».

● ينفرد الإسلام بأن التربية العسكرية ـ على قيم الطاعة والنظام والانضباط والقيادة وتحمل المشاق ووعى الأمن وغيرها ـ تبدأ مبكراً جداً منذ مرحلة بناء الشخصية ، فالإسلام لا ينتظر حتى يشب الفتى ويدخل الجيش فيعلمه هذه القيم ويغرسها فيه . وقد تناولنا من منهج الإسلام في التربية العسكرية عناصر العلم ، والحرية والكرامة الإنسانية ، وتربية النفس ، والانضباط الذاتى ، والقيادة والطاعة .

٧ ـ التعاون ووحدة الصف والهدف :

● التعاون أساس العمل المتكامل ، وعلى قدر تعاون الأفراد يكون رقى الأمم ونهضتها وتكون أيضاً قوة جيشها ، ولقد حث القرآن الكريم على التعاون : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىَ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة ٢) .

● وحذر أيضاً من التنازع لأنه يبعد ما بين النفوس ، ويذهب بروح التناصر فيكون أبعد أثراً وأشد تنكيلاً بالأمة وبالجيش مما يفعله العدو ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال ٤٦) .

● وحرص الإسلام الحرص كله على أن يحرر الأمة من أغلال العبودية والضعف ، ومن ضلال التمزق والتفرق ، فقال الرسول

←

ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » (رواه ابن ماجة) .

وفى هذا النص النبوى الكريم تصوير للمساواة الفاضلة بين أبناء الأمة الواحدة ، وإشعار لهم بأنهم متكافلون متكاملون ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ويقول الرسول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (رواه البخارى) .. وفيه أيضاً تصوير لتضامن هذه الأمة ، فكل فرد فيها صالح بإيمانه وإخلاصه لأداء الواجب ، وحفظ الأمانة ، ومقياس التقديم والتفضيل هو التقوى والعمل الصالح لقول الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات ١٣) .

● وفى الحديث أيضاً تصوير لتكتل الأمة المؤمنة ضد أعدائها ووجوب تجميعها لصيانة مقدساتها وحرماتها وحماية ديارها وذمارها ، فهى تأتلف بكل وحداتها وطاقاتها لدرء أى خطر يهددها أو يهدد جانباً منها ، لأنها فى وحدتها كالبناء الواحد ، إذا أصيب منه ركن اختلت بقية الأركان ، ومن هنا قال الرسول ﷺ ويصور الأمة فى تضامنها وتعاونها : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (رواه مسلم وأحمد) ..

ثم تتمثل الوحدة والتضامن والتعاون والتماسك فى أرفع صورها فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف ٤) .

٨ ـ تقدير المسئولية والاخلاص فى العمل :

● وعنى الإسلام بتربية المسلم على تقدير المسئولية والإخلاص فى العمل ، وقد جاء العمل الصالح فى القرآن الكريم مقروناً بالإيمان حتى تتكرر فيه عبارة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ عشرات المرات ، مما يوحى فى قوة ووضوح بأن الإنسان لا يكفيه أن يعرف أمراً أو يضع فكرة فى رأسه ، بل يجب عليه أن يعمل بما تقتضيه هذه الفكرة فى جد وإقدام ، وقدرة الله وتوفيقه معه بقدر يقينه وإخلاصه .

● ويقول النبى ﷺ : « ليس الإيمان بالتحلى أو بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدّقه العمل » (رواه أبو نُعَيم والديلمى) أى ليس الإيمان بالكلام الحلو الذى تظهره بلسانك فقط أو بتمنى حصول الأمر المرغوب فيه ، ولكن يجب أن تكون هناك معرفة القلب العميقة لهذا القول وتصديقه بالعمل الطيب الصالح ، وإلا اتسعت مسافة الخلف بين المعرفة والتصرف ، وبين القول والعمل فيحق وعيد الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف ٢ ـ ٣) .

● وفى الحديث الشريف : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه الخمسة) تجسيد لمسئولية الإنسان عن عمله ورعاية من هم تحت رعايته ، ويدعو الرسول - ﷺ - إلى الصدق والإخلاص فى العمل حين يقول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » (رواه أبو يعلى) ، وامتدح الله الصادقين والأوفياء فى قوله : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ . . ﴾ (الأحزاب ٢٣) وقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (الإسراء ٣٤) وقوله : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح ١٠) .

● ويدعو عليه الصلاة والسلام إلى أن يكون العمل خالصاً لوجه الله وابتغاء مرضاته ، وليس ابتغاء ثناء الناس فيقول : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » (رواه النسائى والطبرانى) .

٩ - التربية البدنية والرياضية :

● وحث الإسلام على تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل مُسْرَجَةً ومعراة ، والسباق فى الجرى ، والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل ، والمصارعة ورفع الأثقال ، إلى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم السليم .

● ويمدح الإسلام المؤمن القوى ويعتبره أفضل عند الله من المؤمن الضعيف فيقول الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (رواه مسلم) ويقول فى حديث آخر : « إن لبدنك عليك حقاً » (رواه البخارى) .

١٠ - التدريب على الرماية وأساليب القتال :

● وحث الإسلام على التدريب على استخدام أسلحة الرمى وأساليب القتال ، وإتقانه والمداومة عليه ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) .

● ومن ذلك قوله ﷺ : « ألا إن القوة الرمى » وكررها ثلاثا (رواه مسلم) .. « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به . والممد به ، فارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا » (رواه الخمسة) .. « كل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله » .. (رواه الخمسة) .

● وكان عليه الصلاة والسلام يشارك أصحابه فى التدريب تشجيعاً لهم ؛ فقد خرج عليه الصلاة السلام مع نفر من « أَسْلَمَ » ينتضلون بالسوق (أى يتسابقون فى الرمى) فقال : « ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان » .. فأمسك أحد الفريقين فقال : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال :

« ارموا وأنا معكم جميعاً » (رواه البخارى وغيره عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه) ، (والمراد بالمعية : معية القصد إلى الخير) .

يوجب روضة من رياض الجنة

● وحث عليه الصلاة والسلام على التدريب على ركوب الخيل وعلى فنون الحرب بها فقال : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة » (متفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما) ، كما رغب فى اقتناء الخيل والعناية بها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من احتبس فرسا فى سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » (رواه البخارى) .

● وحذر الرسول ﷺ من الانقطاع عن التدريب وعدَّه من المعاصى فقال : « من تعلم القرآن ونسيه فليس منا ، ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منا » (رواه أحمد ومسلم) وقال أيضاً : « من ترك الرمى بعدما علمه فإنما هى نعمة جحدها » (رواه أبو داود) ، وقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى » (رواه أحمد ومسلم) ، وقد كان من أثر ذلك أن بعض المسلمين كان يتدرب حتى فى يوم العيد ..

١١ ـ الحذر ودرجة الاستعداد العالية :

● وعنى الإسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر والتأهب والاستعداد لحرمان العدو من المفاجأة ، فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء ٧١) ..

ولعل أبلغ ما يؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم بشأن الصلاة في الحرب ، فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول ﷺ بينما تكون الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة ، حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء ١٠٢) ...

فهل هناك أدل على عناية الإسلام بالحذر والتأهب من أنه يأمر المسلمين به حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ، ويكونون فيها بين يديه ؟

● ثم تجسد الآية الكريمة عواقب الغفلة وترك الحذر والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : « .. فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً » .

ويبين الرسول ﷺ فضل القائم بالحراسة فيقول : « عينان لا تمسهما النار يوم القيامة » ؛ [عين بكت من خشية الله ، وعين

بـاتت تحرس فى سبيـل الله] (رواه الترمذى) .

● ويقرر الرسول ﷺ المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين فى أنها « القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة » فيقول عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة (أى صيحة خطر) طار إليها » (رواه مسلم وغيره) .

● ونستطيع أن ندرك هذا المعيار ودرجة إحكامه حين نلاحظ ما يلى :

(١) كلمة « ممسك » فى عبارة (رجل ممسك بعنان فرسه) تعنى درجة أعلى فى الاستعداد من مجرد ركوب الفرس أو الوقوف بجانبه ، فهى تفيد « استمرار » حـالة الإمساك بعنان الفرس ، وذلك دليل على الاستعداد الكامل والمستمر للانطلاق بمجرد الإنذار ، فالفارس والحالة هذه إذا جاءته الإشارة بالانطلاق أو إذا رأى خطراً ، لن يكون بحاجة إلى الإتيان بأى تصرف ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به لأنه ممسك به فعلاً ، أى أن كل ما سوف يفعله هو أن ينطلق على الفور .

(٢) كلمة « طار » فى عبارة (كلما سمع هيعة طار إليها) ذات مدلول يختلف كثيراً عن كلمة اندفع أو تقدم أو أسرع ، وتعبر عن أسرع شكل من أشكال الحركة على الإطلاق ، فأنت إذا طلبت من إنسان أن يتحرك بأقصى سرعة فإنك تقول له : طر .

(٣) كلمة « خير الناس » فى بداية الحديث تنطوى على تكريم للمجاهد الذي يقف في أعلى حالات اليقظة ، وهو تكريم يستحقه لقاء العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يبذله لكى يكون على تلك الحال من التأهب والاستعداد ، هذا بالإضافة إلى الفضل الذي يرجع إليه فى إنذاره لأمته وتنبيهها إلى الخطر حتى لا تؤخذ على غرة .

وتنطوى تلك الكلمة أيضاً على معنى تربوى عظيم هو تحريض المجاهدين جميعاً على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للعمل الفورى لدفع الخطر عن أمتهم حتى يَحْظَوْا بوصف « خير الناس » .

١٢ ـ وعـى الأمـن :

● من الضرورات الحيوية لأمن الأمة وسلامتها ، الحفاظ على الأسرار وكتمان ما يستفيد منه العدو ، من أجل ذلك فإن الإسلام يعد الأسرار أمانة من الأمانات التى على المسلمين أن يحافظوا عليها فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (الأنفال ٢٧) .

وقال الرسول ﷺ : « إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة » (رواه أبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) ..

وقال أيضاً : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » (رواه ابن المبارك والحاكم وصححه) ، وقال : « ألا لا إيمان لمن

لا أمانة له ، ولا دين لمن عهد له » (رواه أحمد) .

● وحذر عليه الصلاة والسلام من المغامرة بالحديث أو التعجل بالقول وحث على ضرورة الحذر والتدبر قبل الكلام ، عن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أحدكم ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن أحدكم ليتكلم الكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » (رواه الترمذى وقال : حسن صحيح) ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيلقل خيراً أو ليصمت » (متفق عليه) وقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (رواه الترمذى) .

● كما نهى عليه الصلاة والسلام عن إطلاق الكلام فى قوله : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » (رواه مسلم) وحث ﷺ على سرية الأعمال والخطط فى قوله : « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان » ، (أخرجه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان).

● وقد عنى المسلمون بغرس وعى الأمن وكتمان الأسرار فى أبنائهم منذ الصغر .

● قال أنس بن مالك : « أتى علىّ رسولُ الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثنى في حاجة ، فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (أى أخرك) فقلت : بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا » (رواه مسلم) .

● وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : « إنى أرى هذا الرجل (يعنى عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمساً : لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة » (الإحياء جـ ٢ص ١٥٨) .

١٣ ـ الثبات فى الميدان :

وحث الإسلام المسلمين على الثبات في الميدان والإخلاص في الحرب فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال ٤٥) . ونهى الإسلام عن الفرار من الصفوف وعده من الكبائر قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال ١٥) .

وحرص المسلمون على تربية أولادهم على الثبات والشجاعة ، ومن ذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أعطى الراية لابنه محمد وقال له :

« تزول الجبال ولا تزول ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه » ..

(للبحث صلة)

الإبراهيمية

فى دعوة جديدة

لفضيلة الشيخ
زكريا أحمد نور
الواعظ بأسيوط

كانت الإبراهيمية بين العرب قبل ظهور الإسلام عقيدة تدعى « الحنيفية » فقد كان بين العرب أناس مستنيرون فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية ، وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها ودعوا إلى دين التوحيد وإلى إحياء ملة إبراهيم ونبذ عبادة الأوثان والتخلص من عبادات الجاهلية ، وكانوا يعتقدون فى البعث وبوجود إله واحد يحاسب ويجازى الناس على أعمالهم من خير وشر ، ويطلق على هذه الحركة « التحنف » وعلى أصحابها « الحنفاء » .

مبادىء الإبراهيمية من القرآن

قد ورد لفظ الحنيف فى القرآن الكريم ففى سورة آل عمران الآية ٦٧ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وقال تعالى فى نفس السورة الآية ٩٥ ﴿ قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

أصحاب هذه الدعوة قديما

١ ـ كعب بن لؤى بن غالب : وهو أحد أجداد الرسول ﷺ ، وأحد الذين تزعموا الدعوة إلى الحنيفية فكان يجمع قريش ويطلب منهم

التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ويذكرهم بالموت وأهواله واليوم الموعود وأحواله ويبشرهم بظهور نبى ، ومنهم أيضاً :

٢ ـ قس بن ساعدة الإيادى : وكان من أشهر قضاة العرب وخطبائهم وقد سمعه الرسول ﷺ يخطب بسوق عكاظ على جمل له يحث العرب على نبذ رذائل الجاهلية ويبشرهم ببعث رسول « وقد قيل عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : يرحم الله قساً إنى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة » .

٣ ـ أبو قيس صرمة بن أبى أنس : وهو من بنى النجار ، دخل بيتاً له فاتخذه مسجدا وقال : أعبد رب إبراهيم فلما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة أسلم وحسن إسلامه .

٤ ـ خالد بن سنان بن غيث ـ وهو من بنى عبس بن بغيض وذكر المؤرخ ابن قتيبة أن الرسول ﷺ قال عنه : « ذلك نبى أضاعه قومه » كما ذكر أيضاً : أن ابنته قدمت على رسول الله ﷺ فسمعته يقرأ : « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول : ذا ، أى يقول : إنه يؤمن بالله وحده ، لأنه يقول نص الآية .

٥ ـ زيد بن نفيل : الذى سب آلهة قريش وعاب الأصنام ودعا أهل مكة إلى التوحيد وعبادة الله وكان يقول لقومه « ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ياقوم التمسوا لأنفسكم دينا فانكم والله ما أنتم على شىء » .

ميدان الإبراهيمية

فالحنفاء هم من احتفظوا بدين إبراهيم فى الجاهلية فلم يشركوا بربهم أحدا ولم يعتنقوا اليهودية ولا المسيحية كما نبذوا الوثنية ، وقد كان العرب جميعاً قبل عهود الوثنية فى عهد « عمرو بن لُحَىّ الخزاعى » يدينون بدين التوحيد الذى بشر به إبراهيم واستمر ذلك حتى منتصف القرن الثالث الميلادى تقريباً .

ولم ينتظم الحنفاء فى طائفة ولم يرتبطوا برباط واحد ولم يشتركوا فى عبادة واحدة معينة ، ونحن نرى أن هؤلاء الحنفاء أو المتعبدين على ملة إبراهيم لم يكونوا عدداً قليلاً بل كانوا كثرة محسوسة وإلا ما كانوا أحد معالم الجاهلية .

ولم يكن للحنفاء سلطة سياسية تمكنهم من أن يصارعوا التعاليم والعادات القديمة والطقوس الدينية والشعائر الوثنية التى كانت قد تشابكت مع حياة العرب ولا يمكن القضاء عليها إلا بهدم الوثنية من أساسها ، وهذا ما نجح الإسلام فيما بعد فى تحقيقه فأوجد مجتمعاً إسلامياً نقياً متماسكاً .

الحنفاء والمستشرقون

عد بعض المستشرقين الحنفاء شيعة من شيع النصارى واستدلوا على ذلك بما ورد فى المصادر القديمة من اعتناق بعض من نبذوا الوثنية الدين المسيحى مثل « ورقة بن نوفل »

غير أن القرآن الكريم قد نص نصاً صريحاً على أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، وليس بين أيدينا موسوعات توضح أمر النصرانية فى ورقة بن نوفل ، كذلك ليس هناك دليل على اعتناق ورقة عقيدة التثليث ، فاعتبار بعض المستشرقين أن الحنفاء كانوا نصارى تَخَطٍّ لمنطق العلم وحكم بلا دليل .

عبادة الحنفاء

كانت عبادة الحنفاء ضرباً من التحنث لا نعلم له تفصيلاً ، ويبدو أن « الخلوة » و« الزهد » و« الانقطاع » عن المجتمع زمناً كان سلوك العبادة عندهم . ثم جاء الإسلام فبث هذه الشرائع جميعاً إلا ما أراد الله ـ سبحانه ـ أن يستبقيه فى الإسلام منها مُخْلَصاً مما أحيط به من وثنية كالحج فى شريعة إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

الإبراهيمية الحديثة

دعوة غامضة يتزعمها للأسف « جارودى » الذى ظن به المسلمون خيراً ، ينادى بها ويقيم لها مراكز فى فرنسا ، وغموضها الذى لا يستطيع « جارودى » رده ظاهر فى أن الابراهيمية نفسها فى عصر الحنفاء الذى مضى عليه أكثر من ألف وخمسمائة عام ـ كانت مجهولة التفصيل لا نعلم لها شريعة مفصلة ، ولا عبادة مقومة ، ولا كتاباً محفوظاً ، لذلك كان لقاؤها بنظرية المستشرقين الذين ادعوا أن الحنفاء كانوا على النصرانية . فما قامت هذه الإبراهيمية الحديثة إلا للنيل من الإسلام ورسول الإسلام رغبة فى « تذويب » هذا الدين الحنيف فى غيره من الديانتين اليهودية والنصرانية وبخاصة إذا اعتمدت على ما جاء فى العهدين عنها .

ولو أن « جارودى » أسلم عن يقين دارس للقرآن والسنة لكان مُقِرًّا بأن شريعة الإسلام قد نسخت ما قبلها من الشرائع، وبالتالى ما فكر أبداً فى أن ينزلق هذا المنزلق الخطير .

فأما الوفاق بين الأديان فإنه لن يتم حتى تكون العقيدة هى « الوحدانية » كما جاء بها القرآن فمن زاغ عنها فهو هالك .

وهى « وحدانية » ليس فيها غموض الفلسفة ولا تأويل الكهنوت ، ولو أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حَبا ما وسعه إلا أتباع محمد ﷺ وممارسة منهاجه .

وحدة الأديان كما يقررها القرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ

فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران (٢٠).

وهذا هو تلخيص للمراحل الكثيرة المتعاقبة التي مر بها أرباب الأديان السابقة والتي تدخلت فيها الأهواء والخلافات الباغية حتى أنستهم الحقائق التي جاء بها رسلهم ونزلت بها كتبهم فاختلفوا اختلافاً عقائدياً أصلياً لا مجرد اختلاف فرعي في حكم شرعي، ولو أنهم التفوا حول ما جاء به الرسل من حقائق الدين لما اختلفوا ولاجمعوا أمرهم على الإسلام لله في كل أمر والانقياد لحكمه.

وفي نفس السورة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ. قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الآيات (٨٣ ـ ٨٦). فهذه الآيات تقرر حقيقتين:

أولاهما: أن دين الله يتلخص في إسلام النفس له والانقياد لحكمه.

والثانية: تنبني عليها وهي أنه لا يمكن التفريق ـ في العقيدة ـ بين ما أمر الله به على لسان نبي وما أمر به على لسان نبي آخر فإن منطق الإسلام لله يعني الاذعان له ويأبى هذا التفريق ولذلك جاءت الآية الأولى تقرر الحقيقة الأولى وهي وجوب الاذعان والإسلام لله وجاءت الآية الثانية تقرر وجوب أن يكون هذا الإذعان إيمانا بجميع الرسالات الإلهية التي جاء بها أنبياء الله إجمالاً، ثم ختمت الآية الثالثة بتقرير الحقيقة الأولى بأسلوب نفي القبول عمن ابتغى غيرها تأكيدا لما استفيد من الآية الأولى. وبذلك تقرر أن الإسلام إنما هو إسلام الوجه لله والانقياد التام له. وهذه عقيدة النبوة جميعها منذ خلقها الله. وقص الكتاب العزيز ما جاء على لسان كل نبي من إقراره بالإسلام.

فأما الشريعة فهي منهج خاص، لكل نبي شريعته قال تعالى ـ لرسول الكريم: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ المائدة (٤٨).

وفي الآيتين التاليتين يقول الحق ـ عزل وجل ـ لرسوله ﷺ:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ . أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنَ أَحسنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

المائدة (٤٩ ـ ٥٠) .

وهذه الآيات الكريمة تبين فى وضوح أن لرسالة محمد ﷺ شريعة تخصها . كما أن لكل نبى شريعة تخصه . ومقتضى ذلك أن الشريعة اللاحقة ناسخة للسابقة فكانت دعوة الإبراهيمية الحديثة لا دينية مطلقاً فلا هى لإبراهيم عليه السلام ولا هى للتوحيد ثم هى من بعد ضلال وكيد للإسلام .

زكريا أحمد نور

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم ٤٠٠ — جنيه ٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

* باقى دول العالم

٣٠ ثلاثون دولارا او مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

من أعلام الأزهر

علي يوسف
شيخ الصحافة المصرية

تعرض الدكتور عبد اللطيف حمزة فى الجزء الرابع من كتابه « أدب المقالة الصحفية فى مصر » إلى موازنة سياسية بين الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى ومحرر اللواء ، والزعيم على يوسف رئيس حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية ومحرر المؤيد فقال ص « ١٥٣ » :

هذا هو الزعيم الشاب مصطفى كامل يثير الخواطر ، ويهيج المشاعر ، ويقذف فى وجوه الإنجليز بين حين وحين بكلماته القوارص ، ويكسب إلى جانبه الرأى العام فى مصر ، بل الرأى العام فى اوربا كلها إلى جانبه .

وهذا هو الزعيم الآخر السيد على يوسف يعمد إلى هذه القضايا السياسية التى يخلقها الاحتلال فيبسطها لقرائه فى المؤيد ، ويأخذ فى مناقشتها تارة ، وتحليلها تارة ، ويبنى برهانه على طائفةٍ من الدلائل المحسوسة والقرائن الملموسة . والحجج العقلية والمنطقية التى لا تقبل الرد . ولا تحتمل الإنكار .

بهذه الطريقة وتلك طفق زعيما مصر فى ذلك الوقت يعالجان المسائل الهامة ، والقضايا التى تشغل بال الرأى العام هذا بعنفه وشدته ، وذاك بعقله ورويته ، حتى لكأن أحدهما وهو مصطفى كامل قلب مصر النابض ، وكأن الثانى وهو على يوسف عقلها المفكر ، وليس للأمة غنًى بأحدهما عن الآخر .

هذه موازنة صادقة بين زعيمين اشتهر أحدهما شهرةً طبقت المشرق والمغرب ، وخفت صدى الآخر حتى ما يكاد يسمع به أحد ، وهو فى مكانته الصحافية ومنزلته السياسية لا يقل شأناً عن صاحبه ، فبماذا ـ ليت شعرى ـ نعلّل هذا الجحود .

لقد كان من حظ مصطفى كامل أن يترك تلاميذ تشيد بفضله السياسى وهو فضل غير منكور ، فكثرت المؤلفات عنه ، ودبجت القصائد والخطب والمقالات فى تأبينه ، وكان من قدر على يوسف أن يبقى وحده فى الميدان ، بعد أن اعتزل عمله فى المؤيد فيتفرق حواريوه ، ثم يحين يومه فتبكيه الأقلام حيناً

للدكتور/ محمد رجب البيومى

من الدهر ، ويعفى على أثره النسيان فلا يكاد يذكره أحد !

إنها لعجيبة العجائب فى دنيا الجحود ، أن يهجر حديث زعيم جليل الخطر ، ولم يك ذلك الهجر سهواً غير مقصود ، ولكنه يقع عن عمد ، إذ لا يرحب مؤلفو التاريخ ومزوقوه ومزخرفوه بأن يبسطوا الحديث عن شيخ أزهرى يدافع عن دينه فى صحيفة رنانة كانت أولى الصحف المصرية فى عهدها على الإطلاق ، إنما يكون الترحيب بذوى النباهة ممن يجذبون الأنظار فى شتى المناسبات ! فليت شعرى كيف يهمل « على يوسف » صاحب المؤيد ، ويذكر فارس نمر صاحب المقطم ، والأول لسان مصر ، والثانى لسان الاحتلال !

وقد يظن قارئو هذا الجيل ، ممن لم يقفوا على تاريخ الأمس ، أن الدكتور عبد اللطيف حمزة قد بالغ بعض الشىء حين عقد الموازنة الصادقة بين على يوسف ومصطفى كامل ، ولكن عبد اللطيف حمزة رحمه الله ليس وحده هو الذى تحدث عن منزلة صاحب المؤيد ، إنما تحدث عنه أعلام الفكر والسياسة فى عصره بمثل ما تحدث به الدكتور عبد اللطيف حمزة ، ولابد فى هذا المجال من عدة استشهادات تؤكد مكانة الزعيم الكبير ، لتتضافر الآراء المجمعة على فضله متساندة



متماسكة ، وهى بوضوحها الساطع لا تحتاج إلى تعقيب .

يقول - أولا - المفكر القانونى الضليع أحمد فتحى زغلول باشا[1]

« ماعرفت الإقدام أنفذ فى قلب الزمان مثلما عرفته فى « على يوسف » ولا أدركت بالحس إلى أى شأو تبلغ الهمة بصاحبها مثلما شهدت ذلك فيه .

رجل رمت به الأيام فى معترك الحياة وهو وحيد ، والجو أقتم ، وظلمات الحوادث تتكاثف على الأمة ، والله يعلم كيف تتكشف تلك الغمة ، ساورته الشدائد وهو فى « مؤيّده » وشب بنفسه واختطّ فى الحياة

←

(١) من خطبة فتحى زغلول فى تأبين على يوسف بمجموعة الآثار الفتحية .

طريقه بذاته ، لا معين له من طارف أو تليد ، ولا ناصر له من أب أو قريب أو نسيب ، ولو أنه كان من أولئك الذين يطويهم الزمان فى ثناياه لما اجتمعنا اليوم لتأبينه ، لكنه كان رجلاً استعصت نفسه الكبيرة على الزمان فقهرته ، وكبرت همته على الحوادث ، فأخضعها ، واستقبل الشدائد ، بعزم وثبات يخدمها فكر صحيح ونظر ثاقب ، رام الصحافة فكان شيخها ، وتطلع إلى مجالسة الملوك والأمراء فتربع فيها ، واشتاقت نفسه إلى المعالى فاغترف منها ما اشتهى ، لكنه ما اكتفى وما كان ليكتفى وله هذه النفس التواقة إلى نيل مالم ينل أحد من قبل .

هل سمعتم أن الأحساب عرض يكتسب ؟ هل علمتم أن الشئون الذاتية مما يطمع فيها أحد ، ما علمنا ولا سمعنا ، ولكنها قوة الإرادة تعلو على الأحساب ، ورأينا صدق النية يتخطى الأنساب ، فتعلمنا ما كنا نسمعه من الحكماء من أن مراد النفس أكبر منها على الدوام ، وأن قدرة الإنسان فى الوجود لا حد لها .

هذا بعض ما قاله أحمد فتحى زغلول مصوراً بعض ما قاسى هذا العصامى النابغة من مصاعب مرهقة تقف سداً منيعاً أمام ناشىء أزهرى لا يملك من أدوات الكفاح غير إرادته الحازمة ، وفكره المتوثب ، وقلمه الصوال ، وقد استطاع بهذه المواهب أن يقود الرأى العام فى مصر بما يكتب يومياً فى صفحات المؤيد ، وقد كان نفاذ بيانه وسطوة حجته من السطوع بحيث هيأ الاحتلال نفراً من الوصوليين ليناوشوه يومياً فيما يصدرون من صحف يرعاها لورد كرومر ، ويمدها بشتى المساعدات فهو محاط بشتى العداوات ، لأنه من ناحية الاحتلال خصمه الألد ، ومن ناحية الشباب الوطنى كان كما قال الأستاذ عبد العزيز البشرى عنه[٢] معتدلاً لا يرى العنف سبيلاً إلى استرداد حقوق البلاد ، بل إن هذا العنف مما يرديها فى أخطار لم تكن لها فى الحساب ، وكان طوعاً لهذا لا يرى أن يتحدث فى الشئون العامة غير الشيوخ المجربين ، وهذا وهذا مما لا يرضى الشباب المشتعل حماسة لحق الوطن ، ولا تنس أن العامة من وراء هؤلاء .

هذا بعض ما قاله الأستاذ البشرى عن دقة موقف « على يوسف » ولكنه مع ذلك أوضح تأثيره الخارق فى النفوس حين تتأزم أحداث السياسة بمصر والعالم الإسلامى ، أوضح الأستاذ البشرى هذا التأثير الجبار فى قوله عن الشيخ على يوسف « ومع هذا كله ففى يوم الجلى ، يوم تحدث الأحداث القومية ، ينفض الناس قلوبهم حتى يتساقط عنها كل ما علق بها من الحقد على الشيخ على يوسف ، ويتلعون(*) أعناقهم نحو المؤيد ، شاخصة أبصارهم مرهفة آذانهم ، معلقة فى انتظار ما يقول الشيخ أنفاسهم ، فإذا النمر الجبار يثب على فريسته من عدوان العادين

(٢) المختار للبشرى جـ ١ ص ٢٥٥ ط ثانية .

تَلِعَ ـ بزنة عجب منه تلعت عنقه طالت ، ويأتى فى مشتقاتها معنى : مد عنقه متطاولا .

وثبته ، فلا يزال يوسعها تمزيقاً بمخلبه ، وضغما بأنيبه حتى ما يدعها إلا عظاماً وجلوداً » .

والقارىء يتنقل فيما سقناه من أقوال عبد اللطيف حمزة ، وأحمد فتحى زغلول وعبد العزيز البشرى متسائلاً كيف يجوز فى منطق أصحاب الدراسات الصحافية أن يغفل تاريخ هذا الرجل ، بل كيف يجوز فى منطق مؤرخى هذه الحقبة من تاريخ مصر أن يتجاهل موضع زعيم خطير مثله ، له حزبه السياسي ، وصحيفته الرنانة ، وقلمه الصوال ، لقد نشر الخديوى عباس حلمى مذكراته السياسية متحدثا عن قادة مصر فى عهده من الزعماء والوزراء والكتاب وعن رءوس الاحتلال الانجليزى ممن يجثمون على إدارة الأمور فى مصر ، وكان لابد أن يتحدث عن « على يوسف » لأن صاحب المؤيد قد سالم الخديوى وآزره فى وجه المعتمد البريطانى ، بل إنه جمع القلوب حوله حينا من الدهر باعتباره الحاكم الشرعى الصامد أمام كرومر ، أجل ، لقد تحدث عن « على يوسف » حديثاً منصفا لا يجنح إلى التزيد أو الانتقاص ، بل يضعه الموضع الصحيح كما يراه من زاويته الخاصة وبمقارنة ما كتبه الخديوى عباس بما سطره مؤرخو « على يوسف » نجد أن أوجه الاتفاق تتعدد وتتكاثر بحيث تقبع نقاط الخلاف فى حيز ضئيل ، ولعلنا نجد المجال يحتم علينا فى نطاق هذه الشهادات التاريخية الخاصة بعلى يوسف أن نلحقها ببعض ما قال عباس الثانى عن صاحبه حين نشر مذكراته السياسية بجريدة المصرى ، فذكر عنه أنه « كان يبدو أحياناً بمظهر المدافع عن الإسلام أكثر مما يبدو بمظهر المحرك للشعور الوطنى ، وكان الغرض من ذلك أن تجتمع كل القوى المتشتتة حول فكرة عامة ، وكان الغرض من ذلك أيضا خلق عاطفة التماسك والترابط عند الجماهير وهى العاطفة التى لا يتم بدونها عمل ، وهكذا أفلح على يوسف فى بعث الإحساس فى قلوب مواطنيه بشخصيتهم القومية ، لفرط ما استمع إلى الحديث عن علاقات مصر ، وعن ماضيها وحقوقها ، ولفرط ما ناقش معاونيه الأعلام فى السياسة العامة وعلاقاتها بالموقف الراهن ، وكان استحضاره للعصور الغابرة التى كان حسن الإلمام بها يتيح له إيقاظ الذكريات المجيدة فيبعث فى نفوس قرائه الإيمان بالمستقبل .

والحق أن الشيخ على يوسف لم يكن يوماً رجلاً تركياً ، وإذا كان فى بعض الأحيان قد أيد الخليفة فإنه لم يكن يعنى سلطان القسطنطينية وإنما كان يعنى زعيم الإسلام ، فهو ذلك الرجل الذى قاد الرجال وأدرك معنى الأمة ، ومعنى الإخلاص كان مصريا قبل كل شىء ، وقد نجح ـ أيما كانت شخصيته وآراؤه ـ فى أن يستميل الرأى العام ويجمعه ويعلمه التفكير »[٣]

←

(٣) من مذكرات الخديوى عباس نقلا عن كتاب « أدب المقالة الصحفية فى مصر جـ ٤ للدكتور عبد اللطيف حمزة ص ١٠٣ .

هذه شذور « مختارة مما كان الخديوى قد كتبه فى مذكراته ، وإذا كانت من ناحية أولى تدل على تأثير الرجل الكبير وقوة رسالته فى أمته ، فإنها من ناحية ثانية تدعو إلى نقاش هادىء يوضح وجهة نظر الخديوى فى اتجاه على يوسف ، إذ حكم بأنه كان مصريا قبل كل شىء ، وهو حكمٌ قد يدل على أن مصرية الرجل وحدها كانت هدفه الأول والأخير ، والحقيقة أن الرجل كان داعية إسلاميا لكل بلاد الحنيف ، لأن مفهوم المصرية لا يتعارض مع مفهوم الإسلام فى شىء فمصر وطن إسلامى صغيرٌ يندرج فى وطن أكبر ، هو الإسلام ، واعتزاز على يوسف بتركيا إنما كان لكونها ممثلة الإسلام لا لصلة شخصيته بالخليفة القائم بها ، وكذلك اهتمامه بمسلمى الهند والصين واليابان وإيران والافغان وأندونسيا وتونس والجزائر ومراكش وليبيا وبلاد العرب والشام والعراق ، لأن هموم هذه الدول جميعها قد وجدت متسعا فسيحاً على صفحات المؤيد كما وجدت كتابا إسلاميين يتجهون هذا الاتجاه وفى طليعتهم محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وعبد القادر المغربى وشكيب أرسلان وعبد الحميد الزهراوى ومحب الدين الخطيب وهم جميعا ثمار « يانعة » نضجت فى دوحة جمال الدين الأفغانى ! ولم تظهر حنكة على يوسف السياسية على وجهها الرائع كما ظهرت فى علاقته بالأستاذ الإمام محمد عبده مقارنة بعلاقته الصميمة مع الخديوى عباس ، لأن صداقة صاحب المؤيد للخديوى لم تكن صداقة التابع المتسقط لرغبات صاحب الأمر ، ولو كانت كذلك ما احتفلت المؤيد بمقالات الأستاذ الإمام وشيعته فى الرأى ، والعداوة بين المفتى والخديوى يومئذ سافرة واضحة لا تعرف النقاب ، ويخيل إلى أن الشيخ « على يوسف » قد فكر كثيراً فى موقفه الشائك ، فرأى من ناحية أولى أن الإمام الكبير عالم العصر ، ومفتى الإسلام ، ورافع راية الاجتهاد . وله صيحاته المدوية التى توقظ النائمين ، مهما أرقت ذوى الأغراض من محاربى الإصلاح ، كما أنه من ناحية ثانية يدرك أن المؤيد يخدم الخديوى حين يثنى على محامده ، ولن يكون للمؤيد صوته المسموع إذا خسر الأقلام النابهة التى يتقدمها قلم الأستاذ الإمام ، وقد روى الأستاذ السيد محمد رشيد رضا فى تاريخ الإمام ما ينطق بأن على يوسف اتخذ لنفسه موقفاً وسطا بين الخديوى عباس ومحمد عبده ، فظل وفيا للإمام موالياً له ولرجال حزبه من أمثال حسن عاصم وسعد زغلول ، وكان يخبرهم بجميع أسرار الخديوى وما لا يرضى من أعماله ويستشيرهم فيها وذلك ـ كما يقول السيد رشيد رضا ـ (٤) ليقينه أنه لا يصل إلى سموه شىء من مكاشفته لخصومه إذ كان فى صميم مشاعره يحاول التوفيق بين الفريقين قدر المستطاع ، وهو فى ذلك أشد حزماً من مصطفى كامل حين كان يجاهر فى

(٤) تاريخ الإمام جـ ١

معاداته لمحمد عبده حتى أنه خالفه فى تفسير بعض الآيات القرآنية ، وإذا كان لمصطفى كامل رحمه الله أن يخالف الإمام فى منحاه السياسي فما أظن أن فى مقدرة مثله أن يصحح للإمام آراءه فى تفسير بعض آيات الكتاب ، ولا أعنى بذلك أن محمد عبده منزهٌ عن الخطأ فى التأويل ، ولكن أقول : إنه أستاذ فى منحاه ولن يعارضه غير من درس وقرأ وتعمق واجتهد حتى ارتقى فى التفسير مرتقاه ، هذا وقد كان الإمام يكتب فى الصفحة الأولى من المؤيد مقالات لا يوقعها باسمه الصريح ، وكانت الجريدة تعلن أنها بقلم حكيم كبير من حكماء الإسلام ، وقد طارت شهرة المؤيد بما نشر للشيخ محمد عبده من مقالات نقدية للمسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسية حين هاجم الإسلام هجوماً ضارياً يتجرأ على إنكار الحقائق وترويج الأراجيف ، فانبرى الإمام على صفحات المؤيد يفند كل ما ألصقه هانوتو من أراجيف لا تجد لها سنداً صحيحاً فى عالم البحث النزيه وقد وصلت أعداد المؤيد إلى هانوتو وعقب على رد الإمام بما يدل على أنه وقع فى حيرة من أمره ، واضطر المؤيد إلى أن يفرد مقالات هانوتو مشفوعة بردود الإمام فى كتاب خاص تتناقله الأيدى إذ كثر الطلب الخاص بأعداد المؤيد التى نشرت مقالات الإمام مع أنها نفدت ليومها دون أن تغطى مساحة القراء فى شتى ممالك الإسلام ، فلا سبيل إذن غير الغوث بكتاب جامع يروى الغليل ، وإذا كانت بعض الجرائد قد اتجهت إلى مهاجمة الإمام بتشجيع الخديوى فإن صاحب المؤيد لم يسمح لنفسه أن يهوى إلى هذا المنحدر ، مع شدة الإلحاح عليه منطقيا ، إذ كان للرجل استقلاله القوى الذى يحميه من التهافت أمام الإغراء وأقول : مع شدة الإلحاح عليه منطقيا ، لأن كل الدلائل تنطق بأن الخديوى الذى سخر الغرباء عنه فى تشويه مكانة الإمام لابد أنه بذل قصارى ما يستطيع ليحمل صديقه على ما اعتزم من حرب الإمام ، فما وجد أذناً تسمع ! وللمؤيد صوته بين الناس فليحرص عليه دون عناد .

على أن الصحافة المعادية للمؤيد لم تترك لعلى يوسف مدى للراحة الهنيئة ، بل طفقت تهاجمه بلواذع الهجاء ولم يكن لأكثر القائمين بالكتابة حينئذ قانون خلقى يمنع التخرص والإنحدار ، بل كان الإيغال فى التوقح مبعث الفوز والغلبة لدى قوم لا يرتفعون إلى مستوى الشرفاء ، وقد صبر الرجل طويلاً عما قيل عن رقة حاله فى مبدئه ، وعن ضآلة ثقافته الأزهرية ، وكلا المأخذين طائش لا يبلغ شيئاً من مراد أعدائه ، لأن رقة حال الطالب الأزهرى الناشىء بإحدى قرى الصّعيد ، هى مدعاة فخر لكل عصامى اعتمد على نفسه حتى قهر الصعاب متسلحاً بالعزيمة القادرة ، والإرادة الحاكمة ، أما ضآلة الثقافة الأزهرية فإذا كان المراد بها قراءة ما تعورف من حواشى العلوم فى البلاغة والمنطق والأصول فكثير من زملاء الشيخ قد بلغوا الحد الأعلى فى هذه القراءة دون أن يقودوا زمام الرأى العام بما ينشرون من آثار ، أما إذا كان المراد بالثقافة الأزهرية ثقافة الإسلام التى تفهم مبادئه الخلقية وتعاليمه الإنسانية ، فقد أظهرت آثار على يوسف أنه على حظ عظيم من

←

هذه الثقافة ، وليست قلة السنوات فى الانتساب إلى الأزهر بمانعة من تحصيل المعارف الصحيحة ، والأقوال المأثورة فى كتب التراث ، ونحن نعرف من أرباب الثقافة الإسلامية من لم يتصلوا بالأزهر يوماً ، وقد قرءوا كتب الأزهر ، وتعلموا على أيدى علمائه فأصبحوا من أعلام الإسلام ، وما مصطفى صادق الرافعى ومحمد أحمد الغمراوى وعباس محمود العقاد إلا طلبة مخلصون فى حقل الدراسة الإسلامية ، نطقت مؤلفاتهم بعلمهم المحيط ، واتجاههم السديد أفيكون على يوسف بعيداً عن هذه الثقافة لأنه لم يمكث فى الأزهر حتى ينال أرقى شهاداته ، وقد كان المنفلوطى والزيات وسعد وغيرهم من أقطاب البيان ولم يواصلوا التعليم الأزهرى لآخر غايته لقد أحس على يوسف بموهبته الأدبية وهو طالبٌ يافعٌ لم يبلغ العشرين ، إذ نظم ديواناً شعريا يحمل بواكير أدبه سماه « نسمات السحر » ونكلفه شططا حين نطلب منه أن يبدع فى هذا المضمار كما أبدع البارودى وصبرى وشوقى ومطران من شعراء عصره ، لأن الرجل لم يخلق شاعراً ، وإنما حاول مجتهداً حتى إذا لمس قصوره الفنى فى هذا الميدان اتجه إلى النثر ، وكان ذا طموح وثاب فلم يكتف بالمقالات الأدبية التى كان ينشرها فى مجلة « القاهرة الحرة » بل سمت به همته إلى أن يصدر صحيفة « الآداب » فى سن الخامسة والعشرين مشتركاً مع صديقه « أحمد ماضى » حيث كان ذا ثراء عاونه على إصدار المجلة ولك أن تعجب للناشر الناشىء حين تجده فى باكورة عمله الصحفى يخوض معارك فكرية تنحو منحى الإصلاح التعليمى والأدبى ، فخص التربية والتعليم بمقالات متتابعة تصور ضرورة الاهتمام بتعليم النشء على أحدث أساليب التربية الحديثة فى أوربا منادياً بضرورة التوسع فى التعليم الشامل المستوعب لا أن نكتفى ببعض القشور التى تهيء للوظيفة الحكومية المتواضعة كما يريد كرومر ، أما معركة اللغة الفصحى فقد كانت صفحات مجلة الآداب ميداناً للدعوة إليها ، حيث وجد من أدوات الاستعمار من يدعو للعامية كى تحل مكانها ، وقد تكون هذه القضية مما ذاع لدينا الآن بعد أن كتبت البحوث الخاصة بتتبع مسارها التاريخى ، ولكن ثبات على يوسف ونظرائه فى وجه العاصفة بما يملكون من أدلة فكرية ، وما يفضحون من نيات مستترة قد كان عاملا حاسماً فى إخفاق من يدعون إلى العامية كى يقطعوا أواصر الأخوة بين الناطقين بالضاد فى الدول العربية ، ومن وراء ذلك التنكر لحضارة العرب وثقافة الإسلام ، ومن هنا كانت مجلة الآداب من أوائل الصحف التى واجهت الحضارة الأوربية لتبين جانبيها المختلفين ، الجانب المادى والجانب الفكرى ، أما الجانب المادى المتمثل فى الارتقاء الصناعى والاكتشاف العلمى فلا يوجد من يدعو إلى مجانبته، وأما الجانب الفكرى فلابد أن يمزج بما لدينا من تراث مماثل حتى تقوم ثقافتنا على أصولها الممتدة فى صحف التراث مضافا إليها مالا يتعارض معها فى الاتجاه .. وإذا نجحت مجلة الآداب فى إثارة هذه المنازع فقد وفقت إلى حد بعيد .

د . محمد رجب البيومى

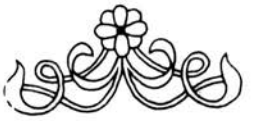
الشعر والشعراء

إشراف: د حسن جاد

القارئ



شجرة جرداء بين أشجار خضراء



يا ليل لا تحزن

القارئ

للشاعر: محيى الدين عطيه

شُعـاعٌ مِـنَ الفَجْـرِ فى نَـاظِـرَيْـهِ ... عَـلىٰ مُصْحَـفٍ قـامَ فى رَاحَتَيْـهِ

تَـغَنَّـىٰ ، بِصَـوْتٍ نَـدِىٍّ رَخِيـمٍ ... وَدَمْـعُ الخُشـوُعِ عَـلىٰ وَجْنَتَيْـهِ

تـغَنَّـى ، فَقَـالَـتْ لَـهُ نَجْمَتَـانِ ... إِذَا شِئْـتَ قُمْنَـا عَـلىٰ دَفَّتَيْـهِ

تَـغَنَّـى ، وَانْصَتَـتِ الكَـائِنَـاتُ ... كَـأَنَّ اجْتِمـاعَ اَلْقُلُـوبِ لَـدَيْـهِ

تَـدَاعَـتْ إِلَيْـهِ جُمُـوعُ اَلْيَمَـامِ ... غَمَـرْنَ الطَّـرِيـقَ عَـلىٰ جَـانِبَيْـه

وَوَشْـوَشَ قَطْـرُ النَّـدىٰ زَهْـرَةً ... فَمَـالَتْ عَـلىٰ الغُصْـنِ تُصْغِـى إِلَيْـهِ

وَقَـالَـتْ : كَـأَنِّـى أرىٰ يَـا رِفَـاقُ ... مَـزَامِـيرَ دَاوُودَ فِى شَفَتَيْـهِ

وَوَدَّعَ « طَـهٰ » إِلىٰ « الأنْبيَـاءِ » ... وسِـرْبُ اَلْمَـلاَئِـكِ فى عَقِبَيْـهِ

فَلَمَّـا تَـوَلَّـتْ فُلُـولُ الظَّـلاَمِ ... أَطَلَّـتْ عَـرُوسُ السَّمَـاءِ عَلَيْـهِ

وَاَلْقَـتْ لَـهُ مِـنْ خِـلاَلِ السَّتَـائِـ ... ـرِ خَيْطـاً مِـنَ النُّبْـرِ بَـيْنَ يَـدَيْـهِ



شجرة جرداء بين أشجار خضراء

للأستاذ محمد عبد الخالق ندا

وجرداء نابية فى الشجر ... وقفت أُسرِّحُ فيها النظرْ
عليها الكآبة قد خيّمتْ ... ولاح عليها الأسى والضجر
يمر النسيم بها عابثا ... فلاحِسَّ يبدو بها أو خبر
وتنصرف الطير عنها ازوراراً ... فلا ظل يعطفها أو ثمر
وهل يألف الطير إلا الحياة ... ونوراً لطلعتها قد بهر
يغرد ما شاء فى نشوة ... ويهتف للحسن أنى ظهر

●●

●●

سُلِبْتِ الحياةَ وسِحْرَ الحياة ... فماذا وقوفُكِ بين الشجر؟
وسيان عندك لفحُ الهجير ... وخفقُ النسيم إذا ما خطر
إذا ما تجهّم وجهُ الزمان ... نبا الأُنسُ عنك وولى السَّمَر
وَذَكَّرَنِى بمصير الحياة ... وأن الحياة مجال العبر
لزمتِ السكوتَ وياطالما ... سرى منك وَحْىٌ يُثير الفكر
وكل حياة إلى غاية ... يحول الوجود ويفنى العُمُر

يا ليل الأحزن

قدرٌ علينا أن نسير على الجراحْ ... قدرٌ علينا أن نسير ونبتَسمْ

الطائر المشتاق مكتوف الجناحْ ... يمشى على قلبٍ ينوء بما كتمْ

تلهو به .. وبحزنه .. هُوجُ الرياحْ ... يا غربة العمر المضاع بهجرهمْ

مالوا عن الشدو الجميل إلى الصياحْ ... يا طائر الإخلاص يا حلو النغمْ

ضاقت بألْفَتِنا صدورهُمُ الفساحْ ... نحيا بلا مأوى حياةً كالعدمْ

يا حلمنا بالبيت والصدر المتاحْ ... صدرى بلا صدرٍ له .. لم يلتئمْ

الريحُ تعوى قَصْدُها كبحُ الجماحْ ... أنْأى .. بلا قلبٍ لقلبى يبتسمْ

ويدى بلا أخرى تشاركها الكفاحْ ... وتشد إصرار الغريق المعتصمْ

ياوجه من أهوى اينكشف الوشاحْ ؟ ... ياوجه من أهوى أتنزاح الغُمَمْ ؟؟

ياغربة العمر المضاع بكل ساحْ ... أحبابُنا : أحبابُنا .. فدع الندمْ

ها نحن ننزع من حشايانا الرماحْ ... لتكون أقلاماً تشيد بذكرهمْ

ياحُزْنُ مهلاً وارْتوِ .. فدمى مباحْ ... فإذا شَرِقْتَ ... دمى عليك سيضطرمْ !!

إن كان من أهوى بتعذيبى استراحْ ... هاتِ اسقنى كأسَ العذابِ ولا تلُمْ

هاتِ اسقنى فالذكر لى كاسٌ وراحْ ... إنَّا رضينا .. هل سيرضى من ظَلَمْ ؟؟

للشاعر الدكتور أحمد عامر

يـاأيهـا الحـزنُ النبيـلُ بـلا نُـواحْ ... إنّـا عـلى درب الـوفـاء لنـا قلـمْ

كى تُسعـدَ الدنيـا اغاريـدى الفصاحْ ... وأنـا أنـوءُ بمـا حملـتُ وأنفصـمْ

فـإذا سقطـتُ فمـأتمى بـين الإقـاحْ ... بـين الطيـور البـاكيـات عـلى القممْ

يـاأيهـا الليـلُ الطـويـلُ بـلا صبـاحْ ... مـالى أراك عـلى الكـآبـة والسَّـأمْ

يـاليـلُ لا تحـزنْ .. إذا غـاب الـرواحْ ... فـالله ملجـأنـا إذا الخطب ادلهـمْ

ولـعـلَّ فجـرَ الله يُشرق بـالفـلاحْ ... أو أن مـوعـدَهُ القيـامـةُ إن تَقُـمْ

يـومـاً سنلقى الله يُنعم بـالسمـاحْ ... يـارب يـا رحمـنُ يـاربَّ النِّـعـمْ

يـدُكَ الـرحيمـةُ إنْ تمـرُّ عـلى الجـراحْ ... تـغـدو شفـاهـاً بـالمحبـة تبتسـمْ

فـارفقْ بهـذا الكـون قَـلَّ بـه الصـلاحْ ... وتسـاقطتْ فيـه النفـوس بـلا قِيمْ

وارفقْ بهـذا الليـل .. أنْجُمُـهُ المـلاحْ ... مصلـوبـةٌ تبكـى عـلى تلـك الأممْ

يـاأيها الليـلُ الطـويـلُ عـلى البطـاحْ ... إنّـا سنلقَـى الله فى سـاحِ الكـرمْ

المرأة المسلمة
وأدوات تجميلها*

قامت عليك قيامة الأشرار ... حين ائتزرت بعفة ووقارِ
ونبذت كُلَّ تبرُّج وتأوُّدٍ ... وأبيت أن تمضى مع التيارِ
وَتَخِذْت تقوى الله خير مفازةٍ ... وغدوت فى منأى عن الأوزارِ
والدُّرة العصماء - طىَّ محارةٍ ... غيرُ التى - تُزْجَى بغير محارِ
وحُلاك نِعْمَ تَزَيُّنٍ بفضائلٍ ... فاضتْ عليكِ بهالة الأنوارِ
فالقلب بالإخلاص لله - انتشى ... دقاتهُ .. تَتْرَى .. بذكر البارى
والصدق للشفتين خيرُ تَجمُّلٍ ... هذا طلاء ثابتُ الآثار
وبهاء صوتِك فى تلاوة مصحفٍ ... بتضرع بأوائل الأسحار
والبرُّ والإحسان لليد حلية ... خير وأبقى من بريق سوار
أما القوام فالاستقامة درعه ... بتريّض ناءٍ عن الأنظار
والعين فى الإشفاق كُحْلُ لحاظها ... تأسى لمن بات فى أكدار
وعليك من ألق الهدايةِ رونق ... هذا الرواء لصفوة الأخيار

●● ●●

ماذاك صنعُ زخارف العطار ... بل تلك صبغة قادرٍ غفار

* جاءت تلك القصيدة منسوبة إلى السيدة سهام إسماعيل حجى ، وقد كتبت على ورق غير متماسك يصعب معه التحديد فنامل أن يكون الاسم صحيحا .. مجلة الأزهر .

نظرات فى ديوان

أعاصير وأنسام

شعر الأستاذ
محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم : الشاعرة جليله رضا

فى بادىء الأمر ، أستطيع أن أقول ، إن ميزة هذه المجموعة الشعرية التى بين يدىّ ، هى فى كونها مؤمنة بالكلمة الخلاقة ، والكلمة الطيبة تؤتى أكلها بإذن ربها تعالى كل حين .

ثم بعد ذلك أتقدم بالاعتذار للقارىء عن اتساع الموضوع وضيق المجال .. فهذا هو ديوان الشاعر الصوفى الوجدانى الفيلسوف صان الدين ، الذى يتمسك بتراثه الفنى ، مع البساطة والسهولة فى التعبير .

وكيف أتحدث بحرية ، عن ديوان يحمل فى طياته الأعاصير الغاضبة ، فى نفس الوقت الذى يسرى فيه الإيمان كانسام ملأى بالدفء والأمن والسلام ؟

هى إذن مجموعة شعرية متنوعة المضمون متحدة المصدر وكأنها ألوان طيف يعكسها منشور من بلور ، هى قصائد مختلفة المضمون ، تناول فيها الشاعر الكثير من الأغراض الاجتماعية ، بنظرة فاحصة ناقدة ، واستخدم فيها شعره أحسن استخدام ، فى الدفاع عن الإنسانية المعذبة .. بعيداً عن القوالب المكررة المحفوظة ، التى تجنى على الصور النفسية ، والانطلاقة العفوية التلقائية الفنية ..

بيد أن كل هذه القصائد المنوعة ، مصدرها كما قلت ، هو (الإيمان) كالنهر يروى فى طريقه مختلف السهول والأودية ..

أجل ، أروع وأغلى ما فى هذه المجموعة هى القصائد الدينية بلا شك .

نظرات فى ديوان

والحق أقول إن هذا الديوان بطبعه ونشره وتوزيعه ، سوف يؤدى دوره المنشود ، فى مرحلة تاريخية حرجة .

فإن العناية بالأجيال الجديدة الحاضرة ، تحتاج إلى تعاون ، وتدارس ، وتقويم ، ولكن كل ذلك يتعين أن يُقدَّم على شكل مائدة ، مليئة بأنواع الفاكهة والثمار ..

لقد قطع الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين شوطا طويلا فى ميدان الشعر ، فأصبحت لديه القدرة على التعبير ، كما تميز بسلامة المعنى .

وإن جانبا كبيرا من قوة هذه التجارب الشعرية ، يبدو ضرورة تربط ما بين الدين والحياة .

ولقد خرج الشاعر مرارا من دنيا المادة ، إلى دنيا الروح ، محلقا فى آفاق الإيمان ..

ومن ثم فسوف يسهم هذا الديوان « أعاصير وأنسام » فى ترديد صوت الإسلام عاليا ..

وسوف يكشف للشباب أبعاد الحياة ، ويرسم لهم منطلقا تأمن فيه خطاهم من عثرات الوهم والضلال :

إذن فمن جذور الإيمان تغذى هذا الديوان ، كما تقدَّم ، ومن رحيقه الشهى نمت أشعاره وتفتَّحت .

ومهما كان الأمر ، فإن هذا الديوان « أعاصير وأنسام » للشاعر صان الدين ، يعتبر إحدى الظواهر الأدبية التى تعكس معانى الحياة ، بما فيها من مثل وقيم .

إنه مرحلة واثبة متوثبة ، من أحاسيس ووجدان شاعر كبير ، مختفٍ وراء الأضواء منذ حين ..

مرحلة من تفكيره الإنسانى ، ومن تعبيره الفنى .. وهو طاقة عارمة ، قيمتها فى كونها تدرى أين اتجاهها ، وتقدر معنى انطلاقتها الذاتية الخالصة .. بوعى وتبصُّر ..

ولقد نجح الشاعر فى بعض قصائده نجاحا بعيدا ، فى نقل التجربة وعرضها ، فى صياغة متقنة جيدة ، استمدها من ثقافته العميقة المستوعبة لتراثنا الأدبى والدينى .. وبرغم حرص الشاعر على القافية الواحدة ، فلم تحرم قصائده من التدفق والانسياب وقد حرص أيضاً على ألا يتجه إلى التعابير الرمزية الغامضة ، التى قد لا تساعده على ابراز مضمون ، أو بلورة معنى ، فلم يستعملها إلا للتحلية ، أو لتغذية الصورة ، وتطويرها ، وتنميتها .. وليكثر من وهج المعنى الذى يريد أن ينقله إلى وجدان القارىء ، بعمق وصدق .

ولكم يسعدنى اليوم أن أقدم إلى القراء ديوان هذا الشاعر الكبير ، فقد رأيت فيه ضياء ، يستنير به القارىء فى ارتياده طريق الشعر ..

فى وقت نبذ البعض من الشعراء ، باسم التحرر حينا ، والتطور أحيانا ، كل نظام وترتيب وقاعدة ، لشعرنا العربى الأصيل .. فى عروضه وأوزانه وقوافيه ، وقطعوا بذلك

أسباب الاتصال بالقارىء ، فى وقت ظنوا فيه أنهم قد فرضوا عليه هذا المولود المشوَّه .

أجل .. يسعدنى أن أتكلَّم عن هذا الديوان ، فقد أحسست عندما انتهيتُ من قراءته ، أننى أمام شاعر يمسك بزمام الشعر ، إلى حيث يمضى به إلى غايته ، بأستاذية وتمكُّن ..

وسرنى أيضاً أن أتتبع بحور شعره ، فرأيته يميل إلى البعض ، فيكثر منها شأن كل شاعر صادق ، ويقتصر عليها .. وليس من شك فى أن ديوان « أعاصير وأنسام » يحمل من اسمه المعنى الكبير ، ففيه الثورة ، وفيه اللين ، وفيه العنف ، وفيه التسامح ..

وقبل كل ذلك فيه صدق التجربة الشعورية العميقة .. إنه شعر إنسان قوى كل القوة ، فى تفهمه للدين .. ضعيف كل الضعف ، أمام القدرة الإلهية ..

فهى إذن مرحلة نضج كامل ، وتوفر فى الموهبة ..

ولما كان شاعرنا مرهفا شديد الحساسية ، لذلك نراه نادرا ما يختلس من دنياه ابتسامة إنسان متفائل ، برغم قوة إيمانه بقضاء الله سبحانه فإذا ابتسم .. ففى قلبه دموع ، وإذا طرق موضوعا طريفا ، اختلطت عليه الجدية وسبقته إلى التأمل والتروى ، والتفكير الفلسفى العميق .

ولذلك يشيع دائماً من بين سطور قصائده ، وميض خاطف من الألم والمرارة ، حتى ليقف به ذلك الألم البادى عن استيعاب مفاتن الوجود ، وجمال الطبيعة ، فيخيل إليه أن كل شىء يحمل مثله أعباء الحياة ، وأن الطيور حزينة كفَّتْ عن الغناء ، لفساد العالم وما فيه من موبقات .. ولنستمع إليه فى قصيدة « صمت الطيور » وهو يسألها عن السبب بعد توقفها عن التغريد :

لِـمَ لا تغنـى ياطيـور
لِمَ لا تطيرى فى البكور ؟
إنى أراك قد انطويت
فـلا رفيـق ولا ظهـور
وركنت للصمت الحزين
وأنَّة القلـب الكسيـــر

ويمضى الشاعر فى تساؤله وكأنه أمام أطفال صغار يستمعون إليه :

إنى عهدتك تصدحين
بكـل ألـوان السرور
وترفرفين على الخمائل
والجـداول والجسـور
وتغازلين مـع الصباح
البكـر فتَّـان الزهـور
وتبـادلـين الشمس فى
سبحاتها كأس الحبور
حتى يـواريها المسـاء
وراء مسـدول الستور
فـإذا احتـواك العـش
نمت كنومة الطفل الغرير
مَاذا دهاك فصرت دا
مية المدامـع والشعور

وأرجوك أيها القارىء أن تعيد قراءة هذه

←

نظرات فى ديوان

الأبيات السابقة ، فهل وجدت فى بيت فيها قافية غريبة قلقة وهل عثرت فى بيت منها على جملة دخيلة عليه ..

كلا ...

إن صاحبها يحرك مشاعرك متنقلا بك من معنى إلى معنى ، فى خفة ويسر ، حتى يصل بك إلى ما تجيب به الطيور :

يـاغـافـلا عمَّـا استجـد
وذاهـلا عمّـا يـدور
الـــروض صـــوّح أيْكُـــهُ
والماء غاض من الغـدير
والجـو قـد ملكتـه
أسراب الجوارح والصقور
فلجـأت ألتمس السكينـة
والأمـان .. إلى القبـور
وقنـعت فى عيشى بظـلّ
شـاحب بيـن الصخـور
حتـى يوافينـى الحمـام
وألفـظ النفـس الأخيـر

وهكذا ـ كعادته دائماً ـ يعمِّق الشاعر مدلول قصيدته ، ويضيف إلى المعانى التى يريدها ، أشياء أخرى ذات قيمة معنوية كبيرة .

وفى مرحلة من عمر شاعرنا نراه ، كما يقول ، قد ثار على الحياة ، ثار على دنياه بما فيها من مآس وآلام ، وما تحوى من غدر ونفاق وخداع ، فيمزق فى عنف قلبه عندما يمزق أشعاره المدونة ، مقسما ألا ينظم الشعر بعد يومه ذاك ..

ولكن .. تمر الأعوام ويشعر بالفراغ ، يشعر بالضياع ، يشعر بتفاهة العيش بغير شعر ، إن الحياة ثقيلة الأعباء ، فكيف يحياها إن لم تغنِّ الروح على شعاع الرجاء .. ويتساءل كيف يعيش بلا خيال يلوِّن لياليه الطوال ، وأيامه الجرداء ؟

كيف يستاف بواسم الزهر دون أن يقتحم فى جرأة روضه اليانع ، ليرطب روحه بالأنداء ، كيف يتلقى روعة الجمال دون تعبير .

وأخيراً .. يمسك بالقلم ويبدأ من جديد رحلة الأنغام ، وينظم قصيدة « سأشدو » :

أأفصـح أم أمـوت بمـا أعـانى
وأمضـى بـين تيـار الـزمـان
وفـى قلبـى أنـاشيـد عـذاب
وفى الـوجـدان أبكـار المعـانى
وأطـمـر تحـت أنقـاض الليـالى
عـديم الـذكـر مجهـول المكـان
كـأنـى لـم أكـن يومـا سـويـا
ولـم أخطـر بهـاتيـك المـغـانى
أأسكـت يـارفـاقـى أم أغنـىّ
عـلى الدنيـا بأعـذب ما شجـانى

والقصيدة طويلة يلخص الشاعر أبياتها الرائعة فى هذا البيت الأخير ..

أنـا فى دوحـة الـدنيـا هـزار
وهـل يحيا الهـزار بـلا أغـان ؟!

أما فى قصيدة « أزف الرحيل » فالشاعر يتعجل قلمه ، ويأمره بإخراج ما بصدره من كنوز ونغم ، قبل أن يخفت ضوء السراج وترتعش خطى شمسه الغاربة ، ويفوت

الأوان ، وينتهى العمر .. فيقول :

أعنّى أيها الجسم العليل
أعنّى أيها الفكر الكليل
وكن طوع الأنامل مستجيباً
لفكرى أيها القلم الكسول
لأخرج مابقلبى من كنوز
وأنغام فقد أزف الرحيل !

ويمضى فى قصيدته ، فتجده قد وصف الحياة وكأنها ملأى بتفاهات وشعوذة ، وغيلان وغابات ، وأشباح مقطبة الجبين ، ومتاهات عقول ، ثم يهتف أخيراً :

سأرحل يابنى الدنيا وإنى
لتلك الرحلة الكبرى عجول
هناك على الحقيقة سوف أحيا
حياة لم يدنّسها جهول

★★★★

ولقد يسأل القارىء : لماذا كل هذا الحزن والشجن فى قصائد الشاعر فأجيبه ؟

لولاهما « الحزن والشجن » ماكان اليوم هناك شاعر يدعى : محمد عبد الرحمن صان الدين !! .. صاحب ديوان « أعاصير وأنسام » فمرحى بهما ..

أجل . لقد تأثر صان الدين بالظروف المحيطة به ، وبالأسباب التى تصله بالحياة ، ولا مجال لذكرها .. فقد تكلم عنها باستيفاء الزميل الشاعر أحمد مصطفى حافظ . ولذلك بدا على شعر صان الدين إحساس بالغربة والاغتراب ، إحساس بالقلق واليأس والمعاناة ، واختفت كل معالم الاستقرار ، والقدرة على الاستمتاع بالحياة ..

وفى اعتقادى أن هذه شواهد قوية ، على شاعريته الموهوبة ، العاجزة عن إخفاء الألم والتبسم فى وجه الأحداث .

وإذا أحببنا أن نعرف شيئاً عن أخلاق شاعرنا صان الدين ، يكفى أن نقرأ له هذين البيتين من قصيدة طويلة تسمى « الحارس اليقظان » :

رقيب ضمن ذاتى لا يحور
وقاض لا يميل ولا يجور
وسلطان تحكّم فى كيانى
بقسطاس يقال له : الضمير

★★★★

ومن روائع شعره قصيدة « حلم شاعر » ، يتمنى فيها الشاعر أن يعيش فى الريف بعيداً عن المدينة ، ويصف كيف ستكون حياته :

ياحبذا العيش الوديع بواحة
شجراء قد ناءت عن العمران
فى عزلة ما شاهدتها أعين
أبدا ولا خطرت بها قدمان
وتردد الأطيار فى أفنانها
لحن الصفاء فينتشى وجدانى
وأظل يومى هانئاً متنقلا
مابين ظل وارف وأغان
حتى إذا ولج النهار بغمده
وغزت جيوش الليل كل مكان
آوى إلى كوخى وئيدا وادعا
فيضمنى بترفق وحنان

←

نظرات فى ديوان

ثم ينهى الشاعر قصيدته ـ كعادته ـ بالموت ! حيث يطفىء الردى سراج الشاعر وتحيك الأشجار من أوراقها كفنا له ، ويهتف العابرون :

والكائنات هناك تهتف : ههنا
مثوى غريب من بنى الإنسان

والقصيدة فيها من الحرارة والتصوير الصادق ، وعمق المعنى ، مايجعلنا نتوقف أمامها ، لنستوعب جمالها ، وربما أحببتها بالذات .. لأنها تذكّرنى بقصيدتى : « الجنة العذراء » ، وهى بنفس المعنى تقريباً مع اختلاف الأسلوب ، حيث منها أقول :

لو جاد دهرى لاستكنت سعيدة
فى قرية مجهولة الأسماء
سأعيش بنت الشمس فى أحضانها
أقضى البقية لى مع البسطاء
كم أشتهى عند الظهيرة جلسة
فى ظل حقل واسع الأرجاء
الظهر مستند إلى صفصافة
تهب الشذا والظل للغرباء
والطير لحنى والجداول معزفى
والأرض فرشى والسماء غطائى
والجبن و« البتّاو » داخل صرةٍ
وعلى مدى كفىّ « قُلّة » ماء ..

وديوان « أعاصير وأنسام » يحتوى على أكثر من خمسين قصيدة مقسمة إلى عدة أقسام ...

« الوجدانيات » .. ومنها قصائد « أنغام الحياة » و« حكمة طائر » وغيرهما .

ثم « السبحات » .. ومنها قصائد « مراقى السمو » و« الصلوات » و« غرور الإنسان » .

و « أقباس » ومنها قصائد « الإسلام فى افغانستان » و « حديقة الذكرى العطرة » .

و« اجتماعيات » .. وتزينها قصيدة « الأزهر الشريف » ،حيث تكلم الشاعر فى حكمة بالغة عن حسناته الكثار .. وإنها للفتة طيبة من شاعرنا أن يفى الأزهر ـ الذى نشأ وتعلم فيه ـ حقه من الشكر والامتنان فيقول :

مازلت بعد الألف غضّا يافعا
مازلت روضا للمعارف يانعا
قد كنت فى كل العصور حديقة
للروح والعقل الأريب ومرتعا
يامعقل الفصحى التى بلسانها
نزل الكتاب مفصلا ومجمعا
كم حاكم دانت لسطوته الرقاب
أتى يخبُّ إلى شيوخك خاضعا
يستلهم ، الرأى المسدد منهم
ويعود منبسط السريرة وادعا
كم جاهل وافاك فى أسماله
يمشى على الأقدام غرّا جائعا
فضممته مترفّقا وغذوته
حتى غدا بالعلم .. نجما لامعا

وأما فى قصيدة « ياربّاه » فما أعذب هذه الأبيات ، وما أروع البيت الأخير :

مددت إليك يارباه كفّا
يجلّلها من القلب الخشوعُ

أتحـرقنى بنـارك يـاإلهـى
وضعفى عند بابك لى شفيع
أيعظُم يـارحيم لديـك ذنب
وعفـوك بحـره جمٌّ وسيـع
فمن بالعفو والغفران يحظى
إذا ما فاز بالخلد المطيع ؟

★★★★

وكنت أحب أن أعرض للقارىء الكريم بعض الأبيات من قصائد « أشواق مغترب » و« أيها العمر » وعذرى ضيق المجال كما سبق وقلت ..

بيد أنى لا أستطيع الكف عن السرد أمام إغراء قصيدة : « أنت منى ولكن » !

ففيها نستطيع ، أخيراً ، أن ندرك موقف الشاعر من المرأة : .. وننقب فى أعماقه ، ونزين صوره ، ونضىء جوانبه .. إنه صراخ رجل ثائر على أوضاعها ، يريد لها الكمال ، ويؤلمه عجزه ..

صراخ رجل أقسم ، منذ عرف الله ، ألا يجذبه سحرها الأنثوى ، وألا يصيب قلبه سهامُ لحظها الفتاك ! ..

ويسألها فى تهكم واستنكار ، أين هذا الضعف الذى اشتهرت به ، وهى بقوتها تروض أغلظ الرجال .. بقوله :

هل أنت ياحواء مخلوق يُعد من الضعاف ؟
أم أن أعتى الناس فى طفل أناملك اللطاف ؟!

ولكنه يخاف ظنها السوء به ، فيفسِّر موقفه مستدركا :

لا تحسبى حواء أنى عنك مشغول الجنان
هل أنت إلا قطعة منّى استقلت عن كيانى ؟
لكننى أبغيك ياحـواء عاليـة المكـان .

★★★★

لا . لا أحبك سلعة معروضة للمشترينا
أو دمية تُطلى لتحلو فى عيون الناظرينا !

★★★★

ويشرح الشاعر رغبته فى أن يراها سيدة البيت .. هكذا أراد الله ، وهذا هو دورها فى الحياة :

البيت ياحواء عشٌّ أنت فيه الروح تسرى
وحنانك الفياض بين رياضه الزهراء يجرى

★★★★

ويضرب لها مثلا بالنحلة قائلاً ، فى بلاغة وحكمة :

إنى رأيت مليكة النحل الحكيمة فى الخليَّه
قبعت جلالتها تدبّر أمر هاتيك الرعية
لا تشتكى مللا وضيقا فى الغداة أوالعشيـة
وهى التى بجناحها ..تطوىالمسافات القصيَّه

★★★★

ثم يتجه بها إلى الله حيث يتجه دائماً إليه عز وجل :

ورأيت أن الله زوّد كل جنس فى الخليقه
بخصائص فطريّة ليشق فى الدنيا طريقه
كل معدٌ فى الحياة لدوره .. وهى الحقيقة

★★★★

نظرات فى ديوان

ولقد أسهبت فى شرح هذه القصيدة لما فيها من جمال فنّى ظاهر ..

وبعد : إن : « أعاصير وأنسام » ديوان لشاعر : يصلىّ فى غير كلفة ، ويعبد الله فى غير تظاهر .. شاعر : لا يعرف التهريج والالتواء ، يكتب عن فن ودراية ، وعلم ومعرفة .

شاعر : يجمع بين براءة الطفل ، وقلب الفنان ، وعقل الفيلسوف .

شاعر : يحملنا على التغلغل فى أعماق أنفسنا ، لكى نعيش فى سماحة وحب وصفاء .

فلنقرأ إذن ديوانه فى شوق ولهفة واستيعاب .. أما هو ـ الشاعر الحالم الرقيق المتأمل ـ فلندعه كما هو .. فى قلب دنياه الغريبة .. تجتاحه حينا الأعاصير ، وتبل جراحه الأنسام .. يستلهم ، وينظم ، ويكتب ، ويعيش ـ كما يقول هو فى إحدى قصائده :

إننى أحيا غريبا
وسط أقرانى وقومى
ذاهل عنهم بحسّى
حاضر فيهم بجسمى

★★★★

ولا خوف عليه ولا حرج :
فالله معه فى كل آن ...

الشاعرة جليلة رضا

تصويب وتنبيه

فى عدد « المحرم » ١٤٠٨ :

ص ٨ سطر ١٣ « الأصيل لا يقتل بالحليف » صحته « الصريح لا يقتل بالحليف » ص ٦٣ عنوان « محمود خليل الخطيب » صحته « محمد خليل الخطيب »

وفيما يخص العلامة محمد خليل الخطيب كتب ـ إلى المجلة ـ احد ابناء بلدته كلمة مختصرة عن حياته مطولة عن مؤلفاته سننشرها فى اقرب فرصة إتماما لأعمال الشيخ رحمه الله .

العلوم الكونية

الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم



العنكبوت



مايأتى ـ فى هذا الباب ـ من تفسير لآي القرآن الكريم فهو مسئولية كاتبه ..

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

الجزء التاسع عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

تقديم :

يتضمن هذا العمق من أعماق الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز بعض ما جاء فيه خاصاً بموضوع الطب الوقائى كما نعرفه اليوم ممثلاً فى حماية الناس من الآفات والعلل التى تنتشر بينهم عن طريق :

(١) المأكل والمشرب .

(٢) القلق والانفعالات النفسية القاتلة فى حالتى السرور والحزن .

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ . . .

الحديد (٢٣) ، فليس من الدين أن يحزن المرء حزناً مفرطاً ، ولا أن يفرح فرحاً مبطراً ، ومن صور الإسراف كذلك الإسراف فى الأكل والشرب ، والإسراف فى الشهوات الحلال منها والحرام :

﴿ . . . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ـ الأعراف (٣١) .

والمعروف طبياً أن الانفعالات النفسية الحالية هى أساس أمراض القلب القاتلة مثل الذبحة ، والجلطة ، والسكتة .. كما أن الافراط فى الأكل والشرب يؤدى إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم .. وهكذا يتضح أن رسالة الإسلام إنما تشتمل ضمن ما تشتمل على الدعوة إلى ما يقى الناس شرور تلك الأمراض الخطيرة . وهذه ناحية من نواحى الطب الوقائى الذى اشتمل عليه القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ـ الأنبياء (١٠٧)

والرحمة هنا رحمة عامة شاملة .

تحريم الخمر

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة (٩٠) .

فالخمر أم الخبائث ، تجرىء شاربها على ارتكاب الجرائم والإثم والعدوان ، لأنها

لا تسكر فقط ولكن أيضاً تخدر الضمير والوجدان وتميت القلب . وينجم عن شرب الخمر حالة من الحزن والكآبة . وأضرار بالكبد مثل التليف . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ .. وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ - الأعراف (١٥٧) .

والإسلام حين قرر تحريم الخمر وعقوبة شاربها ، لم يفعل ذلك لأنها سائل يشرب ، ولكن أخذ فى الاعتبار الأثر الذى تحدثه فى شاربها وسلبه صفة التكريم التى منحها الله إياها . وهكذا تدخل سائر المخدرات تحت قائمة الخمور . وفى بعض الشعوب التى لا تدين بدين الإسلام تقتل الخمور أكثر مما يقتل السل مثلاً .

وذلك هو نفس الحال مع المخدرات التى تذهب بأموال متعاطيها إلى خزائن صانعيها !

والحق أنه لما كان المعروف والمألوف لدى الناس جميعاً أن المخدرات لها من المضار الصحية والعقلية والروحية والاقتصادية والأدبية ما يفوق بمراحل ما للخمور من آثار كان من الطبيعى أن يحرمها الإسلام . ولو لم يرد فيها نص . وقد أجمع على ذلك علماء المسلمين الذين ظهرت فى عهدهم تلك السموم وتفنن المجرمون فى صنعها .

وأعجب العجب أن الأطباء ذهبوا حديثاً إلى أن الآثار السيئة لتعاطى الخمر أو المخدرات قد تظهر أيضاً فى الأبناء والأحفاد . ويعنى ذلك بوضوح عدم اقتصار أضرارها على أجسام متعاطيها وحدهم ، وإنما يصيب الضرر أيضاً الأبرياء من ذرياتهم ! وهكذا نرى أن تحريمها إنما يكون عمقاً من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ظهر بوضوح فى عصر العلم .

أطعمة حرمها القرآن الكريم

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . الأنعام (١٤٥) ،

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ .. المائدة (٣) ..

والمراد على التوالى تحريم الميتة ، وهى التى تفارق الحياة من غير ذبح شرعى ، والدم الذى يسيل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر عليه عند ذبحه اسم غير الله تعالى ، والتى تموت خنقاً ، أو التى ضربت حتى ماتت ، أو التى سقطت من علو فماتت . وكل ما يموت بسبب نطح غيره له ، أو بسبب أكل حيوان مفترس

منه ، أما ما تدركونه حياً فتذبحونه فإنه يحل لكم بالذبح إن لم يكن من المحرمات ومن المحرمات . كذلك ما يذبح قرباناً للأصنام .

والمعروف أن الحيوان قد يموت بسبب الشيخوخة ، أو نتيجة لإصابته بمرض أو وباء ، أو بسبب تسممه من مصدر غذاء أكل منه . وعلى هذا النحو يحتوى لحمه على مواد ضارة تؤذى آكلها ، كما تتراكم فى دمه الأوبئة . وتزداد الطينة بلة بفساد لحمه وتحلله .

والدم يقوم بوظائف حيوية عديدة أهمها تخليص أنسجة الجسم من المواد السامة وتوصيل الغذاء لها . ويعتبر الدم أصلح أجزاء الجسد صلاحية لنمو الجراثيم وتكاثرها ، ولذلك فهو أسرع وأنجح وسائل العدوى بالأمراض وخاصة بين الإنسان والحيوان الذى يأكل منه . وينظر الأطباء إلى الدم على أنه أهم مخازن الجراثيم التى يزيد من خطرها عندما يستعمل الدم كغذاء صعوبة التعرف على أغلب الميكروبات والجراثيم التى فى الدم ، وأيضا أحتوائه على الفضلات السامة التى تنتشر فى أجسام الحيوانات المريضة . وهذا كله إنما يكشف لنا عن مدى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم عندما ينص على تحريم أكل الدم ، ولا عجب فى ذلك فهناك شعوب تأكله وتصنع منه بعض ألوان التغذية الشهية !! وهذا أيضا يرينا الحكمة فى وجوب ذبح الحيوان ليصفى دمه قبل طهيه وأكله .

أما لحم الخنزير فهو لحم حيوان جامع لكل معانى القبح والرجس والنجاسة يأكل الفضلات ويعيش على القاذورات والنفايات . ولذلك فهو مستودع للطفيليات التى تصيب الإنسان ، وفيروسات الكلب والحمى الصفراء وديدان الجهاز الهضمى ، المفلطحة والاسطوانية .. ومنها (الأنتديوم كولاى) ومصدرها الوحيد هو الخنزير . ومثل الوشائع المعوية والكبدية ، ومنها ما يؤدى إلى الوفاة .

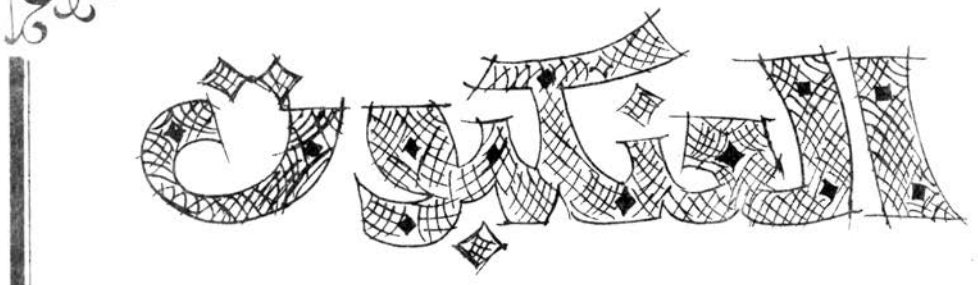
وهناك دودة لحم الخنزير الشريطية التى تعيش طورها البالغ فى أمعاء الإنسان . ومنها ما قد يصل طوله أربعة امتار أو أكثر . وللدودة رأس صغير جداً وعنق قصير تنمو منه زوائد أو (اسلات) تروح متباعدة لتنمو متكاثرة . وتحدث العدوى عن طريق التلوث ببراز المرضى والمصابين خصوصا فى الأماكن الرطبة .

مرض التريكينا

عندما يأكل الإنسان لحم الخنزير المصاب بالديدان الشعرية تخرج الديدان من حويصلاتها وتضع يرقاتها فى أى جزء من عضلات الجسم باستثناء عضلة القلب ، وتسبب اعراضا مرضية خطيرة كثيراً ما تؤدى إلى الوفاة خلال عدة أسابيع .

دهن الخنزير

يختلف دهن الخنزير اختلافاً كبيراً عن سائر الدهون والزيوت النباتية بحيث يوجد شك كبير فى صلاحيته للغذاء ، خصوصا وأنه عسر الهضم . وهو من أهم أسباب تكوين حصى المرارة ، وتصلب الشرايين ، وامراض القلب ، وجدير بالذكر هنا أن آكل لحم الخنزير لا يسلم من أكل دهن الخنزير بالتبغية . البقية صـ ٢٣٦



د/ كارم السيد غنيم

ورد ذكر العنكبوت فى القرآن مرتين فى آية واحدة هى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

(العنكبوت / ٤١)

تقول لجنة المنتخب فى تفسير هذه الآية :

« شأن المبطلين فى الضعف والوهن والاعتماد على غير معتمد كشأن العنكبوت فى اتخاذها بيتاً تحتمى فيه ، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتماء ، ولو كان المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك .

وجاء فى التعليق على هذا التفسير فى الكتاب ذاته :

بيوت العنكبوت التى تبنيها لسكناها ، وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير ، وهذا مما يجعل نسيجها أضعف بيت يتخذه أى حيوان مأوى له .

وأما الإمام ابن كثير فيقترب مما أوردناه فى السطور السابقة .

وهكذا مجمل ما ذكر فى تفسير القرطبى أيضاً ، وما ألمح إليه « الجلالين » .

ويقول صاحب التفسير الواضح فى معرض تفسيره لآية العنكبوت :

« ولعل السر فى جعل المثل حول اتخاذ العنكبوت بيتا ولم يقل نسيجاً ، أن البيت يكون للظل والوقاية من حر الشمس وزمهرير البرد ، ومنع العدوان ، إلى غير ذلك من المنافع ولكن بيت العنكبوت لا يفيد شيئاً ولا يقى خطرا ، فكذلك معبوداتهم لا تنفع شيئاً ، ولا تدفع ضرراً ، على أن نسيج العنكبوت من

←

حيث كونه بيتاً لا يفيد ، فكذلك الأصنام من حيث كونها آلهة لا تنفع ولا تضر ، حقا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » .

ويأتى بعد ذلك الصابونى ليعرض آراء بعض المفسرين ، كما أوردنا نفراً منهم سابقاً ، ثم يقول فى هذا المثل المضروب : شبه الله الكافرين فى عبادتهم للأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتاً ضعيفاً واهياً يتهاوى من هبة نسيم أو من نفخة فم ، وهذا تشبيه تمثيلى ، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد .

ويذهب البعض إلى أن المقصود بالوهن المذكور فى الآية القرآنية الكريمة ربما يكون مرجعه إلى ضعف البنية الاجتماعية فى هذه البيوت ، فإنك لا تجد هناك ترابطاً أسرياً أو حفاظاً ورعاية للأجيال حتى تشب عن طوقها كما هو الحال فى الحيوانات الراقية ثم كما هو الحال فى الإنسان ، فمن أنثى تطيح برأس زوجها ، ومن صغار تهجر موطن أهلها ، إلى غير ذلك من مظاهر التفكك وعدم الترابط .

العنكبوت فى كتب التراث :

وأما العنكبوت فى كتب التراث فلقد ورد عنه فى كتاب الجاحظ « ١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ » « الحيوان »[١] .. ومن أجناس العنكبوت جنس ردىء التدبير لأنه ينسج ستره على وجه الأرض والصخور ، ويجعله على ظهر الأرض خارجاً ، وتكون الأطراف داخلة ، فإذا وقع عليه شىء مما يغتذيه من شكل الذباب وما أشبه ذلك ، أخذه . وأما الدقيق الصنعة ، فإنه يصعد بيته ويمد الشعرة ناحية القرون والأوتاد ، ثم يُسْدِى من الوسط[٢] ، ثم يهىء اللحمة[٣] ويهىء مصيدته فى الوسط ، فإذا وقع عليها ذباب وتحرك ماهنالك ، ارتبط ونشبت به ، فيتركه على حاله ، حتى إذا وثق بوهنه وضعفه ، غله[٤] وأدخله إلى خزانته ، وإن كان جائعاً مص من رطوبته[٥] ورمى به ، فإذا فرغ رم[٦] ما تشعث من نسجه ، وأكثر ما يقع على تلك المصيدة من الصيد عند غيبوبة الشمس . وإنما تنسج الأنثى فأما الذكر فإنه ينقض ويفسد ، وولد العنكبوت أعجب من الفروج ، الذى يظهر إلى الدنيا كاسبا[٧]

(١) الجاحظ « أبو عثمان عمرو بن بحر » : الحيوان . هذبه واختصره عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجى بالقاهرة ـ دار الرفاعى بالرياض . ط ٢ ، ١٩٨٣ م .

(٢) يُسْدِى : أى يصنع السداة ، وهى الخطوط الأساسية .

(٣) اللحمة : ما يداخل به بين خيوط السداة .

(٤) غله : أوثقه وقيده .

(٥) رطوبته : المقصود سوائل الجسم الداخلية وأنسجته الضعيفة القوام .

(٦) رم : أصلح وأعاد ما تمزق من نسيج البيت أثناء عملية القنص .

(٧) كاسبا : يكسب قوته بنفسه .

محتالاً مكتفياً . وولد العنكبوت يقوم على النسيج ساعة يولد ، والذى ينسج به لا يخرج من جوفه ، بل من خارج جسده . وقال الخدانى :

كأن قَفَا هارون إذْ قام مُدْبِراً
قفا عنكبوت سُلَّ من دبرها غزْلُ

فالنحل والعنكبوت ودودة القز ، تختلف فى جهات ما يقال إنه يخرج منها .

ومن العناكب جنس يصيد الذباب صيد الفهود ، وهى الذى يسمى « الليث » ، وله ت عيون وإذا رأى الذباب لطىء بالأرض[٨] وسكن أطرافه ، وإذا وثب لم يخطىء . وهو من آفات الذبان ، ولا يصيد إلا ذبان الناس[٩] .

والعناكب ضروب ، فمنها هذا الذى يقال له الليث ، ومنها أجناس طوال الأرجل ، والواحدة منها إذا مشت على جلد الإنسان تبثر[١٠] . ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل إنما اتخذت بيتا وأعدت فيه المصايد والحبائل والخيوط التى تلتف على ما يدخل بيتها من أصناف الذبان وصغار الزنابير لأنها حين علمت أنها لابد لها من قوت وعرفت ضعف قوائمها ، وأنها تعجز عما يقوى عليه الليث ، احتالت بتلك الحيل[١١] . ومنها جنس ردىء مشنوء الصورة[١٢] غليظ الأرجل ، كثيراً ما يكون فى المكان الترب من الصناديق والقماطر والأسفاط .

وفى عجائب المخلوقات يجمع الإمام القزوينى « ٦٠٠ ـ ٦٨٢ هـ »[١٣] أصنافا أكثر فى معرض حديثه عن العنكبوت قال :

والعنكبوت أصنافه كثيرة ، لكل صنف فعل عجيب ، منها الطويلة الأرجل ، فإنها لما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصايد وحبالاً من الخيوط ، فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربين وتلقى لعابها[١٤] الذى هو خيطها ليلصق به ثم يعدو إلى الجانب الآخر ويحكم الخيط فى الطرف الآخر ، وهكذا ثانياً وثالثاً ، وهذا هو السدى ، ثم يحكم لحمته حتى يتم النسج ، وكل ذلك على تناسب هندسى حتى يصح النسج ، ثم يقعد فى زاوية مترصدا فيها فإذا وقع فيها شىء من الذباب أو البق بادر إلى أخذه .

ومنها صنف آخر قصار الأرجل يسمى « الفهد » ، فإنه يصيد الذباب على شبه صيد الفهد ، وذلك أنه يكمن فى زاوية فإذا طارت

←

(٨) لطىء التصق بها .

(٩) الذبان : يقصد الذباب المنزلى ، وهو شائع فى البيوت والمساكن والأماكن الآهلة بالسكان .

(١٠) تبثر : ظهرت به البثور .

(١١) احتالت بتلك الحيل : للعنكبوت حيل وخطط للإيقاع بفريسته .

(١٢) مشنوء الصورة : كريه بغيض .

(١٣) القزوينى « زكريا بن محمد بن محمد » : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر . ط ٥ ، ١٩٨٠ م .

(١٤) ليس هو اللعاب كما نعرفه ، وربما يكون مقصد المؤلف أنها تفرز سائلاً يخرج من جسدها من جهة الرأس ـ وهذا يجانب الصواب أيضاً .

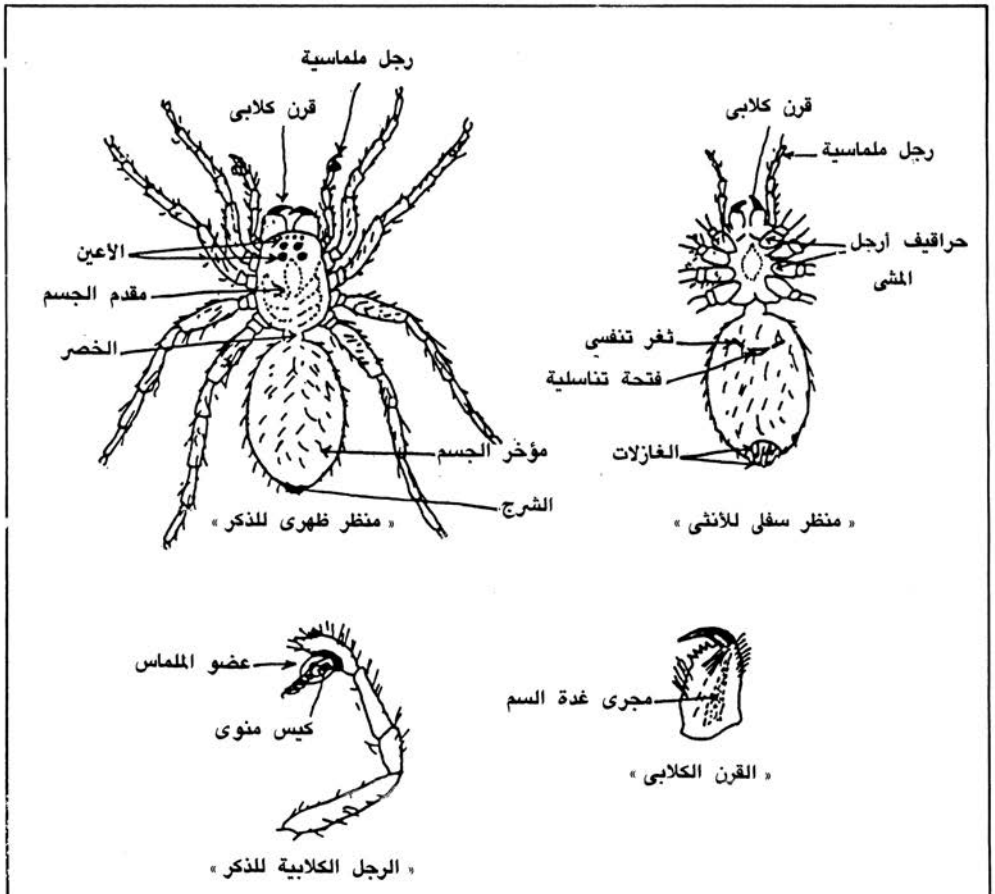
العنكبوت

ذبابة بقربه وثب إليها ، وربما مد خيطا من السقف وعلق نفسه فيه منكسا ، فإذا طار ذباب بقربه رمى بنفسه إليه وأخذه .

ومنها صنف آخر يقال له « الليث » ، وله ست عيون ، فإذا رأى الذبابة لطىء بالأرض ثم وثب ولم تخطىء وثبته ، وهو آفة الذباب .

ومنها صنف يقال له « الراتيلا » ، إذا مشى على الإنسان يموت الإنسان من لعابه ويسمى عقرب الثعبان لأنه يقتل الثعبان .

ومنها صنف دقيق الصنعة ، يهىء نسجه ويصعد بيته ، فإذا وقعت فى مصيدته ذبابة يضرب فيها فيمشى إليها ويمص رطوبتها ، والذباب يظن من الألم إلى أن يموت ، ويحملها إلى خزانته للذخيرة .



شكل (أ) : الشكل الخارجى للعنكبوت الذئب

وأما الدميرى « ٧٤٢ ـ ٨٠٨ هـ » فى كتابه « حياة الحيوان الكبرى »[١٥] ، فيلقى الضوء على جوانب أخرى فيقول : العنكبوت دويبة تنسج فى الهواء ، وجمعها عناكب ، والذكر : عنكب ، وكنيته أبو خيثمة وأبو قشعم . والأنثى : أم قشعم . ووزنه : فَعْلَلُوت . وهى قصار الأجل كبار العيون ، للواحد ثمانية أرجل وست عيون ..

ومنها نوع يضرب إلى الحمرة له زغب وله فى رأسه أربع إبر ينهش بها ، ولا ينسج بل يحفر بيته فى الأرض ويخرج فى الليل كسائر الهوام .

ومنهـا « الرتيـلاء » ، ويسمى عقرب الحيات لأنه يقتل الحيات والأفاعى . وقيل إن الرتيلات ستة أنواع ، وقيل ثمانية ، وكلها من أصناف العنكبوت . وذكر حذاق الأطباء أن أعظم هذه الأنواع شرا : المصرية .

ومنها نوع له زغب ، وأهل مصر يسمونه « أبا صوفة » .

وذكر الدميرى نقلاً عن الجاحظ من سلوك التزاوج فى العناكب أن الذكر إذا أراد الأنثى جذب بعض خيوط نسجها من الوسط فإذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله ، فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا ، فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى . وهذا النوع من العناكب حكيم ، ومن حكمته أنه يمد السدى ثم يعمل اللحمة ويبتدىء من الوسط ويهىء موضعا لما يصيده من مكان آخر كالخزانة ، فإذا وقع شىء فيما نسجه وتحرك ، عمد إليه وشبك عليه حتى يضعفه ، فإذا علم ضعفه ، حمله وذهب به إلى خزانته ، فإذا خرق الصيد من النسج شيئاً عاد إليه ورمه . والذى ينسجه لا يخرجه من جوفه بل من خارج جلده . وفمه مشقوق بالطول . وهذا النوع ينسج بيته دائماً مثلث الشكل ، وتكون سعة بيته بحيث يغيب فيه شخصه . ولم نجد ابن سينا فى الشفاء[١٦] يشير إلى العنكبوت أو نوعه المسمى « راتيلا » على الرغم من إشارة القزوينى إليه . ولقد ورد فى الكتب سالفة الذكر نتف متفرقة من أحكام قتل العنكبوت وفوائده الطبية وحكايات خاصة به وأشعار تشير إليه .



(١٥) الدميرى « كمال الدين محمد بن موسى » : حياة الحيوان الكبرى . مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر . ط ٥ ، ١٩٧٨ م .

(١٦) ابن سينا « الشيخ الرئيس » الشفاء ـ قسم الطبيعيات ـ الفن الثامن « الحيوان » تحقيق د / عبد الحليم منتصر ، سعيد زايد ، عبد الله إسماعيل ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ط ١/ ١٩٧٠ م

طرائف

« شاهد .. ومشهود »

أخرج ابن عساكر ـ رضى الله عنه ـ بسنده :

أن الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ كان يجلس فى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ، ويجتمع الناس حوله ، ويتكلم بما يشفى غليل السائلين ، ويقطع حجج القائلين .

من ذلك مارواه الواحدى فى تفسيره :

أن رَجُلا قال : دخلت مسجد المدينة ؛ فإذا أنا برجل يُحَدِّث عن رسول الله ـ ﷺ ـ والناس حوله .

فقلت له : أخبرنى عن شاهد ومشهود ؟

فقال : نعم ، أما الشاهد فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم النحر .

فجزته إلى غلام كأن وجهه الدينار وهو يُحدث عن رسول الله ـ ﷺ ـ .

فقلت له : أخبرنى عن شاهد ومشهود ؟

فقال : نعم ، أما الشاهد فمحمد ـ ﷺ ـ .

وأما المشهود فيوم القيامة ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ .

فسألت عن الأول فقالوا : ابن عباس وسألت عن الثانى فقالوا : الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ .

« لن يصلح العطار »

كان لأعرابى امرأة عجوز تقايض على العطور والألوان بالخبز وقوت بيتها الضرورى فقال فيها زوجها :

عجوز ترجو أن تكون فتية
وقد غارت العينان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر

« متى ينتظر البلاء ؟ »

إذا ساد القبيلَ فَاسِقُهُم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكْرِم الرجل اتقاء شره .

« حقـا »

يـامنقذ الإنسـان من ظلماتـه
ومنبـه الأذهـان كى تتفهمـا

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقفة

ومعلم الخير العباد ومالهم
عهد بأمى يجىء معلما
كانت شعوب الأرض جرحى كلها
من سوء ما اجترحت وكنت المرهما
تالله لا منجى لشعب من أذى
إلا إذا بحصون شرعتك احتمى

« بشرى الصابرين »

مات عبد الله بن مطرف ، فخرج أبوه مطرف على قومه فى ثياب حسنة ، وقد أدهن ، فغضبوا .

وقالوا : يموت عبد الله وتخرج فى مثل هذه مدهنا !!

قال : فأستكين لها !!

وقد وعدنى ربى ـ تبارك وتعالى ـ عليها خصالا كل خصلة منها أحب إلىّ من الدنيا كلها ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

« جودة الخط »

سئل بعض الكتاب عن الخطِّ متى يستحق أن يوصف بالجودة ؟

قال : إذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألِفُهُ ولَامُه ، واستقامت سطوره وضاهى صعوده حدوره ، وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونُونه ، وأشرف قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع إلى العيون تصوره ، وإلى العقول تثمره ، وقدرت فصوله واندمجت أصوله وتناسب دقيقه وجليله ، وخرج من نمط الوراقين وبعد عن تصنع المحدرين وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية .

« دعاء »

اللهم اقذف فى قلبى رجاءك ، واقطع رجائى عمن سواك ، حتى لا أرجو أحداً غيرك .

هل كان عند العرب فقه قبل الإسلام؟

من أوليات عناصر المدنية التماسك الاجتماعى المتمثل فى التكاتف على حفظ كيان المجتمع والتحلل من الأنانية والفردية .
والحياة القبلية للعرب قبل الإسلام لا تتوافر فيها هذه البواعث التى تبعث على الخلق والإبتكار والإبداع لأنها لكثرة حروبها وعدم طمانينتها على وجودها صارت وسيلة الدفاع عن النفس لديهم مسيطرة على تفكيرهم وافتقدوا « الفقه » بالمعنى المعروف وكانت لديهم مجموعة من التقاليد والاعراف والقوانين القبلية التى لم تكن فى مجموعها كفيلة بترابط أمة وتنظيمها على اعلى مستوى .

قال الأستاذ رحمه الله :

كل من يدرس الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام ، يستطيع أن يخرج منها ـ مهما كان متعصباً لهم ، ومتشيعاً لمجدهم ـ بحقائق ملموسة ، وقضايا مسلمة ، لا سبيل إلى إنكارها ، أو المكابرة فيها .

فقد كانوا ينقسمون إلى قسمين : بدو وحضر ، وكان البدو هم الأغلبية الغالبة منهم ، وكان الجهل فيهم فاشياً ، والأمية منهم متمكنة ، حتى ليقول ابن خلدون عنهم فى مقدمته : « وهم أبعد الناس عن العلوم ، لأن العلوم ذات ملكات محتاجة إلى التعليم ، فاندرجت فى جملة الصنائع ، والعرب أبعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها ، وعن سوقها » .

وحتى ليروى البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان » أن الإسلام جاء وليس فى قريش إلا سبعة عشر رجلاً ، كلهم يكتب ، وعدّ منهم : عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب . وعثمان بن عفان ، وأبا عبيدة ، وطلحة ،

وغيرهم ؛ وليس فى نسائهم إلا بضعة منهن ، كن يكتبن ، مثل حفصة ، وأم كلثوم[1] زوجى النبى صلى الله عليه وسلم ، والشفاء بنت عبد الله العدوية . وإذا كان هذا هو شأن قريش فى الأمية ، مع أنها أرقى القبائل فى الحجاز ، فما بالك بالقبائل الأخرى .

نعم ، قد وجد إلى جانب ابن خلدون والبلاذرى من يقول عن العرب : إنهم أتم الناس عقولاً وأحلاماً ، وأطلقهم ألسنة ، وأوفرهم أفهاماً ، وإن ذلك استتبع لهم كل فضيلة ، وأورثهم كل منقبة جليلة[2] . ومن يقول : إن العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم[3] . إلا أن الظاهر مما وصل إلينا من علومهم يدلنا على أن ما كان عندهم من هذه العلوم لا يتجاوز مبادىء أولية ، ومعلومات تجريبية ، لا أثر فيها للأصول الفنية ، ولا للطرق الاصطلاحية ، ولا للبحوث المنظمة ، ولا يصح أن تسمى علماً إلا من باب التسامح والتوسع فى العبارة ؛ فإن معظم ما كان عندهم هو معرفة الأنساب والأنواء والأخبار والنجوم والقيافة والعيافة ، ومعرفة شىء من الطب ، مبنية فى غالب أمرها ـ كما يقول ابن خلدون وغيره ـ على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه ، وليست مبنية على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج ، ولم تكن مدونة فى كتب أو مؤلفات ، وإنما هى من نوع ما يحسن أهل البادية من طريق التجربة .

وإننا لا نقصد من إيراد هذه الإلمامة الوجيزة عن الحالة العلمية عند العرب قبل الإسلام سوى أن نشير إلى أن ذلك قد استتبع بطبيعة الأمر التأثير فيما يصح أن يسمى « النظام القانونى أو التشريعى عند العرب فى الجاهلية » ؛ فلم يكن لديهم من هذا النوع شريعة محدودة ، ولا قواعد ثابتة ، ولا طرق منظمة ، ولا حكومة تنفيذية ، تحكم بمقتضى قانون مدون ، أو تسير على أنظمة معروفة ، أو تستطيع أن تنصر المظلوم ، وتردع الظالم ؛ وكل ما كان لهم من هذا القبيل ، إنما هو نوع من النظم والضوابط التى استمدوها من العرف والعادات والتقاليد

←

(١) كذا وليس من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من تحمل هذا الاسم ـ رضى الله تعالى عنهن وبالرجوع إلى أعلام الصحابيات اللواتى ذكرهن الاستيعاب لابن عبد البر جزء ٢ جوامع السير لابن حزم ، السمط الثمين فى أمهات المؤمنين للمحب الطبرى وابن الأثير فى « أسد الغابة » وجدنا سبعاً يحملن هذا الاسم ليس فيهن زوجة أو خطيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن وجدنا للسيدة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد زوجها أبى سلمة ـ ابنة تحمل هذا الاسم وكانت ربيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعل الشبهة جاءت من هنا عند البلاذرى رحمه الله ـ الخطيب .

(٢) الآلوسى فى بلوغ الأرب .

(٣) ابن رشيق فى العمدة

واقتبسوها من التجارب والديانات التى كانت منتشرة فى بلاد العرب وقتذاك .

فقد كان الذى يتولى فض منازعاتهم ، ويقوم بالفصل فى خصوماتهم ، شيخ القبيلة الذى كان يراعى فى اختياره كبر السن ، وكثرة التجارب ، والشجاعة ، وسداد الرأى ؛ أو الحكم ، وكان ينتخب فى الغالب ممن عرفوا بالشرف ، والصدق والأمانة ، وأصالة الرأى ، والنزاهة فى الحكم ؛ ولم يكونوا مقيدين فى تحاكمهم إلى شيخ القبيلة أو الحكم بالخضوع لرأيه ، والنزول عند حكمه ، بل كان فى مكنتهم أن يتمردوا على ذلك ، ولا شىء يلحقهم من ورائه إلا غضب القبيلة ، كما كانوا يرفعون منازعاتهم أحياناً إلى الكاهن ، لاعتقادهم أنه يستطيع إظهار الحق ، بوساطة تابع له من الجن يطلعه على كل شىء ، أو إلى العراف ، لاعتقادهم أنه يعرف الأمور عن طريق الفراسة والقرائن .

وقد جاء فى بعض النقول الصحيحة أنهم كانوا يعرفون بعض مناسك الحج ، ويصومون يوم عاشوراء ، ويتحنثون فى رمضان بالصوم ، ويغتسلون من الجنابة ، ويختتنون .

وورد فى بعض المصادر التاريخية ما يفيد أنه قد وجد بمكة قبيل الإسلام شىء من الرقى فى الأنظمة القضائية والحكومية ، بتوزيع عدة من الوظائف بين قبائل قريش ، وبوضع اتفاقات تضمن السلم بينهم ، وذلك كالحجابة والرفادة والسقاية واللواء والندوة والأشناق ، وحلف الفضول[٤] وأن المدينة كانت خيراً من مكة فى هذا الرقى النسبى ، لاختلاط العرب فيها باليهود وبالنصارى واقتباسهم الكثير من الأحكام .

وكانت لهم ضوابط مأثورة ، كقولهم فى القصاص : القتل أنفى للقتل ، والدية على العاقلة فى الخطأ . وكقولهم فى التقاضى : البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ؛ وكان عقاب القاتل عندهم ، إما القتل ، أو الدية ، وعقاب السارق قطع يده[٥] ، وعقاب القاذف قطع لسانه ، وكانت لهم طرق فى الإثبات ، يعتمدون فيها على القيافة والفراسة والقرعة وشهادة الشهود ؛ وكان من وسائلهم فى ذلك أيضاً القسامة ، فكان إذا وجد قتيل فى مكان ، ولم يعرف قاتله حلف خمسون رجلاً من أهل هذا المكان ـ يختارهم ولى الدم ـ بالله

(٤) الحجابة : تولى حراسة الكعبة وفتح بابها لمن يقصدها .
الرفادة : تقديم الطعام لهم فى مواسم الحج .
السقاية : تقديم الشراب لهم فى مواسم الحج .
اللواء : حق إعلان الحرب ، وحمل رايتها .
الندوة : ما يتشاورون فيها فى مهام الأمور .
الأشناق : ما عهد به إلى أبى بكر فى الجاهلية من الديات والمغارم .
حلف الفضول : ما كان من اجتماع بعض قبائل قريش ، وتحالفهم على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقه . ويؤدوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم .
(٥) لم يثبت أن ذلك عام ـ راجع المحبر لابن حبيب البغدادى ـ الخطيب .

أنهم ما قتلوه ، ولا علموا له من قاتل ، ثم يغرمون الدية .

وكانوا يعرفون نظام الصلح على المال ، ويسمونه الدية ، وكان هذا المال يختلف قلة وكثرة ، تبعاً لاختلاف القتيل ضعة ورفعة ، وتبعاً لاختلاف عادات القبائل وتقاليدها .

وكان الزواج عندهم على أنواع مختلفة ، فكان الرجل منهم يشترك مع عدد من الرجال فى امرأة واحدة ، وكان يتخذ من الزوجات ما يشاء دون قيد أو شرط ، وكان من أنكحتهم المعروفة : المقت والمتعة ، والشغار ، والاستبضاع . والأخدان . والبغايا[٦] والجمع بين الأختين ، والنكاح المعروف بأن يخطب الرجل المرأة من وليها ، ثم يصدقها ويتزوجها ، كما حدث فى خطبة السيدة خديجة رضى الله عنها لتزويجها من النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان الطلاق شائعاً عندهم ، وكانت ألفاظه مُنَوَّعة ، فكان منها لفظ « الظهار » ، ولفظ « الإيلاء » وغيرهما ، وكان أغلبهم لا يقف فى الطلاق عند حد ، فكلما طلق امرأته راجعها قبل انقضاء عدتها ، لأنه إن راجعها بعد انتهاء عدتها ، لا يتزوجها مرة أخرى إلا برضاها .

وكان نظام الإرث عندهم على ثلاثة أنواع :

إرث القرابة ، وهو لا يشمل الأولاد الصغار ، ولا النساء ، وإنما يشمل الرجال القادرين على القتال ، والدفاع عن الحوزة .

وإرث التبنى ، وذلك أن يتبنى الشخص ولد غيره ، ويكون لهذا الأجنبى أن يرث الرجل كأولاده من صلبه .

وإرث الحلف والعهد ، وهو أن يقول الرجل للآخر : « دمى دمك ، وهدَمى هدمك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى ، وأطلب بك » ، فإذا تم الاتفاق بينهما ، وتعاهدا على ذلك ، ومات أحدهما ، كان للآخر ما اشترطه .

وكان الربا مألوفاً بينهم ، فكان الأجل إذا حل فى الدين ، خَير الدائنُ المدين ، بين الأداء ، وبين تضعيف الدين ، قائلاً له : « أد ، أو أرْب » ، فإذا أدى ما عليه ، برئت ذمته ، وإن عجز عن الأداء ، أمهله سنة أخرى ، وضاعف له الدين .

←

(٦) المقت : أن يستحل أكبر أولاد المتوفى زوجة أبيه . فيتزوجها إن أعجبته ، أو يزوجها لمن يشاء بعد قبض مهرها إن كره زواجها . أو يعْضُلُها عن الزواج حتى تفتدى نفسها بمال .

المتعة : أن يتزوج المرأة لمدة معينة بكذا من البدل .

الشغار : أن يزوج الرجل بنته أو أخته أو أمته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته أو أمته ولا صداق بينهما فيكون بضع كل منهما مهراً للأخرى .

الاستبضاع : أن يقول الرجل لامرأته بعد الطهر من حيضها : أرسلى إلى فلان واستبضعى منه ، ثم يعتزلها حتى تحمل من ذلك الرجل الجديد .

الأخدان : أن يجتمع أقل من عشرة رجال ويدخلوا على المرأة الواحدة كُلٌّ يصيبها فإذا حملت دعتهم إليها واسندت الطفل إلى من تحب منهم فلا يستطيع أن يرفض إسناده إليه .

البغايا : هن اللائى كن ينصبن على أبوابهن الرايات ليعرفهن من يريد الدخول إليهن . وكن إذا وضعن حملهن نادين القافة لتلحق الطفل بأشبه الناس به فإذا أسنده القائف إلى شخص كان عليه أن يعترف به .

كذلك كانت أسباب الملكية عندهم ، لا تعدو القهر والميراث والوصية والهبة ، والتبايع المقترن بالمقامرة والغَرر .

* * *

جاء الإسلام ، فوجد هذه الأحكام على أوضاعها المختلفة ، فأقر البعض ، وعدل البعض ، ونسخ البعض الآخر ، فقد أخرج مسلم والنسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أقر القسامة على ما كانت عليه فى الجاهلية ، وقضى بها بين ناس من الأنصار فى قتيل ادعوه على يهود خيبر ، وأقر الدية فى جوهرها بعد أن هذب قواعدها ، وسوى فيها بين الغنى والفقير ، والشريف والوضيع . وعدل أحكام الجاهلية فى الحج والزواج والطلاق والمهر والخلع والإيلاء ، ووضع للإرث تشريعاً جديداً ، وأعطى الورثة أنصبة معينة ، وورّث النساء والأولاد ، وبين موانع الإرث ، وألغى نظام التبنى المعروف فى الجاهلية وحرم الربا ، وألغى البيع بإلقاء الحجر والملامسة والمنابذة ، وهكذا أدخل الإسلام على أحكام الجاهلية من التعديل والإلغاء ما كفل نظام المجتمع ، وأصلح شأن العرب .

* * *

لعلنا بعد هذا البيان الوافى ، نستطيع أن ندلى بالفكرة محررة ، وأن نبدى الرأى سديداً ، ذلك أنه لا يمكن بأية حال أن يطلق اسم « فقه » بمعناه الإسلامى على أى شىء من تلك الضوابط والأنظمة التى كان العرب يتبعونها قبل الإسلام ، فى شئونهم ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية والعامة ، لأن الفقه فى نظر الإسلام قد خص بالعلم بالأحكام الشرعية المأخوذة من أدلتها التفصيلية المعروفة ، وأنظمة العرب إنما كانت مستمدة من الأعراف والعادات والتقاليد الموجودة بين قبائلهم ، والبعيدة كل البعد عن النصوص والأدلة الإسلامية ، فلا يصح أن تسمى فقها بهذا الاعتبار .

كذلك لا يمكن أن نعتبر مجرد وجود لفظ « فقه » فى لغة العرب دليلاً على وجود فقه عندهم ، لأنهم ما كانوا يعنون به إلا المعنى القاموسى الذى هو الفهم ، أما المعنى الفنى الاصطلاحى ، فقد يكون من البداهة أنه ما كان يخطر لهم على بال .

وهناك اعتبار ثالث ، لو أننا أخذنا به لكان فى مقدورنا أن نقول بوجود فقه عند العرب قبل الإسلام ، وهذا الاعتبار هو أن نريد من الفقه مجموعة النظم والأحكام والقواعد والتشريعات التى تتفق أية جماعة من الجماعات على التزامها ، والرجوع إليها ، والتعامل بمقتضاها ، أيا كان المصدر الذى أخذت منه ، والأصل الذى بنيت عليه ، سواء أكان ذلك راجعاً إلى دين سماوى ، أو تشريع وضعى ، أو اتفاق اصطلاحى مبنى على العرف والتقاليد والعادات ، أم كان راجعاً إلى غير ذلك .

وهذا القدر كان موجوداً عند العرب فى الجاهلية ، كما هو موجود فى كل جماعة أخرى بالغة ما بلغت من الرقى أو الانحطاط .

اللغة والأدب والنقد

مع لا الناهية في القرآن الكريم



مسئولية الشعراء في الإعلام الإسلامي



مدخل إلى الأدب الإسلامي



٢

٢ ـ لا الناهيـــة : لنهى الكون عن صفة من الصفات وهو أبلغ من النهى عن تلك الصفة لأنه نوع من الإلهاب والتهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ[1] ﴾ الخطاب للرسول ﷺ وهو فى المعنى لأمته ودل لفظ (الممترين) على وجودهم ، وقيل لكل سامع ونهى للرسول عن أن يكون من الممترين والنهى عن كونه منهم أبلغ من النهى عن نفس الفعل لأن قولك لا تكن ظالماً أبلغ من قولك لا تظلم فهذا نهى عن الالتباس بالظلم وقولك لا تكن ظالماً نهى عن الكون بهذه الصفة ، ولذلك كثر النهى عن الكون والمعنى لا تظلم فى كل أكوانك أى لا يمر بك وقت تكون فيه ظالماً ، وأكد الكون بنون التوكيد مبالغة في النهى . والمعنى لا تكونن من الذين يشكون في الحق لأن ما جاء من الله تعالى لا يمكن أن يقع فيه شك ولا جدال إذ هو الحق المحض الذى لا يمكن أن يلحق فيه ريب . وقيل لا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم . ومثلها قوله تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾[2] . وقوله : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3] فالنهى فى اللفظ عن الموت وهو فى المعنى عن غير ذلك أى لا تفارقوا الإسلام حتى تموتوا عليه ، والاستثناء من جميع الأحوال ، أى لا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، وقد تضمن هذا

(١) سورة البقرة ١٤٧ والأنعام ١١٤ ويونس ٩٤ وآل عمران ٦٠ بلفظ (فلا تكونن) .
الامتراء : التوقفِ عن الشيء والشك فيه ، وأمره أسهل من أمر المكذب ، وقال الراغب الامتراء استخراج الرأى للشك العارض ، وقال : فلا تكن من الممترين ولم يكن ممتريا ليكون فيه ذم من شك فيما أنزل الله . راجع فى ذلك البحر المحيط ١ : ٤٣٦ ـ ٤٣٧ / ٢ : ٤٧٩ / ٤ : ٢٠٩/٥ : ١٩١ .

(٢) سورة هود ١٧ ، ١٠٩ والسجدة ٢٣ بلفظ (فلا تكن) وبكسر ميم (مرية) قرأ الجمهور وهو لغة أهل الحجاز ويضمها قرأ السلمى وأبو رجاء والسدوسى والحسن وهى لغة أسد وتميم . راجع البحر ٥ : ٢٦٥ ، ٧ : ٢٠٥ .

(٣) سورة البقرة ١٣٢ ، آل عمران ١٠٢ بلفظ (ولا تكونن) ، وراجع البحر ١ : ٤٠٠ والعكبرى ١ : ٦٤ ، والكشاف ١ : ٩٥ .

الكلام إيجازاً بليغاً ووعظاً وتذكيراً لأن الموت آت لا محالة فعلى الإنسان أن يداوم على الطاعة حتى لا يأتيه الموت إلا وهو عليها . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(٤) وهذا الخطاب ليس للرسول ﷺ وذلك أنه تعالى قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فهذا وَعْدٌ كلى أنه لا يقع فى الوجود إلا ما شاء الله ـ أيها السامع ـ الذى لا يعلم أن ما وقع فى الوجود بمشيئة الله فلا تكونن ـ أيها السامع ـ من الجاهلين بأن ما شاء الله ايقاعه واقع . ومثله قوله ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٥) . والحق أنه نهى عن مُوَالَاة المشركين . وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ لفظاً والمراد أمته وهو الظاهر لقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ والعصمَة تنافى مكان الشرك ومنه قوله ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾(٦) لأنه بعد أمره بالذكر أكد ذلك بالنهى عن أن يكون من الغافلين أى التزم الذكر ولا تغفل طرفة عين ومعلوم أنه ﷺ تستحيل عليه الغفلة لعصمته فالخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد أمته وقوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾(٧) فهذا نهى والنهى عن الشىء لا يدل على تلبس المنهى عنه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(٨) لايشق على نفسك مكرهم لأنه لاحق بهم لابك فالله يعصمك منهم ، وأجاز الزمخشرى أن يكون التقدير : فى أمر ضيق من مكرهم . ومثله قوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾(٩) لا معينا لهم على ماهم فيه من الكفر . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾(١٠) . أمرهم بإيفاء الكيل وهو الواجب ونهاهم عن الإخسار وهو التطفيف ، ولم يذكر الزيادة على الواجب ، لأن النفوس قد تشح بذلك فمن فعله فقد

←

(٤) سورة الأنعام ٣٥ وراجع البحر ٤ : ١١٦ .

(٥) سورة الأنعام ١٤ ويونس ١٠٥ ، والقصص ٨٧ . راجع البحر ٤ : ٨٦ .

(٦) سورة الأعراف ٢٠٥ . وراجع البحر ٤ : ٤٥٣ .

(٧) سورة الحجر ٥٥ .

(٨)سورة النحل ١٢٧ (بلفظ ولاتك) والنمل ٧٠ وقراءة الجمهور (ضَيْق) بفتح الضاد وقراءة ابن كثير (ضِيق) بكسرها ورويت عن نافع وهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين . وقال أبو عبيدة بفتح الضاد مخفف من ضَيِّق بتشديد الياء مثل لين فى لين وعليه جاز تقدير الزمخشرى . وقال أبو على الفارسى الصواب أن يكون الضيق لغة فى المصدر لأنه إن كان مخففا من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك . والصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكا فإنما تخصص بها الإنسان ، ولو قلت رأيت باردا لم يحسن وضيق لا يخصص الموصوف . البحر ٥ : ٥٥٠ ، ٧ : ٩٤ ، ٩٥ .

(٩) سورة القصص ٨٦ .

(١٠) سورة الشعراء ١٨١ وراجع البحر ٧ : ٣٨ .

مع "لا" الناهية

أحسن ومن تركه فلا حرج ومنه قوله ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيهِ واتَّقُوهُ وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَاتَكُونُوا مِن الْمُشْرِكِينَ ﴾[١١] أىْ اليهود والنصارى كما قال قتادة ، والصحيح أن « المشركين » يشمل كل من أشرك فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم .

ومثله قوله تعالى ﴿ يَابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ ﴾[١٢] أى اركب معنا فتنجو ولا تكن مع الكافرين فتهلك ، وإنما ناداه ظنا منه أنه مؤمن ولولا ذلك ما أحب نجاته أو ظنا منه أنه يؤمن إن كان كافراً لما شاهد من الأهوال العظيمة وأنه يقبل الإيمان ويكون قوله اركب معنا كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان وتأكد بقوله ولا تكن مع الكافرين أى اركب مع المؤمنين إذ لا يركب إلا مؤمن لقوله (ومن آمن) .

٣ ـ لا الناهية : قد يتوجه النهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وليس هو المقصود بالنهى لأنه معصوم عن ملابسة هذه الأفعال وإنما النهى متوجه إليه والمقصود به أمته .

وقد وردت من ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ لَايَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى البِلَادِ ﴾[١٣] فالخطاب موجه لكل فرد فى الأمة على حدة أو للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ، أو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بما لهم فأكد ماكان عليه وثبت التزامه ونظير هذا النهى فى الأمر ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ ﴾[١٤] ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بالله ورَسُولِهِ . . . ﴾الآية[١٥] ومنها فى النهى قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِى الأَمْرِ ﴾[١٦] أى اثبت ثباتاً لا يطمعون أن يجذبوك ، ومثله ﴿ وَلَايَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ الله ﴾[١٧] وهذا النهى لهم عن المنازعة من باب (لا أرينك ههنا) ومثلها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ ﴾[١٨] يعنى كفار مكة فإنهم كانوا استمعوا إليه ورغبوا أن يرجع إلى دين آبائهم ويملكونه عليهم ويجمعون له مالا عظيماً فنهاه الله تعالى عن طاعتهم حتى يظهر لهم أنه لا رغبة له فى شىء من ذلك لكن رغبته فى الدعاء إلى الله والإيمان به ، وقوله : ﴿ فَلَا

(١١) سورة الروم ٣١ (منيبين) حال .
(١٢) سورة هود ٤٢ .
(١٣) سورة آل عمران ١٩٦ .
(١٤) سورة الفاتحة ٦ .
(١٥) سورة النساء ١٣٦ .
(١٦) سورة الحج ٦٧ ينازعنك بتشديد النون وقرىء بتخفيفها وقرأ أبو مجلز فلايَنْزِعُنَّكَ بمعنى فلا يقلعنك فيحملونك من دينك إلى أديانهم واتباعهم فى أمر الذبائح التى كانت سبباً فى النزول حيث قال الكفار (عجباً لكم تأكلون ماذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ماقتل الله) راجع البحر ٦ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦ مختصر الشواذ لابن خالويه ٩٦ .
(١٧) سورة القصص ٨٧ .
(١٨) سورة الفرقان ٢ ، راجع البحر ٦ : ٥٠٦ .

تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾[١٩] ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٢٠] ﴿ فَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَايَنْفَعُكَ وَلَايَضُرُّكَ ﴾[٢١] ﴿ وَلَاتَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢٢] ﴿ فَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾[٢٣] .

٤ ـ **لا الناهية** قد يتوجه النهى بها فى اللفظ إلى شىء ، ويكون المراد منه نهى المخاطب على طريق المجاز من باب ذكر المسبب وإرادة السبب ويتدرج تحت هذا النوع عدة أساليب منها قوله وتعالى : ﴿ يَابَنِى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾[٢٤] ـ ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾[٢٥] ـ ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢٦] ـ ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾[٢٧] .

٥ ـ **لا الناهية** أتت فى بعض الآيات والقراءات محتملة أن تكون ناهية باعتبار وأن تكون نافية ، ومع كونها نافية إلا أن النفى مراد به النهى أيضاً . وجاء ذلك فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ اعبُدوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لعلَّكُم تَتَّقُونَ . الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢٨] فقوله « فلا تجعلوا » إن كان فى جواب الأمر « اعبدوا » أو فى جواب الترجى « لعلكم » فالفعل منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية و« لا » تكون نافية مراد بها النهى . وتحتمل أن تكون ناهية ويكون المعنى : هو الذى جعل لكم هذه الآيات العظيمة فلا تجعلوا له أندادا . وتجعلوا بمعنى تُصَيِّرُوا فهو متعد إلى مفعولين . وجملة « وأنتم تعلمون » حال ، ومفعول تعلمون محذوف ، والتقدير : تعلمون بطلان ذلك ، أو

(١٩) سورة الشعراء ٢١٣ والخطاب فى الحقيقة لكل سامع لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول عليه الصلاة والسلام ولذا قال المفسرون (قل يامحمد لمن كفر لا تدع مع الله إلها آخر . راجع الكشاف ٣ : ١٢٩ البحر ٧ : ٤٦ .

(٢٠) سورة القلم ٨ ، البحر ٨ : ٣٠٩ والكشاف ٤ : ١٢٧ .

(٢١) سورة يونس ١٠٦ ، راجع البحر ٥ : ١٩٦ .

(٢٢) سورة إبراهيم ٤٢ والخطاب (لاتحسبن) للسامع الذى يمكن منه حسبان مثل هذا لجهله بصفات الله وليس موجها للرسول عليه الصلاة والسلام لأنه مستحيل ذلك فى حقه .

(٢٣) سورة الإسراء ٣٩ والخطاب فى (لاتجعل) للسامع غير الرسول ، وقال الطبرى وغيره الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد جميع الخلق . راجع البحر ٦ : ٢٢ .

(٢٤) سورة الأعراف ٢٧ ـ لا يستهوينكم ويغلب عليكم وهو نهى فى اللفظ للشيطان والمعنى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم .

(٢٥) سورة الزخرف ٦٢ ـ حذرهم من إغواء الشيطان .

(٢٦) سورة النمل ١٨ .

(٢٧) سورة طه ١٦ .

(٢٨) سورة البقرة ٢١ ـ ٢٢ ـ وراجع الكشاف ١ : ٤٧ العكبرى ١ : ٢٤ والبحر ١ : ٦٩ ـ ١٠٠ والأنداد جمع ند ونديد وهو النظير والمثيل .

مع "لا" الناهية

وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ به آكد وتحتمل تأويلات كثيرة ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾[٢٩] تضار فيه عدة قراءات فقد قرىء بالرفع ﴿ تُضَارُّ ﴾[٣٠] على الإخبار فلا نافية مراد بها النهى والصيغة على هذا تحتمل وجهين :

الأول : أن يكون الفعل مبنياً للفاعل وتقديره « تضارِر » بكسر الراء الأولى والمفعول على هذا محذوف تقديره « لا تضارر والدة والدا بسبب ولدها » .

الثانى : أن يكون الفعل مبنيا للمجهول وأدغم لكون الحرفين مثلين ، ورفع لأن لفظة الخبر ومعناه النهى . وهذه القراءة مناسبة لما قبلها فلا نافية .

وقرىء « تُضَارَّ »[٣١] بفتح الراء على النهى فهو مجزوم ، وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين لخفة الفتح لتجانس الألف والفتحة قبلها ، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون الفعل مبنيا للفاعل أو المفعول بناء على ما ورد فى قراءة الرفع .

وقرىء « تُضَارِّ »[٣٢] بكسر الراء فتكون لا ناهية وهو أيضاً محتمل للبناءين ويوضح ذلك أنه قرىء « لا تُضَارِرْ ـ لا تُضَارَرْ » بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها .

وقرأ أبو جعفر (تُضَارْ) بالسكون مع التشديد على نية الوقف .

وقرىء (تُضَارْ)[٣٣] شذوذاً والوجه فيه أن يكون حذف الراء الثانية فراراً من التشديد فى الحرف المكرر ، وجاز الجمع بين الساكنين ـ إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف أو لأن مادة الألف تجرى مجرى الحركة ثم نوى الوقف وهو من ضاره يضيره .

ومنه قوله تعالى ﴿ لَايَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣٤] نهوا عن أن يولوا الكافرين لِقَرابة بينهم أو صداقة تربطهم قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب . وقد تكرر هذا فى القرآن الكريم ويكفى قوله تعالى ﴿ لَاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورسولَهُ . . ﴾ الآية فالمحبة فى الله والبغض فى الله أصل عظيم من أصول الدين .

ومنه ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَانَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ﴾[٣٥]

(٢٩) سورة البقرة ٢٣٣ ـ وراجع فى ذلك الكشاف ١ : ١٤١ العكبرى ١ : ٩٧ البحر ٢ : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٣٠) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب وأبان من عاصم .

(٣١) وهذه قراءة باقى السبعة .

(٣٢) وهى قراءة الحسن .

(٣٣) رويت عن الأعرج .

(٣٤) سورة آل عمران ٢٨ (يَتَّخِذْ) قرأ الجمهور بجزم يتخذ فلا ناهية . وقرأ الضبى برفع يتخذ فلا نافية مراد بها النهى ، راجع البحر ٢ : ٤٢٢ العكبرى ١ : ١٣٠ الكشاف ١ : ١٨٣ .

(٣٥) سورة المائدة ١٠٦ وراجع (لا) لنهى المتكلم ص٢ من هذا البحث والبحر ٤ : ٤٤ .

﴿ وَاتَّقُوا فِتنة لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾(٣٦)

﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ الله وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾(٣٧) وهذا نهى بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأَنَفَة وحَمية . ومنه قوله ﴿ واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾(٣٨) ﴿ قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾(٣٩) ـ ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ﴾(٤٠) ـ ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ﴾(٤١) .

وفى هذه الآية عدة بحوث نفردها بالتحليل :

الْوَلِيُّ من هو ؟ : يرى أبو حنيفة وأصحابه اندراج من يرث من الرجال والنساء والصبيان فى الولى على قَدْرِ مواريثهم لأن الولى عندهم هو الوارث هنا .

←

(٣٦) الأنفال ٢٥ .

(٣٧) سورة التوبة ١٢٠ ـ (ولا يرغبوا) لا ناهية ويرغبوا مجزوم بها ، وقيل نافية ويرغبوا معطوف على (أن يتخلفوا) قال الكرمانى) : وهذا نفى معناه النهى . البحر ٥ : ١١٢ .

(٣٨) سورة يونس ٨٨ .

(٣٩) سورة الأنعام ١٥١ .

(٤٠) سورة يوسف ٦٠ .

(فلا يُسْرِفُ) برفع الفعل وهى قراءة ابى مسلم العجلى مولى صاحب الدولة وهو خبر ومعناه النهى وقد يأتى الأمر والنهى بلفظ الخبر ، نقلها ابن عطية وقال فى القراءة نظر (فلا تسرفوا فى القتل) وهى قراءة أُبىّ والضمير فى (أنه كان منصورا) فيه ستة أوجه :

احدهما : أنه عائد على الولى لتناسق الضمائر ونصره إياه بأن أوجب له القصاص فلا يستزاد على ذلك أو نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق .

الثانى : قيل يعود على المقتول نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله فى الدنيا ونصره بالثواب فى الآخرة وهو أرجح لأنه المظلوم ولفظة النصر تقارن الظلم .

الثالث : الضمير يعود على القتل .

الرابع : الضمير يعود على الدم .

الخامس : يعود على الحق .

السادس : قال أبو عبيدة : يعود على القاتل لأنه إذا قتل فى الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر . وهذا ضعيف بعيد القصد . راجع البحر ٦ : ٣٣ ـ ٣٤ العكبرى ٢ : ٩١ .

(٤١) سورة الإسراء ٣٣ ـ ومظلوما حال من الضمير المستتر فى (قتل) وقوله (فلا يُسْرِفْ) قرأ الجمهور بالياء وبالجزم فلا ناهية (فلا تُسْرِفْ) بتاء الخطاب وجزم الفعل وهى نَهى أيضاً وقرأ بها الأخوان وزيد ابن على وحذيفة وابن وثاب والأعمش ومجاهد بخلاف وجماعة ، وفى نسخة لتفسير ابن عطية ـ وابن عامر . والظاهر أنه على خطاب الولى فالضمير فى (تسرف) له أو المقتص أو المبتدىء بالقتل أى لا تسرف بتعاطى القتل . وقيل التقدير يقال له لا تسرف وقال الطبرى : الخطاب للرسول ﷺ والأئمة بعده أى (فلا تقتلوا غير القاتل)

مع "لا" الناهية

وقال مالك : ليس للنساء شيء من القصاص وإنما القصاص للرجال .

وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم : ليس للنساء شيء من العفو والدم وللسلطان التسلط على القاتل فى الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه . قاله الزمخشرى .

السلطان ما هو ؟ : قال ابن عباس والضحاك : السلطان الحجة والملك الذى جعل إليه من التخيير فى قبول الدم أو العفو نقله ابن عطية . وقال قتادة السلطان : القود ، وفى « كتاب التحرير » السلطان : القوة والولاية .

وقال ابن عباس : البينة فى طلب القَوَد . وقال الحسن : القَوَد ، وقال مجاهد الحجة . وقال ابن زيد : الولى أى وَالٍ ينصبه فى حقه .

والظاهر عود الضمير فى (فلا يسرف فى القتل) على الولىّ ، وقال أبو عبد الله الرازى السلطنة مجملة يفسرها ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى . . . ﴾ الآية ، ويدل عليه أنه مخير بين القصاص والدية ، وقوله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح : من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلها وأن أحبوا أخذوا الدية[٤٢] فمعنى (فلا يسرف فى القتل) لا يقوم على استيفاء القتل ويكتفى بأخذ الدية أو يميل إلى العفو .

الإسراف :

الاسراف المنهى عنه أن يقتل غير القاتل ، قاله ابن عباس والحسن . أو أن يَقْتل اثنين بواحد إلا إذا اجتمع الاثنان على قتله ، قاله ابن جبير . أو أن يقتل أشرفَ من الذى قُتِل . قال ابن زيد : أو يُمَثِّل بالمقتول قاله قتادة . أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان ذكره الزجاج ومعنى (فى) السببية فهى بمعنى الباء أى فلا يصير مسرفا بسبب إقدامه على القتل ، ويكون معناه الترغيب فى العفو كما قال تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ والظاهر أن النهى ـ والله أعلم ـ عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد أو ما يفعله أَخَذَةُ الثأر اليوم من قتل غير القاتل ومكافأة الذى يقتل على قتله والله أعلم . ا . هـ



(٤٢) الحديث وارد فى الصحيح ...

مسئولية الشعراء في الإعلام الإسلامي

للأستاذ/ عاطف شحاته زهران

يعنى الإعلام الإسلامى بتزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقوال الأئمة الفقهاء والمحدثين بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة « قائم بالاتصال » لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته ..

ومن هذا المنطلق يمكن للشعراء أن يؤدوا دورا جيداً فى تعميق العقيدة وغرس الأخلاق الكريمة التى دعا إليها الإسلام .

وقبل اكتشاف الوسائل الإعلامية الحديثة حَظَا الشعر بمنزلة عالية بين وسائل الإعلام الأخرى وحتى بعد اختراع أجهزة البث الصوتى والمرئى وتقدم الطباعة لم يتنح الشعر عن منزلته كثيرا إذ تفرد هذه القنوات مساحات للشعراء ليعبروا إلى جمهور أوسع من خلالها فالشاعر كما يقول الرافعى : « يبدع أمة كاملة .. إن لم يخلقها فإنما يخلق أفكارها الجميلة وحكمتها الخالدة وآدابها العالية وسياستها الموفقة »[1]

وحين ذم الله الشعراء استثنى من بينهم طائفة هم :

﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾[2]

فمادام هناك شعراء فسق ينشرون الضلال ويشيعون الباطل ، فلابد من ألسنة حق تدفع باطلهم وتدحض أضاليلهم وتشيع فى الناس روح الايمان والسكينة والحق ، وتذكر الناس بما هم عنه لاهون وتشحذ عزائمهم لمواجهة الخطوب . فالقرآن حارب الأغراض القبيحة التى خاض فيها الشعراء ولم يحارب الشعر جملة وَقَبله من ذوى الإيمان والعمل الصالح ،

(١) مصطفى صادق الرافعى ، وحى القلم جـ ٣ ص ٢٥٣ .
(٢) الشعراء ٢٢٧ .

ممن غلب عليهم ذكر الله ، ثم وظفوا أشعارهم لنصرة الظالمين والدفاع عن الحنيفية السمحاء ، ونأوا بأنفسهم عن الخوض فى الباطل الذين يقول فيهم الزمخشرى :

« إذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه ، والحكمة والموعظة الحسنة ، ومدح الرسول - ﷺ - والصحابة وصلحاء الأمة ومالا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب ولا يلتبسون بمنقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم »(٣)

تأثير الشعر فى النفوس

لقد سمع الرسول - ﷺ - الشعر من بعض قائليه واستجاد بعضه واستزاد منه ، وكان فى أصحابه شعراء كحسان وكعب بن مالك وغيرهما - رضى الله عنهما .

وكان الإمام أحمد يحفظ شيئاً منه . وسمعه أصحابه ينشده وقال له أحدهم : ياأبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شىء تقول فيها ؟ فقال : مثل أى شىء ؟

قال : يقولون :(٤)

إذا ما قال لى ربى
أما استحييت تعصينى !
وتخفى الذنب من خلقى
وبالعصيان تأتينى ؟!

فقال : أعد على فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب ، فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا ما قال لى ربى
أما استحييت تعصينى

وهذا رجل آخر تأثر ببيت من الشعر فَرَوَّعَهُ وَأَقَضَّ مضجعه وغير مسار حياته ، وانتقل - بفضل الله وهدايته - من الضلالة إلى الهدى .

« قال محمد بن مسروق البغدادى : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به
الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه خلق
وأبقى له فى الجوف أمعاء

فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة »(٥)

ونظم كثير من الأئمة والفقهاء الشعر وتأثروا به وأثروا فى تلامذتهم وهذه مقولات الشافعى - رضى الله عنه - تتردد على كثير من الألسنة لما لها من وقع على النفوس .

ويرجع تأثر الناس بالشعر لما فطروا عليه من حب للجمال .

« والشعر جمال كله ، وبإمكانه أن يزيد الحق والصواب نضرة وزهاء ورونقا ووضوحا أو أن يخفي ما يشين صفحة الباطل والخطأ

(٣) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٤٤١ .
(٤) ابن الجوزى تلبيس إبليس ص ٢١٨ .
(٥) إحياء علوم الدين للغزالى جـ ٢ ص ٢٠٩ .

والوهم من خروق ونتوء واعوجاج فينطلى عيبه بالتزويق »[٦]

الشعراء ومسئوليتهم

يصل صوت الشاعر إلى المتلقين من خلال الأغراض العديدة التى يصب فيها أفكاره بما فيها من حلو ومر وسمين وغث ولقد ترددت ـ أحيانا ـ أشعار كلها غواية وأهواء وتزيين باطل وشهوات ، وذلك يحتم على الشعراء الإسلاميين أن ينهضوا برسالتهم ليصلوا ما بينهم وبين آبائهم فى عصور الإسلام الزاهرة .

« وما يزال الدور الرئيسى للشعر فى الإعلام الإسلامى يدعو الشعراء إلى صب مضامين الثقافة الإسلامية فى قصائدهم ومسرحياتهم وكافة أعمالهم الشعرية ، وتلك مسئوليتهم المعاصرة والمتصلة[٧] » فقد نظر الشعراء المسلمون إلى أنفسهم كأصحاب رسالة إعلامية تهدف إلى تعميق الثقافة والقيم الإسلامية بين المسلمين والتأثير عليهم على نحو ما تفعله أجهزة الإعلام فى عصرنا الحاضر .

ومازلنا نتناقل ما قالوه ونستشهد به فى المواقف المختلفة .

والشاعر المسلم يعيش فى كيان متكامل ـ هو المجتمع الإسلامى كله ـ لا ينفصل عنه ، يعايش أفراحه وأتراحه ، وعليه أن يكون الصوت المترجم عنه والناصح بما ينبغى أن يكون ، غير ساكت ولا متخلف عن أداء دوره المرتقب والمأمول وهو لا ينسى ولا ينبغى أن ينسى ذلك وهو كما ينطق بالحكمة والموعظة والنصيحة خالصة لله فى عباده ـ يتحدث بآمال الأمة وآلامها .

« فالأدب الإسلامى ـ والشعر من أهم فنونه ـ يجب أن يستوعب الحياة بكل ما فيها ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها وفق التصور الإسلامى الصحيح لهذه الحياة ، ولا يزيف حقيقة أو يخلق وهما فاسدا أو يحابى ضلالا أو يزين نفاقا

نبض الأمة

إن الظروف التى تمر بها الأمة تفرض على الشعراء أن يقولوا كلمتهم ، ويحملوا أسلحتهم ..

الكلمة المؤثرة المدوية يطلقونها تصبح أغنيات ينشدها المجاهد فى ساحات الوغى ، والعامل أمام آلاته ، والمعلم فى تلامذته والواعظ فى مسجده والفلاح فى حقله فتقوى عزائمهم وتلهب مشاعرهم وتدفعهم لعمل ما فيه خير الأمة وتقدمها .

وفى هذه الظروف علت أصوات أثيمة تدعو الأمة إلى كل غريب عنها فكان الشعراء الإسلاميون من أقوى الناس إحساسا بالمأساة ، وأعلاهم صوتا لتصوير واقع الأمة أملا فى التغلب على التحديات التى تواجهها ، شغلتهم قضايا الأمة فصوروا مشاعرهم نحوها وقدموا لنا الصورة منظومة بحس مرهف وقلوب تقطر دما ولم لا ؟ وهم نبض الأمة .

←

(٦) د . محمود عمارة . الخطابة فى موكب الدعوة ص ٧٩ .

(٧) د . محمد سيد محمد . المسئولية الإعلامية فى الإسلام ص ١٤٧ .

ونختار هنا مثالين يدلان على ما يمكن أن يقوم به الشاعر المسلم من دور فى خدمة الأمة وابراز قضاياها .

المقال الأول عن المجاعات فى أفريقيا ، والثانى عن مأساة المجاهدين الأفغان .

الجفاف فى أفريقيا

شغلتنا الأنباء العالمية والمحلية بالمجاعات والتصحر فى أفريقيا وتجاوب الشعراء فصوروا عمق المأساة .

من هؤلاء الشاعر (محمد بن بدى) الذى أطلق قصيدته (الجفاف فى أفريقيا) فى صورة صادقة فقال :

فى قعر فيفاء لا ماء ولا شجر
ولا غذاء ولا إبل ولا غنم
أنى نظرت فأكوام .. مبعثرة
كأن عادا هنا أو هاهنا إرم
شلو بقايا وعيدان مكسرة
تنعى النبات وموج الرمل يلتطم

المأساة الأفغانية

اهتز المسلمون جميعا للمأساة الأفغانية ولم يكن بوسع الشعراء المسلمين السكوت عنها فأطلقوا قرائحهم حاثين على الاباء والإقبال بالنفس والنفيس لحماية عزة الأوطان فسجلوا صور المعاناة التى يعيشها الأفغان مجاهدين ولاجئين ، ونقلوا بقصائدهم الناس جميعا إلى هناك حيث الجوع والتشريد والإبادة الوحشية .

وهذه « رسالة من طفل أفغانى » يعبر فيها عن خواطره وتساؤلاته المرة الموجهة لأبيه ولكل مسلم ، وينظمها الشاعر (عبد الرحمن العشماوى) وتبدأ تلك التساؤلات الحرى :[١٠]

نُسْبَى ونُطْرَدُ يا أبى ونُبَادُ
فالى متى يتطاول الأوغاد ؟
وإلى متى تُدْمِى الجراحُ قلوبَنا
وإلى متى تتقرح الأكباد ؟
نصحو على عزف الرصاص كأننا
زرع وغارات العدو حصاد
ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه
جلدا فما يغشى العيونَ رقاد

ومازال الشعراء يقولون ويترجمون عن مشاعرهم تجاه آمال الأمة وآلامها فلن يستطيع الشاعر أن يعزل نفسه عما حوله .. إنه يطلق صيحاته أملا فى أن تجد صدى لدى سامعيها وصدق إقبال إذ يقول :[١١]

إذا الشعر فى الكون شب الحياة
وولد فى الناس بعثا وقوة
تسامى وأدى رسالاته
وكان امتدادا لارث النبوة

رعى الله الأمة وهدى ولاتها لما فيه خيرها .. آمين .

(٩) مجلة الأمة عدد ذى القعدة ١٤٠٦ هـ ص ٥٩ .
(١٠) المجلة العربية . رمضان ١٤٠٧ هـ ص ٥٦ .
(١١) عن حديث للشاعر عمر بهاء الأميرى لمجلة منار الإسلام عدد جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ ص ١٠٥

لا تكون إلا بقتل فى طاعة ، فوجب حمل أمرهم على مابيناه .

ومما يدل على ذلك ماصح من أخبار على بأن قاتل الزبير فى النار ، وقوله « سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين بالقتال ، لأنه لو كان كذلك لم يقل النبى ﷺ فى طلحة: شهيد ، ولم يخبر أن قاتل الزبير فى النار ، وكذلك من قعد غير مخطىء فى التأويل ، بل صواب أراهم الله بالاجتهاد(٣) ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم .

وسئل بعضهم عن الدماء التى أريقت فيما بينهم فقال : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » وسئل آخر عنها أيضاً فقال : تلك دماء قد طهر الله منها يدى فلا أخضب بها لسانى ـ يريد التحرز من الوقوع فى خطأ ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه ـ ثم قال القرطبى : وقد سئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا ـ قال المحاسبى : فنحن نقول كما قال الحسن ، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ، ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ، إذا كانوا غير متهمين فى الدين ، ونسأل الله التوفيق ، انتهى ماقاله القرطبى عن ذويه بتصرف يسير .

(١٠) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

إنما المؤمنون إخوة فى الدين ، والأخوة فيه أقوى من الأخوة فى النسب ، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب ، وفى حديث أخرجه الصحيحان يقول النبى ﷺ « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا » ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » صدق رسول الله ﷺ وقد أمرالله فى الآية بالإصلاح بين الأخوين المسلمين إذا تخاصما ، سواء كان فردين أو فريقين ، فالإصلاح بينهما واجب ليسود السلام مجتمع المسلمين .

وقد دلت هذه الآية والتى قبلها على أن البغى لا يزيل اسم الإيمان ، لأن الله قد سماهم إخوة مؤمنين ، مع كونهم باغين أو متقاتلين .

وقد سئل الإمام على رضى الله عنه عمن قاتلوه : أمشركون هم ؟ قال لا ـ من الشرك فَرُّوا ، فقيل له أمنافقون هم ؟ قال لا ، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، فقيل له فما حالُهم ؟ قال إخواننا بغوا علينا

وقد ختم الله الآية بالحث على وجوب تقواه ابتغاء رحمته فقال :

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ والله تعالى أعلم .

(٣) يريد أن من قعد عن القتال فلم يكن مع على ولا معاوية ، فهو غير مخطىء لأنه عن اجتهاد .

مدخل إلى الأدب الإسلامي

للدكتور : نجيب الكيلانى

يعتبر هذا الكتاب من سلسلة كتاب الأمة رقم ١٤ مساهمة طيبة فى تحقيق الوعى الحضارى والثقافى ، ودعوة للمسلم ليتبوأ المكانة التى خصه الله بها ، ودعوة لأن تكون الحركة الأدبية الإسلامية حركة جادة في مواجهة وسائل الإعلام التى لا تنتظر أن يسعى إليها الإنسان فأسرعت تسعى إليه وتطارده حتى النوم ، ودعوة للتخلص من روح العفوية وتحكم الرؤية الفردية حتى لا تستغرقنا القضايا المحلية وتحول دون مشاركتنا فى الأفكار والآداب العالمية ؛ فرسالة الإسلام أساساً رسالة عالمية .

ولقد عرض المؤلف عدة نقاطٍ هامة يجب أن يضعها الكاتب الإسلامى نصب عينيه عند شروعه في كتابة الأدب الإسلامى .

أولا : مفهوم الأدب الاسلامى

يوضح المؤلف أن البناء النفسى للشعوب الإسلامية ، وطبيعة تكوينها ومثلها الدينية هى السياج الواقى الذى يحفظها من شر الأفكار الفاسدة التى تعتبر أن (الإبداع هو الغموض) .

فالأدب الإسلامى أدب الوضوح الذى لا يجنح إلى الإبهام المضلل أو اليأس المدمر ، فالوضوح هو شاطىء الأمان الذى يأوى إليه الحائرون والتائهون فى بيداء الحياة المحرقة .

فالأدب الإسلامى فى مفهومه الشامل هو التعبير الفنى الجميل المؤثر النابع من نفس مؤمنة وفق الأسس العقائدية للمسلم ، وهو أدب باعث على المتعة والمنفعة ، محرك للوجدان والفكر محفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط طيب مفيد .

ثانيا : الأدب الاسلامى مصطلح لكل العصور

إن القيم الإسلامية الكبرى تفرض

عرض وتلخيص الأستاذ
عادل رفاعي خفاجة

سلطانها على كل العصور لأنها مرتبطة بمنهج الإسلام .

فالإسلام أعطى هذه الكائنات من روحه ، ودمه والأدب الإسلامي أحد هذه الكائنات ، لذا فعلاقته بالإسلام علاقة عضوية وثيقة لا يمكن فصمها إلا فى عصور الجهل والمحن السياسية والاستعمارية . وذلك يرجع إلى أن الإسلام ليس فلسفة تجريدية ، ولا منهجاً فضولياً يُسمح له بالولوج إلى جهة ويُمنع من الدخول إلى جهة أخرى ، بل هو صيغة متكاملة تغطى جوانب الحياة كلها ، كما أن الإسلام ليس مجرد نظرية تقف فى استعلاء على ربوة منعزلة وتنتظر من يتوسل إليها بالقرابين ، لكنه واقع معاش ، فيه عظمة العصمة الإلهية والاستجابة الصحيحة لواقع الحياة الإنسانية ، وهو منهج إعلامنا فى مواجهة الإعلام الصليبي والشيوعي والماركسي والوجودي المدمر ، وهو سلاح العصر ، وهو أولاً وأخيراً الحامل (لمضمون) العقيدة التى نحيا لها وبها ونستشهد فى سبيلها .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ . .

« سورة إبراهيم ٢٤، ٢٥ »

فالأدب الإسلامى إذن إفراز طبيعي لمجتمع مسلم والذين يعارضون هذا التصور يهدرون الأصول والوقائع التاريخية ويجعلون الفنون منقطعة الصلة بتربتها وبيئتها وينابيعها الفكرية والدينية .

لذا وجب على الأدباء الإسلاميين أن ينطلقوا نحو غايتهم لتأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية الأصيلة ، لأن التجربة هى ساحة الامتحان الحقيقي ، والنجاح الحق يفرض وجوده ويفسح للأديب الإسلامى مكاناً لائقاً فى دنيا الكلمة ويجعله شريكاً ـ بل رائداً ـ فى بناء الإنسان والمجتمع الجديد . والأدب الإسلامى وثيق الصلة بمجالات التشريع والسياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام وقيام هذا الأدب بمهامه يعتبر أمراً حيوياً لتجنب العثرات ، واستمرار المسيرة والتمهيد لغد أفضل ، وبدون الأدب الإسلامى نكون قد أهملنا سلاحاً فعالاً من أهم أسلحة المعركة .

ثالثا : البطل فى الأدب الاسلامى

البطل فى الآداب الأوروبية بل وفى آداب الشرق التى تقلد وتعيش عالة على التراث العلمى والتكنولوجى والفكرى للغرب ، بطل يائس يتغنى بيأسه ، بطل متمرد رافض ، بطل منطو منعزل ، بطل هارب إلى الحانات ،

بطل غارق حتى أذنيه في الوهم بطل بلا قضية .

أما البطل - إسلامياً - فهو القدوة أو النموذج أو المثال الحى ، الذى تتجسد فيه القيم الإسلامية ، هذه ناحية هامة ، لكنها لا تغلق الباب أمام « نماذج » الضعف البشرى ؛ أو البطولة الناقصة التى تحتاج إلى تجربة ومعاناة وهى فى طريقها إلى النمو والاكتمال وهذا دور هام لابد أن يحتفى به الأدب الإسلامى ، والبطل في الأدب الإسلامى ليس حكراً على طبقة اجتماعية دون أخرى فالإسلام مجتمع متجانس ، أساس التفاضل فيه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

والتقوى ليست صلاة وصوماً وعبادة فحسب ولكنها جهاد في سبيل الله وكفاح من أجل لقمة العيش ودأب على تحصيل العلم ، وبراعة في الصناعة ، وصدق في القول والعمل ... الخ .

إنها ملتقى لكل القيم والمبادىء والآداب التى جاء بها الإسلام الحنيف ، شخصية البطل إذن قد تكون « بلال بن رباح » أو « أبا بكر الصديق » أو « سلمان الفارسى » أو « حمزة بن عبد المطلب » وقد تكون سمية زوجة ياسر أو غيرها من النساء ، إن البطل تجسيد لفكرة يرى الكاتب إبرازها ، لتؤدى دوراً تمتزج فيه المنفعة بالمتعة لدى المتلقى فيتفاعل معها ويتأثر بها زمن ثم تتولد لدى ذلك المتلقى قناعات بعينها ، قد تدفعه إلى إتخاذ موقف ، وهذا التأثير قد ينمو ويتسع أكثر مما فى شخصية البطل ، وهذا راجع إلى عاملين أساسيين هما : -

١ - قدرة الكاتب على الوفاء بمقتضيات الفن والفكر بحيث لايحد من رؤية المتلقى .

٢ - إندماج المتلقى مع العمل الادبى وتقبله برضا صادق .

ولا شك أن اكتمال هذه الدائرة يحقق الهدف الأسمى للأدب ، والأمر لا يقف عند تصوير الشخصية كما هى (بأسلوب فوتو غرافى) إنه يضيف إلى تلك الشخصية لمسات وظلالا وسمات جديدة . وهكذا نرى أن شخصية البطل كائن حى جديد تكاملت لديه المواصفات والأسباب التى تجعله قادراً على أداء دوره . أما الآداب الغربية فقد استطاعت أن تضفى على الشخصيات المنطوية العليلة المتمردة بطولة وبريقاً ، فأفسدت فكر وأذواق الأجيال لأنها أفسدت معنى البطولة ، ودور الأدب الإسلامى أن يضع الأمور فى حجمها الصحيح وأن ينفى الزيف عن شخصيات البطولة بحيث تصبح عامل بناء لا هدم ، وهذا يعنى العودة بالأدب الإنسانى إلى رسالته الصحيحة .

رابعا : الأدب الاسلامى والالتزام

الالتزام بمعناه الإسلامى الواسع هو « الطاعة » والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية وفرح فى قلب المؤمن وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة وكل ما يتعلق بها .

الالتزام إذن عمل ، يبدأ بالنية الصادقة والعزم الذى لا يتزعزع ، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة

والمؤمن الحقيقي صاحب موقف ، وفي هذا الموقف لا يكون الإنسان وحيداً لكنه يستند فى موقفه إلى رحمة الله وعونه وهدايته .

فالطاعة هى المخرج من صحراء الخوف والآلام والتمزق والضلال ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً .. كتاب الله وسنتى » .. صدق رسول الله ..

والالتزام ليس نقيض الحرية بمعناها الأصيل ، فحرية المسلم في هذا الإطار حق القوى والضعيف والحاكم والمحكوم والغنى والفقير والمالك والأجير ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِى آتَاكُمْ ﴾ (النور : ٣٣) .

إن إهدار منهج الله ، إهدار للحرية والأدب الإسلامى وسيلة لحمل هذه المعانى والقيم ، والتبشير بها بين البشر ، يترنم بها فى قصيدة جميلة أو يرويها في قصة أو يمزجها فى مسرحية ، والالتزام بذلك جزء من طبيعة هذا الدين وطريقة من طرائقه في التواصل بين الإسلام وبين بنى البشر جميعاً .

و« الالتزام » الذى قدمه الله لبنى البشر تكريماً لهم وحماية لكرامتهم غير « الإلزام » الذي يساق إليه الناس سوقاً بالسياط ، ذلك لأن « الالتزام » - بمعناه الواسع - هو الطاعة ، والإلزام هو الجحيم الذى صنعته حماقة الإنسان على الأرض .

خامسا : الأدب الاسلامى وعلم الجمال

الفن الصحيح هو الذى يهىء اللقاء الكامل بين الجمال والحق ، فالجمال حقيقة في هذا الكون ، والحق هو ذروة الجمال ، ومن هنا يلتقيان في القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود ..

والجمال محرك للفكر كى يجول إلى ما هو أبعد من المظاهر الحسية التى كتب عليها الزوال ؛ فالجمال سبب من أسباب الإيمان وعنصر من عناصره .

إن هناك من يرى أن الدين يبحث عن الحقيقة وأن الفن يبحث عن الجمال ، أليس في الحقيقة التى يقصدها الدين أجمل الجمال ، بل الجمال كله ، ثم ألا يبحث الفن أيضاً فى إبراز الحقيقة ، وإذا كان الأدب أساساً هو التعبير الجميل فإن الفكرة هى عماد العمل الأدبى ولها هى الأخرى جمالها لأن العمل الأدبى كل لا يتجزأ والجمال ينسحب على الشكل والمضمون معاً ، وفى الصدق الفنى جمال ، يقول حسان بن ثابت :

وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته صدقاً

والإسلام الذى أمر المؤمنين أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وعلمهم أن الله جميل يحب الجمال ، لم يتنكر يوماً للجمال الذى هو من صنع الله وإبداعه .

سادسا : الأدب الاسلامى والمجتمع

يتوهم البعض أن الأدب الإسلامى يتقوقع فى أحضان الماضى وهناك فئة حسنة النية من الكتاب الإسلاميين حسبوا أن الأدب الإسلامى لا يكون بهذه الصفة إلا إذا ترددت كلمة « إسلامى ، إسلام » صراحة فى ثناياه ، إن الأدب من خلال التصور الإسلامى يرتبط أشد الارتباط بالمجتمع ، بالإنسان ومشاكله وعلاقاته المتطورة وبطبيعة الحياة التى تخضع دائماً للكثير من المستحدثات وبخاصة فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

لقد وضع الإسلام المرأة فى الإطار الصحيح الذي تسعد به وينعكس على المجتمع بالخير والفلاح ، كما أوضح لها حقوقها المختلفة فى الزواج والطلاق والميراث والتعليم وغير ذلك من الأمور ، فما موقف الأدب الإسلامى حيال هذه القضية ؟

الأدب الإسلامى يستطيع أن يتناول المرأة من شتى جوانب حياتها ، بشرط ألا ينزع بالقارىء أو المتلقى منازع الفتنة والإثارة والإغراء بارتكاب الموبقات ، والواقع أن هذا الكلام يبدو مقبولاً فى إجماله ، لكن الصعوبة تأتى عند التطبيق ، ومن ثم فهى تتراوح فى إمكانية النجاح من كاتب لآخر .

تبقى علاقة الأديب المسلم بمجتمعه :

الحد الفاصل بين الأدب الراقى والأدب التجارى غاية في الدقة ، فالأديب العظيم يستطيع أن يؤثر في مجتمعه وأن يكتسب رضاه دون أن يخضع لإرادة المجتمع . والمسئولية المقدسة فى عنق الأديب المسلم تجعله يهدف أول ما يهدف إلى تحقيق السعادة والتوازن النفسى لدى الأفراد والنظر إلى سوءات الحياة الاجتماعية نظرة الطبيب لمريضه ، حيث تقتضى هذه العلاقة الحب والفهم والولوج إلى القلوب لتحقيق الثقة والأمل ومن ثم يتولد الموقف الإيجابي الذي يتحول إلى ممارسة وتغيير للأفضل .

سابعا : الابداع والتربية

نظرت المدارس الفكرية إلى (المبدع) والإبداع من زوايا مختلفة ولا نستطيع أن نخطىء هذه المدرسة أو تلك بصورة كاملة كما لا نستطيع أن نؤيد إحداها تأييداً مطلقاً ، لأن العوامل المؤثرة فى الشخصية ـ ومنها شخصية المبدع بالذات ـ شاملة ومتنوعة ، فهناك العوامل الوراثية التى لا يمكن أن نتجاهلها علمياً ، وهناك العوامل المكتسبة من ثقافة وقيم دينية واجتماعية ، وكون القدرات الإبداعية قابلة للتطور لا ينفى المؤثرات الوراثية أو المكتسبة .

والأديب المسلم يعايش عقيدة وفكراً وسلوكاً من نوع خاص ، وهى تؤثر في مكوناته النفسية والعقلية وفي مقدراته الإبداعية . إن صور الحياة الهائجة المائجة المضطربة

تنعكس على فكر المؤمن ونفسه فتحرك عواطفه ووجدانه وتثير فكره ، فيبدع صوراً أدبية جميلة تتسم بالحيوية والصدق ويعصمه استقراره العقائدى من الزيف والانحراف . وعطاء المؤمن الحق حينما يبدع ، ما هو إلا ثمر طيب لشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ومن ثم فإن الأدب الإسلامى وفق هذا التصور يمكن أن ينحو بالتربية المنحى السليم المؤثر ، إن الأدب الإسلامى لا يستسلم لوهم الغرور حينما يعتقد أن الإبداع الفنى أو الأدبى هو الوسيلة المثلى للتربية ، فالتربية الصحيحة تترعرع في ظل القدوة الحسنة أولاً ، وتنمو في إطار الأسرة المسلمة والمدرسة والمسجد ، وما الفن والأدب إلا وسيلة من الوسائل المكملة أو المدعمة لعملية التربية السليمة متى استقام له الطريق وسار فى ركب الدعوة الإلهية التى تنشد السعادة والخير للجميع ، ولا قيمة لإبداع يثير التمزق والتشتت فى الشخصية أو يورثها مزيداً من العلل والاسقام .. فسبحان الله مبدع الكائنات ..

ثامنا : الأدب الاسلامى وعلم النفس

لقد كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرة بالتجارب الغنية بالشروح والتوجيهات النفسية العميقة ، واستطاع علماء المسلمين في العصور اللاحقة أن يستخدموا تراث الإسلام وتجارب الأقدمين فى إثراء الدراسة والبحث حول النفس الإنسانية وإن لم يقوموا ببناء هياكل معرفية للنفس على نمط علم النفس الحديث .

ويجب أن نشير إلى أن المفهوم الإسلامى للنفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم ونصوص الأحاديث النبوية وأعمال الرسول ﷺ تفى بالغرض فى تحقيق تكامل صحيح للتصور الإسلامى ، ولو واصل العلماء المسلمون سيرتهم لبلغوا درجة عظمى من الفهم فى هذا المجال ولتجنبوا الكثير من التخبطات والمزالق التى وقع فيها « فرويد » وغيره من العلماء المحدثين .

تاسعا : الأخطار التى تهدد الأدب الاسلامى

يمكننا أن نوجز أن أهم الأخطار التى تهدد الأدب الإسلامى هى تلك المذاهب وتلك النظريات التى تفتقد إلى روح الإسلام بل وتسير فى تيار مضاد له وما تحويه من مصطلحات مطاطة لا تورث إلا ضياع اليقين ولا تنتج إلا أدب اليأس والانتحار الذى لا ينطق إلا بخيبة الأمل وإنعدام المعنى في الحياة . وضياع المثل العليا وتضييع الفارق بين الوهم والحقيقة .

عاشرا : مصطلحات جديدة للأدب الاسلامى

لذا وجب علينا أن نبحث عن مصطلحات جديدة لها ارتباط وثيق بتراثنا ، وبالتجارب الأدبية والتاريخية التى مرت بنا وبالعقيدة التى نؤمن بها ، بدلاً من العيش فى ظل المصطلحات الأجنبية المستوردة التى كان لها

←

أعمق الأثر فى انحراف مسيرتنا الأدبية الإسلامية .

ولن تتضح ملامح الأدب الإسلامى أو تستكمل إلا بالاهتمام بهذا الجانب الحيوي . جانب المصطلحات الخاصة بأدبنا الإسلامى .

وبعـــــد : ــ

فلقد طرح الكتاب تصوراً للأدب الإسلامى وسط زوابع لاتجاهات مختلفة لآداب تنطلق عن مصادر مختلفة ندر منها الكريم الهادف .

ولست أقول إن الكاتب قد وضع الأساس لكل شىء فى ميدان الأدب الإسلامى لكنه أنار الطريق ورفع منار الإشارة إليه والإشادة به ، وإنه إزاء ما حقق من جهد ينبغى عليه المزيد لا سيما وكثير من الدارسين المسلمين أنفسهم يستريبون في نجاح هذا المنهج . لكن المؤلف وأمثاله يمكنهم التأصيل والتوضيح أكثر فأكثر حتى لا يبقى فى نفس مستريب شىء .

والله نسأل أن يلهمنا رشدنا . إنه نعم المسئول

عادل رفاعى خفاجة

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم - بقية

عسل النحل

عسل النحل غذاء كامل يفيد الجسم ويعطيه الحيوية . وهو إلى جانب ذلك مسكن ، يشفى الإمساك ، ومطهر للجروح وللحروق ، ويحول دون فساد الدم ، ويشفى تضخم الكبد والطحال ، وحالات الصرع والكآبة ، كما يمكن استخدامه بنجاح فى علاج امراض البرد والزكام خصوصا عندما يضاف إليه عصير الليمون . ويشفى السعال ويطرد البلغم . ويفيد فى تسمم الحمل ، وعلاج بعض الأورام الخبيثة ، ويحول دون تسوس الأسنان .

لهذا كله فإن من ألوان الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز أن نقرأ فيه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنَ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . ﴾ النحل (٦٨) و(٦٩) .

أى إن فى عسل النحل الشفاء من كثير من العلل والأمراض مما كشف عنه العلم فى هذا العصر .

ويتركب عسل النحل من قدر كبير من الجلوكوز والليفولون ، وهو أسهل أنواع السكر هضما . ويعطى الجلوكوز عن طريق الفم أو بالحقن للمرضى ، وفى حالات العمليات الجراحية ، ومرض الصفراء . وفى عسل النحل نسب عالية من الڤيتامينات .

وللحديث بقية

أنباء وآراء

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ : صفوت عبد الجواد

رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل

نشرت الصحف الأردنية مؤخراً تقريراً رسمياً عن احتفاظ الملك حسين عاهل الأردن بأصل الرسالة التى وجهها سيدنا محمد ﷺ إلى هرقل عظيم الروم والتى دعا فيها إلى الإسلام وإلى عبادة الله الواحد الأحد مثلما فعل مع بقية الحكام الذين كانوا موجودين فى عهد النبوة .

الملك الحسن يدعو إلى التمسك بتعاليم الإسلام

دعا الملك الحسن الثانى عاهل المغرب أبناء الشعب المغربى إلى التمسك بتعاليم الإسلام والسنة . جاء ذلك بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لثورة الملك والشعب فى سنة ١٩٥٣ .

جائزة الحسن الثانى لحفظ القرآن

تقرر تخصيص جائزة لحفظ القرآن الكريم باسم « جائزة الحسن الثانى لحفظ القرآن الكريم » .. تمنح الجائزة للفائز فى المسابقة التى ستقام تحت رعاية الملك الحسن الثانى عاهل المغرب ويشارك فيها متسابقون من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

إعداد النشء المسلم

ناقش المؤتمر الإسلامى الحادى والعشرون الذى عقد مؤخراً بالجزائر وشارك فيه عدد كبير من علماء المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامى ـ عدداً من القضايا منها : كيفية إعداد النشء المسلم والأجيال القادمة من الشباب لبناء المجتمعات والحياة الروحية فى الإسلام .. ومفهوم القرآن والسنة ومجالات الحياة الروحية عبر التاريخ . ومعنى التصوف وتطوره ومفهوم الفكر والتربية الروحية عند علماء التصوف ، ودور الصوفية فى المجتمعات الإسلامية ، واتجاهات الصوفية فى المغرب والحضارة الحديثة .

قبول الحاصلين على دبلوم المعلمين الأزهرى بكلية التربية

● تقرر قبول الطلاب الحاصلين على دبلوم المعلمين الأزهرى بكلية تربية الأزهر عن طريق تنسيق الأزهر بشرط حصول الطالب

←

على ٧٠٪ على الأقل من مجموع الدرجات ويشترط تفرغ الطالب للدراسة أو حصوله على اجازة دراسية إذا كان موظفاً وأن يجتاز بنجاح الاختبار الشخصى الذى تجريه الكلية للتأكد من صلاحية الطالب لمهنة التدريس بعد التخرج وتعهد الطالب بالعمل بالتدريس فى المعاهد الأزهرية أو مدارس وزارة التربية والتعليم لمدة خمس سنوات .

صرح بهذا حامد حبيب مدير شئون الطلاب وأضاف إنه بالنسبة للطلاب الحاصلين على شهادة التخصص فى القراءات فسوف يقبلون بكلية الدراسات الإسلامية والعربية .

الحفناوى يحاضر عن الايدز فى بون

● ألقى الدكتور / محمد حسن الحفناوى أستاذ الأمراض التناسلية والجلدية بطب عين شمس محاضرة عن مرض الإيدز فى بون بألمانيا الغربية أمام أعضاء مؤتمر قضايا الطب المعاصر الذى يعقد سنوياً لتبادل الرأى فى إحدى المشاكل الطبية وطرق علاجها ويحضره وفود من مختلف دول العالم .

مؤتمر إسلامى بألمانيا

أوصى المؤتمر السنوى التاسع الذى عقده المسلمون بألمانيا الغربية بأن تقوم الحكومات الإسلامية بتزويد الشباب المسلم بالخارج بالمكتبات الإسلامية والدعاة بخاصة من الأزهر الشريف وكان المؤتمر قد انعقد فى مركز « ميونيخ » بألمانيا بعنوان « الصحوة الإسلامية ، وسائل ترشيدها ودور الشباب » وتناول الحرب العراقية الإيرانية والأزمة اللبنانية والغزو السوفيتى لأفغانستان والقضية الفلسطينية .

مركز للإعلام عن الإسلام

بدأ مواطنان سويديان من المهتمين بشئون الإسلام فى تأسيس مركز للإعلام عن الإسلام يهدف إلى نشر المعلومات العامة الصحيحة عن الدين الإسلامى والشعوب الإسلامية تقاليدَ وثقافةً وحضارة . وذلك بعد أن لاحظا أن وسائل الإعلام الأوربية والسويدية على وجه الخصوص تعالج الموضوعات المتعلقة بشئون الإسلام بشكل غير موضوعى ويحتوى على كثير من المغالطات بشكل متعمد ، أو لنقص المعلومات الصحيحة . ويقف خلف هذه المبادرة أحد المتخصصين فى شئون الإسلام وهو الدكتور « جان سامو يلسون » الذى حصل على « الدكتوراه » فى شئون الدين الإسلامى ، والثانية هى السيدة « أوسا براتلوتد » التى تعمل فى دائرة الهجرة فى السويد حيث تتصل خلال عملها بالعديد من الجاليات الإسلامية ويقول الدكتور « سامو يلسون » إن هدف المركز هو نشر المعلومات عن الإسلام عن طريق الندوات والمحاضرات والبحوث الموجهة إلى كافة المواطنين فى السويد وبخاصة فى الشركات والمؤسسات والمدارس . وناشد الدكتور سامو يلسون الدول الإسلامية تزويد المركز الناشىء بالنشرات والصور والأفلام .

مجلة الأزهر :

يصل حسن النية بكثير من المسلمين إلى تصديق هذه الأنباء، ويستبشرون بها خيراً حيث لا خير وراءها، وما قامت هذه المؤسسات يوما لخدمة الإسلام ، ولا لتقديم المعلومات الصحيحة عنه ، وعادة ما يكون خلفها عديد من المؤسسات المُوجِّهة التى تتصل بفئات معروفة فى البلاد العربية تعتضد بها وتثير بها الشبه والنزعات الإقليمية والأمانى الخبيثة ، فهى مؤسسات متهمة حتى تثبت براءتها ، وليس العكس ، ولئن صدقت حماسة هذين للإسلام فما يمنعهما أن يسلما» الخطيب .

جائزة عالمية لمصرى فى الكيمياء

● **منحت أكاديمية العالم الثالث للعلوم بإيطاليا الدكتور / سعد محمد حسن الأستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس جائزة أحسن عالم كيمياء على مستوى دول العالم الثالث تبلغ قيمة الجائزة عشرة آلاف دولار و« ميدالية » . والأكاديمية تقدم أربع جوائز كل عام لأحسن عالم فى مجال الطبيعة والرياضيات والبيولوجى والكيمياء .**

مركز إسلامى بسويسرا

أعلنت رابطة العالم الإسلامى مؤخراً عن افتتاح مركز إسلامى فى مدينة لوزان » بسويسرا يضم قاعة كبيرة لأداء الصلاة ، ومدرسة لتعليم الأطفال المسلمين اللغة العربية ، وتعاليم الدين الإسلامى وإقامة الصلاة .

ومن المقرر أن يسعى المسلمون فى « لوزان » إلى توفير ميزانية المركز من خلال التبرعات التى سيقدمها المسلمون هناك .

ليتنا سكتنا .. ليتنا لم نُكَذِّبْ

تقرير « هيئة مدققى الحسابات بالجماعة الأوربية » أذاعت لندن فى نشرتى الخامسة والسادسة مساء « ١٠ » المحرم سنة ١٤٠٨ قالت :

تعرضت اللجنة الأوربية للمساعدات الغذائية من أجل « تخفيف المجاعة وسوء التغذية » بالدول النامية لانتقادات فى تقرير أعدته « هيئة تدقيق الحسابات بالجماعة الأوربية » وجاء فى التقرير الذى نقلت عنه صحيفة « التايمز » الصادرة فى لندن اليوم ١٩٨٧/٩/٣ أن مجموعة من الكوارث قد عملت على عرقلة البرنامج وجاء فى التقرير أن أغذية ملوثة وعاطبة أرسلت إلى دول كما وقعت حالات احتيال وتأخير لفترات طويلة .

وقد تأخرت إمدادات طارئة من الفلال إلى « مورشيوس » عقب وقوع أعاصير هناك لأكثر من عام واكتشف أن شحنة من زيوت الطعام المرسلة إلى تونس كانت تحتوى على آثار لمواد « البروكسايد » و« الفائط » . ومن بين اثنتين وعشرين دولة زارتها هيئة مدققى الحسابات تلقت أربع عشرة دولة شحنات من نوعيات سيئة .

مرتجيرها كتب

الدكتور : أحمد عمر هاشم

صيانة المسلم لشخصيته من الشبهات

إن واجب المسلم أن يصون شخصيته من الشبهات وأن يصون حياته عن مظان السوء ، لئلا يتسرب الشك إلى سمعته ، وليس لأحد أن ينظر إلى سلوكه بمنظاره الذاتى الأبيض فيرى أنه فوق الشكوك والشبهات ، فها هو ذا رسول الله - ﷺ - وهو النبى المعصوم - حين جاءت زوجه صفية بنت حيى تزوره حين اعتكافه ثم قامت فقام معها يودعها فمر بهما رجلان من الأنصار ورأياه واقفا معها ، فقال : على رسلكما إنها صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يارسول الله : وهل نظن بك إلا خيراً .

فقال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وقد خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً ..» .

وليس البعد عن الشبهات مقصوراً على أمر الرجل مع المرأة فحسب وإنما يشمل الأمور الأخرى التى تكون فيها ريبة . كما جاء فى الحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

الدكتور / عبد الحليم عويس

« التليفزيون » والتحديات الحضارية المستقبلية

لقد تقدم هذا الجهاز الخطير على كل وسائل الإعلام ، ولم تعد الصحافة بإزائه (صاحبة الجلالة) كما كان يقال عنها ، وعن طريق الأقمار الصناعية استطاع « التليفزيون » أن يكون عالمياً ، وفي القريب العاجل سوف يتيسر البث المباشر من المحطات الأرضية دون الاستعانة بالأقمار الصناعية بحيث تعبر الذبذبات (الكهرومغناطيسية) المحيطات والقفار متسللة إلى بيوتنا من حيث لا نحتسب ، ولربما تحقق البث من مكان مجهول الهوية كشكل من أشكال الإذاعات السرية . وفى ضوء هذا الخطر العالمى لابد أن نتحرك كأمة للدفاع عن قيمنا وعقيدتنا إذا ما أردنا أن نبقى أمة متميزة في هذا العالم الذي أصبح كقرية صغيرة لا يسودها الهدوء بقدر ما تتطاحن فيها الأفكار والتصورات . ومما يزيد الأمر خطورة وجود كثير من البلاد العربية قرب أماكن ذات ثقافات وحضارات مضادة محاربة . ولنا أن نتوقع أن يستفيد أعداء الإسلام من هذه المواقع بإرسال موجات موجهة أو على الأقل تقوية محطات الإرسال .

عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الدكتور فاروق عبد السلام

النصر فى الإسلام

النصر فى الإسلام من الله أولاً وأخيراً ، ونصر المسلم بالذات رهن بطاعته لله سبحانه وتعالى وهزيمته رهن بمعصيته لله سبحانه وتعالى ، وهذه من الأساسيات والبدهيات في دين الله ، ومع ذلك يجادل فيها البعض ويحوطها نفر من الناس بالتدليس ، فأصحاب التيار العلمانى يقولون بأن الهزيمة والنصر لا علاقة لهما بطاعة الله أو عصيانه سبحانه وتعالى وأن أهم عوامل النصر فى اعتقادهم هى إنجازات العلم والعلوم العسكرية الحديثة ، والحقيقة أن الله يحاسب المسلم ويربيه بعدله الإلهى فلا ينصره إذا عصاه وخرج على شرعه ، ولا بد للمهزوم من منتصر عليه ، ولأن المنتصر على المسلم فى هذه الحالة غير مسلم ومتفوق اليوم علمياً ، يقولون : إن العامل الوحيد للنصر هو التفوق العلمى وليس الطاعة ، ولا يقولون : إن سبب هزيمة المسلم عدم الطاعة حتى ولو كان هو المتفوق علمياً . فانظر كيف يكون التلبيس وسوء التخريج .

الدكتور / عبد الناصر توفيق العطار

أهمية الصناعة فى الإسلام

صلاح المسلمين اليوم فى صحوتين : صحوة فكرية إسلامية ، لا تقف عند التمسك بالمظاهر والشكليات ، وإنما تدرس دينها بعمق وبرفق ، وتدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتواجه معارضيها بالحجة والبرهان .

وصحوة صناعية تأخذ بكل ما اكتشف من سنن الله فى الكون وبما وصل إليه العلم من مخترعات ، لتستغل مواردها أفضل استغلال ، وتعد ما استطاعت من قوة تحفظ به كيانها وترهب به عدو الله وعدوها .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن للصناعة أهميتها الكبرى للحفاظ على الدين والدولة فقال سبحانه : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

« الآية ٢٥ من سورة الحديد »

فالله عز وجل أيد رسله بالمعجزات ، وأنزل معهم ما يقوم به الدين والدولة ، فأنزل الكتاب تبيانا للدين ، ومكن أتباعهم من الحكم فى الأرض لتقوم دولة العدل ، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، فعلى هذا الحديد تقوم الصناعات الحربية لحماية الدين والدولة ، وتقوم الصناعات السلمية لعمارة الأرض . فمن جاهد من المؤمنين لإقامة الدين والدولة على هذا النحو ، فهو من المجاهدين الذين ينصرون الله ورسله بالغيب ، أى ينصرون دينه ولا يكذبون رسالات رسله ، والله عز وجل قوى فى أخذه ، وهو سبحانه عزيز أى منيع لا يغلبه أحد .

فهـــرس العـــدد

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « صدق الله ورسوله وصدقنا » للدكتور / على احمد الخطيب	١٢٩
● حبس المدين فى الفقه الإسلامى للشيخ جاد الحق على جاد الحق	١٣٤
● يد الله مع الجماعة للشيخ مصطفى الحديدى الطير	١٤٣
● الرسالات السماوية بين التطور والتجديد د . محمد شامة	١٤٧
● الحسد المحمود د . محمود محمد رسلان	١٥٣
● ازمة الاستشراق الهولندى بقلم : إيهاب محمد مهدى	١٥٦
● حفظ الله السودان د . عبد الودود شلبى	١٦٠
● بيع المرابحة فى ضوء التطبيق المصرفى الحديث بقلم : محمد عبد الفتاح سليمان	١٦٥
● التربية العسكرية فى الإسلام للواء ا . ح / محمد جمال الدين محفوظ	١٦٩
● الإبراهيمية فى دعوة جديدة للشيخ زكريا احمد نور	١٧٥
● من اعلام الأزهر « على يوسف » شيخ الصحافة المصرية د . محمد رجب البيومى	١٨٠
باب الشعر والشعراء اشراف د . حسن جاد	
● القـــــارىء للشاعر محيى الدين عطية	١٨٨
● شجرة جرداء بين اشجار خضراء للاستاذ محمد عبد الخالق ندا	١٨٩
● ياليـــل لا تحـــزن للشاعر د . احمد عامر	١٩٠
● المراة المسلمة وادوات تجميلها	١٩٢

الموضوع	الصفحة
● نظرات فى ديوان اعاصير وانسام بقلم : الشاعر جليلة رضا	١٩٣
باب العلوم الكونية	
● الاعجاز العلمى فى القران الكريم د . محمد جمال الدين الفندى	٢٠٢
● العنكبـــوت د . كارم السيد غنيم	٢٠٥
● طـــرائف ومـــواقف ا . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢١٠
● مجلة الازهر من خمسين عاما « هل كان عند العرب فقه قبل الاسلام » ؟ للاستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٢١٢
باب اللغة والادب والنقد	
● مع لا الناهية فى القران الكريم د . عبد العزيز صالح رضوان	٢١٨
● مسئولية الشعراء فى الإعلام الإسلامى للاستاذ / عاطف شحاتة زهران	٢٢٥
● مدخل إلى الادب الإسلامى تلخيص الاستاذ عادل رفاعى خفاجى	٢٣١
● انبـــاء واراء د . احمد عبد الرحيم السايح الاستاذ صفوت عبد الجواد	٢٣٧
● مـــن خيـــر ما كتـــب إعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام	٢٤٠
القسم الانجليزى	
● المقالـــة الثانيـــة د . سعد مصطفى مصطفى	٢٤٨
● المقالـــة الأولـــى د . انس مصطفى النجار	٢٥٤

Witness. This is a focal concept of matrimony in Islamic understanding which is neglected and overlooked by many Muslims; and completely unrealized nor understood by non-Muslims. The call is addressed to all mankind to be dutiful to Allah, practice devout submission and belief. The Holy Quran states.

> "O mankind ! reverence your Guardian Lord who created you from a single soul, created of like nature his mate, and from them twain scattered like seeds countless men and women. Reverence Allah through Whom ye demand your mutual rights and reverence the wombs that bore you. Verily, Allah ever watches over you"
> (Surat Al-Nisaa, IV, 1)

The Islamic provisions of marriage apply equally to both female and male partners; while the responsibility of financial support is a duty of the male partner. Certain requirements are encouraged to ensure permanence of marriage. Such requirements are suitable age, suitable social and economic status, free consent with no familial or socital pressures, honourable intentions, unselfish guardianship, judicious discretion and general compatibility. Both partners in matrimony must have the real intentions to maitain a strong binding relationship, which should be free from the causal and temporary responsibilities. Islamic jurisdiction forbids all marriages of transient or temporary nature, such as trial marriages, or term marriages. The most vital aspect of matrimony in Islamic thought is the concept of the Divine Witness, this is directly related to the seriousness of intention from the very start, and the triumph of faith induced performance on the part of the both wife and husband throughout their life.

The stability of marriage is achieved by the realistic honest understanding of our purpose in life, we must shun chauvinism and adhere to unselfishness. We must be honest, realistic, spiritually clean, and responsible. We must develop and educate ourseleves how to understand, maintain and perform an orderly justified controled purified sexuality. We must commit ourseleves to religious criteria with exactness of true honest intentions. Life is too precious to waste, it is the pace-maker of human salvation. Let us not fall into the dark abyss of dehumanization of our supreme species.

ordinances of Allah. It is the most wholesome completely integrated, highly confined human intimacy and relationship which is authorized and supervised by Allah. Marriage is a sign of Allah's blessing and bountiful mercy as is clearly stated in the Holy Quran.

> "And among His signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquility with them. And He has put love and mercy between your hearts. Verily in that are signs for those who reflect".
> (Surat Al-Rum, XXX, 21)

The verses in the Holy Quran dealing with the legislative side of marriage are not dry theoretical stipulations that fail implementation; they are the most justified applicable codes for a refined optimized system that is designed to meet the wholesome requirements of itimate human relationship in marriage. It is an institution of reciprocal responsibilities and also rights, with total personal individual freedom of personality, liberation of body and soul, and fulfillment of purpose. It is a unique human relationship between woman and man that nourishes and propagates the energy of life of mankind in the highest order of moral exhortation and virtueous energizing practice for the continuity of the human race.

When Muslim negotiate a marriage contract, they should have every intention to make it the root of unity and family structure, and permanent solid relationship of harmony between both partners and between each partner and Allah. This will entail mutual compromises, expectations of rights, commitment to obligations and devoteness. These are decreed by the doctrines of the religion which through the spirit of faith, piety, honour and sanctimony, become highly respected dedications . It is the strong bond of the highest order, the challenge to life, to human functions, to the society, and to the dignified survival of the human race. It is a union of a highly optimized responsible devotion. All these values and purposes of marriage with all their trajectories take up special meaning and assume greater dimensions of objective when they relate and become associated with the understanding that Allah supervenes as Divine

→

the life and death of mankind. Faith is the balm of the mind, the panacea of the heart, the nourisher of the soul, and the sole arbitrator of human conduct and behaviour. The whole spectrum of life, of death and after death of mankind is totally centered and justified in association with the belief and worship of the Divine Reality. With this recognition, all functions of one's life must be directly related, originating and optimized to conform with the doctrines of faith and belief. Matrimony with all that it entails is among the most important and vital of these functions.

Throughout history, religion has been misunderstood and abused as means of exploitation, suppression, prejudice and persecution. Religion has been utilized as a source of power, domination; and a tool for human debasement, with the result that religion itself has suffered. Most certainly, religious doctrines never dictate that; and that mankind has failed to gear with the right approach of understanding of religious teachings. There are several religious creeds each claiming superiority and authenticity of truth. Each is supposed to have come from God for the right guidance and virtue of mankind. The real root and purpose of faith and religious belief is to weld mankind into one universal order of fraternity and love under the belief in One Universal God.

In Islamic thought, the wholesome issue of matrimony from its very beginning to its very end is an embodiment that is totally centered around and oriented directly to one's belief in Allah. In Islam, marriage as a human institution is not defined in terms of physical attraction, everlasting bodily glamour and copulation, material benefits, social grading, or secular contracitng. It is a very solomn, highly respected and orgnaized relationship, sanctioned and consecrated by religion, embracing within its dimensions the propagation of purity, virtue and stability in the structure of the human society, peace, mercy, profound love, spiritual elevation and magnanimity. In Islamic thought, marriage is essentially considered a contract to which Allah Himself is the First Witness and also First Party. It originates in the Name of Allah, it is sanctioned in the Name of Allah, and in full obedience, submission, and compliance with the

biological norms; the whole structural and psychological build up will become stagnant, disintegrated and depleted of its purpose.

The institution of matrimany integrating within its confines reciprocal passions of tolerance and understanding, respect and fidelity; maternity and nurturing; selective and self commanded objective sexuality, intimacy, chastity and religious sanctification, is firmly bound to our deepest sources of energy of life, emotion, psychological stability and individual identity of purpose. Human relationships interacting with the multifaceted mechanisms of marriage are the driving force and inherent motivation of life; and the healthy confident sexuality is the cohessive impulse. The very basic character and behaviour of woman and man will be deeply affected at the very roots by how matrimonial life is conceptualized, managed, refined, expressed and propagated. When matrimony is denounced, devalued, dishonoured, perverted, purposely rendered unproductive and childless; the whole quality of human life declines, and our social fabric lattice deteriorates, and the future posterity will come into a void of barren life and nothingness to be lost in the shreds of psychological obsessions with repugnant revolt and discontent to all values and beliefs. The unique mental faculty and rationalization endowed to mankind will be muffled and stupified.

The whole issue of marriage as a human organization cannot be examined only in terms of economy, physiology, social psychology, and sexuality. The philosophy of marriage as a vital human requirement must be conceptualized by cognitive intelligent honesty and unselfishness, and must embrace and encompass with realism and rational acceptance the true essentials and fundamentals of the natural inborn instincts and proclivities of both woman and man. It must be coherent with both the spiritual and carnal constitution of mankind in order to maintain the delicate equilibrium of stability and to conform with values and virtues. The spiritual education of mankind is through religous beliefs and intellectual elevation and wisdom. The need for religous understanding, for faith and for the utilization of profound qualities of religious teachings and doctrines is of paramount necessity to

faculty, and capacity for rationalization; should understand and recognise the real purpose of sexuality, and should maintain its reality in hunour, value, respect, organization and meticulous discipline. Sexuality in the life of mankind should be highly optimized, selective and justifieo; it should be an intimate confident, highly respected sanctioned and sanctified relationship. It is the inherent energy for the continuity of human life which should be maintained very organized, legitimized and with distinguished chastity.

In contemporary times, the whole institution of matrimony is collapsing and losing its original concepts and purpose. Matrimony today does not stand for procreative love, family structure, and anabolic constructive organization embracing mutual compassion, religous soleminization, sexual refinement, chastity, and social order. It is instead being blatantly denounced and described as an unnecessary repressive commitment. This subversive attitude has developed into a contagious stereotype frame of mind and disposition that afflicted the more affluent western societies; and the virulence of defilement is championed by other communities. The mass culture and media are deliberately affirming the new ideas of disorder, celebrate women who denounce matrimony and family life, contemplate means to legalise perverted sexual fantasies and administering amenities to indulge in pornography and cheap disorderly uncontrolled lewd sex practices. The whole design objecive of sexuality in the human species is becoming utterly disrupted, defiled and depleted of its most fundamental values and projections in life. These pathologically malignant practices are encouraged as a release and liberation from what is misinterpreted as the unnecessary repressive commitment of matrimony and orderly family constitution. Such societies are destroying the cultural preconditions and nutrient media for profound love, family urity, maternity, nurturing and stable absorbing passionately resposive sexuality. Such cultural essentials are the bonds of a healthy community, the prerequisites of personal identity and fulfillment, the tranquility and durable reliability of the emotional and psychic pool in which the progeny of mankind can find preserved secuity. Without devoted sincere matrimony, maternity, confident and selected sexual stability, chastity of relationship, acceptance with pride and dignity of our

MATRIMONY IN ISLAM

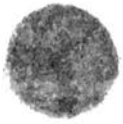
By :
Saad Moustafa Moustafa M . D .

The real genuine concepts and purpose of matrimony are very poorly understood at present times and certianly more so in the more affluent, materialistic and industrialised communities. Human societies which deviate from the honest practice of religious teachings suffer the brunt of failing matrimonies and distortions of family life. The discussion presented in the present treatise aims essentially to orient and reinstate the rationality of mankind to achieve and fulfill the prupose of his creation. The orderly and healthy propagation of the human race through matrimony and family constitution is a vital process.

The institution of matrimony has long been established and organised in the history of mankind. It is a commitment to life itself, to society, and to the dignified meaningful survival of the human race. The married partners should achieve in the marriage commitment a state of mutual fulfillment, self realization, passionate love, mental peace, compassion and unselfishness. The capacity and function of each partner is very different, yet by necessity very complementary and reciprocal. The biological differences of female and male and the resulting natural sexuality involved in marriage is certainly not the ultimat achievement in that relationship. Sex differentiation and sexuality is created in biological species including mankind for the prime single reason of propagation and survival of the species. Mankind as the highest, most honoured, most complex, most organized and most gifted in lieu of his unique mental

Qaswaa, and she remained his favourite camel. Abd-Allah and Asmaa returned to Macca, and the party started on their long journey to Yathrib. At the end of twelve days, they arrived at the dwellings of Bani Amer at Quba at the outskirts of the city of Yathrib. From then on Yathrib became known as the "City of Light" Al-Madina Al-Munawara.

The prestige, honour and distinction, the standing dignity and prominent eminence of status, which Abu Bakre had attributed by his compansionship to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) on the journey of Hijrah were certainly qualities that Abu Bakre deserved to the fullest. Abu Bakre was referred to in the Holy Revelation as one of the two in the cave. The companionship of Abu Bakre with the Prophet during the process of the Hijrah came about by Divine selection. This is an indication of the acclaimed notability of Abu Bakre among the compansions, and the esteem and love the Prophet holds for the man.



Thawr. Abu Bakre had instructed Amir ibn Fuhayrah the shepherd whom Abu Bakre had bought as a slave and then set free; to follow with the flock of sheep to cover up the tracks of the camels. When they reached the cave, Abu Bakre sent his son Abd-Allah home with the camels, telling him to listen to what was being said in Macca and bring them word of it. Amir ibn Fuhayrah was to pasture the sheep as usual during the day and to come to the cave at night to supply them with milk and to cover up the tracks of Abd Allah. All this very meticulous and precise planning and strategy was arranged by Abu Bakre. With depth of wisdom, inherent foresight, and the enlightment of faith and piety; Abu Bakre organised a master plan for the secret departure of the Prophet from Macca with Abu Bakre as the only compansion on that long perilous route of the historical Hijrah from Macca to Yathrib (Al-Madinah).

The following night, Abd Allah came to the cave with his sister Asmaa, who brought food. The news was that Quraysh had offered a reward of a hundred camels to anyone who could find Muhammad and Abu Bakre, for it was assumed that Abu Bakre was with the Prophet, since he also had disappeared. On the third day, the silence of their mountain sanctuary was broken by the sound of men's voices approaching the mountain side to reach the cave. The Prophet looked at Abu Bakre and said "Grieve not, for verily Allah is with us. What thinkest thou of two when Allah is their third". The men stood at the opening of the cave and decided in agreement that no one could have possibly entered the cave. At the cave opening a spider had woven its web and a pair of rock doves were nesting in silence over an acacia tree. These things had not been there that morning.

At the expected time, Abd Allah and his sister Asmaa came, and also Amir ibn Fuhayrah without the the flock of sheep, accompanied by a Bedouin to whom Abu Bakre had entrusted the two camels he had chosen as mounts for their journey. The Bedouin guide Abd Allah ibn Urayqit was not a believer, but could be trusted to keep their secret. Abu Bakre took Amir behind him on his mount, the Bedouin guide mounted his own camel, and the Prophet mounted the better camel which Abu Bakre had offered as a gift, but for which the Prophet insisted to pay its price; the occasion was a solemn one, it was the Prophet's Hijrah. The camel's name was

→

with the Prophet, hearing the Holy Revelation, understanding it, and spreading the words of Allah to people at large inspite of the grave consequences. He offered to the cause of Islam, in money, time, energy, sincerity and resolution all he could afford. He optimized his efforts by approaching the more lenient members of Quraysh in order to alleviate the oppressive tyrany imposed on the Muslim community in Macca by the move militant groups of Quraysh.

The call to the faith of Allah had spread among the people with greater intensity as time went on. Some members of the tribes of Aws and Khazraj from Yathrib (Al-Madinah) adopted Islam and gave their allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and committed themseleves to his protection and suppport of the new faith. The Prophet ordered his companions to emigrate to Yathrib and live among friends and brothers in Islam. Abu Bakre went to meet the Prophet and to seek permission to go to Yathrib; the Prophet answered "Do not be in a hurry, perhaps Allah may provide you with a companion". The conspiracy of Quraysh to kill the Porphet was revealed to him by Gibriel "the Archangel", and told him of the Divine instructions. The Prophet went straight to the house of Abu Bakre with the information that Allah has ordered him to emigrate to Yathrib. Abu Bakre was exalted and thrilled to be the companion of the Prophet on route of the Hijrah both men made their plans. The Prophet returned to his house and instructed Ali ibn Abi Taleb to stay behind in Macca to give back to their owners all the goods, valuables, and money which had been deposited by people of Quraysh in the possession of Muhammad for safe keeping; the Prophet had never ceased to be known as Al-Amin even among the disbelievers of Quraysh. He also told Ali of the conspiracy arranged by Quraysh, and both men agreed that Ali would occupy the Prophet's bed for that night. The Prophet entrusted to safety by the grace of Allah, left his house, passed through the midst of those who were there to kill him. Allah enshrouded them so that they could not see him as he walked away. The Prophet went to the house of Abu Bakre who had very carefully planned their immediate departure.

Two camels were saddled and ready, the Prophet mounted one, and Abu Bakre and his son Abd-Allah mounted the other. they made for a cave in Mount

was far stronger and everlasting than any. Abu Bakre publicly relinquished the protection of Ibn Al-Dughunnah and was again subjected to the distressing oppression of Quraysh.

The life of Abu Bakre with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was one of continuous unfailing support and honest belief. The incidence of the "Night Journey" to Jerusalim, and "Ascension" was real proof of such support. When the Prophet went to the Kabaa and related the events of the "Night Journey", he became the target of mockery and ridicule. Every child of Quraysh knew that a caravan takes a month to go from Macca to Jerusalim and a month to return; and now Muhammad claimed to have gone there and back in one night. A group of men from Quraysh went to Abu Bakre to tell him of the unbelievable claim of his friend "The Prophet". When Abu Bakre was assured that the Prophet was publicly relating the incident, he said "If so he says, then it is true, he tells me that tidings come to him in Revelation from Heavens to earth in any moment of the day or night, and I know him to be speaking truth; how can I disbelieve him in a less important matter". The affirmation in the words of Abu Bakre reflect his deep-seated belief and indelible faith; it also restituted the belief of those Muslims who for a moment found it difficult to believe the story of the "Night Journey". When the Prophet was alone with Abu Bakre and others of the companions, he told them of the "Ascension" through the Seven Heavens, telling them only part of what he had seen, the rest to be recounted later over the years as knowledge and wisdom of the secrets of life, death and the Hereafter.

Abu Bakre spent the major part of his time in the close company of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); the minor part was occupied in attending to his trade with the skill and knowledge of the experienced expert. He continued his dynamism with agility and perseverance to help the distressed Muslims, and to summon his friends to embrace the new faith; and believe that there is no god but Allah, and that Muhammad was the Messenger of Allah, and the bearer of the Holy Revelation. The pagans of Quraysh intensified their oppression of Muslims; the Prophet and the close companions including Abu Bakre were gruesomely intimidated and badly harassed. With patience and indurance, Abu Bakre remained in Macca

wealth to relieve the oppressed from atrocious despotism, and free them into liberty to understand and embrace the faith of Islam - a faith in which he so very firmly believed, and with honest devotion was an instrument of its propagation.

Abu Bakre remained in Macca with the Prophet at the time when the leaders of Quraysh were escalating their fierce oppression against the small Muslim community. It was becoming difficult for those who had no official protection. After Abu Bakre accepted and declared his Islam, his influence with the pagans of Quraysh decreased to nothing and was aggravated by his being responsible for the many conversions. Because of that and his zeal to support the Muslim faith, he suffered part of the grave distress as did the Prophet and other Muslims. The time came when he felt he had no alternative but to emigrate and join the Muslims in Ethiopia. Having obtained permission of the Prophet, he set out, but before reaching the coast of the Red Sea, he was met by Ibn Al-Dughunnah, the chief of a group of confenderate tribes not far from Macca, allies of Quraysh. This chief had known Abu Bakre well in the days of affluence and influence; now Abu Bakre had the appearance of a wondering hermit. When questioned, Abu Bakre explained to Ibn Al=Dughunnah that he was ill-treated and driven out by his people; and that he will seek to travel over the face of the earth to worship God in freedom of will. Ibn Al-Dughnnah offered to protect Abu Bakre, took him back to Macca, and at the Kaaba declared to the leaders of Quraysh that Abu Bakre was in his protection, and that no body should approach him except with good intentions. Days passed and Abu Bakre was left unmolested; he was in the habit of offering his prayers and reciting the Quran in his deep voice in a place near his house. In the true piety of his character, tears rolled down his cheeks, and a large number of children, Mawalis, and women stood behind him in prayer to listn to him. The pagans of Quraysh would not accept that to continue, being afraid of the influence of the Quran and Abu Bakre on those who heard him. They appealed to Ibn Al-Dughunnah to ask Abu Bakre to pray and make his recitations of the Quran in his house. When confronted with that, he felt that his freedom of faith and worship was controlled. He realized that the protection of Ibn Al-Dughunnah or any other person was not fitting to his status of faith, belief and piety and that the protection of God

ABU BAKRE AL –SIDDIQ

HIS LIFE WITH THE PROPHET

PART I

By : _____

Dr . Anas Moustafa El –Naggar M . D ., Ph . D

Abu Bakre lived commited in total dedication to his faith with complete deep seated understanding of the theistic philosphy of Islamic thought and the Divine splendor that the Holy Revelation brings forth for the atonement and restitution of mankind. With such belief, Abu Bakre instituted a very coherent and intimate friendship with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), a friendship that was based on complete belief in the Holy Revelation and in the Prophet as Messenger of Allah. Through this resolute self-determined belief, Abu Bakre gained the cognomen "Al-Siddiq". Through this conviction, he conducted himself and his whole life in the service of his belief.

In full support to the cause of Islam, Abu Bakre was very dynamic in soliciting his friends from Quraysh and urging them to embrace the new faith. He was indelibe to defend the helpless Muslims from the physical torture, horrors of affliction imposed upon them by their masters from Quraysh. For that justification, he spent considerable amounts of money to free the captives from the blind derisive injustice in the bonds of slavery inflicted upon them by the pagans of Quraysh. For that purpose, Abu Bakre spent what approximates to about thirty five thousand Dirhams. He freed seven Mawalis (wards of tribes) and slaves from captivity whom he bought with his own money. Among them were Bilal ibn Rabah, the "Muazin" of the Prophet, Zanira, the blind woman from Syria, Al-Nahdiya and Amir ibn Fuhayrah. Abu Bakre spent his

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60 Part II

Safar, 1408 Hijrah

CONTENTS

(1) Abu Bakre Al-Siddiq

His Life with the Prophet (Part I)

By: Anas Moustafa El Naggar.

(2) Matrimony in Islam.

By: Saad Moustafa Moustafa.

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الثالث *
* السنة الستون *
* ربيع أول ١٤٠٨ هـ *
* نوفمبر ١٩٨٧ *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قبل الهجرة

٢

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

في مقالنا - بمُفتَتَح العام الهجرى - قدمنا دراسة عن « الحِلْفِ » وتناولناه سياسة داخلية وخارجية للقبيلة ، ولمسنا تفاعله - إيجابا وسلبا - مع رسول الله - ﷺ - ورأينا كيف تناوله - عليه الصلاة والسلام - على أعلى مستوى من قمة السياسة حتى انفصل به - في قوة منيعة - تحمى المسلمين بالمدينة ، فَعَلَ ذلك وهو محاط بأعدائه مما يشهد له - عليه الصلاة والسلام - بتفوق منقطع النظير .

وكان - مع ما استجمع من القوة - على سياسة عادلة منصفة تُسالم قريشا ما سالمت قريش ، فإن لج بها شيطان الهوى فعلى نفسها جَنَتْ .

←

ولنعرض لسياسة « الجوار » !

وهى أحد عناصر السياسة التى صاحبت الدعوة فى مكة إلى قبيل هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكانت عماداً للدين وحَنَقاً على المشركين زادهم سخطا بما غَلَّ من أيديهم عن رسول الله ـ ﷺ ـ والكثيرِ من صحابته رضوان الله عليهم .

و « الجوار » : عهد يلتزم به أحد طرفين غير متكافئين من حيث القوة والمَنَعَة ـ بحماية الطرف الآخر .

إنه « تَعَهُّدُ » الطرف الأقوى بكل ما له من نفوذ وسلطان ببسط الحماية والأمن على الطرف المستجير فيمنع عنه الأذى وأسبابه .

وبدهيا أنه لا يقوم ضد طرف ثالث أقوى من المجير فالمجير لا يجير على من هو أقوى منه .

وفى اللسان :

« جَاوَرَ بنى فلان ، وجاور فيهم مجاورة وجِواراً : تَحَرَّم بجوارهم » .

أى صار ذا حرمة فلا يصل إليه مُعتدٍ ، وفيه ـ أيضاً :

« واستجاره : سأله أن يُجيره » . « والجار : الذى أجرتَهُ من أن يظلمه أحد » .

ويطلق « الجار » على « المُجِير » و « المستجير » قال :

« والجار الجُنُب : ألا يكون له مناسبا[1] فيجئ إليه ، ويسأله أن يُجيره ، أى يمنعه ، فينزل معه ،[2] فهذا الجار الجُنُب له حرمة نزوله فى جواره وَمَنَعَتِهِ وركونه إلى أمانه وعهده »

● ● ●

و « المجير » أو « الطرف الأقوى » يمكن أن يكون فرداً يجير فرداً مثله ، من نفس القبيلة أو من خارجها .

ويمكن أن يكون « جماعة » تجير فرداً ، أو تجير جماعة ، أو « قبيلة » تجير قبيلة .

ونلاحظ فيه أمرين يفصلان بينه وبين « الحِلْف » :

فهو « تعهد » يلتزم فيه الأقوى بالحماية للطرف الآخر ، فلا أَيْمَانَ فيه من كلا الطرفين ، هذا أوّلا .

ثم عدم استواء الطرفين ـ فيه ـ من حيث التكافؤ ثانيا .

● ● ●

ولسنا نشك فى أن ميراث القرون لتلك السياسة جعلت للجوار « إلزامات » يرعاها الطرفان :

فأخبار الأدب الجاهلى تؤكد على وجوب التزام الطرفين بصيانة كل منهما لحرمة الآخر ،

(١) يعنى : لا تناسب بينهما فى القوة والمنعة ، فأحدهما أقوى من الآخر ، فالضعيف هو الجار الجنب .. الخطيب .

(٢) أى يقيم .

وبخاصة « نسائه » ؛ فمن الفتنة العاصفة أن يمارس واحدٌ من شباب القبيلة المستجيرة غزلا أو مداعبة لامرأة أو فتاة من القبيلة المُجيرة .

كذلك على « المستجير » أن يحترم تقاليد القبيلة التى أجارته فلا يسخر من مقدساتها ، وعليه أن يكون أمينا عليها فلا يعين عليها عدوا ، أو يتدخل فى شئونها فيما لا ترضاه ، أو يعرضها لمشاكل ـ وهى المضيفة ـ فى غنى عنها .

هذا الجوار هو ـ باختصار ـ ما نسميه ـ بلغة العصر : « اللجوء السياسى » وهو يعطى حق « الإقامة » و « الحماية » مادام قائما ، فإن رَفَعَ « المُجِير » أو رَدَّ « المستجير » هذا الجوار انتهى كل حق فيه .

وأقوى ما يكون « الجوار » إذا صدر من «سيد العشيرة» فإنه إذا أجار أحدا لم يَخْفِرُوه[٣] .

وفى حدود ما بين يدىّ من مراجع لم أجد « جواراً » صدر لحماية « خليع » ، أعنى به « الرجل يجنى الجنايات يُؤخذ بها أولياؤه فيتبرءون منه ومن جناياته ويقولون[٤] « إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ أحداً بجناية تُجْنَى عليه ، ولا نُؤَاخَذُ بجنايته التى يجنيها »[٥] .

وهذا الخلع إذاً هو عين « إسقاط الجنسية » عن مواطن بلغة العصر ؛ فكما لا يتمتع الفرد بعدها بأى حق قبل الدولة ، فكذلك الخلع لا يتمتع بعده الفرد بحقٍ ما قبل القبيلة ؛ فإن الخلع إذا صدر من أولياء الرجل ، وهم خاصته ، فإن براءة القبيلة منه أولى .

●●●

وأخبار الجوار ـ فى الجاهلية ـ كثيرة ، تَعِى منها مصادرُنا ما امتد إلى عصر امرىء القيس الملك الضليل :

فقد أجارتْ خُماعَةُ بنت عوف بن مُحَلِّمِ الشيبانى مردان بن زنباع العبسى[٦] .

وأجار المُعَلَّى الطائى ـ أَحَدُ بنى تيم ـ من جديلة ـ امرأ القيس وَوَفَى بجواره فمدحه بقوله :

كـأنِـىَ إذْ نَـزَلْـتُ عـلى المـعـلى نـزلتُ عـلى الشـوامـخ من شمـام

أقر حَشَى امرىء القيس بن حجر بنـوتيـــم مصابيـــح الظـــلام[٧]

وأجار عُصَيْمَةُ بن خالد بن سنان المنقرى بنى عامر بن صعصعة وتحدى ـ من أجلهم ـ النعمان بن المنذر وثبت له فانصرف عنهم ، ثم كساهم عصيمة وبَلَّغَهم مأمنهم ، وقال

(٣) أى لم تنقض له القبيلة عهداً ، بل تلزم نفسها بحماية المستجير .

(٤) إعلانا يقصد به أن يعرفه العرب أجمعون .

(٥) راجع عدد المحرم ١٤٠٨ ص ٨ حاشية ٢٥ .

(٦) راجع لابن حبيب البغدادى ـ المحبر ص ٣٤٩ ط . دار الآفاق الجديدة .

(٧) نفس المرجع ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

منعنا من النعمان سادةَ عامرٍ بأسيافنا في الموقف المتهيَّب[٨] .

وأجار العاص بن وائل القرشى (عيصا الراهب) من أهل الشام « ذكره ابن كثير » .

ويشتد الوفاء بقوم فيحفظون المستجير حتى إن بعضهم قَتَلَ - من أجل ذلك - أخاه :

جاور رجل ومعه امرأة له « أَوْفَى بن مطر المازنى ، فأعجبت المرأة قيسا أخاه - فجعل لا يصل إليها مع زوجها ؛ فقتله غيلة ، فبلغ ذلك أوفى فقتل قيسا أخاه بجاره - وقال :

إنى - ابنةَ العمرى - لا ثوب فاجر لَبِسْتُ ولا من غدرة أَتَقَنَّعُ
سعيتُ على قيسٍ بذمة جاره لأمنع عرضى ، إن عرضى ممنع

ويروى البيت الأول فى « تاج العروس » :

وإنى - بحمد الله - لا ثوب غادر لبستُ ولا من خزيةٍ أَتَقَنَّعُ[٩]

وَأَسْلَمَ عميرُ بن سُلْمَى الحنفى « قريناً » أخاه فى حادثة مشابهة تماماً - إلى ولى الدم رَجُلٍ من بنى عامر بن كلاب ، وكان أخا القتيل ، فقتل قريناً بأخيه[١٠] .

وفى الناس غدر :

فقد استجار امرؤ القيس بعامر بن جوين الطائى ، فسنحت له فرصة فقبل زوجة امرىء القيس ، فأخبرت زوجها فترك جوار الخائن وارتحل يطلب جوار « أبى حنبل جارية بن مرّ الطائى فوَفَى له »[١١] .

وأصابت الناسَ سَنَةٌ - أى قحط شديد - فاستجار الأكابر من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وهم : مالك وعامر وحليحة - بـ« بدر بن حمراء الضبى » فوفى لهم حتى أَحْيَوْا ورجعوا مواطنهم ، وجاور بعضهم « مساورا » فجعل يفجر بنسائهم[١٢] .

وبعد :

هذا هو « الجوار » على ما كان عليه فى الجاهلية ..

يكون أشرف مايكون إذا تم على مستوى خلقى رفيع ، يأمن به الخائف على رَحْبٍ ، وسَعَةٍ تُغْنِيهِ فتسد حاجته وتصون عرضه وتلم شعثه !

أو يهتبله[١٣] لئيم يقع منه موقع الذئب من الفريسة فيفجر بالجار ويؤذيه فى حرمِهِ أو فيما ملكت يداه .

وعلى « واقِعِهِ » هذا تعامل مع الإسلام إيجاباً تارة ، وسلباً أخرى ، فإلى ظلاله فى العدد القادم - إن شاء الله .

د. على أحمد الخطيب

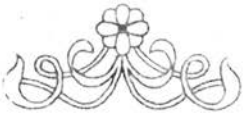
(٨) نفس المرجع ص ٣٥٤ .
(٩ - ١٠) نفس المرجع ص ٣٤٨ ، ٣٥١ .
(١١ - ١٢) نفس المرجع ص ٣٥٢ ، ٣٥٥ .
(١٣) يغتنمه .

مع الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

حبس المدين فى الفقه الاسلامى



تكلمى يامنارة الأزهر "نقدورد"

حبس المدين
فى الفقه الإسلامى

(٢)

حبس المدين فى الدين :

وبعد أن وضحت ، منزلة المال ، ومدى حرص الإسلام على سداد الديون ، حتى عد (الغارمين) من مصارف الزكوات والصدقات ، وأن المطل فى سداد الدين يحل للدائن شكاية المدين ، وتقديمه إلى المحاكمة ، كما ثبتت مشروعية الحكم قضاء بحبس المدين المماطل ، متى كان قادراً ، بعد هذا نأتى إلى أقوال فقهاء المسلمين فى بيان سبب الحبس ، وشروط وجوبه ، ومدته . دون تعرض لماهية الحبس وما يمنع منه المحبوس ، وما يجوز له ، لأن هذا الصق بالسجن وتنظيمه ، وان تعرض له الفقهاء فى هذه المواضع أيضاً .

أما سبب وجوب الحبس ، فهو الدين قل أو كثر .

ففى الفقه[1] الحنفى : وإذا ثبت الحق للمدعى أمره القاضى بدفع ما عليه ، فإن أبى حبسه فى الثمن والقرض والمهر المعجل وما ألتزمه بالكفالة ، ولا يحبسه فى غير هذا من الديون ، إذا قال إنى فقير إلا إذا أثبت الدائن أن له مالا فيحبسه القاضى ، فإن لم يظهر له مال خلى سبيله ، بعد قضاء مدة الحبس ، لأنه استحق النظرة إلى الميسرة .

ويشترط فى الدين أن يكون حالاً ، فلا حبس فى الدين المؤجل ، لأن الحبس لدفع

(١) بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٧ ص ١٧٣ والبحر الرائق لابن نجيم جـ ٦ ص ٢٨٢ ومابعدها . وفتح القدير والعناية على الهداية جـ ٥ ص ٤٧١ ومابعدها ، وكتاب ادب القاضى للخصاف ص ١٣٤ ومابعدها . والدر المختار وحاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٤ ص ٤٨٥ وما بعدها .

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

الظلم المتحقق بتأخير قضاء الدين ، وهذا لم يوجد من المديون ، لأن صاحب الدين قد أخر اقتضاء حقه بالتأجيل . ويشترط فى المديون القدرة على قضاء الدين ، فإذا كان معسراً لا يحبس لقوله[٢] تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ ، ولأن الحبس لدفع الظلم وقد شرع وسيلة إلى قضاء الدين ، لا لذاته .

ويشترط كذلك ، مطل المدين . وهو تأخير قضاء الدين لقوله عليه الصلاة والسلام : (مطل[٣] الغنى ظلم) فيحبس دفعاً للظلم ، لقضاء الدين بواسطة الحبس ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (لَيُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) والحبس عقوبة لا تكون إلا عند المطل فى السداد .

ويشترط أيضاً ألا يكون المدين أحد أصول الدائن ، فلا يحبس الوالد ولا الوالدة ولا الجد ولا الجدة فى دين لأولادهم أو أحفادهم وأسباطهم ، لأن الحبس لهؤلاء ليس من الإحسان والمصاحبة فى الدنيا بالمعروف ، المأمور بهما بالنسبة للوالدين فى القرآن الكريم فى قوله[٤] سبحانه : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ وقوله[٥] ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ إلا إذا امتنع الوالد أو الوالدة من الإنفاق على ولده الذى وجبت عليه نفقته فإنه يحبس تعزيراً ، لا حبساً فى نظير الدين .

لكن الولد يحبس بدين أى من والديه ، وكذلك ديون سائر الأقارب ، أيا كان الدائن أو المدين ، ويستوى فى الحبس فى الدين الرجل والمرأة ، لأن موجب الحبس لا يختلف بالذكورة والأنوثة . ولا يكون الحبس فى الدين إلا بطلب الدائن ، فما لم يطلب حبس مدينه ، لا يحبسه القاضى ، لأن الدين حقه ، والحبس وسيلة لاقتضائه ، ووسيلة حق الإنسان حقه ، وحق المرء إنما يستحق بطلبه مدة الحبس .

لم يرد نص شرعى بتقدير مدة للحبس فى الدين ولا فى التعزير وقد اختلف النقل فى الفقه الحنفى عن أئمة المذهب . فقد روى محمد بن الحسن عن أبى حنيفة أن الحبس

(٢) من الآية ٢٨٠ سورة البقرة .

(٣) أخرجه البخارى فى أول كتاب الإحالة وفى كتاب الاستقراض وأخرجه مسلم فى كتاب البيوع ولفظه عن أبى هريرة : (مطل الغنى ظلم ، فإذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع) جـ ٣ رقم ٤٧ زاد المسلم ، فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ص ١٠ .

(٤) من الآية ٢٣ سورة الإسراء .

(٥) من الآية ١٥ سورة لقمان .

شهران أو ثلاثة أشهر واختار الطحاوى ـ أن مدة الحبس لا تقل عن شهر ، ولا غاية لأقصى المدة وروى الحسن عن أبى حنيفة : أربعة أشهر إلى ستة ، وصحح صاحب الهداية أن تقدير المدة مفوض إلى القاضى ، لا ختلاف أحوال الأشخاص .(٦)

وقد تحدث الفقه المالكى فى مشروعية الحبس فى الديون ، تحت قاعدة ما يشرع من الحبس وما لا يشرع فقال يحبس الممتنع عن دفع الحق ، إلجاء إليه ، ويحبس من أشكل أمره فى العسر واليسر ، اختبار الحالة ، فإذا ظهر حاله حكم بموجبه ، عسراً ويسراً ، ولا يجوز الحبس ، إذا كان للمدين مال ، وأمكن للحاكم استيفاء الدين منه .(٧)

وفى الفقه الشافعى : أن الحبس فى الديون ، لا يكون إلا للمدين الموسر القادر عند مطله ، ويحبس أيضاً المدين لاستظهار اليسار ، إذا كان موضع الشك ، فإذا أخفى المدين ماله ، حبسه القاضى حتى يظهره لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لَيُّ الواجد يُحِلُّ عِرْضَهُ وعقوبته) .(٨)

وفى فقه الإمام أحمد بن حنبل قال الخرقى فى مختصره : ومن وجب عليه حق ، فذكر أنه معسر به ، حبس إلى أن يأتى ببينة تشهد بعسرته ، ونقل ابن قدامة فى المغنى فى هذا الموضع عن ابن المنذر قوله ـ أكثر من تحفظ عنه من علماء الأمصار وقضاتهم يرون الحبس فى الدين ، منهم مالك والشافعى وأبو عبيد والنعمان وسوار وعبيد الله بن الحسن وروى عن شريح والشعبى ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : يقسم ماله بين الغرماء ولا يحبس ، وبه قال عبد الله بن جعفر والليث بن سعد .(٩)

وقد أنكر بعض فقهاء المذهب الحنبلى مشروعية الحبس فى الديون وقال إنه من الأمور المحدثة وأن أول من حبس على الدين شريح القاضى .(١٠)

ومن هذا الرأى الظاهرية ، فقد قال ابن حزم : ومن ثبت للناس عليه حقوق من مال أو مما يوجب غرم مال ، ببينة عدل ، أو بإقرار منه صحيح ، بيع عليه كل ما يوجد له

(٦) فتح القدير على الهداية جـ ٥ ص ٤٧٤ و٤٧٥ .

(٧) الفروق للقرافى جـ ٤ فى قاعدة الفروق ٢٣٦ ص ٧٩ و٨٠ وتهذيب الفروق فى القرض ٢٣٨ على هامشه ص ١٣٣ وما بعدها وتبصرة الحكام لابن فرحون جـ ١ ص ٣١٨ وما بعدها على هامش فتاوى الشيخ عليش ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .

(٨) فتح العزيز شرح الوجيز للرافعى جـ ١٠ من تكملة المجموع شرح المهذب ، مع التلخيص الخبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ بن حجر العسقلانى ص ٢٢٨ وفيه تخريج حديث (لى الواجد ..) .

(٩) المغنى لابن قدامة جـ ٤ ص ٥٠٢ و٥٠٣ مع الشرح الكبير على متن المقنع ط المنار طبعة ثانية سنة ١٣٤٧ هـ .

(١٠) كتاب الفروع وتصحيحه جـ ٦٤٩ جـ ٢ فى باب التفليس .

وأنصف الغرماء ، ولا يحل أن يسجن أصـلاً .(١١)

بينما يرى الفقه الزيدى أن الحبس فى الدين مشروع ، مستدلاً بما نقل أن عليا كرم الله وجهه قال : إنما الحبس حتى يتبين للإمام ، فما حبس بعد ذلك فهو جور ، وهذا يدل على جواز حبس من عليه الدين ، إذا كان متهماً بكتم الوفاء ، كما استدل بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حبس رجلاً فى تهمة ساعة من نهار وأخرجه .

وسنداً على هذا قال الزيدية : إن الإمام يحبس فى الدين ، فإذا ثبت إفلاس المدين أطلقه وأوصاه بالدفع إلى غرمائه عند استفادته مالاً .(١٢)

ويكاد فقه المذاهب التى أجازت الحبس فى الدين تلتقى على شروط لحبس المدين فى الدين جماعها ، ما تقدم عن الفقه الحنفى .

الملازمـة :

نص فقهاء المذهب الحنفى على أنه(١٣) : لا يمنع الغرماء من ملازمة المدين ، بعد الحبس ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (لصاحب الحق اليد واللسان) أراد باليد الملازمة . وباللسان التقاضى ، وأحسن ما قيل فى الملازمة ماروى عن محمد بن الحسن أنه قال : يلازمه فى قيامه وقعوده ، ولا يمنعه من الدخول على أهله ولا من الغداء ولا من العشاء ولا من الوضوء ولا من الخلاء ، وله أن يلازمه بنفسه وإخوانه وولده ومن أحب ، والرأى فى ذلك للدائن ، ولا يلازمه ليلاً إلا إذا كان المدين يكتسب ليلاً ، فقد قال الفقيه أبو جعفر : يلازمه فى الليالى ، ولو أبى المديون ملازمة الغريم له ، وقال : أجلس مع الدائن . له ذلك وملازمة المرأة أن تلازمها امرأة ، فإن لم توجد حبسها فى بيت مع امرأة ، وجلس هو على الباب أو المرأة فى بيت نفسها والدائن على بابها ، وعن محمد : المرأة يلازمها الرجال بالنهار فى موضع لا يخاف عليها الفساد ولا يخلون بها ، وبالليل يلازمها النساء ، وفى الواقعات : حق للدائن أن يلازمها ويجلس معها ويقبض على ثيابها لأن هذا ليس بحرام .(١٤)

وللدائن ملازمة المدين المقر بالدين دون إذن القاضى ، أما غير المقر فلا تكون الملازمة إلا بإذن القاضى . وفى ملازمة المدين روى ابن ماجه بسنده(١٥) عن الهرماس بن حبيب عن

←

(١١) المحلى لابن حزم فى المسألة ١٢٧٥ كتاب المداينات والتفليس ص ١٦٨ وما بعدها جـ ٨ ط الطباعة المنيرية سنة ١٣٥ هـ .
(١٢) الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير جـ ٣ ص ٤٤٥ وما بعدها فى باب القضاء .
(١٣) الهداية وفتح القدير جـ ٧ ص ٣٢٩ و٣٣٠ وص ٧٦ ، ١٧٧ من كتاب ادب القاضى للخصاف وشرحه للجصاص ط دار نشر الثقافة بالفجالة سنة ١٩٨٠ م
(١٤) البحر الرائق لابن نجيم المصرى الحنفى جـ ٦ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ مع حاشية منحة الخالق لابن عابدين والدر المختار وحاشيته رد المحتار لابن عابدين جـ ٤ ص ٤٩٧ والهداية وفتح القدير والعناية فى الموضع السابق ..
(١٥) جـ ٢ ص ٨٠ بحاشية السندى .

أبيه عن جده قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بغريم لى فقال : ألزمه . ثم ولى آخر النهار . فقال : ما فعل أسيرك ياأخا بنى تميم .؟.

وقد نقل ابن هبيرة الحنبلى فى الإفصاح[١٦] أنه لا يحال بين المدين وغرمائه بعد خروجه من السجن عند أبى حنيفة بل يلازمونه ولايمنعونه من التصرف والسفر ويأخذون فضل كسبه بالحصص وفى الروض النضير[١٧] : قال أبو حنيفة وهو أحد وجهين للشافعى ، وحكاه فى شرح الإبانة عن السادة : أن للدائن ملازمة المدين ، لحديث زياد بن حبيب فى أمره صلى الله عليه وسلم بملازمة الغريم . قالوا : فيسير معه حيث سار ويجلس حيث جلس غير مانع له من الاكتساب وقد أورد طعناً على هذا الحديث وأرجعه إلى حديث هرماسى السابق وطعن عليه أيضاً .

منع المدين من السفر :

جاء فى مختصر الخرقى الحنبلى ما نصه[١٨] : (ومن أراد سفرا وعليه حق ، يستحق قبل مدة سفره ، فلصاحب الحق منعه) وقال ابن قدامة فى المغنى[١٩] تعليقاً على هذا النص : وجملة ذلك . أن من عليه الدين ، إذا أراد السفر وأراد غريمه منعه ، نظرنا : فإن كان محل الدين ، يحل قبل قدومه من السفر ، مثل أن يكون سفره إلى الحج ولا يقدم إلا فى صفر ، ودينه يحل فى المحرم ، أو ذى الحجة ، فله منعه من السفر ، لأن عليه ضرراً فى تأخير حقه عن محله ، فإن أقام ضميناً ، مليئاً ، أو دفع رهناً يفى بالدين عند المحل ، فله السفر لأن الضرر يزول بذلك ، أما إذا كان الدين لا يحل ، إلا بعد محل السفر ، مثل أن يكون محله فى ربيع وقدومه فى صفر ، نظرنا :

فإن كان سفره إلى الجهاد ، فله منعه إلا بضمين ، أو رهن . لأنه سفر يتعرض فيه للشهادة ، وذهاب النفس فلا يأمن فوات الحق ، وإن كان السفر لغير الجهاد ، فظاهر كلام الخرقى : أنه ليس له منعه من السفر ، وهو أحد الروايتين عن أحمد ، لأن هذا السفر ليس بأمارة على منع الحق فى محله ، فلم يملك منعه منه . كالسفر القصير ، وكالسعى إلى الجمعة .

وفقه الإمام الشافعى[٢٠] : أنه ليس للدائن منع المدين من السفر ، ولا مطالبته بكفيل ، إذا كان الدين مؤجلاً بحال سواء كان الدين يحل قبل سفره ، أو بعده ، أو إلى

(١٦) الإفصاح جـ ١ ص ٢٤٣ وتصحيح الفروع جـ ٢ ص ٦٤٩ .

(١٧) جـ ٣ ص ٤٤٧ و٤٤٨ .

(١٨) جـ ٤ ص ٥٠٦ و٥٠٧ مع الشرح الكبير .

(١٩) المرجع السابق ذات الموضع .

(٢٠) شرح فتح القدير للرافعى على الوجيز جـ ١٠ على هامش تكملة المجموع ص ٢١٥ وحاشية الشروانى على تحفة المحتاج جـ ٥ ص ١٤٣ من حواشى تحفة المحتاج طبعة مصطفى محمد بالقاهرة .

الجهاد ، أو إلى غيره ، لأنه لا يملك المطالبة بالدين فلم يملك منعه من السفر ، ولا المطالبة بكفيل ، كالسفر الآمن القصير ، وله السفر فى صحبته ، ليطالبه عند حلوله بشرط أن لا يلازمه ملازمة الغريم ، لأن فيه إضراراً به .

ولصاحب الدين الحال ، ولو ذمياً ، منع المدين الموسر بالطلب من السفر المخوف ، وغيره بأن يشغله عنه برفعه إلى الحاكم ، ومطالبته حتى يوفيه دينه .

نعم : إن استناب من يوفيه من ماله الحاضر ، فليس له منعه .

وخلاصة ما تقدم : أن فقه الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد والفقه الزيدى يجيز الحبس فى الدين ، سواء لاستظهار يسار المدين ، واستبانة حالته المالية وقدرته على الوفاء ، أو لمطله ونكوصه عن سداد دينه مع ظهور قدرته بالشروط المسطورة فى النقول السابقة عن فقه هؤلاء الأئمة وذلك إذا كان الدين حالاً .

أما إذا كان الدين مؤجلاً فهم متفقون على ألا حبس قبل حلول أجل الدين .

ولكن اختلفت كلمتهم فى : هل للدائن أن يمنع مدينه من السفر ، إذا كان الدين مؤجلاً أم لا .؟

ففى الفقه[٢١] الحنفى ، أنه لا يمنع من السفر قبل حلول الأجل ، سواء بعد محله أو قرب ، لأنه لا يملك مطالبته قبل حلول الأجل ، ولا يمكنه منعه ولكن له أن يخرج معه ، حتى إذا حل الأجل ، منعه من المضى فى سفره إلى أن يوفيه دينه .

والفقه المالكى يجيز[٢٢] للدائن أن يمنع مدينه من السفر حتى يقضيه دينه ، بشروط هى :

أولاً : أن يكون السفر طويلاً ، بحيث يحل أجل الدين فى غيبة المدين ، أما إذا كان أمد الدين بعيداً لا يحل فى غيبة المدين ، فليس للدائن منعه من السفر .

ثانياً : أن يكون المدين موسراً ، أما إذا ثبت إعساره فأنه ليس له منعه من السفر .

ثالثاً : ألا يوكل المدين عنه من يقوم بسداد الدين ، فإذا وكل من يسدد عند حلوله أو ضمنه موسر فليس له منعه من السفر .

ويبدو من هذه الشروط ، أنها متقاربة مع ما قال به فقه الإمام أحمد فيما نقلناه آنفاً عن المغنى لابن قدامة إذ قد اشترط : أن يكون السفر طويلاً ، يحل الدين قبل فراغه ، أو أن يكون السفر مخوفاً ولو كان قصيراً أما إذا كان السفر مأموناً ، لكنه قصير ، يحل الدين بعده ، فليس له منعه وألا يكون للدين رهن ، يفى به أو كفيل موسر فإن كان ذلك ، فليس له منعه من السفر .

الديون التى يجوز اقتضاؤها بطريق الحبس :

الحبس لاقتضاء الدين جائز فى كل دين ، لكن بعض الفقهاء فرقوا بين نوعين من

(٢١) بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٧ ص ١٧٣ والدر المختار للحصكفى وحاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٤ ص ٩٣ الحبس من كتاب القضاء .

(٢٢) شرح اقرب المسالك المعروف بالشرح الصغير للدردير ، جـ ٢ ص ١٢٦ فى باب الفلس وأحكامه ط مطبعة صبيح بالقاهرة وجـ ٣ حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير ص ٣٠١ فى ذات الموضع .

الديون ، من حيث الحبس قبل إقامة الدليل على ملائمة المدين وقدرته على الوفاء . فقالوا[٢٣] : إنه إذا ثبت الحق عند القاضى ، وطلب الدائن حبس المدين ، وأمره القاضى بدفع ما عليه ، فإن امتنع ، حبسه فى كل دين لزمه بدلاً عن مال حصل فى يده كثمن البيع ، أو التزمه بعقد كالكفالة والمهر ، لأن إقدامه على التعاقد التزام باختياره ، فيدل على يساره .

أما فى غير هذا النوع من الديون ، فإذا قال إنى فقير ، لا يحبسه القاضى إلا إذا أثبت الدائن أن له مالاً بمعنى : أن القول قول المدين فى اليسار والإعسار فى هذا النوع ، وبذلك يكون عبء إثبات اليسار على الدائن وقال أبو بكر أحمد بن على الرازى المعروف بالجصاص فى شرح أدب القاضى للخصاف : ولا فرق بين هذا الدين الذى ثبت من جهة المعاوضة أو القرض أو الغصب ، وبين الذى يلزمه من مهر المرأة والكفالة عند أصحابنا والذى قاله الخصاف من الفرق بين المهر والكفالة وبين الدين الذى ثبت من هذه الوجوه التى ذكرنا ، لا يعرف عن أصحابنا ، وذلك أن الزوج وإن لم يحصل له بدل مال وكذلك الكفيل إذا لم يحصل له ، فإن دخولهما فى هذا العقد والتزامهما هذا الدين اعتراف منهما بقدرتهما على قضاء مالزمهما ، فصار كسائر الديون ، فى باب وجوب الحبس إذ الظاهر أنه قادر على القضاء حتى يظهر لنا خلافه .[٢٤]

ومما يتوافق مع هذا ما قال به الطحاوى[٢٥]) فى مختصره : ومن وجب عليه دين بإقرار أو بينه أو بنكول ، حبس به القاضى إذا سأل ذلك خصمه ، ثم سأل عنه ، فإن كان موسراً لم يطلقه حتى يقضيه ، وإن كان معسراً خلى سبيله ، وسواء كان ذلك الدين ، من قرض أو من ثمن مبيع ، أو صداق امرأة ، أو من سوى ذلك .

وإطلاق الدين الذى يحبس المدين للوفاء به ، حسبما جاء فى عبارة الطحاوى فى مختصره هو ما تشير إليه أقوال فقهاء باقى المذاهب ، على نحو ما تقدم فى النقول عن كتبهم ، ما دام الدين قد ثبت فى ذمة المدين بإقراره ، أو ببينة أقامها الدائن ، أو بنكول المدين عن اليمين التى وجهت إليه فى أصل هذا الحق .

قاعدة إثبات يسار المدين أو إعساره :

قال ابن هبيرة فى الإفصاح عن معانى[٢٦] الضحاح : اتفقوا على أن البينة تسمع على الإعسار بعد الحبس ، ثم اختلفوا هل تسمع قبله .؟

فقال الشافعى ومالك وأحمد : تسمع قبله . وقال أبو حنيفة فى ظاهر مذهبه :

(٢٣) فتح القدير والعناية على الهداية جـ ٥ ص ٤٧٢ ط أولى أميرية سنة ١٣١٦ هـ .

(٢٤) ص ١٣٦ من شرح أدب القاضى ط دار النشر والثقافة بالفجالة ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م

(٢٥) ص ٣٣٥ ط دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٣٧٠ هـ .

(٢٦) ص ٢٤٣ جـ ١ آخر باب الحجر على المفلس .

لا تسمع ، إلا بعده ، وروى البزدوى فى شرح المبسوط فى كتاب الكفالة : إن أخبر الحاكم واحد ثقة أنه مفلس قبل الحبس لم يحبسه لأنه لم تثبت جنايته ، والحبس عقوبة لا يستحقها إلا الجانى .

فالحبس لتبين[٢٧] حال المدين ، واستظهار أمر يساره أو إعساره ، جائز باتفاق الفقهاء متى طلب الدائن ، فإذا قال المدين إنه فقير ، فإن أثبت غريمه يساره استمر حبسه ، حتى يؤدى دينه ، وإن لم يثبت يساره ، بل ثبت إعساره خلى سبيله ولم يمنع الدائن من ملازمته .

ويزيد فقه مالك أن المدين[٢٨] إذا ادعى الأعسار ، وأقام الدليل على ذلك ، يحلف أيضاً : أنه لا مال له لا ظاهراً ولا باطناً ، لأن شهادة الشهود ، بالعدم ، هى على نفى العلم ويحلف هو على البت .

وبهذا الذى قال به الفقه المالكى ، قال فقه الإمام[٢٩] أحمد : أن المدين إذا ادعى الإعسار وأقام البينة على ذلك حلف أنه معسر ، وخلى سبيله .

ويمكن أن نستخلص من تلك النقول ، أنه إذا اختلف الدائن والمدين فى يسار هذا الأخير أو إعساره ، جاز حبس المدين الذى ادعى الإعسار ، حتى يثبت عسره ، أو يحضر ضامناً أو رهناً بما عليه من الدين ، وأن للمدين أن يقدم الدليل على إعساره ، وأنه لا يكتفى بهذه البينة منه ، بل يحلف معها على أنه ليس له مال لا ظاهراً ولا باطناً وقد نقل ابن رشد الحفيد المالكى فى كتابه بداية[٣٠] المجتهد فى ختام أحكام التفليس أن فقهاء الأمصار مجمعون على أن المدين إذا ادعى الفلس ، ولم يعلم صدقه ، أنه يحبس حتى يتبين صدقه ، أو يقر له بذلك صاحب الدين فإذا كان ذلك خلى سبيله .

وحكى عن أبى حنيفة : أن لغرمائه أن يدوروا معه حيث دار .

ثم قال :

وإنما صار الكل إلى القول بالحبس فى الديون ، وإن كان لم يأت فى ذلك أثر صحيح ، لأن ذلك أمر ضرورى فى استيفاء الناس حقوقهم بعضهم من بعض ، وهذا دليل على القول بالقياس ، الذى يقتضى المصلحة وهو الذى يسمى بالقياس المرسل .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم : حبس رجلاً فى تهمة . خرجه ـ فيما أحسب ـ أبو داود . هذا ولا يغيبن عن البال أن حبس المدين غير مسقط للدين الذى حبس من أجل الإيفاء به ، وهذا أمر متفق عليه فى فقه المذاهب التى اتخذت الحبس ، وسيلة من وسائل التنفيذ فى الديون[٣١] .

وبعـــد :

فلعل مواجهة فقهاء المسلمين لهذه الطرق

البقيـة صـ ٣٨٣

(٢٧) أدب القاضى للخصاف وشرحه للجصاص ص ١٣٧ .

(٢٨) القوانين الفقهية لابن جزى ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ تحقيق المرحوم عبد العزيز سيد الأهل ط بيروت ١٩٧٤ فى الحكم على المديان .

(٢٩) كتاب العدة شرح العمدة فى أحكام الدين ص ٢٤٠ و٢٤١ ط المطبعة السلفية بالقاهرة تحقيق محب الدين الخطيب .

(٣٠) جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٣١) المراجع السابقة جميعها فى ذات الموضع .

تكلمي يا منارة الأزهر

فكرت كثيراً أن أجعل عنوان هذا المقال « واأزهراه » ثم رددت نفسي ، فهذا نوع من الألفاظ لم يعد أحد يكتب به اليوم . مع أنه لفظ لا يغني عنه غيره . ففى نبراته الاستصراخ وطلب الغوث والافتقاد والحزن واللهفة والمناشدة . ولا تستطيع لفظة واحدة في عربية اليوم أن تموج بكل هذه المعاني . فقد أصبح العالمون بأسرار اللغة قلة نادرة . وأصبحنا نحن الذين نكتب والذين أحببنا لغتنا وأعجبنا بها نرد أنفسنا في كثير من الأحيان إلى ألفاظ ليست هى التي نريد كتابتها . وليست هى التى تعبر عما يجيش بنفوسنا وما يتردد في جوانحنا .

كنت أريد أن أصيح بالأزهر القديم : أين أنت . أين أيام كنت فيها منارة الدين والدنيا جميعاً . لقد طحنك الطاغوت فيما طحن من القيم العليا ومن الخلق الأسنى ومن كل معنى كريم فى حياتنا .

كان الأزهر الشريف منارة الأجيال في العالم أجمع . وحسبك أن كرسى الأزهر المتواضع القابع بجانب أحد أعمدته نشأت عنه كلمة كرسى الأستاذ فى جميع أنحاء العالم وفى كل جامعات المعمورة كم هو جليل وأصيل هذا الكرسى ليس ذا زينة هو ولا هو بصاحب حلى ، ولكنه كان فى تجرده وإخباته شامخاً عالى الذروة رفيع المكان أشبه بالشيخ الزاهد يعطي ولا يأخذ ويهب ولا يستوهب ويغدق ولا يسترفد .

محاه الطاغية وحطم منارة الأزهر ليجعل منه جامعة تشبهها جامعات العالم أجمع .

كان لا يدخل إلى الأزهر إلا من حفظ القرآن الكريم . وكان حفظ القرآن الكريم حصناً للدين أن يعبث به العابثون وحصناً للغة العربية أن يستهين بها الماجن والهازل ومن لا صنعة له .

وها نحن أولاء نجنى الثمار المرة الغضة التي خلفها غياب الأزهر ولم يعد في ساحته الشريفة إلاقلة من العلماء الذين أخذوا عنه في أيام ازدهاره وتفرده .

وخلت منابر المساجد من المشايخ الأجلاء إلاقلة لا تغني وانفرد الجهال بالمنابر وراحوا

يفسرون الدين على هواهم . وينشئون في شريعته السمحة الغراء ما تأباه الشريعة وما ينفر منه الدين كل نفور .

وها هم أولاء بضعة منهم اتخذوا الإرهاب صناعة ويريدون أن يتخذوا الدين - وهو الدين - حجة لإرهابهم وفجورهم وأطماعهم الدنيوية الحقيرة ، جل دين الله أن يبيح لهم ما يمكرون .

وهم أجهل خلق الله بالدين وزعماؤهم يغريهم المال أن يتنكروا للآخرة .. ويميلوا بأطماعهم عن سبيل الرشاد . فهم ينتهزون الفرصة المتاحة من غياب العلماء الأجلاء فيفتكون بعقول شباب غرير ملأوا عقله الخاوي بالجهالة والإجرام وجعلوا منه فئة إرهابية تدمر المجتمع تدميراً ..

وأصرخ بالأزهر الشريف . أو بما بقى من الأزهر الشريف أن يعلن رأيه فى هذا الذي يجرى فى أرض مصر . ولكن الذي بقى من الأزهر الشريف يأبى أن يسمع . وكأننى ماتكلمت أو كأننى لا أكتب هذا الذي أكتبه فى أكبر جريدة ناطقة باللغة العربية في العالم أجمع .

وشيخ الأزهر رجل جليل له مكانته وهيبته . شريف هو حين يتكلم ، له في نفوسنا جميعاً كل توقير وتعظيم . وهو إمامنا ونحن نرضاه لديننا إماما . فما باله لا يقول رأى الدين - وهو الإمام الأكبر - فى هذا الذى يجرى من الإرهاب ، وهذا الذي يحاوله الصبية المخابيل من جعل الدين شعاراً لما يرتكبون من اعتداء على حياة الأبرياء وعلى سلامة مصر وأمن أرضها واطمئنان النفس والمال فى ربوعها .

إنني أقدم بكل الإجلال والإكبار بين يدى إمامنا الأكبر قصة سمعتها عن أحد الأئمة المصابيح .

كان الشيخ سليمان العبد على خلاف مع الإمام محمد عبده ، وكان الخلاف بينهما فى أمور فقهية . وكان الخديوي عباس يضيق كل الضيق بالإمام محمد عبده ، فحين مات أرسل أحد رجال القصر إلى الشيخ سليمان العبد . وكان الشيخ في ذلك اليوم يصارع حمى شديدة الوطأة واستقبل مندوب الخديوي وهو في فراش مرضه وقال مندوب الملك :

ـ إن مولانا الخديوي أرسلني لأسأل عن صحتك .

وتعجب الشيخ سليمان وقال :

ـ شكر الله له .

وصمت المندوب بعض الحين ثم قال :

ـ أخيراً مات الزنديق .

ـ أى زنديق تقصد ؟

ـ الشيخ محمد عبده .

وانتفض الشيخ جالساً كالأسد :

ـ كيف تجرؤ أن تقول هذا عن شيخ عالم جليل ؟

وتخاذل المندوب وقال :

ـ لا أعتذر إليك ولكن مولانا قد أرسلني لأرجوك ألا تسير في جنازته ..

ونزل الشيخ سليمان من فراشه وهو يقول :

ـ الآن وضح الأمر فكم مرضت قبل اليوم فما عادنى من القصر عائد ولاسأل الخديوي عن مرضى . فهو اليوم يرسلك لتمنعنى أن أسير في جنازة الشيخ الإمام لا للسؤال عن صحتى . إنى مريض كما ترى ولم أكن أنوى أن أشيع جنازة الشيخ ، أما وقد جئت بهذا الأمر الخديوي فإني ذاهب .

وقال المندوب فى استحياء :

ـ ألم تكن تعارضه يا مولانا ؟

وزأر الشيخ :

ـ وماذا تفهم أنت فى شأن الفقه الذي أناقش فيه الشيخ محمد عبده وماذا يفهم الخديوي ومن سمح له أو لك أن تتكلما فى شئون الدين والفقه والشريعة الإسلامية وأنتم أجهل الناس بها .

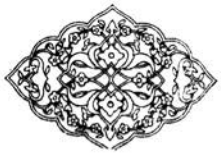
وصاح الشيخ بخادمه :

ـ جهز البغلة يابني ..

وعلى مشهد من مندوب الخديوي نزل الشيخ سليمان العبد إلى بغلته وركبها وهو لا يكاد يقيم جسمه عليها . ولم يكتف بذلك وإنما مر بجميع المشايخ الذين يعرفهم يلح عليهم أن يصحبوه ليشيعوا جنازة الإمام محمد عبده وكان الشيخ سليمان العبد يسكن فى الحلمية بجوار السيدة زينب وكانت جنازة الشيخ محمد عبده فى عين شمس قريباً من مصر الجديدة اليوم .

بين يدى مولانا الإمام الأكبر أضع هذه القصة وأقدمها أيضاً إلى كل المشايخ الأجلاء الذين يعرفون عظمة الأزهر وسموقه ، أضعها بين أيديهم ثم أنحني إجلالاً . ثم أصمت ..

ثروت أباظة



رد الأمل الأكبر

السيد الأستاذ الأديب الكبير :
(ثروت أباظة)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعـــد :

فقد طالعت كلمتك ـ « تكلمي يا منارة الأزهر » ـ في (الأهرام) الأحد ١٣ من شهر المحرم ١٤٠٨ هـ ٦ من سبتمبر ١٩٨٧ وفيها ـ وبأسلوب الدر المنثور ـ تناجى الأزهر الشريف في ماضيه الحافل بكل جليل من العمل والأمل : « يعطى ولا يأخذ ، ويهب ولا يستوهب . ويغدق ولا يسترفد » وتستصرخ فيه أن يستعيد شبابه ويجدد إهابه ، ويصطفى النجباء ، ويتحصن بكتاب الله ، وهو بهذا مازال : (كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) ..

وليس يغيب عن فطنة الأديب الكبير أن كل مخلوق ترتاده العلل ، وتحل به أوبرحابه عاديات الزمن ، حتى إذا ما صمد لما نزل ، وانقشعت السحب التي قد تحجب ضوء الشمس وتخفي وجه القمر ، كانت العبرة بالحقيقة والجوهر ، إذ لابد للسحب أن ينقشع قتامها ، وللشمس أن ترسل نورها ، وللقمر أن يبدى رواءه وضياءه ، فضلاً من الله ونعمة .

وهذا هو الأزهر الشريف .. يخطو في الألف الثانية من حياته المزدهرة المديدة إن شاء الله .. يستلهم ماضيه المشرف ويتسامى إلى حاضر زاهر ، ومستقبل أرحب ينتشر بعلمائه وطلابه في طول مصر وعرضها ، قراها ومدنها .. ينادون هذا الشعب الوفي العريق أن (حي على الفلاح) يذكرونه بريادته وقيادته لأمته الإسلامية ، ويوفد إلى شعوبها علماءه يحيون بينها ما اندثر من أخلاق وتعاليم الإسلام ويعلمون من أبنائها وبناتها أجيالاً تحمل الرسالة وتؤدي الأمانة .

* الأستاذ الأديب الكبير ..

ما أحسب أنه قد غاب عنك (وأنت الأديب الأريب) أن آلافاً من العلماء الأزهريين ، يقومون بالنصح والإرشاد ، في المجال المتاح لهم : (المساجد) وغيرها ـ مما يباح لهم ارتياده ، أو يتاح من المجتمعات « وهو قليل » وأن أغلالاً قد كبلوا بها وما تزال بقاياها قوانين مهددة نافذة ،

وقد حجبت عنهم الكثير من المواقع التى تفرخ فيها الفتن والأفكار الوافدة أو الموفدة ، وأن ما مرت به البلاد بل وكل الشعوب الإسلامية من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية ، قد أقام في مواجهة مهامهم صعابا وعوائق ، وأن مصطلحات قد دخلت في لغة التخاطب والإعلام بوسائله المتنوعة : تثير ولا تنير ، وأن الغلبة الآن لهؤلاء الذين يقلون عند الفزع ويكثرون عند الطمع .

وعلماء الأزهر ـ بحمد الله ـ ليسوا من هذا الفريق ، بل هم على قدر ما آتاهم الله من فضل وعلم وحكمة ، يواجهون الأزمات بالصبر والروية بالحكمة والموعظة الحسنة .

وإذا كنت بهذا الأدب الفطن تتلمس كلمة الأزهر الشريف فيما وقع في بلادنا في هذه الآونة من إخلال بأمنه وبأمان المواطنين ، فإن كلمة الأزهر فياضة مقدامة غير هيابة في المجال المتاح للعلماء (المساجد) فهم مع الناس أئمة وهداة ، ولكن صوت المسجد قد خفت ، فلم يعد يتجاوز الحضور فيه ، ولقد نصحوا لله وللرسـول ولأئمة المسلمـين وعامتهم ، وأشاروا إلى أصل الداء وإلى الدواء .. ولكن :

ألم يقل الأزهر الشريف بلسان علمائه :

إن تنشئة الشباب فى فراغ من أصول الإسلام وفروعه وآدابه وأخلاقه ؟؟

ألم يقولوا : أعيدوا المساجد إلى المدارس والجامعات وعلموا الطلاب والطالبات فى بيوتهم وفي مدارسهم وجامعاتهم شيئاً من القرآن الكريم وعلومه والسنة وعلومها وما تقوم عليه أمور دينهم وتصلح به دنياهم ...

وبالجملة الثقافة الإسلامية المستنيرة ؟

ولقد قدمت اللجنة العليا الدعوة إلى المسئولين في مجال الثقافة الإسلاميـة بالجامعات والمعاهد العليا مشروعاً كاملاً لم ير النور بعد ، بالإضافة إلى ما قدمت في هذا الشأن ، ونصحت به المجالس القومية المتخصصة

ألم يقولوا : إن الصحافة على اختلاف مستوياتها ونوعياتها واتجاهاتها قد أغفلت أنها أداة تثقيف وتعليم ، وأن من واجبها أن تفسح حيزاً يومياً يقرؤه الصغار والكبار يتناول فيه العلماء والكتاب قضايا الساعة الحادة والجادة ويرشدون فيها الضال ، ويهدون الحائر دون توغل في مسالك النيه الذي تمتلىء به الصحف من تشكيك في العقيدة وتعرض للإسلام بأقبح الفكر وأشده فساداً وضلالاً وإضلالاً ، وما حجبت صحيفة شيئاً من ذلك تقديراً لعقيدة الإسلام وشريعته وحفاظاً على مشاعر الشعب وتدينه ، ثم مِنْ نشر قضايا هتك الأعراض وإذاعة الفضائح والجرائم والسوءات والسيئات حتى شكا أبناؤنا المهاجرون مما ينشر في هذا الصدد وغيره مما يضر ولا يسر .. ومما يسيء إلى سمعة مصر والمصريين بين العالمين ..

وبالمقابل ضنت الصحف إلا بحيز ضئيل كل يوم جمعة لا يكاد يتسع للجديد المفيد من الثقافة الإسلامية التى تواجه حوادث الساعة ، و لا أظن الأستاذ الأديب الكبير

ثروت أباظة يبتغى أن يصرخ العلماء ويصخبوا مع مَنْ تصايحوا لمجرد رفع الصوت بأعلى نبراته ، وعندئذ تضل الأفهام ، وتزل الأقدام بعد ثبوتها ، ما أظنه يبتغى ذلك ، لأن علماء الأزهر لهم ميدانهم الواقعي بين الجماهير ، يثبتون الفزع ، ويؤمنون الخائف ويصلحون ذات البين .

وإذا كان صوت العلماء في المساجد قد احتبس بين جدرانها .. فليس ذلك ذنبهم .. أو قصوراً منهم ، أو أمراً يدعو للإقلال من جهدهم وجهادهم ، وإنما العيب عيب وسائل الإعلام التى تغافلت أو أغفلت هذه الجهود ، وتشاغلت بنشر وإذاعة تفاصيل أحداث تسىء إلى سمعة هذا الشعب بين أمته الإسلامية .

ولقد توقفت بعض الأجهزة عن قيامها بواجباتها المنوطة بها من مثل لجان التوعية في الأقاليم ، وتاهت بين ما تاه فى حياتنا من نظم وقرارات ، وصارت كمياه مواجهة الحرائق التي جفت مواردها ، فهى عنوان دون كيان .. لكن : ليطمئن الأديب الكبير إلى أن الأزهر الشريف قائم بمهامه بالإمكانات المتاحة له .

على أنه ينبغى أن نسمى الأشياء بمسمياتها ، وأن نكف عن نسبة الإرهاب إلى الإسلام ، ولا نسمى هؤلاء المنحرفين بالمتدينين ، أو نقول : إنه تطرف ديني إسلامي ، والصحيح أن نصمهم بأفعالهم كغيرهم من الأشقياء المطاردين كحوادث (خُط المنيا الأخير وعصابته) .. وأن نتروى قبل أن نتهم ، فقد حكم أحد السادة الكتاب بأن العلماء ـ ومنهم كبارهم ـ قتلة بالنوايا وما عاتبه أحد ، ولا عاب عليه أحد ، هذا الحكم الذي سيسأل عنه من الله العدل ، الذى لا تخفى عليه خافية . وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم هل يعلم الأستاذ الأديب الكبير : أن علماء أجلاء من الأزهر يكتبون في قضايا الساعة ، فلا تنشر مقالاتهم !!! وهل يعلم أن كلمة الأزهر الشريف في المناسبات الهامة يشار إليها ملخصة وتضيق بعض الصحف عن نشرها بذاتها ؟

وإذا كانت المدافع هى التي تتحدث فهل يجدى الصراخ ؟

أم يكون الفكر الجاد والمواجهة الحاسمة من الجهات المعنية هو الذي يجب أن يتعاون عليه الجميع ، ويقوم كل من موقعه بما يدخل فى اختصاصه وإمكاناته ..

ثم إنه يجب أن تنشط الهيئات المتخصصة ووسائل الإعلام لتترابط وتتزامل ولا تتناحر ، وتثابر وتبذل الجهود التي تثمر الحق والمعرفة فقد أهملت في حياتنا قنوات تجلب الخير وتزدهر بها البلاد أمنا وأماناً وعدالة .

ولقد قام الأزهر .. ويقوم بواجبه فى المجال الذي مُكِّن منه .. وسيظل بتوفيق الله وعونه أميناً على مهامه واعياً لها .. حريصاً على أمن هذا الشعب وأمانه واستقراره دءوبا على العمل الجاد النافع دون ملل أو كلل يستكمل ما نقص ويحمل طلابه وعلماءه على الاسترشاد بماضيه تمكيناً لحاضره واستعداداً لمستقبل عامر بالعمل والأمل فى نصرة الإسلام ، وإقامة شريعته وحفظ كتابه والحفاظ عليه وإن تغافلت وسائل الإعلام عن

←

جهوده وجهاده فإنه يبتغى وجه الله وصالح الوطن .

* **الأديب الكبير الأستاذ ثروت أباظة :**

إن الإسلام سلم وسلام .. ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى ﴾ .. ولكنه هداية : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .. وسنة لرسول الله ﷺ الذي قال الله فى شأن سلوكه في الدعوة : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .. ووجهه ومن يحملون كتاب الله من بعده إلى الإقناع بالحجة وبالكلمة الطيبة الهادئة الهادفة ذلك قول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ..

وقول الله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ..

ومن ثم فلا ينبغى لمسلم يؤمن بهذا الكتاب وبما جاء به رسول الله ﷺ أن يُفزع الناس ، أو يقدم على العدوان ، وما كان لمسلم بل وما كان لإنسان : أى إنسان يتسم بطبيعة الإنسان الذي استخلفه الله فى أرضه ليعمرها وتزدهر به الحياة أن يفسد فى الأرض ويملأها رعبا ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد .

إنه لا يرضى أحد هذا العدوان على أمن وأمان الوطن ، فمن يفعل هذه الآثام أو يشارك فيها ، أو يعاون فى تدبيرها أو تبريرها معتد على الإسلام ، وخارج على حدود الله ، ومن يؤويه أو يؤازره مشارك فيما ارتكب من آثام وأوزار ، مجاف لأحكام الإسلام الذي كرم الإنسان وحرم العدوان ، وجعل المسلمين للناس إماما ، وأسوة في العدالة والرحمة .

وفى سنة رسول الله ﷺ : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قال رجل .. يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلوماً ، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال :

(تحجزه ـ أوتمنعه ـ من الظلم فإن ذلك نَصْرَهُ) .. وهذا حكم موجه إلى كافة الناس أن يأخذوا على يد الظلمة المفسدين في الأرض .. والله من ورائهم محيط .

* **الأديب الكبير الأستاذ : ثروت أباظة**

لعله قد استبان أن الأزهر فى مكانه ومقامه يجهر بكلمة الله ، ويتفحص الحوادث والوقائع ، ويطب لها وينصح ، وأن منارته تتحدث ـ ولا تزال ـ بأجلى بيان ، داعية إلى الله على بصيرة من كتابه وسنة رسوله ، ترسل النور ضياء هادياً ، لا هديراً صاخباً ، ولا نذيراً مؤيسا أو منفراً ، وإنما علماً نافعاً ، وعملاً مثمراً ، وصبراً ومصابرة ومثابرة ، وطلبا للإجادة والإفادة .

ولكن كما قال القائل :

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد ..

وفقكم الله وأثابكم .. ونفع بكم وبقلمكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

شـــيخ الأزهـــر

(جاد الحق على جاد الحق)

١٥ من المحرم ١٤٠٨ هـ

٨ من سبتمبر ١٩٨٧ م

رجال القراءات

الإمام نافع

فضيلة الشيخ ابراهيم عطوة عوض

قبل أن نمضى - فى هذه السلسلة - أَوَدُّ أنْ أحيط القارىء بأمور لها صلتها الوثيقة بفن القراءات :

فالقراءات : علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم فى - اللغة والإعراب - والحذف والإثبات - والتحريك والإسكان - والفصل والاتصال - ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع .

وفائدة معرفة علم القراءات صيانة القرآن من التحريف والتغيير ، مع مافيه من فوائد كثيرة ، عليها الأحكام تبنى ، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف[1] يقرأ به قارىء « معنى » لا يوجد فى قراءة الآخر ذلك المعنى . فالقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط . ومحجتهم[2] فى الاهتداء إلى سواء الصراط ، مع ما فى ذلك من التسهيل على الأمة ، وإظهار شرفها ، وإعظام أجرها .

من حيث إنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه حتى مقادير « المدّات » إلى غير ذلك .

والقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول . ولا مدخل للقياس فيها ، ولا مجال للرأى . بل كل من عند الله تعالى .

ولقد قرر أهل الأداء ، وأئمة الإقراء ، والأصوليون ، والفقهاء أن جمع[3] القراءات فى محافل الأفراح والأتراح حرام . حيث إن

←

(١) أى من كل قراءة .
(٢) أى طريقهم .
(٣) أى ان يقرأ القارىء بأكثر من قراءة .

ذلك لم يكن على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ وصحابته والتابعين إنما ظهر هذا الجمع فى أثناء المئة الخامسة من الهجرة . عصر الدانى والأهوازى وغيرهما . وإنما جاز الجمع حال التلقى والتعليم فقط . وفعلوا ذلك تيسيراً وتسهيلاً . فواجب العلماء المنع والإنكار على من قرأ بالجمع فى المحافل والإذاعة وإذا أسندت القراءةلأحد الائمة ، كأن قلنا : (قرأ نافع كذا) سميت (قراءة) ، وإذا أسندت إلى من نقل عن الإمام بتلقيه عنه عُدَّت (رواية) ، وإذا أسندت إلى الآخذ عن الراوى سميت (طريقا) .

والوجه المقروء به على نوعين :

وجه رواية مثاله : صلة ميم الجمع مضمومة بواو فى نحو (عليهم وإليهم) قبل متحرك عن (قالون) ، وقبل همز القطع عن (ورش) نحو (عليهم ولا الضالين) و(ءأنذرتهمو أم لم) وهذا الوجه لازم .

ووجه دراية : والقارىء فيه مخير إلا حال التلقى فيجمل الإتيان بذلك . وذلك كالوجوه السبعة فى قوله تعالى : (نستعين) .

الإمام نافع : هو إمام دار الهجرة فى القراءات : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نُعَيم ، يكنى « أبا رُوَيْم » ، أو « أبا الحسن » ، أصله من أصبهان ، وكان أسود اللون حالكاً ، فصيحاً عالماً بالقراءات ووجوهها . وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ، لأن النبى ـ ﷺ ـ تكلم في فيه فى المنام(٤) رواه أحمد بن المصرى عن الشيبانى . قال لى رجل ممن قرأ على نافع : فذكره . وإلى ذلك أشار فى الحرز بقوله :

فأما الكريم السر فى الطيب نافع .

ولكن قال الذهبى : « هذه الحكاية لا تثبت من جهة جهالة راويها »(٥) .

وقال المسيبى(٦) لنافع : ما أصبح وجهك ، وأحسن خلقك !! قال : كيف لا ، وقد صافحنى رسول الله ـ ﷺ ـ وقرأت عليه القرآن ؟!

ويروى مما رأيته فى كامل الهذلى(٧) : أن الرشيد سأله أن يصلى به ـ لما قدم المدينة ـ التراويح . وله بكل ليلة مائة دينار ، فشاور مالكاً ـ رحمة الله عليهما ـ فقال له : إن الله تعالى يعطيك المائة من فضله وأنت إمام . فربما كان يجرى على لسانك شىء ، لأن القرآن معجز ، وأنت محترم . فلا تعاود فى ذلك لاعتماد الناس عليك فتسير به الركاب فتسقط .

وقال الليث بن سعد(٨) قدمت المدينة ونافع إمام الناس فى القراءة ، لا ينازع .

ولما قال نافع : السنة الجهر بـ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . لم يعد مالك أن سلم : وقال : كل علم يسأل عنه أهله ، وكان إمام المسجد النبوى .

(٤) انظر فى هذا الخبر كذلك « النشر » ١/١١٢ حيث رواه ابن الجزرى على لسان نافع نفسه .

(٥) الأصل : رواية .

(٦) المسيبى : إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن المسيب ، بن أبى السائب المخزومى .

(٧) مخطوط بخزانة الأزهر ـ قراءات .

(٨) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث ، إمام أهل مصر فى عصره حديثا وفقها ـ وأصله خراسانى ، ومولده فى قلشنده ، ووفاته فى القاهرة ، وكان من الكرماء الأجواد ، (٩٤ ـ ١٧٥هـ) ـ (الأعلام ٦/١١٥) .

وعن الإمام مالك : قراءة نافع سنة . ومثله للشافعى ، وابن وهب[٩] ، وزاد : فكيف برجل قرأ عليه مالك ؟! .

ولد نافع سنة سبعين ، وتوفى سنة تسع وستين ومائة ، فى أواخر أيام المهدى . وقُدِّمَ ـ فى الأداء ـ عند جماعة : كالدانى فى التيسير » ، والشاطبى فى « الحرز » ، وكابن مجاهد فى كتاب السبعة[١٠] لشرفه ، وقيل لشرف محله[١١] ، وهذا إنما يتمشى على القول بتفضيل المدينة ، وإلا فابن كثير المكى أولى بالتقديم ، على القول بتفضيل مكة عليها ، وبه بدأ أبو العز[١٢] .

قال :

ومسألة التفضيل بين المحلين معروفة مشهورة ، فالله تعالى ـ بوجاهة وجهه الكريم ، وبنبيه العظيم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، يمن علينا بالعود إليهما ، على أحسن حال .

رجال نافع الذين تلقى منهم القراءات المتصلة أسانيدهم برسول الله ﷺ

قرأ نافع [١٣] ـ رضى الله عنه ـ على سبعين من التابعين يعتبر كل منهم أستاذاً له ـ منهم :

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ومسلم بن جندب ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وصالح بن خوات ، وشيبة بن نصاح ، ويزيد بن رومان .

وقرأ أبو جعفر والأعرج على عبد الله بن عباس ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى .

وقرأ مسلم ، وشيبة ، وابن رومان على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة أيضاً .

وسمع شيبة القراءة على ابن عمر بن الخطاب .

وقرأ صالح على أبى هريرة .

وقرأ الزهرى على سعيد بن المسيب .

وقرأ سعيد على ابن عباس وأبى هريرة .

وقرأ ابن عباس ، وأبو هريرة ، وابن عياش على أبىّ بن كعب .

وقرأ ابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت .

وقرأ أبىّ ، وزيد ، وعُمَرُ ـ رضى الله عنهم ـ على رسول الله ـ ﷺ ـ .

من رواة نافع

من المعلوم أن لأئمة القراءات رواة كثيرين . اختير منهم لكل إمام راويان ـ فمن رواة نافع :

١ ـ أبو موسى عيسى قالون بن مينا المدنى النحوى الزرقى ، مولى الزهريين . وكان أصم يلقم أذنه فم القارىء ، وقيل إنه كان لا يسمع البوق . وإذا قرىء عليه القرآن يسمعه .

←

(٩) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى بالولاء ، المصرى أبو محمد فقيه الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك . جمع بين الفقه والحديث . وله كتب كان حافظا ثقة مجتهداً . مولده ووفاته بمصر (١٢٥ ـ ١٩٧هـ) ، (الأعلام ٤/٢٨٩) .

(١٠) كتاب السبعة تحقيق د . شوقى ضيف . ط المعارف .

(١١) يريد : موضع إقامته وسكناه ، وهو المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(١٢) يريد : أبا العز القلانسى ، صاحب الإرشاد والكفاية ، الذى جعل ابن كثير أول القراء .

(١٣) راجع للإمام الدانى ـ التيسير فى القراءات السبع . ط اسطنبول لجمعية المستشرقين الالمانية ص ٥ وللإمام ابن الجزرى ـ النشر فى القراءات العشر . ط دمشق .

واختص بنافع كثيراً حتى قيل : إنه ربيبه . وهو الذى لقبه (بقالون) لجودة قراءته ، وهى لغة الروم .

قال الجعبرى : وخاطبه بالرومى لأنه من سبى الروم .

وكان « قالون » قارىء المدينة ونحويها ، ومولده سنة عشرين ومائة ، وتوفى سنة خمس ومائتين فيما ذكره الجعبرى . وقال الذهبى : سنة عشرين ومائتين ، عن نيف وثمانين سنة . وقد غلط من زعم أنه مات سنة خمس ومائتين .

والثانى من رواة نافع : أبو سعيد عثمان المشهور بالمصرى القبطى . الملقب بـ(ورش) ، لقبه به نافع أيضاً لشدة بياضه ، وقيل لحسن قراءته . وكان ورش أشقر ، أزرق العينين ، سمينا ، مربوعا ، رحل إلى المدينة فقرأ على نافع أربع خَتْمات[١٤] فى شهر واحد . سنة خمس وخمسين ومائة ، ورجع إلى مصر فانفرد برياسة الإقراء ، مع براعته فى العربية والتجويد مع حسن الصوت ، وجودة القراءة ، بحيث لا يمله سامعه . حتى قيل : إنه كان إذا قرأ على نافع أغشى على كثير من الجلساء .

وولد بمصر سنة إحدى عشرة ومائة ، وهذا هو القول المقدم ، قاله الأهوازى . وقيل عشرون ، وقيل سنة عشر . وتوفى بها سنة سبع وتسعين ومائة .

. طرق قالون

فأما قالون فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى جعفر محمد بن هارون ، الربعى ، البغدادى ، المعروف بأبى نشيط . وكان ثقة ضابطاً محققاً ، وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين .

الثانية : طريق أبى الحسن أحمد بن يزيد الحلوانى ، وكان إماما فى القراءات ، ضابطاً متقنا ، ثقة . وتوفى سنة خمسين ومائتين .

فأما أبو نشيط فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى الحسين أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان[١٥] البغدادي القطانى الحربى . وكان ثقة كبيراً ، ضابطاً . ولد سنة ستين ومائتين . وتوفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

وثانيتهما : طريق أبى الحسن على بن سعيد بن الحسن بن ذؤابة ، البغدادى القزاز . وكان مقرئا ثقة ، متقنا ، محققا ، ضابطاً ، وتوفى قبيل الأربعين وثلاثمائة .

وأما الحلوانى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى الحسن ابن العباس بن أبى مهران . الْجَمَّال ـ بالجيم ـ وكان ثقة ، مقرئاً حاذقاً ، وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين .

وثانيتهما : طريق جعفر بن محمد بن الهيثم ، البغدادى . وكان ثقة ، محققا ، ضابطا ، متقنا ، وتوفى ، فى حدود سنة أربعين ومائتين .

وأما ابن بُويان فمن سبع طرق :

الأولى : طريق إبراهيم بن عمر عنه ، من طريق « الشاطبية » كالتيسير .

(١٤) اسم المرة من ختم : ختمة .

(١٥) بضم الموحدة ، وواو ساكنة ، وياء آخر الحروف .

الثانية : طريق الحسن بن محمد بن الحباب عنه ، من طريق « الهداية » و« الكافى » .

الثالثة : طريق أبى بكر أحمد بن نصر بن مهران عنه ، من « الغاية » له . [أى لابن مهران] و« الكامل » للهذلى .

الرابعة : طريق أبى الحسن على بن العلاف عنه ، من « المستنير » لابن سوار .

الخامسة : طريق إبراهيم الطبرى عنه . من « المستنير » من طريقين .

السادسة : طريق أبى بكر الشذائى[١٦] ، مقرىء البصرة عنه ، من طريقى : الخيازى ، من « الكامل » ، والكارزينى من ثلاث طرق : من « تلخيص أبى معشر » ، ومن « مبهج سبط الخياط » ، ومن طريق أبى الكرم .

فهذه أربع طرق للشذائى .

السابعة : طريق أبى أحمد الفرضى عنه ، من سبع طرق ..

ومنها أيضاً ابن هاشم من « الكامل » ... الخ .

فجملة الطرق عن قالون . تسع وأربعون طريقاً . ذكرها جميعها ، وبين سِنِى حياة ووفاة رجالها . الإمام شهاب الدين أبو العباس القسطلانى فى كتابه (لطائف الإشارات)[١٧] .

طرق ورش

وأما ورش فمن طريقين أيضاً :

الأولى : طريق أبى يعقوب يوسف بن عمر بن يسار المدنى . ثم المصرى المعروف بالأزرق وهو الذى خلف « ورشا » فى القراءة والإقراء بمصر . ولازمه مدة طويلة ، حتى قرأ عليه عشرين ختمة . وتوفى فى حدود سنة تسعين ومائتين .

والثانية : طريق أبى بكر محمد بن عبد الرحيم بن شبيب بن يزيد بن خالد الأصبهانى ، وكان إماما فى رواية ورش ، ضابطا لها ، مع الثقة والعدالة . وهو أول من أدخل قراءة ورش العراق ـ وأخذها أهل العراق عنه ، حتى صاروا لا يعرفون رواية ورش إلا من طريقه . ولذا نسبت إليه دون أحد من شيوخه . فإنه قرأ على أصحاب ورش وأصحاب أصحابه . وتوفى الأصبهانى سنة ست وتسعين ومائتين ببغداد .

فأما الأزرق فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى الحسن إسماعيل بن عبد الله بن عمر النحاس المصرى ، وكان شيخ مصر فى رواية ورش . ضابطا ، محققاً ، ثقة . وتوفى فيما قاله الذهبى ، سنة بضع وثمانين ومائتين[١٨] .

وثانيتهما : طريق أبى بكر عبد الله بن مالك بن عبد الله بن يوسف بن سيف التجيبى المصرى عنه . وكان إماما فى القراءة ثقة انتهت إليه مشيخة الإقراء بمصر بعد الأزرق . وعَمَّر زمانا . وتوفى يوم الجمعة ، سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة بمصر .

وأما الأصبهانى فمن طريقين أيضا :

إحداهما : طريق أبى القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم البغدادى ، وكان ضابطا مشهوراً .

(١٦) بفتح الشين والذال المخففة .

(١٧) مخطوط رقم ١٣٠٩ مكتبة الظاهرية بدمشق .

(١٨) عن الذهبى ـ معرفة القراء الكبار .

قال الذهبى : أحد من عنى بالقراءات وتبحر فيها ، وتصدر الإقراء دهرا . وتوفى قبيل الخمسين وثلاثمائة .

وثانيتهما : طريق المُطوعى : الحسن بن سعيد عنه ، عن أصحابه عنه ، وهو السابق فى قراءة الأعمش .

فأما النحاس عن الأزرق ، فمن ثمانى طرق عنه .

الأولى : طريق أحمد بن أسامة عنه من طريقين : « الشاطبية » و« التيسير » .

الثانية : طريق الخياط عنه ، قرأ بها الشاطبى على النَّفْزِى .

الثالثة : طريق أبى بكر أحمد بن محمد بن أبى الرجاء المصرى . قرأ بها الدانى على خلف بن إبراهيم عنه .

الرابعة : طريق أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال عنه . من ثلاث طرق :

أولاها : طريق أبى غانم المظفر بن أحمد بن حمدان من ثلاث طرق من « الهداية » للمهدى ، ومن كتاب « المجتبى » للطرسوسى ، ومن كتاب « الكامل » للهذلى .

وثانيتها : طريق أبى حفص عمر بن محمد بن عراك ، عن ابن هلال أيضاً من « الكامل » أيضاً .

وثالثتها : طريق الشعرانى عن ابن هلال من « الكامل » أيضاً .

الخامسة : طريق الخولانى عنه ، أى عن النحاس من أربع طرق :

طريق الدانى ، قرأ بها عَلَى أبى الفتح ، ومن « كتاب التجريد » لابن الفحام . « وتلخيص العبارات » لابن بَلِّيمَةَ ، ومن « الكامل » للهذلى .

السادسة : عن النحاس : طريق أبى نصر الموصلى ، من طريقى أبى معشر ، والكامل للهذلى .

السابعة عنه : طريق أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الأهناسى من طريقين من « الكامل » .

الثامنة عنه : طريق ابن شنيون ، من طريقين . من « الكامل » فتحصل للنحاس تسع عشرة طريقاً . الخ ..

وقرأ قالون وورش على إمام المدينة نافع بن عبد الرحمن فهذه مائة وأربع وأربعون طريقاً عن نافع . ذكرناها مختصرة . فمن أرادها فعليه بأمهات كتب التراجم .

هذا وقد أثنى عليه أكابر العلماء ثناء عظيماً .

فقال سعيد بن منصور سمعت مالكا يقول : قراءة أهل المدينة سنة . قيل له : قراءة نافع . قال : نعم .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى : أى القراءة أحب إليك ؟ قال قراءة أهل المدينة . فإن لم يكن فقراءة عاصم .

وقال مالك : نافع إمام الناس فى القراءة .

وروى أبو خليد الدمشقى ـ واسمه عتبة ـ عن الليث بن سعد أنه أَمَّ المدينة سنة عشر ، فوجد نافعاً إمام الناس فى القراءة لا ينازع .

قال الأصمعى : عن فلان قال : أدركت المدينة سنة مئة ونافع رئيس فى القراءة .

قال الأصمعى : قال لى نافع أصلى من أصبهان .

وقال اسحاق المسيبى : قال نافع : قرأت على هؤلاء ، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته . وما شذ فيه واحد تركته حتى ألفت هذه القراءة .

وقال الأصمعى : سألت نافعاً عن « الذئب » و « البئر » فقال : إن كانت العرب تهمزها فاهمزها .

وروى الحلوانى عن قالون : أن نافعاً كان لا يهمز همزاً شديداً ، ويمد ويحقق القراءة ولا يشدد . ويقرب بين المدود وغير المدود .

وقال عبيد بن ميمون التبان : قال لى هارون بن المسيب : قراءة من تُقْرِئُ ؟ قلت : قراءة نافع ، قال : فعلى من قرأ نافع ؟ قال : على الأعرج ، وقال الأعرج : قرأت على أبى هريرة - رضى الله عنه .

وروى أن نافعا كان صاحب دعابة وطيب أخلاق وَثَّقَهُ يحيى بن معين ، ولينه أحمد بن حنبل ، قال النسائى : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم : صدوق[١٩] .

روى محمد بن إسحاق عن أبيه قال : لما حضرت نافعاً الوفاة ، قال له أبناؤه : أوصنا قال : (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) .

ومات سنة تسع وستين ومئة . رحمه الله تعالى .

إبراهيم عطوه عوض

غرة صفر ١٤٠٨ هـ
١٩٨٧/٩/٢٤ م

مصادر البحث

١ ــ الإمام الشاطبى - ت ٥٩١ هـ - حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع .

٢ ــ الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى - ت ٤٤٤ هـ - كتاب التيسير فى القراءات السبع لجمعية المستشرقين الألمانية . طبع اسطنبول سنة ١٩٣٠ م .

٣ ــ الإمام مكى بن أبى طالب القيروانى - ت ٤٣٧ هـ - الإبانة عن معانى القراءات . الكشف عن وجوه القراءات وعللها . ج ١و٢ ط - دمشق .

٤ ــ أبو شامة - ت ٦٦٥ هـ . إبراز المعانى .

٥ ــ الجعبرى - ت ٧٣٢ هـ . كنز المعانى - مخطوط .

٦ ــ الإمام شمس الدين الذهبى - ت ٧٤٨ هـ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - ط - مؤسسة الرسالة ببيروت .

٧ ــ الإمام شمس الدين بن الجزرى - ت ٨٣٣ هـ - « النشر فى القراءات العشر » غاية النهاية فى طبقات القراء - جـ ٢ - وتقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - تحقيق الشيخ - إبراهيم عطوه عوض ، وتحبير التيسير منجد المقرئين وارشاد الطالبين لابن الجزرى .

٨ ــ الإمام شهاب الدين القسطلانى - لطائف الإشارات - مخطوط بمكتبة الظاهرية - بدمشق .

(١٩) هذه الأحكام ليست فى القراءة ، ولكنها تتعلق بروايته فى « الحديث ».

مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم

حدث كبير في تاريخ البشرية

لا جدال في أن ميلاد رسول الله محمد ﷺ كان أكبر حدث في تاريخ البشرية وأشهر حركة للإصلاح الاجتماعي أذنت بفجر جديد أشرقت أنواره على الإنسانية فكشفت عنها ضلالات الجهل وظلمات الوثنية وحررت القلوب والعقول من قيود الخرافات والأوهام .

كيف كان العالم قبل ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول العلامة « جول لابوم » كان العالم قبل مولد هذا النبي ﷺ مملوءاً بالاضطرابات والفتن والقلاقل ففي انكلترا كان الأنجلو ينازعون السكسون ، وفي فرنسا كان أولاد « كلوفيس » أول ملك على فرنسا متخاصمين متحاربين ، أما في إيطاليا فكان اسم الرومان قد فقد هيبته وكانت روما وهي رأس ذلك التمثال المتهشم تترنح وتضطرب كلما ألمت بها طائفة من ذكريات عظمتها الراحلة أما في أفريقيا فكان اليونانيون والرومانيون وهم أخلاط من عساكر وتجار وحكام دائبين على امتصاص دم « مصر » ساعين في جعلها كالجثة الهامدة لا جس فيها ولا حركة[1] .

ويقول « ج . هـ . رنيسون » صاحب كتاب « العواطف كأساس للحضارة » : إن النظم التي خلفتها المسيحية كانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلاً من الاتحاد والنظام ، وكانت الحضارة كشجرة ضخمة متفرقة امتد ظلها إلى العالم كله ولكنها كانت واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى الباب وفي غمرات هذا الفساد ولد الرجل الذي وحد العالم جميعاً[2] ﷺ .

ويقول المستشرق الأمريكي « ادوارد دروس » عن تلك الفترة الجاهلية « كانت الأديان السماوية التي جاء بها موسى وعيسى

(١) من مقال جذور الفكر الاجتماعي في الوجود الإسلامي للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري بمجلة منار الإسلام ربيع الأول سنة ١٤٠٧ هـ

(٢) يقصد بذلك الرجل النبي محمد ﷺ .

وغيرهما من الأنبياء قد فقدت نقاءها وفضيلتها الأصلية لما عبثت بها أيدى العابثين فحرفوا ولوثوا معتقداتهم بخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان حتى أصبح الناس بهذا لا يفرقون بين الفضيلة والرذيلة وبين الحق والباطل[٣] .

ولم يكن الحال ببلاد العرب خيرا منه فى أنحاء العالم فكانت البشرية فى أمس الحاجة إلى دعوة إلهية جديدة تتمثل فى أهدافها كرامة الإنسان وتعيد إليه صوابه وتتيح له حياة يصوغ فيها فكره وحضارته .

ميلاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم كان بشارة بهذه الدعوة الإلهية الجديدة

ففى فجر الاثنين من الأسبوع الثانى لشهر ربيع الأول من عام الفيل الموافق أبريل سنة ٥٧١ م ولد رسول الله ﷺ من أبوين قرشيين فى الذروة من الجاه والنسب والشرف فأبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان عبد المطلب سيد قريش وشيخها ويرتفع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأمه السيدة آمنة بنت وهب ابنة سيد بنى زهرة شرفا ومجداً وقد حدثت فيما يروى عنها قالت : « أتيت حين حملت به فقيل لى إنك حملت بسيد هذه الأمة » وأمرت بأن تعيذه عند ولادته وأن تسميه محمداً وذكر صاحب كتاب نهاية الأرب فى روايته أن هذا الآتى أمرها أن تعيذه بالواحد من شر كل حاسد[٤] .

وفى رواية أخرى أن عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ هو الذى سماه محمداً لرؤيا كان قد رآها فى منامه وكانت : كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ولها طرف فى السماء وطرف فى الأرض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمداً[٥] .

اصطفاء الله للنبى صلى الله عليه وسلم

روى جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أتانى جبريل فقال : يامحمد

←

(٣) من مقال صاحب الخلق العظيم للشيخ محمد حافظ سليمان ـ منبر الإسلام ربيع الأول سنة ١٤٠٧ هـ .
(٤) أنظر للنويرى ـ نهاية الأرب ـ ط دار الكتب ١٣٧٤ ، ولابن هشام السيرة النبوية جزء أول ط الكليات الأزهرية .
(٥) أنظر لأبي القاسم السهيلي ـ الروض الأنف ط الجمالية ١٣٣٢ هـ

إن الله بعثنى فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبالها فلم أجد حياً خيراً من مضر ، ثم أمرنى فطفت فى مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة ، ثم طفت فى كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش ثم أمرنى فطفت فى قريش فلم أجد حياً خيراً من بنى هاشم ثم أمرنى أن أختار من أنفسهم فلم أجد نفساً خيراً من نفسك[٦] .

وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم »[٧] .

أهل الكتاب كانوا على حظ من العلم عنه صلى الله عليه وسلم وعن وقت ميلاده

حدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بها تجارات فلما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ قال فى مجلس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه قال : انظروا يامعشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ، ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة هو أحمد وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا فى منازلهم ذكروه لأهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسمى محمداً ، فأتوا اليهودى فى منزله فقالوا : علمت أنه ولد فينا غلام . فقال : أبعد خبرى أم قبله ؟ فقالوا : قبله واسمه محمد ، قال فاذهبوا بنا إليه فخرجوا حتى أوفوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة فى ظهره فغشى على اليهودى ثم أفاق ، فقالوا : مالك ويلك ، فقال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يامعشر قريش ، أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب[٨] .

ونقل النويرى فى كتابه نهاية الأرب فى فنون الأدب فى السفر السادس عشر ما ذكره الصحابى الجليل شاعر الرسول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه قال : إنى لغلام يفع ابن سبع سنين أو ثمانى سنين أعقل كل ما سمعت وإذا بيهودى من يثرب يصرخ ذات غداة : يامعشر اليهود ، فلما اجتمعوا قالوا مالك ويلك ؟ قال : وقد طلع نجم أحمد الذى يولد به هذه الليلة ، وفى رواية أخرى قال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد[٩] انتهى كلامه .

(٦) رواه الحكيم الترمذي .

(٧) رواه مسلم والترمذى هكذا ورد بكتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول المجلد الثالث تأليف الشيخ منصور على ناصف دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

(٨) كتاب فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين لكاتب هذا المقال نقلاً عن سيرة ابن كثير - رضى الله عنه -

(٩) كتاب السيرة النبوية لابن هشام السابق الإشارة إليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ﷺ عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة فلما ولد رسول الله ﷺ قالت : أحبار يهود ولد « أحمد » الليلة هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبأ قالوا تنبأ أحمد قد طلع الكوكب ، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به فما منعهم إلا الحسد والبغى(١٠) .

وهذه إرهاصات تعطى فى مجملها صورة عما ماج فى الجزيرة من أخبار عن النبى المرتقب صلوات الله وسلامه عليه وفى هذا المعنى قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(١١) وقال جل وعلا : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١٢) .

أحمد اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم

نطق به الكتاب العزيز : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(١٣) ورد فى صحيح السنة قال رسول الله ﷺ : « لى خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب »(١٤) بمعنى أنه لا نبى بعده .

تكليفه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله

إذا كانت أقدار النفوس لا يعلمها إلا بارئها إلا أن العرب فى جاهليتهم كانوا يرمقون رسول الله ﷺ قبل البعثة بالإكبار والإجلال ويحترمون فى سيرته شارات الرجولة الكاملة إلا أنهم لم يتخيلوا قط أن مستقبل الحياة على هذه الأرض قد ارتبط بمستقبله وأن الحكمة وكلمات الوحى ستتفجر من فمه الطهور وقد كان ، ففى سن الأربعين فَجَأَةُ الوحى وكلف من قبل السماء بدعوة الناس إلى الإسلام دين الله تعالى قال جل وعلا : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٥) وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلاَمُ ﴾(١٦) ومكث الوحى ينزل عليه ثلاثا وعشرين سنة ، وفى نزول القرآن على هذه الوتيرة مقصود للشارع الحكيم فإن الزمن جزء من علاج النفوس

←

(١٠) كتاب هداية الحيارى للامام ابن القيم طبعة دبى سنة ١٤٠٧ ـ ١٩٧٨ م

(١١) سورة البقرة ١٠١ .

(١٢) سورة البقرة ١٤٦ .

(١٣) سورة الصف ٦ .

(١٤) رواه البخارى ـ الجزء الرابع دار الشعب سنة ١٣٧٨ هـ وكذلك رواه مسلم في كتاب الفضائل دار الشعب سنة ١٣٩٣ هـ ـ سنة ١٩٧٣ م .

(١٥) سورة الأعراف ١٥٨ .

(١٦) سورة آل عمران ١٩ .

وسياسة الأمم وتقرير الأحكام ، وفى هذه الفترة مارس الدعوة إلى الله دون كلل أو ملل وصمد أمام طواغيت الشرك والطغيان فاضطهدوه هو ومن آمن معه حتى وصل الأمر بهم إلى أن خططوا لقتله ، قضاء على دعوته فأذن الله له فى ترك مكة والهجرة منها إلى المدينة حيث وجد فيها هو وأصحابه الأنصار والأتباع ، الطمأنينة والاستقرار فحارب بهم كل من يقف أمام الدعوة إلى الإسلام ومن صد عنها من صناديد الشرك وعبدة الأوثان وقضى على مؤامرات اليهود المجاورين للمدينة وأجلاهم عنها ثم تم له النصر بفتح مكة واستسلم سادتها وأتباعها وطهر الكعبة مما كان فيها من أصنام كانت قريش تعبدها وتقدسها من دون الله فأمر بتحطيمها ، وعندئذ علت فى جنبات مكة دعوة التوحيد « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله » وبايعه الناس فيها على الإسلام وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله .

وبشيوع هذه الأنباء فى أرجاء الجزيرة العربية انطلقت أفواج الوافدين صوب المدينة تبايع الرسول ﷺ على أن تخلع رداء الجاهلية وتدخل فى دين الإسلام قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ.وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً.فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا ﴾[17] .

وفاته صلى الله عليه وسلم

ولم يمض إلا قليل بعد حجة الوداع التى بين فيها رسول الله ﷺ شعائر الحج فى الإسلام حتى قضى ولقى ربه راضيا مرضيا بعد أن بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ونصح الأمة فى أن تسلك من بعده النهج القويم فيعضوا بالنواجذ على كتاب الله وسنة رسوله فقال : (إن الشيطان قد يئس أن يُعبَدَ بأرضكم ولكن رَضِيَ أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه[18] وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة[19] .

صحابة الرسول يستأنفون مسيرة الدعوة بعده

بعد وفاة رسول الله ﷺ حمل لواء الدعوة إلى الإسلام أصحابه الكرام البررة وقد علموا

(١٧) سورة النصر .
(١٨) الحديث رواه الحاكم ومالك فى الموطأ .
(١٩) كتاب سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد الطيب النجار .

أن الإسلام نشأ عزيزا لا يقبل الذل ، زاحفا لا يقبل الردة وإذ كانوا عظماء بعظمة الإسلام ، أجلاء بجلال الإيمان مضوا ينشرون التوحيد بين العالمين ، ويقيمون العدل فى الأرض ، ويحاربون الأوهام والعوج فأقاموا للإسلام دولة كبرى ذات حكومة مهيبة تُعَدُّ الأولى فى ذلك الزمان قال الله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢٠)

وبعد

فإن الإسلام الذى نادى به رسول الله ﷺ حق ناطق يجادل عن نفسه ويستعلن بما فيه ويرفض أن يتوارى أو يصمت وهو كامن فى كتابه الكريم وسنة نبيه دون تغيير أو تحريف أو تبديل ولن يضير هذا الحق محاولات معنتة من أعدائه تخطط للقضاء عليه ، حاولها - ولا يزال يحاولها - أعداء الحق من خصومه التقليديين وأتباعهم من ذوى نعمتهم ورقيق ثقافتهم ، ولن يفلحوا .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٢١) .

محمد عزت الطهطاوى



(٢٩) سورة الفتح .

(٢١) سورة التوبة ٣٢ .

القدوة العليا

كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم

صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته فى الكرم والعطاء

لقد بعث الله النبى - ﷺ - رحمة للعالمين ، وجعله قدوة عليا لأمته ، يهتدون بهديه ، ويمشون على نهجه ، ويستنون بسنته ، امتثالا لأمر الحق جل وعلا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ - الأحزاب ٢١ -

وحين امتدح الله نبيه - ﷺ - لم يمتدحه بعلو النسب أو عظم الجاه أو غير ذلك مما جرت عادة الناس أن يمتدحوا به ، ولكن امتدحه بحسن الخلق ، فقال له مزكيا - وما أعظمها من تزكية - ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - القلم ٤ - وأخبر النبى - ﷺ - عن ذلك - فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه - « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » - جمع الجوامع حديث رقم ٣١٤٠ -

والنبى - ﷺ - كان قمة شماء فى كل خلق نبيل ، وحسبنا أن نقدم هنا صورا من حياته وتوجيهاته فى صفة من اعظم الصفات التى تجمع شمل الأمة ، وتقوى الروابط بينها ، وتقيم دعائم المجتمع على هدى ونور وحب ، وهى صفة الكرم التى توشك أن يفقدها الناس ، بعد أن زحفت المادة بثقلها ، وران زيفها على القلوب فاعماها ، فلم تعد تدرك فى دنياها إلا الحرص الزائد والأنانية البغيضة ، والأثرة والاستغلال واقتناص المغانم من اى مكان وباية وسيلة ، وضاع فى طريق ذلك كثير من المبادىء والقيم التى شيدها الإسلام ودعا إليها رسوله الكريم ..

كان النبى - ﷺ - كريما مضيافا ، وكان فى كرمه كالريح المرسلة لا يقف دون جودها شىء ، وكان يحض على إكرام الضيف ، وكان هو قدوة طيبة فى ذلك ، واعتبر إكرام الضيف من علامات الإيمان فقال فى الحديث

المشهور : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[1] .

ولا يقف كرمه عند حد إكرام الضيف ، ولكنه كان يدعو إلى العطاء ومحاربة شح النفس ما وسعه إلى ذلك سبيل .

ونتصفح معا كتاب « أسد الغابة » لابن الأثير ، وهو من أعظم كتب تراجم الصحابة الأجلاء الذين عايشوا النبى ـ ﷺ ـ وعرفوا أخلاقه عن قرب ، وانتفعوا بتوجيهاته الكريمة وإرشاداته الحكيمة ، لنقرأ بعض هذه الشواهد .

روى ابن الأثير فى ترجمة خالد بن صخر قال : ركب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى قباء ، إلى بنى عمرو بن عوف ، وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى ويُدعى فيجيب ، فرأى شيئاً من حِصَنَةٍ الأموال ولم يكن رآه فيما مضى . فقال : لا عليكم إذا نزلتم لعيدكم ـ يعنى الجمعة ـ أن تثبتوا حتى أكلمكم . فلما صلى رسول الله ـ ﷺ ـ الجمعة صلى فى مقامه ذلك ركعتين ، ثم لم ير مصليا لهما قبل ولا بعد ، وتواثبت الأنصار من نواحى المسجد حتى أحدقوا بالمنبر . فخطب رسول الله ـ ﷺ ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، يامعشر الأنصار كنتم إذ ذاك تحملون الكَلّ وتكفلون اليتيم وتصنعون المعروف حتى إذا جاءكم الله بالإسلام إذا أنتم تحصنون الأموال ، وفيما يأكل ابن آدم أجر ، وفيما يأكل الطير أجر . قال : فانصرفوا فما منهم رجل إلا هدم فى حائطه ثلمة أو ثلمتين ـ أسد الغابة جـ ٢ ، ص ٩٩ ـ ط دار الشعب ـ

إن النبى ـ ﷺ ـ لم ينكر المحافظة ، ولكنه أنكر ما يجر أصحاب النفوس الحريصة إلى الاسترسال مع الأثرة والحرص الشديد ، الذى قد يدفع إلى المنع والشح .

وكأنه استنكر الجديد الطارىء من السلوك الذى يتنافى مع دين يدعو إلى الأمانة ويحض على العطاء ويدعو إلى البر والوفاء ، فما بالهم فى الجاهلية كانوا لا يحصنون وفى الإسلام يحصنون ؟ فهل يكونون آمنين فى جاهليتهم ولا يكونون أكثر أمانا فى ظل هذا الدين الذى أذهب الله به كل خوف من النفوس ؟

إكرام الضيف حق له :

ثم إننا نجد النبى ـ ﷺ ـ يحث على البذل ليحطم داعية الشح فى النفوس فيقول ـ فيما يرويه ابن الأثير فى ترجمة خالد بن يزيد : ثلاث من كن فيه فقد وقى شح نفسه : من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة » ـ أسد الغابة جـ ٢ ص ١١٣ .

ويجعل إكرام الضيف حقا واجبا وتبعة لازمة ، فيقول : المقدام بن معد يكرب راويا عن رسول الله ـ ﷺ ـ : ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فإن أصبح بفنائه محروما فهو عليه دين ، فإن شاء اقتضى وإن شاء ترك ٦/٢٦٣ .

لقد جعل النبى - ﷺ - من حق الضيف أن يقاضى مضيفه إن قصر فى واجبه ، فأى مجتمع أحق بالتكافل من هذا ؟ وأى دين يدعو إلى التكامل أفضل من هذا ؟

وليقس من أراد على ذلك أى مجتمع آخر من تلك المجتمعات التى تفخر بالتقدم فى الوقت الذى تحرم فيه الضيافة ، وتحتم على الضيف أن تكون لديه دعوة سابقة ، وإذا اضطرته الظروف إلى طرق باب صديق لم يجد عنده زادا يكفيه أو مكانا يؤويه ، فما بالك لو كان غير صديق ؟

مضرب المثل والجود :

وكان النبى - ﷺ - مضرب المثل فى الجود ، وكلمة خديجة - رضى الله عنها - لا تزال فى أسماع الزمن شهادة صدق فى حق هذا الرسول الكريم حين قالت له : والله لن يخزيك الله أبدا ، أنك لتحمل الكَلَّ وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر .

وحين جاءته الرسالة زادته كرما على كرم وأضافت إليه جوداً فوق جود .

لقد أعطى صفوان بن أمية يوم حنين عطاء جعله يقول : والله ما طابت بهذا إلا نفس نبى ، وقال : أعطانى رسول الله - ﷺ - يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلىّ ، فمازال يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى ١/ ٢٤ .

إنه عطاء الإحسان الذى يستل سخائم النفوس ، وليس عطاء السياسة التى قد يتنبه لها المعطي فيزداد طمعا وشرها ، ويزداد مع ذلك عداوة وحقدا .

لقد نبه النبى - ﷺ - على أثر البر والعطاء وفعل الخير ، وعلَّم أصحابه أنّ تَعَوُّدَ ذلك يعُود على صاحبه بالخير قبل أن يعود على غيره ، وهذه كلمته - ﷺ - التى تبقى مع الزمن وتصدقها التجارب والشواهد : صنائع المعروف تقى مصارع السوء ... - جمع الجوامع حديث ١٠٧ وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم ٨٠١٤ -

إكرام الوفود :

وكان النبى - ﷺ - يكرم الوفود التى تأتيه ، فينزلها منازلها ، ويقريها ويعطيها ، فما ينصرف أفرادها إلا وقد أثنوا عليه بما هو أهله .

جاء فى ترجمة عرس بن عامر أنه وفد هو وأخوه عمرو بن عامر على النبى - ﷺ - فأعطاهما مسكنهما من « المصنعة » و « قرار » - هما موضعان - أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٠ .

وحدّث ضرار بن القعقاع قال : وفد أبى إلى النبى - ﷺ - وأنا معه ومعنا رجال كثير ، فأمر رسول الله - ﷺ - لكل رجل منا ببردين - ٣/ ٥٤ .

وحدث الطيب بن عبد الله الدارى قال : قدمنا على رسول الله - ﷺ - ونحن ستة نفر فأسلمنا وسألناه أن يعطينا أرضا من الشام فأعطانا وكتب لنا - ٣/ ١٠٠ .

وحدث علقمة بن سفيان قال : كتب فى الوفد الذين وفدوا على رسول الله - ﷺ - من ثقيف فضرب لنا قبتين عند دار المغيرة ، فكان

بلال يأتينا بفطورنا فى رمضان ونحن مسفرون جداً ـ ٤/ ٨٤ .

وبدهى أن بلالا كان يحمل لهما الطعام من عند رسول الله ـ ﷺ ـ يؤيده ذلك الخبر : حدث سعيد بن ربيعة الثقفى قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ ما بقى من رمضان بفطورنا وسحورنا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ أسد الغابة جـ ٢ ص ٣٨٦ .

وكان النبى ـ ﷺ ـ يفرح بالوفُود ويستبشر ، لما فى ذلك من انتشار الإسلام وظهور الدين وانطلاق الدعوة . قال عبد الله بن أنيس العامرى : قدمت على النبى ـ ﷺ ـ أبشره بإسلام قومى فقال : أنت الوافد المبارك ، فلما أصبح صبحته بنو عامر فأسلموا ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يأبى الله ـ عز وجل ـ لبنى عامر إلا خيرا ـ قالها ثلاث مرات ـ ٣/ ١٨١ .

ولم يكن النبى ـ ﷺ ـ يقنع بإطعام الوافد وإيوائه حال إقامته ولكنه كان يكسوه ، ولعل الكساء فيه معنى لطيف من معانى البركة التى يكتسبها المكسو حين يلامس جسده ثوب أهداه إليه النبى ـ ﷺ ـ ومن هنا يجب الحرص عليه .

جاء فى ترجمة عوف بن القعقاع قال : وفد أبى إلى النبى ـ ﷺ ـ وأنا معه غُلَيِّم ، فأمر لكل رجل ببردين ، وأمر لى ببردة ، فلما انصرفنا باع كل رجل منهم أحد برديه ، فأتيت النبى ـ ﷺ ـ فى بردين ، فنظر إلى وقال : من أين لك هذه ؟ قلت : اشتريتها من فلان . قال : أنت كنت أحق به إذ ضيَّع ما أعطاه رسول الله ـ أسد الغابة جـ ٤ ص ٣١١ .

وحقا ذلك فإن ما أعطاه الرسول ـ ﷺ ـ لا يعوض بثمن ، لما فيه من الخير والبركة ، وقد عرف أصحابه ذلك ، فكانوا يحرصون على آثاره حرصا شديداً ، ويتنافسون فى اقتنائها تبركا بها وتفاؤلا باصطحابها . كان خالد بن الوليد يقاتل عدوه وهو يحرص على قلنسوة بها شعرات من ناصية رسول الله ـ ﷺ ـ يتبرك بها ـ بمشيئة الله ـ فلا يزال منصورا . ويروى هذا الأثر عن خالد فيقول : اعتمرنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى عمرة اعترها ، فحلق شعره ، فاستبق الناس إلى شعره فسبقت إلى الناصية فما وجهته فى وجهة إلا وفتح له ـ ٢/ ١١١ .

ويحدث الرواة أن النبى ـ ﷺ ـ حين أنشده كعب بن زهير قصيدته المشهورة : « بانت سعاد .. » واعتذر له فيها عما فرط منه ، وامتدحه وأصحابه ، خلع عليه بردة ، مازالت عنده يعتز بها ، وورثها أبناؤه من بعده وبقيت عندهم حتى قيل إن معاوية اشتراها منهم بمال جزيل ، ومازال الخلفاء يتوارثونها ويلبسونها فى المواسم ، حتى أشار إلى ذلك « البلاذرى » فى مدحه للمستعين بالله :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته
يَظُن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقــد أعطيتــه ولبستــه
نعم هذه أعطافــه ومناكبــه ..

ذكر ذلك المرحوم محمود مصطفى فى كتابه الأدب العربى وتاريخه ٣٤٦/٢ .

الطمع فى عطاء النبى :

ولقد كانت الوفود تطمع فى عطائه وتستزيد منه ، وهذا حكيم بن حزام يقول : سألت رسول الله ـ ﷺ ـ فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : ياحكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ـ قال حكيم : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق لا أرزؤك ولا أحدا بعدك شيئاً . فكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه ، ودعاه عمر ـ رضى الله عنه ـ فأبى ، فقال عمر : يامعشر المسلمين أشهدكم أنى أدعو حكيما إلى عطائه فيأبى أن يأخذه ـ فما سأل أحدا شيئا إلى أن فارق الدنيا ـ أسد الغابة ٤٥/٢ .

لقد كان النبى ـ ﷺ ـ يعطى ويوجه لأنه كان يريد أن يربى النفوس ويبنى الرجال ويرسى القواعد السليمة التى تقوم عليها دولة الإسلام .

ومن صور الطمع فى عطائه ، ما يقصه عمر بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله ـ ﷺ ـ مقْفَلَه من حنين علقه الأعراب يسألونه ، فاضطروه إلى سَمُرَه فاستلبت رداءه وهو على راحلته ، فوقف فقال : ردوا على ردائى ، أتخشون على البخل ، فلو كان عدد العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا ـ ٢٧٢/٤ .

صلى الله على صاحب هذه السيرة العطرة والتوجيهات الحكيمة التى نتذاكرها فى ذكرى مولده الكريم الذى فتح الله به آذانا صما وعيونا عميا وقلوبا غلفا ، ونشر به على الإنسانية أريج الرحمة والأمن والسلام . وإن فى ذكراه لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى



من أحداث السيرة النبوية

وحدة الأمة

في وثائق المؤاخاة والموادعة

للأستاذ/ محمد الليثي علي محمد

خرج رسول الله (ﷺ) مع أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) في طريقهما إلى المدينة حين أمر الرسول بالهجرة إليها ، ولم يكن الطريق من مكة إلى يثرب غريبا عليه فقد قطعه قبل ذلك أكثر من مرة مع أمه ثم مع عمه حين عرفه بُحَيْرا الراهب ثم في تجارة للسيدة خديجة مع غلامها ميسرة ، ولكنه في الهجرة سلك طريقا آخر بساحل البحر ليأمن أن تدركه قريش حين تطارده فحفظه الله كما حفظه في الغار .

وعلى مشارف المدينة ومن فوق حصن من حصون اليهود صاح رجل منهم . كان يعلم أن أهل المدينة ينتظرون مقدم الرسول - « يابنى[1] قيلة هذا صاحبكم قد أقبل » فخرج الأنصار سراعا بسلاحهم يهرعون لاستقباله .

ونزل أول ما نزل بقباء حيث أقام في بنى عَمرو بن عوف بضع ليال أسس فيها مسجد قباء حيث صلى فيه لأول مرة في أمن وأمان .

ثم تحول إلى المدينة ليجد فيها فريقين من الناس ، فريق يستقبله بالبشر والترحاب في موكب خرج فيه الرجال والنساء والصبيان والولائد .

وفريق آخر لم يسعد بمقدمه ، فما كاد يذاع خبر مقدمه صلى الله عليه وسلم بقباء

←

(١) يريد الأوس والخزرج فقد كانت قيلة جدتهم الكبرى .

حتى هرع يهود بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة بعضهم إلى بعض يقول قائلهم:

قاتل الله بنى قيلة والله إنهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى .

كذلك لم يسعد وقتئذ عبد الله بن أُبَى ابن سلول فقد كان يطمع أن يكون ملكا ولكنه رأى الناس قد انفضوا من حوله وانصرفوا عنه وأقبلوا على رسول الله ﷺ .

وفى المدينة أقبل الانصار يتنافسون على استضافة القادمين الكريمين يقولون : يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة والثروة . كل دار تدعوه إلى المقام عندهم فقال كما فى حديث البراء عن أبى بكر (رضى الله عنه) :أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك .

وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور إلى القلوب ، قال أنس بن مالك : كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله (ﷺ) المدينة أضاء منزله كل شيء .

ويروى البخارى عن البراء بن عازب قال : فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله (ﷺ) .

ويقول أنس ـ فى رواية لابن خيثمة والدارمى : شهدت يوم دخول النبى المدينة فلم أر يوماً أحسن منه ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه المدينة .

وبركت ناقة الرسول (ﷺ)بمحلة من محلات بنى النجار أمام دار أبى أيوب الأنصارى حيث أقام سبعة أشهر على الأرجح . وكان يصلى حيث أدركته الصلاة إلى أَنْ بنى مسجده ومساكنه فانتقل إليها .

وتلاحق المهاجرون من مكة ولم يبق بها إلا مفتون أو محبوس أو ضعيف كما لم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها فيما عدا حىّ من الأوس أقاموا على شركهم .

المسجد:

بنى المسجد ليكون مكانا للصلاة والعلم والمشورة ومقراً لنشر الدعوة ومقصداً للراغبين فى استقصاء حقائقها سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم . فهو ديوان الأمة يسوس أمورها رسول الله (ﷺ) راعى رسالة السماء وقائد جماعة الله باسم الله عز وجل .

أهل الكتاب:

لم يكن بالمدينة من أهل الكتاب سوى اليهود وقد خافوا أن يجمع الإسلام بين الأوس والخزرج فلا تكون لهم طاقة بهم وبرغم علمهم بأن النبي محمد (ﷺ) هو الموصوف عندهم فى التوراة إلا أن غرور بعضهم قد دفعهم إلى تكذيبه ومحاولة النيل منه ثم نقض عهوده فيما بعد . وبرغم أن حِبْرَهم عبد الله بن سلام كبرّ عندما علم بقدوم النبى (ﷺ) وأمر أهل بيته فأسلموا وخاطب اليهود قائلا :

يامعشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته فإنى أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه .. فلما سمعوا ذلك جحدوه وأنكروه

فقال لرسول الله (ﷺ) ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور .

وثيقتان:

وبحكمة القائد المحنك وحتى يـأمن المسلمون غدر اليهود ولكى يخيم على المدينة جو من الأمن والاستقرار بعد معاناة السنين فى مكة حيث كان المسلمون هدفا للاضطهاد والسخرية والتعذيب فقد عمد الرسول (ﷺ) ـ وهو من علمه الله مالم يكن يعلم ـ إلى أن يسجل وثيقتين تبدأ بهما الحياة الجديدة الآمنة المستقرةحتى يتفرغ لما بعد الهجرة من مهام جسام وحتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وثيقة المؤاخاة :

كانت الوثيقة الأولى عقد المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار .

أما الثانية فكانت كتابه (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار لموادعة يهود .

أمَّا عن الوثيقة الأولى فإننا إذا رجعنا قليلا إلى مكة نجد أن الرسول (ﷺ) عندما أمر المسلمين بالهجرة إلى المدينة قال لهم : إن الله عز وجل ـ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها ، وقد سجل الله تعالى حب الأنصار للمهاجرين بقوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِم وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . الحشر

وبدأت وقائع المؤاخاة حين اجتمع جماعة من المسلمين نصفهم من الأنصار ونصفهم من المهاجرين فى دار أنس بن مالك (رضى الله عنه) وقال لهم رسول الله (ﷺ) : إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وَعُوهُ وحدثوا به من بعدكم : إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقاً ثم تلا ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفية وأآخى بينكم كما آخى الله تعالى بين الملائكة : قم ياأبا بكر .. فلما قدم إليه قال النبى « إن لك عندى يداً الله يجزيك بها ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن ، أخوة الإسلام أفضل . وقال (تآخَوْا فى الله أخوين أخوين) ثم أخذ بيد على وقال : هذا أخى ثم آخى بين أبى بكر وخارجة بن زيد ثم قال : أُدْنُ ياعمر قد كنت شديد البأس علينا ياأبا حفص فدعوت الله أن يُقر بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ثم آخى بينه وبين عتبان بن مالك وكان جعفر بن أبى طالب غائبا فى الحبشة فآخى بينه وبين معاذ بن جبل .

وسارت عملية المؤاخاة على ذلك المنوال حتى تمت بين المهاجرين والأنصار جميعا مؤاخاة على الحق والمواساة وعلى التوارث يعين كل واحد منهم أخاه على المعروف ويعاضده وينصره،وهى أعلى مراتب الأخوة فهى التزام ومواعدة على تقديم الخير والالتزام بالوفاء به وكانت هذه المؤاخاة كما ذكر السهيلى :ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم البعض.

ولعل سائلا يسأل لماذا لم تتم كذلك مؤاخاة بين المهاجرى وأخيه المهاجرى ؟

قلت:ذلك لأن المهاجرين كانت تربطهم فى الأصل أخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة

←

النسب فأغنتهم هذه الأخوة عن أية أخوة أخرى تعقد بينهم .

هذا وقد رد الله توارث المهاجرين والأنصار بعد بدر وبعد أن اجتمع الشمل وذهبت الوحشة وعز الإسلام ، رد التوارث إلى ذوى الأرحام،وهو الأصل العام فى التوارث وذلك دون عقد الأخوة وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَأُولُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ وصدق الشاعر[٢] إذ يقول من قصيدته المؤاخاة فى الإسلام .

غرس الأخوة أصله من يثرب
هى جنة المأوى وغارسها النبى
بعث النبى بها الجماعة موكبا
فإذا الملائك فى صفوف الموكب
وسقى الأخوة كوثرا من نوره
فالظامىء الحيران من لم يشرب

●●●●

قال النبى لقد بنيت إخاءكم
ووصيتى : أن تحفظوا بنيانى
فـإذا تفرقتم تبـدد عقدكم
كتفرق الحصباء فى الميدان

وثيقة الموادعة :

أما الوثيقة الثانية فكانت الكتاب الذى كتبه رسول الله (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار لموادعة يهود وهم الطائفة الثانية التى كانت بالمدينة ، وهو كتاب صاغه الرسول (ﷺ) فى عبارات واضحة وصياغة محكمة لا تدع مجالا للجهل بأحكام الموادعة وحتى لا يحتج أحد بأنه ليس طرفا فى أحكامها بحيث صار الكتاب متضمنا معاهدة تعد نموذجا لما يجب أن تكون عليه المعاهدات فلا يختلف فى تفسير بنودها اثنان حصرت التطبيق على القبائل والبطون والموالى من كل طائفة:المسلمين واليهود وكررت الأحكام عند ذكر من يخضعون لأحكامها وكلها أحكام تضمن تآلف الأمة فى المدينة ووحدة سكانها وحكم المعتدى والخارج على نصوصها ، كل ذلك ليبدأ الرسول عهداً جديداً للدعوة يرسم فيه الطريق السوى لتبليغ الرسالة فى باقى أجزاء الجزيرة العربية وخارجها بعد أن صار بهذه الوثيقة صاحب الكلمة العليا بالمدينة ، وكان يرجو أن يهدى الله اليهود إلى الإسلام ، ولكن الحوار والجدل بينه وبين أحبارهم ظل مشبوب الأوار ، ولكن الوثيقة جعلت الأمر مستقرا إلى حين ، وحتى لا يؤلب اليهود غيرهم أو يتحالفوا مع قريش ضد الدعوة .

تضمنت الوثيقة أحكاما تكمل عقد الأخوة فيما بين المسلمين،وأحكاما تبين حقوق الأقلية اليهودية وواجباتها الأمر الذى لازالت الدول تتجاهله فيما بين شعوبها ؛ لذلك تضمنت الوثيقة ما لليهود فأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم وجاء بالكتاب :

(٢) الشاعر "دل محمد" من باكستان ترجمة الصاوى شعلان .

الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

إنهم أمة واحدة من دون الناس : المهاجرون من قريش على رَبْعتهم[٣] يتعاقلون بينهم وهم يَفْدون عانيَهم[٤] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين [وهكذا ينصرف هذا الحكم بألفاظه فيما بين بطون بنى ساعدة وبنى الحرث وبنى جُشم وبنى النجار وبنى عمرو بن عوف وبنى النبيت وبنى الأوس الجميع على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين] ثم استطردت الوثيقة تحدد التزامات المؤمنين فيما بينهم .

وإن المؤمنين لا يتركون مُفرَحاً[٥] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وأنه لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بَغَى منهم أو ابتغى دسيعة[٦] ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

ولا يَقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وبعد أن سجل الكتاب ما يعتبر تنظيماً لمعاني الأخوة ودستوراً للعلاقات الإنسانية سجل حقوق الأقلية فجاء بالكتاب :

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يُسالِمُ مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وأن المؤمنين يُبىء[٧] بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

وأن لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن .

وأنه من اعتبط[٨] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود[٩] به إلا أن يرضى ولى المقتول بالعقل،وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً[١٠] أو يُؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد (ﷺ) .

وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسه وأهل بيته [وهكذا ينصرف

(٣) على ما كانوا عليه.(٤) أسيرهم . (٥) محتاجا . (٦) عطية . (٧) بعضهم لبعض أولياء فى الدماء (يكف) .
(٨) قتل بغير سبب . (٩) قصاص (١٠)جانياً .

هذا الحكم من المعاهدة على يهود بنى النجار ويهود بنى الحرث وبنى ساعدة وبنى جُشَم وبنى الأوس وبنى ثعلبة لجميعهم مثل ماليهود بنى عوف] ثم تضمنت الصحيفة :

وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشُطَيْبَة مثل ماليهود بنى عوف ، وأن البر دون الإثم ، وأن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (ﷺ) ، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فَتَكَ فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخَافُ فساده فإن مرده إلى الله عز وجل،وإلى محمد رسول الله (ﷺ)[11] وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .

وأنه لاتُجار قريش ولا من نَصَرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

على كل أناس حِصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى ومحمد رسول الله (ﷺ)[13] .

وهكذا تنتهى الوثيقة مكررة بعض أحكامها عند كل حالة من حالات القوم تكراراً مؤكداً لا يدع شبهة أو ذريعة لخارج على أحكامها في التهرب من التزامات أو عاقبة نقضها .

ومضت قافلة الحياة فى مدينة دعا رسول الله(ﷺ) أن يبارك لأهلها فى مدهم وصاعهم مِثْلَيْ ما بارك لأهل مكة مع البركة بركتين وبعد أن حَرَّمَ ما بين لَابَتَيْها أن يُقْطَع عضاها أو يقتل صيدها لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كان النبى (ﷺ) له شفيعاً يوم القيامة ، ولا يريدها أحد بسوء إلا أذا به الله بالنار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء .

(١١) تحكيم الرسول بما انزله الله .
(١٢) يهلك .
(١٣) راجع للدكتور محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة .

حفظ الله السودان



للدكتور/ عبد الودود شلبي
الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية

لقد بدأت المؤامرة على السودان منذ وقع فى قبضة « التبشير » الذى خططت له بريطانيا بدهائها المعروف ضد الإسلام والشرق وكان « جوردون » فى مقدمة (جنرالاتها) الذين فرضوا على مصر لتنفيذ هذه المؤامرة بعد احتلال بريطانيا لمصر .

لم يكن الهدف هو جنوب السودان ... إن المؤامرة أخطر من ذلك بكثير جداً ... الهدف هو السودان ومصر . كما أن الهدف هو مطاردة الإسلام واجتثاث جذوره فى كل قطر .

إن كلمة « أنيانيا » تعنى فى لغة « الدنكا » سم الأفعى وقد اختارت الكنائس لحركة لمخربين فى جنوب السودان هذا الاسم ، لم عد هناك « أنيانيا » ANYANYA واحدة ... ناك « أنيانيات » ANYANYAS كثيرة .

أنيانيا رقم واحد ، وأنيانيا رقم اثنين ، أنيانيا رقم ثلاثة ، وأنيانيا رقم أربعة .

فى جنوب السودان توجد منظمتان تحملان هذا الاسم . أما الأنيانياتان الثالثة والرابعة فاتجهت إحداهما إلى (دارفور وبلاد النوبة) .. وتسللت الرابعة إلى شمال السودان) من الخرطوم إلى حلفا ..!

فالقس « فيليب عباس » ، وهو « نوبى » وقع فى الفخ .. وسرى السم فى جسمه فبدأ يتحرك فى بلاد دارفور والنوبة من جهة الغرب ..

منذ أشهر لوحظت فتاة تخرج من إحدى الكنائس فى مدينة الأسكندرية .. لقد لفت شكلُها نظر ضابط بحرى مسلم .. وحين سألها عن جنسيتها قالت : من النوبة .. فأعاد عليها السؤال بشكل آخر :

- أمن نوبة مصر .. أم من نوبة السودان ..؟

قالت بصوت فظ أجش النوبة فقط !!

هذه الإجابة العابرة قد لا يدرك خفاياها

← حفظ الله السودان

أحد .. ولكنها تعنى الانفصال عن كل من السودان ومصر .

وتعنى التآمر والتخطيط لتنفيذه فى أقرب وقت ، وفى أحسن الفروض فهى ظاهرة تدل على مدى ما رسخ فى قلب هذه الفتاة من الكراهية والحقد ..

إن البابا جون بول الثانى يطوف العالم الإسلامي شرقاً وغرباً وأول ما يفعله بعد هبوطه من الطائرة أن يخر ساجداً ليقبل الأرض داعياً إلى السلام والحب ..!!!

إن السذج فى العالم الإسلامي أكثر من تسعة وتسعين فى المائة .. فهذا المنظر يثير فى القلوب نشوة خاطفة ويخطف أبصار الأكثرين من أبناء الإسلام والعروبة .

هل منكم من يحفظ قصيدة « الديك والثعلب » ؟!!

ولا بأس من إعادتها هنا للعظة والعبرة ..

ظهر الثعلب يوماً فى ثياب الواعظينا
ومشى فى الأرض يهدى ويسب الماكرينا
ويقول الحمد لله إله العالمينا
ياعباد الله توبوا فهو كهف التائبينا
واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا
فأتى الديك رسول من إمام الماكرينا
عرض الأمرَ عليه وهو يرجو أن يلينا
فأجاب الديك عذراً ياأفضل المهتدينا
مخطىء من ظن يوماً أن للثعلب دينا !!

فهل يوجد بين مسلمى اليوم .. من يملك حصافة هذا الديك ؟ أو حتى بعد نظره فى التفرقة بين العدو والصديق ..!!!

●●●

لقد اختير « جنوب السودان » كرأس حربة ، فكم عدد المسلمين والمسيحيين فى هذه المنطقة ؟

إن عدد المسلمين يبلغ أضعاف أضعاف أي دين آخر .. أما الباقى فوثنيون يعبدون « الطوطم » والطبيعة والساحر !!

ولكن المسلمين فقدوا قيمتهم بأيديهم... ومكنوا عدوهم من رقابهم وإلا فبماذا تفسر استبدال إسرائيل خمسة آلاف مسلم وعربى بطيار يهودى واحد ..!!!

●●●

وأذكر فى أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية - وكان ذلك فى شهر شوال ١٣٨٣ هـ - مارس ١٩٦٤ م - أن التقيت بزعيم سياسي سودانى .. لقد وجدته منهمكاً فى السياسة .. حائراً بين دروجها الملتوية المظلمة . عازفاً على نغمة التقدم والرجعية ..

كان لقاؤنا عابراً فى مدخل إدارة الأزهر وكان مما قلته وأذكره بالضبط :

- أعتقد أن « جهاد الوقت » بالنسبة للسودان إنما هو فى حشد كل الطاقات لمواجهة الخطر التنصيرى الذى بدأ شره يستفحل ...

لقد أشاح الرجل بوجهه عنى بدون قصد ! ثم هُرِعَ مسرعاً إلى داخل المؤتمر ليلقى بحثاً عن « عوامل انتشار الإسلام فى العالم » الذى لما يولد بعد !!!

وقد شارك معظم الساسة فى هذا التساهل ..!!

قبل أن يضيع السودان ..

أي والله .. قبل أن يضيع ونضيع .. من هول ما سوف يتعرض له السودان فى المستقبل .

لقد تم التغلغل الكنسى فى السودان عبر ثلاث مراحل تاريخية . لكل مرحلة منها سماتها ومميزاتها . إذ أن الهيئات الكنسية تتطور وتتغير وتتكيف مع الأوضاع بسرعة مذهلة لتحقيق أغراضها وتوطيد أقدامها ونفوذها[1] .

المرحلة الأولى :

بدأت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى . وقد مهد لذلك الحكم التركى حيث استغلت السياسة التبشيرية ظروف تدهور الخلافة العثمانية وضعف دولة محمد على بمصر ووقوعها تحت تأثير الدول الأوربية . فسعت لإيجاد موضع قدم لها فى السودان تحت حماية الحكام والمكتشفين الأوروبيين الذين استعانت بهم الخديوية فى مصر لإدارة السودان (صمويل . بيكر . جسى . سلاطين باشا . غردون ، الخ ...) .

وقد استمرت هذه المرحلة حتى قيام الثورة المهدية فى عام ١٨٨١ ، وفى عام ١٨٨٥ وبعد فتح الخرطوم تم إبعاد كل التأثيرات الكنسية عن السودان .

المرحلة الثانية :

ظل السودان خالياً من التأثيرات الكنسية حتى مطلع هذا القرن وبدأت مرحلة جديدة بعد ما أعيد إخضاع السودان للسياسة الانجليزية المصرية وتحت إدارة السردار كتشنر وونجت باشا ، اللذين رفضا فى بادىء الأمر السماح بالتبشير فى شمال السودان . خوفاً من ردود الفعل فى دولة حديثة العهد بثورة إسلامية . ولكنهما ما لبثا أن تنازلا عن ذلك وعلى الأخص بعد مجىء الأب ليوقلاين قـوينى (LIOVELLYN H. GGWYN-NE) ممثل الكنيسة الإنجليزية فى عام ١٩٠٠ ويعتبـر قوينى مؤسس العمـل التبشيرى الحديث فى السودان .

المرحلة الثالثة :

تزامنت هذه المرحلة مع تأثيرات الحرب العالمية الثانية وظهور الوعى القومى الحديث فى السودان . حيث أحدثت حركة الحرب تغييراً نوعياً فى حركة المجتمع السودانى بظهور الإذاعة وانخراط أبناء المناطق المتخلفة فى الجيش وتدفقهم على الخرطوم . كما تنوعت فى إطار هذه المرحلة استراتيجية التبشير مع التطور الدستورى للبلاد ابتداء من ظروف الحكم الذاتى والاستقلال مروراً بمحاولات الحكومات الوطنية المتعـاقبة فى البنـاء والإصلاح .

ويمكن القول إن المرحلة الأولى (١٨٤٨ - ١٨٨٥) كانت مرحلة الاستكشاف وإجراء الدراسات والتعرف على المنطقة وشعوبها وبذر البذور ووضع الأولويات والمرحلة الثانية (١٩٠٠ ـ١٩٣٩) كانت مرحلـة البناء

←

(١) نقلاً عن كتاب « التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة » حسن مكى .. ص ٢ وما بعدها ..

المتواصل لتحقيق الأهداف المرسومة والتى عبر عنها ترمنجهام (*) أسقف الكنيسة الانجليزية فى الأربعينيات حيث قال :

(With the development of the christian church in the South, we in the Sudan are faced with the imminent meeting of a Sudanese christianity and a Sudanese Islam. That the church of the South freed as it is from a race proplem, though there being a white settlement, will be a favourably pleased when it becomes the official religion of the South.

It is our task in the north to prepare for the day. We shall seek :

1- To establish christian centres in all border lands areas where Islam is in contact with Paganism .
2- To establish christian centres in the lands of intrenched Islam so that christianity of the South will have Points of contacts when it flows northwards.

وترجمة ذلك أنه بتطور الكنيسة المسيحية فى الجنوب . فإننا مواجهون باللقاء المرتقب بين المسيحية السودانية والإسلام السوداني . إذ بتحرر كنيسة الجنوب من عقدة العرق - بالرغم من وجود استيطان أبيض - فإنها ستشعر بغبطة عندما تصبح الديانة الرسمية للجنوب . وإنه لمن واجبنا فى الشمال الإعداد لذلك اليوم وسنسعى :

١ - لتأسيس مراكز مسيحية فى كل مناطق الأراضي الحدودية التى يتصل فيها الإسلام بالوثنية .

٢ - تأسيس مراكز مسيحية فى ديار الإسلام حتى تصير للمسيحية فى الجنوب نقاط ارتكاز حينما تندفع فى اتجاه الشمال .

وقد عرفت هذه السياسة بسياسة (طرد الإسلام) عن مناطق السودان غير المسلمة . وربط النصرانية الزاحفة من الجنوب بالنصرانية المراد ترسيخها فى مناطق الغرب والشمال .

أما المرحلة الثالثة فقد تميزت بالتركيز على العمل فى الخرطوم لأنها قبلة للجماعات غير المسلمة بفعل ظروف الحرب وانتشار المواصلات وطلباً للعمل . وقد تم تغيير نوعى فى أسلوب العمل المسيحى إذ ظهرت بيوت الضيافة وأندية الجنوبيين . كما توسعت الكنيسة فى العمل الاجتماعى والتعليمى بقصد اجتذاب أكبر عدد من الجنوبيين وأبناء النوبة ولا تزال هذه الاستراتيجية نافذة حتى يومنا هذا .

- يتبع -

(X) Spencer Trimingham. TheChristian Approach to Islam. Oxford U.P.

الرسالات السماوية
بين التطور والتجديد

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد شامة

يرى القائلون بنظرية التطور في الأديان السماوية ، أنها تركزت في منطقة الشرق الأوسط نتيجة التطور الإنساني ، ويستدلون على ذلك بأن هذه المنطقة شهدت أرقى حضارات العالم منذ أقدم العصور ، وكانت حضارتها أدبية وعلمية ، فهيأت شعوبها لتلقى الرسالات .

ويشير هذا التحليل إلى أن الشعوب تسير في خط مستقيم في بناء حضارتها وتقدمها على طريق الرقى والارتقاء ، ولكن الواقع يؤكد خلاف ذلك ، فالمعروف أن هناك شعوباً تقدمت في حضارتها فترة ، ثم انتكست فعادت إلى الوراء خطوات ، قد تصل إلى حد أن ينكر بعض الباحثين على الأجيال التى عاشت عصور الانتكاسة ادعاءهم بأنهم أحفاد من بنوا هذه الحضارة المسجلة فى آثارهم ومتاحفهم .

وهناك أكثر من دليل على ذلك ، إذ تكفى نظرة واحدة إلى واقع أحفاد الفراعنة والآشوريين ، والفينيقيين ، فحضارة هذه الشعوب لا ينكرها أحد ، لأن آثارها لازالت تنطق بأنها كانت على درجة كبيرة من التقدم والرقي ، لكن أحفادهم المعاصرين لا يملكون من وسائل الرقي والتقدم ما يجعلهم فى مستوى أجدادهم في الحضارة ولا حتى في مستوى يقرب منهم .

أفلا يدل ذلك على أن ربط تطور الأديان السماوية بمسألة التقدم والرقي في المجتمعات الإنسانية أمر لا يستقيم فهمه ؛ لأنه يترتب

←

عليه أن تتذبذب درجة الرسالات السماوية صعوداً وهبوطاً ، مع صعود ونزول درجة الحضارة في الشعوب !

واستدلال أصحاب نظرية التطور على صحة رأيهم بأن الدعوة في عصر « طفولة » الجنس البشري ، كانت محدودة ، ليس فيها تفاصيل ، وأنه لم يكتب لها كتب ، بل اقتصرت على بعض النصائح ، ولم يعرف لها تاريخ محدد ، وأنها كانت خاصة بقوم دون آخرين ، استدلال غير صحيح ، لأن ما نزل على محمد ﷺ ، هو الذي نزل على نوح عليه السلام - وهو من رسل عصر « الطفولة البشرية » كما يقول هؤلاء العلماء - يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[1] ، ويقول : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾[2] .

فالدعوة بأن الرسالة كانت محدودة دون تنظيمات وتفاصيل يدحضها ما جاء في القرآن الكريم بياناً لما بلغه الرسل لأقوامهم ، بأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويفعلوا الخيرات ويعملوا الصالحات ، فلا يظلمون في معاملاتهم مع الآخرين ، ولا يسرفون فيما أباح الله الاستمتاع به ، كما ينبغي عليهم أن يوفوا الكيل والميزان ، وأن يحكموا بين الناس بالقسط ، وغير ذلك من الأوامر والنواهي والوصايا التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم ليذكر الناس بما كان عليه الأولون ، مع رسلهم ، لعل هذه التذكرة تحملهم على الإيمان برسالة محمد ﷺ .

ولم يكن القصد تسجيل كل ما حدث من الرسل السابقين مع قومهم ، ولا الأخبار بكل ما بلغوه عن الله لهم ، لأن القرآن الكريم ليس سجلاً تاريخياً يخبرنا بما حدث من قبل ، بل هو هداية وعلاج للأمراض البشرية ، فلم يذكر فيه من أخبار السابقين إلا ما يقتضى المقام ذكره . فالقول بأن الدعوات السابقة كانت محدودة لعبادة الله دون تنظيمات وتفاصيل : لا دليل عليه ، وبالتالي فلا يصلح دليلاً على صحة نظرية تطور الرسالات السماوية .

أما ما يدعيه هؤلاء العلماء من أنه لم يكن لدعوات عصر « طفولة » الجنس البشري كتب واضحة ، وإنما هى بضع نصائح ، فلا يصلح دليلاً لنظرية تطور الرسالات السماوية ، لاحتمال أن يكون عدم وجود كتب راجعاً إلى فقدانها ، أو إلى عدم تطور الكتابة عند من حملوها ، ولا يمكن أن يكون دليلاً على أن عقلية الإنسان في تلك العصور كانت بدائية ، بدليل أننا نجد آثاراً يرجع عهدها إلى آلاف السنين قبل الميلاد ، ومع ذلك تدل على ما كان يتمتع به الإنسان في ذلك العصر من ذكاء وفطنة ، وقدرة فكرية على الإبداع فى مجالات قد يعجز ابن القرن العشرين عن فهمها والوقوف على أسرار تكوينها ..

فرسالة الله لكل الناس سواء ارتقوا في حضارتهم ، أم تخلفوا عن اللحاق بركب التقدم ، وسواء كانوا يعيشون عيشة بدائية ، أم كانوا ينعمون بما أبدعته عقولهم في

(١) سورة النساء ١٦٣ .

(٢) سورة الشورى ١٣ .

مجالات الحياة المختلفة ، فدين الله للناس جميعاً .

ويحاول علماء الأديان الذين يرون أن الأديان السماوية تطورت بتطور العقل البشري ، الاستدلال على صحة رأيهم ، فيقولون : إن عدم ذكر تاريخ محدد لظهور الرسالات في فترة « طفولة » الجنس البشري من العلامات البارزة التي تؤكد صحة هذه النظرية .

وهذا كلام فيه مغالطة ، ذلك أن الإسلام الذي جاء ـ على حسب قولهم ـ بعد أن اكتمل عقل البشرية ، فوصل إلى أعلى درجات التطور ، ليس فيه تحديد زمن معين لأى حادثة وردت فيه ، لأن الوحى السماوى لا يرتبط بزمن معين ولا بعصر محدد ، وإنما جاء لهداية الناس ، وتقويم سلوكهم ، ولا علاقة لهذه الهداية بالتاريخ ، فلا تحتاج إلى تسجيل الزمن ، لأنه ليس جزءاً من العملية التربوية الإلهية ، فهو الإنسان في أى زمن ، وفى أى مكان ، وعلى أية درجة من درجات التقدم والحضارة ، فالقول بأن عدم تحديد زمن الرسالات السماوية السابقة دليل على تخلف المجتمعات التى نزلت فيها ، لا يصلح دليلاً على تطور الرسالات السماوية ، لأنه لا حاجة للإنسان في مجال الدعوة إلى الله إلى تحديد سلسلة الرسالات زمنياً ، بمعنى لسنا بحاجة إلى أن يحدد لنا إن كان هود قبل إبراهيم أم بعده ، أم كانت رسالة نوح في عهد زيد من الملوك أم عمرو ، لأن هذه الأمور لا تؤثر على عملية انتشار الدعوة إلى الله ، بل قد تكون من العوامل المعوقة لها ، لأن الآراء كثيرة ومتشعبة في تحديد الزمن التاريخي للحوادث البشرية ، فلو حدد القرآن الكريم زمن الرسالات السماوية لتعرضت معطياته التاريخية لنقاش لا طائل من ورائه ، وخلافات لا تؤدى في مجال الدعوة إلى فائدة ، ولهذا أهملها القرآن الكريم تجنباً للخلاف ، ولأنه لا فائدة من ذكرها في عملية الإقناع بدعوة الإسلام .

وآخر دليل ذكره القائلون بنظرية تطور الرسالات السماوية في تحديد معالم رسالات عصر « طفولة » الجنس البشرى ، هو أن الدعوة في تلك العصور ـ وكذلك فى عصور « صبا » الجنس البشرى ـ كانت محدودة بقوم الرسول ﷺ ، فلم تتعداهم إلى غيرهم . وهذا أمر يحتاج إلى وقفة ، ذلك أن هذا التحديد لم يكن مبعثه تطور الإنسان ، وإنما اقتضته ظروف حياة الجنس البشري ، فالمواصلات كانت بدائية وبالتالي كانت الاتصالات بين أقطار الأرض صعبة ، ولهذا بعث كل نبي إلى قومه ، لأنه لا يستطيع أن يبلغ الرسالة لأقطار الأرض المختلفة ، نظراً لصعوبة التنقل ، والدليل على ذلك أن الله أمر موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون ويبلغاه وحى الله ، يقول تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٣] فكانت دعوة موسى لفرعون بعبادة الله دليلاً على أنه لم يبعث لقومه فقط ، لأن فرعون لم يكن من قومه . كذلك آمن السحرة بما جاء به موسى مع أنهم لم يكونوا من قومه ، يقول تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ

(٣) سورة طه ٤٣ ـ ٤٤ .

السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[٤] .

كما كان يوسف عليه السلام يعلم من كان معه في السجن شرع الله ، وهم لم يكونوا من قومه ، يقول تعالى حكاية عما كان يقوم به يوسف داخل السجن من الدعوة إلى الله : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

فدعوة موسى لفرعون ، ومحاولة يوسف هداية من معه في السجن دليل على أن دين الله للناس جميعاً ، فما كان حصر دعوة الرسل السابقين على أقوامهم إلا لظروف الاتصالات التي كانت تحول بين النبي وبين دعوة غير قومه . ولهذا عندما كانت ترفع هذه الحواجز كان الرسول يدعو غير قومه .

وعليه فالإسلام لكل الناس ، لأن سهولة المواصلات جعلت فى الإمكان دعوة القاصى والداني إلى الدخول فيه .

ويدعى القائلون بنظرية التطور فى الأديان السماوية ، أن معالم المرحلة الثانية ، وهى ما أطلقوا عليها : مرحلة « صبا البشرية » تبدو في ظهور بعض التفصيلات والتفريعات في التشريع . واستدلوا على ذلك بما ورد فى الكتاب المقدس المتداول من مسائل تحدد أحكام بعض ما يرتكبه الإنسان من أخطاء وتبين طريقة التقاضي عند التخاصم ، وغير ذلك من التفاصيل التي وردت في الكتاب المقدس المتداول في كثير من مجالات النشاط الإنساني .

ويفهم من هذا أن مثل هذه التفاصيل والتفاريع لم تكن موجودة في الرسالات التي سبقت رسالة موسى ، عليه السلام ، وهو ادعاء لا يستند إلى دليل ، ذلك أن الباحث عندما يتوصل إلى حكم فيه تمييز بين طرفين ، فلا بد أن تكون عناصر الطرفين موجودة أمامه ، بحيث تكون واضحة المعالم وضوحاً يبرز الجزئيات التى ترتكز عليها المقارنة في الوصول إلى النتيجة ، فإذا تصورنا هذا المبدأ الأساسي في عملية البحث في موضوعات حديثنا ، فإن المنطق يقتضي أن يكون تحت أيدينا نماذج صحيحة للتشريعات التى نزلت على الرسل قبل موسى عليه السلام ، ويثبت لدينا بالدليل القاطع أنها وحى الله ، بمعنى أنه لم يدخله تحريف ولا تغيير ولا تبديل .

فهل تحت أيدينا نصوص التشريعات السماوية التي سبقت تشريع موسى عليه السلام ؟ وهل يمكن لأى باحث أن يصل بأية طريقة ـ غير ما ورد في القرآن الكريم ـ إلى تصور معالم الحركات الفكرية لتلك العصور ، بحيث يسلم العقل البشري ـ طبقاً للقواعد المتعارف عليها في مجال البحث العلمي ـ أنها

(٤) سورة الشعراء ٤٦ ـ ٤٨ .

(٥) سورة يوسف ٣٩ ـ ٤٠ .

من المعالم الأصيلة للتشريع في تلك الحقب ، ويتأكد أنه لم يصل إليها أيدى المولعين بتغيير آثار السابقين ، وتبديدها ؟

لا يوجد أحد على وجه الأرض يستطيع أن يجيب بـ « نعـم » لأنه ليس من الممكن عقلاً ولا واقعاً ، أن يعثر الإنسان على نصوص الوحى الذى نزل على الأنبياء الذين أرسلوا في عصر ما يطلق عليه أصحاب نظرية التطور فى الأديان السماوية : عصر « طفولة الجنس البشري » .

وعليه فأحد عنصري المقارنة مفقود ، فكيف يقال : إن المرحلة الثانية من مراحل الأديان السماوية ـ حسب رأيهم ـ تتميز بظهور بعض التفصيلات والتفريعات في التشريع ؟

ومن أدراكم أن التشريع فيما تسمونه المرحلة الأولى كان مجملاً ؟

وعلى أى شىء اعتمدتم فى ذلك ، ولم يوجد مرجع يمكن الرجوع إليه على الإطلاق ؟ لا يوجد مرجع يمكن أن تستقى منه معلومات صحيحة ، عن الدين في تلك الفترة سوى القرآن الكريم ، فماذا قال عنها ؟

لم يتحدث القرآن الكريم عن أديان تلك الفترة بالتفصيل ، لأنه ليس كتاباً تسجل فيه حوادث السابقـين ، وما جـاء فيه عن أخبارهم ، إنما سيق للعظة والعبرة حسب ما تقتضيه ظروف الحدث الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكر الناس به ، حتى لا يضلوا كما ضل من سبقهم ، وجاء ذكر الاستشهاد فيه بأخبار السابقين على موسى عليه السلام فيما يتعلق بمسألة العقيدة دون غيرها ، لأن ذلك نزل فى مكة ، حيث كان نشاط الدعوة مركزاً على إقناع الناس بوحدانية الله ، دون غيرها من التشريعات التي نزلت فيما بعد الهجرة إلى المدينة ، فعدم ذكر تشريعات هؤلاء الرسل كان لسببين : ـ

الأول : أن المقام كان يقتضى الاستشهاد بما يساعد على الاقتناع بوحدانية الله ولا ينفع في هذا المقام ، إلا ما يتعلق بالعقيدة دون التشريع .

الثاني : أن التشريع لا يحتاج إلى سرد ما يدعمه من تشريعات السابقين ، لأنه يأتي فى مرحلة تلى مرحلة الاقتناع ، ومادام الإنسان قد اقتنع بالأساس الذي يقوم عليه الدين ، فمن الضرورى أن يتقبل كل ما يشرعه له من آمن بربوبيته وألوهيته ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وهذه قاعدة توجد في جميع المجتمعات البشرية على اختلاف العصور والأقطار التزمها القرآن الكريم لأنه للناس جميعاً .

ويدعى أصحاب نظرية التطور فى الأديان السماوية أن المرحلة الثانية ، وهى ما أطلقوا عليها مرحلة : « صبا البشرية » تتميز عن سابقتها بنزول كتب على رسلها مثل : التوراة والانجيل ، زاعمين أن معانيهما فقط هى الموحى بها تلك المعاني التى صاغها البشر فى تراكيب وعبارات لغوية .

وهذا الزعم ينطوى على عدة أخطاء : ـ

أولها : « الجزم بأن الكتب المقدسة لم تظهر إلا في هذه المرحلة ، أما ما سبقها ، فلم يخرج الوحى ، فيها عن كونه بضعة نصائح متناثرة لم يجمعها كتاب أو دونت في بعض الأحوال فى ألواح وصحف عامة .

وهذه دعوى تحتاج إلى دليل ، ولا يوجد من بين المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في هذا المجال ما ينفى وجود كتب سماوية في المرحلة السابقة ، كما لم ينص القرآن الكريم على عدم وجود مثل هذه الكتب[٦] أو على عدم إنزال كتب على الرسل الذين اصطفاهم الله في هذه المرحلة ، فالاعتماد على أن القرآن الكريم ، لم يصرح بوجود كتب لهؤلاء الرسل كدليل للجزم بعدم وجودها غير مسلم علمياً ، إذ يجوز عدم الإشارة إلى ذلك في القرآن الكريم راجعاً :

ـ إلى أن مقام سرد الأحداث لا يتطلب ذلك .
ـ إدراك أن تناثرها جعل الحديث عنها لا فائدة فيه في مجال محاورة الرسل لأقوامهم في مجال إقناعهم بوحدانية الله .

ثانيها : الادعاء بأن ما أنزل من التوراة والإنجيل هو معناهما فقط ، وتولى الأتباع صياغة هذه المعاني ادعاء خطير ، ذلك أنه قد يترتب عليه عدم صحة تحريفهما ، لأن التحريف لا يتصور إلا لوحى مصوغ بأسلوب إلهى ، أما تغيير ما يصوغه البشر فلا يسمى تحريفاً بالمعنى المفهوم الذي أشار إلي القرآن الكريم فى أكثر من آية ، منها قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٧] ، فالتعبير بـ « كلام الله » يدل على أن ما حرفوه كان كلاماً مصوغاً فى أسلوب لغوى وليس « معنى » ، إذ لو كان التحريف واقعاً على المعنى لما عبر بـ« كلام الله » بل بأحكام الله ، لأن الذي يغير في هذه الحالة لا يغير كلاماً ، وإنما يغير مفهوماً أراده الله سبحانه وتعالى .

ثالثها : من المعروف أن كلا من التوراة والإنجيل قد كتبا بعد نزول الوحى على كل من موسى وعيسى عليهما السلام بزمن معين .

فهل تناقل الناس معانى الوحى من وقت نزوله حتى كتابته بمعناه ، أى بدون أسلوب يدل على ما فيه من أحكام ؟

وكيف بلغه الرسل ؟ بألفاظ أم بغير ألفاظ ؟

إن كان بألفاظ فقد أصبحت صياغة مقدسة لا يجوز تحريفها وإن كان بغير ألفاظ فهو مستحيل ، لأن المعاني والأفكار لا تخرج عن دائرة القوى المفكرة إلا فى ثوب ألفاظ ، بل إن تصورها في الذهن مرتبط بالألفاظ التي تدل عليها فالقول بأن الوحى نزل بالمعنى وصاغه البشر كلام لا يقبل .

فلو قيل : إنه بالمعنى وعبر عنه النبي الموحى إليه بلفظه لكان ذلك الهاماً ، ولم يقل أحد أن الشرائع نزلت كلها على الرسل بطريق الإلهام .

يتبـــع

(٦) ينص القرآن الكريم على وجود كتب سابقة على التوراة والإنجيل فى آخر سورة الأعلى ـ قال تعالى : ﴿ إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ واقتران الصحف فى الآية دليل ـ فى ذاته ـ على كتاب لإبراهيم مثل كتاب لموسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .
مجلـة الأزهـــر

(٧) سـورة البقـرة الآيـة ٧٥ .

ولنا في ذلك كلمة

للأستاذ الدكتور/ رئيس التحرير

في هذا البحث لأخي الدكتور محمد شامة دراسة متأنية أصيلة تنشرها مجلة الأزهر على حلقات ثلاث ، وسيادته يقرر - وحق ما قرّره - « أن الرسالات السابقة على الإسلام كانت محدودة في إطار قومها » ثم يتناول بالتفنيد القضية القائلة بتطور الأديان السماوية مقابل تطور البشرية من عصر الطفولة إلى الصبا إلى اكتمال العقل البشري ، وقد أصاب وأجاد فإنه يترتب على « تطور الأديان السماوية » هذا التطور المدعى ، أن تتذبذب درجة الرسالات السماوية صعودا وهبوطا مع صعود ونزول درجة الحضارة في الشعوب ! » كما قال سيادته .

وحق ما يقول ، فلم تحدثنا آية من الكتاب العزيز ، ولا حديث صحيح - فيما أعلم - بهذا التطور - في العقلية العامة للبشرية .

لكن لدى سيادة الدكتور إضافات تحتاج إلى نقاش :

لقد أضاف أخي د/شامة إلى قضية « محدودية الرسالة السابقة على الإسلام » أن « **هذا التحديد لم يكن مبعثه تطور الإنسان وإنما اقتضته ظروف حياة الجنس البشري ، فالمواصلات كانت هوائية ، وبالتالي كانت الاتصالات بين أقطار الأرض صعبة ، ولهذا بعث كل نبي إلى قومه لأنه لا يستطيع أن يبلغ الرسالة لأقطار الأرض المختلفة نظرا لصعوبة التنقل** » .

وأدرج سيادته فيما عده « **استدلالا غير صحيح** » القولَ عن الرسالات التي كانت قبل الإسلام بـ « **أنها كانت خاصة بقوم دون آخرين** » وذلك في أوائل هذا الجزء من مقاله ، فصار القول بأنها كانت خاصة بقوم دون آخرين غير صحيح .

ولنا فى ذلك كلمة

واستدل سيادته على ذلك بدعوة موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فقال : « **فكانت دعوة موسى لفرعون بعبادة الله دليلا على أنه لم يبعث لقومه فقط ؛ لأن فرعون لم يكن من قومه ، كذلك آمن السحرة بما جاء به موسى مع أنهم لم يكونوا من قومه** يقول تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ.قالوا ءامَنَّا بِرَبِّ العَالَمِين رَبِّ مُوسى وهارون ﴾ .

ويعنى ذلك ـ بالتحديد ـ أن أخى د/شامة سبق إلى ذهنه ـ والله أعلم ـ أن قوم النبى هم عشيرته وقبيلته التى منها نشأ وفيها نما .

وهنا أذكر أخى شامة بما ورد فى « المصباح المنير » فى المادة : « قوم » حيث يقول الفيومى ـ رحمه الله : « **وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه فى جد واحد ، وقد يقيم الرجل بين الأجانب فيسميهم قومه مجازا للمجاورة** » اهـ .

وهذا ينطبق على ما جاء فى القرآن الكريم ، فـ « قوم النبى » حيث « يقيم » حين الرسالة و « لسانه » لسان من أقام فيهم ، سواء كان لسانا أصيلا فيه ، أم مكتسبا من الجوار ، وسواء كانوا قبيلته وعشيرته ، أم كانوا من غيرهم .

وإذا كان فيما أقول خطأ فهو خطئى وحدى ، والله الهادى إلى الصواب :

وهذا نبى الله « لوط » ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، بعث إلى « قومه » الذين جاور فيهم ولم يبعث إلى قومه الذين كانوا له عشيرة وقبيلة :

هاجر « لوط » مع « إبراهيم » ـ عليهما السلام من العراق ونزحا بـ « أَهْلَيْهِمَا » جنوبا إلى الشاطىء الغربى للفرات ـ فى مرحلة هجرة أولى ، ثم إلى فلسطين ، ثم انفصل « لوط » عن « إبراهيم » فنزل « لوط » بدائرة الأردن بين قوم ليسوا له بعشيرة ولا قبيلة ، وفى هؤلاء بعث ، وفيهم أرسل[1] ، وهجرته هذه ألمح إليها الكتاب العزيز فى قوله تعالى عن إبراهيم ـ عليه السلام :

﴿ **فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى** ﴾[2] وهاجر لوط مع عمه إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ولم يكن حتى ذاك رسولا ، فلما استقر بدائرة الأردن ومضى ما مضى من وقت أرسل فيهم وذكرهم الله ـ سبحانه ـ بقوله :

﴿ **كذبت قوم لوط المرسلين** ﴾[3] فسماهم الكتاب العزيز « قومه » وليسوا هم أهله ولا عشيرته ، وسؤلاء هم الذين حلت بهم العقوبة .

(١) راجع تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٠ ط إحياء الكتب العربية ، وللشيخ عبد الوهاب النجار ـ قصص الأنبياء .

(٢) سورة العنكبوت ٢٦ .

(٣) سورة الشعراء ١٦٠ .

وفيما يخص رسالة « لوط » إلى هؤلاء القوم يلفت النظر قول هؤلاء القوم للوط ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالوطُ لَتَكُونَنَّ من الْمُخْرَجِينَ ﴾[٤] ولم يقولوا له ما قاله قوم نوح ـ وكانوا أهله وعشيرته : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ من الْمَرْجُومِين ﴾[٥] .

وعندى أنه لا يفسر الفارق بين اللفظين إلا شعور قوم لوط ـ حسب تفكيرهم ـ بأَنَّ نَفْىَ « لوط » عن بلادهم أسلم من قتله حتى لا يقع بينهم وبين عشيرته وقبيلته حرب أو مشاكل إذا هم قتلوه ، عكس الوضع القائم فى « نوح » والله أعلم .. فذلك ما أراه .

كذلك هذا نبى الله إسماعيل أرسل فى غير أهله وعشيرته ، فلم تكن « جُرْهُم » الثانية قبيلة لأبيه ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى تفصيل لذلك نقتصر على اقتطاف موضوعنا منه الذى يرويه ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ :

« يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال : « لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينا معينا . قال : فشربتْ وأرضعت ولدها فقال لها الْمَلَكُ : لا تخافوا الضَّيْعَةَ فإن هاهنا بيتُ اللهِ يبنى هذا الغلامُ وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ..

فكانت كذلك حتى مَرَّت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق « كَدَاء » فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لَعَهْدُنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جَرِيًّا أو جَرِيَّيْنْ فإذا هم بالماء .. وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لاحق لكم فى الماء !! قالوا : نعم .. فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم .. وشب الغلام [أى إسماعيل] وتعلم العربية منهم وَأَنْفَسَهُم وأَعْجَبَهُم حين شب ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم . وماتت أم إسماعيل » والحديث واضح فى بيان :

أن القوم ليسوا أصلا بأهله ولا عشيرته .

وأن لسانه العربى مكتسب منهم .

ومع ذلك بعث فيهم ، فهم القوم الذين أقام فيهم .

والأمر ذلك فى يوسف ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، فدعوته للمصريين دعوة لقومه الذين شب فيهم قال تعالى مخاطبا أهلِ مصر :

﴿ ولقَدْ جَاءكُمْ يُوسُف مِن قَبْلُ بالبيِّنَاتِ

←

(٤) سورة الشعراء ١٦٧ .

(٥) سورة الشعراء ١١٦ .

← ولنا فى ذلك كلمة

﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾(٦) .

فهم قومه لا محالة . أما أهله وعشيرته : أبوه وإخوته فما منهم إلا مؤمن .

وعلى ذلك :

فموسى أرسل إلى قومه ، وكان قومه المصريين وبنى إسرائيل .

كذلك ، فإن الرسالة الخاصة - وهى ما كانت قبل الإسلام . تعنى القوم الذين أراد الله - سبحانه - إرسال الرسول إليهم ، ولو جاورهم آخرون ، أو اشتد اتصالهم بهم ، فالقول بعوائق الاتصال الذى تكرر فى الدراسات الحديثة من أخى د/شامة وغيره مردود ، ونأخذ ذلك من الكتاب العزيز أيضا .

فعيسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - يقول لقومه - بنى إسرائيل : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾(٧) وفى الكتاب العزيز ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٨) فاقتصرت رسالته الشرعية على بنى إسرائيل وانظر شأن ذلك فى أمر « الكنعانية » معه عليه الصلاة والسلام فيما أورده « إنجيل متى » المتداول(٩) .

والقرآن الكريم يعطينا آيات فاصلة فى هذا الموضوع ، قال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

هاهو موسى يمر على وثنيين لا يفصله عنهم فاصل يراهم وقومه ، ويطلب إليه قومه أن يقيم لهم وثنا مثلهم فينهى قومه عن الوثن ولا ينهى الآخرين العاكفين عليه .

وأمر ذلك واضح ، ثم إن « الاتصال » حين كان محمد - ﷺ - لا تختلف وسائله فى قليل ولا كثير عما كان عليه الحال عند عيسى - عليه الصلاة والسلام .

(٦) سورة غافر ٣٤ .
(٧) سورة الصف ٦ .
(٨) سورة آل عمران ٤٩ .
(٩) متى ١٥ : ٢١ - ٢٤ .

إن الله ـ وحده سبحانه ـ هو الذى أراد أن تكون الرسالة الخاتمة على يدى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامة .

وكذلك أراد سبحانه أن يكون ما قبلها من رسالات خاصة .

هى إرادته سبحانه .. وليس أمر مواصلات سهلة أو صعبة ؛ فإن صعوبة الانتقال فى عصر رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى نفس صعوبة الانتقال فيما غَبَرَ من زمن ..

وإلا فأية سهولة كانت عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إلا بتأويل بعيد ؟

وقول أخى د/شامة فى صدر هذا المقال :

« ما نزل على محمد ـ ﷺ ـ هو الذى نزل على نوح ـ عليه السلام » .

مقبول جداً ـ إن كان مقصورا على العقيدة ، فأما الشريعة ، فلا ياأخى ، قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١٠) .

والله أعلم



(١٠) سورة المائدة ٤٨ .

الفتاوى

س : من السيد / م . كامل .. الزمالك

تقدم لأختى شاب يسارى ، ونحن أسرة مسلمة متدينة . فما رأى الدين فى هذا الزواج وهى متمسكة به رغم أنها تعلم باتجاهه ، وحجتها فى ذلك فصل دينه وعقيدته عن تصرفاته كإنسان يمكن أن يحافظ عليها .. فما رأيكم إذا صممت على الإرتباط به وما علاقتى بها عند ذلك ؟

ج : الاتجاه اليسارى لشخص مسلم معناه أنه لا يؤمن بوجود الله ، وبالتالى لا يؤمن بكتب الله ولا برسله ولا باليوم الآخر .. فإذا ثبت ذلك لشخص مسلم فهو مرتد عن دينه فى نظر الإسلام . ولو كان يقرأ القرآن وجميع الكتب السماوية .. وحكم المرتد أنه لا يجوز أن يتزوج بمسلمة .. وإذا كان متزوجاً تطلق منه زوجته ولا تحل له ، ولا يرث ولا يورث ، ويكون ما كسبه من مال سابق لورثته المسلمين ، وما كسبه من أموال بعد الردة يكون ملكاً للدولة .. واتجاه هذا الشخص وأمثاله يكون عقيدة ودينا وليس سياسياً فقط .

فأما عن علاقتك بها فلا تقطعها فلعل الله أن يردها عن غيها[1] .

س : من السيدة / س . ع . خفاجى . مصر الجديدة

طلقت من زوجى بحكم من المحكمة للضرر طلقة بائنة بعد عشرة طويلة فما هى حقوقى الشرعية وهل من حقى الذهب الذى آل إلىّ من زوجى وأهله وأهلى خلال الزوجية كهدايا فى المناسبات كالولادة وغيرها أم من حق أولادى أم زوجى السابق (مطلقى) ؟ وهل من حقى المنقولات المدونة فى القائمة على الزوج نظير مقدم المهر وهل من حقى رؤية أولادى ؟

ج : مادام الطلاق كان للضرر فللمطلقة حق فى مؤخر الصداق والنفقة الشرعية ونفقة المتعة حسب القانون .

أما بخصوص الهدايا التى آلت إليك من زوجك ومن أهلك وأهله أثناء الزوجية من ذهب وغيره فهى من حقك وليس لزوجك ولا لأولادك حق فيها ، وكذلك المنقولات المدونة فى القائمة فهى ملك خالص لك . ولك الحق فى رؤية أولادك متى شئت .

س : من السيد ع . م . أحمد المحامى

ما حكم شهادات الاستثمار حرف (ج) ؟

ج : شهادات الاستثمار حرف (ج) جائزه

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

شرعا ، لأنها لا تعطى فائدة ، بل تمنح مكافآت وجوائز .

س : من السيد ص . م . فراج . شبرا مصر

قلت : إن شربت الدخان (تكون) زوجتى طالق ـ وكان ذلك قبل الدخول ولم أقصد الطلاق ـ ثم صمت ثلاثة أيام . فما الحكم ؟

ج : هذا طلاق معلق ، ومادام لم يقصد به الطلاق فلا يقع به الطلاق .

س : من السيد / م . أ . إبراهيم . مصر القديمة

قلت لزوجتى أنتِ طالق . طالق . طالق . (ثلاث) فى مجلس واحد ، منذ أسبوع فما الحكم ؟

ج : يقع بهذا الطلاق طلقة واحدة رجعية مادام فى مجلس واحد ، ما لم يكن مسبوقا بطلاق يحرم الرجعة .. وللزوج أن يراجع زوجته مادامت فى العدة .

س : من السيد / أ . عمر . المرج

توفى رجل سنة ١٩٧٠ م عن زوجة ، ابن ، بنت ، بنت بنت . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنت البنت المتوفاة قبل والدها ، بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به فى مصر من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م .. فتقسم التركة اثنين وثلاثين جزءا منها :

سبعة أجزاء وصية واجبة لبنت البنت دون أن يشاركها أحد . والباقى وهو خمسة وعشرون جزءا هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث . والباقى للأبن والبنت الأحياء تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى .

من السيد / م . م . راشد . عين شمس

توفى رجل عن : أبناء أعمام أشقاء ذكور ، بنات إخوه أشقاء ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لأبناء الأعمام الأشقاء تعصيباً تقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء رجل واحد ، ولا شىء لبنات الإخوة مطلقاً لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .. والله أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

الدكتور

محمد عبد الله ماضى

■ **لكل عصر من العصور أعلامه ومفكريه وأفذاذه الذين تركوا آثار فكرهم وعلمهم على خريطة فكر هذا العصر وعلمه وأدبه فاستحقوا من أجل هذا أن يتوقف التاريخ ليذكر عنهم ولهم جزاء ما قدموا .**

ومن هؤلاء راحلنا الكريم وعالمنا الجليل وشيخنا المفضال الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى الذي كان بخلقه وعلمه وتواضعه مثلاً كريماً يحتذى . رحمه الله .

مع مسار حياته :

ولد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى في السابع من فبراير عام ١٩٠٣ بقرية « أسمانيا » إحدى قرى مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة . عاش طفولته فى أسرة اشتهرت بالعلم والتدين .. كريمة فى حسبها ونسبها وكان والده ـ رحمهما الله ـ رأساً لأكبر العائلات في تلك القرية .

وبدأ الراحل الكريم تعليمه بكتاب القرية ـ كما كان الحال بالنسبة لأطفال قرى مصر فى تلك الآونة ـ فحفظ القرآن الكريم ليستطيع الالتحاق بالأزهر الشريف بالمرحلة الإبتدائية فقد كان حفظه شرطاً للدخول فى الأزهر فالتحق بمعهد الأسكندرية ، وفى هذه الفترة كان يوجد بالقطر المصرى كله خمسة معاهد أزهرية هى : معهد الأسكندرية ، ومعهد طنطا ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد دسوق ، ومعهد دمياط ، وأنهى الراحل الكريم تعليمه الإبتدائى والثانوى بمعهد الأسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة حيث منارة الإسلام الجامع والجامعة : الأزهـر الشريف .

وحصل على العالمية عام ١٩٢٧ م ثم التحق بالدراسات العليا وتخرج فى قسم التخصص عام ١٩٣٠ شعبة البلاغة وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات .

وفى تلك الفترة كان مدير[١] « البحيرة » فى الثلاثينيات « عبد السلام الشاذلى باشا » رحمه الله قد فكر فى أن يقوم بمشروع يخلد به ذكرى الإمام الراحل محمد عبده باعتباره ـ أى الإمام محمد عبده ـ من أبناء مديرية البحيرة فقرر مجلس مديرية البحيرة برئاسة عبد السلام الشاذلى باشا رحمه الله أن يوفد اثنين من علماء الأزهر الشريف من أبناء مديرية البحيرة إلى المانيا ليدرسا بجامعة

(١) كان تقسيم مصر في ذلك الوقت مديريات ، وكانت القاهرة والأسكندرية كل منهما « محافظة » .

للأستاذ صفوت عبد الجواد

هامبورج ، ورفع الأمر لإدارة الأزهر فوقع الاختيار على فضيلة الشيخ محمد عبد الله ماضى ، وفضيلة الشيخ محمد البهى ، وكلا الراحلين من « أسمانيا » نفس القرية ، بل كان بينهما صلة قرابة ، وتم إيفادهما إلى جامعة هامبورج ، وانكب الدكتور ماضى على دراسة التاريخ الإسلامى وحصل على درجة « الدكتوراه » بينما عكف الدكتور محمد البهى على دراسة الفلسفة وكان ذلك عام ١٩٣٦ . ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور ماضى قام بدراسة اللغة الألمانية وحصل على دبلوم في الدراسات الألمانية لتتيسر له الدراسة والبحث بجامعة هامبورج وكان ذلك عام ١٩٣٤ أى قبل حصوله على درجة الدكتوراه بعامين .

وعاد الشيخان إلى أرض الوطن وإلى الأزهر الشريف ، وعين الدكتور محمد عبد الله ماضى أستاذاً بكلية أصول الدين فتخرج على يديه أجيال من العلماء والمفكرين وظل يؤدى عمله حتى عام ١٩٥٢ حيث عين سكرتيراً عاماً للأزهر الشريف والمعاهد الدينية .

وفي هذه الفترة تزوج الدكتور ماضى من سيدة فاضلة كريمة وهى ابنة أمين بك هندى عضو مجلس الشيوخ في ذاك الوقت عن دائرة كفر شكر ، وكان خال زوجته عبد المجيد بك محيى الدين ـ رحمهم الله .

وفى عام ١٩٥٨ عين الدكتور ماضى مديراً عاماً للمعاهد الأزهرية حتى إذا تولى مشيخة الأزهر فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود



شلتوت ـ رحمه الله ـ وقع اختياره على الدكتور محمد عبد الله ماضى ليكون وكيلاً للأزهر الشريف وكان ذلك في يناير عام ١٩٦٠ فقضى بوكالة الأزهر عشر سنوات ..

من نشاطه العلمى :

بدأ الدكتور ماضى ـ رحمه الله ـ يسهم بدور كبير فى الأحاديث الدينية بالإذاعة ، وكان فى المناسبات الدينية يسهم بقلمه فى الصحف والمجلات ، وكان من المفروض أن يتقاعد معاشاً في فبراير عام ١٩٦٨ لبلوغه سن الخامسة والستين ، لكن صدر قرار

جمهورى بمد خدمته حتى فبراير ١٩٦٩ ثم تلاه قرار مماثل بمد خدمته حتى عام ١٩٧٠ ثم ترك منصبه كوكيل للأزهر فى عام ١٩٧٠ بعد أن أمضى فيه عشر سنوات ..

● كان ـ رحمه الله ـ عضواً بمجمع البحوث الإسلامية وظل عضواً بالمجمع حتى وافاه الأجل . كذلك اختير عضواً بمجلس جامعة الأزهر .

وفى أثناء خدمته بذل الكثير من الجهد وحمل مسئوليات كبيرة بعد صدور قانون تطوير الأزهر فإن تنفيذ هذا القانون جعل القائمين على الأمر من العلماء يتحملون جهداً كبيراً .

وقد شارك رحمه الله في العديد من اللجان فعلى سبيل المثال لا الحصر :

ساهم فى دراسات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وكان قد عين عضواً فيها .

وكان عضواً بالمجلس الأعلى لدراسة الوثائق التاريخية .

وعضواً باللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية .

وشارك لمدة تزيد على عشر سنوات فى لجنة اختيار المقرئين للقرآن الكريم بالإذاعة المصرية ، وكان يختبر القراء قراءة وصوتاً وتجويداً .

كذلك شارك فى العديد من المؤتمرات على سبيل المثال :



مؤتمر العلوم التاريخية بباريس عام ١٩٥٠ .

ومثل الأزهر في المؤتمر الثقافي العربي الخامس في مدينة الرباط عاصمة المغرب عام ١٩٦٠ .

واشترك معه فى أعمال هذا المؤتمر صديق عمره الوفى الأستاذ عبد الفتاح صقر الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ـ الأسبق ـ الذى تفضل مشكوراً ، فأعاننى فى جمع الكثير عن حياة الراحل الكريم فجزاه الله عنا خير الجزاء .

ومن أشهر مؤلفات الدكتور عبد الله ماضى :

« ١ » كتاب « قيام الدولة الزيدية وظهور المذهب الزيدي باليمن » .

« ٢ » « النهضات الحديثة فى جزيرة العرب » وهو مؤلف من جزئين مضافاً إلى ذلك مجموعات من البحوث التاريخية والدينية والاجتماعية .

وقد حصل المغفور له الدكتور محمد

عبد الله ماضى على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى بمناسبة تقاعده عام ١٩٧٠ . كذلك حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣ .

كان ـ رحمه الله ـ أبا لولد وابنتين أما الابن فقد تخرج فى كلية الهندسة وهو المهندس عبد الله محمد عبد الله ماضى ، ولما كريمتاه فقد تخرجتا فى كلية الآداب .

يقول عنه الأستاذ عبد الفتاح صقر الأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للأزهر : لقد عرفت الراحل الكريم في الخمسينيات بعد شغله وظيفة السكرتير العام بالأزهر وتوطدت صلتى به ولم نفترق إلا يوم مماته فعرفت فيه الخلق الفاضل ونقاء القلب ، وكان عف اللسان وكان بحق علما من أعلام الأزهر ، وقد تزاملنا فى أداء العمرة لبيت الله مرتين ، كان معنا فى أولاهما الإمام الراحل الشيخ عبد الحليم محمود وكان يشغل حينذاك منصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، كما كان فى رفقتنا الشيخ عبد الحكيم سرور ، وكانت شركة مصر للطيران وقتذاك كلما اشترت طائرة جديدة تجعل أولى رحلاتها لبيت الله الحرام طلباً لبركة الله ، وكنا ضمن من وجهت إليهم الدعوة لأداء العمرة ، ومن المصادفات الحسنة من الله تعالى أن هذا اليوم كان آخر يوم لى في العمل الحكومي فكان هذا فألا حسنا .

رحم الله الراحل الكريم الذي لبى نداء ربه فى الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٧ .

ولايفوتنى أن أتقدم بشكرى للأستاذ عبد الفتاح صقر وكذلك لأسرة الراحل الكريم لما قدموه لى من عون صادق لإلقاء الضوء على حياة الراحل الكريم الدكتور محمد عبد الله ماضى عضو مجمع البحوث الإسلامية والوكيل الأسبق للأزهـر .

صفوت عبد الجواد

« تصـــويب »

فى عدد شهر صفر ١٤٠٨ وفى باب « مجلة الأزهر من خمسين عاما » ص ٢١٢ سقط سهوا من المقال اسم كاتبه وهو فضيلة الشيخ فكرى ياسين لذا لزم التنويه .

من العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢١)

العمق العشرون من أعماق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

العمق العشرون من أعماق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

يتصل هذا العمق بحقيقة يعوزها المزيد من البحث والدراسة لكشفها .

فحواها أن كل مافى الكون ، كتاب الله المنظور ، إنما وجد بقدر موزون لا يقع تحت طائل الصدفة التى ينادى بها المكابرون ويتغنى بها الكافرون ، أى أن توزيع المادة على كل المقاييس فى أجرام السماء وفى الأرض هو توزيع يخضع للقانون الطبيعى الذى صلح به الوجود ، واستقامت عليه عمارة الكون ، وأينعت به الحياة على الأرض ، وحتى على غيرها من أجرام السماء التى خضعت لظروف طبيعية على غرار ظروف الأرض الطبيعية بمشيئة الله الخالق العليم .

ومن المشاهد والثابت علمياً أن نشوء الحياة وازدهارها على الأرض لم يكن لمجرد الصدفة ولكن تمشياً مع قوانين البيئة الصالحة التى وفرها الله تعالى على الأرض :

١ ـ ﴿ .. وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ .

الفرقان (٢)

جانب من آيات التقدير :

تبصرنا العلوم بحقيقة أن كل المواد (فى عالمنا المادى) إنما تتبع ـ بحكم تكوينها ونظام تركيبها ، ومايجرى لها أو يسرى عليها من تغيرات ـ نظماً دقيقة محكمة ، وتسير تبعاً لقوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير بتبدل الزمان أو المكان :

٢ ـ ﴿ .. فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ .

فاطر (٤٣)

فمثلاً : الثابت علمياً أن كل المواد تتالف ـ على اختلاف خصائصها وتباين صفاتها وتعدد أشكالها ـ وتتركب من عناصر محدودة العدد من المادة [قرابة مائة عنصر أو أكثر بقليل] . وهى تتدرج فى خواصها الطبيعية والكيميائية ، وفى أوزانها وأثقالها وصلابتها من أجسام صلبة إلى أخرى سائلة ثم إلى غازية . **كما أنها تبدأ بالعنصر الأول ـ رقم (١) ـ ، وهو الايدروجين وتنتهى بالعناصر المشعة الثقيلة** : وبطبيعة الحال تتبع هذه العناصر فى سلم اتحادها لتكون المركبات المختلفة وتخضع لقوانين ثابتة لا تحيد عنها .

وبالمثل يتكون عالم الأحياء (النبات والحيوان) من أنواع وأسر وعشائر .. تتدرج صفاتها فى سلم الترقى من الأحياء ذات الخلية الواحدة كالجراثيم ، إلى كائنات لها أعضاء مختلفة يقوم كل عضو منها بوظيفة معينة من وظائف الحياة ، وتنتهى بالإنسان وهو أرقى الأحياء على الأرض وأكملها خلْقاً :

٣ ـ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ .

التين (٤)

وخلق الله تعالى الأرض فى المجموعة الشمسية على بعدٍ مناسب من الشمس والقمر لتأخذ قسطاً مناسباً من الحرارة والضوء :

٤ ـ ﴿ .. وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

الأنعام (٩٦)

ويرتبط توزيع ضوء الشمس وحرارتها على سطح الأرض ارتباطاً وثيقاً بإرسال الرياح ، وإثارة السحب ، ونزول المطر ، ونمو النباتات ، وازدهار الكائنات .

كذلك جعل الخالق من سير الشمس الظاهرى والقمر نظاماً دقيقاً ثابتاً يعرف به الناس مواقيت معاملاتهم وعباداتهم .. كل ذلك لم يتم لمجرد الصدفة التى تعجز ولا شك عن إيجاد أى نظام عام وتعجز عن تثبيته إن وجد . ولكن الذي يقيم النظام العام الشامل المتعدد الخدمات ويبقيه ثابتاً هو خالق الكون وحده سبحانه وتعالى .

ومن أعجب العجب أن الأرض وحدها دون سائر أفراد المجموعة الشمسية هى الكوكب الذى جمع قدراً وفيراً من الماء منذ النشأة الأولى . ويوجد الماء على الأرض فى صوره الثلاث : الماء السائل الذى يملأ بطون البحار والمحيطات ويسرى كمياه جوفية بين طبقات قشرة الأرض اليابسة ، والماء الصلب أو الثلج الذى يتراكم فى القطبين وعلى أعالى الجبال فوق ما يعرف علمياً باسم خط (الجليد الدائم) ، ثم بخار الماء الذى يختلط بالهواء وتدفعه الرياح إلى مناطق إثارة السحب فيتحول (ويتكاثف) إلى نقط من الماء أو إلى بلورات من الثلج تتساقط على هيئة مطر هو أساس الماء العذب على الأرض ومصدره الوحيد :

٥ ـ ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ .

الروم (٤٨)

٦ ـ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ .

الواقعة (٦٩)

والمزن هو السحاب الممطر .

٧ ـ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

المؤمنون (١٨)

أى إن ماء الأرض كله كان بقدر معلوم لكى تؤدى الأرض وظيفتها التى خلقها الله من أجلها وهى حمل الحياة وازدهارها عليها .

وأعجب العجب أن الماء الذى جمعته الأرض هو أيضاً بمثابة خزانات كبرى للطاقة ، تعمل على حفظ التوازن الحرارى فى الجو ، بحيث لا تحدث فروق فى درجات الحرارة بين الشتاء والصيف مثلا تفنى معها الحياة . فلو زادت معدلات درجة الحرارة فى الصيف مثلاًعن عادتها تذوب بعض ثلوج القطبين أو يتبخر مزيد من ماء البحار فتعود المعدلات الحرارية إلى أصلها .

وأعجب العجب كذلك أن للماء السائل دون سائر مواد الأرض صفة عجيبة اختصه الله بها ، وهى أن الماء الصلب ، وهو الثلج ، يطفو فوق سطح الماء السائل ، أى أنه أقل كثافة من الماء السائل . وهذه الصفة الفريدة يخالف فيها الماء سائر المواد التى تكون فى حالتها الصلبة أكبر كثافة مما هى عليه فى حالة السيولة ، أى أن صورها الصلبة لا تطفو ولكن تغوص إلى قاع صورها السائلة ..

فما الحكمة من وراء ذلك ؟

الحكمة فى غاية الأهمية لبقاء الحياة على الأرض . وذلك لأن كتل الثلج الهائم فى بحار ومحيطات الأرض هى أشبه شىء بجبال الجليد التى تنفصل من القطبين وتنساب إلى المحيطات فتطفو على سطحها وتتعرض لأشعة الشمس بصفة مباشرة فتذوب على التدريج حتى ينتهى أمرها . ولو أنها غاصت إلى قاع المحيط لتراكم الثلج فيه ثم راح يزحف بمضى الوقت حتى تتجمد محيطات الأرض وتموت بذلك الأحياء المائية ، كما ينعدم البخر والمطر فتموت أحياء اليابس ! وهذه الحقيقة العلمية هى من أروع الأمثلة لتفسير قوله تعالى :

٨ ـ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

يس (٨٢)

٩ ـ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

النحل (٤٠)

١٠ ـ ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

مريم (٣٥)

أى إن شأنه سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً من الأمور لصالح قد نعلمه أو لا نعلمه ، نفذت إرادته فى الحال لا محالة بقوله ـ كن ـ :

١١ ـ ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ .

القمر (٥٠)

وتتعدد الآيات الكريمة التى تقرر حقيقة تقدير الخالق لما خلق وعنايته ورعايته بما خلق . ولا يعنى ذلك الحد من ملكوت الله عز وجل فهو المالك لخزائن لا تنضب فيها من كل شىء ، ومانزله إلا بقدر معلوم لحكمة قد نعرفها وقد تغيب عنا نظراً لأن علمنا قاصرٌ ومحدود .

لا اسراف فى عمارة الكون :

يذهب فريق من المكابرين خطأ إلى أن ما فى الكون من مادة وإشعاع فيه إسراف ظاهر .

وهم فى ذلك إنما يقدرون الإسراف فى رأيهم بالنسبة لصالح البشر على الأرض دون سائر الموجودات الأخرى ، ومن غير حساب لسلامة عمارة الكون واكتمالها !

لقد فاتهم أن هذا الادعاء مبنى على مبلغ مالديهم من علم يتصف بالنقص والقصور وعدم الشمول . فمثلاً لفترة من الزمان اقتصرت معارفنا عن فائدة القمر ومنازله على أنها علامات فى السماء تعرف الناس المواقيت .

ثم تبين فى عصر العلم أن القمر أيضاً ينظم دوران الأرض حول محورها وبذلك لا يتغير طول اليوم الكامل عليها ، فإذا زادت سرعة الدوران حول المحور قصر طول اليوم وصحب ذلك تبريد ظاهر ، والعكس صحيح .

١٢ ـ ﴿ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ .

المزمل (٢٠)

١٣ ـ ﴿ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ .

الطلاق (٣)

١٤ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ .

يونس (٥)

وما من شىء مادى أو غير مادى ـ مما نعلم ومما لا نعلم ـ إلا عند الله تعالى خزائنه ومستودعاته التى لا تعد ولا تحصى ، وهو ينزل منها مايشاء بعلمه بقدر معلوم وفى زمن معين تقتضيه حكمته البالغة وعلمه بخبايا الوجود :

١٥ ـ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَانُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

الحجر (٢١)

١٦ ـ ﴿ . . وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ .

الشورى (٢٧)

ولو أغدق الله الرزق على جميع عباده كما يتمنون لعم الفساد والطغيان كل أرجاء الأرض ، إلا أن الله تعالى يوسع فى الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء حسب اقتضاء حكمته وعلمه .

١٧ ـ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

القمر (٤٩)

١٨ ـ ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ .

الرعد (١٧)

أى يسيل ماء المطر فى السهول والوديان بالقدر الذى يريده ويشاؤه الخالق العليم . وهى مقادير تتغير من عام إلى آخر . وقد ترتفع إلى حد الفيضانات العالية والسيول الجارفة ، أو تنخفض إلى حد الجفاف ، إلا أنها غالباً ما تكون معتدلة ، وهى ـ دائماً ـ وفق حكمته .

وفيما يتعلق بحياة الإنسان وغيره مثلاً يقول الله تعالى :

١٩ ـ ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ الأعلى (٣) .

أى الذى قدر لكل كائن ـ وكذلك الإنسان ـ ما يصلحه فهداه إليه إما بالعقل أو بالغريزة أو تبعاً للقانون الطبيعى ..

٢٠ ـ ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ . المرسلات (٢١ ، ٢٢)

والمراد إلى وقت قد علمه الله تعالى ، وإن الماء الذى يخلق منه الإنسان إنما يصل إلى مقر يتمكن فيه وهو القرار المكين .

٢١ ـ ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ . عبس (١٨ ، ١٩)

والمراد أن الله تعالى قدر خلق الإنسان أطواراً يمر بها الجنين فى عملية الخلق .

والله تعالى أعلم

للحديث بقية

العنكبوت (٢)

موقع العنكبوت فى الأحياء :

لفظ « عنكبوت » فى الانجليزية « Spider » كلمة ليست ـ كما يظن بعض الناس ـ مشتقة من أصل يونانى ، بل هى من أصل المانى هو Spinner يعنى الكائن الذى يمكنه أن يغزل غزلاً . إلا أنه يحكى فى الأساطير أن هناك فى مملكة ليديا القديمة ، عاشت فتاة تدعى « أراكنيا » ، تعمل فى غزل الأقمشة الفاخرة . ومن فرط مهارتها فى الغزل ، أثارت غيرة « أثينا » ، إلّهة الفنون والصناعات النسائية ، وابنة كبير[1] الإلّهة « زيوس » ، ولم يكن هذا غريباً ، فالآلهة يمكن أن تغار ، مثل نجوم السينما تماماً .

هكذا اقدمت « أثينا » على تمزيق أحد الأقمشة الرائعة التى صنعتها « أراكنيا » . وحزنت الصانعة البائسة ، فشنقت نفسها بواسطة القماش الممزق . وسواء كان السبب هو الندم أو مزيد من الانتقام فإن الآلهة الغيور حولت الثوب إلى نسيج ، والفتاة نفسها إلى عنكبوت[2] .

توصل العلماء والباحثون إلى وصف أكثر من ٣٥,٠٠٠ نوع من العناكب المختلفة الأحجام والأشكال والألوان ، يتطلب التمييز بين أغلبها استخدام الميكروسكوب ، وليست عنكبوت المنزل المعروفة ، غير واحد من هذه الأنواع ، بل أقلها تفننا وابتكاراً فى صنع نسيجها ، ولا تزال الدراسات الميدانية والبحوث تكشف المزيد من أنواع العناكب .

١ ـ كذا قصص هؤلاء الوثنيين .

٢ ـ إبراهيم « صنع الله » : عندما جلست العنكبوت تنتظر . دار الفتى العربى . ط ٢ ، ١٩٨٣ م .

د/ كارم السيد غنيم

تحتل العنكبوت فى عالم الحيوان رتبة « العنكبوتيات » (Araneida) وهى العناكب الأصلية[٣] وهذه الرتبة تتبع طائفة العنكبيات (Arachnida) التى تنتمى إلى شعبة الحيوانات مفصلية الأرجل (Arthro-poda) .

أما عن شكل العنكبوت فالجسم فيها مقسم إلى مقدم وإلى مؤخر ، وهذا المؤخر رخوٌ طرىٍ وغير منقسم إلى عقل أو وحدات ، ويتصل المقدم بالمؤخر بواسطة خصر نحيل ، ولا يوجد له عجب . القرنان الكلابيان (Chelicera) غير مكلبين ويتكون كل منهما من شدفتين[٤] ويحتوبان على غدد السم . الرجلان الملماسيتان « Pedipalps » غير مكلبتين ، وهما حسيتان « ومن الملاحظ أن فيهما غدداً تناسلية طرفية فى حالة الذكر ، لينقل بها الحيوانات المنوية ـ أى الخلايا التناسلية الذكرية ـ إلى الأنثى » . ويوجد فى نهاية الجسم تقريباً ثلاثة أزواج من الغازلات (Spinnerets) .

تتنفس هذه الحيوانات برئات كتبية الشكل ، أو عن طريق قصبات هوائية ، أو بواسطتهما معا . وهى حيوانات بيوضة (Oviparous) أى تضع بيضاً .

والعناكب تشمل مجموعة كبيرة منتشرة انتشاراً واسعاً ، وتظهر فى طرز كثيرة من البيئات وجميع أفرادها مفترس ، وتفترس أساساً الحشرات وتغزل أغلب العناكب بيوتاً من عدة طرز ، تعيش فيها وتقتنص فريستها ، غير أن بعضاً منها لا يبنى بيوتاً ، وإنما يتحرك بسرعة ويتصيد فريسته .

تنتشر العناكب فى معظم بلاد العالم[٥] ، فى المنازل والمزارع والحدائق وعلى السقوف وفى الأركان وشقوق الجدران وبين الأحجار . وبعض أنواعها يعيش فى المياه العذبة وعلى شواطىء البحار . العناكب التى تغزل نسيج بيوتها تخرج مادة هذا النسيج من المغازل « أو الغازلات » التى تظهر على شكل نتوءات (Projections) متحركة فى نهاية البطن وتنتهى بثقوب تخرج منها تلك المادة التى من خصائصها أن تكون سائلة وتجف بمجرد تعرضها لهواء الجو ، وتنشأ عنها خيوط تختلف تبعاً لنوع الغدة ، فالخيوط الدائرية رفيعة ولزجة وتساعد العنكبوت على الإمساك بفريستها ، أما الخيوط القطرية أو الشعاعية فسميكة دقيقة ، وهى التى تكون الهيكل الذى يدعم بيت العنكبوت .

٣ ـ الحسينى ودميان « د . أحمد حماد ، د . اميل شنوده » : بيولوجية الحيوان العملية . ج ٣ ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر . ١٩٧٣ م .

٤ ـ فى المعجم : الشُّدْفة : القطعة ، شدف بابه ضرب : قطع .

٥ ـ نخبة من أساتذة جامعتى القاهرة وعين شمس : علم الحيوان العام . مكتبة الأنجلو المصرية . ط ٣ ، ١٩٦٤ م .

العنكبوت

وتلدغ العنكبوت فريستها بالطرف المدبب للقرن الكلابى « أى عن طريق مقدم الجسد » وهو عبارة عن مخلب قوى تفتح فى نهايته غدة سامة .

تختلف العناكب عن الحشرات بالرغم من أنهما ينتميان إلى شعبة واحدة فى عالم الحيوان ، وكثير من الناس يعدون العناكب من الحشرات .

وإذا كنا قد أسلفنا بعضا من صفات العنكبوت الجسدية ، فالواجب الآن إيراد بعض صفات الحشرات ، حتى تتضح المسألة .

تقع الحشرات فى طائفة الحشرات (In-secta) والجسم فيها مقسم إلى ثلاث مناطق هى الرأس والصدر والبطن .

تتركب الرأس من ست عقل مدغمة فى بعضها ، ولكن زوائد هذه العقل يظهر أغلبها واضحة ، فيوجد زوج من قرون الاستشعار « الزبانى » ، وزوج من العيون المركبة على جانبى الرأس ، وعدد من العيون البسيطة « العوينات » . كما أن أجزاء الفم من فكوك ولحى تعتبر من الزوائد الرأسية . إذا انتقلنا إلى المنطقة التى تلى الرأس إلى الخلف نجد الصدر يتكون من ثلاث عقلات ، كل واحدة يخرج منها زوج من الأرجل أى أن أرجل المشى « أو الحركة عموماً » بمكان الصدر وعددها ست ، ومن هنا سميت هذه الطائفة « سداسيات الأرجل » . كما يخرج زوج من الأجنحة من الجهة الظهرية للعقلتين الثانية والثالثة فى الصدر ، أى أن للحشرة زوجين من الأجنحة .

المنطقة الخلفية فى الجسم هى البطن ، وهى مقسمة « فى الحالة المثالية » إلى ١١ عقلة ، لا يوجد بها أرجل للحركة فى أغلب الأحوال . ومن الحشرات ما يسكن الماء ، ومنها ما يعيش تحت سطح الأرض ، ومنها ما يقطن أماكن فوق سطح الأرض ، ومنها ما يطير فى الهواء .

غزل العنكبوت :

ويتناول كلامنا فيه الجوانب الآتية :

مصانع الغزل : قلنا أن فى مؤخر بطن العنكبوت يوجد ثلاثة أزواج من المغازل ، ومن المعروف لدى علماء الأحياء أن هذه المغازل « أو المناول » تأتيها المادة الخام التى تقوم بغزلها عن طريق سبع غدد على الأقل ، وربما يصل عدد هذه الغدد فى بعض أنواع العناكب إلى ٦٠٠ ، وهى غدد منفصلة عن بعضها ، وتنتظم فى ستة أنواع « أو أنماط » أو أصناف من الغدد .

خواص الغزل : خيوط العنكبوت حريرية المادة ، رفيعة جداً حتى أن سمك شعرة واحدة من رأس الإنسان يزيد عن سمك خيط الحرير بحوالى ٤٠٠٠ مرة ، أى أننا لو غزلنا ٤٠٠٠ خيط من خيوط العنكبوت لوصلت إلى سمك شعرة واحدة من شعر رأس الإنسان[٦] قد تبدو خيوط العنكبوت ضعيفة ، فهبة

٦ ـ صالح « د . عبد المحسن » : النساجون الأوائل .. بين الحقيقة والأسطورة . الدوحة بقطر (٩٢) ١٩٨٣ م .

ريح تمزق نسج هذا الكائن ، ولكن الدراسات دلت على أن هذه الخيوط وصلت من المرونة والشدة والمتانة لدرجة أنه إذا شددنا أحدها بقوة تمدد إلى حوالى نصف طوله الأصلى دون أن ينقطع . وباستخدام الأجهزة الحديثة توصل العلماء إلى قياس قوة الشد Tensile) (Strength لهذه الخيوط فوجدها كبيرة جداً حتى أنها لا يفوقها سوى ألياف « الكوارتز » المختلطة . ولقد لوحظ أن قوة الشد هذه تختلف من خيط إلى آخر برغم أن كلها خيوط تغزلها العناكب ، وتتوقف هذه القوة على سرعة غزل الخيط نفسه ، فكلما كانت أكبر كلما كانت قدرته على تحمل الشد أكثر .

لا تبنى العنكبوت بيتها من خيوط فرادى وإنما من ضفائر « أو جدائل » ، كل واحدة منها تضم خيوطاً « أو أليافاً » قطر الخيط الواحد يصل إلى حوالى جزء فقط من المليون من « البوصة » . ويتوقف سمك الجديلة على عدد الخيوط المكونة لها . وبعض هذه الخيوط لزج لاصق ، وبعضها جاف .

بعد أن يتم غزل الخيوط وضمها معاً فى شكل ضفائر ، يرى عليه عقد أو حبات خرز ، وهذا النوع من الخيوط يفرزه العنكبوت ببطء ، وذلك نتيجة ميكانيكية دفع الخيط إلى الخارج من المغازل ، حيث يتم ذلك بهزات تشنجية عنيفة (Jerk) فيحدث أن ينتشر عليه فقاعات من سائل لزج حوله .

نسج العنكبوت :

ومن الأمور الشيقة ما يلى :

تعدد اغراضه : يمثل نسج العنكبوت (Web) أو « بيتها » أهمية كبرى فى حياته ، ذلك لأنه يستخدمه فى أغراضه الشتى التى منها إعداد وتجهيز أكياس البيض ، تجهيز المهاد والأسرة الملائمة لحضانة الذرية اللاحقة ، بناء غرف الرقاد الشتوى ، تشييد مخادع التسافد ، أو حتى موائد التهام الولائم التى هى عبارة عن فريسة أو أكثر تم اقتناصها وهى لا تزيد عن كونها ذبابة مثلاً . كما أن العنكبوت يستخدم بيته « أو خيمته » فخاً أو مصيدة للإيقاع بفريسته وإحكام القبض على جسدها ومن خيوط العنكبوت ما يسمى « حبل النجاة » .

حبل النجاة : حبل النجاة Drag) (line عبارة عن خيط يستخدمه العنكبوت فى أغراض معيشية شتى ، فمثلاً إذا أراد الرحيل من مكانه ، فإنه يرحل على طول هذا الحبل المشدود ، حيث يقوم أولاً بغزله ودفعه إلى الخلف خارج غازلاته ـ كما لو كان حبلاً ملفوفاً على بكرة خيط ـ ليندفع هو نفسه إلى الأمام . ويظل هذا الحبل ممتداً مع صاحبه أينما توجه دونما انقطاع حتى فى أصعب اللحظات حينما يواجه أرزاء حياته أو أية مشكلات معيشية أثناء عمليات الصيد والقنص أو طلب الزواج أو الهروب من الخصوم والأعداء أو حتى الهجوم على بعض الكائنات الأخرى .

بيوت العنكبوت : راقب الباحثون أنواعاً مختلفة من العناكب فوجدوا لها قدرات فائقة فى العمليات الإنشائية حين تشيد

←

العنكبوت

بيوتها ، منذ لحظة اختيار الموقع إلى تحديد زوايا القوائم ، إلى تجهيز « كمرات » البيت ، وما إلى ذلك من خطوات الإنشاء وإجراءاته . وإذا كنا قد أسلفنا القول بأن بيت العنكبوت متعدد الأغراض فى حياة صاحبه ، فإن من أنواع العناكب مالاً يلجأ إلى بيته فى عمليات قنص وصيد الفرائس ، ولكنه إذا أحسّ بمقدم فريسة مناسبة ترصَّد لها وباغتها بهجوم قاتل ، أو جرى ورائها واقتفى أثرها حتى يتمكن من الإمساك بها مهما راوغته وتملصت من بين يديه .

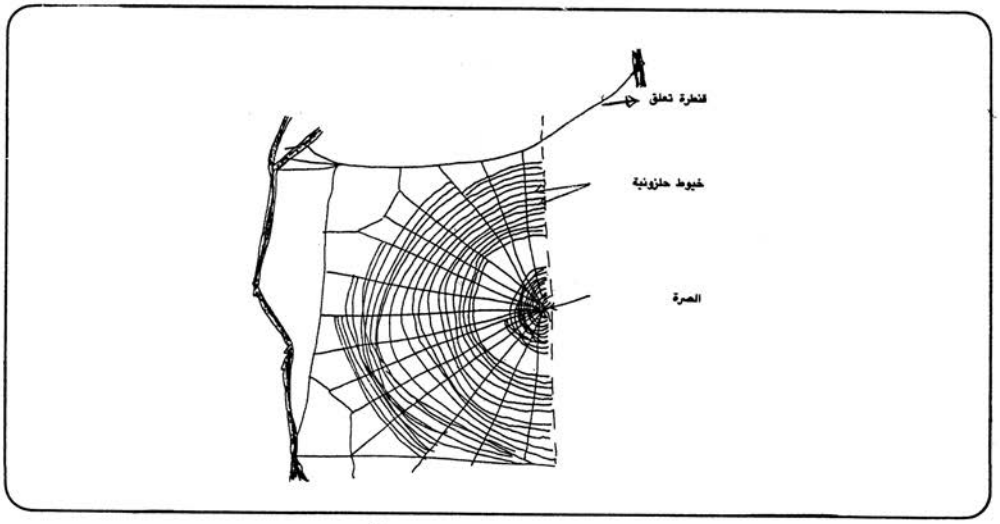
يوجد من بيوت العنكبوت أربعة أنواع « أو طُرُز »[٧] هى :

١ ـ البيوت الشبكية غير المنتظمة .
٢ ـ البيوت الشبكية الفسطاطية الشكل .
٣ ـ البيوت الشبكية القمعية الشكل .
٤ ـ البيوت الشبكية الدائرية النسج .

غالباً ما يتشكل بيت أحد أفراد العنكبوت من طراز واحد من هذه الطرز ، إلا أن من العناكب ما يشيد بيته من عدة طرز مختلطة ، يجمع بينها فى بيت واحد ، بمعنى أن بيته غير نمطى الشكل « أو الطابع » . كما أنه لوحظ انشغال العنكبوت الذكر بالنسج والتشييد والتوسعة فى بيته واستمراره فى هذه الأعمال حتى يبلغ نضجه التناسلى ، وعندها يتوقف عن النشاط المعمارى ليبدأ يزاول نشاطا آخر هو المساهمة فى إنجاب الذرية التى هى سنة الحياة .

وحتى لا يطول بنا المقال فإننا سنقتصر على بيان طراز واحد هو النوع :

الدائرى من بيوت العنكبوت :



شكل (٢) : بيت شبكى دائرى

٧ ـ شوتلزوورث (د /) : قصة العناكب . مؤسسة دبلدى ، نيويورك ، ١٩٥٩ . ترجمة : د . كارم السيد غنيم ، تحت الطبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

هيا الآن نرقب أحد عناكب الحدائق وهى التى تبنى بيوتها بهذا النَّوْل الدائرى ، لنرى كيف يضطلع بانجاز هذا العمل الفنى الرائع :

الخطوة الأولى : هى إنشاء قنطرة معلقة ، تُعَدُّ الدعامة الأساسية التى سيتدلى منها البيت بأكمله ، ويتم إنشاء هذه القنطرة بإحدى طريقتين : إما أن يقف العنكبوت على مكان ويرسل غزله هائماً فى الهواء فإذا ما لامس شيئاً ما التصق به ، وعندئذ يشده العنكبوت ويزوده بخيوط أخرى . وأما بواسطة غزل خيط حريرى ، وقذفه إلى شىء ما مرتفع وتثبيته به ، ثم الاتجاه إلى الناحية المقابلة لذلك المكان حيث يقوم العنكبوت هنا بإجراءات تشييد بيته كاملاً هكذا :

يقفز العنكبوت إلى مكان مرتفع يناسب المكان الأول ، ثم يثبت فيه الطرف الآخر للقنطرة ، ويُدعم هذه القنطرة بخيوط إضافيه ، ثم بعد ذلك يسقط إلى أسفل ليتلمس شيئاً كعشب على الأرض مثلاً ، فإذا ما تم له ذلك ربطه بخيط حريرى سبق للعنكبوت أن ثبت طرفه فى القنطرة قبل النزول إلى أسفل ، ثم يفرز خيوطاً أخرى إضافية لتدعيم هذا الهيكل المثلثى الشكل ، وهذا الهيكل هو الأساس الذى عليه ينسج العنكبوت نسجه الدائرى من خيوطه الحريرية التى تترابط فى جميع الاتجاهات .

تتلخص عمليات إنشاء البيت الدائرى فى إسقاط العنكبوت لحبل جديد من الهيكل البنائى الذى وضعه سابقاً ، ويتسلقه حتى منتصفه تقريباً ، وهذه هى النقطة التى تعتبر مركز البيت عموماً « أو صرَّته Hub » ، ومن هنا يمد خيوطا أو حبالاً تشبه الأسلاك الخارجة من مركز إطار الدراجة البخارية ، وإذ هى كذلك لا ينسى أن يدعم صرة البيت بأحبال إضافية بين الحين والآخر . وبعد ذلك يقوم بمد حبالاً حلزونية حول الحبال الشعاعية الموجودة ، وتظل هكذا حتى تنتهى من إنشاء ما يسمى « السقالة الحلزونية » (Scaffolding spiral) يفرز العنكبوت أعلاها خيوطا حريرية جافة غير لزجة ، بينما يفرز الخيوط اللزجة فى أماكن أخرى كثيرة يملأ بها أركان البيت . بعد الانتهاء من بناء البيت يذهب العنكبوت صوب السقالة فيقطعها حيث لا استخدام لها بعد . وإلى هنا يكون العنكبوت قد أتم بناء بيته ، إلا أن من العناكب ما يضع لمسات تشطيب خاصة فيه ، فتغزل أشرطة متعرجة بيضاء حول البيت أو أسفل الصرة .



مجلة الأزهر من خمسين عاماً

الأمانة الأمانة

أيها المعربون

للأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقى

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع العلم امانة ، والتاريخ امانة .. ومن الأمانة تحرى الدقة فى ترجمة النصوص وبخاصة الدينية حتى لا تختلط الأمور وتفسد الحقائق . فعدم المعرفة عذر مقبول أما إدعاء المعرفة فجهل مغرور قال الأستاذ :

يقرأ القارىء فى كتاب (حياة محمد) تأليف أميل درمنغم وتعريب محمد عادل زعيتر بالصفحة ٢٥٧ مايأتى :

« وحدث مرة أن رجلا من الأنصار هرع إلى المسجد وجلس على ركبتيه وأخذ يضرب زوجته وهو ينعتها بالزانية ، فلم يقل محمد كلمة وأعرض عنه ، ثم لحقه الأنصارى وكرر قوله أربع مرات ، فيروى أنه جلد لذلك . أهـ »

وإذا رجع إلى الأصل الفرنسى ص ٢٩٣ يقرأ مايأتى :

Un jour, un autre Ançari court à la mosquée, se met à genou, bat sa coulpe et crie : "Le dernier des derniers a forniquè !" Mahomet ne répond rien et se détourne .

L'homme le suit, répétant quatre fois son aveu, Etl'on dit qu'il fut en conséquenee lapidé .

وتعريب ذلك حرفياً مايأتى :

ذات يوم ، أقبل أنصارى آخر إلى المسجد ، وركع ، وضرب صدره ندماً ، وصاح « إن أخير الأخيرين (يريد الآخِر كما جاء فى الحديث الآتى فى الطريق الأولى) قد زنى ! » فلم يجب محمد بشىء وأعرض . فتبعه الرجل

إعداد وتقديم
عبدالفتاح حسين الزيات

مكرراً أربع مرات اعترافه . ويقال إنه بناء على ذلك قد رجم .

ونص الحديث الصحيح كما جاء فى طرقه الأربع فى البخارى ثم فى صحيح مسلم هو مايأتى :

١ ـ ٦٨ ـ كتاب الطلاق ١١ ـ باب الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران عن أبى هريرة قال : أتى رجل من أسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه ، فقال يارسول الله إن الآخِر قد زنى (يريد نفسه) فأعرض عنه ، فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قِبَله ، فقال يارسول الله إن الآخر قد زنى ، فأعرض عنه ، فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قبله ، فقال له ذلك ، فأعرض عنه ، فتنحى له الرابعة ؛ فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه فقال : هل بك جنون ؟ قال لا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه . وكان قد أحصن .

٢ ـ ٨٦ ـ كتاب الحدود ٢٢ ـ باب لا يرجم المجنون والمجنونة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه فقال : يارسول الله إنى زنيت ، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ قال لا . قال : فهل أحصنت ؟ قال نعم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه .

٣ ـ ٨٦ ـ كتاب الحدود ٢٩ ـ باب سؤال الإمام المقر هل أحصنت ؟

عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الناس وهو فى المسجد فناداه : يارسول الله إنى زنيت (يريد نفسه) ، فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قبله ، فقال : يارسول الله إنى زنيت ! فأعرض عنه ، فجاء لشق وجه النبى صلى الله عليه وسلم الذى أعرض عنه ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ قال لا يارسول الله . فقال : أحصنت ؟ قال نعم يارسول الله ! قال : اذهبوا فارجموه .

٤ ـ ٩٣ ـ كتاب الأحكام ١٩ ـ باب من حكم فى المسجد

عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه فقال : يارسول الله إنى زنيت ، فأعرض عنه ، فلما شهد على نفسه أربعاً قال : أبك جنون ؟ قال لا . قال : اذهبوا به فارجموه .

٥ ـ وجاء فى صحيح مسلم :

٢٩ ـ كتاب الحدود ٥ ـ باب من اعترف على نفسه بالزنا

عن أبى هريرة قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه فقال : يارسول الله إنى زنيت ! فأعرض عنه ، فتنحى تلقاء وجهه ، فقال : يارسول الله إنى زنيت ! فأعرض عنه ، حتى ثنّى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد

على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ فقال لا . قال : فهل أحصنت ؟ قال نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه .

*
**

تُجمع هذه الطرق الخمس لهذا الحديث الصحيح على أن الرجل هو الزانى ، وأنه لما شهد على نفسه أربع شهادات وكان قد أحصن ولم يكن به جنون ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يذهبوا به ليرجموه .

والنص الفرنسى الذى جاء به غريب اللغة والدين يتفق مع هذه النصوص فى أن الرجل هو الزانى ، وأنه اعترف على نفسه أربع مرات ، وأنه لذلك قد رجم .

وإن كان قد أغفل سؤال النبى صلى الله عليه وسلم له هل أحصن وهل به جنون ، إذ لا يرجم المجنون ولا غير المحصن .

فمن أين جاء الأستاذ المسلم العربى الناقلة إلى العربية أن الزانية هى الزوجة ، وأن الرجل أخذ يضربها وينعتها بالزانية ، وأنه جلد لا رجم ؟!

سأدلكم أنا أيها القراء كيف هوى به الجهل باللغة التى ينقل منها إلى هذه الهاوية !

جاء فى النص الفرنسى bat sa coulpe فبحث فى معجمه عن bathre sa coulpe فلم يجد لها به أثراً ، فظن أن التصحيف الذى قد سلط على اللغة العربية فى كتابات الأقدمين قد تطرق أخيراً إلى اللغة الفرنسية ، ولم يعن بالبحث عنها فى أحد المعاجم الفرنسية ، فظنها تصحيفاً لكلمة Couple وبحث فى معجمه فوجد أن Couple معناها زوج فصار أمامه : (١) يضرب و(٢) زوج فلفق لها هذه الجملة « وأخذ يضرب زوجته » . ولكن Couple وإن كان معناها الزوج فليس الزوج هنا بمعنى الحليلة ، ولكن كل اثنين متشابهين يطلق عليهما زوج ، ويطلق على الرجل والمرأة معاً زوج . أما الزوجة بمعنى الحليلة فما كانت أبداإحدى معانى — Couple

ثم أين نجد فى النص الفرنسى مايقابل (وهو ينعتها بالزانية) ؟ . إن ما بالنص A fariuqué le derwir de derwirs وترجمته كما جاء فى الطريق الأولى للحديث أن الآخِر قد زنى (يريد نفسه) كما تقول : إن الأبعد قد فعل كذا تريد نفسك .

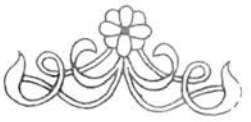
ثم إن Lapislé معناها رجم كما جاء فى الطرق الخمس للحديث ، فمن أين جاءه أن معناها جُلد ؟ فبدلاً من أن يعنى حضرة المعرب المسلم العربى بالرجوع إلى المصادر الأصلية فيراجعها على الأصل المترجم منه فيقر ماجاء مطابقاً له ويشير إلى ما خالفه ويزيد ما أغفله ويوضح ما غمض وأبهم - نراه ترك هذا كله وارتكب مالم يرتكبه إلا جاهل باللغة التى ينقل منها ، وإلا جاهل بالنص الذى ينقل فيه ، وما هكذا تكون الأمانة فى التعريب . وقديماً قال الشاعر الجاهلى :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

الشعر والشعراء

أرجنا به



مد وجزر راض عن الله



سراقة بن مالك

أرحنا بها

بلالٌ على كل المآذن كبرا ... وألقى على الأسماع لحنا منورا

ونادى فهب الكون من غفوة الكرى ... يعانق صبحاً بالهداية أسفرا

أرحنا بها،قال النبى،ولم يزل ... صدى صوته العلوى نوراً وجوهرا

أرحنا بنور الوصل فى ساحة الرضا ... وَرَدِّدْ نِداءَ الله فى مسمع الورى

أرحنا بها أيقظ من التيه أمة ... تطاول فيها الوهم والليل والكرى

أرحنا بها علّ القلوب وقد مضى ... عليها زمان تدرك الآن ما جرى

●●●

فمن أركبوا التاريخ خلف ظهورهم ... ومن بددوا الشملين : كسرى وقيصرا

ومن علموا الدنيا رشادا وحكمة ... ومن حاربوا الطغيان حتى تكسرا

ومن أنبتوا فى الأرض عدلا ورحمة ... ومن ألبسوا الأيام ثوباً مطهراً

ومن حققوا للناس أكرم أمة ... فكانت بحقٍ خيرَ من وطىء الثرى

ومن طوفوا بالنور والعلم والهدى ... يشقون ليل الجهل حتى تحررا

ومن خلدوا الأمجاد علوية الخُطَا ... تتيه على الدنيا كتابا ومنبرا

تراهم حيارى ضيع الخلف ريحهم ... خطاهم على الدرب الطويل تعثرا

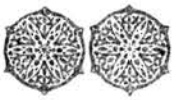
وجفت ينابيع المحبة بينهم ... وأضحى صفاء النبع وردا معكرا

رشاد محمد يوسف

وعاشوا على سفح الحياة أذلة ... وكانوا حداة الركب يحيون فى الذرا
كأن هموم الدهر حطت بأرضهم ... وخيم فيها الظلمُ والبطشُ أَدْهُرَا
يهوذا وشذاذ الحياة تآمروا ... على الأرض والإنسانِ حتى تقهقرا
وعادت أساليب اليهود خسيسة ... تعيد إلى الدنيا ثقيفا وخيبرا

●●●

فَأَذِّنْ ـ بلال الخير ـ بالخير والهدى ... وصب على الأسماعِ مسكا وعنبرا
وأذِّنْ لتهدى الحائرين لدربهم ... وتجمع شملا فى البلاد تبعثرا
وقل لعباد الله : إن صلاتهم ... هى الوحدة العصماء موثوقة العُرَا
وقل لعباد الله : إن فَلاحَهم ... عطاء لمن لبَّى وصلى وكبرا
افيقوا عبادَ الله فالنار حولكم ... وحولكم الأحداث نابأً وأظفرا
ومازالت الأصنام تعبد بينكم ... يطوف بها من خان أو ضل وافترى
وليس سوى الإسلام ريِّاً لظامىء ... وظلا لمقهور وشهدا وكوثرا
وليس سوى القرآن زادا ومسلكا ... يبدل فينا العُسر عيشا مُيَسَّرَا
اجيبوا نداء الله ياخير أمة ... وكونوا لدين الله حزبا وعسكرا
تطيب بانوار الصلاة حياتكم ... ويغدو الثرى فينان والعيش أخضرا



مد وجزر

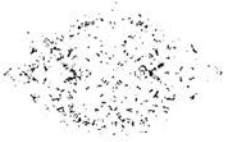
أحمد محمود مبارك

تُعانى الروحُ من ظمأِ الشباب
وتخشى أن يحيدَ عنَ الصوابِ
فإنى ظامىء والنبعُ حولى
وعذْبُ الماء يُغرى بالشرابِ
أواجهُ بالعفافِ فتونَ دنيا
تراودنى وتسعى لاقْترابى
لكى يدنوْ ضيائى من شفاها
وتُطفئَهُ بمعسول الرّضابِ
وأجتنبُ الهوى مهما تعالى
نداه فلا أفكِّرُ فى الجوابِ
ولكنِّى غدوتُ برغمِ طُهْرى
أخافُ اليومَ أن تطغى رغابى
فلى قلبٌ يخاتلنى ويسعى
ليهدمَ حِصْنَ أمنى واجْتنابى
فإن أوصدت دون النبعِ بابى
يُراوغنى لكى يجتازَ بابى
وقنديلى تُهدِّدهُ رياحٌ
وحول الأفْقِ جيشٌ من ضبابِ
عليمٌ انت يارب بما بى
فَحُلْ بينى وبين هوى انْجذابى
إلى الدرك الذى تأباه روحى
ويدفعنى إليه لظى الشبابِ
مصابٌ بالفؤاد وبالرِّغاب
فَكُنْ عونى على هذا المصابِ

بسم الله

للشاعرة : علية الجعار

إن تهتُ فى دوامة العصيان
و اهتز من خوف العذاب كيانى
الدمع يجرى من عيونى خشية
و يئن قلبى تائبا ولسانى
و ألوذ باسم الله أرجو عفوهُ
و يشد أزرى عنده إيمانى
فأرى الوجود تفتحت أنواره
و أحس الاطمئنان فى وجدانى
و أسبح الله الكريم يردنا
لطريقه ... بالعفو والغفران



راضٍ عن الله

لفضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم

راضٍ عن الله في سرى وفي علني ... راض عن الله مهما كان من زمني
راضٍ عن الله ، إني إن رضيت بما ... يرضيه فهْو سيرضيني ويرحمني
راضٍ عن الله وهْو المرتجى فإذا ... مامسني الضر أرضاني وأكرمني
راضٍ عن الله إيماناً به وغِنىً ... ومن يَلُذْ بغنيِّ الذات فهو غَنِي
راضٍ عن الله ، إني إن غضبت فلن ... أغير الأمر ، أو أرتاح من شجَني

★★★★

جرتْ عليّ مقاديرٌ وأقضية ... حتى كأنِّيَ مخلوق من المحنِ !
أرحتُ نفسَى بالتسليم مقتنعا ... بأن رحمة ربي ليس تُسلِمُني
فوضتُ أمرى له ، إني وثقت به ... ربّاً رحيما بعبدٍ فيهِ مُمْتحِنِ
وبعت نفسَى في ساح الرضا ، وبه ... خلعت نعْليَّ لم أضعف ولم أَهِنِ
عملتُ ما اسطعتُ فليمض القضاء كما ... يمضى ، لعلّ خفيّ اللطف يمنعني

★★★★

رضاكَ أرجو فإن كان الرضا قدرى ... فكلُ ماشئتَ يامولاى يُسعدني
أقمتني في مقام العز ممتحناً ... ومن يقم في مقام العز لم يَهِنِ

سُراقة بن مالك

للشاعر: محمد أمين الشيخ

الفارس الفاتك المرهوب جانبه ... سراقة ، في ظلام الليل قد وثبا
يطير فوق جواد لا تسابقه ... هوج الرياح .. ولم يألف به تعبا
وسيفه القاطع البتار يصحبه ... وكم قتيل على حديه قد خضبا
ماذا سراقة ؟ ماذا قد ألم به ... قالوا : محمد والصديق قد ذهبا
فأوفدته قريش .. إن أتى بهما ... فإنه سينال المال والأربا
مضى سراقة مخموراً .. على ثقة ... ومن يباريه في الأهوال إن غضبا
وأدرك الركب .. وارتاحت سرائره ... وجرد السيف كالموتور واقتربا
فهاله أن رأى رعبا يلم به ... وساخ أَجْرَدُهُ في الرمل مضطربا
ما للجواد ؟ لقد ساخت قوائمه ... وسيفه زل عما رامه ونبا
رأى نهاية مغرور تطيف به ... فصاح في القفر مذعوراً ومنتحبا
محمد يارسول الله خذ بيدي ... إني أسأت إليك القصد والأدبا
شاهت قريش .. وشاه المرجفون بها ... ياليتهم شاهدوني خائراً عطبا
أشار كفُّ رسول الله فاعتدلت ... قوائم المهر فوق الرمل وانتصبا
مضى سراقة نحو المصطفى دهشاً ... يقبل الكف يرجو عفوه رغبا
آمنت بالله منذ اليوم وانصرفت ... عني الأراجيف .. والإسلام قد وجبا
خذني لديك فإن النور يغمرني ... وفي فؤادي يقين يملأ الرُّحَبَا
عد ياسراقةُ بالغفران .. واحكِ لهم ... ما قد رأيت .. فإن الله قد غلبا
سوار كسرى مع الأيام تملكه ... فامشق حسامك للإسلام مرتقبا
وسار ركب رسول الله تشمله ... رعايةُ أشبهت في فيضها السحبا
أعطى سراقةُ للإسلام قوته ... وفي الفتوحات قاد العصبة النجبا
وحين دانت بلاد الفرس قيل له ... هذا سِوارُكَ فلتفرح به طربا
بكى سراقة شكراناً .. وفي يده ... سِوار كسرى .. فسبحان الذي وهبا

طرائف

«أهـــلا»

فى ذكرى ميلاد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفضيلة المرحوم العارف بالله الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى : ـ رحمه الله ـ .

أهلا بسعد الكون مصدر عِزّهِ
أهـلا بطلعته ونـور بهائـه

أهلا بمن وهب الحياة وساقها
عفوا لميت الجهل فى صحرائه

أهلا بمن تحيا القلوب بحبه
وتموت إن طويت على بغضائه

لم أدر كيف يذوق طعم حياته
من لم يذق فى العيش طعم ولائه

«موعظـة»

كان صالح اللخمى الدمشقى شاعراً وحكيماً ، وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة ؛ فقال :

« يابنى إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله ـ تعالى ـ فكم مسلوب دينه ومَنْزُوع ملكه ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره فى ذلك اليوم وأنت فى عافية » .

« ماذا نجد فى القرآن الكريم ؟ »

حكى أن أم غزوان الرقاشى قالت لابنها غزوان ، وكان من الاتقياء الصالحين ، وقد رأته يقرأ فى المصحف :

ياغزوان .. أما تجد فى هذا القرآن بعيراً

إعداد الأستاذ :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

ضلّ لى فى الجاهلية ؟
فما نَهرها غزوان بل قال :
أمة الله .. أجد والله فيه وعدا حسنا ؛
ووعيداً شديداً .

« اختبارات »

يختبر الذهب بالنار ، وتختبر المرأة بالذهب ويختبر الرجل بالمرأة .

« فى العلم والعمل »

ياأيها العالم المرضى سيرته
أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويـاأخـا الجـهـل لـو أمسيت فى لُجَج
فأنت مابينها لاشك ظمآن
وكل كسر فإن الدين يجبره
وما لكسر قناة الدين جُبْران

« السياسة المتنوعة »

كتب معاوية ـ رضى الله عنه ـ إلى أحد عماله قائلاً :
لا ينبغى أن نسوس الناس سياسة واحدة .
ولا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية .
ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

« أركان السعادة »

أركان السعادة ثلاثة : أن تجد شيئا تعمله ، وشيئا تحبه ، وأملا ترجو تحقيقه أو تسعى إليه .

« إثنان طيبان لا يفترقان »

إثنان طيبان لا يفترقان أبداً ، وإذا افترقا حلت الكارثة الكبرى وهما معاشارة الإنسانية العليا ، ورمز الحضارة المنتصرة وقمة من قمم الكمالات والفضائل :

إذا ذُكر القرآن ذكر معه التدبر ، فالقرآن والتدبر لا يفترقان .

وإذا ذكرت الصلاة ذكر معها الخشوع ، فالصلاة والخشوع لا يفترقان .

وإذا ذكر العلم ذكر معه الإيمان .. فالعلم والإيمان لا يفترقان .

وإذا ذكر الحكم ذكر معه العدل .. فالحكم والعدل لا يفترقان .

وإذا ذكر الحق ذكر معه الخير .. فالحق والخير لا يفترقان .

وإذا ذكرت النعمة ذكر معها الشكر .. فالنعمة والشكر لا يفترقان .

وإذا ذكرت الدنيا ذكرت معها الآخرة .. فالدنيا والآخرة لا يفترقان .

« دعـــاء »

اللهم إنا إليك محتاجون فأعطنا ، وعن الطاعة عاجزون فأقدرنا ، وهب لنا قدرة على طاعتك ، وعجزا عن معصيتك ، واستسلاما لربوبيتك ، وصبرا على أحكام إلهيتك وعزا بالانتساب إليك ، وراحة فى قلوبنا بالتوكل عليك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لـــدى قطـــاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ــ شـــارع جـــلاء ــ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم ٤٠٠ — جنيه ٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* با دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسســـه الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية أصلها ونشأتها



المديح النبوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اللغة العربية

أصلها ونشأتها - تطورها وسر خلودها

لغة اية امة تمثل شخصيتها ، واوثق وشائجها ، فهى سجل تاريخها ، ومناط عزها ، وملاذ اجيالها المتعاقبة ، وهى عنوان نهوضها وارتقائها فى الماضى والحاضر .

واللغة العربية منسوبة إلى (العرب) وهم سكان شبه الجزيرة العربية من أقدم العصور ، ويرجعون فى أصلهم إلى الجنس السامى[1] نسبة إلى (سام) بن (نوح عليه السلام) ، الذى استقر هو وذريته فى غرب القارة الآسيوية وجنوبها - ولغة العرب تفرعت عن اللغة (السَّامية الأولى) التى كانت الأمّ لعدة لغات قديمة عرفت (بمجموعة اللغات السَّامية) منها :

١ - (الكنعانية): لغة الفلسطينيين القدماء .

٢ - (الفينيقية): لغة أهل سواحل الشام .

٣ - (العبريّة): لغة الطارئين من بنى إسرائيل الأقدمين على فلسطين .

٤ - (الآرامية): لغة الآراميين الذين سكنوا حوض نهر الفرات بين سورية والعراق .

٥ - (النبطية): لغة الأنباط الذين سكنوا شرقى الأردن وجزءا من شبه جزيرة سيناء .

٦ ، ٧ - (البابلية والكلدانية): وتكلم بهما أهل جنوب العراق .

٨ - (السريانية) : وهى لغة تفرعت عن الكلدانية - ومما تفرع عن السامية أيضاً (الهيروغليفية) و (الحبشية) فى رأى بعض الباحثين[2]

أما (اللغة السامية) الأم فقد انقرضت وبادت من قديم ، وخلفتها تلك الفروع التى ذكرناها ، لكنها أيضاً بادت وانقرضت من بعد - إلا العربية - فبعضها باد قبل ظهور الإسلام كالكنعانية والبابلية والفينيقية ، والبعض الآخر انقرض بعد الإسلام

(١) ويقابله فى أجناس البشر (الجنس الحامى) نسبة إلى (حام) بن نوح و (الجنس الآرى) نسبة إلى (آربن يافث بن نوح) .

(٢) راجع لغتنا القومية للأستاذ عمر الدسوقى .

كالسريانية والنبطية ، بحيث لم يبق من تلك اللغات إلا آثار مكتوبة على الأحجار أو الجلود أو البردى ، لا تزال شاخصة على جدران بعض الأبنية التى سلمت من البلى ، أو محفوظة فى المتاحف يرجع إليها علماء اللغات والحضارات والدارسون المتخصصون ، كما هو الشأن فى « الهيروغليفية » و « اللاتينية » و « اليونانية » القديمة ، وغيرها من اللغات الأثرية الميتة .

أما اللغة السامية المستثناة من الانقراض ، الوحيدة من بينها ، الباقية المتداولة إلى اليوم فهى (اللغة العربية) أعرق اللغات الحية وأصَلُها ، وأثبتها على مر الزمان ، وتوالى الخطوب ، حيث يتكلم بها فى عصرنا هذا أكثر من (مائة مليون) من البشر هم العرب المحدثون ، يؤازرهم فى دعمها وحبها زهاء (ألف مليون) إنسان من المسلمين الناطقين بلغات أخرى شتى فى مشارق الأرض ومغاربها مضافاً - إليهما - إقبال كثير من غير المسلمين على تعلمها ويدل على أن اللغة العربية وأخواتها التى سبق ذكرها ساميات الأصل ، وأن تسميتها (بمجموعة اللغات السامية) صحيحة ، أمران هما :

١ - أن الشعوب التى نطقت بهذه اللغات شعوب (سامية) الأصل كما قرر علماء الأجناس والمؤرخون[٣] .

٢ - ما وجده علماء اللغات من تشابه كبير فى الخصائص اللغوية لهذه المجموعة ، ومن ذلك :

أ - زيادة عدد حروفها الهجائية عن عدد حروف مجموعة (اللغات الآرية) ، واشتراكها فى حروف خاصة بها ، لا توجد فى غيرها من اللغات الآرية والحامية كالحاء والعين والضاد والطاء .

ب - اشتراك لغات هذه المجموعة فى بعض الخواص كعلامات التأنيث وطريقة اتصال الضمائر بالأسماء والأفعال .

جـ - اقتصارها فى الكتابة على الحروف دون حركاتها ، فلا يردفون الحرف بحرف آخر يدل على الفتحة أو الضمة أو الكسرة كما فى اللغات غير السامية .

د - اشتقاق صيغ متعددة من المادة الواحدة فى كل منها .

هـ - اشتراكها فى كلمات كثيرة بمعنى واحد مع اتفاق اللفظ أو الاختلاف فى حرف واحد وهو اختلاف يسير ، كسلام « وشلوم » فى العربية والعبرية ، « وأنف » « وعنب » فهما فى السريانية بحذف النون ومثل التنوين فهو فى العربية (نون) وفى البابلية (ميم) .. إلخ .

ومما لاشك فيه أن هناك أسباباً وراء بقاء

(٣) راجع تاريخ مصر والعالم القديم للدكتور جمال مختار ، وقصة الجنس البشرى تأليف الدكتور هندريك فان لون ، وترجمة الأستاذين إبراهيم زكى خورشيد واحمد الشنتناوى .

اللغة العربية دون أخواتها الساميات وأن خلودها وحفظها من الضياع والانقراض يرجع إلى تلك الأسباب ومن أهمها قبل نزول القرآن الكريم :

١ ـ اعتزال العرب القدماء بلغتهم العربية فى داخل شبه جزيرتهم وعدم اختلاطهم بغيرهم من الأمم والشعوب فسلمت من التغيير كما أنه لم يطرأ عليها من الغزاة الأجانب من يفرض لغته عليها أو يزاحمها فى عرينها ، أو يقضى عليها .

٢ ـ سعة العربية وغناها بالمفردات والحروف وكثرة المترادفات فيها .

٣ ـ عذوبتها فى النطق وموسيقية ألفاظها وما أوتيت من جمال التعبير .

٤ ـ فلما نزل القرآن الكريم ضمن لها من الوحدة والقوة والعزة ما أحياها أبداً فكان سر خلودها وسبب صمودها إلى ماشاء الله .

نشأتها

هناك سؤال طرحه الباحثون فى نشأة اللغات نعرض له كتمهيد لموضوعنا وهو :

هل اللغة (توقيفية) أى اكتسبها الإنسان عن طريق وحى من الله تعالى ؟ أو هى (مواضعة) أى وضعها البشر باتفاق واصطلاح ارتضوه فيما بينهم ؟.

وفى الإجابة عن هذا السؤال انقسم العلماء فريقين فقال بعضهم بأنها توقيفية أوحى بها إلى آدم أبى البشر وعنه أخذها أولاده ثم تفرعت بعد ذلك . واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة : ٣١) .

ولكن الآية ليست دليلاً قاطعاً فى ذلك لاحتمال أن تكون الأسماء المرادة فى الآية : أسماء الملائكة فحسب ، ويؤيد ذلك فى الآية التالية : ﴿ قَالَ يَاآدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ . . ﴾ والدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وذهب الأكثرون من العلماء إلى أن اللغة تواضع واصطلاح أقدر اللهُ الإنسانَ عليه تمييزاً له عن الحيوان الأعجم الذى يعبر عن أحاسيسه بأصوات محدودة لا يتعداها ـ وهذه القدرة التى حبا الله بها الإنسان هى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن ٢ ، ٣) أى علمه الإفصاح عما فى ضميره بكلام مرتب حسن[٤] وذلك بتيسير النطق ، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها[٥] .

وهناك سؤال آخر يطرحه من قالوا بأن اللغة (مواضعة واصطلاح) هو : هل دلالة الألفاظ على معانيها (ذاتية) ناشئة عن محاكاة الطبيعة ؟

أو أنها (مرتجلة) ابتكرها الإنسان وعم استعمالها فثبتت واستقرت ولو لم يكن بين اللفظ ومعناه مناسبة ؟.

قال بالرأى الأول قوم واستدلوا على ذلك بأسماء الأصوات المحكية عن الطبيعة

(٤) راجع (المصحف المفسر) للمرحوم محمد فريد وجدى عند تفسير سورة الرحمن .

(٥) وراجع تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير عند تفسير سورة الرحمن .

والحياة كالشخير للنائم ، والقهقة والنحنحة وفرقعة الأصابع والزفير للإنسان ، والزئير للأسد . والصهيل والحمحمة للفرس ، والنهيق للحمار ، والعواء للذئب ، والنقيق للضفدع ، وطنين الذباب ، وشقشقة العصفور ، وفحيح الحية ، وحفيف أوراق الشجر ، وخرير الماء ، وقصف الرعد ، وأزيز القدر ، وقمقعة السلاح ، وصليل السيف ، ورنين المعدن ، ومثل كلمات : الدَّق/ الدب ، والمص ، والرش والبقبقة (صوت امتلاء الجرة) ومثل ذلك كثير فى اللغة العربية يجده من يتتبعه فى مظانه[٦] .

وقال بالرأى الثانى قوم لا ينكرون المحاكاة والمناسبة فى بعض اللغة وهو البعض الأقل وذلك يكاد يكون قاصراً على المحسوسات[٧] .

ويقرون أن غالب مفردات اللغة مبنية على الارتجال والابتكار فإنك لو تتبعت معظم الكلمات لم تجد مناسبة بين لفظها ومعناها فأين المناسبة مثلاً بين ألفاظ : رجل ـ امرأة ـ علم ـ جهل ـ كرسى ـ سقف ـ نار ـ ظلمة ـ وردة ـ سمكة وبين معانيها ؟

فالارتجال والابتكار ، ثم العموم وشيوع الاستعمال هو المعول عليه فى اللغة ، والقدرة عليهما من خصائص الإنسان ومواهبه التى حباه الله إياها وفضله بها على سائر مخلوقاته .

وبعد هذا التمهيد الذى نرجو أن يكون ذا فائدة نعود إلى اللغة العربية سائلين عن نشأتها ، فنقول (بوجه عام) : لقد تفرعت لغات البشر كلها عن لغة واحدة ، هى الأم الكبرى ، وهى لغة آدم عليه السلام وهى اللغة التى توارثها عنه أولاده ، ولما كثرت ذرية آدم وتفرقوا فى الأرض واختلفت بيئاتهم الجغرافية وظروفهم المعيشية ، وأحوالهم الاجتماعية تفرعت عن لغتهم الأصلية لغات ثم تنوعت بارتجال كلمات جديدة للوفاء بمطالب حياتهم الجديدة ، واستمر التفرع والتنوع باستمرار الهجرات والانتشار فى الأرض وتباعد الأجناس البشرية بعضها عن بعض وارتقاء المجتمعات الإنسانية فى سلم الحضارة وميادين العلم والثقافة ، ولعلك لا تعجبُ إذا علمت أن عدد لغات أهل الأرض اليوم يتجاوز المئات إلى الآلاف !! وكيف تعجب وقد جعل الله تعالى هذه الظاهرة من آيات قدرته ، ودلائل عظمته ؟ حين قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (سورة الروم : آية ٢٢) .

ثم نقول (بوجه خاص) إن اللغة العربية ـ كما قررنا سابقاً ـ فرع ناضر من فروع اللغة (السامية القديمة) بل إنه أنضر وأقوى وأخلد فروعها على الإطلاق بدليل اندثار الفروع الأخرى وبقائه وسقوطها وصموده[٨] .

ولكن اللغة العربية كغيرها من اللغات ، قد

(٦) راجع فقه اللغة للثعالبى .

(٧) راجع فقه اللغة للمرحوم الدكتور (إبراهيم نجا) مطبعة الأزهر ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م .

(٨) تجرى الآن محاولة لإحياء اللغة العبرية المندثرة فى دولة إسرائيل لأغراض سياسية .

جرت على سنة الله تعالى فى المخلوقات من المرور بأطوار عدة ، وبمراحل متعاقبة وظروف كثيرة فى أزمنة طويلة تدرجت فيها ـ كما يتدرج الكائن الحى ـ من الطفولة إلى الشباب ومن الضعف إلى القوة ومن الحداثة إلى النضج والاكتمال ، ومن الضيق إلى السعة والانتشار .

وطفولة اللغة العربية موغلة فى القدم ، ضاربة فى مجاهل التاريخ بحيث لم يصلنا من أخبارها شىء ، ولكن الذى وصلنا منها هو نتاج مراحل النضج والسعة ، والقوة والكثرة ، والعظمة والازدهار إنها (لغة قريش) التى توحدت فيها لغات العرب جميعاً وانصهرت فى لهجتها لهجاتهم كلها .

إن الحفريات فى أنحاء شبه الجزيرة الواسعة ، ومواطنها التاريخية المتعددة والتنقيب عن الآثار المطمورة تحت رمالها الشاسعة ، وما يمكن أن يُظْهِر الحفر من نقوش وكتابات عربية عتيقة على حجر أو شجر أو جلود أنعام أو أوراق بردى ، لحرىٌ ـ لوتَمَّ ـ أن يكشف فى المستقبل عن كثير مما غمض علينا من نشأة اللغة العربية ، ومراحل تطورها المبكرة والافتراضات القائمة حتى الآن عن تلك النشأة والتى ذكرها الباحثون تتلخص فى الآتى :

١ ـ أن اللغة العربية (القحطانية) هى الأصل وأن أهل اليمن أول من نطق بها وأنهم أخذوا أصولها من بقايا القبائل العربية القديمة التى بادت مثل (عاد) و (جديس) ثم توسعوا فيها وطوروها ، وقد انتقلت منهم إلى غيرهم من القبائل فى سائر أنحاء شبة الجزيرة .

٢ ـ أن (يعرب بن قحطان) هو أول من نطق بالعربية ، وأن أولاده أخذوها عنه ، وعنهم أخذتها العرب ، ومنهم العرب المستعربون أو الإسْماعيليون . أما أبو (يعرب) فكان سريانياً فيما يزعمون .

٣ ـ أن إسماعيل عليه السلام هو أول من أبان بالعربية وعنه وعن ذريته أخذها سائر سكان شبة الجزيرة[٩] .. ولا يخفى ما فى الرأيين الأخيرين من ضعف ، ويبقى الرأى الأول مقبولاً فهو أقرب الآراء إلى المنطق والصواب وعليه فاللغة العربية بدأت بالقحطانيين المعروفين بالعرب العاربة ثم انتقلت منهم إلى العدنانيين المعروفين بالعرب المستعربة ثم ازدهرت على أيدى الأخيرين وبلغت ذروة الكمال فى قبيلة (قريش) العدنانية .

لكن كيف تم هذا الانتقال ؟

اتفق المؤرخون على أن نسب (عدنان يرجع إلى (إسماعيل) بن إبراهيم عليهما السلام ، وإسماعيل وافد على شبه الجزيرة فهو (مستعرب) هاجر به أبوه طفلاً وتركه فى كفالة أمه السيدة هاجر المصرية الأصل ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام . كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم فى قول الله تعالى

(٩) راجع (السيرة النبوية) لابن هشام جـ ١ ص ١ دار التوفيقية للطباعة .

حكاية عن إبراهيم : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ (سورة إبراهيم آية : ٣٧)

وتربى إسماعيل فى جوار قبيلة (جرهم الثانية) التى أقامت قريباً من الكعبة وهى قبيلة يمانية قحطانية فنطق بكلامهم ، وصاهرهم واتخذ لغتهم لساناً له ولأولاده ، ولا يبعد أن يكون قد أدخل فيها قليلاً من لغة أمه المصرية ، **ولغة أبيه السومرية** - العراقية الذى كان يزوره بين الحين والحين .

فذرية إسماعيل نطقت بهذه اللغة الجرهمية اليمانية القحطانية المطعمة بشىء يسير من المصرية القديمة ومن السومرية القديمة وبذلك نشأت اللغة التى انتهت إلى (عدنان) وسميت (العدنانية) بعد أن نمت وتطورت بعض التطور .

وانتشر العدنانيون فى أنحاء شبه الجزيرة ، واختلطوا بالقحطانيين اختلاطاً كبيراً لاسيما بعد هجرة الأخيرين من الجنوب إلى الشمال ، والتقت اللغتان بعد أن نمت القحطانية كذلك وتطورت ، فاكتسبت كل واحدة من الأخرى بعض السمات والملامح وتبادلتا التأثير والتأثر .

ثم تقاربت اللغتان تقارباً شديداً وبخاصة فى لغة الشعر والأدب قبيل الإسلام ، ثم توحدتا تماماً فى هذا المجال بعد مجىء الإسلام بفضل القرآن الكريم فى لغة قريش خاصة .

وعلى ذلك يمكن إجمال مراحل نشأة اللغة العربية وأطوار تدرجها فى طريق النمو والرفعة والتوحد فى الآتى :

(١) - من العرب البائدة إلى القحطانيين .

(٢) - من القحطانيين إلى الإسماعيليين (العدنانيين) .

(٣) - من العدنانيين إلى القحطانيين .

(٤) - من قريش إلى العرب جميعاً .

وهذا التقارب الذى انتهى إلى التوحد بين اللغتين (القحطانية) و (العدنانية) له أسباب أجملنا الإشارة إليها . وهذا تفصيل لأهم هذه الأسباب :

(١) - الهجرات القحطانية من (اليمن) فى الجنوب إلى شمال شبه الجزيرة : وسطه وشرقيه وغربيه حيث يسكن العدنانيون ، ومن أشهر تلك الهجرات وأكبرها هجرة قبائل (سبأ) على أثر خراب بلادهم نتيجة انهيار سدهم العظيم (سد مأرب) بسيل (العرم) الجارف ، فتفرقوا فى نواح شتى من شبه الجزيرة وضربت العرب بتفرقهم المثل فقالوا : « تفرقوا أيدى سبأ » ولقد ورد ذكر (سبأ) وما أصابها من ذلك الحدث التاريخى وتشتتها فى البلاد فى القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾

←

إلى أن يقول سبحانه :
﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ ١٥ - ١٩) .

ومن أشهر القبائل اليمنية التى هاجرت إلى مواطن العدنانيين واختلطت بهم اختلاطاً كاملاً شاملاً : (كندة) (وطىء) اللتان استقرتا فى (نجد) و (الأوس والخزرج) اللتان استقرتا بـ (يثرب) فى (الحجاز) و (غسان) التى أقامت فى أطراف الشام شرقاً و (تنوخ) التى سكنت أطراف العراق غرباً .

(٢) - النشاط الاقتصادى الواسع للقحطانيين : فقد ثبت فى تاريخ دولة (المعينيين) اليمنية أنها أقامت مراكز تجارية ثابتة على طول الطريق التجارى الذى يربط اليمن بالشام مخترقاً شبه الجزيرة العربية لإمداد القوافل بالماء والطعام والرجال للحراسة[١٠] ، كما قام (السبئيون) ثم (الحِمْيَرِيُون) من بعدهم بنشاط تجارى مماثل مما هيأ فرصاً كثيرة لالتقائهم بالعدنانيين فى تلك المراكز وما حولها لتبادل التجارة والمصالح[١١] .

(٣) - وفود القحطانيين إلى مكة فى موسم الحج حيث يلتقون بالعدنانيين من أهلها وبسائر القبائل العدنانية الوافدة لأداء المناسك ، وهو موسم يطول فيه المقام حول البيت الحرام فيتعارف العرب ، ويتبادلون المنافع والأخذ والعطاء وتنشأ بينهم العلاقات نتيجة لتخاطبهم وتفاهمهم بعضهم مع بعض فى مختلف الشئون .

اللهجات العربية وسيادة اللهجة القرشية

ولكن مع ذلك التقارب الذى أدى إلى قيام وحدة لغوية تربط بين الشمال والجنوب قبيل ظهور الإسلام وهى مزيج من لغتيهما مع رجحان الكفة (العدنانية) على القحطانية) بفضل العوامل التى سقناها آنفاً ، فقد كان لكل قبيلة (عدنانية) أو (قحطانية) لهجة خاصة بها أى طريقة فى نطق العربية تختلف قليلاً أو كثيراً عن لهجات القبائل الأخرى ، كاستعمال (التفخيم) أو (الترقيق) فى بعض الحروف و (الإدغام) أو (الفك) فى الحروف المشددة ، و (الوصل) أو (القطع) فى همزة أول الكلمة والهمز أو التليين فى وسط الكلمة ، واستعمال بعض المترادفات دون بعض كالسكين والمدية للآلة المعروفة ، والاختلاف فى حرف من حروف الكلمة كالصقر والسقر والزقر للطائر المعروف . وأمثلة اختلاف اللهجات كثيرة تجدها فى كتب (فقه اللغة) .

(١٠) ، (١١) راجع تاريخ مصر والعالم القديم للدكتور جمال مختار .

واختلاف اللهجات عند قبائل العرب أمر طبعى لاختلاف مواطن الإقامة لهذه القبائل ، وتعدد بيئاتها ، وتباين مرائيها ، وانعزال بعضها عن بعض فى المعيشة ، ونحن نرى الآن اختلاف اللهجات واقعاً مألوفاً بين عرب مصر وعرب الشام وعرب المغرب وسائر أنحاء العالم العربى بل نراه بين أجزاء القطر الواحد ، فالقطر المصرى مثلاً تختلف فيه اللهجات بين الوجهين القبلى والبحرى بل تكاد تجد لهجة خاصة فى كل محافظة ـ تعرف بها وتتميز عما سواها مع تقاربها واتصالها فلا عجب إذن أن تتعدد لهجات العرب الأقدمين فى محيط شبه الجزيرة الشاسع .

ولكن أعذب اللهجات العربية على الإطلاق كانت (لهجة قريش)[١٢] ولذلك سادت وارتضاها العرب جميعاً لغة لشعرهم وأدبهم قبيل الإسلام ، ولذلك أسباب تتلخص فى الآتى :

(١) ـ فصاحة قريش وتحضرها ، وخصائصها اللسانية الممتازة .

(٢) ـ صلاتها الواسعة والمباشرة بكل قبائل العرب ومما هيأ لها ذلك :

أ ـ وفود العرب إليها فى موسم الحج من كل واد وفج عميق وإقامتهم بمكة فى ضيافتها زمناً غير قليل . وقيام قريش بأمر الكعبة أكسبها الزعامة الدينية على العرب وحباها منزلة سامية ممتازة .

ب ـ رحلات قريش التجارية وتواصلها وانتظامها بين اليمن والشام ، شتاء وصيفاً مخترقة أهم أحياء شبه الجزيرة ، حيث يغدو القرشيون ويروحون بينها فى أمن وطمأنينة ـ دون غيرهم ـ إكراماً لجيران بيت الله الحرام ، وهذه الرحلات هى المشار إليها بقوله تعالى فى سورة قريش ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ وهذه الرحلات جعلت لقريش زعامة اقتصادية مرموقة .

ج ـ قيام الأسواق الكبرى فى رحاب قريش للتجارة والأدب وأغراض شتى . تلك الأسواق التى يغشاها العرب من كل مكان لذلك مثل سوق (عكاظ) قرب الطائف وسوق (مجنة) فى ضواحى مكة وسوق (ذى المجاز) قرب عرفات .

د ـ الحروب التى كانت تشب أحياناً بين قريش وغيرها من القبائل وما كان يسبقها ويتخللها من محالفات ، وما يعقبها من مجامع صلح ومعاهدات ، وهذه المجتمعات هيأت لقريش زعامة أدبية .

هـ ـ عياذ العرب جميعاً بالبيت الحرام والكعبة المشرفة فى أى وقت من أوقات العام حيث يلقون الأمن والسكينة ، فكانت مكة

(١٢) وما اشبهها فى ذلك بلغة القاهرة بالنسبة لأهل القطر المصرى جميعا فلهجتها ألطف وأجمل اللهجات .

حرماً آمناً وملجأ لكل خائف يقصدها الكثير من أبناء القبائل لذلك .

كل هذا هيأ لقريش فرصاً كثيرة لمخالطة العرب بكل طوائفهم ، والاستماع إليهم ، وأتاح لها أن تختار وتنتخب من لغة كل قبيلة ولهجتها ما عذب فى النطق وخف على اللسان وحسن فى السمع ، وأن تتجنب ما عدا ذلك وتنفى عن لهجتها العيوب ففازت فى النهاية بتلك اللهجة الجميلة الرائعة وكأنما هيأها الله عز وجل بهذا كله ، لتكون اللغة المختارة لإنزال القرآن الكريم بها ، فترتبط بالإسلام إرتباطاً أبدياً يحقق لها الخلود والرفعة والازدهار على مر العصور دائماً أبداً ،

أهم مراجع المقال

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ المصحف المفسر : تفسير محمد فريد وجدى مطابع الشعب بالقاهرة ١٣٧٧ هـ .

٣ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط القاهرة ١٤٠٠ هـ .

٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

٥ ـ الوسيط فى الأدب العربى : لأحمد الأسكندرى ومصطفى عنانى .

٦ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

٧ ـ فقه اللغة لأبى منصور الثعالبى .

٨ ـ فقه اللغة للدكتور إبراهيم محمد نجا .

٩ ـ مميزات لغة العرب لحفنى ناصف .

١٠ ـ لغتنا القومية لعمر الدسوقى .

١١ ـ تاريخ مصر والعالم القديم لجمال الدين مختار .

١٢ ـ قصة الجنس البشرى لهندريك فان لون ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى .

□

قضايا إملائية ولها جذور نحوية

للدكتور / عبد الرءوف محمد عثمان

اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات بخصائص وميزات جعلتها حقاً خليقة بأن تكون لغة القرآن الكريم ، نلمس ذلك فى قواعدها : من نحو وصرف ، وفى كتابتها من قواعد إملائية وترقيمية ، وفى خطوطها من زخارف وتنوع فى الرسم . بل إنك لتجد الصلة وثيقة بين النحو ، والإملاء ، وفن الخط فحتى الفن الأخير جعلوا له قواعد من النقط أو التنقيط ليكون ميزانا لكل حرف فالنون تسع كذا نقطة ، والفاء تختلف عن النون ، وهكذا فى بقية الحروف . وهاهم قد جعلوا من الحروف ملوكاً ، فاخترعوا حروف التاج ، ولا غرو فالخط العربى من الفنون الجميلة ، وله عندنا معاهد خاصة ، وهو مادة لها وزنها فى كليات الفنون الجميلة ، ويعنينا هنا فى هذا المقام الصلة بين النحو والإملاء لحاجة النشء من أبنائنا لهذه الصلة بله جلّ متعلمينا ممن يقعون فى أخطاء إملائية فاحشة مما لا نجد له نظيراً فى غيرنا من الأمم الأخرى فلا نجد انجليزيا يخلط بين هذه الألفاظ . god , good , goods إذ مجرد الخطأ فى الهجاء ضياع لمعنى كل واحدة .

ولا نجد فرنسياً يخلط بين Peu , Peux , Peur مع التشابه فى اللفظ والرسم .

ولنتناول هذه القضايا وهى على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ عدم التمكن من وضع الهمزة فى مواقعها المختلفة بحسب موقعها الإعرابى فإذا وضعنا أمامك هذه الكلمات الثلاث وطلبنا منك أن تجعلها فى جمل :

زعماؤنا زعماءنا زعمائنا .

لأدركنا من أول وهلة أن تكون الأولى مرفوعة ، والثانية منصوبة ، والثالثة مجرورة ، ومن هنا ندرك الصلة القوية بين الرسم الإملائى وعلم النحو ومادامت الصلة قوية إلى هذا الحد فلنسمه « الإملاء النحوى » حتى يتميز بذلك عن الإملاء العثمانى وهو ما يكتب به المصاحف ،

قضايا إملائية

و« الإملاء العروضى » الذى يعنى بالمنطوق فقط ، فكلا الإملاءين الأخيرين يختلفان اختلافاً جوهرياً عما نحن فيه .. ووضع الهمزة ، هذا يختلف عن مكان الهمزة فالهمزة الفوقية غير الهمزة التحتية مما يجعلنا نميز بين الأعلام والإعلام والأشراف والإشراف والأصحاب والإصحاب ، فالهمزة الفوقية دلالة على الجمع والهمزة التحتية دلالة على المصدر .

٢ ـ وأداة التعريف ودخولها على الحروف الشمسية يمثل مشكلة كبيرة خاصة عند غير الناطقين بالضاد ، فكما نعلم أن الحروف الشمسية تذوب مع أداة التعريف ونقصد بأداة التعريف هنا « اللام » على خلاف فى ذلك « أل حرف تعريف أو اللام فقط » واللام هذه يتوصل إليها بالألف فتصبح « ال » كما توصلوا للألف وهى من حروف الهجاء فقالوا : لام ألف « لا » ويقصدون بذلك عدّ الألف فقط لأنها ساكنة . ولا يمكن النطق بالساكن فكانت هناك مقاصة بين الألف واللام استعين بكل منهما للنطق بالآخر .

والحروف الشمسية أربعة عشر وكذلك القمرية قسمة عادلة للغة عادلة فالشمسية هى :

(أ) النون واللام والراء وهى حروف ذلقية .

(ب) الضاد ، والشين ..[١] وهى حروف شجرية نسبة إلى الشجر بسكون الجيم The open orifice of the lips .

(جـ) السين والصاد والزاى وهى حروف أسلية نسبة إلى الأسلة Tip of Tongue .

(د) الدال والتاء والطاء وهى حروف نطعية .

(هـ)الذال والظاء والتاء وهى حروف لثوية .

أما القمرية فهى :

(أ) الواو[٢] والميم والفاء والباء وهى حروف شفوية .

(ب) الهاء والغين والعين والخاء والحاء والألف[٣] وهى حروف حلقية .

(جـ) الياء والواو والألف وهى حروف لينة .

(د) الكاف والقاف وهما حرفان لهويان .

وذوبان الحروف الشمسية فى لام التعريف يعطى لغتنا موسيقى فريدة قلما تجدها فى غيرها من اللغات تلك الموسيقى النابعة من إدغام اللام فى الحرف الشمسى فيعطى تنغيماً خاصا نجد حلاوته عند المهرة من المقرئين والمطربين وأصحاب الأصوات الرخيمة والرقيقة .

٣ ـ وتاء التأنيث فى الفعل تختلف عن تاء التأنيث فى الاسم ، فهى إذا لحقت الفعل كانت مفتوحة وإذا لحقت الاسم كانت

١ ـ لم تذكر الجيم هنا وهى من الحروف الشجرية لأن لها وضعاً خاصاً فى النطق مما يجعلها متنوعة فهناك الجيم القاهرية وهناك الجيم الفارسية وأيضاً فهناك جيم أبناء مصر العليا التى هى أقرب إلى الدال ، وبهذا تدخل هذه الجيم فى مجموعة الحروف النطعية لا الشجرية ، لذا يمكن أن نقول إن الجيم حرف مشترك بين الشمسية والقمرية وإن كانت إلى القمرية أقرب .

٢ ـ يلاحظ أن الواو لها وضعان فهى شفوية إذا كانت متحركة ولينة إذا كانت ساكنة .

٣ ـ الألف هنا هى الألف اليابسة والمعروفة بالهمزة ، وليست الألف اللينة .

مربوطة ، كما فى قولك نجحت فاطمة وهاتان التاءان ضعيفتان على كل من الاسم والفعل فتحذف تاء الفعل فيما إذا قلت : نجح اليوم فاطمة للفصل بين الفعل والفاعل ، بينما نجد تاء الاسم تحذف فى المنادى المرخم كما فى قول امرىء القيس :

أفاطم مهلا بعد هذا التدلل .. وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى .

ومما يجب التنبيه عليه الفرق بين تاء التأنيث وتاء المفاعلة وهاء الضمير وهاء البنية ، وإليك الأمثلة على التوالى القاهرة ، المواساة ، سيارته ، التوجيه فالكلمتان الأولى والثانية منقوطتان فى الحرف الأخير منهما وليس الأمر كذلك فى الكلمتين الأخيرتين ، والخطأ فى هاء البنية كثير وشائع فنجدهم ينقطون الكلمة الأخيرة متناسين أن أصل الكلمة وهو الفعل وجه بدون نقط .

٤ ـ الخلط بين الحروف وما يناظرها من الحركات أمر جد خطير فالضمة واو قصيرة والكسرة ياء قصيرة والفتحة ألف قصيرة ، فإذا أشبعت الضمة تولدت الواو وإذا أشبعت الكسرة تولدت الياء وإذا أشبعت الفتحة تولدت الألف وفى اللغات الأخرى يدللون على الحركات بحروف فالانجليزى يقول لك إنى مسافر إلى كنو « ثلاثة حروف » وتكتب هكذا Kana « أربعة حروف » فالحرف الثانى وهو A دلالة على الفتحة ، بينما العربى ينطق نفس الكلمة كانوا Kano لأن الحرف A حرف قائم بذاته فهو قد أشبع الفتحة فكانت الألف .

ويخطىء الكثيرون عندما يخاطبون المؤنث بتاء الخطاب المكسورة فيقولون قلتى بدلا من قلتِ والسر فى ذلك هو إشباع الكسرة التى أتت بالياء .

٥ ـ الخلط بين الحروف ذات الأصوات المتشابهة وهى القاف والكاف كما فى قلب وكلب ، والتاء والطاء كما فى تين وطين ، والدال والضاد كما فى درب وضرب ، والذال والزاى والظاء كما فى ذلَّ ، وزلَّ ، وظلَّ . ويأتى الخلط من جهة أن بعض هذه الحروف أحادية التركيب بينما الأخرى ثنائية فمثلاً ض = دد ، ط = ت ت ، ظ = زز .

ووضع الكلمة فى جملة هو الذى ينفى عنها الجهالة ومن هنا يأتى دور النحو فى فهم حقيقة الحرف وفى فهم المعنى المراد فلو قلت : أكلت تينا تعين المراد به وهو الفاكهة المعروفة ، ولم يسألك المملى عليه عن قصدك لأن الطين لا يؤكل .

٦ ـ التمييز بين الألف المقصورة والألف اللينة ، والألف اليائية والياء كما فى هذه الأمثلة على التوالى ندِا (من النداء) وندى (المطر والجود والبلل) ونادَى (فعل ماض) ونادِى (اسم مكان) مع ملاحظة أن العرب ربما يقصرون الممدود كما فى : لابد من صنعا وإن طال السفر . ويمدون المقصور كما في : فلا فقر يدوم ولا غناء . وهم يكتبون (ندى) بالياء رجوعاً إلى الأصل كما يكتبون عصا بالألف لأنك تقول في التثنية (عصوان) كما وضعوا مؤشرات على أصل الألف ياء فى الاسم والفعل الثلاثيين وهى :

١ ـ الإمالة وهى حركة بين الفتحة والكسرة نحو كفى ، الندىَ .

٢ ـ افتتاح الكلمة بواو نحو وعى ، الورى .

٣ ـ توسط الواو فى الكلمة نحو غوى ، الهوى .

قضايا إملائية

٤ ـ افتتاح الكلمة بهمزة نحو أبى فعل الأذى .

٥ ـ توسط الهمزة فى الكلمة نحو رأي اللأي (الثور الوحشى) .

٧ ـ هناك مشكلة الخلط بين همزة الوصل وهمزة القطع . فهمزة الوصل يجب كتابتها وإن لم ينطق بها وهى لا تكتب همزة ، فقد جىء بها لغرض وهو النطق بالساكن ، ولقد نجح النحويون في حصر هذه الهمزة بل في حصارها حتى لا تختلط بهمزة القطع فهى محصورة فى الأسماء فى عشرة هى : ابنة ، ابنم ، ابن ، اثنان ، اثنتان ، أمرأة ، أمرؤ ، اسم ، ايمن ، ايم (لغة فى أيمن) است the) (anus وهى فى الأفعال فى الأمر من الثلاثى وفى أفعال الخماسي والسداسي ومصادرها وهى فى الحرف فى (ال) التعريفية . ولم يكتفوا بهذا ، بل فرقوا بين حركاتها فمنها المكسور مثل (اِلْعَبْ) ومنها المضموم مثل (اُكْتُب) ومنها المفتوح كما فى (ايمن) ، ولقد ميزوا في الشكل بين الهمزتين فكانت همزة القطع رأس عين كما فى هذا الشكل (أ) وكانت همزة الوصل رأس صاد هكذا (اُ) ، والخطأ الشائع هو في جعل همزة الوصل همزة قطع ، إذْ نحن مغرمون بالهمز مع أنه ثقيل والعرب يفرون منه إلى تسهيل الهمزة فنجدهم يكتبون ايمن الله فى القسم بالهمز بينما يكتبون إيراهيم بدون همز وفى هذا إجحاف بحق الهمزتين .

٨ ـ الفرق بين واو الجماعة وواو الجمع ، الأولى فى الفعل مثل قالوا والثانية في الاسم مثل مهندسو المدينة ، ولأن واو الجماعة فى نهاية الكلمة والواو ضعيفة لا تتحمل النهاية وضعوا لها بجانبها سنداً لها ، أما واو الجمع فليست فى نهاية الكلمة وإنما نون الجمع هى نهاية الكلمة فأصل مهندسو هو مهندسون وحذفت النون للإضافة ، إذْ يثقل على اللسان والسمع أن يقال مهندسون المدينة من هنا كان الفرق بين واو الجماعة وواو الجمع . والواو لها وضع آخر في الحذف والزيادة فنجدهم يحذفونها من (داود) و (طاوس) تخفيفاً ويزيدونها في (عَمرو) للفرق بينه وبين (عُمَرَ) الممنوع من الصرف للعلمية والعدل وعلى ذلك لو كان لفظ عمرو منوناً فإنه يكتب بدون واو حيث لا لبس إذاً لأنه يتعين في قولك رأيت عمرا أن يكون المراد هو عمرو لا عُمر لأن الثانى ممنوع من الصرف أي التنوين .

٩ ـ وهم يحذفون الألف من (ابن) إذا وقعت بين علمين ولم تقع في أول السطر كما في قولك الحسين بن علي سيد الشهداء ، لأن همزة (ابن) هى همزة وصل ووجودها بين علمين أعطاها حصانة استغنت بها عن تلك الهمزة الضعيفة ، أما إذا وقعت (ابن) فى أول الكلمة كما في ابن مالك أو فى أول السطر فإنها تكون في حاجة ماسة إلى هذه الألف حتى لا يختلط معناها بغيرها . وهم كذلك يحذفون الألف في البسملة فى لفظ اسم فيكتبون البسملة هكذا بسم الله الرحمن الرحيم بينما لا تحذف ألف اسم إذا لم تكن البسملة كاملة كما في قولك باسم الله أو باسم الشعب لأن فى البسملة كاملة تجانساً بين حذف الألف من اسم وحذف الألف من الرحمن لذا حَسُن حذف ألف اسم لهذه المناسبة وهذا التجانس .. وهم أيضا قد

حذفوا الألف من اسم الإشارة (ذا) إذا ركبت مع لام البعد وكان الخطاب كما في ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٤] حتى لا تختلط بقولهم ذالك المكونة من اسم الإشارة ولام الجر وحرف الخطاب إذْ التركيب الأخير جملة مستقلة مكونة من (ذا) الإشارية وهى مبتدأ خبرها الجار والمجرور (لام) الجر و(الكاف) ومع حذفهم لها فيما سبق فقد زادوها فى مائة للفرق بينها وبين فئة وحتى لا تختلط إحدى الكلمتين بالأخرى .

١٠ ـ والفصل والوصل الكَلِمِي من أهم ما يجب مراعاته عند الكتابة ، فلأن للاستفهام الصدارة تفصل (مَن) الاستفهامية عن (من) الجارة فنقول مَنْ مِنَ الطلاب حضر ؟ بينما إذا سبقت (من) الجارة فإنه لا يكون فصل بينهما بل يكونان كلمة واحدة فتقول ممن أنت ؟ تريد من المسئول أن ينتسب فيقول لك : أنا من آل كذا .

وهم يفصلون أَنْ المخففة من الثقيلة عن لا النافية احتفاظاً واعتزازاً بمكان ضمير الشأن بين أن ولا ، كما في قولنا أشهد أن لا إله إلا الله بينما يوصلون أن الناصبة للفعل ولا النافية كما تقول من دعائم الإسلام ألَّا نتهاون في الصلاة ويجب الفصل بين أداة الشرط والفعل فخطأ كبير أن تقول إنشاء الله سأفعل كذا بل يتحتم عليك أن تقول إن شاء الله لأن وصل أداة الشرط بالفعل يوهم بالمصدر فلفظ إنشاء مصدر أنشأ كأن تقول إنشاءُ الله الخلق من العدم دليل على وحدانيته .

١١ ـ ويتجلى الفصل والوصل الكلمى فى « ما » استفهامية أو موصوفة ، أما الاستفهامية فتوصل ببعض حروف الجر وهى (من) و(إلى) و (عن) و (على) و (فى) و(حتى) و(الباء) و(اللام) مثل مم ؟ إلام ؟عم ؟ علام ؟ فيم ؟ حتام ؟ بمَ ؟ لمَ ؟ وتوصل كذلك بالاسم المضاف إليها نحو بمقتضام تتكلم ؟ وتحذف ألفها في جميع ما تقدم ..

أما إذا لحقتها هاء السكت فإنها تفصل عما قبلها مثل :

إلام الخلف بينكم إلى مه ؟

أما « ما » الموصوفة فتوصل بنعم إذا كسرت عينها كقوله تعالى ﴿ نعِمَّا يَعِظكُم بِهِ ﴾ ومثلها قوله تعالى ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ[٦] ﴾ فإذا سكنت العين فقد أتت على أصلها وحينئذ لابد من الفصل فتقول نعم ما يقول الأب لابنه من نصح . ولأن الأصل فى الأشياء الوصل ولأن الوصل جميل فقد أجروا بئس مجرى نعم مكسورة العين فوصلوها بما الموصوفة لأن بئس لا تكسر عينها لأن عينها همزة والهمزة ثقيلة ، فلا نزيدها ثقلا بالكسر كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ .[٧] وقوله جل شأنه ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُم ﴾[٨] .

٤ ـ الآية ٢ من سورة البقرة .

٥ ـ الآية ٥٨ من سورة النساء .

٦ ـ الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

٧ ـ الآية ٩٠ من سورة البقرة .

٨ ـ الآية ٩٣ من سورة البقرة .

قضايا إملائية

١٢ ـ اللغة العربية وأختاها العبرية والسريانية تكتب من اليمين إلى الشمال ولذلك يأخذ الحرف فيها أربعة أوضاع مختلفة .

١ ـ وضع الحرف غير متصل .
٢ ـ وضع الحرف وهو متصل بما قبله
٣ ـ وضع الحرف وهو متصل بما بعده .
٤ ـ وضع الحرف فى الوسط

ويكون بذلك للحرف أربعة أشكال بحسب هذه الأوضاع ويجب مراعاتها عند الكتابة وإليك أمثلة لبعض الحروف

الحرف	الوضع الأول	الوضع الثانى	الوضع الثالث	الوضع الرابع
الهاء	ه	ـه	هـ	ـهـ
الياء	ى	ى	يـ	ـيـ
العين	ع	ـع	عـ	ـعـ

فمن الخطأ إذاً أن تكتب الزكاة هكذا الزكاهـ كما هو شائع بين بعض أبناء دول الخليج لأن هذه الهاء فى غير وضعها الصحيح ، وخطأ كذلك أن تكتب سمع أو العدد هكذا سمـ ع الـعدد لأن لكل حرف وضعاً خاصاً كما أسلفنا .

هذه بعض القضايا الإملائية التى يجب أن نعنى بها في حياتنا ، حتى تسلم لغتنا ويسلم تفكيرنا الذى هو من نتاج اللغة ، ولا عجب أن يمتد علم النحو إلى علم الإملاء فقديماً قالوا ـ عنه : إنه علم العلوم ، وقالوا ـ عن النحو أيضا : إنه العلم المستطيل وأنا مع هؤلاء وأولئك فيما قالوه أو قرروه عن علم العلوم بل والفنون .

ثبت بأهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ درة الغواص للحريري .
٣ ـ أمالى ابن الشجرى .
٤ ـ نتيجة الإملاء مصطفى عنانى .
٥ ـ المفرد العلم فى رسم القلم .
٦ ـ قواعد الاملاء والترقيم عبد العليم إبراهيم .
٧ ـ تذكرة في أصول التحرير العربى د . عبد الرءوف عثمان .
٨ ـ الشافية ـ الجزء الثالث .

9. A guid to correct english, L.A. Hill
10. The oxford English - Arabic Dictionary of current msage
11. Le Francais, Langue uivante « A la découverte de la terre ».



المديح النبوي

زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور/ غريب محمد علي

من المعلوم لدى دارسى الأدب العربى أن الشعر ديوان العرب ، وأن فن المديح من أكبر فنون هذا الديوان إن لم يكن أكبرها على الإطلاق .

والمديح هو : فن الثناء والإطراء وإبراز مواهب الممدوح والتغنى بصفاته بل ونعته بنعوت قد لاتكون من جملة شمائله ، ولذا كان هذا الفن بابا للتكسب لدى الشعراء ومدخلاً للنفاق والرياء .

ولكن الأمر فى فن المديح النبوى يختلف كثيراً .

فالمدائح التقليدية ينتظر ناظمها الخلع والهبات والعطايا وهو إما طامع أو خائف .

أما المديح النبوى فقائله يُلمس فيه الصدق والإخلاص ، ينظم بلا هوى وينشد بلا غرض ، هدفه الانتصار للدين ومبادئه ، والتقرب إلى الله ورسوله .

وما أن يلج الباحث باب المديح النبوى حتى تستوقفه ملحوظة صغيرة هى موقفه من الشعر الذى قيل بعد وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل يعد رثاءً أم مديحاً ؟

الواقع أن (ما يقال بعد الوفاة يسمى وثاء ، ولكنه فى الرسول ﷺ يسمى مدحا)[1] ، وكأن الشعراء المادحين قد (لحظوا ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موصول الحياة ، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء ، وقد يمكن القول بأن الثناء

١) المدائح النبوية فى الأدب العربى ـ د . زكى مبارك ، ص ١٧ . ط البابى الحلبى ـ مصر سنة ١٩٣٥م .

المديح النبوى

على الميت لا يسمى رثاء إلا إذا قيل فى أعقاب الموت ... ولأن الرثاء يقصد به إعلان التحزن والتفجع على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول)[٢] ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وبتلك الشروط التى وضعها د . زكى مبارك لرثاء النبى ومديحه يكفينا مؤونة البحث فى تلك القضية المطروحة وبناء على هذه الشروط يمكن أن نخرج قصيدة الأعشى التى يقول فيها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا
نبى يرى مالا ترون وذكره
أغار ـ لعمرى ـ فى البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا[٣]

من دائرة المديح النبوى لأن الشاعر لم يرد التقرب فيها إلى الله وإنما جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عسى أن يجد عنده رفدا أو عطاء ، والدليل على ذلك أن قريشا عندما تصدت له واعطته النياق الحمر قفل راجعا مثبتا عدم صدق نيته .

والحق أننا لم نجد شخصية احتفل بها الشعراء كشخصية نبينا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلقد رافقه الشعر منذ ولادته حتى وفاته راصدا صفاته ، راسما شخصيته مبرزا أخلاقه وأعماله ومعجزاته ، مبينا فضله على العالمين .

وأول ما تطالعنا به المصادر فى هذا الصدد أبيات أوردها صاحب « الطبقات » تنسب إلى عبد المطلب جد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالها بعد مولد النبى ﷺ مباشرة ومطلعها :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان[٤]

ولما فصلت العير بمحمد الرضيع إلى ديار بنى سعد قالت السيدة آمنة أم النبى أبياتا تعيذه فيها من الشرور ، وتدعو الله أن تراه فتى يافعا ورجلاً حامل الحلال داعيا إليه :

أعيذه بالله ذى الجلال
من شر ما مرَّ على الجبال
حتى أراه حامل الحلال
ويفعل العرف إلى الموالى
وغيره من حشوة الرجال[٥]

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر خمس سنين قدمت به حليمة إلى أمة لترده إليها فأضلها فى الناس فالتمسته فلم تجده فأتت عبد المطلب فالتمسه فلم يجده فقام عند الكعبة فقال :

لاهُمَّ أدّ راكبى محمدا
أدِّه إلىّ واصطنع عندى يدا
أنت الذى جعلته لى عضدا

(٢) المدائح النبوية ـ ص ١٧ .
(٣) ديوان الأعشى ، ص ١٣٥ ـ ط النموذجية سنة ١٩٥٠ ، شرح وتعليق د. محمد حسين .
(٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ مجلد ١ ص ١٠٣ ، ط بيروت سنة ١٩٥٧م .
(٥) الطبقات الكبرى ، جـ١ ص ١١١ .

لا يبعد الدهر به فيسعدا
أنت الذى سميته محمداً[٦]

ولا تسعفنا المصادر التى بين أيدينا بشىء من الشعر قيل فى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ عودته من ديار بنى سعد إلى بعثته إلا أبياتاً تروى لورقة بن نوفل قالها ـ فى أغلب الظن ـ قبيل البعثة بقليل ، يقول ورقة :

لججت وكنت فى الذكرى لجوجاً
لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف
فقد طال انتظارى ياخديجا
بما خبرتنا من قول قس
من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا
ويخصم من يكون له حجيجاً
ويظهر فى البلاد ضياء نور
يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا
ويلقى من يسالمه فلوجا[٧]

وبعد بعثته كان طبيعياً أن ينقسم الناس إلى مؤيدين ومعارضين ، وأن يحمل كل فريق سلاحا ينافح به فى وجه الآخر ، وكان الشعر أحد هذه الأسلحة بل أمضاها أثراً فى النفوس ، ولا نكاد نعثر على شعر قيل فى مدحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعثته إلى هجرته إلا النزر القليل ، ومن ذلك ما قاله عمه أبو طالب مفتخراً بقومه عبد مناف الذين شدوا أزر محمد فى الحصار الذى ضربته قريش حولهم :

إذا اجتمعت يوما قريش لفخر
فعبد مناف سرها وحميمها
وإن فخرت يوماً فإن محمدا
هو المصطفى مَنْ سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها[٨]

وهذه الأبيات يغلب عليها طابع الفخر أكثر من المدح النبوى .

وهناك قصيدة تروى لأبى طالب يظهر فيها مدحه للرسول أكثر وهى التى يقول فيها عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

أشم من الشم البهاليل ينتمى
إلى حسب فى حومة المجد فاضل
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها
وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس أى مؤمَّل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش
يوالى إلها ليس عنه بغافل
لقد علموا إن ابننا لا مكذَّبٌ
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل[٩]

وفى هذه المرحلة نجد قصيدة الأعشى التى يقول فيها :

أجدَّك لم تسمع وصاة محمد
بنى الإله حين أوصى وأشهدا

←

(٦) الطبقات الكبرى ، جـ١ ص ١١٢ .
(٧) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ جـ١ ص ١٠٣ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط البابى الحلبى سنة ١٩٣٦م .
(٨) سيرة ابن هشام ، جـ١ ، ص ٢٨٨ .
(٩) سيرة ابن هشام ، جـ١ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

المديح النبوى

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وإن لم تُرْصِدْ لما كان أرصدا[١٠]

وهى قصيدة يشك فيها د . طه حسين شكاً رهيباً بل إنه يقطع بأنها منحولة على الأعشى يقول د . طه حسين (ولا أتردد فى القطع بأن هذه الدالية التى تروى للأعشى منحولة ، نحلها قاص ضعيف الحظ من الشعر ردىء النظم مهلهل اللفظ قليل المهارة من النحل ، ويكفى أن تقرأ هذه القصيدة لترى أنها اسخف ما يضاف إلى الأعشى ، وانها ـ ولا سيما المدح فيها ـ إلى المتون أقرب منها إلى الشعر الجيد)[١١] .

ولست هنا بصدد مناقشة قضية الانتحال وما إذا كانت القصيدة للأعشى أم منحولة عليه ، ولكن الذى لا شك فيه أن هناك شعراً جاهلياً دخله الانتحال وما يهمنا هنا أن الأعشى سار على طريقة الجاهليين فى المدح ، وأبياته وخاصة الأخيرة منها ـ كأنها منظومة دينية بث فيها بعض ما يدعو إليه الدين .

وإذا ذهبنا نتتبع ـ بلا استقصاء ـ ما قيل من مديح نبوى فى تلك المرحلة وجدنا قصيدة للنابغة الجعدى تعد من أقدم ماوصل إلينا من قصائد المديح النبوى ، يقول فيها :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها
وكنت من النار المخوفة أحذرا[١٢]

وفى تلك المرحلة لم نسمع عن أحد من الصحابة فى مكة قال شعراً مدح فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وربما يرجع ذلك إلى سرية الدعوة ، وإلى أن الصحابة (كانوا يستخفون ويستترون ليحفظوا دينهم وأنفسهم وأموالهم من أذى المشركين)[١٣] ، ولذا نراهم قد ازوروا عن قول الشعر (ولم يمدحوا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن فى مدحهم إياه فى ذلك الحين ضرراً ينتاب المسلمين)[١٤] وربما يعود ذلك إلى موقف الدين من الشعر فالقرآن الكريم يقول عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مبين ﴾[١٥] ويقول عن الشعراء :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ

(١٠) ديوان الأعشى ، ص ١٣٧ ، ط النموذجية سنة ١٩٥٠ ، شرح وتعليق د . محمد حسين .
(١١) فى الأدب الجاهلى ـ د . طه حسين ـ ط المعارف المصرية سنة ١٩٦٩م .
(١٢) الأغانى ، جـ٥ ص ٩ ، ط وزارة الثقافة والإرشاد .
(١٣) المديح النبوى فى القرن الهجرى ـ د . على صافى حسين ، ص ١٣ ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٨م .
(١٤) المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى ، ص ١٣ .
(١٥) القرآن الكريم ، سورة يس ، آية ٦٩ .

كَثِيراً وانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَاظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الذِين ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[١٦] .

ولكن ليس معنى ذلك أن الدين يحارب الشعر حرباً شعواء لا هوادة فيها وأنه يتصدى لكل نظم بكل حزم ، أبدا ، إن الدين يحارب شعر الفسق والفجور والخلاعة والمجون والهجاء وكل مايخل بالقيم والمبادىء الأخلاقية الفاضلة ، ولذا نرى فى الآية السابقة استثناء يمنع دخول الشعراء الجادين المؤمنين فى زمرة الشعراء الهائمين فى كل واد والقائلين ما لايفعلون .

ولو أننـا نظرنا إلى موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الشعر لتجلى لنا أنه لم يقف بالمرصاد لمنع الشعراء من القول بل كان يشجع الشعراء المسلمين على النظم ولم يقف الأمر عند حدا لتشجيع بل تعدى ذلك إلى التذوق فلقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتذوق الشعر ويتمثله أحياناً ويشارك فيه بالتغيير والتبديل حينا آخر ومن ذلك أن أسيد بن أبى أناس عندما أنشد النبى : (وأنت الفتى تهدى معدا لدينها ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل الله يهديها فقال الشاعر : بل الله يهديها وقال لك اشهد) .[١٧] .

ومن ثم يمكن القول بأن المديح النبوى فى مكة ـ لكل هذه الأسباب ـ كان قليلاً وبالإضافة إلى قلته اتسم بالطابع البدوى والفخر القبلى وارتكز على تصورات من جانب البعض لطبيعة الدين والرسالة الجديدة وفهمها أحياناً يخالف الجانب الدينى منها .

وإذا انتقلنا مع الرسول ﷺ إلى دار الهجرة وجدنا الموقف يتغير تماماً فالمسلمون كثروا وأمنوا على أنفسهم وأصبح فى مقدورهم الدفاع عن دينهم وإن قالوا شعرا فى مدح النبى أو هجاء فى المشركين فلا خوف عليهم وأضف ذلك إلى أن الرسول ﷺ كان يحث شعراء المدينة على شحذ سلاحهم الشعرى واشهاره فى وجه المشركين لأنه أمضـى وأمض عليهم من السيف .

وفى هذه المرحلة نجد الشعر قد كثر واختلفت طبيعته عن الشعر الذى قيل قبل الهجرة ومن ثم لا يمكن استقصاء كل ما قيل فى مدح النبى أنذاك وسأحاول الاقتصار على قلة قليلة من الشعراء كان لهم دورهم وأثرهم فى المديح النبوى . . فى تلك المرحلة ـ فى المدينة ـ فقد اشتهر أكثر من شاعر فى الدفاع عن الدين وفى مدح الرسول ﷺ ، وكان على رأسهم حسان بن ثابت الذى عرف بشاعر الرسول والذى « وقف قريحته وبلاغته على الإسلام يرد عنه ويمدح نبيه ، ويتغنى بوقائع المسلمين ويدعو القبائل إلى اعتناق الدين الحنيف وإذا حدث أن انهزم المسلمون فإن حسانا كان يحول الهزيمة إلى مجال للفخر بما لديه من حنكة وشاعرية »[١٨] ومن أشهر مدائحه النبوية قصيدته التى يقول فيها :

(١٦) القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(١٧) اسد الغابة فى معرفة الصحابة ، مجلد ١ ، جـ٢ ص ٢٠٩ ، ط الشعب سنة ١٩٧٠م وفى هذا الموضوع انظر « الإصابة للعسقلانى » ، جـ٤ ص ٦٧ ، ط المشرفية ص ١٩٠٧م ، وانظر الطبقات ، جـ١ ص ٣٨٢ .

(١٨) فن المديح ـ أحمد أبو حاقة ، ص ١١٧ ، ط دار الشرق الجديد بيروت ط أولى سنة ١٩٦٢م .

المديح النبوى

وقال الله قد أرسلت عبدا
يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه
فقلتم ما نجيب وما نشاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء[١٩]

ومن قصائده المعروفة الذائعة الصيت فى هذا المجال قصيدته التى يقول فيها :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وبالأمر الذى صدعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع[٢٠]

ويلحظ على مدائح حسان أنها لم تتخلص تماما من طابع المديح الجاهلى لغة ومعنى ونسقا فهو فى القصيدة الأولى يقف على الديار ويرنو إلى الأطلال متحسرا عليها كفعل شعراء الجاهلية وفى الثانية لم يكن الرسول ﷺ محور المديح بل الأنصار قوم الشاعر وإنما جاء مدح النبى عرضا .

ومع ذلك فإننا نجد صوراً جديدة يستمدها من الدين الإسلامى مبيناً من خلالها فضل النبى على البرية ، وداعياً إلى اعتناق الدين ومبادئه الجليلة .

ومن الطبيعى أن يتعرض الشعراء المسلمون المدافعون عن الدين لشخصية النبى ويصفوه لأنه أساس هذا الدين وحامل رسالة السماء إلى الأرض والصابر على اللأواء والبلوى ومبدد ديجور الشرك وكاشف حلكة الطريق يقول كعب بن مالك يوم بدر :

فينا رسول الله ثم نتبعه
نور مضىء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته
فمن يجبه إليه ينج من التبب[٢١]

وفى هذه المرحلة ركز الشعراء على شجاعة الرسول وقوة شكيمته ونضاله فى سبيل الحق ، يقول كعب بن مالك يوم غزوة الطائف :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجمعنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت.
قواطعهن دوسا أو ثقيفا
أجدهم أليس لهم نصيح
من الأقوام كان بنا عريفا
يخبرهم بأنا قد جمعنا
عناق الخيل والنجب الطروفا

(١٩) ديوان حسان بن ثابت ، ص ٩ .
(٢٠) ديوان حسان ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
(٢١) السيرة النبوية ، جـ٣ ص ١٧٠ .

رئيسهم النبى وكـان صلبا
نقى القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذا حكم وعلم
وحلم لم يكن نزقا خفيفا[٢٢]

لقد برز شعراء كثيرون أخلصوا القول وأجادوا النظم ومدحوا الرسول مدحاً فيه جدة ومتانـة مثل العبـاس بن مرداس والعباس بن عبد المطلب وعبد الله بن رواحة .

ومن يقلب الصفحات الأولى من الجزء الأول من كتاب المجموعة النبهانية[٢٣] ، يبهر امام الكم الهائل من مديح الصحابة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولعـل أهم ما وصفوا به النبى صفات تركزت حول الرحمة والعطف والحنان والشفقة والعدل والحلم وكلها صفات دينية بالإضافة إلى ما استمدوه من بيئتهم كالشجاعة والكرم والنخوة والحمية ، وقد مزجوا هذه الصفات الخلقية بالخلقية فى قصائدهم ومقطعاتهم .

ومما يلفت النظر فى هذه المرحلة مقطوعة تنسب إلى العباس بن عبد المطلب وقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير ، أما مقطوعة العباس فإنها تضيف شيئاً جديداً وعنصراً لم تشمل عليه مدائح الصحابة ، وهذا العنصر هو النور المحمدى أو ما يسمى بالحقيقة المحمدية ، يقول العباس مخاطباً النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢٤] :

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حيث يخصف الورق
ثـم هبطـت البـلاد لا بشر
أنـت ولا مضـغـة ولا علـق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهلهـا الغـرق
تنقـل من صالب إلى رحم
إذا مضى عـالم بـدا طبق
وردت نـار الخليل مكتتمـا
فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندق علياء تحتهـا النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر
ض وضـاءت بنـورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء والنـ
ـسـور وسبل الرشاد نخترق
فالعباس يريد أن يقول للنبى
من قبل هيئتك الجسدية التى نراها

كنت نوراً لطيفاً تنقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية : فقد كنت مع آدم فى الجنة ومع نوح فى سفينته ومع إبراهيم فى ناره حتى جئت فأشرقت الأرض بهذا النور وهانحن نتقلب فيه .

تلك هى الحقيقة المحمدية فى أبسط صورها ، وبناء على ذلك فإن العباس يعد أول من أشار إلى هذه الحقيقة والتى ـ فى ظنى ـ ليست غريبة عليه فلقد سمع الرسول يقول عن نفسه (كنت نبياً وآدم بين الماء

←

(٢٢) السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص ١٢٤ .
(٢٣) انظر المجموعة النبهانية ـ يوسف بن إسماعيل النبهانى .
(٢٤) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ جـ١ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ط حيدر أباد ، الدكن ـ الهند سنة ١٣١٨هـ .

والطين)[٢٥] أو كما روى عنه وآدم منجدل فى الطين .

ولذلك نرى د . على صافى حسين يتراجع فى كتابه « المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى » عما قرره فى كتابه « الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى » حيث يقول ! إذا صحت نسبة هذه الأبيات إلى العباس (فإننى أقرر هنا أن نظرية تنقل النور المحمدى التى ظهرت فى القرن السابع الهجرى لأول مرة فى تاريخ الشعر العربى على ما ذكرناه فى كتابنا المسمى« بالأدب الصوفى » لم تكن فى الحقيقة حديثة الوجود ولا هى من مبتكرات السيد البدوى وإبراهيم الدسوقى وإنما هى قديمة فى ظهورها قدم ظهور الدين الإسلامى نفسه إذ أن العباس قد نظم تلك القصيدة فى حياة النبى)[٢٦] ، وقد عول المتصوفة والشيعة والمادحون النبويون على هذه النظرية أهمية كبرى .

وأما قصيدة كعب التى يقول فيها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول
نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

فإنها قصيدة جليلة الخطر فى تاريخ المدائح النبوية على مر العصور ، وذلك لما اكتنفها من القصة التى حيكت حولها وهى أن كعباً أنشدها بين يدى الرسول معتذراً عما بدر منه وطالبا العفو من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعفا عنه النبى وألقى عليه بردته[٢٨]

وخطرها يتمثل أيضاً فى أن شعراء كثيرين أنشدوا قصائدهم مثل كعب بين يدى رسول الله ولكن مناما ، ويتمثل كذلك فى أن بعضهم كان يستعصى عليه بيت فيتمه له الرسول أو يغيره له، كما غير لكعب قوله « من سيوف الهند مسلول » إلى « من سيوف الله مسلول » .

ولعل هذين الأمرين لا يصلان إلى ما وصل إليه فن المعارضات لهذه القصيدة أو تشطيرها ، كما أنها أصبحت بمثابة قاعدة يحتذى بها كثير من الشعراء عند مديحهم النبى حيث يبدأ المادح قصيدته بالنسيب وينتقل إلى الحديث عن الديار الحجازية ووصف الرسول ، وإبداء الأسف والندم على التقصير فى حق النبى لأنه لا يستطيع أن يفيه حقه ثم يتوسل به إلى الله ويرجو أن يكون شافعاً له يوم القيامة .

(٢٥) البدء والتاريخ ، المقدس ، جـ٥ ، ص ٢٦ .
(٢٦) المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى ، ص ١٢٨ .
(٢٧) السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢٨) انظر السيرة النبوية . جـ٤ ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ .

وخلاصة القول فى مديح الصحابة للنبى أو بعبارة أدق المديح النبوى فى عهد الرسول أن هناك مديحاً تقليدياً سار على الطريقة الجاهلية مع تطعيمه بمبادىء الدين ، وآخر مباشراً يمدح فيه صاحبه النبى ويذكر صفاته بلا سابق مقدمات ، وثالث تسيطر عليه نغمة الفخر والحماسة ، ورابع يختلط بالهجاء . وخامس ظهرت فيه فكرة الحقيقة المحمدية .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ ابن الأثير ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ـ ط الشعب سنة ١٩٧٠م .
٣ ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ط بيروت سنة ١٩٥٧م .
٤ ـ ابن عبد البر ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ـ ط حيدر أباد بالهند سنة ١٣١٨هـ .
٥ ـ ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ ط البابى الحلبى سنة ١٩٣٦م .
٦ ـ أحمد أبو حاقة ـ فن المديح ـ ط دار الشرق الجديد بيروت سنة ١٩٦٢م .
٧ ـ الأعشى ـ ديوان الأعشى ـ ط النموذجية سنة ١٩٥٠م .
٨ ـ حسان بن ثابت ـ ديوان حسان ـ ط الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٧٤م .
٩ ـ د . زكى مبارك ـ المدائح النبوية فى الأدب العربى ـ ط البابى الحلبى سنة ١٩٣٥م .
١٠ ـ د . طه حسين ـ فى الأدب الجاهلى ـ ط المعارف المصرية سنة ١٩٦٩م .
١١ ـ العسقلانى ـ الإصابة ـ ط المشرفية سنة ١٩٠٧م .
١٢ ـ د . على صافى حسين ـ المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٨م .
١٣ ـ المقدس (ابن طاهر) ـ البدء والتاريخ ـ ط باريس سنة ١٩١٦م .
١٤ ـ يوسف بن إسماعيل ـ المجموعة النبهانية ـ ط الأدبية بيروت سنة ١٣٢٠هـ .

د . غريب محمد على



إجابات حاسمة إلى

الأخت الفرنسية المسلمة

تأليف الدكتور: عبد الودود شلبى

قبل الإجابة :

هذا الكتاب[1] يجىء متناغماً مع قطار الكتب التى ألفها الدكتور عبد الودود شلبى ، لينير سبيل الحائرين ، ويثبت أفئدة المهتدين ، حتى يأمنوا مزالق الباطل ، وتيه الضلال . ومن ثم كان بيانه يشى بالدقة والوضوح ، وشىء من الطرافة والجدة ، يتمثل فى الحوار الذى جاء علامة مميزة لهذا الكتاب .

ولقد كان الحوار سمة قوم إتخذوا المنطق سبيلهم إلى العصمة من الخطأ .

بيد أن الدكتور عبد الودود لم يكن السائل وإنما كان المجيب ، ولا ضير عليه إذا مهد لسؤال غيره أو ساعده أو قوم السؤال تقويماً ليكون الجواب سليماً قويماً ، فهو بصدد الحديث عن العقيدة أو الإلهيات أو دعامة الرسل أو الحضارات القائمة على الديانات فيعنيه فى المقام الأول صحة السؤال وصدق الجواب .

والكتاب ـ كما يقول الدكتور عبد الودود موجه فى الأصل إلى أخت مسلمة ـ فرنسية ـ كانت تعيش فى مدينة القاهرة .. وأتاها هذا فى زيارة آثار مصر ، وقد يؤخذ من « قصة الكتاب » أنه يوجه أيضاً إلى الأخت الانجليزية المسلمة ـ إلا أنه فى واقع الأمر موجه إلى كل من يعنيه أمر العقائد وصادق الإيمان ، ومن يرغب بنفسه عن حياة الحيوان ويرتفع إلى معزة الإنسان واحترام تطلعات

١ ـ الناشر : مؤسسة الخليج العربى ١٩٥ شارع ٢٦ يوليو ـ العجوزة .

عرض وتعليق
الأستاذ/ السيد حسن قرون

العقل . ولذا نجد المؤلف قد جمع لكتابه كل عناصر الجودة ، وكل وثائق المعرفة . معروضاً عليك فى معارض أنيقة رقيقة لا يعتمد فيها على السرد والحكاية ، وإنما يقوم على فلسفة فيها سمات الاجتماع وقيم مباحث الجمال إلى مذاهب شتى من حسن الأداء وبليغ العطاء ..

مادة الكتاب :

من عنوان الكتاب نفهم الاتجاه فهو إجابة عن طائفة من الأسئلة من الأخت الفرنسية المسلمة تحتاج إلى الرد ، ولكن طائفة من الأسئلة جاءت من الأخت الإنجليزية المسلمة تطابق أسئلة الفرنسية ، فهنا تغير اتجاه الإجابة « فبدلاً من الرد على أسئلة الأخت الفرنسية فى رسالة خاصة رأيت أن تطبع هذه الإجابة فى كتاب « يعالج » ماتريده الرسالة فكان هذا الكتاب . والأسئلة التى قدمتها السائلة الفرنسية قديمة وجديدة دارت فى خلد كل مسلم يفكر فى الأوامر والنواهى الإلهية .

فهى تدور حول مسئولية الإنسان عن عمله بمعنى : أله إرادة أم لا ؟

ومن ناحية الهداية ، الله هو الهادى فلم يعاقب فى الآخرة من لم يهده الله ؟

وسؤال عن المسلم سىء السلوك وغير المسلم وأيهما أفضل ؟

وسؤال : عن الانحراف بشرب الخمر وتعاطى المخدرات ، وعن أثر التليفزيون فى حياة المسلم ؟

وسؤال عن الصلاة على مركبة حيوانية أو غير حيوانية .

وعن استخدام الأطفال الصغار فى الأعمال وعن النظافة .

ثم أخيراً أسئلة عن الشيطان . وعن أرواح الموتى وعن الخلود فى النار ؟

تلك معظم الأسئلة وهى مصوغة فى قالب مزعج يحتاج إلى تأن ودراسة وتقديم المقنع القائم على البرهان العقلى والتأييد النقلى ، وكذلك فعل المؤلف ، فكانت إجابته فى فصول تدعوك إلى قراءة واعية ومدارسة متناهية .

وهى دراسة فى ثمانية فصول ضافية ، وتحت كل فصل أسئلة هادفة لها إجابات وافية .. لأن المؤلف حريص على أن يقدم شيئاً مفيداً يكشف الغمة ويصل إلى الهدف فى أوجز عبارة وأوضح تدليل . ألا تراه فى مقدمة الكتاب حريصاً على أن يشرح قول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » ؟! فيقول : يشير هذا الحديث إلى ظهور الإسلام فى بيئة مشابهة للبيئة التى نشأ الإسلام فيها أول الأمر من حيث الغربة النفسية والوحشة الفكرية ، ومن حيث التسامى عن كل مغريات هذه الدنيا .

حول مستقبل الإسلام :

تناول الدكتور عبد الودود شلبى مستقبل الإسلام فى فصل عنوانه : « الواقع الإسلامى فى قفص الإتهام » وهو كتاب قائم بذاته ـ فى نظرى ـ لأنه يطلعك على واقع المسلمين فى جميع القارات .

وعن نبوءات المعاصرين حول الإسلام من أمثال « برنارد شو » المفكر البريطانى ، والمفكر الفرنسى « جارودى »[٢] وما قالوه من حاجة العالم إلى الإسلام ولا سيما أوروبا لم يجد من المسلمين إقبالاً ، فكان انتشار الإسلام بقوته الذاتية رغم الهجوم عليه كما يقول المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ، ولكن القوة الذاتية فى حاجة إلى حماية ودعاية .

الشرق الأقصى والغرب المتحضر كلاهما ساحاته مفتوحة لمن يريد خدمة دين له هداية للبشرية حتى يتم لبنى آدم الاستخلاف فى الأرض مصحوباً بالإصلاح والفلاح وتجميل الحياة بدلاً من التناحر والتناكر .

يقول المؤلف :

ينظر القريبون إلى المسلمين فى العصر الحاضر وينسون شيئين :

ينسون أن المسلمين فى العصر الحاضر غير مستمسكين بالإسلام وتكاد الصلة التى بينهم وبينه تكون مجرد صلة إسمية .

وينسون عظمة المسلمين وقوتهم أيام كانوا مستمسكين بالإسلام وأيام أن كانت الدنيا لهم ..

وقد دعا الإسلام إلى الاتحاد فى صور لا حصر لها وبأساليب لا حد لتنوعها ..

ومع ذلك فقد كان كل ذلك صرخة فى واد ، يقول ذلك وتقول : وله شاهد مما يحدث فى العالم الإسلامى من الحرب بين « إيران والعراق » دون استجابة لداعى القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

إلا أننى أرجع كل أخطاء المسلمين إلى ضعف الإيمان ولو كانوا مؤمنين حقاً لأجابوا داعى الله ففعلوا الخير وتركوا الشر وكانوا ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً ﴾ .

الانسان مخير أم مسير ؟

وهذا السؤال القديم جاء على قلم الأخت (أ ـ ح) المسلمة الفرنسية ، فهى فى حيرة من هذا الأمر كما هى فى حيرة من الهداية من الله لقوم وإضلاله لآخرين .

والدكتور عبد الودود استجاب لها وعقد فصلاً رائعاً سماه : « أسئلة حديثة فى قضية قديمة » أورد فيه مافيه مقنع بالأدلة المنطقية والاستشهاد بالقرآن والسنة ، وبأعمال الصحابة والتابعين ، وتتبع الأمر ليجلو لها الحقيقة فأتى بآراء بعض الغربيين مثل (أ ـ س ـ بودلى) ليثبت لها مسئولية الإنسان عن فعله ، « لأن طبيعة الدين ـ وهى التكليف والابتلاء ـ لا تتحقق البتة مع

٢ ـ ينبغى أن ينظر إلى فكر جارودى بحذر فنشاطه الآن ـ فى الإسلام ـ مريب .. مجلة الأزهر

استعباد الإرادة وتقييدها » « لكن ما موقف العلم الإلهى إذن من هذا النوع من أعمال الناس ؟ هو الإحاطة التامة والشمول الكامل » صـ ٥٢

﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (طه آية ٥٢)

ويوضح للسائلة المراد من حرية الإرادة والقول بأن أعمالنا لن تخرج من دائرة العلم الإلهى المحيط الشامل بجواب فيه ضرب المثل لتعى وتفهم ص ٥٣ من الكتاب .

ويستمر الدكتور عبد الودود فى الشرح والتمثيل واستخدام حادثات التاريخ إلى أن يقول : والخلاصة أن الله تعالى قبل أن يخلقك يعلم أنك ستكون مريداً مختاراً ، لأنك إنسان لا جماد .. ويعلم بالضرورة : ما تختاره بمحض إرادتك وما ستصرف إليه من خير أو شر .. وعلى هذا المقتضى يكون الثواب والعقاب ..

من هنا كانت المعتزلة ترد وتقول بالاختيار ، وأن الإنسان فى قدرته أن يفعل الخير ويفعل الشر من أجل هذا عذب العاصى وأثيب المطيع . والإيمان الصحيح على هذا ، والبحث مفيد ، لأنه يثبت العقيدة وينير الطريق ، وإن كنت ممن يقولون : اللهم إيماناً كإيمان العجائز . أو أقول مع مؤلف « إجابات حاسمة » إنه الإيمان ينبوع السعادة ، ﴿ ومن يُؤمِن باللهِ يهدِ قلبَهُ ﴾ ﴿ ومَنْ يُؤمِن باللهِ فقد هُدِى إلى صراطٍ مستقيم ﴾ صـ ٦٥ .

أخلاقيات :

فى فصل رائد عنوانه « الإجابة الخطرة » تحدث الدكتور عبد الودود عن الأخلاق الفاضلة والأخلاق غير الفاضلة ، وبين ما يترتب على النوعين للإجابة عن سؤال الأخت الفرنسية المسلمة ..

إيهما أفضل المسلم سيء الخلق أم غير المسلم حسن الخلق ؟ مع أنها تفضل حسن الخلق لدى غير المسلم على المسلم سيء الخلق وقد استخدم فى الرد كل وسائل المعرفة الصادقة ، وجعل بناء الأمم ورفعتها مرهوناً بحسن الأخلاق وجمال السجايا .. والدكتور عبد الودود عالم فيه سمات الأديب فهو يبدأ حديثه ببيت شوقى المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مع الذين عادوا عقولهم :

وضعهم المؤلف تحت عنوان « الخمراشيون .. التعساء » وقد تحدث عنهم إجابة لسؤال ورد فى شأنهم من سائلة المؤلف ، وفى هذا البحث تناول الخمر وحكمها فى الإسلام وقال فيها ما قال مالك فى شأنها ، وتحدث عن أشياء لم يتحدث عنها مالك وهى المخدرات بأنواعها فى عصورها المختلفة وفى عصرنا الحاضر وبين آثارها المدمرة للمال وللعقول .

وكعادة المؤلف أخذ بيدنا من العصر الجاهلى مبيناً الأثر والخطر ، وموقف الإسلام منها ، وتدرجه فى تحريمها مما يعرفه الدارسون وطلاب العلم وطلاب الثقافة وبين الآيات التى تزلت فى حكمها ، والأحاديث التى حرمتها ، ولم يكتف النبى ﷺ بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، بل حرم الاتجار بها ..

ومن أجل ذلك لعن ﷺ فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها . والمشتراه له ..

التليفزيون والجريمة :

من مباحث الكتاب ، لأن السائلة سألت وكان لابد من الإجابة لذلك وجه إليها الكلام قائلاً :

إنها لمصادفة عجيبة أن أبدأ الإجابة عن التليفزيون وآثاره المدمرة بعد حوار ساخن بينى وبين بعض الأقارب الذين فوجئت بتجمعهم أمام هذا الجهاز فى وقت صلاة المغرب .. إنهم يصلون .. ولكن الحوار كان بسبب تأخير الصلاة إلى حين ينتهى المسلسل صـ ١١٢ من الكتاب ..

ومن هنا أخذ يبين المساوىء التى أصابت المسلمين من جراء محاكاة الغرب ، هى موجة من موجات الغزو الصليبى . ولكن فى صورة أخرى ، هى القتل دون إراقة دم . صـ ١١٣ .

وكعادته تناول الموضوع موسعاً يسع الشرق والغرب مبيناً أثر التليفزيون وأن له تأثير الخمر وبين أثره فى الأطفال ناقلاً تجربة أجراها الباحثون مقدرة بالأرقام بالنسبة لسن الطفولة والساعات التى يقضونها أمام ذلك الجهاز ، فيعمل عمله فى أعصابهم وفى عيونهم وفى ثقافاتهم .

ثم يذكر الجرائم التى كان سببها التليفزيون .

ويختم هذا البحث بطلب موجه إلى المسئولين أن يتداركوا هذا الأمر ويغلقوا منافذ هذا الشر.

عودة الى القيم والتقاليد الاسلامية :

وفى هذا البحث الذى جاء إجابة عن أسئلة للفتاة الفرنسية أفكار مضيئة تدور حول الصلاة والنظافة والوفاء ومعاملة الحيوان بالرفق والعناية به إلى غير ذلك من الفكر الإسلامى ، وأرى للقارىء أن يقرأ ويستوعب ويتأمل ففيه أحكام وقصص وتاريخ وطرائف تذكر لبيان الفرق بين المسلمين كما كانوا وبين أهل أوربا كما كانوا أيضاً .

فمن حكايات المسلمين : أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى (٩٩ هـ ـ ١٠١ هـ) أذاع فى إحدى رسائله إلى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس فى غير حق . والصحابى الجليل أبو الدرداء كان له بعير قال له عند الموت : ياأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أكن أحملك فوق طاقتك .

يقول الدكتور عبد الودود .. وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب وحسبنا أن تجد فى ثبت الأوقاف القديمة أوقافاً خاصة بتطبيب الحيوانات المريضة ، وأوقافاً لرعى الحيوانات المسنة العاجزة .

وجرائم الحيوان فى أحكام الإسلام (حياى) أى مهدرة لا يعاقب عليها

أما الشعوب الأوروبية والشعب اليهودى فكانوا يعاقبون الحيوان . إذا جنى جناية ..

ومن أغرب قضايا محاكمة الحيوان فى العصور الوسطى محاكمة الديك الذى باض

فقد رفعت دعوى على ديك فى مدينة بال بسويسرا عام ١٧٧٤ لأنه باض وذلك فى عرف الأوروبيين يومئذ جريمة شنعاء . إذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديك ليستخدموها فى أغراضهم الشيطانية ، وقدم الديك للمحاكمة ، ودافع محاميه عنه بقوله : كيف يكون الديك مسئولاً عن واقعة لا حيلة له فيها ؟ لكن المحكمة لم تأخذ بنظرية محامى الدفاع ، بل أصدرت حكمها بإعدام الديك ، وعللت حكمها بقولها ؛ ليكون فى ذلك عبرة لغيره من الديكة . فأين هذا مما وضعه الإسلام من الرفق بالحيوان ؟

مزايا وعطايا :

وأنا هنا أشير إلى محتويات هذا الكتاب ولا أستطيع أن ألخصه فهو يستعصى على الناقد ، وإنما يستجيب لمن يدرسه ، ومن يدرسه يجد ما يثقفه ومايسره ، فأنا فيما بقى من بحوث الكتاب أشير ولا ألخص .. تقرأ فيه حديثاً عن الوقت والانتفاع به وموقف المسلمين منه ، وحضارة الإسلام التى دعت ملك بريطانيا إلى أن يرسل بنت شقيقه إلى عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس (٣٠٠ هـ ـ ٣٥٠ هـ) مع وفد لتتعلم ومعها هدية وكان توقيعه « من خادمكم المطيع جورج الثانى » .

وفى سنة ١٢١٣ كتب الملك « جون لاكلاند » إلى الأمير محمد الناصر الحاكم المغربى يعرض عليه ولاءه وأن يكون تابعاً له . وحديث طويل عن الحضارة الإسلامية .

وقد تحدث عن الطفولة واستخدام الأطفال تحت عنوان « جريمة المستقبل » فأعطى حكم الإسلام فى صدق وبين حقوق الآباء على الأبناء وحقوق الأبناء على الآباء .

وكان الختام حديثه عن الشيطان وأرواح الموتى بعد رحيلهم وقبل يوم الحساب وحكم الإسلام فى مصير غير المسلمين فى الآخرة ، وتحدث عن الخلود فى النار وعنوان هذا كله « النهاية المثيرة » .

وقد قدمت لك سابقاً أن الدكتور عبد الودود شلبى يكتب بلغة الأديب حين يقدم لنا علماً وفكراً ، وأحياناً يسوق لك الشعر مع الأدلة العقلية والنقلية ، ولكن الشعر لا تراه مجلوباً للتحسين والتجميل ولكن الموضع يطلبه فيجىء الشعر كأنه هو ناظمه ، ففى الكتاب شعر لمحمود حسن إسماعيل ، ولأحمد شوقى .

وقد صرح باسميها ، وذكر شعراً للبارودى ولم ينسبه حين تحدث عن الوقت ، وأول الشعر :

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
وإنما صفوه بين الورى لُمَعُ

وآخر الشعر قوله :

إن الحياة لثوب سوف تَخلعُهُ
وكل ثوب إذا مارَثَّ ينخلع

والأبيات من مختارت « الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه » لمؤلفيه : مصطفى عنانى وأحمد الإسكندرى .

لقد قرأت كتاب « إجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة » مرة فهيا بنا نقرأه مرة ثانية لنستفيد من عطائه » ونتمتع بجمال أسلوبه وأدائه ؟

أنباء وآراء

كلمة الأزهر
فى المؤتمر العالمى الأول للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المنعقد فى إسلام اباد فى الفترة من ٢٤ من صفر ١٤٠٨ هـ إلى ٢٧ منه - ١٧ من اكتوبر سنة ١٩٨٧ م إلى ٢٠ منه .

للأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر

● الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان علمه البيان ، علم الإنسان ما لم يعلم واصلى واسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى افتتح الله بعثته للخلق بأول سورة للعلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ ورضى الله تبارك وتعالى عن أصحابه الميامين الذين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل إليه فرضى الله عنهم ورضوا عنه .

وبعـــد

أيها الأخوة العلماء

إن دين الله للبشرية كافة هو الإسلام الحنيف ، وقد أنزل الله كتابه ليهدى للتى هى أقوم وإن أعلى الغايات وأنبلها لهذه الحياة الأقوم تلك التى عبر عنها الحديث النبوى الشريف : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » والله جل شأنه يقرر ذلك فى القرآن الكريم ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ فالأساس الأصيل والغاية العليا لهذا الدين الذى نؤمن به أنه جاء ليحكم صلة البشرية كلها بمنهج الله الذى أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ . وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ ولأن الرسالة الإسلامية سرمدية إلى يوم القيامة ولأن القرآن الكريم هو المعجزة

الباقية التى تخاطب كل عقل على مدى تطور الحياة الإنسانية .

فإن الله تبارك وتعالى أودع فى هذا القرآن من الدلائل ما يكفى للبرهنة على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل البشر وجميع المستويات .

وإذا كانت الدراسات التجريبية الحديثة استطاعت أن تربط بين قوانين كونية اكتشفها الإنسان ، وبين آيات فى القرآن الكريم فليس لذلك من معنى سوى أن الله تبارك وتعالى خلق الكون على نسق ينسجم مع ما أودعه الله فى القرآن الكريم ، فإن الكون خلق الله ، والقرآن الكريم كلام الله ، وحاشاً الا يكون بين خلق الله وكلامه سوى الانسجام والإلتئام للوصول إلى الغاية المثلى وهى : أن الله حق وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله الخاتم ، وأن البعث حق وأن الجنة حق .

فالذين يتوصلون إلى كشف سر من أسرار الكون أو قانون من قوانين الله جل جلاله فى ملكوته فليس لهم من فضل فى شىء سوى أن الله يسر لهم معرفة سر من أسرار كونه كعلامة على أن هذا القرآن المنسجم مع أسرار الكون حق ووحى الله الحق فمن لم يشهد بذلك فإن المقدمات التى توصل إليها باكتشاف هذه القوانين تكون مبتورة النتائج .

فليس العلم للعلم وحده ، ولكن العلم يجب أن يوصل إلى معرفة الله الحق ، وهذه الخاصية يؤكد عليها القرآن الكريم كثيراً وبخاصة فى الآيات التى توحى بشىء من أسرار الكون .

فعندما قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ كان ذلك فى سياق ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُم فِي صَلَاتِهِم خَاشِعُونَ ﴾ .

وكان ذلك أيضاً مقدمة لخاتمة هامة : ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ولم يكن ذلك أبداً إشارة إلى علم للطب أو علامة على طب التشريح .

وعندما قال الله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ لم يكن ذلك إشارة إلى علم « الفارماكلجى » « علم الصيدلية » بل كان ذلك فى سياق ﴿ وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

وكان ذلك مقدمة لخاتمة يهتم بها القرآن الكريم كثيراً وهى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

وعندما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ لم يكن ذلك دليلاً على قيام علم للجولوجيا بل كان

أنباء وآراء

فى سياق عظمة هذا الكون المخلوق لله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ .

وكانت مقدمة لخاتمة مقصودة فى التوجيه الإلهى للباحثين من العلماء هى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

والأمثلة كثيرة : فليس المراد من الآيات القرآنية التى توجه العقل فى العمل والقواعد العلمية وقاعات الدراسات التكنولوجية الحديثة أدلة على علوم يزكى بها الإنسان نشاطه بل هو إعجاز للعقل البشرى : أن كل ما يكتشفه من أسرار الكون ما هو إلا برهان على أن القرآن الكريم يهدى للتى هى أحسن وأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين ، وأن الله أرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً .

وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة فى كثير من آيات القرآن الكريم وسوره فقال الله تعالى فى افتتاح سورة الكهف : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا مَّالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾

ويقول الله تعالى فى افتتاح سورة إبراهيم : ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ . وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

إذن فالقرآن الكريم كتاب هداية وهو وحى الله الحق الخاتم الذى أنزله الله على قلب رسوله الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للبشرية كلها منهج حياة يهديها دائماً فى كل تطور للمعيشة الإنسانية إلى التى هى أفضل بإطلاقها العام ليحيا من حىّ عن بينة وليهلك من هلك عن بينة ، ولا ينبغى أن تركز المؤتمرات العلمية على الإعجاز العلمى وحده بل يجب أن تربط بين هذا الإعجاز كَسِرّ من أسرار الكون المتلائمة مع أسرار القرآن الكريم كبراهين أودعها الله سبحانه فى الكون وفى القرآن ليعقل العلماء المتخصصون أن الغاية العليا من هذه الحياة هى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ .

وفصل الخطاب فيما أدعو إليه قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ . ﴾

وفى ختام كلمتى أحمل إليكم تحيات مولانا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مع دعواته لكم بالتوفيق والسداد والنجاح الطيب لمؤتمركم من أجل خدمة الإسلام والعلم والإنسانية .

وإنى لأسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً إلى الطريق القويم ، وإلى اتباع سنة نبيه الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكيـــل الأزهـــــر
(أ . د رءوف شلبى)

● ● ●

مؤتمر الأزهر الطبى

يعقد بجامعة الأزهر المؤتمر الطبى الدولى الثانى فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٨٧ م ويتناول موضوع «الطوارىء فى الطب والجراحة».

ويشارك فى المؤتمر علماء الطب من مختلف فروع الطب سواء فى ذلك العلوم الطبية الأساسية والعلوم « الأكلينيكية » فى موضوعات حرة ، ومن الأبحاث الهامة التى وصلت إلى (أمانة) المؤتمر بحث هام عن الأمصال المضادة لمرض البلهارسيا الذى يمثل المشكلة الطبية الأولى فى ريف مصر ، وقد تقدم بالبحث عالم أمريكى .

ويتوالى تقديم البحوث حتى ٣٠ أكتوبر القادم وقد وصل عددها حتى الآن مائة وخمسين بحثا من مختلف دول العالم ومصر .

ويرأس المؤتمر أ .د . محمد نور الدين عميد كلية الطب-جامعة الأزهر-ويقوم بالأمانة العامة للمؤتمر الأستاذ الدكتور . محمد الملا مدير مستشفى الحسين الجامعى .

صرح بهذا الدكتور محمد النمر المسئول الإعلامى للمؤتمر.

أنباء وآراء

مؤتمر عن القرآن الكريم

نظمت السفارة المصرية بموريشيس بالتعاون مع وزارة التعليم هناك مؤتمراً كبيراً للقرآن الكريم . شاركت فيه عدة جهات إسلامية . وصرح مسئول بالسفارة المصرية بأن المؤتمر شهد بحث تدريس قواعد قراءة القرآن بطريقة صحيحة . ووسائل تدريس اللغة العربية . كما تم توزيع بعض الجوائز المادية على المتسابقين .

كذلك شهد المؤتمر بعض الدراسات حول واقع الدعوة فى موريشيس ووضع المراكز الإسلامية والعمل على تأسيس مركز إسلامى يضم كل المراكز الفرعية القائمة ، والعمل على تدريس الثقافة الإسلامية للأطفال والأمهات للمحافظة على وسائل تنشئة الأجيال القادمة .

● ● ●

مركز إسلامى

قرر مليونير فلبينى تحويل مؤسسة « أبالا » التجارية التابعة له والواقعة فى « مانيلا » إلى مركز إسلامى كبير ، يضم قاعة للمحاضرات ، وقاعة لتحفيظ القرآن الكريم . ومن المقرر أن يقوم المركز بتسجيل جميع المراجع الإسلامية الكبرى على شرائط « الميكروفيلم » حتى يتسنى عرضها فى المكتبة بالمركز . وكان المليونير الفلبينى قد أشهر إسلامه بالفلبين مؤخرا وقام بتقديم هذه الخدمات للمسلمين الذين يعيشون فى « مانيلا » .

● ● ●

رئيس العلوم الشرعية بأندونسيا يشيد بدور مصر الأزهر

أشاد الدكتور يس الخطيب رئيس العلوم الدينية بمعهد العلوم العربية بجاكرتا بأندونسيا بدور الأزهر الشريف ومصر فى خدمة العمل الإسلامى فى أندونسيا وإرسال البعثات إلى مختلف الولايات والجزر الأندونيسية .

وقال الدكتور الخطيب فى تصريح له :

إن المسلمين فى أندونسيا متمسكون بعقيدتهم ويقبلون إقبالاً شديداً على تعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحضور مجالس العلماء . وأن كل حركات إبعاد المسلمين عن دينهم قد باءت بالفشل ولم تنجح فى زعزعة المسلمين عن دينهم خاصة دعاة الغزو الفكرى والتنصير . وأكد أن العالم الإسلامى يشهد حالياً صحوة إسلامية تبدو معالمها فى وسائل الإعلام ، ودور العبادة .

● ● ●

ربط شباب المهجر بالدول الإسلامية

جاء فى التوصيات الختامية لمخيم الشباب المسلم الذى أقامته الندوة العالمية

للشباب بمدينة تطوان المغربية : ضرورة ربط أبناء الجاليات الإسلامية فى المهجر باخوانهم فى الدول الإسلامية .

قال الدكتور مانع الجهنى أمين عام الندوة : إنه سيتم وضع خطة للبدء فى تنفيذ التوصيات كما سيتم تنظيم عدد من المعسكرات فى دول المهجر للتعرف على المعوقات التى تحول دون ربط الشباب المسلم بالدولة الأم .

● ● ●

منهج التربية الدينية

اعتمد مؤتمر مديرى ورؤساء المعاهد والأقسام الجامعية للدراسات العربية والإسلامية الذى عقدته مؤخراً المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مشروع المنهج الموحد للتربية الدينية الإسلامية . وسوف يرسل مشروع المنهج إلى مختلف الدول الإسلامية لتعتمد عليه فى بناء أسس منهج جديد فى تدريس التربية الدينية الإسلامية ، وأوصى المؤتمر بضرورة الأخذ فى هذا المنهج بعين الاعتبار التطورات التى يعيشها العالم فى مختلف الميادين .

● ● ●

مركز إسلامى لنشر الدعوة الإسلامية

بدأ تنفيذ مشروع المركز الإسلامى بتورنتو بكندا وأكد رئيس المركز الإسلامى أن الهدف من إنشاء هذا المركز هو نشر الدعوة الإسلامية فى أمريكا الشمالية والتصدى للأفكار المعادية للإسلام التى تروج لها القاديانية والمؤسسات التبشيرية . وسوف يحتوى المركز على مسجد كبير على غرار مسجد المركز الإسلامى فى لندن بالإضافة إلى مدرسة إسلامية ودار للحضانة .

● ● ●

المفاهيم الأساسية فى العمل الإسلامى

عقد اتحاد الطلاب المسلمين فى أوروبا بالتعاون مع المركز الإسلامى فى « اخن » بألمانيا الغربية واتحاد العمال المسلمين فى أوروبا المؤتمر السنوى الثانى عشر بمدينة « كيان » بألمانيا الغربية بعنوان : المفاهيم الأساسية فى العمل الإسلامى . وقد ناقش المؤتمر مفاهيم الشورى والقيادة والجماعة والاستقلال ، والتمييز ، والانفتاح ، والتوازن والقطرية والعالمية .

شارك فى المؤتمر عدد من أساتذة وعلماء العالم الإسلامى .

● ● ●

أول مركز إسلامى حول موارد المياه

اختتم فى عمان الاجتماع التأسيسى للشبكة الإسلامية لتنمية مصادر المياه

←

وإدارتها تلك التى تشترك فيها إحدى عشرة دولة إسلامية وذلك لوضع الإطار الرئيسى لإنشاء أول مركز إسلامى فى العالم لتبادل المعلومات حول موارد المياه .

التفاهم بين المسلمين وغير المسلمين

شهدت العاصمة الماليزية « كوالا لمبور » مؤخرا ندوة حول تطوير التفاهم المتبادل بين المسلمين وغير المسلمين فى دول العالم الإسلامى . أشرفت على الندوة رابطة العالم الإسلامى ، ونظمها معهد الصحافة الماليزى والمؤسسة الصحفية الأسيوية فى مانيلا بالفلبين .

وقد طرحت الندوة عدة موضوعات منها : الإسلام وتحديات العصر ، والإسلام بين الأمس واليوم ، والإسلام والتطور .

أكد رئيس معهد الصحافة الماليزى : أن غالبية غير المسلمين لا يعرفون سوى القليل عن الدين الإسلامى ، ولا يتفهمون حقيقة التطلعات الإسلامية نتيجة قصور فى دور وسائل الإعلام الإسلامى . هذا وقد حضر الندوة خمسة وعشرون من كبار الصحفيين غير المسلمين من اليابان وتايوان وهونج كونج وتايلاند والفلبين وأندونسيا .

دعم وكالة الأنباء الإسلامية

ناشد الأستاذ أحمد فراج الأمين العام لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية ومدير عام وكالة الأنباء الإسلامية الدولية جميع الدول الإسلامية للمشاركة العاجلة فى تمكين الوكالة من التغلب على الأزمة التى تواجهها وذلك حتى يمكن أن تقوم الوكالة بتحقيق الأهداف التى قامت من أجلها وهى توطيد التراث الإسلامى والحفاظ عليه وتزويد وسائل الإعلام بأهم الأخبار الإسلامية البعيدة عن أحداث الإعلام الغربى التى ترحب بالإساءة إلى كل ما هو إسلامى .

ضرورة حظر التدخين

أكد المؤتمر القومى للمحافظة على البيئة ضرورة منع التدخين فى المواصلات والتجمعات ودور التعليم ووسائل التجمع العامة حيث إن خطر التدخين ليس على المدخن فحسب . بل على كل المحيطين به .

وصرح الدكتور محمد عوض سكرتير عام المؤتمر بأن التشدد فى هذه المسألة

والتأكيد على خطورة التدخين وأثره السيء على الفرد والمجتمع بات ضرورة صحية ومادية . فضلا عن كونه ضرورة خلقية وقومية . وقال : إنه واحد من أهم عوامل تلوث البيئة التى تشكل أحد أخطر الوسائل الحديثة على صحة الإنسان المصرى فى العصر الحديث . ويذكر أن التدخين من الناحية الشرعية مكروه عند غالبية العلماء وذهب البعض إلى أنه مكروه كراهية تحريم أى قد يرقى إلى درجة الحرمة .

● ● ●

تزويد القطارات بالمساجد

تم تزويد القطارات السعودية بالمساجد ليؤدى الركاب فيها الصلوات فى أوقاتها . خصص مكان بكل قطار لهذا الغرض يتسع لعشرات المصلين يرتفع منه الآذان وقت الصلاة ثم تقام صلاة الجماعة فى وقتها .

حبس المدين - بقية

فى التنفيذ بالدين ، تسترعى أنظارنا الآن ، فى الفقه والقضاء لنتخذ من طرائقهم ، ما يسلم من المعوقات فى تنفيذ الأحكام القضائية ، ونستعيد بهذا قول عمر بن الخطاب فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى (.. فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ..) .

وقد أخذ فقهاء الإسلام من هذا وغيره أن وظيفة القضاء ، إيصال الحقوق لأربابها ولو أدى هذا إلى سلوك طريق الحبس ، بل رخص بعض الفقهاء فى ضرب المدين الموسر الذى أخفى ماله حتى يظهره ويقضى دينه ، وقالوا فى هذا : أن القاضى منصوب لإيصال كل ذى حق إلى حقه .(٣٢)

ولاشك أن سلوك طريق تنفيذ الديون بالحبس أجدى نفعاً . وأقل عثرات ، وعقبات من الطريق الذى يقرره القانون الآن ويتدخل فيه المحضرون بإجراءاتهم التى يستقلون بها .

وفى نظامنا القضائى ما يدعو إلى اتباع هذا الطريق ، للوثوق بنجاحه إذ أن المادة ٣٤٧ من المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة المحاكم الشرعية ، تقرر الحبس فى ديون النفقات وأجرة الحضانة والإرضاع والمسكن ، والعمل جار عليها للآن ، وهى وسيلة أثبتت رشدها وفاعليتها فى إيصال هذه الحقوق لأربابها .

ثم أما بعد :

فلعل رجال القانون وفقهاءه لاسيما فى كليات الحقوق ، يعمدون إلى دراسة هذا الطريق من طرق التنفيذ وغيره مما محصه فقهاء المسلمين وأصلوا قواعده وأقاموا عمده وإلى إرسائه فقها مقارناً بغيره مما ينقل عن الغرب والشرق فإن فى فقه الإسلام نظاماً قانونياً متكاملاً ..

نسأل الله الرشد والرشاد والتوفيق للعمل بما ارتضاه شرعة ومنهاجاً . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٣٢) كتاب ادب القاضى للخصاف وشرحه للجصاص ص ٣٤٢ فى منع المدين من السفر والعناية على الهداية جـ ٥ ص ٤٧١ و٤٧٦ والقوانين الفقهية لابن جزى ص ٣٢٦ .

من خير ما كتب

الأستاذ/ أحمد بهجت:

رزق الآخرة

الدنيا دار الله تعالى .. وكل من فى الدنيا ضيف على الله فى داره .. ومن حق الضيف أن لا يحمل هما مع رب البيت .. لكن ماذا نقول .. أن كثيرا من الناس ينسون هذه الحقيقة وينخرطون فى سباق مميت على الرزق .. وينسون فى غمرة السباق أنهم ضيوف على الله .. وأن رزقهم مضمون .. وأن ليس عليهم سوى الأدب مع الله .

إذا تحقق أدب الضيف تحققت له الكرامة من رب البيت .. يقول الله تعالى فى سورة طه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا . لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نحنُ نَرْزُقُكَ ﴾ .

إن أدب الضيف أن يكون عبداً لله .. وروح مقام العبودية هو الثقة بالله والاستسلام له .

« إذا قام العبد بالخدمة .. قام السيد بالمنة » .

إن المضيف الكريم من بنى البشر لا يدع حاجة لضيفه لا يلبيها له .. فمابالك بأكرم الأكرمين ورب العالمين .. هل يدع حاجة لعباده إلا ويلبيها لهم .

إن رزق الدنيا هو المضمون ، وهو لا يحتاج إلى عناء أو إراقة ماء الوجه .. يكفى الأخذ بالأسباب ليصل الرزق .. أما رزق الآخرة فهو الذى يحتاج إلى جهد حقيقى لتحصيله .. وهذا هو الرزق غير المضمون[1]

الأستاذ/ رشدى محمد إبراهيم:

لماذا تخلف المسلمون ؟

حينما ننظر إلى العالم الإسلامى نظرة موضوعية نجده يقع ضمن ما يعرف بالعالم الثالث أو الدول النامية .. وهى تسمية يراد بها التخفيف من حدة مصطلح « الدول المتخلفة » الذى يمثل الحقيقة فى غير مماراة .

والمتأمل يدرك أن أكثر من ٩٠٪ من أبناء الدول الإسلامية يعيشون تحت الحد الأدنى للمستوى الحضارى ، ويعانون وطأة القهر ، وتزداد الفجوة إتساعاً وعمقاً بين الشعوب الإسلامية التى تحمل شعار ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمةٍ

١ ـ إلا لمن حد مؤمناً بالله وحده مخلصاً فى طاعته .

عـرض : الأســـتاذ
عبد الفتاح السـيد عبد السـلام

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وبين الحضارة المعاصرة التى تسيطر بوسائلها على روح العصر .

وهنا يبدو سؤال يطرح نفسه على الساحة .. وهو : هل الإسلام هو علة هذا التخلف الذى تسبح فى لججه الأمة الإسلامية .. ؟

وإنصافاً للحق نقرر أن المسلمين اليوم فى واد ، والإسلام بحقيقته النورانية فى واد آخر ، فالإسلام لم ينعزل عن الحياة يوماً ما .. لكن الناس انعزلوا عنه : فتصوره البعض « نسكا وعبادة » فى بيوت الله فقط ..

وظنه آخرون « اسماً ولقباً » يحملونه وكفى .

وحسبه غيرهم « دروشة وذهولاً » عن واقع الحياة ..

وخاله البعض « ميدانا لجدل » يطول أو يقصر حول موضوعات لا تمس الحياة ولا جوهر الدين ، ولا كنه الإسلام ..

ولقد نسى كل هؤلاء وأولئك أن دور الإسلام لا ينحصر فى العبادات ، ولا يتقوقع فى المشكلات الفرعية أو ساحات « الدروشة » وإنما دوره يمتد ليشمل كل أوجه النشاط الإنسانى .. فهو تشريع متكامل ، وهو بناء تام لعقيدة ، وعبادة ، وعمل ، ونظام حكم ، ومنهج حياة .

وما تخلف المسلمون عن ركب الحضارة إلا يوم أن عزلوا الإسلام بشمولية منهجه عن مسيرة حياتهم .. وأعانهم على ذلك أسباب زينها لهم أعداء الإسلام حتى يستنفدوا طاقاتهم وخيرات بلادهم ، ويجعلوا منهم سوقاً رائجة لبضاعتهم التالفة ، سواء الفكرية أم المادية .. ويسر لهم هذا .. استحكام الغفلة ، وغلبة الهوى ، والولع بتقليد المغلوب للغالب .

فهل تبقى الأمة الإسلامية هكذا تستمرىء الواقع الأليم .. أم أنه قد آن الأوان لتنفض عن نفسها ركام الغفلة ، وتخرج من جديد إلى درب الحياة حاملة الشعار الذى اختاره الله لها : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

الدكتور / سعيد إسماعيل على :

البعد القومى للتعليم

إذا كان التعليم « عملية » يقوم بها أفراد متخصصون ، إلا أنه باعتبار موضوعه الذى يتصل بكل فروع المعرفة يصبح ملكا عاما ومركز استقطاب لأصحاب التخصصات المختلفة .

وإذا كانت كل مهنة على وجه التقريب تكاد تتوجه إلى فئة أو شريحة اجتماعية معينة ، نجد أن ساحة التعليم تكاد تتسع

لكل الفئات ومختلف الشرائح إلى الدرجة التى لا يكاد يخلو منها بيت .

لكل هذه الاعتبارات ، وغيرها كثير تجعل قضية التعليم هى قضية كل المصريين . وإذا كان التنظيم الرسمى قد اقتضى أن تكون له وزارة خاصة هى وزارة التعليم إلا أننا نظلم هذه الوزارة ونظلم التعليم نفسه ، بل ونظلم أنفسنا كمصريين إذا تصورنا أن هذه الوزارة وحدها هى التى تتحمل المسئولية التاريخية تجاه « صناعة المواطن المصرى » .

وهنا نشير إلى التليفزيون والإذاعة : لقد أثبتت مئات الدراسات والبحوث أن هذين الجهازين قد تفوقا على المدارس والجامعات فى نوع وحجم التأثير على سلوك المواطنين .. ومن هنا فإنه لا ينبغى ونحن نسعى لتطوير التعليم إغفال أجهزة الإعلام لا بمعنى أن « تغطى » وقائع التطوير وأخباره ، وإنما بمعنى أن توضع هى نفسها « تحت ميكروسكوب التطوير بحثاً ودراسة وتطويراً من أجل بناء البشر » .

إننا نؤمن إيمانا راسخاً بأن التطوير الحقيقى للتعليم ينبغى أن يكون « شاملاً » و« متكاملاً » ولا يمكن أن يكون شاملاً ومتكاملاً إذا لم تمتد حركته إلى كل الأركان والزوايا ، وإلا إذا شاركت فيه كل الوزارات والهيئات التى تتناول جانباً من جوانب المواطن بالتنشئة والتربية والإعداد .



فهـــرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
• مقدمـــة قبـــل الهجـــرة د . على أحمد الخطيب	٢٥٧
مـــع الامـــام الأكبـــر	
• حبـــس المديـــن فـــى الفقـــه الإسلامـــى للشيخ جاد الحق على جاد الحق	٢٦٢
• تكلمـــى يامنـــارة الأزهـــر بقلم ثروت أباظة	٢٧٠
• رد الإمـــام الأكبـــر	٢٧٣
• رجـــال القـــراءات « الإمـــام نافـــع » للأستاذ إبراهيم عطوة عوض	٢٧٧
• مولـــد النبـــى ﷺ « حدث كبير فى تاريخ البشرية » للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٢٨٤
• القـــدوة العليـــا للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢٩٠
• مـــن احـــداث السيـــرة النبويـــة للأستاذ محمد الليثى على محمد	٢٩٥
• حفـــظ الله الســـودان د . عبد الودود شلبى	٣٠١
• الرسالات السماوية بين التطور والتجديد د . محمد شامة	٣٠٥
• ولنـــا فـــى ذلـــك ـ كلمـــة ـ للأستاذ الدكتور رئيس التحرير	٣١١
• الفتـــــاوى للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين	٣١٦
• مـــن اعـــلام الأزهـــر « د . محمد عبد الله ماضى » للأستاذ صفوت عبد الجواد	٣١٨
• الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم د . محمد جمال الدين الفندى	٣٢٢
• العنكبـــوت د . كارم السيد غنيم	٣٢٦
• مجلـــة الأزهـــر مـــن خمسيـــن عامـــاً « الأمانـــة الأمانـــة » للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٣٣٢

الموضوع	الصفحة
الشعـــر والشعـــراء **اشراف د . حســن جاد**	
• أرحنـــا بهـــا للأستاذ رشاد محمد يوسف	٣٣٦
• مـــد وجـــزر شعر أحمد محمود مبروك	٣٣٨
• باســـم الله للشاعرة علية الجعار	٣٣٩
• راضٍ عـــن الله للشيخ محمد زكى إبراهيم	٣٤٠
• سراقـــة بـــن مالـــك للأستاذ محمد أمين الشيخ	٣٤١
• طرائـــف ومواقـــف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٣٤٢
اللغـــة والأدب والنقـــد	
• اللغـــة العربيـــة اصلهـــا ونشاتهـــا د . محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم	٣٤٦
• قضايـــا إملائيـــة ولهـــا جـــذور نحويـــة د . عبد الرءوف محمد عثمان	٣٥٥
• المـــديح النبـــوى زمـــن رســـول الله ﷺ د . غريب محمد على	٣٦١
• إجابـــات حاســـمة إلـــى الأخـــت الفرنســـية المسلمـــة تعليق الأستاذ السيد حسن قرون	٣٧٠
• انبـــاء وآراء د . أحمد عبد الرحيم السايح	٣٧٦
• مـــن خيـــر ما كـــتب للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	٣٨٤
القســـم الانجليـــزى	
• المقالـــة الثالثـــة بقلم فاطمة محمد سرى	٣٨٩
• المقالـــة الثانيـــة للأستاذ سعد مصطفى مصطفى	٣٩٤
• المقالـــة الأولـــى د . أنس مصطفى النجار	٣٩٨

Increase us in blessing, light and unveiling, and strengthen us in guidance.

Support us in our words and deeds, and make our provision easy for us, from where we know not!

Here we are standing at the door of Thy Favour, waiting without hardship for the Beloved to turn to us.

Swiftly, send us Your ease, oh Answerer, for You are the possessor of generosity, liberality and goodness.

Your Bounty exists without our existence, and Your Generosity pours down on us, undenied.

Give us success in the thankfulness which is our duty and which itself calls for increase from You without loss to us.

Free us from the prison of our bodies and raise us up to the presence of the spirits as a reward for our gratitude.

Let us see the meaning of the essence in every manifestation in order to strengthen our witnessing both in times of ease and trouble.

Annihilate us to ourselves and give us guidance and piety to You always, so that we may join the people who have inherited the presence of the secret.

Your command to things is in the word "Be/it is !" So shape things for us with firm intention and without deception, with mercy and with blessings.

SUPPLICATIONS

Collected By :
Fatimah Muhammad Sirry .

Praise is due to You, the possessor of serenity and forgiveness. My praise is part of your blessing, oh abundant Giver.

Praise is due to You, in number as great as the drops of rain, the grains of sand, the pebbles, the plants of the earth and the fish of the sea.

Praise is due to You in number as great as the ants, jinn, and men, in quantity as great as the sky, the throne, and the stars like scattered pearls.

In quantity as great as space itself, and the tablet of forms, the moist earth, and the number of all created beings on the day of gathering.

Praise is due to You, oh my Lord, as You deserve it, for I cannot praise You fittingly to the full extent to time.

Praise is due to You, on endless Giver of gifts, the One who grants opening and triumph to the people of Allah.

Praise is due to You with every breath with the body and the heart. Look kindly on a slave who is preplexed by the command.

If my wrong actions weigh me down, I still have a good opinion) of You which that You will mend my broken spirit.

Oh Forgiving ! Grant a turning away (from wrong action) to us which will undo what happened in our early years. Grant us repentence.

have children; those who have, reject to breast feed them. Nurturing is no more on the agenda of most mothers, they are busy dressing, making up to become alluring and glamorous. The whole purpose and reality of Male-Female sexuality, that of procreation and productivity has been totally missed, intentionaly neglected and indeed becoming old fashioned.

The human race is sinking into the abyss of social matrimorial disruption, sexual suicide, erotic mania, obscene psychology, and violation of the most supreme and sacred function. The quality of organized selective, chastised, disciplined, highly desired productive sexual relationship of Male and Female should be totally related to the organized creedal system of the Islamic Shariah.

The Islamic creed offers to mankind a highly optimized, divinely rational and divinely intelligent system of life. This system aims at controlling and committing the behaviour and conduct of each individual to safeguard the integral health, prosperity, purity and salvation of the human race. If is the duty of every human to educate himself, gain beneficial knowledge in order to participate with goodness, virtue and sound understanding in his own life and in the life of others.

The uniqueness of female power and potency essentially lies in what the woman can offer or withhold. She can grant the man sexual purity, selectivity and affirmation. She can offer him progeny that is genetically determined to be his through her sexual honour and chastity. She can give him a way of peaceful unperturbed tranquil living which is fulfilling and productive. The man on the other hand offers much less; his masculinity as provider, and his sexuality which is very brief and inferior; however, what he can offer best is his purity, faithfulness and protection.

The power and potency of the highly developed female sexuality is manifested internally by the primary sex characters and externally by the secondary sex characters as the hair, the breasts, the body configuration and the voice. The purity, refinement, preciousness of these high grade qualities require an appropriately refined system of preservation and antidevaluation. The Islamic creedal system as a divine doctrine provides the most comprehensive practical scientific system that grants the female the full efficiency and reality of the power and potency of her sexuality. Islamic teachings also furnish the male with a similar system for chastity for his own purity, and to prevent the despoil and seduction of the female population at large. The Islamic Shariah regulates Male-Female relationship in wisdom and reality natural to their individual sexes. The unversality of these teachings submits to the natural inborn mystry of sexuality in the creation of all biological life. The concept of pairs is also found in other forms of creation of whose real identity we have little knowledge; so much so that even the constitution of matter itself is referred to in pairs of opposite energies. All parts of this expanding cosmos has been created in pairs, and all the phenomena of creation that we observe is indeed the result of mutual interactions of these pairs.

It is very disastrous that mankind with all his inborn intelligence and rationality is the only biological species that disturbs and prevents the normality of interaction of the rule of pairs. The whole philosophy, culture, mass communication, arts, garment industry, conduct, and every major or minor trend of human life; are all programmed to serve Male-Female provocative seductive sexual appeal. The most respected and honoured human quality of procreative copulation has become degraded and atrociously amputated. It has been contemptibly reduced to the evacuation of the male organ into the female receptacle, driven by the sex urge. Many women recant to

Considering the Male-Female Sexual identity, the male sexual listing is very limited to one organ and one function; and everything else is guided by culture, tradition, education, religion, imagination and several other factors. The female sexual listing as previously considered are numerous and compound; the function of intercourse is only one of the numerous components of the sexuality of the female. The sexual nature of a female is reaffirmed monthly in menestruation, and continues in the long unfolding processes of the breast, the womb, potentiality of fertility, pregnancy, childbirth. lactation and the long term nurturing of the progeny. The female sexuality is therefore unequivocally superior. more perpetual, more fundamental, much more powerful than male sexuality. Only the female can perform the functions that give sexuality its identity, its purpose . meaning and an incarnate result as a pregnancy. An educated cultured female should realize the meaning and potency of her sexuality. the unquestionable importance of the role she plays in society. That unique, highly intricate, highly developed role must be met with an appropriate system of discipline, organization. conditioning, management, scientific orderliness, and self control as dictated by moral justification. The whole complicated issue of Male-Female sexuality is fundamentally the most essential factor that controls the life force in human lives and society. It must be regulated through a creedal system of belief that meets and answers all the requirements of that complicated highly developed, creatively essential Male-Female relationship. The more sophisticated any biological or mechanical or industrial system is; the more it requires an appropriately sophisticated system of quality control and quality assurance to safeguard the hazards of its disruption. What can be more hazardous to the human race than the disruption and devaluation of Male-Female relationship. What can be more safeguarding and optimally organized than the discipline ordained and doctrined by the Creator of that Male-Female relationship.

The man must rely on th woman to receive, to bear. to breast feed. and to nurture the child. His participation in this chain of events, his access to biological immortality, the very meaning of his potency, his life's energy; all are profoundly and totally contingent on the woman's durable. love. chastity, purity of body and soul, and her sexual discipline. This Male-Female relationship must be chaste on both sides. No promiscuity is allowed for any partner in that relationship; and according to religious requirements both Male and Female should remain pure until such relationship is sanctioned and sanctified.

and woman in the built-up of human society becomes in reality the source and manifestation of that power. Differential analysis of male and female sexuality will reveal the inherent powers of female in human society; and indicate that in reality female power is certainly superior to male power and potency. The prevalent dominant concept that male-female power balance is incubent only in their roles of the sex act or in the outward appearance of musculinity and femininety is a complete misconcept that must be corrected to the proper understanding by objective unbiased education in the science of sexology.

The divisions between male and female in the most elemental sexual terms will make the balance of power and potency between them very manifest. Embryonic, infantile and adult development are very highly more complex in their organization in females that in males. The biology, biochemical pathways and hormonal mechanisms are much more rich and meticulous in female than in male. Sexual love, marriage, intercourse, conception, child bearing, infant delivery, breast feeding are in reality manifestations of female sexual development and fulfillment of female generative requirements. Although the male is needed for intercourse, he is otherwise in reality biologically unnecessary. It is the woman, who concieves, bears, delivers and suckles the child. Such functions and activities constitute the complete sexuality of the female as determined by her body, mind and spirit. Such functions comprise and constitute the role of fertility, motherhood, and the whole pool of procreation of human life, which are specifically unique for the woman. There is absolutely no biological "sexual" need for the man during pregnancy, delivery, breast feeding or nurturing. The presence of a man during such circumstances is only a matter of tradition to the framework of human societies. Again, the actual body constitution of sexuality, the female is highly superior and much more devloped than the male. A far smaller potion of the male body is directly erogenous, a far smaller portion of the male life scale is devoted to sexual activity. The male distinct sexual experience is limited only to the simple processes leading to copulation, and ends completely at that. The female body on the other hand, constitutes large areas which are erogenous, and long periods of their life scale are devoted to the biological process of ovulation, maturation, menstruation, pregnancy lactogenesis after child birth. All these are very powerful, potent and fulfilling sexual experiencies that are specific for the female; and are completely foreclosed to the male. That certainly ranks the female sexuality far more superoir to and certainly more developed than that of the male.

MALE AND FEMALE

By :
Saad Moustafa Moustafa M . D :

Male-Female relationship is one of the most vital aspects of human life; and sex in all its dimensions is the single most important motivating force in the life of mankind. Throughout history, sex education has been rejected attributed with shame, disgrace, and sin, with complete abstention in body and mind as a forbidden taboo. On the other extreme, some have considered sex as a means of satisfying carnal desires, sensuous lust, obscenity, self indulgence and licentiousness. Sex education comprises the teachings of the origins of the genders, the biology of sex differentiation, the sexuality manifestations of both male and female; and the deeper psychological patterns of love, intimacy, procreation in order to propagate and carry the human race into the future. The universality of sex relationship renders it very crucial and very sensitive to individual or community disturbances or misunderstandings of the sex relationship . This relationship is highly complex with intricate spiritual, intellectual and material infrastructure. It involves the whole integration of the elements of human continuity, starting from the sexual urge and the basic biology and biochemistry controlling it; and ending into progeny culture, family structure, and the reality and purpose of human life and death.

The outstanding principal issue that is currently being misunderstood in the human society is that of Male and Female power. Most literature of Women Libertion Movements fail to comprehend the real balance of power and potency between male and female, and assert that female power is a "social myth". This understanding in fact indicates the utter and disabling failure of perception of those who promote such literature. In reality, and in accordnce with the balance of creation, the conspicuous and calculable powers of males are counterbalanced by the inborn inevitable powers of females. The role played by man

intensity of the battle, Abu Bakre together with few other companions defended the Prophet and shieled him against any further injury. Abu Bakre knew that the leaders of Quraysh had the intention and purpose to kill the Prophet, and that the unfavourable conditions of the Muslims during the combat allowed the chance for Quraysh to accomplish their most wanted desire. The extreme bravery, genuine devotion, self sacrifice, supreme quality of love to Allah and the Messenger of Islam; that was fully and with grandeor expressed at those crucial moments by the companions prevented Quraysh from achieving their purpose. Abu Bakre was the back-bone and cohesive element with other companions in the defence process of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Day of Uhud was over, and the Prophet was safe by the grace and mercy of Allah. After the battle of Uhud, Abu Bakre became much closer to the Prophet than ever before. This closeness resulted in more intimacy, and cultivated the unique inherent qualities and personality of Abu-Bakre by the profound faculties of prophethood. The Muslims at Al-Madinah were experiencing some celestial divine power at work, the Prophet was the element of that power, and Abu Bakre was the most intimate companion to the Prophet, directly exposed and experiencing that transcendent power.

During the sixth year of Hijrah, the Prophet announced his intenton to perform Umrah (the Lesser Hajj) to Macca. When Quraysh heard the news, they pledged that Muhammad and his compansions would not enter Macca. The Prophet camped at Al-Hudaybiyah declaring that he had come for peace, and refusing any confrontation with Quraysh, since he and his compansions came for Umrah. Both Quraysh and the Prophet exchanged envoys, and finally an agreement was reached. One article of this agreement dictated that the Prophet and his companions were to return to Al-Madinah that present year, but will be allowed to enter Macca in the year that was to follow. When the companions heard the terms of the treaty and realised that having reached the very edge of the sacred Kaaba, they must now return to Al-Madinah with nothing accomplished, it was almost more than they could endure, and remained in sullen explosive silence. Umar ibn Al-Khattab was among the most indignant and wrathful. Abu Bakre was calm and fully convinced that what the Prophet had done and agreed upon, regarding the terms of the agreement with Quraysh was a divine order to the Prophet, and that Allah shall finally bestow victory, a clear victory to His Messenger. Such an attitude of perception and understanding is characteristic of Abu Bakre, the man of uniformity and tranquil composure, the man of sagacity, brilliance of foresight and inspired rationality.

"O Prophet, say unto those captives who are in your hands: If Allah knoweth any good in your hearts; He will give you better than that which hath been taken from you, and He will forgive you. Verily Allah is forgiving, Merciful".

(Surat Al Anfal, VII, 70)

Abd Al-Rahman son of Au Bakre fought during Badre on the side of the pagans of Quraysh. Later on, he became a Muslim, he told his father that during that battle of Badre, the son avoided confrontation with the father in order not to kill him. Abu Bakre the father, said "If I saw you I would have killed you". This clearly indicates the height and supremacy of faith in the heart of the father with which no other sentiment or worldly love could compete, and the void and nothingness in the heart of the pagan son:

The life of Muslims at Al-Madinah required the development of new policies and strategies after the battle of Badre. It was well realized by everybody that another confrontation with the pagans of Quraysh was unquestionable; for Quraysh would not be at ease of dignity before they revenge Badre. The small Muslim community at Al-Madinah had to make preparations to optimize their safety, to protect themseleves from outside intruders and protect themseleves and their interests from the hypocrites and Jews at Al-Madinah. Abu Bakre was very active in organizing such matters, and together with Omar ibn Al-Khattab acted as counselors to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) upon his request, in precarious matters requiring deliberation.

Abu Bakre was particularly resenting the presence of the Jews amidst the growing Muslim community at Al-Madinah. They openly and with insolent contempt challenged the presence of Muslims and the propagation of Islam. Among the Jewish tribes of Qaynuqa, Qurayzah, and Bani Al-Nadhir, several embraced Islamic with sincerity and honest belief, others with hypocracy. The Jews and the hypocrites never ceased to antagonise, hate and with all efforts intrigue against Muslims. Abu Bakre made a point of exposing their hostile conduct, and aborting their conspiring schemes.

The news of Al-Madinah were continually reaching Quraysh at Macca who were fervently preparing to avenge the defeat they had suffered at Badre. Finally, Quraysh met the Muslims at Uhud. The outcome of the battle was adverse to the Muslims, because the archers disobeyed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and left their positions. The Prophet was injured, and during the

→

long time to recover. During his illness, he experienced several crises of severe delirium and excessive tremors. After his recovery, Abu Bakre became occupied in ensuring the dependability of his living and that of the members of his families. The remaining part of his activities and certainly the most important work was directed to the service of the very juvenile Muslim community at Al-Madinah. Abu Bakre committed himself to a close intimate companionship with the Prophet to learn the Revelation, to absorb the wisdom, to assimilate the teachings, and to master the lustrous doctrines of the Faith. With such adamant intentions, Abu Bakre earned the position of the most eminent companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); with the authentic belief and purity of the inner self, Abu Bakre lived all his life. Nothing in the life of Abu Bakre competed with his love to Allah and His Messenger and with his self denying service in the cause of Islam. His faith throughout his life was that of the righteous, the saints, and the martyrs.

The first major confrontation the Muslims experienced was the Great Battle of Badre. There was a great disparity between the Muslims and Quraysh. The Prophet returned to the shelter with Abu Bakre, and prayed in supplication to Allah for the help that had been promised. A brief period of slumber came upon the Prophet, and when he woke up he said "Be cheerful Abu Bakre. Allah has fulfilled his promise" The presence of Angles fighting with the believers against the infidels was appreciated by everybody; but was only visible or audible to very few and in varying degrees. The forces of Quraysh were vanquished, most of them escaped. but about fifty were taken captives. The Prophet was persuaded to withdraw to the shelter with Abu Bakre and the Ansars keeping watch against the possibility that Quraysh may rally and return to fight. The decision concerning the captives was a contradictory issue between Abu Bakre and Omar ibn Al-Khattab. Abu Bakre was of the opinion that these captives should live in the hope that they may one day bear the light of Belief. Omar on the other hand was of the opinion that these captives should be killed and not left alive. The Prophet was inclined to the view of Abu Bakre, and the captives were left to live. Later on that day, a Revelation had come meaning that the Prophet should have killed the prisoners, and not kept them alive. this put the Prophet and Abu Bakre into tears because their decision concerning the captives was contrary to what the Revelation spoke. However, the decision to spare the captives had been accepted by Allah and should not now be revoked; and the Revelation continued to give the Prophet a message for the captives.

ABU BAKRE AL –SIDDIQ

HIS LIFE WITH THE PROPHET

(PART II)

By :

Dr . Anas Moustafa El –Naggar M . D ., Ph . D

During the events of the Hijrah, Abu Bakre was exemplary in his devotion and sincerety to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). In his perfection of companionship, Abu Bakre was inspired by the spiritual saturation of Faith, and his great love to the man who was the Messenger of that Faith and the teacher of its doctrines. The supreme grades of devotion, sincerety, sacrifice, and caring tenderness which Abu Bakre expressed on the route of Hijrah are beyond any description.

After the procession of Hijrah had settled at Al-Madinah, Abu Bakre made his residence at Al-Sunh in the outskirts of Al-Madinah with Kharijah ibn Zayd from Bani Al-Harith from the Khazraj. Abu Bakre sent after his family in Macca, and they all arrived at Al-Madinah. They soon engaged themselves in land cultivation sharing the crops with the land-owners. Several of the Muhagereen families including those of Abu Bakre, Omar ibn Al-Khattab, Ali ibn Abi Taleb, and others worked in land cultivation as means of sustenance. The relation between Abu-Bakre and Kharijah Ibn Zayd became intimate and developed by time. Abu Bakre married Habibah, the daughter of Kharijah; who later after Abu Bakre's death gave birth to Um-Kulthum. The family of Abu Bakre from Macca did not stay with him at Al-Sunh; they lived in a house at Al-Madinah near that of Abi Ayoub Al-Ansari where the Prophet stayed. Abu Bakre regularly visited his family at Al-Madinah, but made his main residence at Al-Sunh.

After being at Al-Madinah for sometime, most of the Muhagereen from Macca contracted a fever of very severe virulence. Abu Bakre suffered from the fever, and took a

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, PART III

RABIE AL-AWAL, 1408 HIJRAH

CONTENTS

1) Abu Bakre Al-Siddiq.
His Life With the Prophet (Part II)
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2) Male and Female.
By: Saad Moustafa Moustafa.

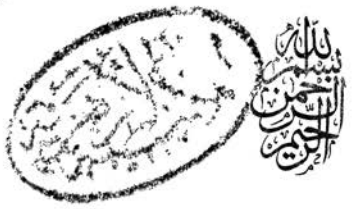
3) Supplications.
By: Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH
SECTION



الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الرابع *
* السنة الستون *
* ربيع الآخر ١٤٠٨ *
* ديسمبر ١٩٨٧ *

في ظلال الجوار

تقدمتْ - لنا - معرفة بالجِوَار في الجاهلية ودرسناه في ضوء هذه الشذرات ، هنا وهناك ، مما ضمته مراجعنا العربية ، وجاء الإسلام - إذ جاء - والجِوَار سياسة مقررة مأخوذ بها ، تجير بها المرأةُ والرجل والجماعة والقبيلة من أرادوا على وفاء كريم في عموم أحداثها ، وفي شذوذ من غَدْرٍ لم يكن طابعها ، ولسنا نجد لقريش - في جاهليتها - حادثة غدر في جِوَار ، فكان لجوارها طابع الوفاء ، وللمستجير - فيها - كريم النجدة والإخاء .

في ظلال الجوار

١ ـ وجاء الإسلام :

فأما حين كانت الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ سرية ؛ فإن المسلمين لم يكن لهم بالجوار حاجة ؛ إذ كانت تلك الفترة لا تمثل خصومة ما بين المسلمين ، وعلى رأسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين الملأ من قريش ؛ بل كان القوم به مغتبطين .

يقول ابن الأثير فى مقدمته لأسد الغابة :

« ... واستجاب له ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفر من الناس سرًّاً حتى كثروا فظهر أمرهم . والوجوه من كفار قريش غير منكرين لما يقول ، وكان ـ إذا مرّ بهم يقولون : إن محمداً يكلم من السماء ..»

فلما قضى ـ سبحانه وتعالى ـ بإعلان الدعوة ، وأمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجهر بها ، ونزل قوله ـ سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ[1] بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ٩٤ ـ الحجر ، وقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ٢١٤ ـ الشعراء .

اختلف الحال جد الاختلاف :

فكان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلن التوحيد خالصاً من كل شائبةِ شِرْك ، وأن يدعو الناس جميعاً إلى عبادة الله ـ وحده ، وأن يبين حكم من آمن بالله وحده ، وحكم من أشرك به ـ سبحانه أو جحده ، عاش ـ بذلك ـ أم مات عليه .

كذلك كان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجوب الإعلام بالشريعة والتعليم لممارسة تطبيقها .

وكان ـ فى هذه الواجبات ـ تقويم[2] مباشر للوثنية ، وتسفيه لمتعبديها وبيان لمآلهم .

فكان الصدام !!

ولنا ـ فيما يناظر حال الدعوة السرية من بعض الوجوه دون جميعها ـ نَجاةُ أكثر الحنفاء فى هذا العهد من أذى قومهم ، إذا تساءلنا : لماذا لم يُعَذَّبُوا ؟ ولماذا لم يتكالب عليهم هذا المجتمع ؟!

نقول :

لأنهم لم يكونوا رسلاً من عند الله ـ سبحانه ـ فلم يكن لهم شأن بدعوة ، ولم يحملوا

(١) صدع بالأمر : تكلم به جهاراً .

(٢) تقويم : أعنى بيان القيمة .

واجب الرسل ، وهو التبليغ للناس ، فعكف كل منهم على نفسه مؤثراً الصمت على ما هو عليه ، فلم يقاوم عقيدة قومه أو يسفه معتنقيها ، وَتَرَكَ مجتمَعَهُ فتركه مجتمعُهُ .

وإنما قلت : « أكثر الحنفاء » لأن بعضهم ـ على الرغم ـ من مسالمته لمجتمعه لم ينج من عذاب قومه ؛ فالخطَّابُ ـ والدُ عُمر ، رضى الله عنه ـ لم يترك زيد بن عمرو بن نُفَيْل ـ أحد الحنفاء ـ وشأنه ، بل عذبه وسخر به ، وألقى به إلى فتية مكة وسفهائها فعذبوه ، ثم نفاه خارج مكة ، وضيّق عليه .

مع ـ أنه رحمه الله ـ كان مستقلاً بدينه عنهم ، هُدِيَ إليه بعد بحث وسفر ومشقة ، وَأَثِرَ عنه أنه جهر به فى الكعبة فقال :

« يا معشر قريش ، والله ، مامنكم على دين إبراهيم غيرى » رواه البخارى .

٢ ـ جهر الحليم الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة ، وبما أوجبته الدعوة ، فنادى بالتوحيد ، وأنذر الوثنيين ـ وفى مقدمتهم بنو هاشم وبنو عبد مناف عشيرته الأدنون ـ وأعلن حكم من أطاع وحكم من عصى « فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك إلى وصف آبائهم بالضلال ، وبيان مصيرهم إلى النار » فقامت قيامة قريش ، ورموه بالبهتان ، وأرادوا الفتك به وبمن معه .

وهنا برز أمر « الجوار » :

قال الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى :

« فأما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَأَجاره عمُّهُ أبو طالب وَمَنَعَ منه »[٣] .

و... « قام ـ أى أبو طالب ـ فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقيام دونه فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبى لهب » .

فأبو لهب ـ وحده ـ من بنى هاشم ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء دائماً ، فأما غيره من بنى هاشم وبنى عبد المطلب فقد استجاب لأبى طالب حَمِيَّةً وعصبية .

وأسرع أبو طالب يمدحهم بأبيات رواها ابن كثير ـ رضى الله عنه ؛ قال :

إذا اجْتَمَعَتْ يوماً قريشٌ لِفَخْرِ ... فعبدُ منافٍ سِرُّها وصَمِيمُهَا

وإن حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عبدِ مَنافِهَا ... ففى هاشمٍ أشرافُهَا وَقَدِيمُهَا

وإن فَخَرَتْ يوماً ؛ فإن محمداً ... هو المصطفى من سِرّها وكريمُها

(٣) الحافظ ابن عبد البر النمرى/الدرر فى اختصار المغازى والسير ص ٤٣ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

تداعتْ قريشٌ : غثُّها وسمينُها ... علينا فلم تظفر وطاشت حُلُومُها
وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ماثَنَوْا صُعْرَ الرِّقابِ نُقيمُها
ونحمى حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العودُ الذواءُ وإنما ... بأكنافنا تَنْدَى وتَنْمى أرومها

لقد كان لهذا المديح والفخر دوره ولا نزاع ، ومع ذلك ينبغى علينا « تقويم القوة » التى يملك أبو طالب « النفوذ » فيها ، فأبو طالب ـ بلا نزاع ـ هو أقوى بنى هاشم وبنى المطلب وَجْهًا فى جواره ومنزلته .

لكن هل كان يملك أمر قريش جميعاً ؟!

لقد كانت قريش خمسة وعشرين بطناً ، عدها المسعودى ـ رضى الله عنه[٤] فهل كان أبو طالب صاحب نفوذ عليها جميعاً ؟!

من المجازفة أن نقول : نعم ، لكنه ـ كما رأينا ـ لم يقف حائراً بائراً حين رأى قريشاً تتحالف ضد محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

الواقع أن نفوذه لم يكن يتعدى بطنين منها : هما بنو هاشم وبنو المطلب وقد أجابه أكثرهم حمية لا إيماناً ، كما قلنا ..!

وحسبك من فئتين تقابلان بقية قريش ، أى تقابلان ثلاثة وعشرين بطناً ، وكان بعض هذه البطون من الكثرة والقوة بحيث أطلق عليها بعض المؤرخين لفظ « قبيلة » فقال : « قبائل قريش » .

إذاً كان نفوذ أبى طالب محدوداً .

(٤) هم : بنو هاشم بن عبد مناف ، بنو المطلب بن عبد مناف ، بنو الحارث بن عبد المطلب ، بنو أمية بن عبد شمس ، بنو نوفل بن عبد مناف ، بنو الحارث بن فِهْر ، بنو أسد بن عبد العُزَّى ، بنو عبد الدار بن قُصَىّ ـ وهم حَجَبَةُ الكعبة ، بنو زهرة بن كلاب ، بنو تيم بن مرة ، بنو مخزوم ، بنو يَقَظَة ، بنو مرة ، بنو عدى بن كعب ، بنو سهم ، بنو جُمَح .
وهؤلاء قريش البِطَاح ، نعنى ـ فى النهاية : أنهم المقيمون داخل مكة .
بنو مالك بن حنبل ، بنو مُعَيْط بن عامر بن لؤى ، بنو نِزَار بن عامر ، بنو سامة بن لؤى ، بنو الأدرم ، وهوتيم بن غالب ، بنو محارب بن فِهر ، بنو الحارث بن عبد الله بن كنانة ، بنو عائذة وهو خُزَيْمة بن لؤى ، بنو نباتة وهو سعد بن لؤى .
وهؤلاء قريش الظواهر النازلون حول مكة .
راجع للمسعودى ـ مروج الذهب ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ ط ٤ مطبعة السعادة .

وكان لبعض هذه البطون من البطش والإرهاب ما يهدد خِفْيَةً بطونا فيدفعها ـ قهراً ـ إلى رفع جوارها عن بنيها ، ويتبع ذلك مباشرة تسليمهم لأذى قريش ونكالها فلا يلومها أحد .

فهذان أبو بكر وطلحة بن عُبَيْد الله لم يمنعهما قومُهما طويلاً ، فما أسرع ما أسلمهما بنوتيم بن مرة قومُهما فأخذهما نوفل بن خويلد بن العَدَوِيَّة ، وكان يدعى أسد قريش فشدهما فى حبل واحد ، ولم يمنعهما بنوتيم ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين ، وقال النبى ﷺ : اللهم اكفنا شر ابن العدوية . رواه البيهقى

وعمد أبو بكر إلى الهجرة ، واعتزم الحبشةَ إذ اشتد به الأذى فخرج من مكة حتى أتى « بَرْكَ الغِماد » فلقيه مالك ابن الدُّغُنَّة سيد الأحابيش فقال : إلى أين ياأبا بكر ؟

فقال ـ رضى الله عنه : أخرجنى قومك فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى .

فقال ابن الدغنة : مثلك ـ ياأبا بكر ـ لا يخرج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جَارٌ ، فَارْجِعْ واعبد ربك ببلدك فرجع ، وطاف به ابن الدغنة فى أشراف قريش يعلن جواره ، فقالوا له : مر أبابكر فليعبد ربه فى داره ، فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فرضى أبو بكر .

لكن هذا الجوار لم يستمر طويلاً ، وبدأ ابن الدغنة يشترط ويغلظ فرد عليه أبو بكر جواره ، وأبى أن يعبد الله سرا كما أرادت قريش ووافقها ابن الدغنة .

فأما طلحة ـ رضى الله عنه ـ فلم أعثر عليه بين مهاجرة الحبشة ـ رضوان الله عليهم ـ ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه وجد له مقاما بالشام إلى حين[٥] .

●●●

كانت إجارةُ أبى طالب رسولَ الله ﷺ إحباطا لقريش .

كانت صداً لها يغل أيديها قهراً ، فلا تصل إلى محمد ﷺ .

ولم تكن قريش لتستطيع أن ترفض تلك الإجارة ، فقد توفرت لها مقوماتها ، ولم تكن هناك سابقة لرفض ما هو أدنى منها ، ولو أن قريشا وجدت أدنى فرصة إلى ذلك لاهتبلتها .

كذلك لم تكن لتستطيع أن تخفر أبا طالب فيها ، فهو سيد بطنين منها ، أى هو فوق سيد العشيرة بأكثر من درجة[٦] ، وإذا كان سيد العشيرة لا تخفر إجارته فكيف تخفر إجارة

٥ ـ انظر ابن سعد ـ الطبقات ٣/١٧٣ .

٦ ـ القبيلة تليها العمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة فالعشيرة ، وليس بعد العشيرة حىّ يوصف ـ انظر نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن للإمام أبى بكر السجستانى

أبى طالب ؟ ! كذلك لم تكن لتستطيع قريش ـ على عنتها ـ أن تتقبل إجارته رسولَ الله ﷺ راضية .

وبين القهر والإحباط غلت مراجل قريش كمداً وثورة ، لقد وفرت الإجارةُ حَمايةَ محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمضى فى دعوته ، ولا مطمع فى «خلعه» ، فإن إجارة القوم له ما كانت لتتم لو أمكن خلعه ، وكيف يخلع ، وأشد القوم كراهة له وحرباً عليه لا يستطيع أن يتهمه بجناية تأتى بخلعه ؟!

فلم تتلوث يده ـ عليه الصلاة والسلام ـ بدم برىء أو مجرم ، منهم أو من غيرهم .

ولم يَنَلْ لسانُهُ الشريف ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عِرْضاً لقرشى أو غيره .

ولم يكن لإنسان قِبَلَهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مظلمة فى عَرَضٍ أو مال .

كانت الشهادة بأمانته ـ عليه الصلاة والسلام ـ راسخة فى يقينهم ، حتى لقد توازى ـ فى وضع مثير ـ كَيدُهم له وَدَفْعُ ذخائرهم أمانة لديه !!

لقد كان الطمع فى خلعه طمعاً فى محال .

الجوار ـ إذاً ـ هو العقبة دون محمد ـ صلى الله عليه وسلم !

وليس يدفع بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى أيديهم إلا رفع هذا الجوار ، فَإِسْقَاطُهُ عنه هو السبيل ـ وحده ـ إلى الظفر به والانتصار عليه ـ صلى الله عليه وسلم .. وحاشا لله .

من أجل ذلك ، قامت قريش بثلاث جولات فاوضت خلالها أبا طالب ، أَخَذَ طابع العنف خلالها يتصاعد حتى القمة :

ففى الأولى رَدَّهم أبو طالب رداً جميلاً ، لكن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ استمر فى دعوته ، وإعلان صلاته بالبيت الحرام .

فكانت الثانية على التهديد بالحرب : « قد طلبنا إليك أن تَنْهىَ ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا ـ والله ـ لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه عقولنا ، وعيب آلهتنا ، فإما أن تكفه عنا أو ننازلك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين » .

وانصرفوا ، وانتهى اللقاء بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمه أبى طالب بقوله له : « اذهب ، فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلِمُك » ،

ولم يكتف أبو طالب بذلك فأعلنها شعراً حتى تذيع فى العرب ، فإن أمر محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذاع وشاع فيهم ، وحضر منهم إلى مكة من أسلم على يديه ـ على الرغم مما أحاط برسول الله ـ ﷺ ـ من عنتهم :

فقد ارتحل إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خصيصاً أبو ذر ـ رضى الله عنه ، وهو من « غفار » فأسلم ، وشاهد ما يحدث ، وقال له النبى ـ ﷺ :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » .

وقدم ضِمَادٌ مكة ، وهو سيد من سادة « أَزْدشَنُوءة » فبايع رسول الله ﷺ على الاسلام وقال له : وَعَلَى قومِك فقال : « وعلى قومى »

وقدم مكة الطُّفَيلُ بن عمرو ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى « دَوْس » ، فاجتمع برسول الله ﷺ فأسلم ، وفشا الإسلام فى قومه إذ رجع إليهم ، « وقد ذكر أبو نُعَيم فى (دلائل النبوة » إسلام من أسلم من الأعيان ، فصلا طويلاً ، واستقصى ذلك استقصاء حسناً رحمه الله وأثابه » .

ثم قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرون رجلاً ، وهو بمكة .. من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه فى المجلس فكلموه وسألوه ، ورجال قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ .. تلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه » .

وهكذا انتشر الأمر خارج مكة فَأَسْلَمَ وثنيون وأسلمَ أهلُ كتاب ، ونزل فى هؤلاء قوله تعالى : ﴿ الذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هم به يؤمنون ﴾ الآيات القصص ٥٢/٥٥ .

ويعنى ذلك ـ فى وضوح ـ أن عَنَتَ قريش لم يأت بنتيجة مما زادهم حقدا على حقد وسخطا على سخط ، ولم يعد الأمر خافياً على العرب ، وانهم ليرقبونه على أي كَيْفٍ يكون . .

ودفعت الحوادث أبا طالب فقال :

والله لن يصلـوا إليـك بجمعهم ... حتى أُوَسَّـدَ فى التـراب دفينـا

فامضى لأمرك ما عليك غضـاضة ... أَبشرْ ، وَقَـرَّ بـذاك منـك عيـونـا

فلم تلحق أبا طالب سُبَّة .

ثم كانت الثالثة ، وفيها تمسكوا بقتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأجمعوا أمرهم على كيد خبيث ، فانطلق نفر منهم إلى بنى عبد المطلب وبنى هاشم طمعاً فى فضهم عن مساندة أبى طالب فعرضوا عليهم دية مضاعفة لِيُسْلِمُوا محمداً ﷺ فيسقطوا بأنفسهم جوار أبى طالب ، وحتى لا يكون دمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى قريش ، قالوا : يقتله رجل من غير قريش وتريحوننا وتريحون أنفسكم ، فأبى قومه » .

وفريق ذهب إلى أبى طالب بعرض عجيب : أن يعطوه عُمارة بن الوليد سيداً من شبانهم يستبدله بمحمد ـ ﷺ ـ فرفض متعجباً وقال :

عجباً لكم ، تعطونى ابنكم أَغْذُوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه !!
وأرسل بقصيدته اللامية التى توالت فيها الأَيْمان بكل مقدس عندهم ، ثم أعقب أَيْمانه بقوله :

كـذبتم وبيت الله نُبْـزَى محمـداً ولمـا نُطـاعِـنْ دونـه ونناضـل
ونسلمـه حتـى نُصَرَّع حـولـه ونـذهـل عن أبنـائنـا والحـلائـل
وينـهض قـوم بـالحـديـد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى الضِّغْنَ يركب رَدْعَـهُ من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا ـ لعمر الله ـ إن جد ما أرى لَتَلْتَبِسَنْ أسيـافنـا بـالأمـاثـل

وحديث أبى طالب هذا ـ فى تلك القصيدة ـ قد نأى تماماً عن أي ملاينة ومداراة ، وأسفر عن وعيد وتهديد دفع بقريش إلى حافة الحرب !!
فهل كانت الحرب ممكنة ؟!
وهل كانت قريش تستطيع أن تعبىء لها ؟!
وهل فات أبو طالب أمرها ؟! <

يتبع

د. على أحمد الخطيب

المصادر

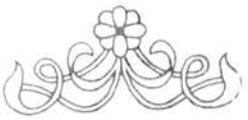
القرآن الكريم
صحيح البخارى
ابن الأثير / أسد الغابة
المسعودى / مروج الذهب
ابن عبد البر النمرى / الدرر فى المغازى والسير
ابن هشام /السيرة النبوية
الخضرى بك / نور اليقين سيرة سير المرسلين ﷺ .
ابن كثير / السيرة النبوية
الطبرى / تاريخ الرسل والملوك
ابن سعد / الطبقات
د . على أحمد الخطيب/ عمر بن الخطاب : حياته . علمه . ادبه

مع الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

مطلع النور وميلاد أمة



الأزهر يتبرأ من مسابقات ملكات الجمال والاحتفال بوفاء النيل

مطلع النور
وميلاد أمة

هذه مكة تستقبل وليداً رضى به أهلها وعمهم البشر والسرور ، يتيما صاحبت ولادته إرهاصات وإشارات إلى أن أمة جديدة قد ولدت ، سيتغير بها وجه التاريخ ، وسترتفع بها الإنسانية ، وترقى ، وتزخر بالعلوم والمعارف ، بعد أن سيطرت عليها البداوة ، وفشت فيها الأخلاق الذميمة ، وتمكنت من قلوبها الخرافات والأساطير ، واستعبدتهم الأوثان وما يحيط بها من أوهام ، فدانوا بها ، وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية ، بل كانت مردية .

فجاءت ولادة هذا اليتيم نوراً أضاء حياتهم ، واهتدت به أفئدتهم ، عاش بينهم فى طهر ونقاء وصفاء ، لم يرفث ولم يصخب ، ولم يفسق كأترابه من الشباب ، فقد طهره ربه وأدبه وصنعه على عينه .

ذلكم رسول الله محمد ﷺ ، ولدت بولادته أمة تخلت بقيادته عن الفرقة والشتات والخصام والاقتتال ، إلى وحدة تقود وتسود .

جاء هذا المولود الكريم داعيا إلى الله على فترة من الرسل ، فكان دينه الإسلام دعوة للسلام والرحمة والحنان ، يشيع كل ذلك فى اقواله وأفعاله ، فهو دعوة لحنان الآباء على الأبناء ، وحث للأبناء على البر بالآباء ، حتى تكون الأسرة وحدة صالحة فى المجتمع ، يقوى بها ويشتد عوده ، وترتفع فيه دعوة الحق والعدل والتعاطف والتساند فى الملمات ، وفى العبادة كانت دعوته إليها رفقا ، فالدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، وإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، كانت دعوته أمنا وأمانا ، محذرة محرمة للغدر والخيانة ، داعية إلى السلم والسلام والتسامح والصفاء ، فهو بأمته رءوف رحيم ، يخفف آلام المصابين ، يعود المريض ويواسى الحزين يأسو الجراح ، فهو رفيق بالإنسان ، بل وبالحيوان يقول للمسلمين ناصحا وموجها : (إذا ركبتم الدواب فأعطوها حظها من المنازل ، ولا تكونوا عليها شياطين) .

ويقول : (اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة) . عمل ﷺ قبل بعثته ، وأكل من كسبه ، فقد رعى الغنم ، واشتغل بالتجارة وسلمت نفسه مما يصاحب العمل من الشح والجشع والرغبة الجامحة فى الإثراء ، بل كان عفّا ، عدلا ، صادقاً ، أميناً .

ولقد تواصلت سيرته ومسيرته تتذكرها أمته ، فله فى كل ربيع مولد ، وعلى كل فم وقلم ذكر ، وفى كل قلب سليم مكان ، كيف

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

لا وذكره أمر من الله سبحانه مقرونا باسمه جل وعلا ، فهذه كلمة التوحيد التامة : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) ..

وهذه سامقات المآذن تتنادى بأذان الصلوات خمس مرات مرددة هذه الشهادة التى هى الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ..

وهذا هو ربه كرمه وأمر بالصلاة عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .. جاء بالإسلام دينا ألف به بين القبائل المتنازعة ، فكان ولادة أمة بعد الأيام المروعة ، والعادات المفزعة ، التى اتخذت من العرف دولة ، ومن الجاهلية حضارة ، ومن الضعف قوة وغلبة وعزة .

كان أميّاً علّمه ربه ، وأعزل إلا من حماية الله : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

كانت الديانات السائدة قبله تهتم بالطقوس الدينية فقط ، ولكن رسالة هذا المولود محمد ﷺ جاءت عقيدة وشريعة ، شرعت للناس ما يحقق صلتهم بخالقهم ، وما ينظم حياتهم ويحدد واجباتهم وأساس حياتهم ، جاءت بقوانين قامت عليها الدولة ، ونمت فى ظلها الأمة ، حتى امتدت واشتدت : فى غير عدوان ، بل فى رحمة ومحبة وحسن جوار ، على أساس من العدل والإحسان .

لقد استجاب لدعوته صنوف من الناس ، اختلفت منهم الصفات والطباع ، يختلفون فى الرأى ، ولكنهم عليه يجتمعون ، وتتفرق بهم السبل ، ولكنهم عند الحق يلتقون وصدق الله :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . . نعم ..

إن ميلاد سيدنا رسول الله محمد ﷺ كان مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة ، وهذه عظمته فى كمال الإسلام عقيدة وشريعة ، يطابق العمل القول ، كان صادقاً ، أميناً ، زاهداً ، متواضعاً ، نبياً ورسولاً إلى العالمين ، وعلى خلق عظيم .

فماذا أصاب أمته ، بعد أن أغفلت كتاب ربها وهدى نبيها ، وعلت نداءات الشعوبية فيما بينهم باسم القومية والعرقية ، فكانت هذه الحروب التى أهلكت البلاد والعباد .

فى ذكرى ميلادك يارسول الله :

هذه أمتك قد تفرقت ، وأعملت السيف فيما بينها ، اشتروا الدنيا بالدين ، واحتكمت إلى غير شريعتك ، فشاعت فيها الأمراض والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، وباغتتهم الأوبئة والحشرات ، وانتزعت البركة من أرزاقهم بعد أن بخلوا بالزكوات والصدقات ،

فسلط الله عليهم جيوشا من مخلوقاته تبيد حرثهم ، بل وتهدم بيوتهم : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

فى هذه الذكرى المباركة ينصح الأزهر الشريف المسلمين : حكاما ومحكومين بأن يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم ، ويوقفوا هذه الحروب وتلك الخلافات والفتن التى فرقت جمعهم وشتتت شملهم ، وخربت ديارهم ، وقتلت أولادهم ، وليتدبروا أمر الله فى القرآن : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ..

إن على ولاة الأمر فى المسلمين : ملوكا ورؤساء وأمراء وعلماء أن يسعوا جادين إلى وقف هذه الحروب الدائرة على أرض المسلمين ، وأن يرتفعوا فوق الخلافات ، وأن يهبوا لتخليص البلاد الإسلامية مما حاق بها وأحاط من احتلال ودمار ، فهذه القدس وفلسطين وقد احتُبس أهلها وهوجم مسجدها .. وهذه أفغانستان تطلب الخلاص ممن استباحوا حرماتها ... وهذه الحرب بين إيران والعراق ، وقد علا صوتها وامتد لهيبها وتطاير شررها .

فهل لأولئك الذين يصرون على استباحة القتل والتخريب والتدمير أن ينزلوا عند حكم الله حتى لا تقع الواقعة وتكون أرضهم مكانا لتجربة لا يعلم مداها إلا الله ؟

إن هذه الأساطيل والقوى التى تموج بها بحار المسلمين ، ما جاءت لتنهى حربا بين المسلمين حرصا على دمائهم وسلامة ديارهم وأموالهم ، وإنما جاءت لتذكى النار ، ولتحمى مصالحها وامداداتها ، ثم لتبيع السلاح لهؤلاء المتحاربين .

أين أنتم من سلفكم ، إننا نذكر ما رواه التاريخ فى الفتنة التى وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، وتفرق الأمة ، يقاتل بعضها بعضا على الإمارة .

فى هذا الوقت .. والنزاع على أشده .. بعث قيصر الروم إلى معاوية يعرض عليه مددا منه فى قتاله مع على بن أبى طالب ..

فماذا كان جواب معاوية .. مع حاجته إلى المدد والسند ؟

قال لقيصر كلمة نحن فى حاجة إليها الآن ..

قال : لا حاجة بنا إلى شىء مما قلت ، فإما كففت وانصرفت .. وإلا بعثت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندى ، حتى يملك به صاحبى ما تحت قدميك ..

بهذا كان الخلاف بين الرجال المسلمين لا يستنجدون بعدوهم على أمتهم ، ولا يعرضونها للخراب والدمار ، بل كانوا رجلا واحدا إذا أحاط بالأمة السوء ، نسوا خلافاتهم .. وأماتوا ما بينهم من نزاع .

نعم :

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ

اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . .

فقد رفع الله ذكر رسوله محمد ﷺ الذى نحتفى بذكرى مولده ، فلنرفع ذكره بالعمل بشريعته وبالتراحم والمودة والصفاء والنقاء ، ولتضع هذه الحروب أوزارها : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . .

اللهم ـ وهذه الذكرى تظلنا ـ اجمع شمل هذه الأمة ..

واشدد على قلوب عصبة من أوليائك

تجتمع بهم وعليهم الكلمة ، فقد غفلت الأمة عن أمرك .. فوقعوا فيما لا ملجأ ولا منجى منه إلا بك وإليك ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .. وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

وصلى اللهم وسلم على صاحب الذكرى ..

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)



فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

يعلن براءة الإسلام من الاحتفال بوفاء النيل

ومسابقـــات ملكات الجمـــال

كان للأمم الغابرة عادات يرونها وحسب معتقداتهم من لوازمهم ولقد جرت بعض قبائل العرب فى الجاهلية على وأد البنات إما للفقر أو خشية عارهن وجاء الإسلام وقال لهم القرآن ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ، فخشعت قلوبهم لما نزل من الحق ورفع القرآن مكانتها ، إما زوجا وبنتا وأختا وكشف عن واقعها فى الحياة فى نطاق النظام العام الإسلامى ولم يكن العرب وحدهم هم الذين يئدون بناتهم بل شاركهم فى ذلك المصريون القدماء فقد روى التاريخ أن المصريين كانوا يحتفلون بيوم وفاء النيل فى شهر توت أو مسرى كل عام وقد كان هذا الحفل ينتهى بإلقاء عروس فى النيل أى فتاة من بنى الإنسان يلقون بها فى النهر وقت فيضانه ، فى أمواجه الهادرة عقيدة منهم أن النهر يرض عنهم إذا زوجوه تلك العروس فيفيض دائما ولا يغيض !!

ولما دخلت مصر فى الإسلام وارتفع فى سمائها نداؤه ودعاؤه وعلمت أن الله وحده هو واهب النيل إلى مصر وهو سبحانه الذى فجر هذا النهر حتى فاضت جنباته عيونا من الأرض وأنهارا من السماء أوقف حاكم مصر المسلم وأد البنات فيها وأجرى فيها حكم الله وتلا عليهم قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ وأعلمهم بأن الله سبحانه هو صاحب النعمة ، نعمة هذا النهر الجارى بإذنه وأمره فى شق الفيافى القفار واجتاز بلادا وحدودا ليروى كنانة الله فى أرضه مصر ويهبها الحياة واستبدل عروسهم التى يئدونها فى النيل بكلمة الله ألقاها فى مياهه التى فاضت وقال : أيها النيل إن كنت تجرى باسم الله ومن الله فإن الله مجريك وإن كنت تجرى بهذه العروس فلا تجر ، لأن الله مرسل الرياح ومجرى السحاب قال جل شأنه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا ﴾ وقال أيضاً ﴿ وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ .

فهل يجوز بعد أن مضى على وأد هذه العادة المصرية الجاهلية قرابة أربعة عشر قرنا من الزمان أن نعود إليها ونخالف حكم الله فما أثير عن مسابقات ملكات الجمال وعودة الاحتفالات بوفاء النيل .. إنها لإهانة للأنثى التى كرمها الله وحرم لمسها لغير محارمها أو زوجها ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ أيها المسئولون عن هذه الأشياء أقول لكم إن مصر لا تروج فيها ، هذه المهرجانات ولا ينبغى أن تقام فيها أيها المسئولون جميعا أوجه الرجاء والنداء ، أوقفوا هذه المهازل وهذه المهرجانات الفاسدة والله يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم . إن الأزهر يعلن براءة الإسلام من هذه الآثام .

دراسة قرآنية

سوء الظن

ينافي كمال الإيمان

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الآية ١٢ من سورة الحجرات

البيان

بعد أن بين الله تعالى فى الآية السابقة تحريم السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب جاء بهذه الآية استكمالاً لحقوق الإنسان المسلم وواجباته .

وقد اشتملت هذه الآية على تحريم سوء الظن بالناس والتجسس عليهم ، وحديث السوء عنهم فى غيبتهم ، وفيما يلى تفصيل ذلك .

اجتناب سوء الظن

جاء فى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تنابزوا وكونوا عباد الله إخواناً » .

والظن فى الآية وفى الحديث هو التهمة .

قال القرطبى : ومحل التحذير هو تهمة لا سبب يوجبها ، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ، ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك ، ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع ما وقع له من تلك التهمة فنهى الله والنبى ﷺ عن ذلك .

وعقب ذلك بقوله : وإن شئت قلت : والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح ، وأونست منه الأمانة فى الظاهر ، فظن الفساد به والخيانة محرم ، بخلاف من أشتهر عند الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث ، روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء » ..

وعقب القرطبى ذلك بما نقله عن الحسن البصرى ، وهو قوله : كنا فى زمن الظن بالناس فيه حرام ، وأنت اليوم فى زمن : اعمل واسكت وظن فى الناس ما شئت ـ هكذا نقله القرطبى عنه مطلقا من غير قيد ظهور الأمارات التى تدعو إلى سوء الظن بالناس ، ولكن الآية والحديث أطلقا النهى عن ظن السوء بالناس فى كل زمان ، فيجب حمل النهى على سوء الظن .. بدون أمارة تقتضيه فى كل زمان . صيانة لأعراض الناس ، وتأمينا لهم من سوء السمعة بدون مقتض ، وسواء أكان ذلك فى عصر النبى ﷺ أو فى أى عصر بعده .

وعلى هذا ينبغى للحاكم أن يتجسس عند ظهور بوادر تقتضى سوء الظن ، أو عند الخوف من تقصير عماله فى مصالح الأمة ، وهكذا كان يفعل عمر بن الخطاب .

قال عمر بن طلحة الوزير فى كتابه ـ العقد الفريد للملك السعيد ـ وأما أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فإنه بذل جهده فى تسديد الأمور ، وسد الثغور وسياسة الجمهور ، واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التى فيها شفاء لما فى الصدور ، حتى قيل إن علمه بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاده ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا مصر من الأمصار ولا ناحية من النواحى وال ولا عامل ولا أمير ، إلا وله عليه عين لا يفارقه ، فكانت أخبار الجهات كلها عنده كل صباح ومساء ، حتى أن العامل كان يتوهم فى أقرب الخلق إليه وأخصهم به أنه عين عليه ، وهكذا كان يفعل أزدشير بن بابك من ملوك الأعاجم قبل الإسلام ، انتهى بتصرف يسير .

سبب نزول الآية

قيل إنها نزلت فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ ، اغتابا رفيقهما وأساءا الظن بغيره بدون مقتض ، وذلك أن النبى ﷺ ، كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما ، فضم سلمان إلى رجلين ، فتقدم سلمان إلى المكان الذى نزلوا فيه ، فغلبته عيناه ، فنام ولم يهيىء لهما شيئاً ، فجاءافلم يجدا طعاماً وإداما[1] فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاماً وإداما ، فذهب فقال النبى ﷺ : اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له : « إن كان عنده فضل طعام فليعطك !! وكان أسامة خازن النبى ﷺ فذهب إليه فقال أسامة : ما عندى شىء ، فرجع إليهما فأخبرهما ، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل ، ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً ، فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها ، ثم انطلقا يتجسسان . هل عند أسامة شىء ، فرآهما النبى ﷺ فقال : « مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما » ؟ فقالا : والله يانبى الله ما أكلنا فى يومنا هذا لحما ولا غيره ، فقال « ولكنكما ظَلْتُما تأكلان لحم سلمان وأسامة » فنزلت : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الآية ذكره الثعلبى .

١ ـ الإدام ما يؤكل مع الطعام من لحم وسواه .

٢ ـ أى كثيرة الماء .

الظن الواجب والظن الحرام

للظن ثلاث حالات .

« إحداها » : فى الأحكام الشرعية بدليل ظنى يقوى جانباً على الآخر .

« وثانيتها » : تجويز الشىء من غير دليل يقتضى ترجيح أحد الطرفين على الآخر ، وهذا هو الشك .

« والحالة الثالثة » : الظن فى الناس مع وجود أمارة تقتضيه ، فالظن فى الحالة الأولى مشروع وواجب العمل به ، كالظن المبنى على القياس فى الأحكام الشرعية ، وعلى خبر الواحد الصادق العدل ، وغير ذلك .

أما الظن من غير دليل ـ وهو المعبر عنه بالشك ـ فلا يصح بناء حكم عليه ، وهذا هو مجرى النهى فى الآية والحديث ، فهو الذى قال الله فيه « إن بعض الظن إثم » ، وهو شامل لكل أنواع الشك ، ومنها ما ذكر فى أسباب النزول .

«وأما الظن فى الحالة الثالثة » فهو جائز لقيام الأمارة عليه .

التجسس

التجسس هو البحث فى خفية عمَّا يكتم عنك ، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور الخفية ، والمقصود من النهى عنه فى الآية أن يأخذوا ماظهر من الناس ، ولا يتتبعوا عورات المسلمين ، فلا يبحث المسلم عن عيب أخيه ليطلع عليه بعد أن ستره الله . روى أبو داود بسنده عن معاوية قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم »[٣] فقال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها .

وعن أبى برزة الأسلمى قال قال رسول الله ﷺ « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من اتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته »[٤] .

وعن زيد بن وهب قال : أتى ابن مسعود فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمراً ، فقال عبد الله : إنا قد نهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شىء نأخذ به[٥] .

وقال عبد الرحمن بن عوف : حرست ليلة مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بالمدينة ، إذ تبين لنا سراج فى بيت بابُه مجافٍ على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط ، فقال عمر : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف ، وهم الآن شُرَّبٌ فما ترى ؟ قلت أرى أنا قد أتينا مانهى الله عنه ، قال تعالى : « ولا تجسسوا » وقد تجسسنا ، فانصرف عمر وتركهم .

وقال أبو قلابة : حُدِّث عمر بن الخطاب أن أبا محجن الثقفى يشرب الخمر مع أصحاب له فى بيته ، فانطلق عمر حتى دخل عليه ،

(٣) سنن أبى داود : كتاب الأدب ، باب فى النهى عن التجسس ، ٥/١٩٩ رقم ٤٨٨٨ .
(٤) سنن أبى داود الكتاب السابق ، باب فى الغيبة ٥/١٩٤ رقم ٤٨٨٠ .
(٥) سنن أبى داود : الكتاب السابق ، باب فى النهى عن التجسس ٥/٢٠٠ رقم ٤٨٩٠ .

فإذا ليس عنده إلا رجل ، فقال أبو محجن : إن هذا لايحل لك ، قد نهاك الله عن التجسس ، فخرج عمر وتركه .

« ولا يغتب بعضكم بعضا »

الغيبة أن تذكر الرجل فى غيبته بما فيه من المكاره ، فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان ، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أتدرون ما الغيبة » ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته » .

وعرفها بعضهم بأنها ذكر العيب بظهر الغيب .

وقال الحسن الغيبة ثلاثة أوجه كلها فى كتاب الله ، الغيبة والإفك والبهتان .

فأما الغيبة فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فأن تقول فيه مابلغك عنه .

وأما البهتان فأن تقول فيه ماليس فيه ، وهذه التعاريف متقاربة متحدة المعنى .

وروى أبو هريرة أن الأسلمى ماعزا جاء إلى النبى ﷺ ، فشهد على نفسه بالزنى ، فرجمه رسول الله ﷺ ، فسمع نبى الله ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر : انظر إلى هذا ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسكت عنهما ثم سار ساعة ، حتى مرّ بجيفة حمار شائل برجله فقال « أين فلان وفلان » ؟ فقالا : نحن ذا يارسول الله ، قال « انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار » فقالا : يانبى الله ، ومن يأكل من هذا ؟ قال إنما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه ، والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها »(٦) .

« أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه »

هذه الجملة تشير إلى أن غيبة المؤمن تشبه أكل لحمه ميتا ، واستعمال أكل اللحم مكان الغيبة مألوف فى كلام العرب ، قال شاعر منهم :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وقد مثل الله الغيبة فى الآية بأكل الميتة ، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه ، كما أن الحىَّ لا يعلم بغيبة من اغتابه .

وقال ابن عباس : إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة ، لأن أكل لحم الميت حرام متقذر ، وكذا الغيبة حرام فى الدين وقبيحة فى النفوس ..

وقال ﷺ « ما صام من ظل يأكل لحوم الناس »(٧).

(٦) الحديث أخرجه عبد الرزاق ، والبخارى فى الأدب ، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، والبيهقى فى شعب الإيمان بسند صحيح : عن أبى هريرة . الدر المنثور للسيوطى ٦/٩٥ ، ٩٦ .

(٧) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ـ كتاب الصيام ـ باب ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقى الكذب جـ٣/٤ طبعة الهند : عن أنس . وعزاه الزيلعى فى نصب جـ٤/٤٨٢ إلى ابن أبى شيبة فى مسنده ، وإسحاق بن راهويه ، وهو ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشى ـ أحد رواه السند ـ انظر الميزان ٤/٤١٨ رقم ٩٦٦٩ . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى رقم ٤٤٥١ .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إياكم وذكر الناس فإنه داء ، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء ، وسمع على بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ رجلا يغتاب آخر فقال : إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس ـ والإدام مايؤكل مع الطعام كاللحم أو العسل مع الخبز .

والغيبة تكون فى الدين والأخلاق والخلقة والحسب والنسب ، ولا خلاف بين العلماء فى أنها من الكبائر ، وأن من اغتاب أحدا فعليه أن يتوب إلى الله .

كيف تكون التوبة من الغيبة ؟

اختلف العلماء فى وجوب الاستحلال منها بطلب العفو ممن اغتابه .

فقال جماعة : ليس عليه استحلاله ، فهى خطيئة بينه وبين ربه يكفى فيها الاستغفار ، فإنه لم يأخذ من ماله شيئاً ، ولا أصاب بدنه بشىء ، فليس ذلك بمظلمة منه ، وإنما المظلمة ما يكون منه البدل والعوض فى المال والبدن .

وقالت فرقة : هى مظلمة ، وكفارتها الاستغفار لمن اغتابه إلى جانب الاستغفار لنفسه ، كأن يقول : اللهم اغفر لى ولفلان ، واحتجوا بما روى عن الحسن قال : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته .

وقال آخرون : هى مظلمة وعليه الاستحلال منها ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلّله منه اليوم قبل أن لا يكون له دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » أخرجه البخاري في صحيحه عن أبى هريرة .

وأما من قال : إنها مظلمة وكفارة المظلمة أن يستغفر لصاحبها فقد ناقض نفسه ، فإن مقتضى كونها مظلمة أن لا تزول إلا بإحلال المظلوم له ، وأما قول الحسن فليس بحجة .

وفى الموضوع كلام كثير ، وحسب القارىء ما تقدم .

من لا غيبة لهم

لا تحرم غيبة الفاسق المجاهر بفسقه ، فمن نزع جلباب الحياء فلا غيبة له ، قال ﷺ « اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس » .

وروى عن الحسن أنه قال : ثلاثة ليست لهم حرمة : صاحب الهوى ، والفاسق المعلن ، والإمام الجائر ؛ والمقصود بصاحب الهوى صاحب البدع .

وكذلك ليس من الغيبة قولك للقاضى تستعين به على أخذ حقك ممن ظلمك ـ قولك له ـ فلان ظلمنى أو ضربنى أو خاننى أو نحو ذلك ، قال ﷺ « لصاحب الحق مقال »[٨] وقال : « مَطْل الغنى ظلم »[٩] وقال : « لَىّ

(٨) حديث « فإن لصاحب الحق مقالاً » متفق عليه . أخرجه البخارى فى كتاب الوكالة ، باب الوكالة فى قضاء الدين ج ٣/١٣٠ ط الشعب ، وانظر كتاب الاستقراض ، باب اداءالديون ج ٣/١٥٣ . وأخرجه مسلم فى كتاب المساقاة ، باب من استسلف شيئاًفقضى خيراً منه ـ إلخ ج ٣/١٢٢٥ رقم ١٢٠ ط الحلبي ، وهو من رواية أبى هريرة .

(٩) متفق عليه . البخارى ، كتاب الحولات ، باب إذا أحال على ملى فليس له رد ٣/١٢٣ ، وباب لصاحب الحق مقال ص ١٥٥ ، ومسلم : كتاب المساقاة ، باب تحريم مطل الغنى ج ٣/١١٩٧ رقم ٣٣ .

الواجد يحل عرضه وعقوبته »[١٠] أى مَطْل الغنى يحل عرضه وعقوبته .

ومما لا غيبة فيه الاستفتاء ، كقول هند للنبي ﷺ عن زوجها أبى سفيان : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني أنا وولدى ، أفآخذ من غير علمه فقال : « فخذى منه بالمعروف »[١١] فذكرت زوجها بالشح والظلم لها ولولدها ، ولم يرها النبى ﷺ مغتابة ، فلذلك لم يلمها على ما قالته في أبى سفيان وأفتاها .

وممن لا غيبة لهم من كان فى ذكره بالسوء نصيحة وتحذير ، كقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس ـ وقد استفتته فى معاوية وأبى جهم بأيهما تتزوج وقد خطبها كل منهما ـ « أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه »[١٢] .

وقد أجمل بعض العلماء ذلك فى قوله :

لِستٌّ غيبةٌ كَرِّره وخذها
منظمةً كأمثال الجواهر

تظلَّم واستِعنْ واستفت حَذِّره
وعرِّفْ واذكرَنْ فسق المجاهر

« فكرهتموه »

قيل فى معناه فكرهتم أكل الميتة ، فكذلك فاكرهوا غيبة الناس ، وقيل فكرهتم أن يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس .

وقال الفراء : فقد كرهتموه فلا تفعلوها وهو قريب من المعنى الأول ، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر ، أى فاكرهوا أن تغتابوا الناس .

« واتقوا الله ان الله تواب رحيم »

أى وخافوا الله بترك الغيبة إن الله تواب رحيم يقبل التوبة من التائبين عن الغيبة وغيرها والله تعالى أعلم ..



(١٠) اخرجه البخارى تعليقا ـ كتاب الاستقراض ، باب مطل الغنى ظلم ج ٣/١٥٥ ط الشعب .
قال ابن حجر فى الفتح ٥/٦٢ ط / السلفية : وصله أحمد وإسحاق فى مسنديهما ، وأبو داود والنسائى من حديث عمرو بن الشريد بن أوس الثقفى عن أبيه بلفظه وإسناده حسن .
(١١) البخارى : البيوع ٣/١٠٣ . ط / الشعب .
(١٢) صحيح مسلم : كتاب الطلاق ، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ج ٢ /١١١٤ رقم ٣٦ .

حوار إبراهيم مع أبيه حول آلهته

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

قال تعالى يقص ذلك الحوار :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً . يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِياً . يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا . قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا . فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ مريم من ٤١ إلى ٥٠ والآيات مكية .

وفى هذه الآيات يذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام وحواره مع أبيه حول ما يعبد أبوه آزر وهذه القصة معطوفة على قصة عيسى وزكريا .

وذكر القصص وما فيها من إخبار بالغيب الذى لم يكن للعرب علم بتفصيله من معجزات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأمى الذى يعيش بين قوم لم يشتغلوا بالعلم ، ولم يطلعوا على كتب تاريخية تحمل أخبار الماضين وأخبار الرسل الذين أرسلوا إلى أقوامهم ،

حوار إبراهيم مع أبيه

ومواقف أقوامهم منهم ومن دعوتهم التى جاءوا بها ، والآثار التى ترتبت على تكذيب أولئك الرسل ، والسبب فى ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فى القرآن العربى المنزل على الرسول العربى ، أن إبراهيم أبو العرب العدنانيين ، وهم يقرون بفضله وشرفه ، وعلو شأنه فعلى معاصرى محمد ألا يرغبوا عن ملة أبيهم الأكبر إبراهيم .

فإن كانوا يقلدون آباءهم ويقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فليعلموا أن أشرف آبائهم وأعلاهم والأحرى بأن يقلد هو إبراهيم وقد ترك عبادة الأوثان ، وهذا جدال إبراهيم مع أبيه حول تلك الأوثان وعبادتها فليصيخوا وليؤمنوا بالله الذى آمن به أبوهم إبراهيم .

وإن كانوا لا يقلدون وإنما يحتكمون إلى العقول فلينظروا كما نظر إبراهيم فى الكواكب والقمر والشمس وفى كل ما يحمل الكون من دلائل تشير إلى الله الواحد الخليق بالعبادة ليصلوا من وراء النظر والتأمل والتفكر إلى الإيمان كما آمن إبراهيم .

وقد وصفه الله بوصفين فى أول آية : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾ فوصفه بالصديقية والنبوة فى هذه الآية .

والصديق : بتشديد الصاد المكسورة والدال المشددة المكسورة كذلك وهذه صيغة مبالغة من الصدق ، وهى تنبىء عن كثرة ما صدق من الغيوب من آيات الله وكتبه ورسله أى أن إبراهيم عليه السلام كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم .

وقد جمع إبراهيم بين خصائص الصديقين من حيث التصديق بالغيوب التى بيناها وخصائص الأنبياء وقوله : إنه كان صديقاً نبياً استئناف سيق لتعليل ما يستوجب ذكره أى أن الذى استوجب ذكر قصة إبراهيم أنه كان صديقاً نبياً ، وجملة إنه كان صديقاً نبياً ، وقعت اعتراضا بين إبراهيم المبدل منه وبين : إذ قال : البدل ، وهذا الاعتراض يقرر ما قبله : وهو ذكر القصة وكان إبراهيم رقيقا ليناً فى حواره مع أبيه وهو يدعوه إلى الله .

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام : إنك خليلى ، حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشى ، وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى وإلى جانب أن إبراهيم كان صديقاً ، وبَيَّنَّا شيئاً من صديقيته كان نبياً ، وللنبوة مكانة عند الله ، وحسبنا أن ندرك أن النبى أو الرسول واسطة بين الله والناس حيث يبلغ الناس ما أوحى إليه من ربه ويدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد فهو بهذا يعد واسطة بين الله والبشر كل البشر أو بعض البشر .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ ﴾ أى اذكر إبراهيم حين بدأ حواره مع أبيه : ياأبت « والتاء فى ياأبت » عوض عن ياء الإضافة ولا يقال : ياأبتى فيجمع بين العوض والمعوض عنه وقبل أن يرسل ابراهيم عليه السلام هذا النداء نظر إلى أن عبادة عقلاء البشر يجب أن تكون لمن أنعم على الناس بالخلق والرزق ولمن لا تنام عطاياه عن كل ما خلق من إنسان أو حيوان أو طير ، فإذا عبد الإنسان من لا يستحق

العبادة كالكواكب أو القمر أو الشمس أو الصنم أو الوثن أو غير ذلك مما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر فقد ظلم عقله وكفر بمن خلقه ورزقه .

وبعد هذه النظرات والتأملات التى قادت إبراهيم إلى الإيمان برب الوجود والإيمان بوجوب دعوة الناس إلى عبادته نادى أباه وهو أولى الناس بأن ينقذه ابنه إبراهيم من الضلال المتردى فيه ، لهذا نادى فى أبيه أبوته حين قال : ياأبت ليشعره بإشفاقه وخوفه عليه من الوثنية التى ورطه فيها ضلاله .

وبعد هذا النداء لم يقرع أباه ، ولم يشتمه على اتخاذه أربابا من الحجارة يعبدها ولكنه تلطف ورق وسأله : لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً .

وهكذا وصف الأوثان التى يعبدها آزر بصفات كل واحدة منها تكفى لتحطيم اعتقاد آزر فيها !

الأولى : أن ذلك الوثن لا يسمع إذا ناديته أو أثنيت عليه ، أو تضرعت إليه .

الثانية : أنه لا يبصر خضوع من يخضع وخشوع من يخشع بين يديه لأنه لا يحس ولا يدرك .

الثالثة : أنه لا يغنى عنك شيئاً من الغناء أو النفع فى جلب منفعة أو دفع مضرة .

وهكذا فى أدب جميل وصف الإله الذى يعبده أبوه ، فهذا الإله الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يفرق بين المطيع والعاصى كيف يعبد ، والإنسان بما وهب من سمع وبصر وعقل وإدراك كيف يعبد الإله الوثن الذى لا يملك شيئاً من ذلك ، وكيف يكون العابد أعظم نفعاً من المعبود الجماد وكأنه يريد أن يصل من وراء هذا إلى أن الإله الخليق بالعبادة هو الذى يسمع ويبصر ويعلم ، ويجيب نداء المضطر إذا دعاه .

وبهذا بين إبراهيم عليه السلام لأبيه : إن تلك الأرباب التى يعبدها لا منفعة فيها لعابديها إذا هم أطاعوها ، ولا مضرة تحل بهم إذا عصوها ، ولهذا لا يستحل عبادتها عاقل وهبه الله العقل الذى يميز به بين من يستحق العبادة ومن لا يستحقها .

ثم تلطف ثانيا فى دعوة أبيه إلى الحق وأرسل نداءه : ياأبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك ، ولم يشمخ إبراهيم فيصف نفسه بالإحاطة بكل العلوم ، ولكنه صور نفسه بالرفيق الذى له خبرة بالدروب والمسالك ليطلب من أبيه اتباعه حتى لا يتوه بين الشعاب المتضاربة فى هذا الوجود .

وإنه وهو يدرك الطريق المستقيم الموصل خليق بأن يتبعه من لا يدرك ذلك الطريق الموصل إلى الحقيقة .

وقد أخبر إبراهيم أباه أنه قد جاءه شىء من العلم ، ولم يأت ذلك الجانب من العلم أباه وذلك العلم الذى جاء إبراهيم هو علم الاستدلال على طريق الحق ، وإن معرفته له تجعله كالهادى وكالدليل فى مفاوز الحياة .

ثم ساق الأمر الإرشادى إلى أبيه فقال « فاتبعنى » انجك و« أهدك صراطاً سوياً » ثم بين له أن عبادته للأصنام كأنها عبادة للشيطان ، لأن الشيطان هو الذى سول للإنسان وأغراه بعبادتها ، فكأن الإنسان حين يعبدها يعبد الشيطان المغرى بها ولذلك نادى إبراهيم أباه ، وكرر نداء الأبوة

←

حوار إبراهيم مع أبيه

ليستعطفه وينصحه . وخليق بالابن إذا رأى أباه على مشارف الهاوية يوشك أن يتردى فيها أن يحذره .

وكان النداء الثالث : ياأبت لينهاه عن عبادة الشيطان « لا تعبد الشيطان » لأن الشيطان عاص لله « إن الشيطان كان للرحمن عصيا » تعليل لما استوجب نهيه عن عبادة الشيطان وكم أنعم الله على ذلك الشيطان بالكثير من النعم ، ومن بينها نعمة البقاء فى الدنيا ، ولكنه عصى أمر الله فلم يسجد لآدم كما أمره الله فهو عدو أبيك آدم وعدو الجنس البشرى كله وقد سأل الله أن ينظره إلى يوم القيامة فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم .

وقد أقسم الشيطان : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

وهذا الشيطان الذى آلى على نفسه أن يضل الإنسان وأعلن له عداوته خليق بأبناء آدم ألا يعبدوه ، بل خليق بهم أن يحذروا غوايته .

ثم ناداه للمرة الرابعة متوسلاً مستعطفا ليخوفه ما يجره عليه اتباع الشيطان وعبادته من سوء العاقبة فقال : « ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » وقد أعلن إبراهيم لأبيه خوفه عليه ليتذكر الأب أن الدافع لموقف إبراهيم فى ذلك الحوار إنما هو خوف الابن البار على أبيه ، ولم يعبر بالعذاب أو بالعقاب فيقول له : إنى أخاف أن تعذب أو تعاقب ولكنه قال : « أن يمسك » وفى التعبير بالمس حسن الأدب مع أبيه الضال أملا فى أن ينأى به عن وثنيته وقد نكر العذاب فى قوله : عذاب ، للتفخيم أما ولاية الشيطان فى قوله : فتكون للشيطان وليا ، فإما أن يكون المراد :

١ ـ أنه إذا استوجب العذاب فى النار كان مع الشيطان وولايته له هى السبب فى تلك المعية وقد بين الله ذلك فى آية أخرى فى قوله : ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا .

٢ ـ أن الله يخذله فى الآخرة فيصبح موالياً للشيطان ، ويكون فى خسار بسبب تلك الولاية .

وهكذا نادى إبراهيم أباه أربعة نداءات متوالية لشدة حبه له ورغبته فى إبعاده عن الأسباب التى تدفعه فى الآخرة إلى عذاب الله ، وقد أعلن فى آخر نداء خوفه على أبيه من أن يمسه عذاب .

وقد التزم إبراهيم عليه السلام فى حواره مع أبيه جانب الحكمة حين دعاه إلى عبادة الله ، ونبذ الأوثان ، وساق الأدلة لعله يقنع أباه ويشده من مخالب الضلال التى نشبت فيه .

وقد تجلى إصرار آزر الذي لم ينفع فيه وعظ ولم يقنعه دليل فيما قال :

« قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » .

وهكذا في جب وإنكار سأل آزر ابنه إبراهيم : أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ، وقدم الخبر أراغب على المبتدأ ، وهذه الآلهة في نظر آزر خليقة بأن تعبد ، وخليقة بألا يرغب أحد أو ينصرف أو يعرض عن عبادتها ، وبهذا الأسلوب ، رد آزر ليعلن

إصراره على رأيه فى ألوهية الأوثان دون حجة يسوقها لمحاولة إقناع إبراهيم اللهم إلا إقراره بأنها آلهته التى قلد آباءه في عبادتها .

وعجيب من آزر أن ينادى إبراهيم باسمه ولا يناديه بالنبوة فيقول : يابنى كما ناداه إبراهيم أكثر من مرة بقوله : يا أبت ، وكأن غيظه من إبراهيم لرميه آلهته بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى هو الذى حداه إلى التصريح باسمه وبعد هذا الاستفهام التعجبي الإنكارى قابل آزر إشفاق إبراهيم وخوفه عليه ووعظه ورقته بالعنف والتهديد والزجر بل السفاهة في قوله الذي حكاه القرآن : لئن لم تنته « لأرجمنك واهجرنى مليا » .

لقد زجره آزر وأقسم إن لم يقلع إبراهيم عن دعوته لعبادة آله واحد ، وعن نهيه عن عبادة أربابه التى يعبدها وعن النيل منها فليس عنده لإبراهيم غير أمرين : الرجم ، وإبعاد إبراهيم عنه ، أما الرجم ، فأصله الرمى بالرجام وهى الحجارة ، واختلفت الأقوال في تفسير الرجم فقيل :

١ ـ الرجم باللسان كالشتم ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ بالشتم ، ومنه : الشيطان الرجيم : المرمى باللعن وقيل : كل ما ورد فى القرآن من الرجم هو بمعنى الشتم .

٢ ـ الرجم باليد ، وذلك بأن أظهر أمرك للناس ليرجموك أو أرجمنك أنا بالحجارة .

٣ ـ وقيل يراد بالرجم : القتل من رجم الزانى ، ولكن لو أريد القتل لما عطف عليه آزر قوله : (واهجرنى مليا) .

٤ ـ وقد يراد بالرجم : الطرد ، وقد يدل على أنه الطرد قوله بعد ذلك : « واهجرنى مليا » وأما الهجر فقد يراد به :

١ ـ الهجر بالقول بمعنى أنه يطلب من إبراهيم ألا يخاطبه فى أمر ما يعتقد .

٢ ـ الهجر بالافتراق عنه بحيث لا تضمهما دار أو بلد حتى لا يراه ولا تقع عيناه عليه .

والملىّ بتشديد الياء : المدة البعيدة أو الذهاب والهجر ، أى اهجرنى زمنا بعيداً ، أو اذهب عنى واهجرنى .

وقوله : اهجرنى ، معطوف على محذوف تقديره : فاحذرنى واهجرنى حتىٰ لا أرجمك وفي هذا تهديد وتقريع .

(قال سلام عليك) استئناف وقع جواباً لسؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا قال له إبراهيم وكان الجواب : قال سلام عليك ، أى أسلم عليك سلام وداع وترك بمعنى أن رد إبراهيم كذلك يحمل الملاطفة حيث قابل التهديد والتقريع بالسلام الذي يعلن به أنه لا يشافهه بما يؤذيه بعد ذلك ، وهذا الموقف يحمل معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً ﴾ وهكذا قابل السيئة بالحسنة .

ويجوز أن يكون المعنى الذي يريده فى قوله : سلام عليك ، أن يدعو لأبيه بالسلامة وهو يلاينه بهذا أملاً في الإقلاع عن عبادة الأوثان ، وقد يؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ .

وقول إبراهيم : « سأستغفر لك ربي » يدل

←

حوار إبراهيم مع أبيه

على أنه على الرغم من تهديد آزر له بالرجم والطرد والإبعاد فإنه لم يزل الابن البار المشفق على الأب الساخط .

وقد كان آزر كافراً فهل يجوز الاستغفار للكافر ، لعل شرع إبراهيم أباح الاستغفار للكافر ، وضلال آزر يحكيه القرآن عن إبراهيم وهو يدعو ربه فيقول : ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ . .

وقيل : إنه لم يستغفر له إلا لأنه وعده أن يؤمن فيما حكاه القرآن في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ .

وقيل : إن الواعد إبراهيم فلم يقل : واغفر لأبى إلا أنه وعده من قبل أن يستغفر له .

وذلك ما حكاه القرآن في قوله : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ ﴾ .

أومعنى : « سأستغفر لك ربى » : أدعو الله أن يوفقك للتوبة ، وأن يهديك إلى الإيمان ، وطلب التوبة والهداية للكافر قبل الموت ليس محظورا .

وقد قيل : إن استغفار إبراهيم لأبيه كان قبل أن ينقطع رجاؤه في إيمانه ، فلما تبين له أنه لا أمل في إيمانه وتبينت له عداوته لله تبرأ منه .

وقيل : إن استغفاره كان قبل ورود النهى عن الاستغفار للكافر .

وقيل : إن المنع من الاستغفار إنما يكون بعد أن يعرفوا أنهم من أصحاب الجحيم ، فإذا عرفوا ذلك ، فليس لهم أن يستغفروا للمشركين وذلك ما تنص عليه الآية : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ .

فحين يئس إبراهيم من إيمان أبيه وعلم إصراره على الكفر وأنهم من أصحاب الجحيم أعلن براءته منه .

وقد أخبر إبراهيم بعد أن قال : سأستغفرلك ربي ، أن الله حفي به وذلك فيما حكاه القرآن : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ والحفى : البليغ في الرد والإلطاف وهو استئناف يقع جواباً لسؤال مقدر وهو تعليل لمضمون ما قبله وهو طلب الاستغفار ، والمعنى : إن إبراهيم سيستغفر ربه لأبيه ، لأن الله حفى بإبراهيم وللطف الله بإبراهيم ورفقه وكثرة إنعامه عليه سيستغفره له .

كل ذلك دعاه إلى طلب الاستغفار لأبيه إن تاب عن كفره لعله يغفر له .

وقد أخبر إبراهيم أباه أنه قرر البعد عنهم استجابة لرغبة آزر حيث طلب منه أن يهجره زمناً بعيداً ، وحكى الله ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ .

وفي التعبير بصيغة الجمع : (وأعتزلكم) ما يدل على أن إبراهيم لا يريد البعد عن أبيه الذي هدده فحسب ولكنه سيعتزل كذلك قومه لأنهم يشاركون أباه في عبادة تلك الآلهة ولذلك أعلن أنه سيبعد كذلك عن آلهتهم التى يعبدونها لأنها سبب خلافه مع أبيه وقومه حيث لم ينفع فيهم نصح (وما تدعون) أى

وما تعبدون والمراد بالدعاء في قوله وما تدعون : العبادة بدليل قوله : فلما اعتزلهم وما يعبدون (وأدعو ربى) معطوف على قوله : وأعتزلكم ، (وأدعو ربى) أى أعبد ربى فى مهجرى الجديد بعيداً عنكم .

وقد يراد بالدعاء في قوله : (وأدعو ربى) ما جاء في سورة الشعراء فيما حكاه القرآن :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾

﴿ عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾ .

وإن إبراهيم ليرجو ألا يضيع سعيه وألا تذهب عبادته بل يحقق بها رضاء ربه ، وفي ذلك الأسلوب تعريض بأولئك الأشقياء الذين يعبدون الأوثان حيث يخيب مسعاهم وجهدهم عندما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئاً .

وفي التعبير بعسى ما يدل على التواضع والاعتراف بأن الإجابة والثواب إنما هما تفضل من الله ، وليس بإلزام من الله أن يثيب عبده بما يفعل ، وإنما العبرة بالخاتمة التى ينتهى بها العبد إلى ربه وقد قرر إبراهيم الهجرة إلى الشام فراراً بدينه ليعبد الله في المكان النائى ويبعد بما يعبد .

وقد عوض الله إبراهيم عن أبيه وقومه حين اعتزلهم إذ وهبه أبناء آمنوا بدعوته بل اصطفى الله منهم رسلاً وأنبياء قادوا الناس إلى الحق وأخرجوهم من الظلمات إلى النور وكافحوا على اختلاف الأزمان والأجيال الوثنية التى عاش إبراهيم حياته يندد بها لينتشل البشرية من التمرغ في باطلها .

ولكن الأنبياء الذين عوض الله إبراهيم بهم عن أبيه وقومه لم يرزق الله بهم عقب الاعتزال الذي قال الله فيه : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴾ بل كانت الهبة بأولئك بعد فترة من الاعتزال ، وتلك الهبة التى قال فيها : (وهبنا له اسحاق ويعقوب) .

والمشهور أنه وهب له إسماعيل أولاً وذلك بعد أن ألقى في النار وقال الله لها : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ وبعد خروجه منها هاجر وقال : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ واستجاب الله دعاءه فوهبه إسماعيل وكان الحليم فإسماعيل جاء بعد تلك البشارة من هاجر .

وقد ذكر إسحاق ويعقوب هنا على أنهما هبة الله لإبراهيم ، ولم يذكر إسماعيل ؛ لأن الله جعل هبتهما من أعظم النعم على إبراهيم حيث قابل فراق الأب والأهل بهبة إسحاق ويعقوب ، ومن يعقوب تناسل كل أنبياء بنى اسرائيل (وكلاً جعلنا نبيا) أى كل واحد منهما : إسحاق ويعقوب ، أو كل واحد منهم : إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلنا نبياً (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) .

الرحمة : هى النبوة لذكرها بعد أن ذكر وكلاً جعلنا نبيا .

وقيل : الرحمة هى المال والولد وسعه الرزق .

حوار إبراهيم مع أبيه

وقيل : الرحمة : الخير الديني والدنيوي .

وقيل : الرحمة كثرة الأتباع وطهارة النسل وطيب الذرية وقد كان إبراهيم وأبناؤه مفخرة على الزمن .

(وجعلنا لهم لسان صدق عليا) .

ولسان الصدق : الثناء الحسن الذي أجراه الله على ألسنة من ينتمون إليه وما أكثرهم .

وجعل الله لإبراهيم خير لسان صادق عاش على الزمن استجابة لدعاء إبراهيم : (واجعل لى لسان صدق في الآخرين) ، وأضاف اللسان إلى الصدق ووصفه بالعلو في قوله : (لسان صدق عليا) ليدلل على أن إبراهيم وأبناءه أحقاء بالثناء عليهم لكثرة مكارمهم على اختلاف العصور والدول والمذاهب .

وقد ادعى أهل الأديان جميعاً أنه لهم ومنهم ، وقد جعله الله أبا للمسلمين حيث قال : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) .

وكان لسان الصدق في الثناء على إبراهيم أن ذكر في التشهد صلاة وبركة في قول كل مسلم عبر تاريخ الإسلام الطويل إلى يوم القيامة فى تسعة تشهدات في اليوم والليلة في الفرائض يضاف إلى ذلك ما يقال في النوافل .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين .

وقد عادى إبراهيم أعداء الله في الله حين قال : فإنهم عدو لى إلا رب العالمين فكيف لا يعادى فى الله أباه ويتبرأ منه .

وحسبه بعد اعتزاله لأبيه وقومه أن يكون خليل الله وما أعظمها من نعمة ..

﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾

رجال القراءات

عبد الله بن كثير المكى

٢

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوه عوض

قال الإمام الأهوازى[١] . فقال : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز . الإمام أبو معبد المكى الدارى . إمام أهل مكة فى القراءة .

اختلف فى كنيته والصحيح ما قدمناه .

وقيل له الدارى لأنه كان عطاراً . والعطار تسميه العرب دارينا ـ نسبة إلى « دارين » . موضع بالبحرين يجلب منه الطيب .

وقيل لأنه كان من بنى عبد الدار بن هانى بن حبيب بن نمارة من لخم رهط تميم الدارى .

وقيل الدارى الذى لا يبرح فى داره . ولا يطلب معاشاً . قاله الأصمعى .

قال ابن الجزرى : والصحيح الأول لأنه كان من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى فى السفن إلى صنعاء فطردوا الجيش عنها .

مولده ووفاته :

ولد بمكة سنة خمس وأربعين . ولقى بها عبد الله بن الزبير ، وأبا أيوب الأنصارى ، وأنس بن مالك ، ومجاهد بن جبر ، ودرباس مولى عبد الله بن عباس . وروى عنهم .

وأخذ القراءة عرضاً[٢] عن عبد الله بن السائب[٣] . فيما قطع به الحافظ أبو عمرو الدانى وغيره .

←

(١) جاء فى ـ النشر فى القراءات العشر ص ٣٥ ، ٨٠ عنه : « الأستاذ أبو على الحسن بن على بن إبراهيم بن يزداذ بن هرمز الأهوازى مؤلف « الوجيز » و « الإيجاز » و « الإيضاح » و « الاتضاح » و « جامع المشهور والشاذ » توفى سنة ست وأربعين وأربعمائة (٤٤٦) هجرية .

(٢) المقصود بالعرض المراجعة والمقابلة تحرياً للدقة وكمال العناية بكتاب الله سبحانه وتعالى .

(٣) عبد الله بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عابد المخزومى قارىء أهل مكة توفى سنة سبعين هجرية روى القراءة عن أبى بن كعب وعمر بن الخطاب ، وعرض عليه القرآن مجاهد بن جبر ، وعبد الله بن كثير صاحبنا فى هذا المقال . راجع غاية النهاية فى طبقات القراء .

وضعف الحافظ أبو العلاء الهمذانى هذا القول . وقال : إنه ليس بمشهور عندنا . قلت[٤] : وليس ذلك ببعيد فإنه قد أدرك غير واحد من الصحابة وروى عنهم . أ. هـ وهذا هو الغالب فإنه قد ذكر تلمذته على ابن السائب أكثر من مؤرخ فى القراء كابن الجزرى ، وابن مجاهد والذهبى .

وعرض أيضاً على مجاهد بن جبر[٥] ، ودرباس مولى ابن عباس رضى الله عنهم .

كان ـ رحمه الله ـ فصيحاً بليغاً مفوهاً أبيض اللحية طويلاً أسمر جسيماً أشهل ، يخضب بالحناء ، عليه السكينة والوقار ، لقى من الصحابة : عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصارى وأنس بن مالك رضى الله عنهم .

قال ابن مجاهد رضى الله عنه :

ولم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه فى القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة ، قال سفيان بن عُيَيْنَة ـ رضى الله عنه :

حضرت جنازة ابن كثير الدارى سنة عشرين ومائة .

تلامذته :

أَقْرَأ ـ رحمه الله ـ الكثير من التلاميذ .

روى القراءة عنه إسماعيل بن عبد الله القسط ، وإسماعيل بن مسلم ، وجرير بن حازم ، والحارث بن قدامة أبو قدامة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وخالد بن القاسم ، والخليل بن أحمد ، وسليمان بن المغيرة ، وشبل بن عباد ، وابنه صدقة بن عبد الله ، وطلحة بن عمرو ، وعبد الله بن زيد بن يزيد ، وعبد الملك بن جريج ، وعلى بن الحكم ، وعيسى بن عمر الثقفى ، والقاسم بن عبد الواحد ، وقزعة بن سويد ، وقرة بن خالد ، ومسلم بن خالد ، ومطرف بن معقل ، ومعروف بن مشكان أبو الوليد ، وهارون بن موسى ، ووهب بن زمعة ، ويعلى بن حكيم ، وابن أبى فديك ، وابن أبى مليكة ، وسفيان بن عسنة ، والرجال ، وأبو عمرو بن العلاء .

وليس صحيحاً أن من تلاميذ ابن كثير : عبد الله بن إدريس الأودى ـ رحمهما الله ، فقد ولد ابن إدريس هذا عام خمسة عشر أو عشرين ومائة هجرية ، أى قبل وفاة ابن كثير بخمس سنين أو فى سنة وفاته نفسها فاحتمال تلمذته عليه بعيد إن لم يكن مستحيلاً . قال أبو عبد الله الحافظ ـ رحمه الله : لم ير عبد الله بن إدريس عبد الله بن كثير ولا قرأ عليه أبداً .

وربما وقع الخلط أيضاً فيمن يشاركه الاسم ، فقد عاصره : عبد الله بن كثير القرشى ، وهو غير القارىء صاحبنا ، وثمة ابن كثير آخر ولكن اسمه : محمد بن كثير ، وهو المحدث ، وهذا المحدث هو صاحب البيت :

بُنَىَّ كثير كثيرُ الذنوب
ففى الحل والبل من كان فيه

وهذا البيت نسبه أبو طاهر بن سوار لإبن كثير القارىء ، وفعل ذلك غيره أيضاً .

قال الأصمعى :

(٤) القائل ابن الجزرى فى غاية النهاية .

(٥) أبو الحجاج المكى أخذ عنه القراءة عرضاً عبد الله بن كثير ، مات سنة اثنتين ، او ثلاث او اربع ومائة . راجع المرجع السابق .

قلت ـ لأبى عمرو : [قرأت] على ابن كثير ؟ قال : نعم ، ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد ، وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد .

الرواة عن ابن كثير :

وقد أجمعوا على اختيار قراءة راويين تلقى كل منهما عن ابن كثير ، هما : أحمد البزى ، وقنبل ـ رضى الله عنهما ، وإليك تعريفاً لكل منهما وأثره فيمن بعده .

أحمد البزى :

هو الإمام أبو الحسن البزى : أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبى بزة : وقال الأهوازى : أبو بزة الذى ينسب إليه البزى . اسمه بشار فارسى . من أهل همذان . أسلم على يد السائب بن أبى السائب المخزومى . والبزة الشدة . ومعنى أبو بزة أبو شدة[٦] .

كان مقرىء مكة ، ومؤذن المسجد الحرام .

مولده : ولد سنة سبعين ومائة .

قال عنه الذهبى ، وابن الجزرى :

أستاذ محقق ضابط متقن . قرأ على أبيه ، وعبد الله بن زياد ، وعكرمة بن سليمان ، ووهب بن واضح .

قال الإمام الشاطبى فى حرزه :

ومكة عبد الله فيها مقامه
هو ابن كثير كاثر القوم معتلى
روى أحمد البزى له ومحمد
على سند وهو الملقب قنبلا

وقال الشمس بن الجزرى فى طيبته :

وابن كثير مكة له بلد
بَزٌّ وقنبل له على سند

قال ـ فى إبراز المعانى فى شرح قول الإمام الشاطبى[٧] .

قوله (على سند) أى بسند ، أى متلبسين بسند ، أو يكون التقدير : معتمدين على سند فى نقل القراءة عنه لأنهما لم يرياه .

وذلك لوفاة ابن كثير عام « ١٢٠ » هجرة ، وولادة البزى وقنبل بعده .

وقرأ على البزى[٨] خلق كثير منهم اسحاق بن محمد الخزاعى ، والحسن بن الحباب ، وأحمد بن فرح ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن على ، وأبو جعفر محمد بن عبد الله الهيبان ، وأبو العباس أحمد بن محمد فى قول الأهوازى والرهاوى ، وأبو ربيعة محمد بن اسحاق ، ومحمد بن هارون ، وموسى بن هارون ، ومضر بن محمد الضبى ، وأبو حامد أحمد بن محمد بن موسى الخزاعى ، والعباس بن أحمد البرتى ، وأبو على الحداد ، وأبو محمد الجمحى ـ ومحمد بن على الخطيب وكثير غيرهم .

رواة القراءة عن البزى :

روى عنه القراءة قنبل . وحدث عنه أبو بكر أحمد بن عميد بن أبى عاصم النبيل ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، ومحمد بن على بن زيد الصايغ ، وأحمد بن محمد بن مقاتل . وقد سماه أبو عمر فى الروضة ـ محمد بن

←

(٦) ويقال : إن نافعاً هو أبو بزة .

(٧) صاحب إبراز المعانى من حرز الأمانى الإمام أبو شامة : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المتوفى سنة ٦٦٥ هـ من تحقيقنا .

(٨) ويقال : إن نافعاً هو أبو بزة .

عبد الله ـ فأسقط اسمه وأثبت اسم أبيه ، ولعله من النساخ . أو سهو منه ، والله أعلم .

وروى حديث التكبير مرفوعاً من آخر الضحى . وقد أخرجه الحاكم أبو عبد الله فى المستدرك عن أبى يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن المقرى ـ الإمام بمكة [قال] ثنا محمد بن على بن زيد الصايغ ثنا البزى وقال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت : على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين . فلما بلغت (والضحى) قال : كبر عند خاتمة كل سورة . فإنى قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت (والضحى) قال : كبر حتى تختم . وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أبى بن كعب أمره بذلك ، وأخبره أبى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمره بذلك .

قال الحاكم :

« هذا صحيح الإسناد ولم يخرجه البخارى ولا مسلم ».

وفاته :

توفى البزى سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة .. وكان إماماً فى القراءة ، محققاً ضابطاً متقناً لها ، ثقة فيها ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة . وكان مؤذن المسجد الحرام .

قنبل :

هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد بن جرجه أبو عمر المخزومى ـ مولاهم المكى الملقب ـ بقنبل ـ شيخ القراء بالحجاز .

مولده :

ولد سنة خمس وتسعين ومائة .

تلاميذه :

أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن محمد بن عون النبال . وهو الذى خلفه فى القيام بها بمكة . وروى القراءة عن البزى .

روى القراءة عنه[٩] عرضاً أبو ربيعة محمد بن اسحاق وهو أجل أصحابه . ومحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن الصباح ، وإسحاق بن أحمد الخزاعى سمع منه (الحروف[١٠]) ، ومحمد بن حمدون ، والعباس بن الفضل ـ صهر الأمير ـ وأحمد بن محمد بن هارون بن تيرة ، وأحمد بن موسى بن مجاهد ، ومحمد بن أحمد بن شنبون ، ومحمد بن موسى الزينبى ، وعبد الله بن أحمد البلخى ، وأحمد بن الصقر بن ثوبان ، وأحمد بن محمد اليقطينى ، وعلى بن الحسين بن الرقى ، وغيرهم كثير .

واختلف فى سبب تلقبه (قنبلاً) : فقيل اسمه ، وقيل لأنه من أهل بيت بمكة ـ يقال لهم القنابلة . وقيل لاستعماله دواء يقال له (قنبيل)[١١] ـ معروف عند الصيادلة لداء كان به . فلما أكثر منه عرف به ، وحذفت الياء من « قنبيل » تخفيفاً ..

(٩) عنه : أى عن قنبل . وأثبت ابن الجزرى أنه روى ـ أيضاً ـ عن البزى ، فقد روى عنهما .

(١٠) الحروف : وجوه القراءة .

(١١) القنبيل ـ بكسر القاف والباء وسكون النون : بذور رملية تعلوها حمرة قابضة تقتل الديدان وتخرجها وتنفع الجرب والسعفة منفعة بينة انظر المادة بالقاموس المحيط .

وقد انتهت إليه رياسة بالحجاز .. ورحل الناس إليه من الأقطار ، وتولى الشرطة بمكة إذ كان لا يليها إلا رجل من أهل الفضل والخير والصلاح ليكون لما يأتيه من الحدود والأحكام على صواب فلا يضل ولا يطغى ولا يفتات على الناس .

وقال الذهبى : إن ذلك كان فى وسط عمره فحمدت سيرته ثم إنه طعن فى السن ، وشاخ وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين .

وقال ابن الجزرى : وقيل بعشر سنين .

وفاتـــه :

مات سنة إحدى وتسعين ومائتين عن ست وتسعين سنة .

الطرق :

وأما البزى فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى ربيعة محمد بن إسحاق بن وهب بن سنان وكان مقرئاً جليلاً ضابطاً متقناً .

والثانية : طريق أبى على : الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق . وكان ضابطاً متصدراً من كبار الحذاق والمحققين . وتوفى سنة إحدى وثلاثمائة ببغداد .

أما أبو ربيعة فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر محمد بن الحسن بن محمد ابن زياد بن سند بن هارون النقاش الموصلى . كان إماماً متقناً ، محدثاً مفسراً . ألف تفسيره المسمى (شفاء الصدور) وألف فى القراءات التى اعتنى بها من صغره . ومولده سنة ست وستين ومائتين . وتوفى ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

والثانية : طريق أبى عمر بن عبد الصمد بن الليث بن بُنان البغدادى . وكان مقرئاً زاهداً ، صالحاً ، عالى الإسناد ـ وتوفى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

وأما ابن الحباب فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر أحمد بن صالح بن عمر بن إسحاق البغدادى . نزيل الرملة وكان ثقة ، ضابطاً ، مقرئاً . نزل الرملة وبها توفى بعد الخمسين وثلاثمائة .

والثانية : طريق أبى طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم عمر بن محمد البغدادى . وكان ثقة مقرئاً ، نحوياً ، حجة ، ولم يكن بعد ابن مجاهد مثله ، وتوفى فى شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . وقد جاوز السبعين .

وقد والى تلامذته العمل وتوالى الآخذون عنهم بما يضيق عنه المقال .

طرق قنبل :

وأما قنبل فمن طريقين :

الأولى : ابن مجاهد من طريقى السامرى ، وصالح عنه .

والثانية : ابن شنبوذ من طريقى أبى الفرج ، بالجيم ، والشطوى عنه هذا . وجملة الطرق عن ابن كثير ثلاث وسبعون طريقاً .

سند ابن كثير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبق أن قلنا : إن ابن كثير قرأ على أبى السائب وقرأ أبو السائب على أبى بن كعب ، وعمر بن الخطاب وقرأ ابن كثير أيضاً على أبى الحجاج مجاهد بن جبر المكى الذى قرأ على عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن السائب وقرأ ابن كثير على درباس وقرأ درباس على مولاه عبد الله بن عباس .

وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب ، وعلى زيد بن ثابت .

وقرأ أبى وعمر وزيد رضى الله عنهم ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

مفهومية الإسلام لدى الغرب

نريد أن نسلك سبيل الحوار الفكرى الصحيح بين الإسلام والغرب . ونتخذ منه أسلوباً باعتباره وسيلة علمية للسمو بالخصومة الأدبية عن مزالق التهم .

والسمو بالخصومة الأدبية يعنى هنا : « البعد عن الانفعالات الشخصية ومؤثرات الانفعال لتبقى القضية وموضوعها فى حيز الموضوعية العلمية » .

من خلال هذا المنطلق نحب أن نؤكد على حقيقة هى : « أن الحضارة الإسلامية أهم ما عرفه التاريخ من أشكال الدولة الإلهية » ـ لذلك كان الإسلام الصيغة المناسبة والمثلى فى تحرير التاريخ من وطأة امبراطوريتين هما :ـ امبراطورية الفرس ، وامبراطورية الرومان .

استطاع العرب بفضل الإسلام أن يعصفوا بهما معاً . وبقى الإسلام بعدهما حقيقة يغير مجرى التاريخ .

فبالنسبة للشرق :

أيقظ الإسلام ـ أولاً ـ الشرق السامى من سباته الطويل فملك نفسه بعد رضوخه للغرب الأوروبى ألف سنة .

ولا غرو فقد كان العرب عنصراً غضاً ملتهباً بالحماسة ومتشرباً روح السمو والانتصار وبفضل الإسلام أصبح مستخفاً بالموت بدافع إيمانه الجديد .

وأما بالنسبة للغرب فهناك مواقف بين الإسلام وبينه نجملها فيما يلى :ـ

(أ) مواقف الإسلام أمام الرومان منذ غزوات « تبوك واليرموك » .

(ب) فتوح العرب فى صقلية ، والأندلس وجنوب فرنسا وكانت هذه الحروب قبل أن تستيقظ أوروبا إلى وعيها الثقافى الجديد .

(جـ) الاصطدام العنيف بين أوروبا المتحدة ، وبين الإسلام تحت شعار الحروب الصليبية .

وترجع أهمية هذه الحروب الصليبية مع الإسلام ، إلى أنها عنيت فى المقام الأول والمقام

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

الأهم بموقف أوروبا من الإسلام لبضعة قرون حتى عصرنا الحالى ، لأنها حدثت فى أثناء طفولة أوروبا فى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية ، الخاصة قد أخذت تعرض نفسها وكانت لا تزال فى طور تشكيلها .

(د) سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك ، وبسقوطها فتح باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامى .

من هنا لم تبق عداوة أوروبا للإسلام ، قضية ذات أهمية ثقافية فحسب ، بل ذات أهمية سياسية أيضاً ، وهذا تراه فى اشتداد تلك العداوة .

والشعوب كالأفراد ، إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة ، التى تحدث فى أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً ، أو باطناً ، مدى الحياة وتظل تلك المؤثرات محفورة حفراً عميقاً فى أعماق النفس حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية فى الدور المتأخر من الحياة ، والمتسمة بالتفكير أكثر من اتسامها بالعاطفة ، أن تمحوها إلا بصعوبة يندر أن تزول آثارها تماماً .

هكذا كان شأن الحروب الصليبية فإنها أحدثت أثراً من أعمق الآثار وأبقاها فى نفسية الشعب الأوروبى .

من هذه التجارب التاريخية اعتبر الغرب المسيحى ، الإسلام منافساً له منافسة عدائية ، اصطبغت بصبغة « أيديولوجية » بخاصة فى العصر الوسيط . لذلك نظم الغرب غَزْوَهُ المسلح تحت **راية الحرب المقدسة وغاب عن الغرب الذى راح يبشر بالمسيحية تحت وطأة الحرب الصليبية فى الشرق ، أن المسيحية هى دين شرقى أولاً ، وأن الإسلام يرى فى المسيحية أنها دين سماوى بيد أنها ليست خاتم الأديان ، إنما هو يكملها .**

من هنا تشكلت صورة الإسلام فى الغرب ، لقرون طويلة من خلال تجارب تاريخية : تميزت تلك التجارب التاريخية ، التى جرت بين أوروبا والإسلام بأنها اصطبغت صباغاً شديداً بعداوة غريبة للإسلام ، ساقت أوروبا إلى التحزب غير العلمى فى الكتابة عن الإسلام ، إلى حد جعلهم يلوون المنهج العلمى ، بأن قاموا باستنتاجات متفق عليها من قبل ، أملاها عليهم تعصبهم ضد الإسلام ثم من بعد يبدأون البحث عن الشهود .

وأسوق نموذجاً من كتاب العرب « لفيليب حِتِّى » ينتمى هذا النموذج إلى مجموعة النماذج التى تنتمى بدورها إلى تلك الميول العرقية المعادية للعروبة والإسلام ..

لقد أثارت سرعة انتشار الإسلام آراء كثيرة حول تفسيرها من المؤرخين كنا نرى منها التفسير البعيد وكنا نرى فيها التفسير القريب والمناسب .

أما التفسير الشاذ فرأيناه فى تفسير « فيليب حتى » الذى يرى أن سرعة انتشار

←

الإسلام فى الشرق يرجع إلى مناسبته للعقلية السامية وما فى مستواها من الحامية والبربرية فيقول :-

الإسلام هو غاية الكمال دينا فى مطابقة العقلية السامية . صفحة ١٣ .

ويقول : والظاهر أن الإسلام كان له تأثير خاص فى الشعوب التى فى مستوى البربر الثقافى . فما أسرع ما استطاع العرب الساميون توثيق عُرَى الاتصال بأبناء عمهم الحاميين . وكما أن الإسلام فى أواسط آسيا عَرَّب الأقوام لغة ودينا كذلك فعل الآن فى الأقوام البربرية . وهكذا اغتنى دم المسلمين الفاتحين بامتزاجه بدماء جديدة وتسنى للغة العربية مجال واسع الانتشار . وتوطدت قدم الإسلام وأخذت تتدرج فى معارج الرقى نحو السلطة العالمية الشاملة . صفحة ٩٠ .

وإمعاناً فى معاداته للسامية والإسلام يصف العرب بقوله :-

هذا هو الشعب العربى نفسه الذى كان سابقاً فى شظف العيش وخشونته يفاخر بأكل « الفلهز » (وبر الإبل مطبوخاً بالدم) والذى حسب أبناؤه الأرز لأول وهلة سُمًّا كما ظنوا المرقق من الخبز رقاعاً للكتابة . صفحة ١٣٠ .

ذلك نمط ما زال يرتد فى تفسيره إلى تلك الرؤية الاستعمارية التى تدور فى مدار نظرية العرق أى تفضيل الأجناس وذلك لهدف استعمارى هو :

أن الشرق السامى لا يصلح للحياة إلا بوصاية الغرب الآرى عليه .

وأسوق نموذجاً ثانيا لجرونيباوم صاحب كتاب حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز جاويد . يقول فيه :

وعلى الرغم من المؤامرات الدولية ، التى كانت تحدث الفينة بعد الفينة ، فإن الإسلام كان يؤثر فى الوضع الأوروبى فى معظم الأمر بظهوره فى ثوب الخطر الدائم ثم يصف هذا الخطر بقوله :

وإن يكن خطراً سلبياً إلى حد ما ...

ثم يتابع فيقول : ولما كانت أوروبا - وهى أقل انطواءً على نفسها من خصمها - أى الإسلام - لم تكف عن التطلع جنوباً وشرقاً ؛ فإن وجود الإسلام ومثوله بقوة فى الأذهان ظل يبدو لأعين الأوروبيين أضخم من حقيقته على الدوام ولم يحدث البتة على مر التاريخ أن حقيقة مفردة لعبت فى ضوء العلاقات الدولية فى العصور الوسطى دوراً أكبر من الذى لعبته الدولة الإسلامية .. وجود دولة قوية غامضة (لا يمكن التكهن بحقيقتها) ، تقوم فى الجانب الآخر من ذلك البحر الذى كان العرب كلفين بتسميته البحر المتوسط . ثم يتابع فيقول :

« وكانت الامبراطورية البيزنطية خصم الإسلام اللجوج تكابد الأهوال لاضطرارها على الدوام إلى تكييف نظمها وسياستها وفق ضرورات الساعة ، وكان الخطر الإسلامى ماثلاً على الدوام فى مخيلة كل بيزنطى ، وكان مجردُ وجود الدولة الإسلامية .. يضطر بيزنطة إلى التزام خُطة التيقظ الدائم الأليم ثم يقول : ولم يبرح شعور العَداء لبيزنطة يشتد فى مناسبات عديدة حتى شارف القرن العاشر نهايته .

ثم يقول : والظاهر أن عوامل البغضاء ، والخوف والإعجاب وجاذبية المجهول كانت تعيش مجتمعة فى عالم المسيحية طوال العصور الوسطى ، وكانت الحوادث هى التى تحدد أى هذه الانفعالات هو السائد فى لحظة من اللحظات ..

وسط هذا الجو النفسى والفكرى والسياسى تشكلت صورة الإسلام فمن ذلك :

(١) محمد عند يوحنا الدمشقى :

يحدثنا يوحنا الدمشقى الذى يتناول الإسلام على أنه فرقة مسيحية مارقة ، كيف أنه حدث فى أيام الامبراطور « هرقل » أن ظهر بين العرب متنبىء اسمه (مامد) نسبة إلى كلبى وأنه اطلع على كتب العهد القديم والجديد ثم مالبث بعد أن اتصل براهب من أتباع « أريوس » أن أسس (نحلته) كذا !

وقد استطاع بالتظاهر بالتقوى (كذا ؟) أن يكتسب قلوب قومه ثم أخبرهم بعد ذلك أن كتاباً مقدساً قد أنزل إليه من السماء يشتمل على تعاليمهم المقدسة وقدم إليهم الفرائض المضحكة (كذا؟) التى وضعها فى ذلك الكتاب قائلاً : إنها شريعتهم المقدسة .

صورة ثانية وضعها أول مؤرخ بيزنطى عالج أمر محمد صلى الله عليه وسلم هو (ثيوفاينز) المتوفى سنة ٨١٧ الذى قدر لكتابه حياة النبى أن يكون مرجعا هاماً لمن تلاه من الكتاب الغربيين . ومن سوء الحظ أن ثيوفاينز لا يبين مراجعه التى أخذ عنها وإليكم نموذجاً من مفترياته .

(فى هذه السنة عام العالم ٦١٢٢) من بدء الخليقة بقليل المقابل ٦٣٢ م توفى محمد حاكم العرب ونبيهم بعد أن عين قريبه أبا بكر خليفة له . وفى نفس الوقت كان الخوف مستولياً على الجميع ، وعند بداية ظهوره ظن العبرانيون الضالون أنه المسيح الذى كانوا يتوقعون ظهوره لذلك انضم إليه بعض كبارهم وتقبلوا دينه وهجروا دين موسى الذى رأى الله جهرة والذين فعلوا ذلك كانت عدتهم عشرة وقد لازموه حتى لقى نهايته .

وصورة ثالثة :

وفى سنة ٢٧٣ كتب وليم الطرابلسى رسالة عن حالة العرب ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم وشريعتهم وعقيدتهم والصورة التى صور بها محمد عليه الصلاة والسلام وإن كانت أبعد ما تكون عن شخصيته التاريخية فإن بها من العناصر الخرافية والمطاعن ما أنزل بها إلى الحد الأدنى الذى لا غنى عنه لمدافع عن المسيحية فى تلك القرون يقرر وليم :

أن العرب لا يعتقدون أن جبريل نقل الإرادة الإلهية إلى النبى ثم صاغ المؤمنون ما كان ينطق به كتاباً ويستطرد وليم فيقول :-

إن للكاثوليك مع ذلك رأياً آخر فهم يرون أنه بعد أن مات محمد أراد أنصاره أن يعالجوا العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه فلما تبينوا أن الرجل الذى نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمة لأداء ذلك على الوجه الأكمل ، طلبوا إلى اليهود والمسيحيين الذين أسلموا أن يساعدوه : وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقوا فقرات مناسبة من العهد القديم والجديد وأن يمزجوها بالكتاب كيفما اتفق وبذا أصبح الكتاب على قدر عظيم من الرونق والجمال المنقول من الكتب المنزلة ما بين مسيحية

←

ويهودية .. أما الجانب الإسلامى الأصيل ، فليس إلا تشويها وتحريفا .

وهكذا نرى أن تلك الكتابات حكمتها البغضاء وسوء الفهم الذى يكاد يكون متعمداً وما قدمناه من نصوص نراها بعيدة تماماً عن الواقع التاريخى كما تفيد تلك النصوص بأن طريقة الاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين لا تتفق أبداً والقرائن التاريخية إن نظر إليها بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً .

المرحلة الثانية : توزيع تركة الرجل المريض :

وأخيراً اشتدت حدة النقد الهجومى على الإسلام ، مع ضعف الخلافة العثمانية ، وزوال الخوف إثر توزيع ما عرف فى المحافل الدولية « بتركة الرجل المريض » والذى ما زال مريضاً . بدأ النظر إلى الإسلام من منظور أعراف الأتراك - كما يتصور الغربيون : فالشارب ، والعضلات المفتولة والعنجهية . والفظاظة هى فى نظر الغربى خصائص شخصية المسلم . وكانت الروايات الغربية التى قدمتها المسارح ترادف بين شخوصها والإسلام (فموليير) على سبيل المثال يضمن مسرحيته البورجوازى النبيل عبارات « تركية » كاملة .

« وجولدونى » يستوحى شخوصه المرحة من الأجواء التركية .

« موزارت » يضع لـ « أوبراه » مقطوعات موسيقية تركية تستخدم فيها الآلات التركية مثل : الناى والمثلث والطبلة الكبيرة .. وهكذا تغلغلت عوائد الحياة التركية وأعرافها وتقاليدها فى الكثير من المجالات على أنها العوائد الإسلامية وأصبح لفظ تركى مرادفاً للفظ إسلامى ومسلم وكانت نتيجة هذا الخلط الهمجى بين المبادىء والأشخاص أن أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم موضع حملات شائنة وتخرصات مؤداها : أنه أغرق الأرض بالدم والنار .

من هنا بدأ النظر إلى الإسلام من عدة مستويات على أنه مفهوميات متعددة :-

١ - من حيث كونه لاهوتيا أى من جهة كونه دينياً ليس مثل غيره من الديانات بل صورة محرفة من المسيحية .

٢ - من حيث كونه مفهوماً ثقافياً واجتماعياً ، وهذه ناشئة عن تقاليد وإحساسات الشعوب الإسلامية المختلفة .

٣ - ومن حيث كونه ممارسات سياسية واقتصادية ومنظمات .

٤ - ومن حيث كونه مرتبطا بأوضاع الدول الإسلامية وتصرفاتها وهى التى تؤلف حالياً المجتمع الإسلامى .

٥ - كذلك ينظر إليه من مقياس المذهبيات الإسلامية المعاصرة . بينما الإسلام هو رؤية واحدة لا تتعدد هو الدين الإلهى المنزل والأسلوب الملائم للتفكير والعمل بالإضافة إلى أنه ثقافة ونهج للتنظيم الاجتماعى مطبق بشكل ناقص .

يتبع

د/ محمد الفيومى

حفظ الله السودان

٣

للأستاذ الدكتور
عبد الودود شلبى

وكخطوة « عملية » لتنفيذ هذا المخطط ، بدأ العمل على زرع الكنائس والمدارس على هذا النحو فى مدينة « الخرطوم » فقط .

أولاً : المدارس الكاثوليكية :

هناك نحو (٢٤) أربع وعشرين مدرسة كاثوليكية صباحية ومسائية ومعظم الطلاب والدارسين فى هذه المدارس من المسلمين من البنات والبنين .

ثانياً : مدارس الإرسالية الإنجيلية :

يوجد فى مدينة الخرطوم (٨) ثمانى مدارس تابعة لهذه الإرسالية وللغرض نفسه الذى تمارسه المدارس الكاثوليكية .

ثالثاً : مدارس الإرسالية الأسقفية :

وقد تخصصت هذه الإرسالية فى تعليم البنات فقط .. ! ومجموع المدارس التابعة لهذه الإرسالية (٧) سبع مدارس ولا تزيد نسبة المسيحيين فيها على (٢٧٪) سبعة وعشرين فى المائة ، والباقى مسلمون !

رابعاً : مدارس الكنيسة القبطية (أرثوذكس) :

تقع معظم هذه المدارس فى حى المسالة . شرق شارع الشنقيطى الذى يعتبر مركز نشاط الأقباط . إذ فيه كنيستان هما الكنيسة القديمة مارى جرجس والجديدة مارمينا ودار رابطة الشباب القبطى والمقبرة القبطية . وهذه المدارس تعمل بالمنهج المصرى . ويطغى عنصر النصارى على معلميها . نحو ٧٠٪ من طلابها من المسيحيين وبها تتركز أكبر نسبة من المسيحيين مقارنة بغيرها من المدارس .

خامساً : مدارس الجاليات :

لبعض الجاليات المسيحية مدارسها الخاصة وهى تبدأ بالروضة وتنتهى بالثانوى العالى وأهمها :

مدارس الجالية الأرمنية واليونانية ولم يعرف لهذه المدارس تاريخ تبشيرى .

وهنالك مدارس البعثة المصرية وهى مدارس تبدأ من الروضة وتنتهى بجامعة القاهرة فرع الخرطوم وتستخدم المنهج المصرى ولا علاقة لها بالتبشير .

وتقع هذه المدارس الكنسية فى أحسن المواقع بالعاصمة وتتمتع بالكثير من الامتيازات وقد حازت هذه المواقع منذ أيام الاستعمار البريطانى حينما كان ا لتعليم من صلاحيات الكنيسة . ولم يحدث مراجعة فى أمرها طيلة أيام العهد الوطنى ، وتقوم هذه المدارس اليوم بدور مزدوج . فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير أعمالها ، تركز فى نفس الوقت على أبناء الجنوبيين والنوبة والوافدين وتمارس بين أوساطهم نشاطاً تبشيريا مركزاً . وقد ساعد ضعف مستوى التعليم فى المدارس الحكومية وعدم استقراره على زيادة الإقبال على تلك المدارس مما جرأ إدارتها على اتخاذ سياسات تبشيرية لم تقتصر على أبناء الجنوب ومناطق النوبة بل تجاوزتهما إلى الأغلبية المسلمة من التلاميذ ، ولو أن التبشير وسط هؤلاء يتم بصور خفية وغير مباشرة كما أن منهج الدراسة فى هذه المدارس يقوم على وضع مادة اللغة العربية والتربية الإسلامية على الهامش ، باعتبار أن طلاب هذه المدارس يمتحنون لشهادات أجنبية تؤهلهم لدخول جامعة الخرطوم وغيرها مما يعطيهم ميزة على أقرانهم فى المدارس الحكومية . إذ أن مواصفات الشهادات الإنجليزية لم تتغير كما تغيرت الشهادة السودانية ، والتى يتطلب دخول الجامعة إحراز نسب عالية فيها[1] .

ولقد كان من أهداف المؤسسات التبشيرية تغيير الطابع الإسلامى للعاصمة فمدينة أمدرمان ـ العاصمة الوطنية ـ التى أسسها الإمام محمد أحمد المهدى عمدت الإرساليات إلى تغيير طابعها بالكنائس الكثيرة التى أقامتها فى حى « الملازمين » و« المسالمة » و« مدينة الثورة » . وذلك بالإضافة إلى عدد كبير من الأندية المسيحية والكنائس العشوائية والمدارس التبشيرية فى قلب المدينة ووسط الأحياء السكنية . واليوم فإن مسلات كنائس مارى جرجس ومرمينا والكنيسة الإنجيلية وكنيسة أمدرمان تكاد تطغى على مآذن المساجد . والغريب أن عدد الكنائس وحجمها يفوق بكثير عدد المسيحيين فى تلك المناطق .

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

أما فى الخرطوم فيكفى أن عدد الكنائس فى الخرطوم القديمة يفوق عدد المساجد . إذ توجد أربعة مساجد هى : مسجد القوات المسلحة ومسجد الجامعة ومسجد فاروق ومسجد الخرطوم الكبير بينما نجد من الكنائس كاتدرائية القديس متى وكنيسة كمبونى والكنيسة الأسقفية فى قصر الشعب (وقد حول مقرها أخيراً لظروف أمنية وإن ظلت تكسب المكان طابعاً كنسياً) وكنيسة السيدة العذراء وكنيسة القديس فرانسيس وكنيسة ڤيلا جليدا . وثلاث من هذه الكنائس تطل على النيل الأزرق . وليس هناك مقارنة فى فخامة مبانيها ونظافتها بالنسبة لمساجد المنطقة وكذلك الأمر فى الخرطوم بحرى تطل بعض كنائسها على النيل الأزرق وتجاور جامع بحرى الكبير وتتفوق عليه فى العلو والجمال الهندسى . وهذا يعنى أن العاصمة المثلثة صار يطغى عليها الطابع الكنسى فى عمارتها بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من سكانها مسلمون . مما يعطى انطباعاً خاطئاً للوافد والزائر !

كما أن كثيراً من المؤسسات الكنسية كمدارس اللاهوت والأندية المسيحية تحتل مواقع استراتيجية هامة . فمثلاً النادى الكاثوليكى يطل مباشرة على مطار الخرطوم وهو أول مبنى خارج المطار يقع عليه نظر القادم . وقد تحصلت الكنيسة الكاثوليكية على قطعة أرض مساحتها مائة ألف متر مربع بجوار المطار الجديد بالخرطوم بحرى لتقدم ذات الانطباع . كما أن هناك ظاهرة جديدة ألا وهى ظاهرة بناء الكنائس ما أمكن حتى أخذت تقوم دون تصديق فى المناطق السكنية كـ(أمبدة) جنوب و(أمبدة) شمال وفى مدينة الثورة وفى حى كوبر وحلفاية الملوك والاماب بحر أبيض والعزوزاب والتى بلغ عددها ستا وعشرين كنيسة .

وقد عمدت الكنيسة فى السنين الأخيرة إلى القيام بنشاط ضخم فى مجال التبشير وتوزيع المطبوعات وإقامة معارض الكتب المسيحية بأسعار رمزية فى الجامعات وعلى البواخر التى تقوم برحلات نيلية مجانية ترفيهية . كما عمدت إلى تجنيد أعداد كبيرة من أبناء المناطق المتخلفة كباعة كتب فى أركان ميدان الأمم المتحدة وأسواق بحرى وأمدرمان . كما يقوم هذا النفر بتوزيع هذه الكتب أحياناً بالمجان وأحياناً بأسعار رمزية على الأسر والأطفال فى مناطق الأطراف والأحياء الشعبية . وهى أنماط مختلفة من الكتب . فمنها أدب الأطفال والقصص وقصص الأنبياء كما وردت فى أناجيلهم بالإضافة إلى الكتب الفكرية التى تحارب الإسلام وتشكك فى عقائده وتسب النبى محمد « صلى الله عليه وسلم » وقد انتبهت سلطات الأمن لهذا النشاط . فقامت مؤخراً بإغلاق دار (الشبيبة المسيحية) وصادرت ما فيها من كتب تتهجم على النبى « صلى الله عليه وسلم » وتشكك فى الدين الإسلامى وتثير الشبهات حول موقفه من المرأة والرق .. الخ .

وقد وجدت بها مئات الآلاف من الكتب والغريب فى الأمر أن تلك الدار كانت تعمل لسنوات دون تصديق من أى جهة فى الدولة وظل يديرها عدد من الشباب الألمان[٢] .

وللكنيسة معاملة خاصة تميزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية والدينية المماثلة فالسفر على خطوط السكة الحديد يمنح للعاملين فى الكنيسة بنصف القيمة وكذلك العلاج . أما الإعفاءات الجمركية فقد شملت وكالات الإغاثة المسيحية[٣] التبشيرية ومجالس الكنائس وهيئاتها . بل إن هذه التسهيلات والإعفاءات دفعت الكنائس لإقامة شركات ومؤسسات حتى تستفيد من هذه الإعفاءات . وتستطيع الكنائس اليوم وحسب الاتفاقيات الواردة تحت المادة (١٩٠)

(١) (أ) مع مدير الجمارك إدخال ماتريد إدخاله من أثاث وعربات وناقلات ومعدات ومشتقات بترول ووسائل اتصال ومواد بناء وملابس ومأكولات عن طريق أكثر من ثلاث عشرة مؤسسة . وبالرغم من قانون الجمارك الذى يمنع بيع هذه المواد المعفاة من الجمارك إلا أن بعضها يصل الأسواق ويباع بسعر تجارى يدر عائداً طيباً على بعض المؤسسات التبشيرية فتستغله فى تكثيف نشاطها التبشيري .

ماذا يعنى هذا كله ؟

يعنى التآمر على السودان بكل ماتمثله هذه الكلمة ... تآمر يستهدف الإسلام كعقيدة ، وتآمر يستهدف السودان لإخراجه من حظيرة الإسلام والعروبة ، تآمر رسمت خططه وخطواته لتنفيذ هذه المؤامرة بأبعادها الخطيرة .

●●●●

وفى هذا الحوار الذى أجرته مجلة « الحوادث اللندنية » مع الفريق محمد سوار الذهب ـ قبل تنازله عن السلطة ـ تنكشف أبعاد هذه المؤامرة التى توضحها هذه الإجابات وهذه الأسئلة :

● س : إن البيانات والمنشورات التى صدرت عن حركة التمرد أظهرت وكأن السودان بات مستهدفاً فى عروبته وانتمائه الإسلامى ، عبر دعوة التحريض على « تخليص السودان من حكم الأكثرية المسلمة فى الشمال » هل لديكم إيضاحات معينة فى هذا الصدد ، وما مدى خطورة هذه الدعاوى ؟ !

ـــ جـ : هناك حقيقة كبرى فى هذا الكلام ، من حيث التوجه العنصرى الذى أظهرته طبيعة الحركة المتمردة ، وأهداف المخططين لها .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

(٣) حدت السلطات مؤخرا من نشاط بعض هذه الوكالات فى التشكيل الوزارى الأخير .

فالهدف الحقيقى لهذه الحركة ، كما تظهر التحقيقات المستمرة ، هو تغليب العنصر الأفريقى المحض ، وإبعاد العناصر العربية المسلمة كافة من السودان ، والقضاء عليها ، فكما يتصور هؤلاء السودان هو فقط العناصر ذات الأصول الأفريقية ، وهذا المنطق غير مقبول ومرفوض ، ويستحيل حتى مجرد التفكير فيه .

● س : هناك تساؤلات كثيرة عن سر توقيت إثارة هذه الدعاوى العنصرية ، فى الفترة الانتقالية الحرجة التى يمر بها السودان ، ويعتقد مراقبون أن تفجير هذه « القنابل الزمنية » مرده إلى مخاوف حقيقية لدى السودانيين غير المسلمين ، بعد بروز واضح فى توجهات السودان الإسلامية منذ تطبيق الشريعة .

فهل تعتقدون أن المحاولة الأخيرة كان مبعثها الخوف ودافعها الحصول على ضمانات ، أم أن الأهداف الحقيقية أبعد من ذلك ؟

ـ جـ : أتصور أن ماحدث فى القوات المسلحة من مقدمات حركة تمرد ، كان مجرد صدفة ، وليس من المناسب القول أن فى السودان اتجاهات تغلب عليها وتحركها المشاعر الدينية المحضة . فحتى الأحزاب التقليدية ذات التوجهات الإسلامية تتميز بسماحة سلوكها واعتدالها وإذا ما طالب السودان بتطبيق الشريعة فلأن الغالبية العظمى من أبنائه هى من المسلمين ، والسودانى معروف بتعلقه بتعاليم دينه .

ـ س : السودان من حيث خصوصيته العرقية والمذهبية يمكن اعتباره ثغراً عربيا ومسلما ، فى موقع متقدم من القارة الأفريقية . فإذا ما استمرت الموجة العنصرية التى أشرت إليها ، وتكررت المحاولات ، هل سيعمد السودان إلى مناقشة هذه المستجدات فى إطار عربى أو إسلامى . أم أنه سيكتفى بمعالجة الأمور داخليا ؟

ـ جـ : فى المقام الأول ، لابد من معالجة هذه المستجدات الخطيرة داخلياً وإذا سمح لهذا التيار المعادى للعروبة وللإسلام ، بأن ينجح ، فلا شك أن الخطر يتهدد الأمة الإسلامية بكاملها ، فالسودان ، كما ذكرت ، ثغر عربى وإسلامى متقدم فى قلب القارة الأفريقية ، ولا غضاضة فى أن يهتم الأخوة العرب فيشاركوننا الإحساس بخطورة الأوضاع ، فى حال استمرار هذه الهجمة العنصرية ضدنا ، واحتمال مناقشة خطورة هذه الأوضاع فى إطار الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

● س : البيانات الصادرة عن القوات المسلحة أظهرت أن العقيد جون غارانغ أحدث تغييراً نوعياً فى استراتيجيته ، عبر توسيعه رقعة المعارك باتجاه الشمال والغرب ، والبيانات الصادرة بعد محاولة التمرد الأخيرة فى الجيش ، أظهرت وكأن قوات غارانغ حاولت الالتحام مع تحركات « حملة المظالم » فى جبال النوبة والغرب .

←

حفظ الله السودان

فهل استراتيچية « الكماشة » هذه تهدف إلى الالتفاف على الخرطوم ، بهدف فرض الحلول المناسبة لها ؟

ـ جـ : الكلام صحيح عن الاستراتيچية الجديدة التى توسع رقعة العمليات العسكرية صعوداً باتجاه الشمال ، والاستنتاج فى محله ، هذه النقلة النوعية الجديدة تتمشى وتنسجم مع أهداف العقيد الدكتور جون غارانغ التى صرح عنها فى أكثر من مناسبة وهى حكم السودان بشماله وجنوبه فى إطار نظام شيوعى ، وهذا لا يحتاج إلى دليل ، وكل الأدلة موجودة فى أدبيات حركة التمرد التى يتزعمها العقيد جون غارانغ منذ قيامها ، وبالتالى فإن استراتيچية الكماشة كما تحدثت عنها هى أيضاً ذات صبغة شيوعية ، وللأسف فإن أهدافها تجد قبولاً لدى جهات سودانية منتمية إلى هذا الاتجاه .

ولابد من القول أن جهات خارجية معروفة بانتمائها العقائدى اليسارى كانت ولازالت تقف مع العقيد غارانغ ، وتمده بالأسلحة التى استخدمها فى عملياته الأخيرة .

● س : يقول مراقبون إن النقلة النوعية فى استراتيچية حركة التمرد السودانى تهدف فى المدى البعيد إلى فتح أقنية على حملة دعاوى مذهبية مشبوهة فى داخل مصر ، بحجة بروز التيار الدينى هناك ، ومطالبة هذا التيار بتطبيق الشريعة الإسلامية .

فهل تعتقدون أن استراتيچية الكماشة فى طرفيها الجنوبى والغربى تشكل خطراً على مصر أيضاً ، وتهدر موزاييكها (تنوعها) السكانى ؟

ـ جـ : بما أن السودان يمثل عمقاً حيوياً مهماً للشقيقة مصر ، فإن كل ضيم أو خطر يصيب السودان لا سمح الله ، لابد أن يقلق الأخوة فى مصر ، ويكون مدعاة لانتباههم وعنايتهم .

والمخططات بعيدة المدى للحركة العنصرية الملتحمة مع حركة التمرد فى الجنوب ، لا يستبعد أن تتربص بأى بلد عربى مسلم وأفريقى يتميز بمواصفات حضارية تعددية ، تصبح ذات خطورة إذا حاولت جهات مشبوهة النفاذ منها إلى أمن البلد ، ووحدة ترابه وسكانه .

أحياناً ، يغرق المحللون فى التشاؤم ، مع أن ماتكشفه التحقيقات أولاً بأول قد يحرض على ذلك ، ويفترض بنا وبكل بلد عربى ومسلم الحذر واليقظة والانتباه[٤] .

● ● ● ●

هذه هى أهداف المؤامرة كما يقول الفريق سوار الذهب .

(٤) مجلة الحوادث ـ ٢٥/١٠/١٩٨٥م .

مؤامرة ضد الإسلام ..
ومؤامرة ضد العروبة ..
مؤامرة تستهدف السودان كله شماله وجنوبه وشرقه وغربه ..

مؤامرة لن تتوقف حتى يتوقف « قلب السودان المسلم » عن النبض وحتى يقطع صلته بالإسلام والعروبة فى الشمال والشرق .. ؟!!

وبالرغم من « الصبغة الماركسية » التى تظهر فى منشورات حركة التمرد إلا أن الأمر ليس بهذه السهولة .. وبهذه البساطة فالأفعى الصليبية فى الغرب تجيد تغيير جلدها حسب كل حالة ، كما تجيد تغيير تكتيكها وأسلوبها حسب كل مرحلة .

« فجون جارنج » تعلم فى مدارس الكنيسة ، وحصل على الدكتوراه من أمريكا ، وأمريكا ـ كما يعرف الجميع ـ تجيد صناعة العملاء ، كما تجيد صناعة « المكياج » !!!
فلا مانع من أن يكون العميل « شيوعيا » يؤله ماركس أو بوذيا يقدس « بوذا » وكونفشيوس .

المهم أن ينفذ المخطط ، وأن يلتزم بالتعليمات التى تأتيه من قضاة « محاكم التفتيش » الذين يترصدون بالإسلام والمسلمين كل مرصد ، والذين لا يزالون أحياء فى لندن وباريس وواشنطن ..

يتبع / د . عبد الودود شلبى

أزمة الاستشراق الهولندى

الاستشراق المعاصر :

مع بداية الخمسينيات شهد ميدان الدراسات العربية والإسلامية ثورة فى المناهج والأساليب واختيار الموضوعات . وقد نجمت هذه الثورة نتيجة للتغييرات التى شهدتها البلدان الغربية من جهة كذلك لحصول الدول الإسلامية المستعمرة على استقلالها . ويمكننا أن نميز بين مدرستين ومنهجين مختلفين فى هولندا .

فهناك : أولاً : من يتبعون المنهج الدينى فى كتاباتهم ويدرسون الإسلام بنفس « منطلقات دراسة اللا هوت » وهذه المدرسة قوية فى « أوترخت » ، و « ماستريخت » وبدرجة أقل فى جامعة ليدن .

المدرسة الأخرى تدرس الإسلام والعالم العربى باستخدام مناهج التاريخ وعلم الاجتماع وهى غير لاهوتية وهى قوية فى أمستردام وليدن وسأعرض بتفصيل لكتب أساتذة من المدرستين بإيجاز أحياناً وبالتفصيل أحياناً أخرى حسب أهمية الباحث من وجهة نظرى الشخصية .

السفسطائى : نيونهوز

السفاسطة أصحاب مدرسة فلسفية يونانية قديمة ، كان عملهم الأساسى تعليم الشعب وكان منهجهم هو الجدل ، وكان باستطاعتهم دائماً أن يثبتوا القول وعكسه ، وأول وأكبر سفسطائى فى مجال الدراسات الإسلامية فى هولندا هو أستاذ علم الاجتماع بمعهد الدراسات الاجتماعية بلاهاى المدعو : (نيونهوز) . ألف هذا الأستاذ عدداً كبيراً من الكتب ، وله عشرات المقالات العلمية وهو رجل علم معاصر ملم بعدد من البلدان الإسلامية إلماماً كبيراً وبخاصة مصر وأندونيسيا ، وهو يكتب دراسات اجتماعية بدون منهج أو مُسَمَّى ولست هنا فى مجال التعقيب على كل أعماله لأننى لم أطلع عليها كلها ، وبطبيعة الحال لم أدرس كل المجتمعات التى كتب عنها دراسات وافية . لكن أراد الله فوقعت على كتاب ضخم جداً ألفه بعنوان

بقلم: إيهاب محمد مهدلى

« سوسيولجيا الشرق الأوسط » وفى المقدمة شن هجوماً شديداً على المستشرقين الذين يدرسون الشرق الأوسط باستخدام التاريخ والمناهج اللغوية وطالب بما يشبه وضع الاستشراق فى كفن وتحنيطه ، ثم جاء كتاب أدوارد سعيد عن الاستشراق ، وأثار كتاب سعيد ضجة مشهودة فى الغرب أكثر من الشرق ، فقد تصدى للدفاع عن المستشرقين ـ الواجب وضعهم فى المتحف حسب كلام نيونهوز . فأخذ نيونهوز على عاتقه إتهام البروفيسير ادوارد سعيد بالجهل وأن قيمة بحثه أقل من الصفر ، هذه الزئبقية موجودة فى كتابه عن (سوسيولجى) الشرق الأوسط ، وفى المراجع التى يستخدمها وأغلبها كتب مستشرقين لغويين وتاريخيين ، وحينما يعرض للصراع العربى ـ الإسرائيلى نقرأ عجباً . فهذا الصراع الدموى الذى نعانى منه يقول عنه نيونهوز : إنه نتيجة « للتمحور العرقى » فعنده لا الدين ولا التاريخ ولا الجغرافيا ولا القومية أو حتى الصراع بين الدول الاستعمارية والمستعمرة أو أى شىء أدى إلى استمرار الصراع .. وهو رأى يمكن قياسه بالقول أن كل إنسان « أنانى » وهذا منه لا شرح ولا تفسير .

.أما حينما يتحدث عن مصر ـ وهى بلادنا التى نعرفها أحسن معرفة ـ نجده يقول : « صورة نموذجية لمجتمع الاستبداد الشرقى بنظامه الهيدرولكى فى الرى والعلاقة بين الحكام والمحكومين قائمة على « الاستسلام الكامل ، الرعب الكامل ، الوحدانية الكاملة » كما قال « كارل ويتفوجول » وبطبيعة الحال فإن ما قاله هذان السيدان هو « التزوير الكامل والتناقض الكامل » .

بروخمان الجلاد :

ألف البروفيسير يان بروخمان أستاذ الأدب العربى بجامعة ليدن العديد من الكتب عن القانون الإسلامى أى الشريعة . وأتم العمل الكبير الذى بدأه فنسنك فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى . وهو عمل سيكفل له الخلود .

منذ حوالى العام ونصف العام نشر كتاباً عن (الأدب العربى فى مصر من عصر النهضة حتى الثورة) ويغطى كتاب بروخمان فترة طويلة جداً زمنياً ، وأصل الكتاب هو المحاضرات التى ألقاها الأستاذ على طلبة قسم اللغة العربية بجامعة ليدن ، فهو محاضرات جامعية أى كتاب أكاديمى بكل ما تعنيه الكلمة من معان .

يقع الكتاب فى ٤٣٩ صفحة وبه اثنا عشر جزءاً ، ويحتوى كل جزء على ستة فصول فى المتوسط .

من يبدأ فى تقليب صفحات هذا المرجع سيدهش من التوثيق ، فالرجل قرأ كل كلمة

تقريباً عن الأدب العربى الحديث . ويوجد أسفل كل صفحة عشرة هوامش فى المتوسط .. لكن بروخمان ، وهو يكتب الكتاب وقع فيما أعْتَقِدُ أنه خطأ كبير ، فقد أراد أن يكتب عن كل مدرسة أدبية على حِدَةٍ ثم يعرض بالتفصيل لما كتبه الأديب أو الشاعر أو الناقد ، ويذكر نبذة عن حياته الشخصية ويختمه بقائمة بأعمال الكاتب .. ولأنه يغطى حوالى الخمسين شاعراً وأديباً وناقداً فى مساحة محدودة فإنه تقشف كثيراً جداً فى استخدام الكلمات . وكان من الأفضل أن يكتب الكتاب فى جزءين يغطى بهما تغطية أكبر إبداعات المبدعين الفنيين .

على أية حال نجد الأستاذ بروخمان يعترف فى المقدمة بأن الكتاب سيغيظ القارىء العربى ، والسبب الذى ذكره هو اعتماده على مراجع غربية فى الكتابة .

والحقيقة أن ما أغاظنى ليس الاعتماد على الكتب الغربية . فهو متأثر جداً بكاتبين غربيين فى الموضوع أولهما كتاب اليهودى المصرى الأصل ، الصهيونى الأمريكى والأستاذ بجامعة هارفارد : نداف سفران ، المعنون (مصر : البحث عن هيئة سياسية) ، والكتاب الآخر للبريطانى السورى الأصل والأستاذ بجامعة أكسفورد ألبرت حورانى : (الفكر العربى فى عصر النهضة) .

يشذ بروخمان عن الأستاذين المذكورين بأنه لم ير أى رجل عربى له قيمة فنية أو أدبية أو حتى علمية . فعنده :

أن رفاعة الطهطاوى أبا الثقافة المصرية « لم يكن مجدداً أو منفتحاً وبالرغم من مواهبه الأدبية فإنه لم يبز أو يصل لمستوى فنى مرتفع .

أما البارودى رب السيف والقلم كما نسميه « لم يكن شاعراً يكتب من وحى أفكاره ، وإنما استقى قدامى الشعراء » .

وأمير الشعراء « شوقى » وصفه للطبيعة (مبطط) ويكتب لإثارة الشفقة لاستحثاث المشاعر ، ومع أن شعره محكم إلا أنه غير مقنع ، لم يجدد شوقى فى شىء ولم تضف مسرحياته جديداً للمسرح المصرى .

أما شاعر النيل حافظ إبراهيم فإنه « سيكون مضيعة للوقت البحث عن مشاعره الشخصية فى شعره » .

ونجيب محفوظ « لم يعد لديه ما يقوله بعد الثلاثية » .

« وطه حسين » عمله الأدبى الوحيد الذى يستحق التقدير هو الجزء الأول من الأيام .

وهكذا لم يكتب الأستاذ كلمة حق عن أى شاعر أو أديب أو ناقد

فاردنبرخ : الراعى الطيب :

البروفيسير فاردنبرخ هو أستاذ الدراسات الإسلامية فى كلية اللاهوت بجامعة أوترخت ، وهو أكبر متخصص هولندى فى شئون الإسلام لا المسلمين وإن كان يعمل كمستشار لحكومته لشئون المسلمين فى هولندا .

إن تقييم أعمال فاردنبرخ عملية شديدة

الصعوبة ، فهو أستاذ لاهوت . والمثل الأعلى للاهوتيين هو الراعى الطيب ، الراعى فى الإسلام هو الأعرابى = المنافق[1]

على أية حال ، نشر فاردنبرخ أول أعماله فى بداية الستينيات باللغة الفرنسية وكان دراسة بعنوان « الإسلام فى مرآة الغرب » وفيها يعرض لأعمال خمسة علماء غربيين أو مستشرقين هم : المجرى جولد زيهر ، والألمانى بييك ، والفرنسى ماسينيون ، والهولندى سنوك ، والبريطانى ماكدونلد .

وهى دراسة ممتازة ، وإن كان يعيبها شىء واحد هو عدم معرفة الكاتب بالإسلام من الكتب الإسلامية العربية فهو لا يعرف لغة الضاد وبالتالى فعمله كان تمجيد المستشرقين المذكورين ، ولم يقم بنقد أى منهم كما لم يذكر آراء المسلمين فيهم .

وقد قامت وزارة الخارجية الفرنسية بتمويل الدراسة وهذا شىء ذو دلالة لا تغيب عن أحد .

ومع ذلك فمن يريد أن يعرف آراء المستشرقين المذكورين فى الإسلام يتوجب عليه الرجوع إلى دراسة فاردنبرخ فيها تلخيص واف لآرائهم ودراساتهم .

بعد ذلك نشر فاردنبرخ تلخيص لكتاب الفلسطينى إبراهيم أبو لغد المعنون « العرب : إعادة استكشاف أوروبا » وإن لم يذكر ذلك صراحة وقد قامت إحدى المجلات العربية بترجمتها من الفرنسية للعربية دون انتباه للحقيقة .

ولفاردنبرخ كتاب باللغة الهولندية عن الإسلام ، ويضم الكتاب مقالات بأقلام كل المستشرقين فى هولندا ، ولا يوجد به جديد بالنسبة للمسلم ، وأهمية الكتاب تكمن فى أنه أول عمل باللغة الهولندية عن جوانب الإسلام التاريخية والجغرافية والدينية إنه أقرب للموسوعة الصغيرة ..

أما نظرية فاردنبرخ الأساسية عن الإسلام فهى مثيرة للسخرية ومع ذلك فهى تستحق الإشارة إليها :

يعتقد فاردنبرخ أن هناك إسلامين لا إسلام واحد : إسلام رسمى ، وإسلام شعبى .

الإسلام الرسمى : هو الإسلام الذى بشر به ابن تيمية .

والإسلام الشعبى : هو إسلام المتصوفة والإخوان المسلمين والشيعة والخوارج .

هذه النظرية المضحكة مبنية على كتابات الرحالة الأوروبيين للعالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر وتدل على سوء فهم صاحبنا للإسلام فابن تيمية مجتهد وفقيه وينتمى فقهه لمذهب أحمد ابن حنبل ، ولا يمثل سلطة فكرية إلا عند السلفيين .

ثم ومتى كان هناك إسلامان ؟

إنه يخلط بين الفقه والتشريع والممارسات والمنظمة الدينية وهو تفكير قريب من تفكير رجال الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ولا يمت للإسلام ودراسته بصلة .

(١) هذا ما يراه فاردنبرخ .

أزمة الاستشراق الهولندى

الراهب : يانسن

الراهب يانسن يحاضر عن الإسلام فى جامعة ليدن وسبق له العمل بالقاهرة فى المعهد الهولندى . ومستواه شديد التواضع

وقد نشر كتابين : أولهما عن تفسير القران الكريم فى مصر . وثانيهما عن الفريضة الغائبة .

يضم الكتاب الثانى ترجمة كتاب تنظيم الجهاد للانجليزية ، وعدة مقالات كان المذكور قد نشرها سابقاً فى الصحف الهولندية .

ويعانى (يانسن) من صعوبة كبيرة فى الكتابة ولهذا يلجأ إلى أسلوب الدعاية ، وهو يجهل مصر بشكل فظيع فعنده أن حزب الأحرار هو حزب اليسار . والأثرياء فى مصر هم الضباط وغير ذلك من المضحكات .

وفى مقالته عن « الشيخ شعراوى » يقول : إن هذا العالم الجليل يشبه يوحنا المعمدان الذى كان يبشر بقدوم السيد المسيح ، والشعراوى يبشر بقدوم المسلمين للحكم .

ثم يعرض لآراء وفتاوى الشيخ شعراوى فى الجن وغير ذلك من الشواذ .

وفى دراسة أخرى عن الشيخ كشك يذكر اسم (كشك) أكثر من ثلاثمائة مرة فى ثمانى صفحات تكرار مبالغ فيه جداً وهى مثل دراسته عن الشعراوى وكتاب الفريضة الغائبة يلجأ إلى عرض النصوص . ولا يوجد بكتاباته أى تحليل وإنما نقل من الصحف المصرية وترجمه من العربية إلى الانجليزية وحتى الترجمة ليست له فقد أشار فى المقدمة إلى أن سيدة أمريكية قامت بها . أما فى كتابه عن (تفسير القرآن) فنقرأ أن تفسير سيد قطب فى ظلال القرآن ليس إلا خطباً إنشائية ، وأن القرآن عند المسلمين له نفس مكانة المسيح عند المسيحيين وهى نظرية نشرها المبشر الكندى المعروف كونتويل سميث عام ١٩٦١ معتقداً أن هذه المقارنة ستيسر له نشر المسيحية بين المسلمين عن طريق التقليل من شأن رسول الإسلام . ويختم يانسن بقوله : إن تفسير القرآن عملية « مصطنعة » .

الخلاصة :

لقد اعتدنا فى العالم العربى اعتبار المستشرقين مجرد عملاء ، لا علماء ، وفى الحالة الهولندية يمكننا أن نجد أكثر من مستشرق ادعى الإسلام وذهب إلى العالم العربى الإسلامى . وإذا كان (سنوك هورخورنيه) هو صاحب هذه البدعة فإن تلميذ تلميذه الدكتور (فريد دويونج) تبعها فى السبعينيات حيث ذهب إلى مصر ليدرس الجماعات الصوفية وادعى فى مصر : أنه مسلم واستطاع الحصول على ثقة كثير من الشيوخ الذين زودوه بمعلومات هائلة عن تنظيمات وأعضاء الفرق الصوفية ، وقد أشار فى دراساته المنشورة إلى بعض معارفه النافذين جداً فى مصر ، والأنكى أنه يقوم بنشر دراساته فى إسرائيل وهو أستاذ فى (أوترخت) ولم أتعرض لدراساته لأنه (منافق) من جهة ولأنه ذو علم هائل فيما يتعلق بالتصوف والمتصوفة فى مصر بل يمكن

البقية "ص ٤٩٣"

الدولة الإسلامية

الحقوق الاجتماعية ٢

للعميد : أ.ح
د. فوزى محمد طايل

العمل قيمة اقتصادية واجتماعية :

لقد كرم الإسلام العمل ورفعه إلى مصاف العبادات ، فهو فرض عين على القادر من حيث كونه عملا ، وهو فرض على الكفاية من حيث نوع العمل الذى يؤدى . فكما عبر عن ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن عدد أنواع الأعمال والصناعات : « إن هذه الصناعات فرض على الكفاية ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها » ، فالعمل واجب وشرف ، وهو ضرب من ضروب الجهاد[١]

وقد حرص الإسلام على ألا تعطل طاقة من الطاقات الإنتاجية فى المجتمع ، فقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يأخذ أحدكم الحبل فيأتى بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . فالعمل فى نظر الإسلام هو الوظيفة الطبيعية لكل حى وهو سر الخلق ، والحكمة فى الوجود ، وهو إضافة مستمرة للدخل القومى ، وللقوة الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، كما أنه معيار للتفاضل بين الناس .

وإتقان العمل سمة من سمات المسلم الحق ، إذ يقول رسول الله ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . (رواه البيهقى) ، وكلما زاد إتقان العمل وتنوع ، وبذل فيه العامل غاية جهده ،

←

(١) تقدم المجلة هذا الجزء من البحث على مسئولية كاتبه ، ولأى متخصص فى الشريعة الشريفة إذا رأى ما يستحق النقد فواجبه أن يتقدم بنقده إلى المجلة التى ستقوم بنشره (التحرير) .

واستخدم منتهى علمه ، تقدم المجتمع وارتقى ، كما أن آية الرقى الاجتماعى والاقتصادى فى مجتمع هى مدى إتقان العمل .

وتمثل محاربة البطالة فى المجتمع واعتبارها سبة فى جبين العاطل ، إن كانت نتيجة تقصير منه لعدم السعى فى طلب الرزق ـ عاملا اجتماعيا إيجابيا يؤدى إلى الإقلال من الجريمة واقتراف الإثم ، وإلى القضاء على روح الكسل واللامبالاة والسلبية ، كما تؤدى إلى رفع الروح المعنوية بين أفراد المجتمع ، وإلى إحساس كل فرد بكرامته وقيمته فى المجتمع بقدر مساهمته فى رفعة شأنه وإسعاد الآخرين ، فيبرأ المجتمع من الأمراض وتزداد مصادر قوته الاجتماعية والاقتصادية .

الحقوق المتفرعة عن حق العمل

١ـ حق العامل فى الحصول على أجر:

هو أهم الحقوق المتفرعة عن حق العمل ، ولقد حض الإسلام على ضرورة تحديد الأجر فى عقد العمل ، ونهى عن استئجار الأجير حتى يعلم أجره . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ . . (القصص / ٢٧) . وقال رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه النسائى : « من استأجر أجيرا فليعلمه أجره » . كما روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « ظلم الأجير أجره من الكبائر » . وقد نهى الإسلام عن أعمال السخرة أو تشغيل العامل بأجر لا يتناسب مع ما قام به من إنتاج فيقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ . . (الأعراف / ٨٥) ويقول جل شأنه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأحقاف / ١٩) ، فإذا ما رضى العامل مرغما أن يعمل دون « أجر المثل » ، أو تضمن عقد العمل شروطا مجحفة به ، كان له أن يقتضى حقه كاملا من رب العمل ، كمن اضطر إلى بيع سلعته بأقل من ثمنها الحقيقى . وعلى القاضى ، إذا رفعت إليه الخصومة ، أن يمكن العامل من ذلك ، وأن يرد الأجر إلى أجر المثل ، وأن يلغى الشرط المجحف بالعامل .

إن معيار الاتفاق على الأجر فى العمل الإنتاجى هو قيمة ما يُنتَج من سلع أو خدمات . فإذا ما علمنا أن الإسلام قد ساوى فى الأهمية بين عنصر رأس المال وعنصر العمل أيا كان النشاط الإنتاجى ، سواء أكان ذلك فى التجارة ، أم فى الصناعة ، أم فى الزراعة ، أم فى إدارة العمل لصالح صاحب رأس المال بصفة عامة . وجعل الربح مشاركة بين صاحب العمل وعماله ، لأمكننا القول بأن الإسلام قد رفع من قيمة العمل ، وكرم العامل وجعله يحصل على كامل حقوقه ، ولأدركنا مدى العدالة التى قررها الإسلام فى العلاقة بين رب العمل وعماله ، ومدى التضامن بينهم بما يضمن رفع الإنتاج . وبذا يظهر تفوق ما جاء به الإسلام على كل النظريات الحديثة فى هذا المجال .

والإسلام يكفل لكل عامل من عمال الدولة حدا أدنى من الأجر ، هو « حد الكفاية » ،

أى إشباع كل حاجات العامل من مأكل وملبس ومسكن وما إليها . روى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة » . فالدولة احتجزت العامل عن أن يسعى على رزقه ، فكان حقا عليها أن توفر له كفايته من بيت مال المسلمين مقابل عمله الذى يعود بالخير على المجتمع الإسلامى كله .

وأيا كان نوع العمل ، وأيا كانت علاقة العمل وشروط العقد فإن للعامل أجرا إضافيا إذا هو كلف بعمل يفوق المعتاد أو المتفق عليه . قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى : « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإذا كلفتموهم فأعينوهم » . والإعانة هنا تكون بالأجر الإضافى أيا كان مسماه وإعطاء الأجر على العمل الإضافى هو إعانة بلا ريب .

٢ـ حق العامل فى الراحة والفراغ :

إن للعامل الحق فى أن تحدد له ساعات العمل ، وأن يعطى وقتا للراحة والفراغ لأداء العبادات ، والقيام بحق الزوجة ، ورعاية الأبناء ، والراحة والترويح عن النفس ، وكل ذلك يعد إعمالا لمبدأ « دفع الحرج والمشقة » ، وهو من المقررات الشرعية الإسلامية . يقول رسول الله ﷺ : « إن لنفسك عليك حقا ، وإن لجسدك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا » (رواه البخارى) .

٣ـ حق العامل فى الحماية الاجتماعية :

للعامل الحق فى التعويض العادل عن أضرار العمل وعن أمراض المهنة ، ويقع هذا التعويض على عاتق صاحب العمل إعمالا للقاعدة الشرعية « الغرم على قدر الغنم » .

ولما كان العامل مواطنا كسائر مواطنى الدولة الإسلامية فإن له حق الرعاية الصحية وحق الحصول على نصيب كافٍ يعينه فى حالات العجز عن الكسب والشيخوخة طبقا لمبدأ التكافل الاجتماعى فإن لم يكن له من يعوله ويسد حاجته فى تلكم الحالات وقع عبء ذلك على بيت مال المسلمين .

٤ـ موقف الاسلام من بعض الحقوق الحديثة المتفرعة عن حق العمل

تقرر « الدساتير » الحديثة ـ ضمانا لجعل شروط العمل ملائمة وحماية لحقوق العمال ـ حقين أساسيين هما :

حق تكوين النقابات ، للدفاع عن حقوق العمال ، ولمناقشة شروط عقود العمل مع أرباب الأعمال .

وحق الإضراب الذى يؤكد حرية العامل فى أن يعمل أو لا يعمل ، حتى لا يقع العمال تحت سيطرة وجشع أرباب الأعمال .

إن حق تكوين النقابات لا يتعارض مع المبادىء العامة الإسلامية التى تدعو إلى التعاون على البر والتقوى ، ودفع الظلم عن المظلومين ، فضلا عن كون النقابات تعد وسيلة من وسائل التكافل الاجتماعى لما تقدمه من خدمات اجتماعية وثقافية وتأهيلية لأعضائها إذا أدت أعمالها على الوجه الذى يرضى الله ورسوله .

بيد أن حق الإضراب لا يتمشى ـ فى رأينا ـ مع المبادىء العامة للإسلام ،

←

فلا يجوز اعتباره حقا من حقوق العمال ، إذ أنه يؤدى إلى إحداث الاضطراب فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وإلى تعطل مصالح الناس والإضرار بها .

ولما كان « دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح » و « الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام » فعلى السلطة العامة ألا تسمح بالإضرار بالمصلحة العامة للمجتمع ، وعليها أن تزيل المفسدة مع رد الظلم إذا كان هناك ظلم وقع على طائفة من طوائف العمال ، ويكون تدخلها كما يقول الإمام ابن القيم فى « الطرق الحكمية » : « لحمل أرباب الحرف والصناعات على العمل بأجرة المثل إذا امتنعوا عن العمل وكان فى الناس حاجة لصناعاتهم وحرفهم » .

وفى مقابل عدم جواز الإضراب فإن على السلطة العامة أن تتدخل لإقامة العدل بين هؤلاء وهؤلاء ، فتمكن العمال من الحصول على الأجر العادل ، وتلغى الشروط الجائرة فى عقد العمل فتحافظ بذلك على حقوق العمال ، وتستقيم الأمور ، ويتحقق التوازن بين الأطراف ، وينجو المجتمع من الاضطراب والفوضى .

ثانيا : الزكاة . تحصيلها وانفاقها فى مصارفها الشرعية

١ . شمول تشريع الزكاة :

الزكاة تشريع مالى إسلامى شرع للحفاظ على التوازن الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى ، وأداة من أدوات التكافل الاجتماعى ، وهى الركن الثالث من أركان الإسلام لقول رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » (رواه البخارى) .

والزكاة تشريع شامل من حيث دافعيها ومن حيث الأموال الخاضعة لها وكما أن الزكاة واجب على القادر عليها ، فهى حق لمستحقها لقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ . (المعارج ٢٣ - ٢٥) .

ولذا فإن المال إذا وجبت فيه الزكاة لا يجوز بيعه ، وإذا باعه صاحبه يكون بيعه باطلا ، لأنه بوجوب الزكاة صار غير مالك للمال كله ، فإذا باعه فقد باع ما يملك مع ما لا يملك ، والبيع على هذا الوجه يكون باطلا .

٢ . السلطة العامة مسئولة عن جمع وتوزيع الزكاة

لم يترك الإسلام أمر الزكاة لضمائر الأفراد إن شاءوا أدوها كيف يشاءون ووقتما يشاءون وإلى من يشاءون ، وإنما أمر الله تعالى بتحصيلها فى قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ . . (التوبة / ١٠٣) ، وحدد سبحانه أوجه إنفاقها فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ

وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة / ٦٠) .

فالسلطة العامة تقوم بجمع الزكاة امتثالا لأمر الله ولقول رسول الله ﷺ : « من أداها مؤتجرا فله أجرها ، ومن أباها فإنى آخذها وشطْر ماله » (رواه النسائى) ، وأن تنفقها فى الأوجه الشرعية التى حددها الله تعالى .

إن ترك الزكاة لضمائر دافعيها قد يؤدى إلى ألا يحصل الفقير على حقه إذا ضعفت الضمائر واستولى الجشع وحب المال على الناس . كما أن قيام الدولة بهذا الأمر يمنع وجود اتصال مباشر بين دافع الزكاة ومتلقيها فيكون التوزيع العادل لحصيلة الزكاة من جهة وحفظ كرامة متلقى الزكاة من جهة أخرى .

وتعد الزكاة واحداً من الموارد المالية الهامة لخزينة الدولة تستخدمها بهدف تحقيق تقدم المجتمع .

٣ـ الآثار الاجتماعية والاقتصادية للزكاة :

تعد الزكاة وسيلة من الوسائل الرئيسية التى تستخدمها الدولة الإسلامية فى إزالة الفجوات الاجتماعية بين الطبقات فيسود الأمن والأمان فى المجتمع .

إن الزكاة فى الإسلام تختلف ، فى مقدارها ، عما عرفته النظم السياسية قديمها وحديثها من عون مادى ، فهى ليست إلقاء لفضلات أموال الأغنياء للفقراء ، وإنما هى مقدار معلوم ، يمثل جزءاً من ثروة الأمة ودخلها القومى ، وهو قدر لو تعلمون كبير ، كما أن الزكاة لا تجوز شرعا إلا من أوسط مال المسلم إذ يقول الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ » (آل عمران / ٩٢) .

إن تشريع الزكاة يهدف إلى إغناء الفقير ، ووقايته نهائيا ذل المسألة ، وشر الفاقة ، وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لأكررن عليهم (أى على الفقراء) الصدقة (أى الزكاة) وإن راح على أحدهم مائة من الإبل » .

إن الحد المعقول الذى يعطاه الفقير المسكين هو أن نصل به إلى الحد الذى يحوله إلى قوة إنتاجية يفيد غيره ويوفر الخير على المجتمع كله . يقول الإمام النووى فى « المجموع » : « فإن كان عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته ، وآلات حرفته قلت قيمة ذلك أو كثرت ، ويكون قدره بحيث يصل له من ربحه ما يفى بكفايته غالبا تقريباً ، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص » .

إن الزكاة بهذا الشكل تغطى الإنفاق فى مجالات ترهق ميزانية الدولة فى وقتنا الحالى ؛ فهى حسب ما جاء فى القرآن الكريم يمكن أن تنفق فى مجالات : الشئون الاجتماعية والعمل (للفقراء والمساكين عامة ، وعلى طالبى العمل منهم بصفة خاصة) ، فنقضى بذلك على البطالة كما تغطى مرتبات موظفى بيت مال المسلمين (فهم العاملون عليها) ، ويمكن أن يعطى منها المسلمون حديثو الإسلام خارج الدولة الإسلامية ، لتأليف قلوبهم ، ولتشجيع غيرهم على الدخول فى الإسلام ، وهى تحل محل التأمين ضد الكوارث ، وتعطى لمن يعسرون أو يفلسون (وهؤلاء هم الغارمون)

←

وبذا ندعم الائتمان ، فتسود الثقة فى المعاملات ، الأمر الذى يساعد على التنمية الاقتصادية والانتعاش ، ويقضى على الكساد والركود .

ثالثا : نفقات الأقارب :

لعل أجدر المستويات الاجتماعية بالترابط والتماسك هو مجتمع الأسرة بمفهومها الواسع ، لذا فقد اهتم الإسلام بصلة الرحم . يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء / ٣٦) . ويقول عز من قائل : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ . (الإسراء / ٢٦) .

ولا يختلف فقهاء المسلمين حول تقرير دعوى قضائية للقريب أو لذى الرحم للمطالبة بحق النفقة ـ الذى هو حق قانونى (شرعى) ، وليس مجرد صدقة غير واجبة ـ إذا ما كان القريب أو ذو الرحم غير قادر على العمل ، أو يعمل ولا يستطيع أن يسد حاجته بما يكسب . وللقضاء الإسلامى أن يجبر القريب الموسر على الإنفاق على قريبه غير القادر . وإن القارىء لكتب الفقه ليجد تفصيل ذلك تحت عنوان (باب النفقات) . وما أظن أن التشريعات القديمة أو القوانين الوضعية فى الدول الحديثة قد اشتملت على مثل ذلك .

ومن صور العجز التى توجب الإنفاق « الصغر » ، و « المرض » الذى يقعد عن الكسب ، كذا « عدم القدرة على إتقان الصنائع » . كما أن « الأنوثة » تعد من حالات العجز فى بعض الوجوه . وعند فقهاء الحنفية : أن « لطلبة العلم » ، الذين ينصرفون لطلبه ، الحق فى النفقة بشرط أن يكونوا ناجحين . وتعد « البطالة » من صور العجز مالم يكن التعطل بسبب فساد خلقى أو إهمال أو تقصير .

والنفقة تشمل الطعام ، واللباس ، والتعليم ، والتزويج ، والحاجات الاجتماعية الأخرى حسب العرف السائد .

خلاصة هذا أن على الفرد المسلم أن يعمل ليسد حاجته وحاجات من يعول ، فإن كان عاجزاً انتقلت المسئولية إلى القريب الغنى (الأقرب فالأقرب) ، فإن لم يكن له قريب غنى كانت نفقته فى خزانة الدولة ، يقتضيها جبرا بالطريق الإدارى إذا رفض ولى الأمر التنفيذ اختيارا .

رابعا : العقوبات المالية الدينية (الكفارات ـ الدية) :

هى عقوبات تعبدية قدرها الشارع الحكيم عند ارتكاب أمر معين فيه مخالفة لأمر الله تعالى . ولا شك أن هذه العقوبات المالية الدينية تساهم فى سد الخلل الاجتماعى وتعد مصدرا من المصادر المالية للتكافل الاجتماعى .

وتنحصر الكفارات فى كفارة الأيمان ، والظهار ، وقتل الصيد أثناء الإحرام ، أو فى الأرض الحرام مطلقا ، والإفطار فى رمضان ، وحلق رأس المريض فى الحج . أما الدية

فتكون فى القتل الخطأ ، ويتحملها القاتل ، وعاقلته على حسب ما هو معلوم مقرر فى كتب الفقه .

خامسا : الوسائل الدينية التطوعية :

ليست الزكاة هى كل ما ينفقه المسلم القادر ، ولكنها تعتبر الحد الأدنى الذى يقوم القادر بإنفاقه وجوبا عليه ، ثم هناك وسائل أخرى متروكة للضمير الدينى ، وليس للسلطة العامة التدخل لإجبار من لم يقم بأدائها ، فهى محض عبادة بين العبد وربه .

هذه الوسائل تتمثل فى الصدقات غير المفروضة .

وإذا كان الإسلام قد ندب إلى الإنفاق التطوعى إلا أنه حذر من السؤال ونفر من قبول الصدقة إلا فى حالات قليلة ، وذلك فيه حفظ لكرامة المسلم ومنع له من الركون إلى الكسل وعدم السعى فى طلب الرزق .

لقد كرم الإسلام الإنسان ، لذا فقد فضل أن تكون الصدقة سرا بين المعطى والآخذ ، كما ارتفع بقدر الصدقة وجعلها تعاملا بين المعطى وربه ، وارتفع بالمتصدق فوق الشعور بالمن والمباهاة .

سادسا : الضرائب :

لم يعرف المسلمون على عهد رسول الله ﷺ اصطلاح الضريبة . بيد أن الدولة الإسلامية على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد شهدت نوعين من الضرائب هما « العشور » و « الخراج » وإن كان لفظ الضريبة لم يكن قد عرف بعد .

ومشروعية فرض الضرائب تستند إلى المصلحة المرسلة لمواجهة الإنفاق المتزايد للدولة فى أوجه غير داخلة فى مصارف الزكاة ، أو لأن الزكاة قد لا تفى بمتطلبات الإنفاق فى الدولة .

والحقيقة أنه لا تعارض بين الزكاة وبين الضريبة ، كما أن إحداهما لا تغنى عن الأخرى ، لأنهما تختلفان من حيث أساس وجوبهما ، ومن حيث أوجه إنفاقهما ، كذا فهما مختلفتان فى مصدر التشريع ، وفى الغاية ، وفى المقدار ، وفى الاستقرار والدوام .

ذلك ، وهناك من مظاهر التكافل الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى صور أخرى ككرم الضيافة والإحسان إلى الجار ، وهما من دلائل الإيمان بالله واليوم الآخر لقول رسول الله ﷺ :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » (رواه مسلم) ، كذا الجود ، والكرم وإنفاق فضل الأموال فى سبيل الله .

وإعطاء من حضر قسمة التركة من غير الوارثين لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (النساء / ٨) . كل هذه أيضاً من مظاهر التكافل الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى .

من كل ما سبق أن عرضنا له نجد أن الدولة الإسلامية تقر وتحمى الحقوق والحريات جميعا ، فتقر الحريات الاقتصادية ، وتقيم الحريات الاجتماعية ، وتحمى ممارسة الحقوق والحريات الفردية . فما الضمانات الفعالة التى تكفل كل هذه الأمور . هذا ما سنعرض له فى مقالنا القادم بإذن الله .

العلمانية

ضياع للدين والدنيا

احب فى البداية أن أقف بثبات ويقين على حقيقة الدين وكذلك على حقيقة العلم وخصائص كل منهما .. وحقوقه على النفس البشرية وكذلك حدوده التى يجب الا يتجاوزها داخل هذه النفس .. وبعد هذا التحديد نتصرف بشىء من الوضوح على الطبيعة الحقيقية للعلاقة الكامنة بينهما .

وأمل أن تكون تلك البداية الصحيحة فى مثل هذا البحث وأنا على كل حال اطمئن إلى ان الاتفاق على المسلمات والأصول منذ البداية يسهل الاتصال فى الفروع والجزئيات .

لقد وضع البعض الدين فى كفة الميزان والعلم فى كفته الأخرى حتى أصبح هناك خطر من أن يلتصق بأذهان الناس أن الدين والعلم جزءان أو قسمان فى كيان واحد وعلى الرغم من أنه كان يجب أن يكون من بديهيات المفكر المؤمن ألا يكون الدين جزءا من شىء بل لابد أن يكون كلا يحتوى أجزاء .

الديـــــن

إن الدين فى واقع الأمر هو رمز العلاقة بين الإنسان والكون .

وإذا كان انتماء الإنسان للكون هو الأوثق والأهم والأجدى فى علاقاته بالأشياء فلا شك أن تلك العلاقة التى تربط الإنسان به يجب أن تحمل معها أغلى الأمانى وأعظم الطموحات التى يطلبها الإنسان من وجوده .

أقول هذا بداية ليُفْهَمَ أن الإنسان ليس مضطرا إلى بناء هذه العلاقة بدافع الخوف من المجهول فقط ، وإنما بدافع الرغبة فى الخلود .. ذلك أن هناك إحساسا عميقا فى كل نفس بشرية يؤكد فكرة العودة والبقاء برغم فناء الجسد .. وأن هذا الشعور لن تُلَبِّىَ مطالبهُ أية علاقة أخرى غير تلك ، تفسر معنى حقيقيا لانتماء الإنسان للكون .. والدين هو

للدكتور: بكرى ياسين إبراهيم

الممثل لتلك العلاقة وهو حينما يحمل للإنسان تفسيراً كاملا لحقيقته فى الكون فمعنى هذا أنه يحدد له مجموعة أشياء فى مقدمتها ثلاثة :

أولها : هو المعرفة بالله ـ خالق هذا الكون ـ ومحتوى هذه المعرفة أن يتحدد لدى الإنسان من هو خالقه ؟ كيف هى صفات ذلك الخالق ؟ ماذا يريد من الإنسان على وجه التحديد ؟

ثانيها : المعرفة بالنفس البشرية ـ أى أن يتفهم الإنسان المحتوى الحقيقى لقدراته المادية والنفسية ويتحدد لديه المجال الذى يمكن أن تتحرك فيه تلك القدرات والمجالات الأخرى التى تحول طبيعته دون تجاوزها .

ثالثا : المعرفة للأشياء والمخلوقات الأخرى من حوله (شاملة معرفة الإنسان بأخيه الإنسان) ومضمون تلك المعرفة أن يتحدد لدى الإنسان فى البداية حقوقه لدى تلك الأشياء وواجباته تجاهها ـ ثم الوسيلة الشرعية التى عليه أن يستخدمها لأداء هذين الفعلين فى إطار القوانين الإلهية ، التى وضعت لتنظيم العلاقات بين المخلوقات المتعددة فى الكون الفسيح .. فلم ينفصل الدين عن الدنيا بل جعل العمل طريقا للآخرة .

والعمل فى الأرض لا يمكن أن يؤديه الإنسان فى صورة فردية تامة بل لابد من الاعتماد فيه على الآخرين وكذلك على الأشياء من حولهِ .. إذاً منشأ العلاقات بين البشر بعضهم البعض وبينهم وبين المخلوقات الأخرى ـ أمر تحتمه الضرورة (الحياتية) .

وبما أن البشر ليسوا سواسية فى أى جانب من الجوانب وبخاصة فى مدى التزامهم بالقيم الأخلاقية أو فى مدى نزوعهم إلى أحد جانبى الخير أو الشر ، إذاً كان لا يمكن للدين أن يكتفى بمجرد التوجيه أو التحديد الضيق للعمل الفردى فقط وإنما كان طبيعيا أن يتدخل لتنظيم العلاقات الاجتماعية فى أعم وأخص أشكالها .

هذا باختصار ما يخص أهم مفاهيم الدين .

العلـــــــم

أما العلم فلست أدرى ماذا يعنون على وجه التحديد حينما يذكرون هذا اللفظ ؟

هل يعنون العلم كترجمة للكلمة الإنجليزية science والتى يحدد القاموس الانجليزى معناها فى الـcavful study أى الدراسة المتأنية أو بالأحرى الدراسة المنهجية ..

أو أنهم يقصدون من وراء هذا اللفظ مجرد العلوم البحتة التى تتحدد طريقتها فى التجربة

المعملية .. على كل حال سأتصور الأمر على الوجهة الأولى لأنها الأعم والأشمل .

والواقع أن الدراسة المنهجية المتأنية الباحثة هى وسيلة دينية مفروضة على بنى الإنسان لكن لسبب ما من الأسباب التى دفعت أوروبا إلى نبذ الدين جانبا .. جعلتها بغير هذه الخاصية فى الدراسة المنهجية التى تهدف إلى ابتكار الإنسان واختراعه ومجهوده عبر الزمن .

فما كان من الأوروبيين إلا أنهم سعوا سعيا إلى إحلال العلم مكان الدين .. لذا فإنه يكون من الخطأ الكبير أن يقف الإنسان موقفا مضادا من العلم بدعوى أنه فشل فى إنقاذ الإنسان من الغرق أو فى إثبات هوية الإنسان الحقيقية فى تلك الحياة وإذا فعل الإنسان ذلك فإنما يعنى هذا أنه قد أخطأ فهم حقيقة العلم وكونه وسيلة من وسائل الدين ولكن بأى حال لن يكون العلم دينا جديدا ولنذكر هنا ما قاله يوما (سومرست موم) :

(إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها وأتت بإله جديد هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب فهو ينفى اليوم ما أثبته بالأمس ، ويثبت غداً ما نفاه اليوم ولذلك تجد عباده فى قلق دائم لا يستقرون) .

أوروبا إذاً قد صدمت فى حقيقة العلم لأنها أرادت أن تستبدل الدين به ، أرادت أن تستخدمه فيما لم يهيأ له وحاولت أن تجيب من خلاله بإلحاح على السؤال الأهم أعنى : لماذا ؟ فما استطاع العلم إلا أن يصف الظواهر ويجيب فقط عن (كيف)؟[٢]

إن العلم من أهم الوسائل الدينية لعمران النفس والأرض شرط أن يستخدم فى إطار الدين ، أما إذا استخدم فى أى إطار آخر فهو لن يؤدى فى النهاية إلا إلى الانحراف .

من ثم فالعلاقة بين الدين والعلم ليست هى العلاقة بين طرفى نقيض أو بين كفتى ميزان ، فالدين كيان كبير له خصائص ثلاث والعلم وسيلة هامة لتحقيق وتثبيت هذه الخصائص .

إذاً ما العلمانية ؟

وما المعنىّ بها على وجه التحديد ؟

وهل لها فى الأصل علاقة حقيقية بالعلم ؟

وما الأسباب التى دفعت إليها فى المجتمع الأوروبى ؟

وما الأسباب التى تدفع بعض المثقفين فى المجتمع الإسلامى إلى المناداة بها شريعة جديدة للمجتمع ؟

أسئلة كثيرة سنحاول الإجابة عنها بتحديد وإخلاص .

(٢) أهم سؤالين عن شىء ما ، لبيان كنهه هما السؤال عنه بـ : لماذا ، و « كيف » انظر فلسفة البراجماتزم .

أما الإجابة عن السؤال الأول : ما العلمانية ؟ فيمكن أن تكون فى ثلاثة فروع :-

الأول : حقيقة لفظ علمانية .. وهو فى اللغة الانجليزية يطلق عليه secular من secular-ism (وهو بمعنى لا دينى أو فصل كل أمر فى الحياة عن الكنيسة) هكذا تجد المعنى فى كل القواميس الغربية ، وإذا نحن تساءلنا : كيف ترجمت الكلمة إلى العربية على هذا النحو الذى يربطها بالعلم ؟ يجيب صاحب المذاهب الفكرية المعاصرة قائلا : « بكل تأكيد لا علاقة للفظ sicvlurism بالعلم لكن المارونيين المسيحيين اللبنانيين هم الذين نشروا اللفظ فى المجتمع الإسلامى على هذا النحو ، كى يغطوا حقيقته ويزينوه أمام الناس لأن المعنى الحقيقى له (اللادين) » ولو أنهم قالوه للمسلمين ابتداء لما استجاب لهم أحد .

هذه هى العلمانية من ناحية اللفظ .

أما كيف أضحى معناها من حيث المجاز فهذا ما سأحاول التوصل إليه الآن .. وقد يبدو ملاحظاً عند تحديد هذا المعنى المجازى أنه غير محصور فى شىء واحد يمكن استيعابه والاستقرار على حقيقته ..

على كل حال لقد توصلت إلى أن هذه الكلمة استخدمت مجازاً للإشارة إلى أوضاع ثلاثة :-

الأول : اعتبار معناها المجازى مشابها بصورة تامة لمعناها اللفظى على النحو الذى أوردناه آنفاً ..

وقد انتشر الداعون إليها على هذا النحو فى أوروبا خلال العصور الوسطى أو بعدها حيث كانت الثورة الحقيقية على الكنيسة وقد ورث دعوتهم مجموعة من مشاهير علماء النفس والاجتماع من أمثال (سيجموند فرويد) الذى قال : (إن تاريخ البشرية ثلاث مراحل أو عصور : عصر الخرافة ـ عصر التدين ـ عصر العلم) ثم حمد الشيطان على أن البشرية تخلصت من المرحلتين الأوليين إلى الأبد ودخلت المرحلة الثالثة التى يظللها فيها العلم وتتفتح لها أضواء المعرفة فتنير الطريق ؟

الثانى : وتمثله طائفة من بعض الشرقيين المتأثرين بالثقافة الغربية والدائبين على الاطلاع فى كافة نواحيها وهؤلاء استخدموا لفظ العلمانية أحيانا بمعنى التفكير الحر أو القراءة الحرة والاطلاع الحر فى كافة مجالات الحياة ... وليس فى الدين الإسلامى ، وربما فى معظم الأديان ، ما يحرم هذا الاطلاع الحر .

إنه بكل تأكيد لا يوجد ذلك ـ اللهم إلا إذا كان مثل ذلك التفكير مسبوقا بالتحرر التام من صفة المفكر الدينية حين الاطلاع ، فإن استدعاء الدين ضرورة للحكم على الأفكار الجديدة أو لحكم الأفكار الجديدة عليه ، فأما استبعاد الدين من ساحة العقل فى هذه الآونة بالذات فإنما يعنى عزلا مقدما له عن دائرة السلوك التى ستتكون حتما بصورة متناقضة مع تعدد المناحى وذلك بحكم القناعات المتعددة التى نشأت فى العقل الواحد . وأذكر

←

هنا فكرة (كتاب الـ الجاهلى) لطه حسين إنها نفس الفكرة الشيطانية التى أتحدث عنها والتى كادت أن تتسبب فى إلحاد الرجل نظراً لأنه استخدم فلسفته التى حيدت مخزونه الفكرى الإيمانى فى الوقت الذى كان استعماله ضرورة لمقابلة الأفكار الجديدة ..

أيضاً مما يعزز تصورى لانطباع العلمانية أو لإيمان البعض بالفكر الحر على هذا النحو هو أن هذا المصطلح (المفكر الحر) استخدم أيضاً فى أوروبا بمعنى المفكر الملحد - أى الحر من سيطرة الكنيسة .. وهكذا تجد ترجمته فى القواميس الغربية .

الثالث : ويشمل الجانب الأكبر من المتعصبين لفكرة العلمانية .. وهؤلاء هم الذين يرونها تتمثل فى فصل الدين عن الدولة واعتبار الدين عقيدة لا شريعة ويحسن بى هنا أن أنقل بعضاً من أفكار هذه الطائفة على لسان أحد أقطابها فى مصر وهو الدكتور فؤاد زكريا حيث يقول :

(إن الإنسان كائن متغير ومن ثم ينبغى أن تكون الأحكام التى تنظم حياته متغيرة ، وأن تغير الإنسان حقيقة أساسية لا يستطيع إنسان يحترم عقله وعلمه أن ينكرها ، وحقيقة التغير هذه تحتم أن تكون القواعد التى يخضع لها متغيرة بدورها ، وأن العقل البشرى البسيط والمباشر يأبى أن يكون هناك فى المجال البشرى ما يصلح لكل زمان ومكان ، ما دام الإنسان ذاته قد طرأت عليه تغيرات أساسية فى الزمان كما طرأت عليه تغيرات جوهرية فى المكان) .

أى فعبارة « الشريعة صالحة لكل زمان ومكان » عبارة وهمية فى عالم الدكتور فؤاد زكريا .

كذلك يضيف (... أن الحكم عملية بشرية أولا وأخيراً ، وإنه إذا تم شىء آخر غير ذلك فمعناه الحجر على الإنسان والحكم عليه بالجمود الأبدى .)[٣]

إذاً تلك الطائفة تعنى إبقاء الدين ، ولكن كمجرد عقيدة فى القلب واستبعاده من دائرة المعاملات فى كافة المجالات (الحياتية) من سياسة وقانون واقتصاد واجتماع .. الخ .



(٣) فؤاد زكريا (الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦ ص ١١ ، ص ١٢ .

ألبانيا والإسلام

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ
توفيق إسلام يحيى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

البانيا والإسلام

إن الكلام عن « البانيا والإسلام » يتطلب منا أن نذكر نبذة مختصرة عن البانيا الأصلية والحاضرة ليلم القارىء بالموضوع من أوله إلى آخره إلماما يطبع فى ذهنه صورة كاملة عن البانيا : أصلها وحاضرها ، والخدمات الجليلة التى قامت بها دفاعا عن الإسلام فى مدى أكثر من أربعة قرون إلى أن أفل نجم الإسلام وانطفأت أنواره مع التلميح إلى من تقع عليه تبعة هذا الأفول وذلك الانطفاء رجـاء تحقق العمل على إزالة الضباب وقشع السحب لتعود أنوار الإسلام تملأ جنبات البانيا وتطرد ما ران عليها من ظلمات لم تقع أكثرها بأيدى أبنائها ، وإنما حصل ذلك بأثر خارجى لم تتحد جهود المخلصين من الزعماء المسلمين للقضاء عليه ورده على أعقابه فى أوانه .

أصل الألبانيين .

بادىء ذى بدء أقول : هناك ثلاث كلمات يجدر بى أن أحيط القارىء الكريم علما بأصلها ومعانيها .

الكلمة الأولى « ألبان » ومعناها هذا الشعب المخصـوص . وهى فى الأصل « أربان » ولما بدأ الرومان ينتشرون فى البلقان وأخذوا يحتكون بالشعب الألبانى المقيم بها قبلهم بقرون استبدل الرومان اللام بالراء فصاروا ينطقون « ألبان » بدل « أربان » .

←

وبمرور الزمن ذاعت هذه الكلمة واشتهرت فى البلقان كلها .

الكلمة الثانية «أرناؤوط» فقد اصطلح العثمانيون على إطلاقها على الشعب الألبانى وهى عندهم مشهورة بالدال المهملة ، وعند العرب بالطاء المهملة ، وهى وإن كانت شبه جمع يفرق واحدة بياء النسبة إلا أن العرب جمعوها على « أرانطة » .

الكلمة الثالثة « شكيبتار » وهى كلمة ألبانية الأصل مأخوذة من « شكيبته » ومعناها فى اللغة الألبانية « النسر » ومعنى « شكيبنى » « أرض النسور » و « شكيبتار » معناها « أولاد النسور » .

منشأ الألبانيين الأصلى

نشأ الألبانيون فى « آسيا الوسطى » ويحدثنا التاريخ القديم أن الشعب الألبانى كان أول الشعوب التى استوطنت البلقان فى القرون السحيقة . ويرى بعض المؤرخين أنه لا يعرف بالضبط مبدأ نزوح الشعب الألبانى إلى هذه المنطقة .

يقول فقيد العالم الإسلامى والعروبة أمير البيان « شكيب أرسلان » فى كتابه القيم « لماذا تأخر المسلمون ... ؟» : « ... ولم يزل الأرناؤوط أرناؤوطا منذ عهد لا يعرف بدؤه بين أمتين كبيرتين : « اليونان والصقالبة أى السلاف » وقول فقيد الإسلام والعروبة وهو فى الوقت نفسه رأى قدماء المؤرخين لأكبر دليل على أن الألبانيين سكنوا هذه الأصقاع واستوطنوا البلقان فى الوقت الذى كانت خالية من السكان .

غير أن المحققين من المؤرخين الأوروبيين تمكنوا أخيرا بعد اطلاعهم على اللغة الألبانية ومقارنتها باللغات الأخرى ـ تمكنوا من معرفة أصل الشعب الألبانى ، ومن أين أتى ؟ ومتى استوطن البلقان ».

تبين لهؤلاء المؤرخين أن أول شعب وصل إلى غرب أوروبا هو الشعب الكلتى « كلت » .

وأول شعب استوطن البلقان هو الشعب الألبانى واستولى على شرق أوروبا .

غير أن هؤلاء المؤرخين عجزوا عن تحديد مبدأ النزوح . فهناك اتفاق بينهم على أن الشعب الكلتى أول شعب وصل إلى غرب أوروبا ، وأن الشعب الألبانى أول شعب نزح إلى البلقان ثم عجزوا عن تحديد مبدأ هذا النزوح ، أكان نزوحه من آسيا الوسطى قبيل نزوح الشعب الكلتى أم بعيده ؟ ومتى كان ذلك على التحديد ؟

انتشر الشعب الألبانى فى البلقان حيث كان يسيطر قسم منهم على « بوسنة » و « هرسك » ، و « ألبانيا » الحالية ومعظم « اليونان » الحالية .

وسيطر قسم ثان منهم وهم « الماكيدونيون » جدود ـ اسكندر الأكبر ـ على المناطق الوسطى فى البلقان .

وسيطر قسم ثالث منهم على المناطق البلغارية الحالية وسواحل نهر « الطونة » .

أما القسم الرابع منهم فكانوا يسيطرون على سواحل آسيا الصغرى والأناضول[1] حتى أنقرة .

وحينما بدأت فيما بعد الشعوب الأخرى من اليونان والرومان والصقالبة تهاجر إلى البلقان سعيا وراء الرزق كانت هذه الشعوب تستولى - بحكم كثرة عددهم - على أراضى القبائل الألبانية المنتشرة فى هذه المناطق إلى أن انحصرت فى المنطقة المعروفة أيام بدء الحروب العثمانية فى البلقان فى القرن الرابع عشر وبقيت معروفة هكذا إلى اليوم برغم وقوع أجزاء منها داخل « يوغوسلافيا » أو « اليونان » لكنها معروفة - كما قلنا - ولن تنسى .

سبب كراهية الشعوب البلقانية للألبانيين

سبق أن قلنا : إن الشعب الألبانى استوطن البلقان وهى خالية من السكان فانتشرت القبائل الألبانية فى ربوعها . ولما بدأت الشعوب الأخرى من الرومان واليونان قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون - وبعدهم الصقالبة - تهاجر إلى البلقان سعيا وراء الرزق اصطدمت بالشعب الألبانى وأخذت - بحكم كثرة عددها - تستولى على أراضى القبائل الألبانية ، فمن هذا الوقت بدأ كره هذه الشعوب للألبانيين ، وظل هذا الكره مكنونا فى قلوب هذه الشعوب ، فإن اختفى مدة لا يلبث أن يطفو على السطح من جديد . ولكن هذا الكره أخذ يظهر بدون انقطاع بل وبدأ يرسخ فى قلوب الشعوب البلقانية منذ الحروب العثمانية وبدء انتشار الإسلام بين الألبانيين ثم تصديهم للدفاع عن الإسلام ضد هذه الشعوب أكثر من أربعة قرون ، الأمر الذى حمل هذه الشعوب على الاتصال بالدول الغربية منذ القرن التاسع عشر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى تطالبها بتقسيم ألبانيا بينهم كما سنفهم فيما يأتى بوضوح أكثر .

بدء اتصال الألبانيين بالأسلام

بدأ العثمانيون فى آخر عهد ثانى سلاطينهم « أورخان الأول » زحفهم إلى البلقان واستولوا على عدة مدن ، وتمكنوا من احتلال « أدرنة » الواقعة فى الجزء الشرقى من أوروبا واتخذوها عاصمة لهم . سمع سكان البلقان بالدولة الجديدة وعدم صمود قوة أمامها فارتجفت قلوب أمراء البلقان وارتعدت فرائصهم خوفا على كراسيهم ، وأخذت أخبار الدين الجديد « الإسلام » تنتشر بينهم ؛ تقرع أسماعهم فتحدث زعزعة فى عقيدتهم وبخاصة الألبانيين الذين كانوا يجهلون عقيدتهم لجهل قسسهم بها - كما

←

(١) كلمة « اناضول » كلمة البانية أصابها شىء من التحريف . وأصلها : « هونا دولى » ومعنى « هونا » القمر ، ومعنى « دولى » طلع . وكان الشعب الألبانى فى أثناء نزوحه ينام أول الليل حتى إذا طلع القمر استيقظ واستأنف سيره . وحينما وصلوا إلى هذه المنطقة ناموا كالعادة . ولما طلع القمر ناداهم المنادى ليستيقظوا ويستأنفوا السير قائلا : « هونا دولى » أى طلع القمر ثم حرف التركيب إلى « اناضولى » .

ألبانيا والإسلام

يقول المستشرق أرنولد فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ـ اهتم الألبانيون بأخبار هذا الدين الجديد ـ الإسلام ـ وأخذوا يقارنون بينه وبين عقيدتهم التى يدينون بها فيرون الفرق شاسعا بينهما .

بدء انتشار الاسلام فى ألبانيا

يقول بعض المؤرخين : بدأ الإسلام يشق طريقه رويدا رويدا إلى قلوب الألبانيين قبل الفتح العثمانى لبلادهم . وبعد معركة « قوصووة »[٢] الشهيرة سنة ١٣٨٩ م . تم اختلاط الألبانيين بالعثمانيين فرأوا بأعينهم صفات وخصالا وأخلاقا ومعاملة لا عهد لهم بها . بحثوا فى الأمر ملياً فوجدوا أن الإسلام هو مصدر هذه الصفات الكريمة ، والخصال الحميدة ، والأخلاق النبيلة ، والمعاملة الحسنة فبدأوا يقدرون الإسلام ثم يحبونه ثم يعتنقونه عن صدق ويقين ثم يتفانون فى إخلاصهم له ودفاعهم عنه بكل ما يملكون من مهج ومال .

لم يخضع المسلمون الألبانيون بعد إسلامهم للحكومة العثمانية وإنما أقاموا فى بلادهم حكومة وطنية برياسة أحد زعمائهم ، ورفضوا إعطاء ضرائب للحكومة العثمانية مع ارتباطهم بها بعلاقة الأخوة . وبعد أن استمرت هذه الحال مدة ، قرروا الاندماج فى الدولة العثمانية .

كان انتشار الإسلام فى ألبانيا طوعا لا قسرا

كثير من كتاب الغرب ومؤرخيه ومستشرقيه يدعون أن الإسلام انتشر فى شرق أوروبا وفى غيرها من البلاد بحد السيف وبالإكراه .

ممن ادعى ذلك صاحب كتاب « دليل العالم الإسلامى » المؤلف بالفرنسية ونشرت مجلة الأزهر مباحث منه ـ مترجمة ـ فى أربعة أعداد متتالية رقم ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من المجلد الثانى الصادر سنة ١٣٥٠ هـ الموافق لسنة ١٩٣١ م .

الأمير شكيب أرسلان ينفى هذه الفرية

تكرم فقيد البيان الأمير شكيب أرسلان بإرسال نفى لهذه الفرية إلى مجلة الأزهر ونشرته فى العدد السادس من المجلد الثالث . وإذا كان أكثر كتاب الغرب ومؤرخيه ومستشرقيه يدّعون أن الإسلام انتشر بحـ

(٢) هلع أمراء البلقان وفزعوا لما بلغتهم أخبار انتصارات العثمانيين الهائلة فى الجزء الشرقى من أوروبا فجمع ملك الصرب « لازار » بالاتفاق مع أمراء البوسنه والهرسك وألبانيا والفلاح جيوشا جرارة لردع العثمانيين فى اعتقاده . ولما التقى الجمعان فى هذه الموقعة هزم جيشُ الإسلام جيوشَ الكفر هذه هزيمة نكراء حتى إن ملك الصرب نفسه وقع فى الأسر . وأراد السلطان العثمانى(مراد الأول)إرغام الكفار على اعتناق الإسلام رداً على قيام الأسبان بتنصير المسلمين قسراً ، لكن شيخ الإسلام الذى كان يرافق السلطان منعه من ذلك متمسكا بقوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » . وفى الأربعينات ونحن طلاب بالأزهر كانت هذه الواقعة موضوع حديث فى مجلس شرّفه المغفور له (العلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ إسلام تركيا) فعقب عليها بقوله : إن شيخ الإسلام أصاب شرعا وأخطأ سياسة ، إذ لو نفذ السلطان ما أراده لكانت البلقان كلها إسلامية وكفانا الله تعالى المآسى الكثيرة التى حدثت ولا تزال تحدث .

السيف وبالإكراه ، فإن هناك مستشرقين أوتوا قسطاً كبيراً من سداد الرأى وأمانة القول ينفون انتشار الإسلام بالسيف ، منهم المستشرق توماس أرنولد الذى يقول فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » : « ... إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق »[٣] .

وهناك أدلة كثيرة تنفى ادعاء بعض كتاب ومؤرخى ومستشرقى الغرب بأن الإسلام انتشر فى هذه البلاد بحد السيف ، وإنما اعتنق الألبانيون الإسلام طوعا ورغبة فى السعادة التى سمعوا أن المسلمين القريبين منهم - وهم العثمانيون - يتمتعون بها . ونكتفى بذكر دليلين يدلان دلالة قاطعة على أن الإسلام لم ينتشر فى ألبانيا بحد السيف :

أحدهما : ما سبق أن ذكرناه من أن السلطان مراد الأول بعد أن هزم جيوش الكفر هزيمة نكراء فى « قوصووة » سنة ١٣٨٩ م . أراد ارغام الكفار على الدخول فى الإسلام فمنعه شيخ الإسلام متمسكا بقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .

ثانيهما : حكمت الدولة العثمانية البلقان خمسة قرون ، ومع ذلك لم يسلم خلال هذه المدة الطويلة من السكان الأصليين - بعد استثناء سكان ألبانيا وسكان « بوسنة » و « هرسك » - إلا أفراد قلائل لا تزيد نسبتهم على ١٪ من مجموع سكان البلقان . ولو استخدمت الدولة العثمانية وسائل القهر لحملهم على الإسلام ولو بصورة غير مباشرة لدخلوا فيه جميعاً فى مدى هذه القرون . أما سكان ألبانيا فإنهم دخلوا فى الإسلام طائعين مختارين عن صدق ويقين ، وسرعان ما انعكست أنوار الإسلام على جميع جوارحهم فصاروا بكل صدق وإخلاص ووفاء جنود الإسلام البواسل انضموا إلى الجيش العثمانى يدافعون عن الدين الجديد بكل ما أوتوا من قوة ، وشاركوه فى جميع المعارك حتى معركة فيينا الشهيرة رغم أن أكثرهم كانوا حديثى عهد بالإسلام . ثم تولوا حماية الإسلام فى البلقان مدة أربعة قرون ، ولم تجرؤ الدول البلقانية على إعلان الحرب على الدولة العثمانية إلا بعد أن تأكدت هذه الدول من أن حكومة الاتحاد والترقى قد جرّدت الألبانيين من السلاح ، وأصبح الجيش العثمانى وحده فى الميدان فلم يستطع الصمود أمام الجيوش البلقانية من غير مساعدة الألبانيين فانكسر وانسحب من البلقان بعد حكم إسلامى دام أكثر من أربعة قرون .

خدمات الألبانيين للإسلام ولدولة الخلافة

سبق أن قلنا : إن الألبانيين اعتنقوا الإسلام طائعين عن صدق ويقين ، ولم يلبث أن ملأ قلوبهم بحب الله « تعالى » وحب رسوله « ﷺ » والإقدام على تنفيذ كل ما يطلبه منهم هذا الدين الجديد ، لذلك انضموا إلى الجيش العثمانى - برغم أنهم كانوا حديثى عهد

←

(٣) راجع كتاب « الدعوة إلى الإسلام » ص ٨٨ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وزميليه .

ألبانيا والإسلام

بالإسلام ـ وشاركوه فى كل المعارك . ولما تأكدت الحكومة العثمانية من صدق عزيمتهم اعتمدت عليهم فى حماية الإسلام فى البلقان فحموه بأرواحهم أربعة قرون ، ووقفوا بالمرصاد أمام كل من تحدثه نفسه أن يعتدى عليه . لذلك سكتت الدول البلقانية على مضض مدة أربعة قرون لم تستطع أن تتعرض للإسلام لأنهم كانوا يجدون الألبانيين واقفين أمامهم شاكى السلاح . ولم تنزل النكبة إلا بعد أن قامت حكومة الاتحاد والترقى بتجريد المسلمين الألبانيين من السلاح كما سنبين هذا الموضوع بشىء من التفصيل فيما بعد .

والمسلمون الألبانيون كما حموا الإسلام فى البلقان أربعة قرون كذلك خدموا دولة الخلافة الإسلامية طوال هذه القرون الأربعة ؛ لأنهم بعد أن شرح الله تعالى صدرهم للإسلام اندمجوا تحت راية الأخوة الإسلامية ، وأزالوا كل الفوارق بينهم وبين العثمانيين . حلوا حكومتهم الوطنية وانضموا إلى دولة الخلافة الإسلامية يؤزرونها ويؤيدونها بكل ما يملكون ، ويقدمون لها أنبل وأكرم وأعقل أبنائها[٤] الذين تولوا المناصب العليا فى الدولة . وكثير منهم صاهر العائلة المالكة العثمانية وكان آخرهم « داماد فريد باشا » آخر صدر أعظم فى دولة الخلافة ، وسبق أن تولى قبله الصدارة العظمى أكثر من ثلاثين ألبانيا ، كما تولى عدد غير محصور الوزارات المختلفة والقيادات العليا فى الجيش ومناصب الولايات ، ونبغ منهم علماء وأدباء وشعراء وكتّاب تفخر بهم الدولة التركية حتى الآن . والموسوعة العلمية التى ألفها فى أواخر القرن التاسع عشر العالم المحقق الألبانى « شمس الدين سامى بك » فى ستة مجلدات تعتبر بحق تراثاً علمياً يندر وجود مثله وسماها « قاموس الإعلام » . ونشيد الاستقلال بعد الانقلاب وضعه الشاعر الألبانى الشهير « محمد عاكف بك » وغيرهما كثير ، إنى وإن كنت قد شرحت بالتفصيل « ألبانيا والإسلام » من بدء الفتح العثمانى حتى الحرب البلقانية وذكرت الخدمات الكبرى التى قدمها الشعب الألبانى المسلم للإسلام ولدولة الخلافة إلا أنى لا أستطيع أن أنتقل إلى الجزء الثانى من البحث وهو « ألبانيا والإسلام » بعد الحرب البلقانية من غير أن أذكر الخدمات الجليلة التى قدمتها

(٤) يقول توماس أرنولد فى ص ٢٠٥ من كتابه الذى سبق ذكره : « وهم ـ أى الألبانيين ـ يكونون عنصراً من أقدم العناصر وأرقاها فى أوروبا » . ولعل محرر وكالة رويتر حينما كتب بحثا عن الإسلام فى يوغوسلافيا ونشرته جريدة النور يوم ١٩٨٦/١١/١٩ م ـ لعل هذا المحرر لم يكن قد قرأ كتاب أرنولد لأنه قال فى بحثه : « إن معظم المسلمين اليوجسلاف ينتمون لأصل ألبانى وتمثل سلالة هذا الأصل الطبقة تحت المتوسطة فى يوغوسلافيه . كتبت على الفور لمحرر جريدة النور ردا على هذه الفرية ، كما كتبت للسيد الأستاذ « الحمزة دعبس » رئيس مجلس الإدارة ردا مفصلا . تكرم المحرر بنشر الرد الخاص به فى العدد الصادر يوم ١٩٨٦/١٢/٣١ م . وتكرم السيد الأستاذ « الحمزة دعبس » بنشر الرد المفصل فى العدد الصادر يوم ١٩٨٧/٣/٤ م فشكرًا لهما .

أسرة « كبريلى » الألبانية للدولة العثمانية فى النصف الثانى من القرن السادس عشر .

فى عهد السلطان « محمد الرابع » (١٦٤٨ ـ ١٦٨٨ م) بلغت الدولة حالة يرثى لها من قيام الثورات فى جهات متعددة ، وقيام أسطول البنادقة باحتلال « الدردنيل » حتى أشرفت الدولة على التمزق شذر مذر لولا أن قيض الله « تعالى » لها رجلا قوى الشكيمة ، سليم العقيدة ، خالص الطوية ، ذلك الرجل هو « محمد كبريلى باشا » الألبانى . كان « محمد باشا » موضع احترام الجميع لصفاته الحميدة . وبرغم أنه كان قد بلغ السبعين من عمره ، اختارته أم السلطان « محمد الرابع » صدراً أعظم ليعيد إلى الدولة نظامها ، فقبل على شرط أن يعطى سلطة مطلقة . وافقت أم السلطان على شرطه ، وعاهد « محمد كبريلى باشا » الله « تعالى » على أن يعيد إلى الدولة شبابها ونظامها وربطها ، فتمكن فى بحر خمس سنوات من إعادة النظام إلى الدولة والضرب على أيدى المفسدين . وأجبر أسطول البنادقة على الانسحاب من الدردنيل . وبعد هذه السنوات الخمس سلم الدولة قوية سليمة منظمة لأم السلطان .

أما حالة الإسلام فى ألبانيا بعد الحرب البلقانية إلى وقتنا الحاضر فتحتاج إلى شرح كثير من الحوادث التى كانت تقع خلف « الكواليس » ليلم القارىء إلماما كاملا بحقيقة هذه الحالة

يتبع

الفتاوى

أولاً : فى زواج الشيوعى أو الشيوعية :

فتوى لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الأسبق والعالم الكبير أطال الله فى عمره [1] .

نشرنا فى العدد الماضى فتوى لجنة الفتوى فى الأزهر فى الموضوع .. ويهمنا زيادة فى الإيضاح وإلقاء مزيد من الضوء على الموضوع أن ننشر فتوى الشيخ مخلوف تذكيراً وتأكيداً على ما ذكرنا من حكم وها هى الفتوى :

س : هل يجوز تزوج المسلمة بشيوعى متمسك بمبادىء الشيوعية ؟

جـ : قلنا مرارا إن الإسلام والشيوعية لا يجتمعان فى قراب واحد ، وكيف يجتمعان والإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله عز وجل لعباده دينا .

وجاء بتوحيد الخالق فى ألوهيته وربوبيته ، وبصفاته العلية وأسمائه الحسنى ، وبأنه هو العليم القدير الحكيم ، منزل الشرائع ومرسل الرسل ، ومنزل الكتب هدى ورحمة ، وتعليما وإرشاداً ، وتهذيبا وتثقيفا .

وهو باعث الخلائق بعد الفناء فى اليوم الآخر للحساب والجزاء على ما أسلفوا من أعمال وعقائد وأفكار ..

وقد ختم رسالاته لخلقه - بمحمد ﷺ - أرسله رحمة للعالمين ، معلما للناس وداعيا إلى الحق ، ومرشداً إلى الهدى ، ومبشرا ونذيراً يبشر من أطاع بالجزاء الأوفى والثواب

(١) نقلاً عن كتاب « فتاوى فى الشيوعى » لشيخ الأزهر د . عبد الحليم محمود رحمه الله ، وقد أذيعت فى محطة القرآن الكريم بالقاهرة فى شهر مايو ١٩٧٦ . (بتصرف) .

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

العظيم ، وينذر من عصى وتمرد بالنذير والعذاب المهين .

وختم كتبه إلى خلقه بالقرآن العظيم ، وهو الكتاب الكريم الذى أنزله تبيانا لكل نبى ، وفرقانا بين الحق والباطل ، وهدى ونورا ، لا يضل من اعتصم بحبله ، وأقامه حجة على العالمين ..

﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾

هذا هو الإسلام .

أما الشيوعية فهى فتن وضلال ، وكفر وإلحاد وفساد مجرد للألوهية ، وإنكار للربوبية ، ومعاندة للرسالة ، وعدوان على القرآن وعلى الحق كله .

وكفى إثما وضلالا قول ماركس : « إن الدين أفيون الشعوب ، ومخدر الفقراء ، والحشيش الذى تغيب به العقول كلما أوشكت على الصحو والإدراك » .. إلى غير ذلك من الكفر .

هذا إلى تقتيل المسلمين واستئالصهم فى البلاد التى يحكمها « الماركسيون » وتحريف المصاحف ، وإبادة الكتب الإسلامية ، وهدم المساجد العامرة ، لا لشىء سوى كراهة الإسلام ورسوله ، وكتابه وأمته ومساجده ، وحرمان أبنائه من تعلم دينهم ودراسة كتابهم ، وإيجاب تعلم المبادىء الماركسية على الناشئين .

فهل بعد هذا كله ـ وهو واقع ومدون فى أحاديثهم وكتبهم ، وثابت فى أعمالهم وتاريخهم ـ يشك مسلم فى أن زواج المسلمة ، المؤمنة بالله ورسوله وكتابه وأوامره ونواهيه ، وبالبعث والحساب والجزاء ، بمن يجحد كل ذلك ، ممنوع شرعا منعا لاشبهة فيه ولا خلاف .. وقد أجمع المسلمون على عدم جواز زواج المسلمة بغير المسلم ولم يخالف فى ذلك أحداً أبداً .

أما الذي يقول أنا مسلم وفى الوقت نفسه يعتنق كل عقائد الشيوعية الماركسية ، ويدعو إليها وينادى بها فى الواقع ، وإن كان فى الظاهر يحاور ويداور فهو غير مسلم قطعاً : لا يجوز نكاحه ، ولا دفنه فى مقابر المسلمين

بعد موته ، ولا صلاة الجنازة عليه إذا مات ، لأن ذلك من خصائص المسلمين وحدهم . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقوانا على الجهاد والدفاع عن دينه الحنيف بتوفيق منه .. والسلام على من اتبع الهدى ..

ثانيا : فتاوى تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر :

س : من السيد ع . م . المطراوى . المطرية مصر .

قام أخوان شقيقان بشراء قطعة أرض من مالهما الخاص ، ثم طلب منهما والدهما إشراك أخويهما من الأب دون أختهما الشقيقة ولا أخواتهما من الأب . فهل يحق للأخت الشقيقة أو الأخوات لأب المطالبة بشىء من هذه القطعة ؟

جـ : إذا كان ما يقوله السائل صحيحا فى أن الأخوين الشقيقين قد اشتريا قطعة الأرض من مالهما الخاص وأشركا أخويهما لأب فيها ، فإن هذه القطعة تعد ملكا خالصا للأخوين الشقيقين والأخوين لأب ، ولا يحق للأخت الشقيقة والأخوات لأب المطالبة ، بأى شىء منها .

س : من السيدة / س . م . حافظ . البدرشين !

توفى أخى وترك بنتا سنها ست سنوات فى حضانة أمها ، وأريد أن أرى بنت أخى مع العلم بأن جدة البنت لأبيها مريضة ولا تعى .. فما الحكم ؟

جـ : يحق للعمة أن تطلب رؤية بنت أخيها ، لأنها محرم من محارمها الدائمة ، والواجب صلة الأرحام والعمل على توثيقها واستدامتها .

س : من السيد / م . أ . فرج .. باب الشعوية :

توفيت امرأة عن : أولاد عمين شقيقين ذكورا وإناثا ، وأولاد عم لأب . فمن يرث وما نصيبه ؟

جـ : التركة كلها للذكور من أولاد العمين الشقيقين تعصيبا تقسم بينهم بالتساوى ولاشىء للذكور من أبناء العم لأب لحجبهم

بالذكور من أبناء العمين الشقيقين لأنهما أقوى منهم ، كما لا شيء للإناث من أبناء العمين الشقيقين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من السيد / ف . ر - علوان - الإسكندرية :

يوجد جمعية خيرية إسلامية لها أنشطة متعددة فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ومن أنشطتها بناء المدارس الإسلامية للغات خاصة بأبناء المسلمين .. فهل يجوز لهذه المدارس أن تقبل أموال الزكاة وغيرها من التبرعات من المسلمين للتوسع فى هذه المدارس خدمة لأبناء المسلمين ؟ وما الحكم ؟

جـ : يجوز صرف جزء من الزكاة لهذه المدارس باعتبارها تقدم خدمات عامة لجماعة المسلمين أما التبرعات والصدقات فيجوز التبرع لها وقبولها .

س : من السيد / س . ع . محمد . العباسية :

هل يجب على الأب الإنفاق على ابنته إذا كانت لا تعمل بعد طلاقها من زوجها ؟ وكيف يكون الإنفاق عليها ؟

جـ : المرأة إذا طلقت من زوجها ، ولا يوجد عندها مال تملكه وجبت نفقتها على والدها شرعا . وذلك حسب استطاعة الأب يسرا أو عسراً .

والله أعلم .



من أعلام الأزهر

علي يوسف

شيخ الصحافة المصرية

٢

كانت صحيفة المؤيد صحيفة رأى لا صحيفة خبر ، بمعنى أن صولتها القوية فى مصر والعالم الإسلامى ترجع أول ماترجع إلى ما ينشر فيها من المقالات التوجيهية فى الشئون المعاصرة شرقا وغربا ، ولها كتابها المرموقون فى عالم الفكر ، يعرفون بهدوئهم المتزن ، وعمقهم النفاذ ، وسعة محيطهم الثقافى ، وفى طليعتهم صاحب المؤيد على يوسف ، فقد رزق من سرعة البديهة وصواب النظرة ، وهدوء النفس ما جعل مقاله موضع العجب والإعجاب ، وقد ظن بعض منافسيه بدءاً أن غيره من ذوى الثقافة الأوروبية يكتب له مايطالع به القراء ، حتى ذهب بعضهم إلى المطبعة ليقرأ المسودات متأكداً من أنها بقلم صاحب المؤيد لا بخط سواه ، وهو ظن أدى إليه ما يجدونه من الإلمام بالتيارات السياسية الدولية ، والقوانين الدستورية المعاصرة على نحو يستغرب من صاحب ثقافة عربية خالصة ، والحق أن ذكاء الرجل ، وسعة حيلته ، وجودته فى انتقاء مايقرأ من شئون السياسة والتاريخ والاجتماع قد رشحه للزعامة الصحافية فى عصره ، وهو بعد صديق دائم لعلية المفكرين فى مصر يجتمعون به فى ندوة المؤيد يوميا ، وفيهم سعد زغلول وحسن عاصم ، وفتحى زغلول وقاسم أمين وإبراهيم الهلباوى وإبراهيم اللقانى ومحمد مسعود وغيرهم من أرباب النظر المحيط ، وطبيعى أن تكون أحاديثهم المتصلة مصدر نفع لهم جميعا ، أضف إلى ذلك كله تفوق المؤيد على غيره من الصحف المعاصرة لدى أصحاب الوعى الحصيف ، فاللواء جريدة وطنية مخلصة ثائرة ، ولكن ارتفاع نبرتها الحماسية يدفعها إلى التأثر بالانفعالات الشديدة دون تريث فتصبح مقالاتها أقرب إلى الهتاف منها إلى الإقناع ، والجريدة ، التى يقوم عليها الأستاذ أحمد لطفى السيد تُسالمُ الانجليز وتتجه إلى الإصلاح الداخلى وحده كما يراه أصحاب العقارات ورؤساء العائلات الثرية ، والأهرام تساير كثيراً فإذا عارضت فنوع من العتاب لا يرتفع إلى مستوى الحساب ، أما المؤيد فقد تجنب انفعال اللواء ، وتغاضى الجريدة ، ودهاء الأهرام ، ليعلن كلمة الحق فى هدوء عاقل ، يسنده فى ذلك منطق دقيق ، ووعى ثاقب ، ولم أذكر جريدة المقطم فيما

للدكتور محمد رجب البيومى

ذكرت من الصحف اليومية ، لأنها لسان الاحتلال الصارخ ، تكتب بحروف عربية لتخدم استعماراً إنجليزيا ، فهى ساقطة ساقطة بكل الموازين .

أدرك على يوسف خطر جريدته ، كما أدرك خطر مكانته ، فكانت مقالاته الهادئة موضع حيرة شديدة لقصر الدوبارة وقد اقترح أعوان كرومر عليه بضرورة مصادرتها ، فذكر أنه لا يستطيع ذلك دون جريمة حقيقية لا ملفقة ، فإذا عثر أحد هؤلاء على جريمة صادقة تنسب إلى صاحب المؤيد ، فقد جاءت الفرصة المواتية ، وكرومر على شروره المتصلة أكرم نفساً من قوم يلفقون الأراجيف ليشوهوا كرام الصحف ، وأطهار الرجال ، فليتهم يرجعون إلى الصراط القويم .

إن تاريخ مصر الحقيقى لعهد المؤيد يستمد مصادره الأولى من مقالات على يوسف فى صدر المؤيد ، حيث لم يترك الشيخ على حدثاً سياسياً هاماً دون أن يسلط عليه مجهر نقده الدقيق ، محيطاً بجميع النواحى إحاطة من يصرف وقته الأطول فى التفكير المتصل حتى تجىء ساعة التحرير فتكون حقائق الموضوع من الوضوح بحيث يدعو بعضها بعضاً دون انقطاع ، وقد قال مؤرخو على يوسف إنه كان يكتب المقال فى ندوة المؤيد وأصحابه من حوله يسامرونه ، فإذا كان الأمر كذلك فى بعض هذه المقالات فإن توفيقه الفكرى لم يجىء بهذه السهولة ، ولكنه نتيجة تأمل سابق امتد عدة ساعات !

لنأخذ مثلاً قضية التعصب الدينى التى رددها اللورد كرومر قبل حادث دنشواى وبعده ليبرر سياسته الجائرة فى هضم الحقوق الدستورية للأمة المصرية معتمداً على افتعالات موهومة هو أول من يعلم اختلاقها ، فقد فند على يوسف مزاعم الاحتلال فى كلمات متتالية فأعلن أن فى مصر من قديم الزمان أديانا يتجاور أهلوها فى المنازل ويتشاركون فى المرافق ويتنافسون فى الأعمال فلم تكن بين الأقباط والمسلمين هذه الروح الشريرة ، ولو كانت فى فطرة المسلمين تلاشت الأكثرية الأقلية فى عصور مضت ، سادت فيها الجهالة ، ولكن منطق التاريخ يدل على روح التفاهم السائدة بين الفريقين ، ثم ضرب الكاتب بعض الأمثلة فقال[1] .

« وفد على القطر المصرى منذ أول عهد المرحوم محمد على باشا الكبير وفود من كل الطوائف المسيحية غربية وشرقية من أرمن وأروام وسوريين وفرنساويين وطليان وإنجليز وأمريكان ، من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعملة وهَمل متشردين فلقى الجميع فى مصر صدراً رحيباً ، كان منهم الموظفون فى كل مصلحة ، حتى تولى نوبار باشا وهو أرمنى

(١) ننقل هذه النصوص جميعها من كتاب (مقالات قصر الدوبارة) وهو يضم مجموعة من مقالات على يوسف بالمؤيد ، جُمعت فى جزء خاص .

فوق كونه نصرانياً رئاسة النظار فى مصر ، وكان قائمقام الخديوى ورئيس الاحتفالات بموكب المحمل الشريف ، فهل يوجد فى أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل ، فيراس فيها احتفالاً دينياً رجل مسلم فى دولة غير مسلمة ، كما كان من علمائهم الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون ، فهل الأمة التى تربى أبناءها على أيدى الأساتذة من غير دينها ، وهل الأمة التى توجد فيها مدارس الجزويت والفرير والمرسلين الأمريكان دعاة للدين فى مدارسهم تعد متعصبة ، وكان التجار منهم على ما يحبون من الرحب والسعة وحسن القبول ، فضربوا فى البلاد بمتاجرهم من غث وسمين ، وجيد وردىء وخالص ومغشوش حتى صارت مصر من أوسع أسواق التجارة الأوروبية ! فهل فى ذلك تعصب ؟

وفى مقال آخر نقل أقوال الكبار ـ من ساكنى مصر غير المسلمين ـ الدالة على روح المساواة التامة بين العنصرين ، ليقول بعد هذه الشهادات الصريحة إن اللورد كرومر يأبى رغم ذلك إلا أن يكون التعصب موجوداً ، فأوهم الأوروبيين أنه لا يقدر أن يفتح شارعاً فى مدينة ، أو يشق ترعة فى أرض ، أو يبنى قنطرة على مجرى ماء إلا إذا كان حول رجاله الجيش الانجليزى ولذلك طلب زيادة أجورهم لأن المصرى متعصب فتاك لا يجد حرجاً فى نهب جيرانه وقتلهم لولا الحراس من الجنود البريطانيين والناس يعلمون أن هؤلاء لا عمل لهم إلا أن يناموا نهاراً وينطلقوا للعربدة فى الحانات والشوارع على حالة منكرة يعرفها الجميع !! وبهذا المنطق المدعم بحقائق التاريخ ومشاهد الحاضر يخط على يوسف حججه الدامغة ، وقد كان الاحتلال يكثر من اتخاذ الشبان من الانجليز موظفين يديرون الشئون الكبرى فى الوزارات المختلفة ، على حداثة أعمارهم ، وقلة تجاربهم موهما الناس أن المصريين لا يصلحون لإدارة الأعمال ، ولكن على يوسف يوالى المقالات الافتتاحية فى نقض هذا الزعم الطائش ، فيرى خطأ كرومر فى ادعائه تحجر العقل المصري وعدم كفاءته للمهام الرئيسية ، والأمة المصرية أكبر من أن يحكم عليها بمثل هذا اللغو ، لأن الكفاءة إنما يحكم عليها بعد الاختبار ، وبقدر ماقام به المختبر من الأعمال ، فلو فرض أن اللورد جعل مصالح الحكومة المصرية مدارس للموظفين ينتقلون فى درجاتها من رتبة إلى رتبة ثم كشف الامتحان عن فشلهم لما جاز له مع ذلك أن يحكم بإخفاقهم ، فقد يكون العيب فى النظم الإدارية لا فى المنفذين لها ، فكيف إذا كان قد أقصى المصريين عن العمل ، ثم حكم عليهم بالإخفاق تعسفاً دون استدلال ، إن الغرض من ذلك كله هو إبعاد كل مصرى عن الوظائف العالية ليحتلها الانجليز ، فكلما وجدت وظيفة ذات مسئولية خص بها الانجليزى وضوعف مرتبها لتكون لائقة له من كل وجه ، وقد أطردت هذه السياسة فى جميع المصالح ، وزحف شبان الانجليز إلى الوظائف الصغرى أيضاً بعد أن ملأوا الوظائف الكبيرة ، وأُبْعِدَ المصريون عن العمل لأنهم فى منطق ـ اللورد غير أكفاء ! دون تجربة تؤيد هذا الزعم الجرىء .

وفى مقال آخر يلجأ على يوسف إلى الهدوء العاقل ليصل إلى مايريد دون مجابهة غاضبة فيقول إنه لا يسوق التهم جزافاً ، ولكنه يعلن أن الذين يتولون إدارة البلاد الآن من الانجليز تنقصهم تجارب كثيرة ، وخبرة كبيرة بأحوال البلاد حتى يكونوا مصلحين ، ولا يمكن أن يكون كرومر وحده عاملاً بذاته فى كل مصلحة ، لأن المراقبة العامة تشغله عن المراقبة الخاصة ، فإذا حدثت أمام هؤلاء حادثة غير منتظرة حالت قلة التجارب بينهم وبين تكييفها بحقيقتها ، فأعطوها غير حكمها ، وبنوا على حدوثها تغييراً وتبديلاً فى الإدارة يبعدان بها عن الصواب ، وكلما سأل جناب اللورد واحداً من هؤلاء الأعيان أجابه بالرأى الخطير فاتخذ قوله حجة وأمره بما يضر ولا يفيد ، وهذا هو سبب الاختباط الحاصل فى إدارة البلاد ، وسبب مايحدث من الأخطاء الخطيرة يوماً بعد يوم !

أمّا قيام الحياة النيابية وهى أهم مسألة سياسية اتفقت على وجوبها أقلام الكتاب الأحرار ، وعارضها كرومر بحجج جعل يرددها فى تقريراته السنوية مدعياً عدم تأهل الشرقيين بعامة للحكم النيابى ! هذه المسألة كانت جريدة المؤيد مسرحاً دائماً لنقاشها والدعوة إليها ، وكانت تنشر الرأى المعارض لتعقب عليه بما يبطل وجهته ، وإذا شارك صفوة الكتاب فى الدعوة إلى الحياة النيابية فإن قلم على يوسف كان أعلى صليلاً فى الميدان ، حيث واجه المعتمد البريطاني بحقائق تاريخية لم يكن يرغب في ذيوعها حين ادعى أن الحكم النيابي غريب عن المسلمين فقال صاحب المؤيد إن ذلك خطأ محض ، لأن الشورى من أهم الأركان فى السياسة الإسلامية ، وقد عرفت لدى المسلمين قبل أن يعرفها الدستور الإنكليزى ، وناهيك بنظام لا يعين فيه الخليفة العام إلا بالبيعة العامة فمصر تطلب فى هذا العصر ما وضع الإسلام أساسه منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام .

أما كون مصر ليست أهلا للدستور ، فهذا جهل بتاريخها لأنها منحته قبل الاحتلال البريطانى ، ولم يكن سبباً من أسباب الثورة ، بل ربما كان المانع من الاضطراب لو جرى إلى غايته دون عائق ثم إن الفرس والترنسفال واليونان وبلغاريا جميعها قد نعمت بالحكم النيابى ، ومصر ليست أقل كفاءة من هذه الدول ففيها ، الرجال الأكفاء ، ولكن الاحتلال لا يعترف بهم إلا إذا احتاج إلى الاستشهاد بكفاءتهم فى موقف يسند أغراضه الذاتية ، ثم إن انجلترا قد وعدت بالدستور النيابى فى أول احتلالها فما بالها ترجع عنه الآن ، والمصريون هم المصريون ، إن المستشارين الانجليز فى الوزارات المصرية فى حيرة من أمرهم ، فهم لا يعرفون مايصلح ومايضر ، والحياة النيابية مجال لتصحيح الأخطاء ورسم الصحيح من المناهج ، أما الادعاء بأن مصر إذا نالت حكومة نيابية فستلقى بنفسها فى أحضان الدولة العلية (تركيا) فهو ادعاء يقصد به ذر الرماد فى العيون ، لأنه لا يوجد مصرى واحد يفكر فى هذا الاتجاه ، وما تطلب مصر حكومة نيابية إلا لتسير فى طريق الترقى دون تخبط .

هذه الحجج وأمثالها شذور مختارة من مقالات ممتدة تبتدىء بالمقدمات الكاشفة يليها التحليل الجوهرى عرضاً لمناحى

الموضوع ، ولا سبيل إلى أن ننقل مقالاً برمته يبين منهج على يوسف فى كتابته ، ولكننا نقول إن الرجل يعرض الحقائق مستنداً إلى خبرة تاريخية ودراسة نفسية واجتماعية تكسب كلامه قوة الإقناع لدى الخاصة والعامة ، ومقاله الشهير (السياسة الضعيفة العنيفة) مثل رائع للكتابة العميقة ذات البعد الثاقب وقد بدأه بمقدمة رائعة يقول فيها :

(تستغرب القراء أن نجمع بين هذين الوصفين (العنف والضعف) لموصوف واحد ، لما يظهر من أن العنف يكون مع القوة ، وهى لا توجد مع الضعف فى شىء غير متعدد ، أما نحن فنقول إن العنف قد يكون مظهراً كبيراً من مظاهر الضعف وخصوصاً فى سياسة الأمة وحكمها ، كصفة الكبرياء للمتكبر ، فإنها لا تكون فى الشخص إلا حينما يذهب شىء من فضائله ، فيحل الكبر بهذا الفراغ ليكمل صاحبه علاء بزعمه ، وخذ الشراسة مثلاً فى بعض الناس فإنها توجد حيثما يعوز المرء شىء من مزايا حسن النظر ، وضبط النفس ، وسعة الصدر ، فتحل الشراسة محله ، ولذلك تجد أضيق الناس صدراً من يسب غيره ، وأقلهم مقدرة على الإقناع الخطابى من يصيح فى وجه محدثه ليحمله على قبول رأيه ، كذلك العنف والبطش فى حكم الأمم يحل محل حسن السياسة وقدر المسئولية قدرها فى كل عمل ، وقلما ترى سياسياً محنكاً قادراً على تصريف الحوادث بالحسنى والاستنتاج منها بقدر ما تعطيه مقدماتها إلا كان عادلاً حليماً بعيداً عن فعال الظالمين » .

ويمتد القول لو تتبعنا ما قال على يوسف فى شتى الأزمات السياسية على قرابة ربع قرن ، إذ له فى كل يوم مقال ناقد ، أو تعقيب هادف ، أو حوار كاشف ، وهو فى شتى مناحيه لا يخرج عن هدوئه العاقل الذى يجعله موضع التقدير مهما خولف ، وسياسة الهدوء فى الحوار السياسى تغيظ الخصم وتربكه ، لأن الانفعال الصاخب فى النقاش يترك أثراً يوحى بالخفة والتعجل ، كما يترك العنان لألفاظ طائشة قد تقع موقع الاستنكار ، أمّا العقل المتريث فيستل كل موجدة لدى المنصف حتى ليكاد يلقى السلم عن طوع ، ولعل أكبر مثل لهذا الهدوء الحاسم ما كتبه الشيخ على يوسف فى مناقشة خطاب الوداع الذى ألقاه كرومر فى احتفال رحيله ، حيث تورط المعتمد البريطانى فى آراء جائرة يعتقد صوابها ، وزاد على ذلك فشكر من الحاضرين أناساً دون أناس ، وكلهم سواء فى مجاملته ، ثم ارتفع بالأحداث إلى عهد إسماعيل ، فذكر من الوقائع ما ألم فريقاً من مكرميه إيلاماً مستتراً فى عبارات ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، وقد كتبت الجرائد المعاصرة نقوداً للخطاب الموجع لم تسلك مسلك المنطق العاقل بل قادتها الحماسة الخطابية إلى مايشبه الهجاء ، أما على يوسف فقد تناول الخطاب فقرة فقرة فى أدب مهذب ، بين تضاربه الواضح بين ماقاله اللورد من قبل وما أخذ يقوله الآن ، ثم ليكشف القناع عن قوارص سيقت لتغضب نفراً من المحتفلين ، وكأنه بذلك يقول لهم ها أنتم أولاء قد احتفلتم بمن لم يعبأ بمشاعركم فى شىء ، وأدهى من

ذلك أن يتصدر الاحتفال الأمير حسين كامل (السلطان حسين فيما بعد) ثم يتجاهله كرومر حين ينساه فى مجال الشكر الذى أضفاه على فريق دون فريق ، ولا يقف عند التجاهل ، بل يوخزه بأطعن من السنان حين ينقد أباه إسماعيل وأخاه محمد توفيق وابن أخيه عباس حلمى ! فماذا بقى إذن للأسرة العلوية من مديح ! وقد شاء على يوسف أن يفسر الكلمات الغامضة فيما أبهمه اللورد ، ليقول للناس إنى لا أتزيد بل أفسر ، كما شاء أن يفصح عن أسباب الاطراء الذى خص به من تملقوا اللورد وحدهم ، جاعلاً إياه هجاء مقنعاً إذا قيس بميزان الوطنية الصادقة الذى يجعل شأن مصر فوق كل شأن ، وأعظم ما وفق إليه على يوسف فى نقده الباتر لخطاب الوداع أنه اكتشف بين سطوره ما يحرج كرومر أمام الوزارة البريطانية نفسها ، وكأنه بذلك يصعب مقدمه المنكفىء إلى انجلترا باعتباره قد أخفق فى سياسته ، وقد عزل لهذا الإخفاق ، لا أنه استقال لأسباب صحية كما حاول كرومر وحواريوه أن يقولوا فى تحد واستخفاف ! وقد قامت مظاهرات التأييد فى القاهرة إعجاباً برد على يوسف ، وتزاحمت على دار المؤيد عشرات الوفود ، ودوت صيحات الهتاف ، ولن يكون ذلك غير صدى رنان لإعجاب شديد ! أما ما كتبه على يوسف بصدد حرية الصحافة التى شاء اللورد فى آخر أيامه أن يطوقها بقيوده فهو أنفذ فى لبابه من كل قول ، لأن صاحب المؤيد تساءل كيف يبيح اللورد لأصحاب المقطم وأضرابهم أن يسبوا السلطان والدولة العثمانية صباح مساء دون أن يكونوا موضع ملامة لأن الصحافة حرة تقول ما تشاء ، ثم لا تمتد هذه الحرية لجريدتى اللواء والمؤيد حين تنقدان السياسة الانجليزية ، وكأنهما جاءتا بموبقة آثمة تستدعى المصادرة ، وتدفع إلى غياهب الاعتقال .

ونحن نعلم أن الشيخ على يوسف قد ألف حزباً سياسياً سماه (حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية) فكان زعيماً سياسياً يقرن بمصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى . ومحمود سليمان زعيم حزب الأمة ، ولكن مجد على يوسف لم يتح له من طريق زعامته بل من طريق جريدته ، لأن هدوءه العاقل لم يجذب له من الأنصار كما جذبت الحماسة الدافقة عند مصطفى كامل ، ويخيل إلى أن الرجل لم يرد أن يكون زعيم جماهير قدر ما أراد أن يلفت إلى سياسة الإصلاح الدستورى عن طريق النقاش المنطقى الذى يحدد الأهداف ويرسم الاتجاه .

لقد أصاب الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد[٢] حين وازن بين على يوسف ومصطفى كامل فى اتجاههما السياسى موازنة دقيقة قال فيها .

« لقد كان لعلى يوسف ومصطفى كامل طريقتان مختلفتان فى الكتابة الصحفية ، وفى الخطة السياسية ، وفى الدعوة الوطنية ، ولقد فرق النقاد بين الطريقتين ، فكان الفرق بينهما

←

(٢) رجال عرفتهم للأستاذ العقاد (كتاب الهلال) .

عند أناس ، أن طريقة مصطفى كامل هى طريقة التطرف والحماسة ، وأن طريقة على يوسف هى طريقة المحافظة والاعتدال ، وكان الفرق بينهما عند أناس ، هو الفرق بين التعليم القديم والتعليم الحديث ، أو هو الفرق بين الشباب والكهولة أو الفرق بين الكاتب الحصيف والخطيب المنطلق ، ولكن الواقع أن الفارق الوحيد الذى يحتوى جميع هذه الفروق ، هو شعور العصامية فى نفس الرجل الذى كان مثله الأعلى فى الحياة أن يصل بحيلته واجتهاده إلى مكانة السيد الموقر ليرعى له السادة الوارثون كرامة الرأى وكرامته ، وكان من حق هذه العصامية الناجحة عند على يوسف أن يتكلم مع ذوى الاعتبار كما يتكلم ذوو الاعتبار ، ولا يخف به القلم خفة الحديث المتعجل ، أو الحديث المستثار » .

كما قال العقاد بصدد عصامية على يوسف الصحافية :

« إن على يوسف كان يصنع صناعته الصحفية ليتعلمها الناس منه ، ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على أساتذتها فى الشرق والغرب ، ولا على أدواتها التى تمليها عليه ، كان يسمع ولا شك بالصحافة الأوروبية ويعرف منها بالسماع أكبرها وأشهرها ، ولكنه لم يعرف من صحافة الغرب صحيفة واحدة لينهج نهجها ، ولم يكن من غايته ولا طاقته أن يعرف التيمس أو النشن ليحكى هذه أو تلك فى طبعها وتحريرها ، كان عليه أن يرتجل صناعته الصحفية فى كل شىء فى التقاط الأخبار ، وفى جمع الآراء ، وفى تحرير المقالات ، وفى سياسة الجمهور ، وسياسة ولاة الأمور » .

وإذا كان على يوسف قد صار زعيم الصحافة بجهد شخصى لم يتلق أسبابه عن أحد ، فإن ذلك أكبر دال على خصوبة فكرية ناضرة ، أدت ثمارها الطيبة شهية لذيذة فكانت موضع الحظوة والإقبال .

د . محمد رجب البيومى



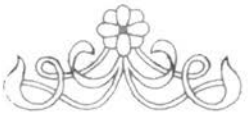
الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

على باب التوبة



جراحك منك



أيها الماضي الجميل

على باب التوبة

انت الحليم ومنك العفو ينتظر ... مَا رَدَّ بابُك عبداً جاء يعتذرُ
فكل نفس وان طالت غوايتُها ... حتما سترجعها عن غيها العِبَرُ
اطوف حول الحمى سعيا وهرولة ... استغفر اللهَ مما ياثم البشر
استوهب اللهَ غفرانا ومرحمة ... فكم من الإثم عند التَوْبِ يغتفر
إن الشباب الذى غَنَّتْ بلابلُهُ ... وَلَّى فلم يَبْقَ إلاَّ ذكره العطرُ
كانه حلم تُلتَذُّ رؤيتُه ... كانه قصص يجترُّهُ السمر
وهانذا بلا زادٍ ، بلا مددٍ ... امضى ويمضى ورائى يومى العسِرُ

●●●●

بمن الوذ واهل الأرض فى سفر ... لا يستقر بهم بِيدٌ ولا حضر
أين الملوك ؟ وهل دامت لهم دولٌ ؟ ... طوتهم الأرض تحت التُربِ فاندثروا
ام بالأُلَى شيدوا خوف البلى هرماً ... لم تغن عنهم حضارات ولا اثرُ
من لم يزكِّهمو دين ولا خلق ... فلن يزكيهمْ يوم الردى حجرُ
ماخلَّد الدهرُ فى ارجائها بشرا ... لكنمَّا اهلها قد مسّهم خدرُ

●●●●

للأستاذ/إسماعيل يحيى

أين الفرار وتلك الدار فانية ... ونحن قبل الردى بالعيش نختبرُ
إن القضاء إذا حامت جوارحه ... فكل ساعٍ على الغبراء محتضر
ماذا تبقَّى من الأوهام أنسجه ... والعمر منحدرٌ يتلوه منحدرُ
ماذا أسوق لذات الله من حُججٍ ... وكل شيء لدى الديان مدخرُ
هو الذى يعلم الأسرار أجمعها ... لا شيء عن لوحِهِ المحفوظِ يُستترُ

●●●●

أيقنت أنى إلى الرحمن مُنقلِبٌ ... طال المدى أو طوى أيَّامَنَا السفرُ
فكيف ألقاه والأوزار تثقلنى ... وكيف أنكر ماجاءت به النُّذُرُ
ماذا أقول لرب الكون معتذراً ... إنى إلى عفوه المأمول أفتقرُ
أنت العليم ـ فهل أعصاك عن سَفهٍ ؟ ... ماكنت إلا امرأً قد خانه الحذرُ
هب لى من التوب ماتهدى به شططى ... قد يدرك الحسُّ مالايدرك البصرُ
إن كان يشفع لى ما كان من ندم ... فثم قلب ... على الأعتاب ينتظرُ

●●●●

أيها الماضى الجميل

لصوتك فى حِسِّى صدًى ورنينُ ⁂ تفيض له من مُقْلَتَىَّ شئون

وللروح من ترجيع ذكرك نشوة ⁂ وللقلب شوق عارم ، وحنين

ولى كل آن فى مروجك نزهة ⁂ ودونك أحقاب خلت وقرون

كأنى غريب ، من رحابك شارد ⁂ دخيل على هذا الزمان ظعين

بجسمى أنا ابن العصر ، لا بمشاعرى ⁂ فقلبى بما يحوى لديك رهين

أطوف على الأطلال مؤتنسا بها ⁂ ففيها لحيران الفؤاد سكون

ومالى وعصر قد تكدَّر وِرْدُه ⁂ ومافيه حصن للأباة حصين

إذا ما غوى طبع الزمان فإنه ⁂ خليق بأن يُقْلَى حماه قمين

فكل فعال الفاعلين معاول ⁂ وكل شفاه القائلين تَمِين

إذا سرتُ بين الناس سرتُ محاذرا ⁂ وكلى شعور مرهف وعيون

فكم من حراب فى الفؤاد وأسهم ⁂ رمانى بها عند الأمان خئون

وصرت لغدر الأفعوان فريسة ⁂ وقد كان ظنى أن ذاك خدين

وأيقنت أنى فى غياهب غابة ⁂ بناب وظفر تغتذى وتمون

إذا كنت ذا بأس يخيف وسطوة ⁂ فأنت من الفتك الغشوم مَصُون

وإن كنت شفاف الضمير موادعاً ⁂ فإنك صيد للذئاب سمين

للشاعر: محمد عبدالرحمن صان الدين

يقولون : (زَيْدٌ) طيب غير فاتك ⁂ وليس له فى الغاشيات مُعِين

فدونك ماتبغيه منه ، وَفُزْ بِهِ ⁂ الستَ بقانون السباع تدين

أهذا هو الإنسان ، أشرف كائن ؟ ⁂ له فى محاكاة الوحوش فنون !

ولكن تصول الضاريات لتغتذى ⁂ ويسطو أخو الإنسان وهو بطين

فَخَتْلُ الوحوش الطاويات ضرورة ⁂ وختلك ضغن - يامَلِئ - دفين

وعصر تهاوى فيه أقدس وازع ⁂ لَكُلُّ افتراس فى حماه يهون

رأيت طباع الناس فى كل حقبة ⁂ من الدهر فيها حكمة ومجون

ولكن تساميها ، وفلُّ شرورها ⁂ بوازع أديان السماء يكون

وهل يستقيم العيش دون عقيدة ⁂ لها فى تعاليم الخبير معين ؟

فَسُقْيَا لماض كان يحكم ناسَهُ ⁂ تقاليدُ أخلاق الكرام ، ودين

⁂⁂⁂⁂

جراحك منك

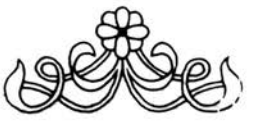
شعر: أحمد محمود مبارك

قصورُ الوهم تعلو .. ثم تعلو وترمقُها الحقيقةُ بازدراءِ
وتسكُنها تظنُّ بها أماناً ولا تدرى بأنَّكَ فى العراءِ
فتقذفُكَ الرياحُ بكلِّ شرٍّ وتذروك العواصفُ فى الفضاءِ
وحين تُفيقُ . لاتلقى قصوراً وتُبصرها هباءً فى هباءِ
تُعيدُ الكَرَّةَ الحمقاء دوماً برملِ الوهمِ تُسرعُ فى البناءِ

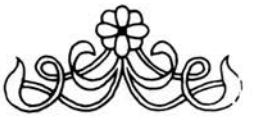
غريبُ انت تشكو من عَناءِ وتأمُلُ فى الخلاصِ وفى الشفاءِ
وتجرعُ من شرابٍ انت تدرى بما يحويه من سقمٍ وداءِ
اتَنْسِجُ من خيوطِ الليل ثوباً وترجو النورَ من غَلَسِ الرداءِ ؟!
جراحُكَ منكَ . لا تأمُلْ خلاصاً وانتَ أسيرُ غَىٍّ واشتهاءِ
اتُطْفِىء ، جذوةَ التقوىَ وتغفو كسيحَ العزمِ مشلولَ الرجاءِ ؟!
فلن يمحو ظلامَ الإثم ضوءٌ إذا لم تَسْعَ انتَ إلى الضياءِ

العلوم الكونية

مشاكل المعدة في مصر



من مفاهيم تلوث البيئة



مشاكل المعدة في مصر

لعله من الجدير بالذكر أن ننوه ببيان أن « أمراض الجهاز الهضمى والكبد المصرية » قد تختلف ـ بشكل واضح ـ عن نفس الأمراض في البلاد الغربية ؛ لذلك كانت طرق علاجها لا يستطيع تقديرها و« تقييمها » تقديراً وتقييماً صحيحين إلا الطبيب المصرى .

كذلك من الجدير بالذكر ـ أيضاً ـ إيضاح بعض الأعراض لهذه الأمراض التى نسمعها يومياً من هذا الصنف من المرضى ، وهى أعراض أصبحت شائعة بين الناس ، وتبدو فى :

آلام فم المعدة ، الميل للقيء ، الحموضة ، حرقان الصدر .

ويلاحظ أن البعض يتناول المشروبات الغازية مدعياً أنها تهضم ، ويكثر من استعمال « المهضمات » والأدوية الفوّارة المهضمة حتى أصبح من الصعب أن تجدها متوافرة فى الصيدليات لكثرة الإقبال عليها دون إرشاد الطبيب .

كثرة انتشار ما ذكرنا من أعراض ، إلى كثرة احتياجنا إلى الأدوية ، ثم كثرة استمرار هذه الأعراض، والقلق الذي ينتاب المرضى خوفاً من الإصابة بمرض أشد كالقرحة أو السرطان .. وقد نفاجأ بخلو المعدة من أى مرض عضوى عندما نقوم بعمل منظار للمعدة ... كل ذلك لا يفسره إلا وجود (المتهم الأساسي) في هذه الحال ، وهو نظامنا الغذائى في مصر .

المعدة تحمى نفسها من عصاراتها الهاضمة

لقد أنعم الله علينا بنعمة الصحة ، وإن في خلقه لحكمة وإبداع ودقة لا يمكن أن تكون إلا من عنده ـ تعالى .

ففى المعدة « الحامض » و« العصارات » التى تقوم بتحليل الطعام وسيولته وهضمه ، وهذه العصارة القادرة على هذه القوة لا تؤذى المعدة ولا تهضم .ارها ، وذلك لعدة عوامل مثل وجود المخاط والغشاء المخاطى المبطن للمعدة .

ثم إعداد الخالق ـ جل وعلا ـ للمعدة ذاتها حيث لا تقوم بإفراز أى حامض إلا بعد تناول الطعام .

للأستاذ الدكتور
على مؤنس

هذا إلى مقدرة المعدة على عدم إرجاع محتوياتها إلى المرىء

هذه الخواص الهامة هى الدعامة التى بواسطتها تحمى المعدة نفسها مما بها من « عصارات هاضمة » ذات قدرة على هضم أى شىء يدخل المعدة .

طعامنا المصرى أو الشرقى ماذا يفعل بنا ؟

طعامنا الذي يتكون من « المسبك » و« المقلى » و« المحمّر » و« البهارات » و« الشطة » ... كل ذلك يفسد خواص المعدة في حماية نفسها من عصاراتها حيث يؤدى ذلك إلى ارتجاع عصارات الأمعاء و« البنكرياس » والمرارة إلى المعدة ، كما يساعد على ارتجاع سوائل المعدة إلى المرىء ، كذلك يحدث التهاباً بالغشاء المخاطى المبطن للمعدة ؛ فإذا مجموع ذلك وحصيلته :

التهاب .. حموضة .. حرقان الصدر .. ميل للقىء .

بل قد يكون القىء راحة للمعدة .

طريقة تناولنا للطعام

لقد اعتدنا ملء المعدة بكثرة الطعام .

وتناول أى شىء بين الوجبات ..

ولعل ذلك هو العامل الهام في اضطراب المعدة ، والهضم وكثرة إفراز الحامض طوال اليوم .

وللعرب حكمة خالدة في هذا المقام حيث يقولون :

نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

عاداتنا المصرية لها بالغ الأهمية في كثرة أمراض المعدة في مصر

كثير منا يتناول « الاسبرين » وأدوية « الروماتيزم » وغيرهما من أدوية ، وكم من مريض يأتينى فأفاجأ باستمراره على علاج لسنوات كثيرة .

وتلك ظاهرة فريدة لا يتميز به إلا شعب مصر .

ولا ننسى التدخين :

فإن له أضراراً كثيرة ، بل خطيرة ، وبرغم ذلك نجد المدخنين يستمرون عليه برغم علمهم بما في ذلك من أضرار ومخاطر .

فأما « الاسبرين » وأدوية « الروماتيزم » وغيرهما من المسكنات فإنها تخدش المخاط ، وتلهب الغشاء المخاطى المبطن للمعدة ، وتساعد على نزيف المعدة الملتهبة أو القرحة المعوية ..

وأما « التدخين » فقد أثبت العلم أنه يزيد من حامض المعدة ويلهبها ، ويساعد على زيادة عدد الخلايا المفرزة للحامض ، كما يساعد على إرجاع سوائل الأمعاء والبنكرياس والمرارة إلى المعدة ، وإرجاع سوائل المعدة لأسفل المرىء مما يؤدى إلى التهاب المعدة وأسفل المرىء .

من هنا نرى :

أن أمراض المعدة عندنا لها أسبابها الخاصة ..

وهذه الأسباب تكمن في طعامنا وشرابنا ، والأدوية التى نأخذها يومياً ، والتدخين الذى نراه في المجالس والأندية وغيرهما ، ويتعدى ضرره المدخنين إلى غيرهم .

ولقد تمكنت بعض البلاد الأوروبية من السيطرة على ضرر المدخنين بفرض أماكن خاصة بهم ، وسن تشريع بإيقاع غرامة على المخالف ، وَطُبِّقَ القانونُ بصرامة أكسبته الاحترام والحَسْم .

●● ●● ●●

إن أمراض المعدة : من التهاب .. وتقرحات والتهاب أسفل المرىء .. والتهاب الاثنى عشر ، وعدم شفاء قرحة الاثنى عشر .. وتكرار هذه الأمراض .. أو عدم شفائها على الرغم من العلاج المستمر ـ كل ذلك كامن مباشرة في عاداتنا السيئة : طعاماً وشراباً ... الخ ..

●● ●● ●●

التشخيص السليم :

والتشخيص السليم لما نشكوه من أعراض يرتكز أساساً على الفحص العام للمريض ، وقد تؤدى الأشعة دوراً هاماً ولكنه قد تضاءل بعد استخدام مناظير الألياف الضوئية للمعدة والمرىء والاثنى عشر ، وقد يمكن التشخيص بأخذ عينات من المعدة وتحليلها ، ونلجأ ـ فى بعض الحالات ـ إلى تحليل عصارة المعدة للوقوف على « نسبة الحامض » الموجود بها ؛ لأنه ليس ضرورياً أن تكون هذه « الأضرار » نتيجة زيادة الحامض بالمعدة ؛ فقد تختلف أمراض المعدة عن أمراض الاثنى عشر ، فإن أمراض الاثنى عشر من التهاب وتقرحات ...

وقرحة الاثنى عشر لابد تعتمد على زيادة حامض المعدة ، وعلاجها هو نفس علاج حامض المعدة .

وهى أمراض تعتبر نتيجة مباشرة لما يضعف مقاومة الغشاء المخاطى المبطن للمعدة سواء كان الحامض طبيعياً ، أو ازداد لأمر ما مما ذكرنا ، وفى بعض الأحيان يحدث نقص في نسبة حامض المعدة ..

وخلاصة القول :

إنه عند علاج أمراض المعدة عندنا ـ في مصر ـ ينبغى أن نضع فى الاعتبار :

أننا ـ أولاً ـ السبب المباشر والحقيقي في ظهور هذه الأمراض .

وأن العلاج يجب أن يبدأ ـ قبل كل شىء ـ بدراسة واضحة للأسباب التى نسلكها في حياتنا العادية ، وذلك قبل أن نبدأ بعلاج الأدوية الذى يقلل أو يمنع حامض المعدة .

وقد يكون من الضرورى العلم بأن الأعشاب الطبية ذات دور فعّال حقيقي فى العلاج ، فـ « العرقسوس » ـ مثلاً ـ قد يكون علاجاً مقوياً للغشاء المخاطى المبطن للمعدة واقياً لها من الطعام والشراب ، معالجاً لها من أى ضرر بشرط هام هو الابتعاد عن المسببات التى أوردناها بالمقال والموجودة في حياتنا العامة ..

من مفاهيم

تلوث البيئة

د. كارم السيد غنيم

التلوث « أو التلويث » يعنى فى اللغة الدَّنَس « أو التدنيس » ، ويقول ابن منظور فى لسان العرب فى مادة الدنس « دنس » الدَّنَس فى الثياب : لطخ الوسخ ، ونحوه حتى فى الأخلاق ، والجمع « أدناس » . وقد دَنِس يَدْنَسُ دَنَساً ، فهو دَنِس : توسخ ، وتدنَّس : اتَّسخ ودَنَّسَهُ غيره تدنيسا .

المعنى العام للتلوث :

التلوث فى معناه العام هو : كل تغير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا يمكن للأنظمة البيئية أن تستوعبه بدون اختلال توازنها .

وعلى ذلك فإن الإنسان قبل هجوم الثورة الصناعية لم يتعرض لمشكلة التلوث لأن كل مخلفات نشاطاته كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن تستوعبه وتجريه فى سلاسل تحولاتها .

أما التلوث كتغير كمى فيكون بزيادة نسبة بعض المكونات الطبيعية للبيئة ، كزيادة « ثانى أكسيد الكربون » عن نسبته المعتادة نتيجة للحرائق الهائلة التى ماتزال تطرأ على مناطق الغابات والأعشاب أو زيادة درجة حرارة المياه فى منطقة ما من جراء ما تلقيه فيها بعض المصانع من مياه حارة ، وقد يكون بإضافة كم قليل من مادة فى موقع حساس كما هو الحال بالنسبة لتسرب البترول إلى مياه

البحر نتيجة لعطب فى ناقلات البترول أو الحوادث أو خلافه .

وينتج التغير الكمى من إضافة مواد تكون سامة أو قاتلة حتى فى تركيزاتها الطبيعية كالزئبق وأكاسيد الكربون والمواد المشعة .

وأما التلوث كتغير كيفى فينتج من إضافة مركبات صناعية غريبة على الأنظمة البيئية الطبيعية حيث لم يسبق لها إن كانت فى دوراتها وسلاسلها ، حيث تتراكم فى الماء أو الهواء أو الغذاء أو التربة ، وأبرز أمثلة هذه المواد مبيدات الآفات الزراعية ومبيدات الأعشاب .

وقد ثبت أن أخطر المبيدات هى التى يدخل فى تركيبها الكلور مثل مركب ال د . د . ت وغيره .

طبيعة التلوث بين الأقدمين والمحدثين :

يقول الله تعالى ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

والعيث : شدة الفساد ، ومعناه تطغوا ، وفى الآية ٤١ من سورة الروم ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ أى ظهرت البلايا والنكبات فى بر الأرض وبحرها بسبب معاصى الناس وذنوبهم .

قال البيضاوى - رحمه الله - « أنوار التنزيل » : المراد بالفساد الجدب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات ، وكثرة المضارّ بشئون الناس أو بكسبهم إياه ، وكذلك قال ابن كثير : أى بأن ينقص فى الزرع والثمار بسبب المعاصى ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة .

●●

وبعد ..

فإن معنى الفساد يتسع ليشمل الفساد المادى المتمثل فى تغيير الإنسان لظواهر البيئة ومحتويات الكون وتحويلها إلى الحالة السيئة وذلك بتدخله الأحمق فى ميزان الطبيعة الذى خلقه الله سبحانه بحكمة ودقة وعظمة بما يصلح لمعيشة كافة مخلوقاته ، ويتضمن هذا المعنى للفساد ما يحدث من الإنسان من تلوث لجزئيات الكون ماء وتربة وغذاء ، حين يقول الله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ . . فإن إخلال التوازن البيئى نوع من الفساد المذكور فى الآية ، والتلوث مظهر من مظاهر هذا الإخلال .

إن المقصود بتلوث الماء تدنيس مجارى الماء والآبار والأنهار والبحار والأمطار والمياه الجوفية ، مما يجعل ماءها غير صالح للإنسان أو الحيوان أو النبات أو الكائنات التى تعيش فى البحار والمحيطات .

والمقصود بتلوث الهواء هو نفث الغازات والدخان والأبخرة أى المواد فى صورها المختلفة صلبة وغازية وسائلة ، وذلك فى الهواء المحيط بالكائنات مما يؤدى إلى تغيير تركيبه الطبيعى ، وهذا يؤدى فى النهاية إلى عدم ملاءمة العيش الذى أراده الله لمخلوقاته ، فتنجم بذلك أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية فتفتك بالإنسان والحيوانات والنباتات وغيرها من الكائنات أو حتى الموجودات الأخرى . ومن المنذر بالخطر الجسيم أن تيار التلوث إلى أماكن لم يكن

يتوقع أحد أن يصل إليها فوجدوا أن هناك نسبة كبيرة من الرصاص فى الجليد فى جزيرة « جرينلاند » تزيد عن نسبتها منذ عشرات السنين ، وتعجَّب الباحثون من أين جاء هذا التلوث ، والجزيرة خالية من السكان تقريباً وخالية بذلك من السيارات والمصانع ، وتقع بعيدة عن مناطق العمران هناك فى المنطقة المتجمدة الشمالية .

إن الرياح هى المسئولة عن نقل هذا التلوث من مكان إلى مكان ، فالأبخرة والدخان والغازات الناتجة من المصانع التى تنفثها المداخن فى أوروبا تنقلها الرياح إلى بلاد نائية فى الشرق مثل السويد وشمال غرب روسيا .

والمقصود بتلوث التربة هو إفساد صفاتها وخصائصها وإتلاف التراكيب الطبيعية التى أودعها الله باطنها لتلائم الإنبات أو الاحتفاظ بمياه الأمطار فى جوفها طاهراً نقياً .

وبصفة عامة فإن ما يلوث الهواء قد يلوث الماء ويلوث التربة ، ذلك أن نظم الماء والهواء والتربة ترتبط ارتباطا وثيقاً ببعضها البعض .

د . كارم السيد غنيم

أزمة الاستشراق "بقية"

إعتباره المستشرق الوحيد الذى يقوم بأبحاث جدية فى هولندا ، فأما الآخرون فمن عرضنا لهم نجد أنهم ليسوا إلا مترجمين أو موظفى أرشيف أما (فريد دويونج) فعنده المنهج التركيبى العلمى الحقيقى الذى نود أن يصل به إلى فهم الإسلام والكتابة عنه كتابة علمية منصفة .

فى الحالة الهولندية ، لا نستطيع أن نتحدث عن استشراق من النوع الذى تحدث عنه الأستاذ أدوارد سعيد ، استشراق خلق الشرق .

كما لا نجد فى هولندا الاستشراق الذى تحدث عنه الأستاذ محمد البهى ؛ فالمستشرق البروتستنتى الهولندى لا يتحدث عن الحركات الإصلاحية ، والكاثوليكى واليهودى يتهجمان على الإسلام بشكل أوتوماتيكى .

الاستشراق الهولندى المعاصر منه بخاصة ينحونحو التوثيق لا البحث الموثق ويعانى من أزمة كبرى فى استخدام مناهج البحث .

المستشرق الهولندى يترجم من العربية إلى الانجليزية أو إلى لغته ، ولكنه لا يقدم رؤية جديدة أو تفسيراً للنصوص التى يتعامل معها . وإلى أن يجد مستشرقو هولندا لغة ومنهجاً لا نستطيع الآن أن نتحدث عن أزمتهم وليس عن إنتاجهم .

طرائف

« من هو أكرم الناس ؟ »

قال معاوية يوما لجلسائه : من اكرم الناس اباً واماً وجداً وجدة ، وعماً وعمة ، وخالاً وخالة ؟

قالوا : امير المؤمنين اعلم فامسك بيد الحسين ـ رضى الله عنه ـ وقال : هذا ابوه على بن ابى طالب ، وامه فاطمة بنت محمد وجده رسول الله ـ ﷺ ـ وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته هالة بنت ابى طالب ، وخاله القاسم بن محمد ، وخالته زينب بنت رسول الله ﷺ .

« الاختلاط »

للاستاذ محمد حسن النجمى :

زعم السفور والاختلاط وسيلة
للمجد قوم فى المجانة اغرقوا
كذبوا ، متى كان التعرض للخنا
شيئاً تعزُّ به الشعوب وتسبق

« النفس الرفيعة »

قال معاوية :

إنى لأرفع نفسى أن يكون ذنب أعظمَ من عفوى ، وجهل اكثر من حلمى ، أو عورة لا يواريها ستترى ، أو إساءة اكثر من إحسانى .

قالوا

● لا تدعوا حظكم من العزلة فإن العزلة لكم عبادة .

● للفقر نور مادمت تستره ، فإذا اظهرته ذهب نوره .

● اضر الاشياء صحبة عالم غافل ، او صوفى جاهل .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

● من لم يستعن بالله على نفسه صرعته .

● من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه .

● من تزين بزائل فهو مغرور .

● إن استطعت ان تعرف ولا تعرف ، وان تسأل ولا تسأل وان تمشى ولا يُمش إليك فافعل .

● اليقين داع إلى قصر الأمل ، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد ، والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب .

« حقا »

دخل الهرمزان أحد قواد الفرس مستسلما على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال ياعمر : كنا وإياكم فى الجاهلية على بُعْدٍ من الله ـ جل وعلا ـ فغلبناكم لأنه لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان الله معكم غلبتمونا .

فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : إنما غلبتمونا باجتماعكم وتفرقنا ، أى ولما جمع الله ـ تعالى ـ بالإسلام بين قلوبنا غلبناكم .

« من الغنى ؟ »

قال رجل لإبراهيم بن أدهم ، ياأبا إسحاق ، كنت أريد أن تقبل منى هذه الجبة كسوة .

فقال له إبراهيم : إن كنت غنيا قبلتها منك ؛ وإن كنت فقيرا لم اقبلها منك .

قال الرجل : فإنى غنى .

قال إبراهيم بن أدهم : وكم مالك ؟

قال الرجل : ألفا دينار .

قال إبراهيم : فأنت تود انها اربعة الاف .

قال الرجل : نعم .

فقال إبراهيم : فأنت تود انها اربعة آلاف ؟

قال نعم .

فقال إبراهيم : فأنت فقير ! لا اقبلها منك !

« دعاء »

إلهى منك تكون النعمة ، وعليك ثوابها وأنت تعين على شكرها ، وعليك ثوابه .

من روائع الماضى

من عيون مجلة الأزهر

الحياة وأطوارها

وإثبات الحياة البرزخية

لصاحب الفضيلة
الشيخ إبراهيم الجبالى

■ أطوار الحياة ، وعلاقة كل طور بالآخر ، واختصاصه بميزات لا تقبل الانعكاس هى حكمة الخالق جل وعلا ، وإنها الأدعى إلى نظرة تزيد المؤمن إيماناً ، وتعمق - داخل فؤاده - الإحساس بحكمة الخالق جل علاه ذاك ما يعرض له فضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى - رحمه الله قال :

الحياة وأطوارها
وإثبات الحياة البرزخية

كلنا نحب الحياة ونتعلق بها ونحرص عليها ،وهى جديرة بذلك ، ولكن هل فهمنا معنى الحياة واستوعبنا أطوارها ؟ إن الكثير من الناس يقصر الحياة على هذا الطور الظاهر الذى أوله الولادة وآخره القبر ، ولكن الحقيقة أن الحياة مظهر كمالى للموجود بحسب ما يليق به ، وأنها فى الإنسان لها أربعة أطوار تتدرج من أدنى إلى أعلى بحسب ترتبها فى الحصول والتحقق : طوران شاهدناهما ، وطوران أخبرتنا بهما النبوة الصادقة :

الأول : الحياة الجنينية : حياة الطفل فى بطن أمه . هذا طور من أطوار الحياة وهو أقصرها مدة وأضيقها مجالا وأخفاها أثراً وأضعفها احتمالا ، فإنك تعد مدته بآحاد الشهور ، وتجد مجاله لا يتجاوز شبراً فى شبر وهو بطن الأم ، وأثر الحى فيه لا يكاد يحسه أحد ، اللهم إلا حاملته فى بعض أحيان حركته أو من يتصل بها فى أواخر شهوره ، وقوة الحى فيه أضعف من أن يتحمل صدمة خفيفة فتقضى عليه اللكزة لساعته .

وبعد فهو دور من أدوار الحياة وطور من أطوارها يغتبط به الحى ويحرص عليه ويجزع لمفارقته ، حتى إنه يستهل صارخاً إذا انتقل إلى ما يليه مع أنه انتقل إلى أفسح وأوسع وأرغد وأكمل ، ولكنه عبد لما ألف ورق لما عهد .

الطور الثانى - حياة عالمنا هذا الفانى : هو ذلك الطور الظاهر لنا المستولى على مشاعرنا ، هو الطور الذى اغتر به المغترون وانخدع به الكافرون فقالوا : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ .. ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا

عـــرض وتقـديـم
عبدالفتاح حسين الزيات

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

وهو طور أرقى مما قبله فى كل شىء ، فبينما تعد فى مدة الأول بآحاد الشهور إذا بك تعد فى مدة هذا بعشرات السنين ، وبينما كان مجال الحى فى الأول شبراً فى شبر تجد مداه فى هذا ذلك الفضاء المادى الأرضى الفسيح ، وبينما كان أثر الحى فى الأول لا يكاد يحسه إلا حاملته أو من اتصل بها إذا بآثاره ههنا تملأ الكون ـ من أنهار يشقها ، وأشجار يغرسها ، واستعمار واستثمار ، وتحليل وتركيب ، حتى عـد بحق خليفة الله فى أرضه ، لقب حسدته عليه الملائكة ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ثم بينما كانت قوة الحى فى الأول من الضعف بحيث تقضى عليه لكزة اليد أووخزة الأصبع إذا به فى هذا الدور قد أصبح يقارع الخطوب والخطوب تقارعه ، ويصارع الدهر والدهر يصارعه ، فتارة غلب وتارة غُلب ، وطورا سلم وطورا هزم .

طوران من أطوار الحياة يشتركان فى معنى الحياة ويتجاوران بل يتلاصقان ، فمنتهى أحدهما مبدأ الآخر ، ومع ذلك يتباعدان فى أحكامهما تباعدا شديدا ، حتى إن ما يشترط لصلاح أحدهما تراه مفسدا للآخر ، فإنك لو عرضت الجنين قبل ولادته للهواء لفسدت حياته ، ولو أعدت الوليد عقب ولادته لبطن أمه لمات لساعته . فانظر كيف تجاورا وتـلاصقا مـع تناقضهمـا فى الأحكـام والمقتضيات ، وقد اقتضت إرادة الحكيم العليم أن نرى هذين الطورين من أطوار الحياة متجاورين متناقضين لتتسع مداركنا لفهم معنى الحياة فهما أوسع مما يبدو لصغار العقول وقصار النظر فى فهمهما من قصرها على هذا الدور الظاهر ، فأرانا جل شأنه الحياة فى مظهرين متقاربين متباعدين لنعلم أن الحياة أوسع معنى من قصورها على حال واحدة ، فنفهم من أطوارها ما تحدثنا به النبوة الصادقـة وذلك هـو « الطوران الآتيان » .

الطور الثالث من أطوار الحياة ـ وهو الأول من الطورين اللذين أخبرتنا بهما النبوة ـ هو الحياة البرزخية ، هو الطور الذى يبتدىء بالقبر وينتهى بالحشر ، هو الطور الداخل فى عبارة ما بعد الموت ، ونسبته إلى الطور الثانى كنسبة الثانى إلى الأول ، فإذا عددت فى مدة الأول بآحاد الشهور وفى مدة الثانى بعشرات السنين ، فعد فى مدة الثالث بآلاف الأجيال والقرون ، وإذا كان مدى الأول شبراً فى شبر ومدى الثانى هذا الفضاء المادى الأرضى ، فمدى الثالث ملأ أعلى روحانى سماوى ، وإذا كان أثر الحى فى الأول لا تحسه إلا حاملته وأثر الثانى تلك الشئون المادية التى شرحناها

لك ، فأثره فى الثالث يتجلى باتصاله بأرواح الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين فيتجلى له من أسرار العلم الروحانية العلوية ما يحقر أمامه تلك الشئون المادية الأرضية ، وإذا كانت قوة الحى فى الأول بحيث تقضى عليه لكزة يد أو وخزة أصبع ، وقوته فى الطور الثانى بحيث يصارع الدهر والدهر يصارعه فتارة غلب وتارة غلب ، فقد أصبح فى الطور الثالث فى مأمن من الدهر وغوائله ، حتى يأتى أمر الله يوم ينفخ فى الصور .

لهذا الطور حكمه وأثره على نسق ما بين الطور الأول والثانى ، ألا ترى أنك إذا عرضت على واحد فى هذه الحياة الدنيا أن يعود إلى بطن أمه عد ذلك مجوناً أو سخفاً ولا يكاد يصدق أنك تخيره تخييراً صحيحاً مع أنه قد بكى عليه يوم فارقه ، فكذلك لو عرضت على المؤمن أن يعود من طوره الثالث إلى طوره الثانى الذى حزن يوم فارقه لكان بمثابة أن تعرض عليه وهو فى هذه الحياة أن يعود إلى بطن الأم وقذرها وحبسها .

نعم : فالدنيا سجن المؤمن ، أما الكافر والعياذ بالله فيتمنى لو لم يحى حياته الأولى التى كانت عليه وبالا ظهر أثره فى الطور الثالث . هذا الطور ثابت بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وقال جل من قائل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ ما كان قولهم عنهم إنهم أموات أي لن يبعثوا ، فما كان هذا على بال المؤمنين فى شأن الشهداء ، وإنما هو ظن أنهم أموات عقب استشهادهم ، فكان فى الآية رد هذا الزعم وإثبات أنهم أحياء الآن ، ولكنها حياة ليست من جنس الحياة التى تحسونها وتشعرون بها ، وإنما هى حياة على معنى آخر أخبرتنا بها النبوة فنصدق بها وإن لم نحسها ولم نشعر بها ، وكفانا فى اتساع عقولنا لفهم معنى الحياة على وجه أوسع ما شهدناه من تنوعها وتفننها فى الطورين السابقين . هذا الطور غير مقصور على الشهداء ، وإنما اختصهم الله بالنص عليهم لاختصاصهم بالقرب منه تعالى ومزيد البهجة والكرامة ، وإلا فلا يعقل أن يكون الأنبياء وهم المتبوعون محرومين من حياة استمتع بها الشهداء التابعون . لا لا ، بل قد دلت الآية الكريمة على ثبوت هذه الحياة حتى للكافرين ، يقول الله جل شأنه : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ فما كان قوله : النار يعرضون عليها غدواً وعشيا حكاية عن نار يوم القيامة ، فما كان فى القيامة غدو ولا عشى ولا شروق ولا غروب ، والمتعاطفان متغايران ، وقد حكى عن الأول بكلمة النار يعرضون عليها ، وعن الثانى بكلمة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ، والعرض غدوا وعشياً غير الادخال المستمر . وهل يتصور أن تكون هذه الحياة ثابتة للشهداء وبالأولى للأنبياء ، ثم هى ثابتة

بالنص القرآنى للكافرين ويكون المحروم منها هم سائر المؤمنين ؟ أفلا يصح أن تكون هذه الآيات سنداً متيناً لما ورد فى السنة من مثل « القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » ؟! أولا يصح أن تؤيد مثل ما روى فى قصة بدر أنه بعد أن قتل صناديد قريش وردوا فى القليب : قليب بدر جاء صلى الله عليه وسلم وأخذ يناديهم بأسمائهم : يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فقال قائل : أو تخاطبهم يا رسول الله أو يسمعون ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ـ أو لايصح أن يسند ما ذكر من الآيات ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم : حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم » .

إن الحياة البرزخية وعذاب القبر ونعيمه واستدعاء ذلك للحياة أمر لا ينبغى أن يشك فيه مؤمن ، وإذاً فالميت بعد موته له حياة وله شعور ، ويصح أن يكون له استغفار ودعاء . كما فى الحديث السابق ، فما المانع من أن يتوسل به إلى الله كما يتوسل بالحى ، ومبلغ تأثير العبد فى الوجود لا يعدو أن يجرى الله بعض الشئون عن طريقه ، وإلا فالله هو المتفرد بالإيجاد والمتوحد بالتصريف لا رب غيره ولا معبود سواه ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

وبعد فهب أن ما ذكر لا يكفى دليلاً صحيحاً وبرهاناً صريحاً على ما رأيت من وضوح الأمر فيه إلى هذا الحد ، أفلا يكفى لأن يكون تأويلاً مقبولاً فيخرج صاحبه عن أن يكون مشركاً فى نظر من لا يقول بمقالته والله يقول :﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أما أن الأجدر بالمسلمين ـ وخصوصاً أولى العلم والرأي ـ أن يتلمسوا أسباب التوفيق ما وجدوا إليها سبيلاً ، وينبذوا الكلام وتوسيعه فى أمور ليست مما يجب على المسلم فى تصحيح عقيدته التى ينجو بها يوم الفزع الأكبر أن يجزم فيه بنفى أو إثبات ، فلو أن مسلماً صحت عقيدته فيما يجب لله ولرسله وعرف ما يجب عليه وما يحرم ثم لم يجزم فى أمر التوسل والاستغاثة بحكم لما قيل له إنك مشرك .

فالواجب الجزم بأن الله هو المنفرد بالإيجاد والإعدام وإنه ربط العالم بنظام عرفنا منه ما عرفنا وجهلنا ما جهلنا ، ولكن مهما عرفنا ومهما جهلنا فإنا لا نعدو ذلك الحكم الجازم وهو أنه جل شأنه هو وحده المهيمن على العالم المتصرف فيه المسيطر عليه ، وأن ارتباط بعض أجزائه ببعض فى حصول شىء بعد شىء إن هو إلا تسبب وربط باختياره تعالى ، ولو شاء لعكس القضية فجعل من النار ريا ومن الماء

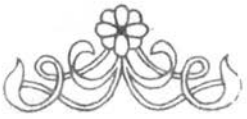
إحراقاً ، وإن فى خرق النظم فى بعض الاحوال لتاييد رسله او لحكمة اخرى لاكبر شهادة على انه الفاعل المختار لا رب غيره ولا معبود سواه .

الطور الرابع ـ هو الحياة الآخرة ، هو الحياة الحقيقية ، هو المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ هو طور له أول ولا آخر له ، هو طور النعيم المقيم والسعادة الدائمة ، هو طور الوجود الذى لا نهاية له ، هو الذى يرى المؤمنون فيه من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم يقول الله تعالى فيه للمؤمنين : « ألا أمنحكم ما هو أعظم من ذلك » فيقولون : « وأي شيء أعظم من ذلك » فيقول : أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا » هو الذي يكون للمؤمنين فيه أن يروا ربهم كما يرون القمر ليلة البدر لا يمارون فيه ولا يشكون ، فيلحقهم بذلك من الغبطة والابتهاج ما يتقاصر أمامه نعيم الجنان مهما كان عظيماً . نسأل الله أن يمنحنا سعادته ويجعلنا من أهل نعيمه .

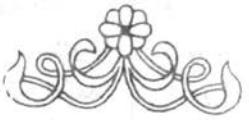


اللغة والأدب والنقد

حول المحل الإعرابي والإعراب المحلي



بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار



رؤية جديدة في صيغتي المدح والذم

حول المحل الإعرابى والإعراب المحلى

الإعراب من خصائص اللغات السامية وأخص هذه اللغات لغتنا الخالدة التى يهواها الناس جميعاً ، حتى غير المسلمين وغير العرب ، ولما لها من موسيقى ساحرة وعبارات أخاذة . ومفردات يعجز العقل عن حصرها أو عدها . وإذا كان هناك ما يسمى فى اللغات الأخرى باسم التحليل « Analysis » فإن هذا التحليل لا يرقى إلى ما يسمى عندنا بالإعراب .

فإذا أردنا أن نحلل هذه الجملة وهى باللغة الفرنسية والمعروف عن هذه اللغة أنها لغة تحليلية قاعدية فهى تشبه اللغة العربية لغة الإعراب من هذه الوجهة فنجد أنهم عندما يقولون : محمد يأكل التفاح ، يقولون بلغتهم :

Mohammad mange La Pomme .

وعند تحليل هذه الجملة نجدهم يحللونها إلى ألفاظ بدلالات موضوعة عن هذه الألفاظ فمحمد فى الجملة فاعل « Sujet » ويأكل فى الجملة فعل « Verbe Present » والتفاح مفعول به مباشر « Complement d, objet direct » .

ومع أن كلاً من الفاعل والمفعول اسمان فهما مختلفان من حيث الدلالة فمحمد « nom propre » والتفاح « Nom Commun » فإذا أردنا أن نعرب هذه الجملة نفسها : محمد مبتدأ مرفوع بالضمة ، وجملة يأكل التفاح بأكملها خبر لهذا المبتدأ فى محل رفع ، وكل من المبتدأ والخبر يكمل الآخر ويرتبط به ، فجملة الخبر وهى جملة فعلية ترتبط بالجملة الاسمية « محمد يأكل التفاح » برباط قوى هو الضمير فى يأكل مما يجعلنا نقول : إن الجملة فى اللغة العربية جملة متماسكة يأخذ بعضها بحجز بعض مع التفاوت فى هذا التماسك ، ومن هنا كان المحل الإعرابى أو عدمه للجملة ، ولقد كان النحاة منصفين وموفقين حقاً حينما جعلوا الجمل ذات المحل الإعرابى سبعة وكذلك الجمل التى لا محل لها من الإعراب . والجمل التى لها محل من الإعراب « Principal clause » ضابطها أن تقع الجملة

بقلم : د. عبد الرءوف محمد عثمان

موقع الاسم المفرد فتأخذ محله الإعرابى رفعاً أو نصباً أو جراً ، وقد تقع الجملة موقع الفعل المجزوم فتكون فى محل جزم ، وهذه الجمل تختص بأن لها وضعا متميزاً أو رئاسياً فى الكلام بخلاف الجمل التى لا محل لها من الإعراب والتى سيأتى الحديث عنها فإنها لا تأخذ هذا الوضع وإنما تكون فى الغالب منقطعة أو موضحة لما قبلها أو مفسرة لأخرى وها هى الجمل ذات المحل :

أولاً : الجملة التى تقع خبراً عن المبتدأ مثل الكريم يعيش محبوباً ، والبخيل عيشه نكد فجملة الخبر فى المثال الأول فعلية وجملة الخبر فى المثال الثانى اسمية ، وكلتاهما فى محل رفع ، وكذلك الجملة التى تقع خبراً لناسخ مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(١) .

ثانياً : إذا وقعت الجملة مفعولاً به مثل : أقول دائماً : « إن دعوة المظلوم لا ترد » فالجملة هى مقول القول وهى فى محل نصب .

ثالثاً : إذا وقعت الجملة حالاً كقولك تغدو الطيور وهى خماص وتروح وهى بطان فالواوان الأولى والثالثة هما « واوا » الحال وما بعدهما فى محل نصب حال أما الواو التالية لخماص فهى واو العطف .

رابعاً : إذا وقعت الجملة مضافاً إليه : مثل تحلو الجلسة حيث يجلس الأحبة وكقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾(٢) وكقوله أيضاً ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾(٣) فالظروف الثلاثة « حيث » و« إذْ » و« يوم » مضافة وما بعدها من الجمل مضاف إليها فى محل جر .

خامساً : جملة جواب الشرط الجازم بشرط اقترانها بإحدى الأداتين الفاء أو إذا الفجائية فهاتان الأداتان هما بمثابة الرابط الذى يربط بين طرفى فعل الشرط وجوابه بحيث يكونان وكأنهما جملة واحدة كأن تقول : من يجتهد فإن النجاح حليفه ومثل الفاسق إن دعوته للصلاة إذا هو ينفر منك .

سادساً : إذا وقعت الجملة نعتاً مثل : يؤثر فى المصلين خطيب **حجته قوية** ، إن لهذا الخطيب حججا **تؤثر فى السامعين** ، وكم لهذا الخطيب من حجج **تقنع السامعين** فالجملة فى الأولى فى محل رفع نعت « خطيب » والجملة فى الثانية فى محل نصب نعت « حججا » والجملة فى الثالثة فى محل جر نعت « حجج » .

سابعاً : إذا وقعت الجملة تابعة لجملة لها محل من الإعراب ، فتأخذ حكمها بحق الجوار ، فإذا قلنا الأزهر يصنع الرجال

(١) الآية ٣٠ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٨٦ من سورة الاعراف
(٣) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

ويربى الأجيال كانت الجملة الثانية وهى معطوف على جملة الخبر لها نفس المحل ، فالأولى فى محل رفع لأنها خبر عن المبتدأ والجملة الثانية كذلك لأنها معطوفة عليها .

●● ●● ●●

أما الجمل التى لا محل لها من الإعراب « Subordinate Clause » فضابطها أنها لا يقع المفرد موقعها وهى :

أولاً : الجملة الابتدائية : وهى التى تقع فى أول الكلام أو فى أثنائه منقطعة عما قبلها فالأولى مثل المؤمن مرآة أخيه والثانية مثل لا تستسلم للغضب : إنه يعصف بالعقل .

ثانياً : الجملة التى تقع صلة للموصول : مثل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً ﴾(٤)

ثالثاً: جملة جواب الشرط غير الجازم : نحو لو قصدتنى فى محنتك لساعدتك . ويدخل تحت هذا جملة جواب الشرط الجازم إذا كانت غير مقترنة بالفاء أو إذا الفجائية مثل من قدم الإحسان لقى الإحسان ومن يقدم على الجميل يلق الجميل .

رابعاً : الجملة الاعتراضية : وهى التى تقع بين أجزاء الجملة أو بين جملتين مرتبطتين مثل أنا ـ رعالك الله ـ لا أنسى صنيعك ، هاجر رسول الله ـ ﷺ ـ ومعه صديقه أبو بكر .

خامساً : جملة جواب القسم : مثل والله إن الصبر يقهر الصعاب وكقول الشاعر لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها .. ولكن أخلاق الرجال تضيق .

سادساً : الجملة المفسرة : وهى التى تفسر حقيقة شىء قبلها وهى على ثلاثة أنواع فقد تكون مصدره بأنْ مثل أوحيت إليه أن قدر موقفى ، وقد تكون مصدرة بأىْ مثل نظرت إليه شزرا أى احتقرته وقد لا تصدر بأيهما مثل : نصحتك : لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد .

سابعاً : الجملة التالية لجملة لا محل لها من الإعراب : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ . إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾(٥) وكقولهم العمل شرف ، والعمل حق ، والعمل واجب ، وكقولك : والله إن الدين قوة روحية وإنه لمعين للقيم والمثل الكريمة .

●● ●● ●●

هذا هو المحل الإعرابى بشقيه ، أما الإعراب المحلى فهو واحد من مظاهر الاعراب الأربعة وهى الإعراب الظاهرى ، والإعراب التقديرى ، والإعراب النيابى ، والاعراب المحلى .

وإليك بياناً موجزاً عن كل مظهر من هذه المظاهر الإعرابية :

أولاً : الإعراب الظاهرى وهو الأصل فى الإعراب حيث تظهر فيه حركات الإعراب على آخر الكلمات وآنئذ يمكن النطق بالحركة . ويتجلى هذا الإعراب فى المواضع الآتية :

ا ـ الاسم الصحيح الآخر فى حالات الرفع والنصب والجر مثل :

(٤) الآية ١٦٩ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٣٠ من سورة الكهف .

الرجل القوى يواجه الشدائد فى ثقة وقوة .

ب ـ الاسم المنقوص فى حالة النصب لخفة الفتحة على الياء مثل :

إن الساعى فى الخير كفاعله .

جـ ـ المضارع الصحيح الآخر فى حالات الرفع والنصب والجزم مثل :

يحاول الاستعمار الحديث أن يغير أقنعته ليخدع الشعوب ولكنها لم تنخدع به .

د ـ المضارع المعتل الآخر بالواو أو الياء فى حالة النصب مثل :

لن تبنى الأمم حياتها . وتدنو من أهدافها بغير العمل .

ثانيا : الإعراب التقديرى : وهو ما لم تذكر فيه العلامة على آخر المعرب لسبب من هذه الأسباب الثلاثة : التعذر ـ الثقل ـ الاشتغال .

فالتعذر يتمثل فى صورتين أولاهما فى الاسم المقصور فيقال جاء مصطفى ورأيت مصطفى وكنت مع مصطفى فتقدر الحركات الثلاث على الألف لأن الألف لا تقبل الحركة بحال ولذلك يشبهون بها الإنسان الجامد غير المرن .

والصورة الثانية تتمثل فى المضارع المعتل بالألف فتقدر عليه الضمة والفتحة فقط نحو يخشى محمد ربه ولن يخشى أحدا غيره .

والثقل : يتمثل فى صورتين أولاهما : فى الاسم المنقوص فتقدر عليه الضمة والكسرة فقط فيقال هذا القاضى وذهبت إلى القاضى .

والصورة الثانية : فى المضارع المعتل بالواو أو الياء فتقدر عليه الضمة فقط للثقل نحو يرمى الجمار محمد ويدعو الله فى حجه .

والاشتغال : له ثلاث صور الأولى فى الاسم المضاف إلى ياء المتكلم فيقال هذا أبى ورأيت أبى وذهبت إلى أبى فعلامة رفع (أ ب) فى المثال الأول ضمة مقدرة لاشتغال المحل بالكسرة التى تناسب ياء المتكلم ، وعلامة نصبه فى المثال الثانى فتحة مقدرة للاشتغال المذكور آنفا ، وعلامة جره فى المثال الأخير كسرة مقدرة لنفس الاشتغال .

الصورة الثانية : فى الاسم المحكى نحو من (زيدا) ؟ لمن قال : رأيت زيدا فعلامة رفع زيداً فى هذا السؤال ضمة مقدرة لاشتغال المحل بحركة الحكاية .

والصورة الثالثة : كما فى الاسم المجرور بحرف الجر الزائد كخبر ليس نحو ليس خالد بشاعر فشاعر هنا خبر منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ثالثا : الإعراب النيابى : وهذه النيابة على أربعة أنواع تضم تحتها سبع حالات :

أ ـ نيابة حرف عن حركة : كما فى الأسماء الستة وجمع المذكر السالم والمثنى .

ب ـ نيابة حركة عن حركة : كما فى جمع المؤنث السالم والممنوع من الصرف .

جـ ـ نيابة حرف أو حذفه عن حركة : كما فى الأفعال الخمسة فهى ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحذفها .

د ـ نيابة حذف حرف عن حركة : كما فى الفعل المعتل الآخر مطلقاً ، أى سواء أكان آخر المضارع ألفا أم واوا أم ياء فإنه يجزم بحذفها جميعاً .

←

رابعاً : الإعراب المحلى[٦] : وهو بيت القصيد بل هو ما يعنينا فى هذا المقام ويأتى هذا الإعراب فى ثلاث صور :

١ ـ المبنيات : ويراد به[٧] هنا مجىء الكلمة المبنية فى الجملة فى موقع لو كانت غير مبنية لتأثر لفظها بالعامل وظهرت عليه علامة الإعراب ، ولأجل أنها مبنية كان تأثرها فى المحل لا فى اللفظ بعكس الكلمة المعربة التى تتأثر لفظا ومحلا . فإذا قلنا (هذا كتابى) كان اسم الإشارة فى محل رفع لأنه مبتدأ ، وإذا قلنا (اشتريت هذا الكتاب) كان اسم الإشارة نفسه فى محل نصب لأنه مفعول به وأخيراً إذا قلنا (أخذت الكتاب من هذا) كان اسم الإشارة فى محل جر ، فلو أنك استبدلت اسم الإشارة فى الأمثلة الثلاثة باسم معرب لظهرت علامات الإعراب فتقول الكتابُ كتابى ، واشتريت كتاب النحو ، وأخذت الكتاب من محمدٍ .

٢ ـ فى الأسماء المعربة المجرورة بحرف التعدية : كقولك مررت بزيد فإنه فى محل نصب على المفعولية ، وكذلك فى الأسماء المجرورة بالإضافة اللفظية نحو أعجبنى ضرب زيد فإنه فى محل رفع على الفاعلية لأنك تقول أعجبنى أن يضرب زيد .

٣ ـ فى الجمل التى لها محل من الإعراب نحو محمد أبوه مهندس فجملة (أبوه مهندس) فى محل رفع خبر عن المبتدأ وهو محمد .

يمكننا إذاً بعد هذا العرض أن نصل إلى النتائج الآتية :

١ ـ المحل الإعرابى وعدمه من خواص الجمل وإن شئت فقل إن الجملة أصل له أما الإعراب المحلى فيكثر ويغلب فى المفرد وأكثر ما يظهر فى المبنيات وإذاً فالمفرد أصل له .

٢ ـ يمكن تداخل كل من المحل الإعرابى والإعراب المحلي كما فى المثال الذى أسلفنا وهو محمد أبوه مهندس فجملة (أبوه مهندس) وقعت خبراً عن محمد ومادامت وقعت خبراً فلها محل إعرابى وهى أيضاً فى محل رفع ولو كان الخبر هنا مفردا لظهرت عليه حركة الإعراب وهو الرفع .

٣ ـ عدم الاستغناء عن الإعراب المحلى وأخيه التقديرى فبهما يتم العقد فى مظاهره الأربعة السابقة . ولقد قامت حملة مسعورة فى السنين الخوالى تنادى بإلغاء هذين الإعرابين المحلى والتقديرى ، وباءت تلك الحملة بالفشل وبقى الإعراب بمظاهره كلها شامخا يتحدى أى عدوان أو اعتداء عليه . ونحن نقول لهؤلاء وأولئك مارددده علماؤنا من قبل : أين البديل عن الإعراب المحلى ؟ وكيف يستوى أو يتساوى وضع اسم الإشارة فى الأمثلة الثلاثة الآتية :

حضر هؤلاءِ الرجالُ
رأيت هؤلاءِ الرجالَ
كنت مع هؤلاءِ الرجالِ

" البقية ص ٥٢٤ "

(٦) ذكرنا مظاهر الإعراب الأربعة حتى يكتمل العقد ، وتسهل المقارنة بينها ، ويظهر الفرق بينها فى جلاء ووضوح .
(٧) أى يراد بالإعراب المحلى .

على هامش النقد

بكاء الديار
ورثاء الممالك والأمصار

للأستاذ : السيد حسن قرون

فى الشعر العربى قصائد رائعة يانعة القطوف ، بارعة تأسر العقول والقلوب ، لما حوته من هواجس وأحاسيس أناس صاغوا ما ادخروه من صبابة وغرام ، وغضب وآلام فى تلك القصائد العظام ، ونحن نقرأ ذلك الشعر فنشعر بمعانيه ، وتنقلنا إلى عصورهم فنبكى كما بكوا ونذرف الدموع كما ذرفوا ، وكأننا نسابقهم فى ميادين البكاء ، وكأن ما نسمعه اليوم من أنين وحنين فى الأغانى من ميراثهم الذى لا ينسى ، وآثارهم التى نحافظ عليها جيلاً بعد جيل .

وحين نستعرض ذلك الشعر يظهر لنا منه نوعان لكل منهما خصائصه ومعالمه والسمات التى تميزه :

النوع الأول : هو ما نسميه « بكاء الديار » والآخر هو « رثاء الممالك والأمصار »

وبكاء الديار مهما كان حاراً متوهجاً فإنه آخر الأمر ممتع ولذيذ ، وللناس إقبال عليه ، تقرؤه وتستسيغ قراءته ، وتستعذب مرارته ، فهو منهل الأدباء ومسلاة القراء ونزهة المؤرخين وسمر أصحاب الأخبار ، ويسرك أن تعرف منشأه وأسراره وأصحابه وصوره وأنماطه ، والذين اشتهروا به وصار سمة لهم وعلامة على حياتهم ومقدرتهم على الإبداع والإمتاع .

نود أن نعرف كثيراً مما كان لهم مع حياتهم من لقاء وافتراق واقتراب وابتعاد وصدى ذلك كله فى أشعارهم ، وقد فعل الرواة ماأردنا وإليه قصدنا ، فجمعوا كثيراً من آثارهم وأخبارهم وقوافيهم مما كان سحراً ملأ ليالى الناس بالجمال والمتعة وحب الحياة .

أما النوع الثانى : وإن كان من نوع البكاء ، ولكنا عرفناه بأنه (رثاء الممالك

والأمصار) هذا الشعر يبكى مدينة سقطت فى يد جبار ظالم ، أو دولة نَلَ العَدُوُّ عرشَ ملكها فتغيرت هويتها وضاعت مكانة من تركوها أو عاشوا فيها أرقاء وسجناء ، وقع ذلك فى القديم « البصرة فى يد الزنج » والأندلس فى يد الفرنجة ، وفى الحديث كانت نكبة فلسطين .

رثاء تلك الممالك والدول والمدن يحتوى عناصر الحماسة ومرارة الهزيمة وضرورة الانطلاق لأخذ الثأر ، فحين نقرؤه نجد أنفسنا على أهبة الاستعداد لخوض المعارك وركوب الأخطار والشوق إلى رد ما أخذ ، ولا يهمنا من هذا الشعر جانبه الممتع ، إنما يهمنا منه تصوير ما كان وما يجب أن يكون .

والعظة بما كان حتى لا نقع فى اجترار الأحزان عقب الهزيمة فى الميدان . وحين نستجيب لهذا الشعر فإننا لا نردده ولا نحفظه . ونكتفى بتسجيله للعظة والاعتبار أو للدراسة لمعرفة أنواع القصيد .

بعد هذا التمهيد القسرى أدعوك معى للوقوف على ما أجملت من النوعين بالبسط والتوضيح ونبدأ ببكاء الديار :

وهى سمة شعرنا فى العصر الجاهلى الذى كان الأساس لصورة القصيدة العربية التى فرضت قواعدها على جميع العصور حتى زمن التجديد وحب الاختلاف والمفارقة . فأذكر لك أن هذا البكاء كان طبيعياً ويسير وفق مطالب الفطرة تجده فى الشعر الجاهلى . كما تجده فى الشعر الإسلامى وقد اشتهر جماعة فى العصر الجاهلى بالحب والصبابة فصاغوا مشاعرهم شعراً ملتهباً يسيل عطفاً ولطفاً ، ويشف عن موهبة شاعرية تريك الحنين ماثلاً والدمع مترقرقاً والدار شاخصة .

وفى العصر الإسلامى ولا سيما عهد بنى أمية ظهر كوكبة من الشعراء بزوا الأولين وأتعبوا المتأخرين .

لقد تركوا شعراً عاطفياً صادقاً يقطر حسناً وحلاوة ، وامتازوا عن سابقيهم ولاحقيهم بأنهم جعلوا شعر الغزل منشوداً لذاته فلم يعد مقدمة لقصيدة مدح أو فخر أو صلح ، وإنما خصوه بالدواوين والقصائد الطوال .

والفضل فى ذلك كله لعبقرية المكان ، لقد صنعت البادية ذلك الشعر الرقيق الأنيق الذى يحب ويطلب . كان أهلها عند قولهم من أجدب انتجع ، ومتى ينتجعون ؟ حين ترسل السماء خيرها على الأرض ، فينتقلون أسرا وعشائر طلباً للكلأ ، وتنصب الخيام ، ويعرف الجار جاره ، وفى تلك الجماعات صغار وصغيرات وفتيان وفتيات يتم التعارف بينهم وتنمو الروابط بين جوانحهم ، ثم ينتهى الربيع ويجف النبات وتعود كل أسرة إلى موطنها ، ويحس الشعراء الذين عشقوا بفقد من أحبوا فيكون التعبير شعراً رائقاً يصور العواطف ولواعج الأسى ، ولفحات الذكرى ، وتذكر الديار مصورة بما كان فيها من أنس وسرور . ومن ثم تصدر الغزل قصائد الشعراء فى العصر الجاهلى ، وكانت له السطوة والعزة فى العصر الإسلامى وقد اشتهر من شعراء الجاهلية ببكاء الديار المرقشان : الأكبر

والأصغر ، وابن خذام الذى ذكره أمير شعراء العصر الجاهلى امرؤ القيس فقال :

عـوجا عـلى الطلل المحيـل لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن خذام

أما فى العصر الإسلامى فقد قدم الحجاز حاضره وباديه شعراء صنفهم مؤرخو الأدب صنفين :

أصحاب الغزل الصريح وأصحاب الغزل العفيف .

وقد ظهر الأول نتيجة لحياة الترف التى رضيت الغناء لها مسلكاً ، فقد حيل بين أبناء المهاجرين السادة وأبناء الأنصار وبين الحياة السياسية وأغدقوا عليهم الأموال وحسنوا لهم دواعى التنعم ، فوجدوا فى الغناء مأربهم وفى اللهو بغيتهم فاستجاب شعراء القرى لتلك الحياة فنظموا الشعر الشائق الرائق فعرفنا عمر بن أبى ربيعة القرشى والأحوص الأنصارى ومن جرى على هذا الطريق مثل ـ الحارث بن خالد المخزومى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات .

وبجانب ذلك كان الغزل العفيف وكان موطنه البادية قالوا : إن الرجال رحلوا إلى البلاد المفتوحة يشتركون فى الجهاد وتركوا الصبية والصبايا تجمعهم المراعى والحياة المتشابهة . فحين كبرو وكبرن منعوا الاختلاط وحن كل أليف لأليفه فكان ذلك الشعر الذى نسميه « الشعر العفيف » أو الشعر العذرى نسبة إلى الحب العذرى ، وله قبائله المعروفة : عذرة ، وخزاعة ، وعامر وإن كانت غيرها من القبائل تقول ما تقول تلك القبائل .

واشتهر من هذا النوع : جميل بثينة ، وكثير عزة ، وقيس بن ذريح ، ومجنون ليلى ، وابن الدمينة وذو الرمة وغيرهم ممن ملأوا الحواضر والأندية ، وكان متاعاً لذوى القصور ولذوى الخيام ..

فماذا قال الشعراء فى الجاهلية ؟ وماذا قال الشعراء فى الإسلام ؟!

من المعلوم أنى لا أستطيع أن أقدم نماذج لكل العصور ولكل الشعراء ولكنى أقدم ما يعطينا صورة عما تحدثنا عنه على مدى الأجيال التى سبق ذكرها .

وما من شك فى أن امرأ القيس يجىء فى المقدمة فهو من أوائل الذين بكوا الديار كما بكى ابن خذام . يقول فى مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لمـا نسجتها من جنـوب وشمأل

ها هوذا قد بكى الدار وعين حدودها وموقعها ورسمها ، وهذه الدار تعرضت للرياح بعد تركها كانت له فيها أيام لها ذكرى فصلها فى المعلقة . أعجب هذا المطلع الشعراء والنقاد فقالوا فى كل أثر أدبى يعجبهم « أجمل من قفا نبك » وهم يعنون القصيدة كلها . ألا تراهم يقولون :

جمع فى شطر واحد أشياء عدت من أولياته وابتكاراته وابتداعاته ؛ فقد وقف واستوقف ، وبكى ، وذكر الحبيب والمنزل ، فلا غرو أن يأتى الشعراء بعده فينهجوا نهجه ، ويسلكوا مسلكه ، فيقول طَرَفَةُ بن العبد :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

فالحبيبة « خولة » لها منزل صار طللاً بمكان هو ببرقة ثهمد من قدمه ومر الليالى عليه أمسى « كباقى الوشم فى ظاهر اليد » .

والديار حين تخلى بعد امتلاء ، وتبلى بعد جدة ، ويقل الوافد عليها بعد الإقبال عليها ، أسماء متعددة كلها تفيد التغير من الجديد إلى البلى والجمال إلى ضده فتراهم يذكرون :

الطلل:وهو ما شخص من المنزل المتهدم ، وجمعه أطلال ، والدمن ، والمفرد : دمنة .. وهى : ما اسود من آثار الديار بالرماد والبعر .

والرسم وهو : ما يتراءى للناظر من بقاياها .

وتأخذ الدار مكانتها من نفوس الشعراء فيسألونها وينطقونها ويغضبون من صمتها ويلجأون إليها لتذهب عنهم أحزانهم فامرؤ القيس يقول :

وإن شفائى عبرة مهراقة
فهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

والنابغة يسألها على هذا النحو :

وقفت فيها أصيلاً كى أسائلها
عَيَّت جوابا وما بالربع من أحد

أما عمرو بن الأيهم فيقول وهو يخاطب نفسه :

ألِمْ على دِمَنٍ تقادم عهدها
بالجزع واستلب الزمان جمالها
رسم لقاتلة الغرانِق ما به
إلا الوحوش خلت به وخلا بها
ظلت تسائل بالمتيم أهله
وهى التى فعلتْ به أفعالها !

تحولت الدار الجميلة التى كانت بالجزع هى ودمنها إلى رسم بعد أن كانت لفاتنة الحى التى قتل جمالها الشباب الأبيض المنعم ، وحلت الوحوش محلها ، ولكن الفاتنة بطغواها راحت تسأل أهل المتيم المغرم عن حاله وهى التى تعلم جنايتها عليه .

قصة حب صاغها الشاعر في ثلاثة أبيات ، ونثرتها في ثلاثة أسطر لكننا اليوم نتأمل تلك الدمن وذلك الرسم والناس الذين سكنوا الدار والحياة التى كانت قائمة فيها ، ومجتمع الغرانق وفيهم شاب هو صاحب الجميلة الذى تسأل عنه « وهى التى فعلت به أفعالها » ، يستطيع قاص أن يصوغ منها قصة قصيرة لها جمالها وعطاؤها .

وهذا شاعر آخر يخاطب حبيبته ويطلب إليها أن تسأل عنه ، هل قام بواجب الحب أو قصر ؟

فلنذكر شعره ونتأمل أمره يقول :

سل البانة الفيناء[1] بالأجرعِ الذى
به البان ، هل حَيَّيْتُ أطلال دارك ؟

وهل قمت فى أطلالهن عشيةً
مقام أخى البأساء[2]واخترت ذلك ؟

(١) الفيناء : الشجرة العظيمة الوارفة الظل .

(٢) البأساء : شدة الفقر .

وهل هملت عيناى فى الدار غدوةً
بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك[٣] ؟

أرى الناس يرجون الربيعَ وإنما
ربيعى الذي أرجو نوال وصالكِ

أرى الناس يخشون السنين وإنما
سنى التى أخشى صروف احتمالك[٤]

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة
سرنى أنى خطرت ببالك

ليهنكِ إمساكى بكفى على الحشا
ورقراق عينى رهبة من زيالكِ[٥]

ألست ترثى لهذا الشاعر ؛ إنه يريد أن يقنعها بكل وسائل الإقناع بأنه يحبها كل الحب ، ويبذل غاية الجهد لرضاها ، ويجعل من مكان اللقاء وما فيه من معالم شاهداً على ذلك الحب .

البانة الخضراء التى شهدت تحيته لأطلال الدار ، وقيامه مقام الفقير إلى عطفها ، ودموعه الغزار التى تتساقط .

وانظر إليه تجده يخالف الناس في طلب المعاش ومطالب الحياة ، ربيعه نوال الوصال ، وهو لا يخشى الفقر وإنما يخشى صروف احتمالها ، وكل ما يرجوه أن يخطر على بالها ولو بالإساءة إليه ، وأخيراً أصابه الضعف فأمسك حشاه بكفه ودمعت عيناه خوف الفراق .

شعر فى غاية الصدق يملك كل وسائل التأثير ، وفيه التجربة والوحدة الفنية ، وترى الطبيعة فيه تشارك الإنسان في الشهادة والاسترحام ، وانظر إليه يقول « البانة » ولا يقول « البان » ، لأن البانة شهدت اللقاء ووقت الصفاء . وبيت القصيد كما يقولون :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة
فقد سرنى أنى خطرت ببالك

ويكثر الشعر الذي يعذب قائله وينعم قارئه ، ويترك لنا العصر الأموى شعراً جميلاً لا نظير له في أى أدب من الآداب شرقاً وغرباً ، ويأتى العصر العباسى ، وتظهر الشعوبية ، ويتراخى صمام الأمان لأحكام الشريعة الإسلامية ، فينتهز شعراء الموالى الفرصة فيعبثون بكل جليل وصغير حتى الشعر الذي يتحدث عن الديار فيقول أبو نواس :

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وابنة الكرم « الخمر » . كان الجاهلى لا تحرك منه ساكناً وإن مارسها ، ولكن الديار هى التى تحركه وتلهمه وتطبعه على الوفاء ، ويقول ساخراً :

عاج الشقى على رسم يسائله
ورحت أسأل عن خمارة البلد

وشتان بين هذا الشقى الذى يسأل عن أحبابه ويتتبع آثارهم عله أن يتعرف عليهم ولو عن طريق رسم الدار وبين من يسأل عن خمارة البلد .

الأول إنسان له احترامه ومقامه .

والآخر لا يملك عقلاً ولا يؤم فضلاً .

وانظر إليه يخاطب الربع ، والربع الدار بعينها كما تنص اللغة :

ياربع شغلك إنى عنك فى شغل
لاناقتى فيك لو تدرى ولا جملى

(٣) المتهالك : المتساقط .
(٤) احتمالك : ارتحالك .
(٥) زيالك : فراقك .

وهو شعر مستملح ولكنه يباين الصدق في الأداء .

ولقد فتن بعض الشعراء بهذا الصنيع وعدوه تجديداً ، وما هو من التجديد في شيء ، فالتجديد أن يقتحم بالشعر مجالات غير مطروقة ، ويأتى بأشكال غير معروفة ، أما اللعب بالألفاظ فأمر يسهل الإتيان به ، وقد جاراه المتنبى شاعر العربية الأكبر فقال :

إذا كان شعر فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال شعرا متيم ؟

ولكننا في العصر الحديث عدنا إلى الضرب الأول ، والصدق الذي عليه المعول ، فاستجبنا لدواعى الشعر وجعلنا من التجديد أن نبكى الديار كما بكاها الرواد فى العصر الجاهلى والمجددون فى العصر الأموى فجاء في الشعر الحديث دواوين مجالها المرأة من شعراء لهم مكانتهم فى الشعر الحديث .

من شعرائنا المحدثين والمعاصرين الذين بكوا الديار ، وأحسنوا القول فيها الدكتور إبراهيم ناجى ، وله قصيدة تعد رائدة فى هذا المضمار سماها « العودة » .

والعودة عندى هى بكاء الدار التى كان للشاعر فيها حب ، مضى الزمان ثم جاء إليها فوجدها خالية من الأحباب وأصابها البلى ، وكل ما فعله الشاعر جعل العودة هى الرجوع إلى منزله الحبيب يقول ـ بعد أن وصف قلبه الخافق وساءله عن العودة والرجوع إلى الغرام بعد أن انتهى إلى فراغ كالعدم يقول :

أيها العش إذا طار الأليفْ
لا يرى الآخر معنى للسماءْ
ويرى الأيام صفرا كالخريف
نائحات كرياح الصحراءْ
أين ناديك وأين السمر ؟
أين أهلوك بساطاً وندامى ؟
كلما أرسلت عينى تنظر
وثب الدمع إلى عينى وغاما
والبلى أبصرته رأى العيانْ
ويداه تنسجان العنكبوت
صحت : يا ويحك تبدو فى مكان
كل شيء فيه حى لا يموت
كل شيء من سرور وحزنْ
والليالى من بهيج وشجى
أنا أسمع أقدام الزمنْ
وخطى الوحدة فوق الدرج

ولئن نوع القوافى تجده لم يفارق مناهج الشعر العربي ، وإن بكى وعاتب قلبه فإن لنا من هذا الاتجاه مباهج من جمال الشعر وحسن الأداء ، لقد وصف جوانب إحساسه بصور متعددة جلب لها مقطوعات متعددة ، لها تماسك الخواطر بتماسك المشاعر فوفق كل التوفيق . ولو صغت عنواناً آخر غير « العودة » لما تغير مفهوم الشعر ، فلتكن تلك القصيدة شاهدة على أن بكاء الديار لم ينته بالبعد عن بادية الحجاز وإنما الفن الأصيل تراه في كل مكان ، فالديار موجودة في كل الكرة الأرضية ، وقد يصيبها البلى كما أصاب « عش » ناجى ومنزله ، وطلله .

لقد أعطينا صورة لبكاء الديار فى القديم والحديث وفى المقال التالى لهذا المقال يكون حديثنا عن بكاء الممالك وما يعرف فى الأدب العربي برثاء الممالك الزائلة ـ وبالله التوفيق

المدح والذم

رؤية جديدة في صيغتي

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم حامد هلال

يجدر بنا - قبل الدخول إلى بحث صفتي المدح والذم - أن نمهد ببيان معنى المدح والذم فنقول : معناهما :

١- عند اللغويين

(المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء ، يقال : مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحاً ومدحة ، هذا قول بعضهم والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم والجمع مدح وهو المديح والجمع المدائح والأماديح الأخيرة على غير قياس ، والمدائح جمع المديح من الشعر الذى مدح به كالمدحة والأمدوحة ورجل مادح من قوم مدح ومديح وتمدح الرجل تكلف أن يمدح)[١] .

(والذم نقيض المدح يذمه ذماً فهو مذموم وأذمه : وجده ذميماً مذموماً وأذم بهم : تركهم مذمومين فى الناس والعرب تقول : ذم يذم ذما وهو اللوم فى الإساءة وأذم الرجل أتى بما يذم عليه وتذام القوم : ذم بعضهم بعضاً واستذم الرجل إلى الناس أى أتى بما يذم عليه)[٢] .

وفى اصطلاح النحويين : ما وضع لإنشاء مدح أو ذم .

وذلك أنك إذا قلت : نعم الرجل زيد فإنما تنشىء المدح وتحدثه بهذا اللفظ ، وليس المدح موجوداً فى الخارج فى أحد الأزمنة مقصوداً مطابقة هذا الكلام إياه حتى يكون خبراً بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الحاصلة خارجاً ، ولو كان إخبارا صرفا عن جودته خارجاً لدخله التصديق والتكذيب .

←

(١) لسان العرب لابن منظور دار المعارف ٦/٤١٥٦ « مادة مدح » .

(٢) المصدر السابق ٣/١٥١٦ « مادة ذم » .

فقول الأعرابى لمن بشره بمولودة وقال : نعم المولودة والله ما هى بنعم المولودة ليس تكذيباً له فى المدح إذ لا يمكن تكذيبه فيه بل هو إخبار بأن الجودة التى حكمت بحصولها فى الخارج ليست بحاصلة فهو إنشاء جزؤه الخبر)[٣] .

والمدح والذم ثلاثة أنواع :

١ ـ المدح والذم العام وقد وضعوا له : نعم وبئس ، كنعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، وهما موضع حديثنا و« حبذا » و« لا حبذا » نحو : حبذا محمد ولا حبذا زيد .

٢ ـ المدح والذم الخاص دون تعرض لغير الممدوح أو المذموم ووضعوا له صيغة « فَعُل » مثل ؛ كرم رجلاً زيد وشرف رجلا زيد فهو مثل : نعم رجلا زيد من ذلك ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا ﴾[٤] وقوله ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[٥] .

وقال قوم : لك أن تذهب بسائر الأفعال إلى مذهب « نعم وبئس » فتحولها إلى « فَعُل » فتقول : علم الرجل زيد وضربت اليد يده وطاب الطعام طعامه .

يقول ابن السراج : وهو عندى قياس ، وذكروا أنه شذ مع هذا الباب ثلاثة أحرف سمعت وهى ؛ سمع وعلم وجهل[٦] .

٣ ـ المدح والذم الخاص مع التعرض لغير الممدوح أو المذموم ووضعوا له صيغة « أفعل » التفضيل .

النوع الأول : نعم وبئس

(لنعم وبئس استعمالان :

احدهما : أن يستعملا متصرفين كسائر الأفعال فيكون لهما مضارع وأمر واسم فاعل وغيرها وهما إذ ذاك للإخبار بالنعمة والبؤس تقول : نعم زيد بكذا ينعم به فهو ناعم ، وبئس ييأس فهو بائس .

والثانى : أن يستعملا لإنشاء المدح والذم ، وهما فى هذا الاستعمال لا يتصرفان لخروجهما عن الأصل فى الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان فأشبها الحرف والكلام عليهما هنا)[٧] .

وأكثر المصادر النحوية ذاخرة بالرأى البصرى القائل بفعلية (نعم وبئس) وارتضاه الكسائى من الكوفيين والرأى الكوفى القائل باسميتهما .

يقول سيبويه : (وأما « نعم وبئس » ونحوهما فليس فيهما كلام لأنهما لا تغيران

(٣) شرح الكافية للرضى ٣١١/٢ .
(٤) الأعراف ١٧٧ .
(٥) الكهف ٥ .
(٦) الأصول ١١٦/١١٥/١ انظر شرح التصريح ١٠٠/٢
(٧) الصبان على الأشمونى ٢٦/٣

لأن عامة الأسماء على ثلاثة أحرف ، ولا تجريهن إذا كن أسماء للكلمة لأنهن أفعال والأفعال على التذكير لأنها تضارع فاعلا)[٨] .

فهما فعلان ماضيان « فأصل »« نعم وبئس » نعم وبئس : وهما الأصلان اللذان وضعا فى الرداءة والصلاح ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى)[٩] والمرفوع بعدهما فاعل بهما (فقولهم : نعم الرجل عبد الله بمنزلة : ذهب أخوه عبد الله ، عمل « نعم » فى الرجل ولم يعمل فى عبد الله)[١٠] .

والمخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ والجملة الفعلية قبله فى محل رفع خبر (فإذا قلت : عبد الله نعم الرجل فهو بمنزلة عبد الله ذهب أخوه كأنه قال : نعم الرجل فقيل له : من هو ؟ فقال : عبد الله ، وإذا قال : عبد الله فكأنه قيل له ما شأنه ؟ فقال : نعم الرجل) فنعم تكون مرة عاملة فى مضمر يفسره ما بعده وتكون مرة أخرى تعمل فى مظهر لا تجاوزه)[١١] .

وعلى هذا الرأى سار البصريون وأخذوا فى إثبات مذهبهم هذا بما يأتى :ـ

أولا : يدل على فعلية (نعم وبئس) اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف فقد جاء عن العرب : نعما رجلين ونعموا رجالا ورفعا مع ذلك المظهر فى : نعم الرجل وبئس الغلام والمضمر فى : نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو .

ثانيا : اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لا يقلبها أحد من العرب فى الوقف هاء كما قلبوها فى نحو : رحمة وسنة وشجرة وذلك قولهم : نعمت المرأة وبئست الجارية ؛ لأن هذه التاء يختص بها الفعل الماضى ولا تتعداه أما التاء التى اتصلت بربت وثمت وإن كانت للتأنيث إلا أنها ليست التاء التى فى نعمت وبئست من وجهين :

أحدهما : أن التاء فى : نعمت المرأة وبئست الجارية لحقت الفعل لتأنيث الاسم الذى أسند إليه الفعل والتاء فى : ربت وثمت لحقت لتأنيث الحرف ، ألا ترى أنك تقول : ربت رجل أهنت كما تقول : ربت امرأة أكرمت ولو كانت كالتاء فى نعمت وبئست لما جاز أن تثبت مع المذكر .

والوجه الآخر .ـ

أن التاء اللاحقة بالفعل ساكنة وهذه التاء متحركة وكذا (لات) فإن من قبل التاء لا تلزم نعم وبئس إذا وقع المؤنث بعدهما قيل : ليس بصحيح ، لأن التاء تلزمها فى لغة شطر العرب كما تلزم فى قام .

ولا فرق عندهم بين نعمت المرأة وقامت المرأة ، وإنما جاز عند الذين قالوا : نعم المرأة ولم يجز عندهم : قام المرأة لأن المرأة فى قولهم : نعم المرأة هند واقعة على الجنس كقولهم : الرجل أفضل من المرأة ، إذا كان

←

(٨) الكتاب ٣/٢٦٦ .
(٩) المصدر السابق ٢/١٧٩ ، ٤/١١٦ .
(١٠) المصدر السابق ٢/١٧٦ .
(١١) الكتاب ٢/١٧٦ ـ ١٧٧ .

المراد من المرأة استغراق الجنس فلا خلاف أن أسماء الأجناس والجموع يجوز تذكير أفعالها وتأنيثها فلهذا المعنى حذف تاء التأنيث من حذفها من نعم المرأة ، وإذا كانوا قد حذفوها فى حال السعة من فعل المؤنث الحقيقى من قولهم : حضر القاضى اليوم امرأة فلا يبعد أن يحذفوها من فعل المؤنث الواقع على الجنس وقد قالوا : ما قعد إلا امرأة وما قام إلا الجارية فحذفوا تاء التأنيث البتة ولم تأت إلا فى الضرورة .

ثالثا : يدل على فعليتهما بناؤهما على الفتح[١٢] .

رأى الكوفيين

معظم المراجع النحوية تذكر أن الكسائى يوافق البصريين فى فعلية (نعم وبئس للأدلة السابقة) .

فابن الشجرى يقول : (أجمع البصريون من النحويين على أن نعم وبئس فعلان وتابعهم على بن حمزة الكسائى)[١٣] ويقول الأنبارى (ذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وإليه ذهب على بن حمزة الكسائى من الكوفيين)[١٤] .

ونص على هذا ابن يعيش[١٥] وشمله حديث ابن مالك[١٦] والرضى[١٧] وأبو حيان[١٨] والمرادى[١٩] والسيوطى[٢٠] والأشمونى والصبان[٢١] .

وهذا النقل عن الكسائى صحيح لا شىء فيه فالفراء يقول :

(وإنما وحدوا الفعل وقد جاء بعد الأسماء لأن نعم وبئس دلالة على مدح أو ذم لم يرد منها مذهب الفعل مثل : قاما وقعدا فهذا فى نعم وبئس مطرد كثير .

وربما قيل فى غيرهما مما هو فى معنى بئس ونعم ، وقال بعض العرب : قلت أبياتا جاد بهن أبياتا فوحد فعل البيوت وكأن الكسائى يقول أضمر جاد بهن أبياتا وليس ههنا مضمر إنما هو الفعل وما فيه)[٢٢] .

(وكذلك مررت بقوم نعم قوما ، ونعم بهم قوما ونعموا قوما وهذا كثير فى كلام العرب يوحدون الفعل لأن المفسر يدل عليه ويثنون ويجمعون على الأصل)[٢٣] (وضمائر الرفع البارزة المتصلة من خصائص الأفعال)[٢٤] .

وفى أقوال الفراء تصريح بفعلية نعم وبئس وليس فى كلامه إشارة إلى اسميتهما كما ترى .

(١٢) الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/٤ = ١١١ بتصرف .
(١٣) الأمالى ٢/١٤٧ .
(١٤) الإنصاف ١/٩٧ .
(١٥) شرح المفصل ٧/١٢٧ .
(١٦) التسهيل ١٢٦ .
(١٧) شرح الكافية ٢/٣١٣ .
(١٨) الارتشاف ٢/٩٠٦ .
(١٩) توضيح المقاصد والمسالك تحقيق د . عبد الرحمن سليمان طـ الأولى ٣/٧٥ .
(٢٠) البهجة المرضية فى شرح الألفية مطبعة الشرق ٨٨ .
(٢١) ٣/٢٦ .
(٢٢) معانى القرآن ١/٢٦٨ .
(٢٣) مجالس ثعلب ١/٢٧٣ .
(٢٤) الصبان ٣/٢٦ .

وهو بذلك ينهج نهج أستاذه الكسائى ولو كان معارضا له لذكر رأى الكسائى كعادته عندما يخالف غيره ثم فنده مقيماً الحجة عليه .

وفى الوقت الذى تنسب فيه معظم مراجع النحو إلى الكسائى هذا القول الصحيح نجد بعض المراجع الأخرى[٢٥] تنسب إليه غيره إذ قيل :

(لا يختلف أحد من النحويين البصريين والكوفيين فى أن « نعم وبئس » فعلان وإنما الخلاف بينهم بعد إسنادهما إلى الفاعل .

فذهب الكسائى إلى أن قولك : نعم الرجل وبئس الرجل اسمان محكيان حيث وقعا بمنزلة : تأبط شرا وبرق نحره فنعم الرجل عنده اسم للممدوح وبئس الرجل اسم للمذموم ، وهما جملتان فى الأصل نقلا عن أصلهما وسمى بهما .

والذى حمله على ذلك أنه رأى العرب قد حكمت لنعم الرجل وبئس الرجل بحكم الأسماء فى بعض المواضع فحملها على ذلك فى سائر المواضع)[٢٦] فإذا كان الكسائى ـ على القول الأول وهو الصحيح ـ يرى أن « نعم وبئس » فعلان ماضيان والمرفوع بعدهما فاعلهما كما يرى البصريون كان النقل الثانى عنه باطلا ، إذ ينبنى عليه قوله باسمية نعم الرجل محمد وإعرابه على الحكاية مبتدأ والمرفوع بعده خبره ، وهذا تناقض عجيب فى النقل عن الكسائى نفسه واضطراب لا يجنح إلى الحقيقة العلمية المجردة .

ولعل مرد هذا الاختلاط فى النقل إلى عدم الرجوع للمصادر الرئيسية للنحو الكوفى التى صنعتها يد الكوفيين ، فمثلاً السيوطى يقول : « وذهب الكوفيون ـ على ما نقل الأصحاب عنهم فى مسائل الخلاف ـ ..)[٢٧] .

وربما كان هذا النقل غير الدقيق عن الكسائى فتحا لباب واسع للقول بأن الكوفيين ـ على رأسهم الفراء ـ يقولون باسمية « نعم وبئس » وما ترتب عليه من جدال محموم ومناظرات معضلة لم تبن على أساس صحيح .

فحين نستقرىء المصادر النحوية تنبئنا أن الكوفيين ـ على رأسهم الفراء ـ يقولون باسمية « نعم وبئس » إذ يقول ابن الشجرى : « قال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : هما اسمان وتابعه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب على اسميتهما »[٢٨] .

ويقول الأنبارى : (ذهب الكوفيون إلى أن « نعم وبئس » اسمان مبتدآن)[٢٩] ويقول ابن يعيش بعد أن ذكر مذهب البصريين والكسائى :

للحديث بقية

(٢٥) ارتشاف الضرب لأبى حيان ٩٠٦/٢ .
(٢٦) توضيح المقاصد ٨٦/٣ ارتشاف الضرب ٩٠٦/٢ شرح التصريح ٩٤/٢ .
(٢٧) البهجة المرضية ٨٨ .
(٢٨) الأمالى ١٤٧/٢ .
(٢٩) الإنصاف ٩٧/١ .

من خير ما كتب

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

« الغلو » إحدى مشكلات العمل الإسلامى

إن كثيراً من مسلمي العصر الحاضر جمعوا شُعب الإيمان في خليط منكر ، كبروا فيه الصغير وصغروا الكبير وقدموا المتأخر وأخروا المتقدم ، وحذفوا شعباً ذات بال وأثبتوا محدثات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان .

إن خللاً كبيراً سيلحق الشخصية الإسلامية والمسيرة الإسلامية إن لم نتدارك الأمر فإن بعض الغلاة يعتبرون غيرهم من إخوانهم العاملين للإسلام على الباطل الذي لا شك فيه بالقدر الذي يعتبرون أنفسهم على الحق الذي لا شك فيه ، ويعتبرون ما هم عليه هو القانون والفيصل الذي يعرف به من أصاب أو أخطأ ، وقد يصل الأمر إلى تكفير أو تفسيق أو تضليل المخالفين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

وينبغى أن يعلم أن الغلو إن أفضى إلى ترك بعض الواجبات كان ذلك حراماً ومعصية لله ، لأن الاشتغال بالتطوع مع ترك واجب تفريط بموجبات التقوى من جهة وغلو لم يأذن الله به ، وإن طغى فأفضى إلى ترك ما هو الأفضل عند الله كان ذلك مخالفاً للسنة ومخالفاً للكمال المطلوب . يقول النبي ﷺ (إياكم والغلو فى الدين . فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) . رواه أحمد في المسند والنسائى وابن ماجة فى سننهما عن ابن عباس رضى الله عنهما .

الأستاذ / عبد اللطيف فايد

المسئولية بين ولى الأمر والرعية

تختلف كثيراً المسئولية في الإسلام عنها في النظم البشرية ، فالإسلام دين الله ، والنظم البشرية وضعها الناس لأنفسهم وارتضوها . ومن هنا تكون المسئولية فى الإسلام التزاماً أمام الله سبحانه بينما تكون على الطرف الآخر التزاماً أمام الناس .. والمسئول أمام الله من شأنه ألا ينافق ، ولا يداهن ، ولا يكذب ، ولا يقضى بغير الحق ، ذلك لأن الله مطلع على أعماله .

أما المسئول أمام الناس فمن شأن الرقابة عليه أنها غير محكمة لأنه لا يقضى شئونه أمامهم جميعاً ، ومن هنا نجد ـ فى المسئوليات التى يتولاها الناس بعيداً عن الاتصال بالله فى توليها ـ النفاق ، والكذب ، والمداهنة ، والغش ، والظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل .

عـرض : الأســـتاذ
عبد الفتاح السـيد عبد السـلام

والمسئولية في الإسلام ليست مقصورة على ولى الأمر وحده ، وإنما يشاركه فيها من يتولى أمورهم ، يعاونونه فيما يقبل عليه تنفيذاً لأمر الله من رعاية مصالحهم وقضاء حوائجهم فالحياة المعاصرة باتساعها وتعدد جوانبها تتطلب تعاوناً مستمراً بين ولى الأمر والرعية .

المسئولية إذن في الإسلام هى مسئولية أمام الله وهى مسئولية مشتركة لا يقتصر تحملها على ولى الأمر الأول فى الأمة ، إنما هى مسئولية كل الناس . وليس اشتراك الأمة في هذه المسئولية اشتراك عمل فقط ، وإنما هى تقتضى النصح لولى الأمر لاختيار الأفضل وتجنب الخطـأ ، وإرشاده إلى مـواطن الأمراض الاجتماعية للقضاء عليها وكشف كل مفرط في حق من حقوق المجتمع أو معتد عليه .

الدكتور / عبد الجليل شلبي
قرآن وســـــنة

بين كتابنا ومتعالمينا أشخاص أولعوا بتحليل الربا أو أنواع منه ، ونصبوا أنفسهم مجددين ومجتهدين ، وهم ليسوا من ذلك فى شىء ، وقد بنيت أحكامهم على أوهام وأقيسة فاسدة .. قالوا إن الشيخ محمد عبده أحل فوائد المال التى تؤخذ من البنوك ، وكذبوا فليس فيما ترك الشيخ محمد عبده من كتب ومقالات شىء يحل هذه الفوائد ، والذي نقله عنه الشيخ رشيد رضا انه سئل عن أعمال البنوك وانها اصبحت ضرورية في حياة الناس ، فقال هذه مسالة تحتاج إلى تفكير ، وليرجع من شاء إلى تفسير المنار .

ولا يعنى التفكير في هذه المسالة التفكير في إباحتها واستخراج طريق لحلها ، وقد يعنى التفكير في عمل البنوك ، فبدلاً من إعطاء المودع نسبة من راس ماله يعطى نسبة مما ربحه المال ، فيكون عمل البنك مضاربة مباحة وقلت النسبة التى يتفق عليها او كثرت . فَعَزْوُ إباحة الفائدة التى تقدر بنسبة من راس المال إلى الشيخ وهم باطل .

الأستاذ / محمد إبراهيم الخطيب
رحمة وإنسانية .. من حياة النبي ﷺ

من أوصاف النبي ﷺ أنه (نبي الرحمة) وذلك كما وصفه ربه سبحانه حيث قال :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

وسع جميع من في الأرض لأنه غرس السماء في قلبه .. لقد أطاع الله كثيراً لأنه أحبه ، وبر الناس كثيراً لأنه أحبهم ، وأقبل على القيم والمثل العليا لأنه أحبها .

من خير كتب

لم يكن صلى الله عليه وسلم قاسياً على أحد ، وكان يكره سفك الدماء ، ويحارب التعذيب والاضطهاد ، والظلم ، واستطاع بهذه الأخلاق الفاضلة أن يخلق من الضعف قوة ، ومن القلة كثرة . ولنا أن نقرأ قول الله تعالى فى رسوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُم وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

ترى كم نحن في حاجة إلى الاقتداء بهذا النبي الإنسان ﷺ ؟ اللهم نعم كثيراً ..

وحدة الأمة تتحقق بالإسلام لا بالعروبة

نشرت جريدة الأهرام فى الصفحة السابعة يوم ١٩٨٧/١٠/٢٠ مقالة للأستاذ فهمى هويدى جاء فيها : لا نرى مقابلة فى الأساس بين العروبة والإسلام ، ولا نفهم أن يكون الاعتزاز بأى منهما لابد أن يكون على حساب أحدهما . كما أننا قبل هذا وبعده نرفض أن يكون انتماؤنا لديننا محل مساومة أو خيار . ذلك أن المفتونين بالعروبة والمتعبدين بها وهم يتحدثون عن الأمة الواحدة ، ويغذون النزعة العرقية ما وجدوا إلى ذلك سبيلا يفوتهم أن وحدة الأمة تتحقق بالإسلام بأكثر من تحققها بالعروبة ذلك أن الرابطة الإسلامية تستوعب باعتقاد العرب وغير العرب وتضم غير المسلمين من باب الثقافة والخلفية الحضارية المشتركة . أما الرابطة العربية فمحيطها لا يتسع إلا لبعض المسلمين وقطاعات غير المسلمين . فضلا عن أنها تشكل عنصرا طاردا لغير العرب الذين هم شركاؤنا فى الوطن العربى الكبير .



أنباء وآراء

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح

السلطان قابوس يدعو شيخ الأزهر لندوة اسلامية عالمية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر مع وزير التربية والتعليم بسلطنة عمان السيد يحيى بن محفوظ الأنصارى . وقد وجه الوزير العمانى لفضيلة شيخ الأزهر دعوة من السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان لحضور الندوة الإسلامية العالمية التى ستعقد بمسقط فى يناير القادم . وتم خلال الاجتماع بحث مساهمة الأزهر فى النظر فى المناهج الإسلامية ووسائل تطويرها من خلال إتفاقية سيتم عقدها بين وزارة التربية والتعليم بسلطة عمان والأزهر .

وحدة الأمة الاسلامية ضرورة

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الوحدة الإسلامية باتت ضرورة ملحة ، فضلاً عن كونها دعوة شرعية . وقال فضيلته إن خصوم الإسلام يعملون بشكل مباشر وغير مباشر على تهوين وحدة البلاد الإسلامية حتى يحققوا مآربهم وأطماعهم فى الأمة . وقال : إن الحذر من تلك المؤامرات مسئولية كل مؤسسات المجتمع خاصة المؤسسات الإسلامية والإعلامية والتعليمية .

الأزهر وباكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفداً باكستانياً برئاسة جول محمد خان رئيس المحكمة الشرعية الفيدرالية العليا بباكستان الذى زار مصر بدعوة من الأزهر الشريف يرافقه مفتخر الدين القاضى بالمحكمة الشرعية وقد دار الحديث خلال اللقاء حول العديد من القضايا المعروضة على دور القضاء بباكستان مثل موقف الشريعة من الشخصية المعنوية الممثلة فى نوع من الشركات التعاونية

← أنباء وآراء

وما يتعلق بقضايا الشفعة والمهر ومؤخر الصداق والقوانين السارية فى مصر ومدى استمدادها من الشريعة الإسلامية والنظام القضائى الحالى فى مصر . وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر موقف الشريعة من كل هذه الأمور وما هو مقترح الآن من قوانين معدلة لبعض القوانين التى تتعارض مع أحكام الشريعة .

مجلة الأزهر : سبق أن قدمنا كتاباً عن رحلة الإمام الأكبر إلى منطقة الشرق الأوسط وقد تناول فيه فضيلة الإمام ورئيس المحكمة حديثاً علمياً جامعاً فى هذا المقام حرصنا على تدوينه كله .

من الأزهر الى المالديف

بحث الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر مع الأستاذ إبراهيم رشيد موسى مدير معهد الدراسات الإسلامية بجمهورية المالديف احتياجات المالديف من الأزهر خلال العام الدراسى الجديد ، وخاصة معهد الدراسات الإسلامية تلك الاحتياجات المتمثلة فى الكتب الدراسية والأساتذة اللازمين للتدريس ومعادلة الشهادتين الاعدادية والثانوية هناك بإعدادية وثانوية الأزهر . وقد استجاب فضيلة وكيل الأزهر لمطالب المالديف ، وأعلن أن الكتب الدراسية المطلوبة سترسل فوراً ، وانه صدر بالفعل قرار لجنة المعادلات بمعادلة الشهادتين الاعدادية والثانوية بمعهد الدراسات الإسلامية بإعدادية وثانوية الأزهر . كما أن الأزهر سيرسل إلى المالديف الأساتذة المتخصصين اللازمين .

نسبة الاسلام أعلى

تحت عنوان : نسبة الإسلام أعلى .. جاء بجريدة الأهرام ٢٠/١٠/١٩٨٧ : أننا نشير إلى أن الأقليات العرقية غير العربية فى العالم العربى أكبر بكثير من الأقليات الدينية . حيث إن الأقليات العرقية التى تعيش داخل الوطن العربى يصل مجموعها إلى ١٦ مليون نسمة .

أما الأقليات الدينية ففى حدود ثمانية ملايين نسمة أغلبيتهم العظمى من المسيحيين بينما عدد اليهود لا يتجاوز عدة آلاف أكثرهم فى المغرب ومصر .

وأكبر نسبة من المسيحيين فى مصر . تشير نتائج تعدادها سنة ١٩٨٦ ، تلك النتائج التى أصدرها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فى أبريل ١٩٨٧ إلى أن عددهم مليونان وثمانمائة وثلاثون ألف نسمة ، ولبنان تأتى بعد مصر فى حجم عدد المسيحيين . إذ يصل عددهم هناك إلى مليون وأربعمائة ألف . وبعد مصر ولبنان تأتى سوريا مليون مسيحى ثم العراق نصف مليون ، والباقون موزعون على السودان والدول العربية .

بدء العمل فى تنقية القوانين

صرح المستشار أحمد موسى وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة الخاصة بتنقية القوانين مما يخالف الشريعة بأن

الدورة البرلمانية الجديدة ستشهد خطوات جادة وإيجابية لتطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر . وأكد أن المجلس بجميع لجانه الثماني عشرة سوف يبدأ التحرك فور انعقاده لتنقية القوانين المعمول بها فى مصر منذ القرن التاسع عشر حتى الآن مما يخالف الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة .

جاء هذا التحرك الإيجابى من مجلس الشعب فى أعقاب الخطاب الذى ألقاه الرئيس مبارك عند توليه فترة رئاسته الثانية وطالب فيه بضرورة أن يقوم مجلس الشعب بالتعاون مع الحكومة بمراجعة شاملة للتشريعات القائمة .

اندونيسيا تتجه لتقنين الشريعة الاسلامية

أعلن برهان الدين لوبا أحد كبار المسئولين فى وزارة العدل فى أندونيسيا أن بلاده ستتجه فى المستقبل إلى تقنين الشريعة الإسلامية للعمل بقوانينها بدلاً من القوانين المعمول بها حالياً ، المأخوذ معظمها من الغرب وبخاصة التشريعات الهولندية . وأضاف لوبا فى حديث لصحيفة جاكرتا الأندونيسية :

إن الاتجاه إلى تقنين الشريعة يأتى استجابة لرغبة الشعب الأندونيسى المسلم حيث يشكل المسلمون ٩٠٪ من مجموع عدد السكان .

مؤتمر عالمى عن الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة

عقد بباكستان المؤتمر العالمى للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لمدة أربعة أيام .

وقد حضر المؤتمر عدد من العلماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم . وأكد الدكتور حسين حامد حسان رئيس الجامعة الإسلامية فى إسلام آباد التى نظمت المؤتمر : أن مثل هذه المؤتمرات الإسلامية تعمل على توحيد جهود العالم الإسلامى فى نشر الدعوة ورفض الأساليب الملتوية للهجوم على الإسلام وفضح ما يوجهه المستشرقون ضد الإسلام والمسلمين من سموم فكرية .

الاسلام هو الحل الوحيد لمشكلات العالم

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق : أن الإسلام هو الحل الوحيد لجميع مشكلات العالم ، وأن على المتشككين فى ذلك أن يروا تجربة باكستان التى يقبل عليها الشعب . وأضاف قائلاً :

إن مفهوم (الإسلامية) لن يتحقق قبل أن تبنى كل دولة إسلامية نفسها ، بناء إسلامياً صحيحاً . وبعد ذلك يمكن أن تتحقق الوحدة الإسلامية . وأكد الرئيس الباكستانى : أن التخلى عن روح الإسلام هو سبب ما يعانيه المسلمون من ضعف .

هيئة علمية للتعريب

تم إنشاء هيئة علمية للتعريب فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

←

أنباء وآراء

ترتبط بعمادة البحث العلمى

كبير قساوسة كنيسة القديس جان يشهر اسلامه

نشرت جريدة الرأى العام المصرية يوم ٢٦ صفر ١٤٠٨ هـ فى صدر صفحتها الأولى . أن كبير قساوسة كنيسة القديس جان ٢٣ قد اعتنق الإسلام ، وكان كبير القساوسة الذى أعلن إسلامه مؤخراً قد تقلد وسام القساوسة فى عام ١٩٦٥ بأمر من الأسقف الأكبر للفاتيكان ، ويحمل مؤهلات علمية فقد حصل على إجازة فىْ العلوم الدينية النصرانية كما عمل أستاذاً للغة الفرنسية ، وتدريس الفلسفة والعلوم الدينية .

□

حول المحل الإعرابى والإعراب المحلى "بقية"

صحيح أن لفظ (هؤلاء) فى ثلاثة الأمثلة مبنى على الكسر ، ولم يتأثر هذا اللفظ بالعامل لكن ما بعد اسم الإشارة (الرجال) لم يقدر أن يقاوم العامل لأنه تابع ومكمل لاسم الإشارة ولأنه بدل من اسم الإشارة والبدل عين المبدل منه فأغنت حركة البدل عن المبدل منه فكانت الحركة فى المثال الأول ضمة وفى المثال الثانى فتحة وفى المثال الثالث كسرة .

من هنا كانت ضرورة استبقاء الإعراب المحلي وعدم إلغائه ؛ ليكون نحونا فريداً فى كل شىء ، متميزاً بظاهرتى المحل الإعرابى والإعراب المحلى ، بل وبمظاهر إعرابه الأربعة التى لا تجد لها مثيلا أو نظيراً فى لغات العالم أجمع ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وما يشاء سبحانه جلَّ فى علاه .

« ثبت بأهم المراجع » .

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ مغنى اللبيب .

٣ ـ التصريح على التوضيح .

٤ ـ مختصر النحو د . عبد الهادى الفضلى

٥ ـ كتاب الأزهرية [تنقيح الأزهرية] .

٦ ـ قطرة فى علمى النحو والصرف د . عبد الرءوف محمد عثمان .

٧ ـ الكافية فى النحو لابن الحاجب .

٨ ـ النحو الوافى عباس حسن .

9 - A guid to correct english L . A . Hill

10 - Le Francis, langue vivante « A le decouverte de le terre »

فهـــرس العـــدد

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

الموضوع	الصفحة
« الافتتاحيـــة »	
فـــى ظـــلال الجـــوار	
د . على أحمد الخطيب	٤٠١
مطلـــع النـــور وميـــلاد أمـــة	
للشيخ جاد الحق على جاد الحق	٤١٠
شيـــخ الأزهـــر يعلـــن	
الأزهـــر يتبـــرأ من الاحتفال بوفاء النيل	٤١٤
سوء الظن ينافى كمال الإيمان	
للشيخ مصطفى محمد الطير	٤١٥
حوار إبراهيم مع أبيه حول الهته	
د . محمد محمد خليفة	٤٢١
رجال القراءات « عبد الله بن كثير »	
للشيخ إبراهيم عطوة عوض	٤٢٩
مفهوميـــة الإســـلام لـــدى الغـــرب	
د . محمد إبراهيم الفيومى	٤٣٤
حفـــظ الله الســـودان	
د . عبد الودود شلبى	٤٣٩
أزمـــة الاستشـــراق الهولنـــدى	
للأستاذ إيهاب محمد مهدلى	٤٤٦
الدولـــة الإسلاميـــة « الحقـــوق الاجتماعيـــة »	
عميد أ . ح . د فوزى محمد طايل	٤٥١
العلمانيـــة ضيـــاع للديـــن والدنيـــا	
د . بكرى ياسين إبراهيم	٤٥٨
البانيـــا والإســـلام	
للشيخ توفيق إسلام يحيى	٤٦٣
للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين	٤٧٠
مـــن أعـــلام الأزهـــر « على يوسف »	
د . محمد رجب البيومى	٤٧٤
الشعـــر والشعـــراء	
اشـــراف د . حسن جاد	
علـــى بـــاب التوبـــة	
للأستاذ إسماعيل يحيى	٤٨٢
أيهـــا الماضـــى الجميـــل	
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	٤٨٤
جراحـــك منـــك	
شعـــر : أحمد محمود مبارك	٤٨٦

الموضوع	الصفحة
مـــن العلـــوم الكونيـــة	
مشاكـــل المعـــدة فـــى مصـــر	
د . على مؤنس	٤٨٨
مـــن مفاهيـــم تلـــوث البيئـــة	
د . كارم السيد غنيم	٤٩١
طـــرائف ومـــواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٩٤
مـــن روائـــع الماضـــى	
« الحياة وأطوارها وإثبات الحياة البرزخية »	
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٤٩٦
اللغـــة والأدب والنقـــد	
حول المحل الاعرابى والاعراب المحلى	
د . عبد الرءوف محمد عثمان	٥٠٢
بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار	
للأستاذ السيد حسن قرون	٥٠٧
رؤية جديدة فى صيغتى المدح والذم	
د . عبد العظيم هلال	٥١٣
مـــن خيـــر ما كتـــب	
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	٥١٨
انبـــاء واراء	
د . أحمد عبد الرحيم السايح	٥٢١
القســـم الانجليـــزى	
المقالـــة الرابعـــة	
بقلـــم : فاطمة محمود سرى	٥٢٨
المقالـــة الثالثـــة	
بقلـــم : عبد الحكيم طه	
المقالـــة الثانيـــة	
بقلـــم : الأستاذ سعد مصطفى	٥٣٧
المقالـــة الأولـــى	
د . أنس مصطفى النجار	٥٤٢

9. The ALMIGHTY — Al-Aziz — العزيز

He is unparallelled, High and Mighty, Needing none, yet is needed by all for their existence. subsistence and inherencies. His Mightiness has conquered everything and is compellent. His Pride is unassailable.

10. The COMPELLER — Al-Gabbar — الجبار

He wields power so great that all bend before His Will.

THE MOST MAGNIFICIENT NAMES OF ALLAH will be continued in the future publications.



or inflicting harm, and to deliver Grace as Divine benignancy to His beings for their regeneration and sanctification.

Mercy implies compassion so great as to forbear even when justice demands punishment, or to give help or comfort even to the most undeserving. Hence, He is called The Merciful of this world and of the Hereafter, and The Compassionate of the Hereafter.

4. The SOVEREIGN — Al-Malik — الملك

The Appellation denotes the essence of His intrinsic Independence of all beings in His Entity and His Attributes, whereas all beings need Him to exist. All are His. under His Supreme Power. His Dominion and Will and preoponderating and conquer all under His Sovereignty.

5. The HOLY — Al-Qudoos — القدوس

The Spiritual Attribute of Holiness is of such perfection and wholesness that it is incontestably beyond all measure of description, sensibility, thought or comprehension. The Holy' imputes His Divine Veracity, being absolutely unlike all other abstractions which are in themseleves imperfections as associated with His creatures.

6. The CONSUMMATE — Al-Sallam — السلام

Ascribes the Divine Deity free from imperfection. His Attributes free from deficiency and His Dealings free from blemish. All perfection is attributed to Him alone and all consummation in existence is an effluence of His Providence.

7. The GUARDIAN — Al-Mumin — المؤمن

To Him Alone, safety and security are attributed.

8. The MASTERFUL — Al-Muhaymin — المهيمن

He commands all His creatures. He rules over their lives, their deeds. their livelihood and their destinies.

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced by:—
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

The most magnificent names of Allah have been translated into the English Language as their correspondents and interpretations from the Arabic. This very valuable work was by mere blessing from Allah introduced to me, to gain an expansive amount of knowledge. Here, I reproduce this work in this publication so that Muslims all over the world will benefit from this very original and beneficial knowledge. The tribute of this work goes to the original author of the translations, Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity. It is my honour to collect and to reproduce this document for the benefit of all.

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

1. ALLAH — اللـــه

A designation for GOD, Glory and Transcendence be to Him; the greatest and most inclusive and exclusive of Appellations : inclusive because it designates The Deity in Whom all the Divine Attributes inhere without exception, and exclusive because only GOD can be called ALLAH.

2. THE MERCIFUL — Al-Rahman — الرحمن

3. The COMPASSIONATE — Al-Rahim — الرحيم

Designations that connote attributes showing kindness, disposition and willingness to spare and forbear punishment

mankind with an intelligent mind with the potential ability to learn and think everything of knowledge. One theory postulates that mankind is born with all knowledge intrinsically inherent in the mind. Growth and learning in education bring out the knowledge in a systematized rational process. Similar to mining for precious elements long burried in the subsoil of the earth; knowledge is present in the depths of the mind. A further particularity of the mind is imagination which is unique to mankind, and not observed in other creations of biological life. With the mind, the function of vision is very complex in man. He sees to vision objects, he sees to perceive and contemplate, he sees to differentiate and rationalize.

In the mind of mankind, there is a highly developed and organized system of memory; to store and process knowledge and imaginative speculations. On the other hand, forgetfullness and decay of memory are other characters of mankind as sign of mercy from Allah. For such reason, man developed means to register and store his knowledge. He knew the stone, the wood, parchment and skins, paper and pen, and recently culminated with the most sophisticated versatile equipment for storing and processing of knowledge. Yet we do not know what will be deviced in future. The mind of man is infinitely creative because it draws its knowledge from the vastly infinite omniscient knowledge of Allah.

Yes; with these qualities, characteristics and distinctions, Allah has honoured mankind above all other creations; inspite of his clay substance, his greeds, his ego, his vices, and his transgressions. Mankind is honoured with distinctions above all other creations, to bear the message of Allah, to be the viceregent of Allah on earth, to plan, to learn, to manage its refinement, development and prosperous cultivation, in the worship of Allah.

perception, discrimination, intellect and rationality. The traits of premonition, ingenuity, temperament, passions, motives and similar human characteristics, complete the texture. These powers of perception are not observed in their totality, functional capacity and performance except in the human species. Mankind is certainly the most complex, highly structurally organized, supremely constituted in body and mind. This unique sophistry of creation is a distinction offered only to mankind.

The third characteristic is that Allah endowed mankind with the ability to differentiate and interact with opposing dualities and contradictions in life and nature; whether these opposing dualities are tangible and materialistic or immaterial and intangible. Virtue and vice, justice and injustice, love and hatered, kindness and cruelty, knowledge and ignorance, light and darkness, heat and cold, dryness and wetness, health and disease, richness and poverty, prosperity and famine, right and wrong, belief and herecy. The ability of man to balance and reciprocate with these opposing dualities is infinite. He can perceive and rationalize the whole spectrum of diversity between the opposites with his perception, discrimination, intellect, and rationality; mankind must by his inherent nature conceive the reality of the Absolute Oneness of the Creator.

The fourth characteristic is that Allah created mankind with an ego, the self, the psyche. This subconscious personality is superbly talented, very expansile and highly sensitive to all material and psychic environs. This very complex dark inside of man responds to the carnal desires, inclinations, urges in total freedom with no inherent control mechanism. The schooling and discipline of the self should be the effort of man. The mastery over the ego to inhibit the flagrant unrestrained actions of the self should be practiced. The reins of restraint are protective measures, safaeguards, and bariers; all of which are collectively included in the doctrines of religion. All the tremendous efforts of societies in education, culture, legislation, judicial, planning; are attempts to train mankind to govern and have authority over the self. Faith and commitment to religious doctrines is by far the most eloquent and effectual means to govern and dominate with authority the nature of the self. This understanding is best indicated in the Holy Quran. "By the Soul and the proportion and order given to it; and its enligtenment as to its wrong and its right; truely he succeeds that purifies it, and he fails that corrupts it" (XCI, 7-10).

The fifth feature of distinction is that Allah created



them by educating mankind, and challenged them to know the same "And He taught Adam the nature of all things; then He placed them before the Angels and said "Tell Me the nature of these if ye are right" (II, 31). They said "Glory to Thee: of knowledge we have none save what Thou hast taught us: in truth it is Thou who art perfect in knowledge and wisdom" (II, 32).

From here was the command of Allah to the Angels to prostrate to Adam. This demand for obeisance is not for Adam "personified", but to Adam the "Creation". It is a prostration to the unique superb creation of Adam by Allah the Creator. The prize is given not to the great achievement, but to the maker who achieved. It is a prostration of submission, reverence and worship to Allah who created Adam. "When I have fashioned him (in due proportion and breathed into him of My Spirit, fall ye down in obeisance unto him" (XV, 28, 29).

From here again was the sin of Satan "Iblis" still thinking after all this explanation, that the matter was a comaprison between the element of clay and the element of fire. Iblis failed to realise the power of Allah to add properties to clay to become human; and the properties which Allah took away from fire to become Satan. Iblis who rejected and refused the Divine Command to prostrate to man as the creation of Allah; Iblis who was arrogant, defiant and became a pagan heretic.

Here the question rises; what are those qualities of distinction, characteristics, and properties of potency of that creation "Mankind" to whom Allah has commanded the Angels to prostrate, and to whom Allah has subjected all other creations to his service.

The first privilage to mankind was that Allah "breathed into him" and made that an eternal mystery. The actual conceptualization of the spirit of mankind will forever remain the enigma of creation. This mystery comprises the concept of the spirit as part of the living body of man which like all other biological life ends in death; and the concept of the spirit in the transcendent trajectory existence of man in the phases of continuity after death, a phenomenon of eternal continuity that is specific only to mankind.

The second quality is that Allah provided mankind with the powers of hearing and vision, and gave him the heart as the seat of affection and sympathetic response. These powers are intimately related to the delicate threads of

THE CREATTON OF

MANKIND

By :
Abdel - Hakim Taha

Allah created mankind and honoured him above most other creations not because of the pure element of man; for mankind is created from clay. That attribution was also not for the sacredness or sanctity of the human creature, who is ignorant until he learns, who is mortal. who is dependent on his existance on infinite causes and conditions. There is no sacredness except to Allah, the Absolute, the Omniscient, ... the Transcendent.

The creation of mankind is most supreme and elevated. This supremacy of creation is not because of his character, purity, ability or obedience. Allah elevated mankind in creation, because mankind was destined to carry a unique message other than absolute involuntary submissive obedience which is the intrinsic property of all other creations. Mankind was created to carry the message of Allah to be the viceregent of Allah on earth: to plan to learn, and to manage its refinement, development, prosperity and growth.

The most outstanding clarification of that understanding is the discourse between Allah and the Angels about the purpose of the creation of mankind. The Angels thought that Allah created mankind to be their adjuvant on earth for more praise, devout worship and tribute to Allah. The Angels are best for that function; there is no challenge between clay, the substance of mankind; and light, the substance of Angels in purity, absolute innocence, total submissive obedience; and nature of the laws controlling their creation; "who flinch not from executing the commands they receive from Allah, and do precisely what they are commanded" (Lxvi, 6).

The Angels objected to the creation of Adam being ignorant of the reality of purpose. Allah answered them "I know what ye know not" (II, 30); and continued to silence

dignified to be a legal second wife with all the rights and claims of matrimony; or to be an exploited female, hunted and misused, prostituted, psychologically and bodily degraded; a lone female in the fierce jungle of masculine sexual aggressiveness and uncontrolled sensual desires. How will the natural desires and sentimental aspiration of a woman be answered securely and with dignity. How will the physical, moral, emotional requriements of a woman be justified in a manner that is consistent with her self fulfillment and social stability. How will a woman achieve the sence of being loved, wanted, living her femininty and adorable nature with a sence of dignity, pride, chastity, and honour. What is more respectable and dignified - to be a legal second wife with all the grace, pride and self respect; or to be servile to the mental injuries and frustrations of being a mistress living in the dark hidden hours of men. The choice is dependent on the honest rationality, purity of soul, chastity, and the individual social circumstances of the woman taking the choice.

Based on the preceding consideration, it is very clear that Islam did not introduce the practice of polygyny to mankind; it has been known throughout history and in all creeds. Islamic law has allowed polygyny under very strict, stringent stipulations and even discouraged the practice. However, this allowance is certainly justified and selective to redeem feminine integrity and chastity, and optimize the social security of orphans. The abolishment of polygyny would be only in theory, and the human society would continue to pursue the practice in an illicit profane and indiscrete manner that will devalue and disgrace human responsibility for candid righteousness. Polygyny is not an article of faith in Islamic Law, nor is it an injunction, it is merely a conditioned permission. an organized solution to some of the most difficult problems in the sociology of human relations.

conscience of the individual involved. He is to answer for any injustice or iniquity among the wives, only to Allah. Any fear of inability to maintain the justice required, then marriage should only be to one. The Holy Quran further states man's inability to maintain justice between wives; which reflects discouragement to puruse polygyny. This verse states:

> "You are never able to be fair and just between women even if it is your ardent desire (to be just)".
>
> (Surat Al-Nissa, IV, 129)

The requirements of precise justice between wives is certainly a deterent to the open practice of polygyny, and cancels the understanding that a man can have as many wives as he pleases. It also obliterates having wives in the shade, for all wives must enjoy full identical rights and claims over their husband. It also implies, according to Islamic Law that a wife is entitled to seek divorce in court if the husband fails to provide and maintain justice. The choice of polygyny is not only determined by the man; the woman in question is also a party of the decision; no woman is forced to be a wife of a married man. This freedom of choice on the part of the woman is self determined and according to her own free judgement. Although the general rule in Islam is monogamy, however, permission to practice conditional polygyny in certian social circumstances is granted with specific restrictions when no alternative is available.

The rational, realistic, organized approach of Islamic Shariah to solve the repercussions of social instabilities of mankind correctly and in a legalized manner comes according to a divine conditioned allowance. It is a provision of frank, honest, legitimate solutions for the problems of individuals and societies. The fundamental rationality of this conditioned restricted allowance of polygyny is from Allah Most High who created mankind and gave him the framework for conduct under normal and abnormal social situations. Such abnormal social conditions include circumstances when women outnumber men, in cases of chronic illness or infertility of wife, widows, mothers with orphan children, special social and job circumstances of man that impose long periods of absence from home, many other selective conditions in the life of a married man or in the life of an unmarried woman. The whole root of Islamic Shariah in the issue of polygyny is to prevent the human race from falling into the filth of sexual anarchy, entropy and social degradation. What is more respectable and

←

intimate correlation between strict formal monogamy and the high incidence of prostitution, illegitimacy, perverted sex conducts, social psychosis, drug addiction. alcoholism and other sexually induced social diseases. Judaism and Christianity have offered no solution for the social instabilities in human life regarding marital conditions. Unlike Judaism and Christianity, Islam is the only religion that seriously considers the sociology of sexual relationship and provides seriously an objective practical and responsible understanding of human nature and its social implications. Islam deals with the issue of polygyny in a justified manner that regulates its allowance according to legal requiremens and restraints, and with discouragement for fear of transgression and injustice. Like any other issue, Islam has organized, standardized, and conditioned the issue of polygyny.

It should not be concluded or implied that the recognition of polygyany in Judaism and Christianity and its narrow scale practice, is the reason for allowing it in Islamic Law. The permission to practice polygyny in Islam according to the conditions and limitations prescribed, is based upon a Divine Ordinance. The Quranic verse which gives allowance for polygyny is translated as follows:

> "If your fear that you shall not be able to deal justly with the orphans, marry women of your choice, to, or three, or four; but if you fear that you shall not be able to deal justly (with them), then (marry) only one".
>
> (Surat Al-Nissa, IV, 3)

The comprehensive understanding of this verse reveals certain definite criteria dealing with the subject of polygyny in Islamic Law. The first criteria is that "polygyny" in Islam is not mandatory, nor encouraged, it is only permitted under certain conditions. It is not an article of faith. This conditional permission should be accepted with extreme caution and reservation. The second criteria is that this conditional permission is not associated with mere satisfaction of sexual passions and carnal desires. It is essentially associated with compassion and support towards widows and orphans. The third criteria is that the permission is limited only to a maximum of four wives, a mandate which is very contrary to the illicit practice of sex. The fourth condition is that there should be complete justice between the wives, in passion, in expenditure, in rights and privilages, equality in treatment. All these channels of justice and equality between the wives are essentially dependant on the inner

organization and discipline that ensures and optimizes human virtue, honour, and chastity. Since religions are the most acceptable sources of morals, it therefore becomes imperative to draw upon the most suitable sources of Divine Ordinance as basic reference to the subject. Any discussion of the subject of polygyny should therefore entail an understanding of how this issue is viewed by the three closely related Abrahamic Faiths. These religions are Judaism, Christianity, and Islam.

Judaism and Christianity do not provide in their doctrines an explicit prohibition of polygyny. In Judaism, most of the old Testment Prophets were polygynous; and the Jewish scripture (Deutronomy 17 : 17), regulations fixed the number of wives for a king at eighteen, and for an ordinary man at four. It was only at the beginning of the eleventh century that polygyny was prohibited in Judaism after the meeting of the Rabbinical Synod at Worms. This prohibition was originally made for the Jews living in Germany and Northern France. Nevertheless, the Jewish Marriage Code retianed many provisions which originated at the time when polygyny was still legally in existence. We are recently informed by some prominent Jewish scholars (Goitein) that polygynous Jewish immigrants to Palastine are causing the Israeli housing authorities a great deal of both difficulty and embarrassment.

In Christianity, there is no distinct passage in the New Testment that clearly prohibits polygyny. Although the New Testment assumes monogamy as the normal ideal form of marriage, it does not expressly denounce polygyny except for clergymen. No council of the church in the earliest centuries of Christianity opposed polygyny, and no obstacle was placed in the way of its practice by kings. Luther himsef approved the bigamy of Fredrick William II of Prussia, and preached his preference of polygyny to divorce. Afro-Asian Christian bishops prefer polygyny to infidelity, fornification, extramarital sexual activity, or any form of the unorthodox philandering sex practices. The Christian Normons practice polygyny and regard it as a divine institution. It is estimated that in the state of Utah alone, over 30,000 American Normons secretly cling to the practice of polygyny. The Normon Church accepted the principal of polygyny as a theistic privilege.

Although the doctrines of Judaism and Christianity assume monogamy as the usual form of marriage, there is not specific doctrine that categorically prohibits polygyny. It is very educating and revealing for moralists to examine the

POLYGYNY IN ISLAM

By :
Saad Moustafa, M.D.

The term "polygamy" means the plurality of mates. More specifically, the term "polygyny" means the marriage of a man to more than one wife at the same time. The term "polyandry" refers to a situation when a women has more than one mate. In the context of this treatise. the term "polygyny" will be used throughout to denote its exact meaning i.e. the marriage of a man to more than one wife at the same time.

Throughout the history of mankind, polygyny has been practiced. It has been practiced by Prophets as Abraham, Jacob, David, Solomon; by kings, governers, rich people, poor people, and common people in all walks of life in ancient and in modern times. In current times, polygyny is practiced in various forms of conduct among all the creeds of the human race of the East and the West. Some of these practices are legally authorized and organized by religious and state laws and disciplines; while other forms are practiced in an illegal, hypocritical, illicit, disorderly manner that are secretly or publicly arranged. Married men who maintain private mistresses, men who go around with different women, world wide prostitution, and the disgraceful pitiful situation of the human sexual disorder and profanation, are all distinct examples of the uncontrolled and disorganised forms of the sensual carnal practice of bigamy. Inspite of that, any attitude religious or moralist, that calls for the organization and justified practice of polygyny is confronted with an attitude of bias self-oriented irrational antagonistic resentment. This is the result of misconcept, prejudice, irresponsible conducts to solve the most profound issue of human life, namely, the sexual conduct and discipline of mankind. The question is not a matter of what every individual accepts or rejects, and forcing our personal preferencies and idiosyncrasies upon one another. The question is the proper understanding of human nature, human society, and maintaining a state of

addressed the people himself saying "O people, whoever worshipped Muhammad should know that Muhammad is dead; and whoever worshipped Allah should know that Allah is living and never dies". Then he read the following verse from the Holy Quran. "Muhammad is naught but a Prophet. The other Prophets have gone before him. If he died or were killed, will you then turn on your backs ? And whosoever turns on his back shall not harm Allah at all. Indeed, Allah will reward the grateful believers". The people then cried, and went away, with their eyes full of tears and their hearts heavy with grief.



Bakre - but companionship and brotherhood of faith is ours until Allah unite us in His Presence." It was on this occasion that he said, looking at the multiple entrances into the Mosque from the houses which surrounded it: "Behold these doors that intrude upon the Mosque, let them be walled up, save only the door of Abu Bakre. Before leaving the pulpit he said "I go before you, and I am your witness, your tryst with me is at the Pool, which verily I behold from here where now I stand. I fear not for you that ye will set up gods besides Allah; but I fear for you this world, lest you seek to rival one another in worldly gains".

Later on during his illness, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was so prostrate that he could no longer lead the prayers, so he said to his wives "Tell Abu Bakre to lead the people in prayers." But Aishah feared that it would greatly pain her father to take the place of the Prophet. She replied that Abu Bakre was a very sensitive man, not strong of voice and much given to weeping when he recited the Quran. The Prophet insisted that Abu Bakre should lead the prayers saying "Allah and the believers will not have it otherwise". The Prophet repeated this sentence three times; and for the rest of the Prophet's illness untill his death, Abu Bakre lead the Muslims in the prayers. On one occasion, the Prophet with some help could manage to go into the Mosque in the course of prayers; Abu Bakre stepped back to allow the Prophet to lead the prayers. The Prophet pressed Abu Bakre forward again infront of the congregation, and he himself sat on the right of Abu Bakre and prayed seated while Abu Bakre lead the assembly prayers.

The Prophet's health then improved for a while, and everybody rejoiced with joy: Abu Bakre took leave to go to see his family at Sunh. During that day, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) died, and the tragic news reached Abu Bakre. He hurried to the house of his daughter Aishah to find the body of the Prophet lying on a couch in the corner of the room covered with a sheet. Abu Bakre leaned over the body, removed the cover from the face and kissed him farewell, saying "you have tasted the death destined for you by Allah, but you will never have death afflict you after this". He replaced the cover on the face and walked out of the house to the mosque.

Outside the mosque, people gathered and assembled to listen to Omar Ibn Al-Khattab as he addressed them saying "O people, the Prophet has not died, he has gone to his Creator, just as Moses had done before", and Omar insisted on that statement. Abu Bakre asked Omar to be silent and

environs of the Kaaba would be completely Islamic. The pilgrimage of the Prophet in the tenth year of Hijrah, otherwise called the Farewell Pilgrimage was very precisely documented to be the original reference for the generations of Muslims that followed and will follow. The precise details of the actions, conduct, prayers performed, supplications, procedures, words spoken, exact localities and places, teachings, directions, comments, reply to questions, and in fact every minute elemental particulate of the Prophet's actions and words were carefully recorded. The most close and imtimate companions were responsible for that documentation. Abu Bakre Al-Siddiq was at the head of those companions that documented the details of the events of the Farewell Pilgrimage of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

As a result of his very intimate closeness to the Prophet, Abu Bakre Al-Siddiq accumulated a superb amount of knowledge in Islamic doctrines. It is related by most eminent authors that Abu Bakre was an undisputed narrator of the Propeht's sayings "Hadith"; and a great master in the implementation of the teachings of the Holy Revelation, and the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Indeed, the integral character of Abu Bakre, his mental faculty, psychology and channels of thought, all originated from and were the outcome and reflections of the deep roots of his belief and his faith. His life as a devoted companion, responsible and adamant in his faith, gained for him the esteem and popularity he well deserved. The actions, conduct, life style, temperament, disposition, rationality and wisdom, all pronounced and affirmed his devotion to Islam, the Holy Revelation, the traditions of the Prophet; and also justified and confirmed his great love to the Messenger of the Divine Message.

The early months of the Eleventh year of Hijrah marked the illness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). At dawn one day, the Prophet went to the Mosque inspite of the severe headache he suffered, after leading the prayers he mounted the pulpit and invoked blessings on the martyrs. Then he said "there is a slave amongst the slaves of Allah, unto whom Allah has offered the choice between this world and that which is with Allah, and the slave has chosen that which is with Allah". Abu Bakre wept on hearing this, for he knew that the Prophet was referring to himself, and that the choice meant imminent death. The Prophet told Abu Bakre not to weep and said "O people, the most beneficent of men unto me in his companionship and in that which his hand bestoweth is Abu Bakre; and if I were to take from all mankind an inseparable friend he would be Abu

perform all the formalities of Hajj; a man who could lead and guide; a man trustworthy to be in charge of Muslims. The Prophet chose Abu Bakre to lead the pilgrimage of the nineth year of Hijrah.

Abu Bakre Al-Siddiq left Al-Madinah to Macca leading three hundred Muslims to perform Hajj. The holy Kabaa was visited without restrictions by Muslims and all other creeds, and even pagans and idol worshippers, each performing their own ceremonies of worship. This certainly resulted in a very inconsistent pluralistic environs of worship; a situation that denuded the holy Kaaba from its sacredness. It was therefore imperative that such creedal inconsistency around the Kaaba must be resolved by Divine Ordinance. Not long after the departure of Abu Bakre from Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received a Revelation of the Holy Quran which resolved the issue of diversity of worship around the Kaabah. This Revelation considered as Divine Referendum was to be announced during the great gathering of pilgrims where Abu Bakre was head of the Muslim group. The announcement had to be made public so that everybody, Muslim and otherwise should know the precepts of Islamic doctrine regarding Muslim-Infidel relationship. The Prophet deputized Ali Ibn Abi Taleb as a kinsman, to set out from Al-Madinah to overtake Abu Bakre and those with him, and to deliver in public the text of the Holy Revelation to everybody present during the great gathering of all the pilgrims at the valley of Mina in the precincts of Macca. When Ali Ibn Abi Taleb arrived at the place where the Muslim pilgrims were. Abu Bakre asked Ali if he had been sent to command the expedition. Ali explained the nature of his mission and asked the assistance of Abu Bakre to make the announcement of the Divine Referendum of the Holy Revelation public and known to everybody present at the pilgrimage. Both men continued on their way together to perform the functions of the pilgrimage; and Abu Bakre continued to lead the Muslims, to be the Imam in prayers, and to preach the sermons. On the first day of the feast after pilgrimage, when everybody assembled in the valley of Mina; Ali delivered the Divine message in its exact Quranic text, and further pointed out the injunctions of this Divine mandate.

The pilgrimage of the tenth year of Hijrah was directed and governed by the Prophet in person. The Divine Referendum that had been publicly announced during the pilgrimage of the nineth year presided by Abu Bakre, dictated that the Holy precincts of the Kaaba would not witness any type of worship other than Islmic. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was now certain that the religious

ABU BAKRE AL –SIDDIQ

HIS LIFE WITH THE PROPHET

(PART III)

By :

Dr . Anas Moustafa El –Naggar M . D ., Ph . D

During the nineth year of Hijrah, there was an active acceptance of Islam among most tribes in the Arab peninsula. Deputations from these tribes arrived at Al-Madinah to meet with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to proclaim their acceptance of Islam as a creed. On the stage of these events, and during these progressive times, Abu Bakre was the front figure. Members of the deputations from the tribes were first met by Abu Bakre, and during their conference with the Prophet, Abu Bakre was present. The intimate association of Abu Bakre with the Prophet, and his unrelenting service to the cause of Islam placed him in a foremost position among the compansions. This distinction of rank was recognized and accepted by the comapnions; they found in Abu Bakre the dedication, commitment and the devotion that placed the man in such honour and esteem.

The latter months of the nineth year were coming to an end, and this marked the time of pilgrimage. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had not performed pilgrimage according to the Islamic teachings; and to perform pilgrimage as supplication to Allah was highly desired. However, the Arab peninsula still harboured several non-muslim sects including Jews, Christians, even non-believers and pagans, and idol worshippers. These performed their pilgrimage, which is different to the Islamic way. The presence of the Prophet of Islam at the Kaaba performing Hajj with Muslim comapnions in an environment that was religiously heterogenous; was unfavourable; inconvenient and unfitting. The Prophet finally decided to remain at Al-Madinah and await the words of Allah in that matter. The Prophet appointed the man who was most suitable to lead a Hajj procession from Al-Madinah to Macca and back, and

←

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60, PART IV

RABIE AL AKHER, 1408, HIJRAH

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq - His Life with the Prophet (Part III)

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Polygyny in Islam.

By: Saad Moustafa Moustafa.

3. The Creation of Mankind.

By: Abdel-Hakim Taha.

4. The Most Magnificent Names of Allah.

Collected By: Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of the Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH
SECTION



الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الخامس *
* السنة الستون *
* جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ *
* يناير ١٩٨٨ م *



بسم الله الرحمن الرحيم

في ظلال الجوار

هددت قريش أبا طالب بقتل رسول الله ـ ﷺ ـ فكانت الطرف الذى بدأ فلوّح بالدماء ، فأبى أبو طالب إلا أن يضعها فى إطار حجمها حريصا عليها ـ فى الوقت نفسه ـ أن تهتز مكانتها بين العرب ، فأعلن عن مواجهتها فى أسرع خاصية إعلامية فى هذا الوقت ، فأنشد « لاميته » التى أخبرهم فيها ، كما أخبر غيرهم ، أنه لن يسقط جواره عن رسول الله ﷺ ولاهو بتاركه لشىء حتى يهلك دونه ، وفيها يقول أبياته سالفة الذكر ، وإنه ليعلم أن قريشا ـ على قوتها الفائقة ـ أعجز ما تكون عن حربه لأمور عدة :

←

فليس بطن ـ من بطون قريش ـ إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم ؛ وذلك ـ وحده ـ مانع زعماء الوثنية ـ على ما أُوتُوا من قوة وعصبية وكفر ومقت ـ أن يجمعوا قريشا لحرب قريش .

كذلك ؛ فإن حرب بنى هاشم وبنى عبد المطلب كما لا تقره المشيخة من قريش ؛ فإنها لا تقر حربا بينها وبين غيرها من القبائل ، وتلك سياسة استقر كيانها منذ حرب « الاستقلال » التى قام بها ـ فى مشارف القرن الرابع الميلادى ـ الجد الرابع لرسول الله ـ ﷺ ـ قصى بن حكيم حين قهر خزاعة وطردها من مكة ، فاستقام لقريش أمر مكة ، وحرصت ـ من يومئذ ـ على بقاء وحدتها القومية ، وصيانة البلد الحرام [1] فهم الخُلَّصُ من أبناء إسماعيل بن إبراهيم ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ وهم أولى الناس بحفظه ، وأشدهم غيرة عليه ، وضنا به ، وترحيبا و إكراما لزائريه ، وعرفت لهم العرب هذا « الحياد » وأقرتهم عليه ، وحرب كتلك التى هدد بها بعض زعمائهم كفيلة بإبادة ماحرصوا عليه .

وماذا بعد قتال الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء إلا ما تنوء به قيم الشرف والعرض ، وإلا بقاء اليتامى ودموع المثكلات ، وضياع الوحدة واستباحة البلد الحرام ؟!

وإشارة أبى طالب إلى هذا المعنى واضحة جداً ، حيث يقول ـ بعد جزمه بعدم تسليم محمد ـ ﷺ ـ لهم إلا بعد أن تأتى الحرب عليه وعلى قومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب :

وينهض قـومٌ بـالحـديـد إليكم نهـوض الـرَّوايـا تحت ذاتِ الصـلاصـل

ثم كان هناك ـ إلى ما تقدم ـ من أسلم خفية فى تلك البطون ونجح فى كتمان إسلامه ، وَذَبَّ عن الإسلام ما استطاع .

لقد كانت الحرب بكل المقاييس ممتنعة شكلا وموضوعا .

●●●

استبان لقريش عجزها ، وسكن أساطينها ترقبا للأحداث إلا أبا جهل :

فقد ناء بهذه النتيجة ، وفقد معها روية البصيرة ، وهانت عليه تقاليد الشرف واحترام

(١) نزل بعض جرهم بمكة ـ فى وقت متقدم جداً ـ منذ كان إسماعيل ـ عليه السلام ـ رضيعا ، وذلك فيما بين القرنين : العشرين والثامن عشر من قبل الميلاد ـ وأقاموا مجاورين لإسماعيل وأمه ، بإذن من أمه ـ عليها السلام ـ وفيهم نشأ إسماعيل وتزوج منهم واحدة بعد الأخرى ، حتى إذا طال بهم الأمد طغوا وبغوا ـ فى البيت فسلط الله عليهم خزاعة ، فقهرتهم "واحتلتْ" مكة حتى كان قصى ..

الجوار ، فأبى إلا أن يخفر أبا طالب جوارَه ، ولعلمه ـ مُسَبَّقًا ـ أن أحداً من أشراف قومه لن يعضده ـ رضى أن يتحملها وحده فقال ـ فى نادى قومه فى ثورة تعكس إحباطه ، وتكشف عن حنقه : « يا معشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا[٢] ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ؛ فإذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فليصنع ـ بعد ذلك ـ بنو عبد مناف ما بدا لهم » .

لكنه ـ فى اليوم التالى ـ عاد يحمل حجره مرعوبا قد يبست عليه يداه ممتقعا لونه مرتجفاً فؤاده ، يقول :

« لما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قَصَرَتِهِ ، ولا أنيابه لفحل قط فَهَمَّ أن يأكلنى. وذُكِرَ الخبرُ لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال : ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » وهكذا عصم الله نبيه ، ومضى الجوار .

● ● ●

وإذا لم تكن الحرب ممكنة ، وكان الإجماع عليها مستحيلا ، فقد تشاورت قريش فيما بينها لإسقاط الجوار عن رسول الله ﷺ وَفَضِّ قومِهِ من بنى هاشم والمُطَّلب عنه ـ عليه الصلاة والسلام ، فأجمعت أمرها على مقاطعة البَطْنَين : وقبل تلك المقاطعة ـ على غضاضة ـ سادة من قريش منهم :

أبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد، والمطعم بن عدى ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة ، وزمعة بن الأسود ، وهشام بن عمرو .

قال ابن كثير :

« فلما عرفت قريش أن القوم قد (منعوا) رسول الله ـ ﷺ ـ وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم :

ألا يجالسوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يُسْلِمُوا رسول الله ـ ﷺ للقتل ، وكتبوا ـ فى مكرهم ـ صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يقبلوا من بنى هاشم صلحا أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلِمُوهُ للقتل » .

وفى رواية الإمام البيهقى ـ بسنده ـ إلى محمد بن إسحاق :

« لما مضى رسول الله ـ ﷺ ـ على الذى بُعِثَ به ، وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وعرفت قريش ألا سبيل إلى محمد اجتمعوا على أن يكتبوا ـ فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب : ألا يناكحوهم ، ولا ينكحوا إليهم ، وألا يبايعوهم ،

←

(٢) فأما الشتم للآباء فما كان من رسول الله ـ ﷺ ـ كيفَ .. وقد منع ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين عز الإسلام أن يتناولوا الآباء بذكر سيئاتهم لما فى ذلك من إساءة للأحياء من أبنائهم ؟! وإنما ذلك من أبى جهل تحريض للقوم واستثارة لعصبيتهم .

ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة » فكان ذلك منهم حلفاً على بنى أبيهم أبناء هاشم والمطلب . وسعياً لفرض القوة ـ لأول مرة ـ لإسقاط جوار ، قال ابن كثير : « يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم ، رسول الله ـ ﷺ ـ » .

تَقَبَّلَ أبو طالب حِلفَهم هذا بشموخ عزيز ، وإباء رفيع ، بل قد سبق أن رماهم بأبيات تَزِنُ ما فيهم من نقيصة ، وتطرح مكنون ما انطوت عليه صدورهم إذ لم ينالوا ما يبغونه من رسول الله ـ ﷺ ـ متعاليا عليهم برفعته عن دنس ما يفعلون مهددا من حدثته نفسه أن ينال بطنيه بأذى ، قال :

ولما رأيتُ القوم لاوُدَّ فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد حالفوا قوما علينا أَظِنَّة ... يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول[٣]

وقامت المقاطعة ، واستمرت ، وأوى البطنان إلى شِعْبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، فقد قطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا طعاما يقدم مكة إلا بادروا إليه فاشتروه حتى لا يقع منه شىء بأيدى بنى هاشم وبنى عبد المطلب وبلغت بهم الفتنةُ الجهدَ الشديدَ حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من شدة الجوع ، لا يصل إليهم شىء إلا سراً مُستخفِيًا به من أراد صلتهم من قريش مثل « حكيم بن حزام » رضى الله عنه :

ولم يُسقِط أبو طالب ، ولا قومُهُ جوارَهم عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يُسْلِمُوه .

ومضت المقاطعة « فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم[٤] رجال من بنى عبد مناف ومن قصى ، ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق »وأعلن ـ ﷺ ـ انقراض الصحيفة إلا عن اسمه ـ عز وجل ـ

وضاقت مروءة المتعضين منها ، واجتمع أمرُهم من ليلتهم على نقض تلك الصحيفة والبراءة مما فيها من غدر وسفه ، وبنقضها انتهى الحصار ، واستأنف بنو هاشم والمطلب حياة طبيعية .

●●●

(٣) كان لأبى طالب سيف من هبات الملوك مقاولى اليمن ، كان لديه من عبد المطلب الذى أخذه ضمن هبة من هبات ابن ذى يزن من ملوك اليمن .

(٤) لام بعضهم بعضا .

ولا يحسبن أحد أن تلك الأحداث دفعت برسول الله ﷺ إلى مهادنة القوم ، أو نهنهت من أمر الدعوة ، فقد استمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى تردده على البيت والصلاة فيه على مرأى منهم ومسمع،وقد ازداد حماسا فى الدعوة لما وقر فى قلبه من حب لقومه،ورغبة فى نجاتهم،وبرا بهم ليكونوا أسبق الناس إلى نشرها فى العالمين حتى إنه ليدعو أبا جهل نفسه إلى التوحيد فى تلك الظروف العصيبة .

روى الإمام البيهقى ـ رضى الله عنه ـ لقاء رسول الله ـ ﷺ ـ بأبى جهل يمشى يصحبه المغيرة بن شعبة :

« فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبى جهل :

يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله .

فقال أبوجهل : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهتنا ، هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فو الله لو أنى أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك » .

●●●

كان الجوارُ يقمع ـ بشدة ـ غيظَ قوم أن يحول سوط عذاب ، تشقى به أجساد المسلمين ، وتشفى به صدور الوثنيين . وكان من توفيق المولى ـ عز وجل ـ لرسوله ـ ﷺ ـ إذنُهُ لأصحابه ـ إذ أنذرت الحوادث بالمقاطعة ـ أن يهاجروا إلى الحبشة فذهبوا إليها أرسالا ، وتعقبتهم حكومة مكة ببعث إلى النجاشى مؤملين أن يعود بهم ، فلم تظفر سفارتهم إليه بشىء .

وبينما كان رسول الله ـ ﷺ ـ بالبيت الحرام ، أُنزِل عليه « سورة النجم » فلم يلبث أن أخذ فى تلاوتها ، وارتفع بها صوته الشريف ـ ﷺ ـ وهى غضة عن الله ـ عز وجل ـ فإذا من بالبيت يشرئبون إليه ـ ساكنى الجوارح صامتين قد أخذتهم روعة الآيات وحسن الأداء فانزاح ـ إلى مدى ـ عن قلوبهم حمقها ، وانزجر عن نفوسهم عنادها ، فما أشرفت الآيات على النهاية وجاء قوله ـ تعالى ـ فى ختامها :

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى . هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى . أَزِفَتِ الْآزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ .وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ سجد القوم لربهم مذعنين ، وسرت شائعة قوية أن أهل مكة قد آمَنُوا وَصَلَّوْا ، وكانت الشائعة من القوة حتى إنها طرقت آذان مهاجرى الحبشة ، فمال ـ إلى تصديقها ـ بضعة وثلاثون منهم أسرعوا بالعودة إلى أرض الوطن بعد نحو ثلاثة أشهر من رحيلهم ، وفوجىء القادمون بخلاف ما يتوقعون فلا قريش أذعنت لبارئها ولا هى صلت

←

لخالقها ؛ بل ازدادت عتوا واستكباراً ، ورأت فى رجوع تلك الفئة غنيمة باردة ، فاعتقلوا منهم من سبقوا إليه ، ولاذ المستطيعون بالفرار إلى الحبشة فى هجرة ثانية ، ولم يتمكن من الدخول إلى مكة سالما إلا من وجد له مجيراً :

فدخل أبو سلمة : عبد الله بن عبد الأسد المخزومى فى جوار خاله أبى طالب ، فقد كان أبو سلمة ابن أخته : بَرَّة بنت عبد المطلب ، وضاقت بذلك بنو مخزوم ، فمشى رجال منهم إلى أبى طالب ، فقالوا :

يا أبا طالب ، هذا ، منعتَ منَّا ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟
قال : إنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى .
وأجار الوليدُ بن المغيرة عثمانَ بن مظعون - رضى الله عنه .
وهكذا ..

بل لقد اشتد الأذى حتى تطاول إلى السادة منهم كأبى بكر وعمر ، ولقد سبق أن وضحنا أمر الصديق - رضى الله عنه مع ابن الدغنة إذ أجاره ، واجتمعوا على عمر - رضى الله عنه - وكان من القوة بحيث يدفعهم حتى تكاثروا عليه ، روى ابن إسحاق - بسند جيد قوى - إلى ابن عمر قال :

« وتاروا عليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم ، قال: وَطَلِحَ (٥) فقعد وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

.. فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليه .

فقال : ما شأنكم ؟

فقالوا : صبأ عمر .

قال : فَمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى يُسلمون لكم صاحبكم هكذا ، خَلُّوا عن الرجل .

قال : فو الله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه .

قال : فقلت - لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟

(٥) تعب .

قال : ذاك ، أى بنى ، العاصُ بن وائل السهمى » .

هكذا أجار العاص عمر ، وكان بين العاص وبنى عدى قوم عمر حلف ، وقال لعمر : لا سبيل إليك فأنا لك جار . فأمن عمر .

●●●

وتلت سنوات المقاطعة الثلاث ، ثلاث أشد منها عُسْرَةً على رسول الله ـ ﷺ ـ وحده :

ماتت السيدة خديجة أولى أمهات المؤمنين ، رضى الله عنها .

ومات أبو طالب .

وضاع أنسُ البيتِ وَأَمْنُ الطريق .

صحيح أن قد كان بمكة مؤمنون يعذبون لكن كانت لهم فسحة من الهجرة حيث يشاءون حين يتمكنون من خلاص سريع ؛ فقد أذن لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بذلك .

وعلى مدى هذه السنوات فر معظمهم فلم يبق إلا أفراد معدودون لكن كان على رسول الله ـ ﷺ ـ أن يبقى !

فلم يُؤْذَن له ـ بعد ـ بالهجرة !

ومات المُجير !

وتكأكأ على رسول الله ـ ﷺ ـ حقد السنين ، ونالت قريش منه ـ ﷺ ـ أذى لم تكن تطمع أن تفعله فى حياة أبى طالب ، حتى لقد اجترأ عليه سفهاء قريش .

آذوه فى الشارع والبيت الحرام ، وخُصَّ عمه أبو لهب ، والحكم بن أبى العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى مُعَيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلى ـ بأذيته فى بيته .[٦] .

فلم يعد لرسول الله ـ ﷺ ـ مكان يخلو من أذى ، قال ـ عليه الصلاة والسلام :

ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب [٧]

وفى رواية : مازالت قريش كاعِّين [٨] حتى مات أبو طالب .

لقد كان أبو طالب يصد الناس عن أذيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس ومال .

ومع ذلك بقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحقق ـ فى هذه الظروف ـ أعظم نصر على قريش قبل أن يولى وجهه شطر المدينة [٩] .

د. على أحمد الخطيب

(٦) لم يسلم من هؤلاء إلا الحكم بن أبى العاص فرضى الله عنه .

(٧) الحديثان رواهما ابن كثير فى سيرته .

(٨) كاعين : جبناء .

(٩) نفس المصادر السابقة مضافا إليها : تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور محمد محمد مصطفى النجار وأبو الأنبياء : الخليل إبراهيم للأستاذ عباس محمود العقاد .

دراسة قرآنية

النداء من وراء الحجرات

التثبت من رواية الفاسق

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الآيات من سورة الحجرات .

البيان

كان الأعراب ذوى خشونة وجفاء فى أخلاقهم وطباعهم ، قبل أن يدخلوا الإسلام فيرقق طباعهم ويحسن أخلاقهم .

وكان من عادة رسول الله ﷺ أن ينام القائلة - أى نصف النهار - فجاء وفد من أعراب بنى تميم يفادون أَسْرَاهم عند رسول الله ﷺ ، فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات أن يخرج إليهم ، دون أن ينتظروه حتى يخرج من حجرته فأنزل الله تلك الآية .

قال مجاهد وغيره : نزلت فى أعراب بنى تميم ، قدم الوفد منهم على النبى ﷺ ، فدخلوا المسجد ، ونادوا النبى ﷺ من وراء حجرته: أن أخرج إلينا فإنَّ مَدْحَنا زين وذمنا شين ، وكانوا سبعين قدموا لفداء ذرارى لهم ، وكان النبى ﷺ نام للقائلة :

وروى أن الذى ناداه منهم هو الأقرع بن حابس ، وأنه هو القائل : إن مدحى زين وإن ذمى شين ، فقال النبى ﷺ « ذاك الله » رواه الترمذى عن البراء بن عازب ، والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم « ذاك الله » أن الذى مَدْحُهُ زين وذمه شين هو الله تعالى .

وهناك رواية أخرى لسبب نزولها ، عن زيد بن أرقم قال : « أتى أناس النبى ﷺ ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل ، فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس باتّباعه ، وإن يكن ملكا نعش فى جنابه ، فأتوا النبى ﷺ ، فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته : يامحمد يامحمد ، وقيل: إنهم كانوا من بنى تميم . قال مقاتل : كانوا تسعة ، قيس ابن عاصم ، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس ، وسويد بن هاشم ، وخالد بن مالك ، وعطاء بن حابس ، والقعقاع بن معبد ، ووكيع بن وكيع ، وعيينه بن حصن .. وهو

الأحمق المطاع ، وكان من الجَرّارين ، يجر عشرة آلاف مقاتل .. أى يتبعونه .

وقد اتحدت الروايتان فى أن الوفدين من بنى تميم ، واختلفتا فيما جاءوا من أجله ، فأُولى الروايتين تذكر : أنهم جاءوا لفداء أسراهم ، والثانية تقول : إنهم جاءوا ليتبعوه ﷺ .

وجمعا بين الروايتين نقول : إنهم جاءوا للأمرين جميعاً ، فداء الأسرى واتباعه ﷺ .

والحجرات بيوت النبى ﷺ ، وهى جمع حجرة ، والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحيط بها ، فهى حجرة بمعنى محجورة ، وكلُّ ما منعتَ أن يوصل إليه فقد حجرتَ عليه ، ومنه تسمى حظيرة الإبل: حجرة ، وبقى الخلاف فى العدد ، وهو يؤذن بأنهما وفدان لا وفد واحد وقد بينت الآية أن أكثرهم لا يعقلون وهم الذين وافقوا على ندائه ﷺ من الحجرات ، وأن أقلهم يعقلون فلذا لم يوافقوا على ندائه قبل أن يخرج إليهم.

والمعنى الإجمالى للآية : أن الأعراب الذين ينادونك من وراء حجراتك، أيها النبى، وقت نومك نصف النهار أكثرهم لا يعقلون ، حيث لم يفرقوا بين ما يليق وما لا يليق ، وقد أوضح الله لهم ولغيرهم كيف يكون الأدب مع رسول الله ﷺ فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ولو أن هؤلاء الذين نَادَوْكَ من وراء الحجرات وأنت مستريح ـ لو أنهم ـ انتظروك حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم فى دينهم ودنياهم ، والله تعالى واسع المغفرة شامل الرحمة لمن تاب وآمن .

وكان ﷺ لا يحتجب عن الناس إلا فى أوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه ، وذلك حق له ، فمن سوء الأدب إزعاجه فى تلك الحالة .

ومن هذا الأدب نعلم أنه ينبغى أن لا ينادى الناس بعضهم بعضاً من وراء مساكنهم ، وأن لا يستأذنوا فى لقائهم فى أوقات الراحة ، وأن يكون الاستئذان بالقرع الخفيف على الباب ، وقد قام مقامه الضغط على زر الكهرباء ليصلصل الجرس ، فإذا فتح لهم سلموا على رب الأسرة إذا كان هو الذى يفتح لهم . وكان الاستئذان قبل اتخاذ الأبواب على البيوت بالسلام أولاً ، بأن يقال: السلام عليكم أأدخل ؟ فإن استجيب له دخل ، وإلا انصرف .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ النور الآيتان ٢٧ ـ ٢٨ .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

الخبر الصادق تكون آثاره حكيمة ، والخبر الكاذب تكون آثاره بعيدة عن الحكمة ، مجانبة للصواب ، لذا ينبغى التدقيق فى التعرف على راوى الخبر ، هل هو ممن عرف بالصلاح والصدق فَيُقْبَل خبرُه ، أم هو ممن عُرف بالفسق والكذب فيرد خبره ، وقد نزلت هذه الآية لتوعية المسلمين فى تلقى الأخبار ، لما يترتب عليها من الآثار .

سبب نزول الآية

روى سعيد عن قتادة أن النبى ﷺ بعث الوليد بن عقبة "مُصَدِّقا" إلى بنى المصطلق - أى جابيا للصدقة منهم وهى الزكاة فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم - لإِحْنَةٍ كانت بينه وبينهم كما جاء فى إحدى الروايات ، فرجع إلى النبى ﷺ ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، فبعث نبى الله ﷺ خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه ، فعاد إلى نبى الله ﷺ فأخبره فنزلت هذه الآية ، فكان يقول نبى الله ﷺ « التأنى من الله والعجلة من الشيطان » .

وفى رواية أخرى : أن النبي ﷺ بعثه إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم . فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم خافهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم ، فَهَمَّ رسول الله ﷺ بغزوهم ، فبينما هم كذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ما قِبَلَنَا من الصدقة ، فاستمر راجعا ، وبلغنا أنه يزعم لرسول الله - ﷺ - أنا خرجنا لنقاتله ، والله ما خرجنا لذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

الجمع بين الروايتين

بالنظر فى الروايتين نجد أنهما اتفقتا على أن الوليد بن عقبة كان رسولَ رسولِ الله إليهم ، وذكرت أولاهما أن الرسول بعث خالداً على رأس جيش لتحرى الأمر ، وأوصاه أن لا يَعْجَل بقتالهم ، ولم تذكر الرواية الثانية ذلك ، بل قالت: إن النبى ﷺ هَمَّ بغزوهم ، ويحمل ما جاء فى هذه الرواية على أنه هَمَّ بغزوهم فبعث إليهم خالد بن الوليد لذلك ، لكنه أوصاه أن لا يعجل بقتالهم ، وذلك جمعا بين الروايتين ولم تذكر الأولى أن خالدا قدم بصدقتهم على رسول الله ، وذكرت الثانية أن بنى المصطلق هم الذين جاءوا بها بأنفسهم ، ليتبرءوا مما زعمه الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط ، وليؤكدوا أنهم باقون على الإسلام ، بذلك أمكن الجمع بين الروايتين ، والله تعالى أعلم .

هل كان الوليد فاسقا

الآية تقول : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وهى تشير إلى أن الوليد كان فاسقا حين إرساله ، فإذا كان كذلك فكيف يبعثه النبى ﷺ لجلب الصدقة من المسلمين والجواب أن النبى لم يكن يعلم بحاله ، فلما أرسله وحدث منه ما حدث ظهر فسقه ، فنزلت الآية للتحذير من قبول خبر من يحتمل أنه فاسق حتى يتبينوا صدقه ، فليس كل

المسلمين عدولا فيما بينهم وبين الله ، فمنهم ظاهر الفسق ، ومنهم من يحتمل أن يكون عدلا وأن يكون فاسقا فى نفس الأمر ، ومنهم من هو عدل فى باطنه وظاهره ، وبالتثبت من الخبر يعلم حاله وحال من جاء به ، حتى لا يتورط المسلم فى آثار الخبر الكاذب ، من العداوة والبغضاء والخصام والقتال .

أحكام مترتبة على الآية

قال القرطبى : فى هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً ، لأنه إنما أمر بالتثبت عند نقل الفاسق الخبر ، ومن ثبت فسقه بطل قبول قوله فى الأخبار إجماعاً ، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة تبطلها ، وقد استثنى الإجماع من ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود ، وإثبات حق مقصود له على الغير ، مثل أن يقول : هذا عبدى فإنه يقبل قوله ، وإذا قال : قد أنفذ فلان فلانا ، فإنه يقبل منه ذلك ، وكذا يقبل فى مثله خبر الكافر ، وكذا إذا أقر لغيره بحق على نفسه فلا يبطل إجماعا وأما فى الإنشاء على غيره :

فقال الشافعى وغيره : لا يكون وليا فى النكاح ، وقال أبو حنيفة ومالك: يكون وليا ، لأنه يلى مالها فيلى بضعها كالعدل ، وهو وإن كان فاسقا فى دينه ، إلا أن غيرته مُوَفَّرة ، وبها يحمى الحريم ، وقد يبذل المال ويصون الحرمة ، وإذا ولى المال فالنكاح أولى .

المعنى الاجمالى للآية

ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، إن جاءكم من يحتمل فسقه بخبر فتثبتوا من صدقه ، وبخاصة إذا كانت تترتب عليه آثار خطيرة ، لكى لا تصيبوا قوما وتعتدوا عليهم وأنتم جاهلون للحقيقة ، فتصبحوا نادمين على مافعلتم من التسرع فى الانتقام منهم قبل التثبت من حالهم ، وذلك حين تتبين الحقيقة مخالفة للخبر بعد التورط فى آثاره .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

المعنى : واعلموا ياصحابة رسول الله ، أن فيكم رسول الله ، فاصْدُقُوه ولا تَكْذِبُوه ، وعظموه ووقروه ، وتأدبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم ، فلو سارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر ، لنالتكم المشقة والإثم ، فإنه لو قتل القوم الذين كَذَبَ عليهم الوليد بن عقبة لكان خطأ كبيرا ولأصاب العنت والإثم الوليد بن عقبة الذى أراد قتالهم لعداوة كانت بينه وبينهم ثم خاطبهم الله مشيرا إلى أنهم مع خطئهم فى المشورة فى كثير من الأمور مقيمون على الحق فقال : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أى ولكن الله جعل الإيمان بالله ورسوله ، أحب إليكم من الإيمان بسائر الأديان ، وحسنه فى قلوبكم حتى اخترتموه ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان فرفضتموها ، أولئك الذين وفقهم الله إلى ذلك هم الراشدون المستقيمون على طريق الحق مع تصلب فيه .

والرشد مأخوذ من الرشادة ، وهى الصخرة .

﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أى فعل الله ذلك بكم فضلا وإنعاما ، والله عليم بما يصلحكم ، حكيم فى تدبيركم .

الرابطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ مِنْ وَلَدِه ووَالِدِه والنَّاسِ أجمعين)
رواه مسلم .

اللغة : ١ ـ لا يؤمن : لا يستكمل الإيمان ـ أو أن حقيقة الإيمان لا تَتمُّ إلا بذلك .

٢ ـ أَحَبَّ إليه : أى يؤثر رضاى على هواه .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) قدوة .

٢ ـ الرابطة بين محمد « صلى الله عليه وسلم » وأتباعه .

٣ ـ حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس دعوة باللسان .

البيان

١ ـ محمد صلى الله عليه وسلم قدوة

محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسول العناية الإلهية الذى تدين الإنسانية له بالهداية بعد الضلال ، وبالعلم بعد الجهل ، وبالإيمان بعد الكفر ، غرس الإيمان فى القلوب ، وملأ بالمعرفة العقول ، وأزال الغشاوة عن العيون .

محمد رسول الله سيرةٌ عطرة ، وذكرى عظيمة ، حبيبة إلى النفس والقلب ، وصورة ماثلة أمام المسلم يحتذيها فى حركاته وسكناته ، ونموذج عملي يطبقها فى كل أعماله . نِعْمت العبرة والاقتداء والتأسى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

٢ ـ الرابطة بين محمد (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه

إن الرابطة بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين المسلمين من أمته هى رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى رابطة تنشأ وتقوى وتَصْلُب كلما استطاع المسلمون أن يخضعوا رغباتهم وأهواءهم لما جاء به صلى

الله عليه وسلم ، فَاتِّبَاعُهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الخيرُ كله وبقدر هذا الاتباع تكون الرابطة قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

لقد جعل الله سنته مرجعا فى كل أمر ، ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء آية ٥٩ .

وجعل طاعته طاعة لله ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ .

وجعل متابعته حُبًّا لله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ .

ومعنى ذلك أن يكون حب الرسول « صلى الله عليه وسلم » هو الذروة العليا ، والغاية القصوى ، وألا يبلغه أو يقاربه ويدانيه حب المرء لماله أو والديه أو بنيه ، أو نفسه التى بين جنبيه ، أو أى عرض من أعراض الدنيا مهما عز وعلا . فى رواية لمسلم عن أنس « رضى الله عنه » قال : قال (صلى الله عليه وسلم) : « لا يؤمن الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » .

وقال له مرة « عمر بن الخطاب » : يارسول الله ، والله إنك أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى ، فقال : لا ياعمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر ، والله يارسول الله إنك أحب إلى من كل شىء حتى من نفسى ، فقال له : الآن ياعمر .

أى الآن ياعمر بلغت كمال الإيمان وتمامه .

إن الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة لاتتحقق إلا إذا انبعثت عن الحب الصادق لمن يقتدى به .

وليس هناك بشر على الإطلاق يمكن أن يحل محل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال الإمام مالك (رضى الله عنه) : « كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم » (صلى الله عليه وسلم) .

٣ ـ حب الرسول (صلى الله عليه وسلم)

ليس دعوة باللسان

إن حب الله وحب رسوله ، ليس دعوة باللسان ، ولاهياما بالوجدان ، أو مجرد شعائر تقام ، ما لم يصاحبه اتباع لكتاب الله وسنة رسوله ، والسير على هداهما ، وتحقيق منهجهما فى الحياة .

وكل من ادعى محبة الله ورسوله ، ولا يسير على منهج الله وهديه فقد افترى .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ) رواه مسلم .

محمد صابر البرديسى

القرآن والمرأة

للمرأة ـ فى الإسلام ـ مكانة التبجيل والتكريم مثلما لآل عمران ـ فى السورة السابقة على سورة يوسف ـ مادامت مثل آل عمران فى طاعة الله ، وفى طاعة رسوله ـ ﷺ .

ومطلوب منها ـ فى الإسلام ـ أن تكون نقية طاهرة زكية شفافة ، لها كمال التوقير والاحترام .

والمرأة فى نظر الإسلام مطالبة بأن تكون مصدر كمال الأخلاق وجاءت سورة النساء لتنشىء حياة المرأة المسلمة على هذه الوتيرة فوضعت سورة النساء بين سورتى : آل عمران ، والمائدة ليكون لها من السابق الشرف ، ومن اللاحق كمال الأخلاق الفاضلة .

ولن يكون للمرأة المسلمة هداية إلا إذا خضعت لما جاء فى القرآن الكريم من التكاليف .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ١٣ ـ ١٤ ـ النساء .

ويلاحظ فى ختام الآية الثانية أن القرآن الكريم آثر لفظ (عذاب مهين) بدل (عذاب أليم) ، أو (عظيم) ؛ لأن سياق الآيات فى مقام إظهار تكريم الله للرجال والنساء والذى يقابل التكريم هو الإهانة فكأنما المقابل لهذا التكريم الالهى هو الإهانة ومن صورها الخروج على أحكام الشرع الحنيف وهداية القرآن الكريم .

نماذج من سلوكها

ومع إبراز مكانة المرأة هكذا فقد قدم القرآن الكريم نماذج تبين سلوكها وأعمالها ولم يترك القرآن الكريم وضع مقارنة بين صنفين من النساء ليبين أن الخير فى عالم المرأة له نماذج وأن الشر فى عالم المرأة له نماذج كذلك يقول الله تعالى :

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ ١٠ ـ التحريم .

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الْجَنَّةِ

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى
وكيل الأزهر

وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ١١ ـ ١٢ ـ التحريم .

والآيتان فيهما استقلال المرأة فى التصرف واستقلالها فى تحمل ما يترتب على هذا التصرف .

فزوجتا نوح ولوط كان لهما موقف الخيانة وهو عدم اتباع الرسالة وإفشاء سر زوجيهما فاستقلتا بالتصرف فى هذا الموقف وما ترتب عليه من دخولهما النار ، ولم تنفع واحدة منهما أنها كانت زوجة نبى فمن لم يسرع به عمله لم يسعفه نسبه .

وعلى العكس تماما كان تصرف زوجة فرعون المسلمة فهى فى الجنة لإيمانها ولا يلحقها تحمل مسئولية بسبب ضلال زوجها .

وصورة الخضوع للطاعة كانت من مريم **البتول التى استسلمت لأوامر الله وقضائه فى** مواجهة ترهات اليهود وأباطيلهم .

مقارنة يعقدها القرآن الكريم بين نوعين من النساء لبيان أن عالم المرأة ليس شرا كله وليس خيرا كله ، وأن أمرها دائر حول الاتباع أو الابتداع .

ويستفيض القرآن الكريم فى التحدث عن المرأة ، فيصف مشاعرها كأم يقول الله تعالى :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٠ ـ القصص

ويتحدث عنها كأخت : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ١١ ـ ١٢ ـ القصص .

ومن هذه النماذج القرآنية يمكن استخلاص ضابط للحديث عن المرأة ذلك الموضوع الذى عج به كثير من الكاتبين والمتحدثين .

ضابط

والضوابط التى نستخلصها من هذه المواقف القرآنية هى : أن مقام الحديث عن المرأة له ثلاثة جوانب :

- جانب أنوثتها .
- جانب حقوقها .
- جانب واجباتها .

القرآن والمرأة

جانب الأنوثة

يضع الإسلام الحنيف المرأة وأنوثتها فى الموضع الطبيعى المتزن اللائق بها وبطبيعتها فلم يخرجها النظام الإسلامى من دائرة الأنوثة إلى دائرة الخشونة فيوجب عليها رعاية الأسرة ماديا فترهق جسمها وفكرها فى العمل من أجل الحصول على اقتصاديات تعيِّش الأسرة ، بل أعفاها الإسلام من هذا الواجب وحمله للرجل .. وهذا آخر آمال المرأة المعاصرة فى سويسرا حيث تطالب النسوة بالعودة إلى البيت وإعطاء الرجل ٥٠٪ من المرتب فقد ضاقت المرأة ذرعا بالعمل بعد أن فسد بيتها وترهل جسمها وهى ماتزال صغيرة السن والشباب .

ولذا فقد كانت قوامة الأسرة حملا على الرجل : قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ ٣٤ ـ الآية النساء .

وظروف نظافة المرأة مسألة حساسة ودقيقة جداً فكما أن المرأة الطبيعية لا تحب أن يطلع الرجل ـ زوجها ـ على ظروفها المتعلقة بأحوال نظافتها وهى كثيرة ومتعددة فإن الإسلام شرع لها ألا تكون هذه الزينة كلأ مباحا لكل عين ، وأنف ، ويد . فارتقى الإسلام بها إلى سمو الفضيلة والعفة والستر ونأى بها عن موطن الرذيلة ومظان الشبهات ، وسما بها عن أن تكون متعة شهوانية تبتذل بعد حين .. وهو حين قصير وإن طال وجعلها الإسلام درة البيت المضيئة ، وبركته العائدة ، وأنسه الوديع ، وعطره الفياح « إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته فى عرضه وماله » .

جانب الحقوق

أعطى الإسلام المرأة حق التعبير عن إرادتها ، وضمن لها ملكيتها سواء كانت مع زوجها أو أخيها أو عند عمها أو تحت وصى وهى يتيمة ، وجعل ولايتها على مالها حقا مكفولا ، ولم يجز الإسلام أخذ شىء من ممتلكاتها بأى لون من ألوان الضغط حتى ولو كان الضغط بسيف الحياء . قال تعالى :

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ ٣ ـ النساء .

فهذا فقط هو الحد الذى يجوز فيه أن يأخذ الرجل شيئاً من مال زوجته .

وقد احتاط الإسلام كثيرا فى المحافظة على مالها فجعل شرط الأخذ هو طيبة النفس ، وجعل الفعل الدال على هذه الطيبة فعلا للشرط ، وعبر عن الذى سيسمح به بلفظ شىء للدلالة على أنه لا يجوز اقتراح كمية معينة ، وأثبت لها حق الملكية بالتبعيض الذى وقع على ما تملكه ، وأتى بالفاعل تمييزا .. ليدل على أن قيود فعل الشرط ملاحظ فيها كمال الملكية وكمال الحرية فى التصرف ، وكمال الرضا فى السماح بأخذ شىء ما .

ـ ولم يلغ الإسلام اسم أبيها كما يفعل المجتمع الأوروبى وغيره .

- ولم يعلق الإسلام أهليتها فى التصرف على إذن ولى لها .. كما يفعل الانجليز .

- ولم يحرمها من ممارسة الحقوق المالية رغم عدم وجوب تكليفها بالإنفاق على البيت على عكس ما يجرى فى أوروبا الحديثة .

- ولم يكلفها بالعمل وجوبا للسعى على المعيشة كما ترهق المرأة فى الهند وجنوب شرقى آسيا وأوروبا نفسها للحصول على قوتها وقوت زوجها وقوت أولادها ..

جانب الواجبات :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ١٨٧ - البقرة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٢١ - الروم .

● إنها : أنس ، وسكن ، وستر ، ولهذا حرم الإسلام على امرأة أن تصف مفاتن امرأة أخرى عند زوجها ففى البخارى « لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها » .

● ومن أجل هذا حرم الإسلام على المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة كما حرم ذلك بين الرجال ، ففى مسلم والنسائى : لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد ، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد .

● ويحمل الإسلام المرأة مسئولية انحراف المجتمع لأنها هى العامل الإيجابى فى اشاعة الفتنة ففى الحديث الشريف :
« ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء »[1] .

● ومع هذا فإن النبى ﷺ مازال يوصى بالنساء خيرا ففى الحديث : « استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا »[2] .

وبالله التوفيق

رءوف شلبى

(١) انظر « ابن ماجة » باب « فتنة النساء » .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

نحو بيت سعيد

إن البيت المسلم السعيد هو الدعامة الأساسية لقيام المجتمع المسلم الرشيد وإن الأسرة المسلمة الآمنة المستقرة ضرورة لابد منها لصلاح المجتمع وتماسكه وشرط لامفر منه إذا ماأريد لأمة أن تعز وأن تنتصر وتسود ولهذا كانت عناية الإسلام كبيرة بالأسرة فاقام على الحق والعدل بناءها وثبت بالود قواعدها وقوى بالخوف من الله عُراها .

ولهذا بذل أعداء الإسلام جهوداً مضنية لتدمير الأسرة المسلمة وتفكيك أواصرها ، وسلكوا إلى ذلك سبلاً شتى . حرضوا الزوجات على التمرد على أزواجهن وزينوا للنساء سبيل هجر البيوت والانطلاق إلى الشوارع والطرقات فى ظل شعارات زائفة . ونشأت من جراء ذلك مشاكل لم تكن لتوجد أصلاً لو أن الأمور سارت وفق ما أمر الله .

وعمل أعداء الإسلام كذلك بما يملكون من وسائل الإعلام وغيرها على تخريب علاقات الحب والاحترام بين الآباء والأبناء وبين الأمهات والبنات وبين الشيوخ والشباب ، تحت ستار مبادىء اخترعوها مثل ضرورة الاختلاف بين الأجيال وما إلى ذلك من الأباطيل والأقوال ، وإذا كان أتباع الباطل جادين فى نصرة باطلهم فأولى بأتباع الحق أن ينصروا حقهم لكن ذلك يقتضى عملاً دءوبا وجهاداً مستمراً فى جميع المجالات وعلى كل المستويات حتى يتحقق الأمل وتجنى الثمار ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الروم ٤ ، ٥] .

كيف تتحقق السعادة فى البيت ؟

البيت المسلم يتكون من رجل وامرأة جمع بينهما الزواج الشرعى المعلن ، والزواج - الذى هو أصل الأسرة فى الإسلام - تنظيم لفطرة أودعها الله فى الإنسان ، به يتميز عن الحيوان ، وهو إشباع لهذه الفطرة بطريقة كريمة تناسب الإنسان الذى كرمه الله واستخلفه فى الأرض لعمارتها .

يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء - ٧٠] .

فضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

وإذا تصورنا أن عقد الزواج بين رجل وامرأة هو عقد شركة بين طرفين كل منهما كامل الأهلية ، فإن كل شركة قابلة للربح والخسارة تربح إذا نظمت تنظيماً سليماً وأديرت إدارة رشيدة وأدى كل شريك واجبه على الوجه الأكمل ، وسادتها روح التفاهم والمودة وتوافرت فيها الأمانة والإخلاص بين طرفيها .

يقول الله فى الحديث القدسى : « أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما » (الحديث رواه أبو داود) .

والإسلام يبغى لشركة الزواج التى تنشأ بين رجل مؤمن وامرأة مؤمنة أن تنجح وتربح وتثمر أطيب الثمرات ذرية طيبة تجاهد فى سبيل الله وترفع راية الحق وتنشر العدل والسلام فى الأرض ومن أجل ذلك رسم الإسلام طريقاً واضح المعالم ميمون الخطوات .

أولاً : اختيار طرفى الشركة :

وحتى لا نخدع بالمظاهر أو نتأثر بالأهواء فنقع فى الخطأ أرشدنا الإسلام إلى الطريقة المثلى لاختيار شريك الحياة .

يقول رسول الله ﷺ « تنكح المرأة لأربع . لمالها وجمالها ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » الحديث متفق عليه .

فمن استطاع الحصول على امرأة ذات خلق ودين تشاركه الحياة فى بيته زوجة صالحة فقد ظفر وانتصر . وذلك لا يعنى أن الجمال مرفوض فإن وجوده من أسباب السعادة بلاشك وكذا بقية الصفات المذكورة فى الحديث[1] وعليه فيجب أن تتوافر فى المرأة مع الدين صفات :

١ - **الجمال** : لقوله ﷺ « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (الحديث رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة) .

٢ ، ٣ - **أن تكون ودوداً ولوداً** . لقوله ﷺ « تزوجوا الودود الولود » .. (رواه أبو داود والنسائى) .

٤ - **ويستحب أن تكون قليلة المهر** لقوله ﷺ « أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً » (رواه الإمام أحمد والبيهقى) .

←

(١) غير انه ينبغى الا يكون هو الهدف

لحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه وقد تزوج ثيباً فقال له رسول الله ﷺ « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » . (متفق عليه) .

أما أهم الصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الزوج فهى الدين والخلق . يقول رسول الله ﷺ : « إذا أتاكم من ترضَوْن دينه وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » (رواه الترمذى وأحمد) .

وقال رجل للحسن : إن لى بنية فمن ترى أن أزوجها ؟ فقال : زوجها ممن يتقى الله فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها .

ثانياً : إدارة الشـــركة :

لابد لنجاح أية شركة من وجود إدارة تقوم بشأنها وتحفظ أمرها ، وأن تكون لهذه الإدارة صلاحيات البت فى كل ما يطرأ من مشاكل أو يستجد من أحوال ، ولا يقبل أبداً أن تترك هذه المسألة دون تحديد واضح لئلا يتنازع الطرفان الرئاسة ويتجاذبا القيادة فيقع الخلاف وتدب الفوضى ويحل الشقاء .

وبنظرة موضوعية نتساءل : أي الطرفين مؤهل للقيادة فى شركة الأسرة الرجل أم المرأة ؟ لقد أنعم الله على النساء بقسط وافر من جيشان العاطفة ونبل المشاعر ورفاهة الإحساس . وفى مقابل ذلك أنعم على الرجال بنصيب أوفر من حسن التبصر ودقة التفكر وعظيم الروية والنظر فى عواقب الأمور دون تسرع أو انفعال[٢] ، ولا ينكر ذلك إلا جاحد ومكابر .

إن من مصلحة هذه الشركة ومن أجل سعادة طرفيها المؤسسين ومن يعيش فى ظلالها من بنين وبنات أن يسلم زمام الإدارة إلى الزوج ، رب الأسرة وعمادها ومثلها الأعلى . وهذا ماجاء به القرآن وأمر به الله العلى الحكيم بقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء ٣٤] .

ثالثاً : التشـــاور :

ومادامت القوامة حكماً ورياسة ؛ فإن كل حاكم فى الإسلام ليس مطلق الصلاحيات وإنما هو محكوم بشرع الله مسئول بين يديه عن رعيته التى استرعاه : حفظهم أم ضيعهم ؟ عدل فيهم بمقتضى أمر الله ونهيه أم ظلمهم ؟

والشورى شرعة شرعها الله فى دينه لتقوم عليها العلاقة بين الحاكم والمحكوم ولا يظن أحد أن ذلك خاص بحكام الأمة وأمرائها وإنما هو عام يشمل كل حاكم وكل قائد على أي مستوى وفى أي موقع .

(٢) هذا هو الغالب المشاهد ، وليس يعنى أن المرأة قليلة التبصر ، وأن الرجل خلو من العاطفة .. مجلة الأزهر ..

رابعاً : توزيع الأعمال والاختصاصات :

فى كل شركة لابد أن يكون لكل شريك حقوق وعليه واجبات حتى تستقيم الأمور وكذلك فعل الإسلام بالنسبة للبيت فقد جعل لكل من الزوجين حقوقاً ورتب عليها واجبات ، **ولن تتحقق السعادة** إذا أهمل أحد الطرفين أداء واجبه وراح يطالب الآخر بحقوقه عليه وإنما ينبغى لكل منهما أن يبادر بتأدية ماعليه من واجبات رغبة فى إسعاد شريكه وإدخال السرور على نفسه وعلى الآخر مثل ذلك .

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين بتحديد تلك الحقوق والواجبات حتى لا يتظالم الشريكان فتتبخر السعادة ، ووفق قاعدة متوازنة دقيقة من صنع العليم الحكيم تقرر الأمر على أساس العدل ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٢٨]

خامساً : حقوق الزوجة :

قرر الإسلام للزوجة حقوقاً طالب بها الزوج وحثه على القيام بها بحكم ولايته للأسرة ورياسته لها ومسئوليته عنها . منها :

١ ـ أن يكون حسن الخلق فى معاملتها ،

وليس حسن الخلق أن يكف الأذى عنها فحسب ولكن معناه أن يتحمل ما قد يبدر منها وأن يكون حليماً عند غضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ .

٢ ـ المداعبة والمزاح والملاعبة : فإنه بهذا تطيب قلوب النساء ويغشاهن السرور والحبور ويأنسن بالزوج ويسعدن بقربه وهكذا كان رسول الله ﷺ . فقد روى أنه كان يسابق عائشة رضى الله عنها فسبقته مرة وسبقها أخرى فقال هذه بتلك » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

وهو ﷺ القائل « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » رواه الترمذى والنسائى والحاكم .

٣ ـ أن يغار عليها : وغيرة الرجل على امرأته من ثمرات الإيمان ومن دلائل المروءة وأمارات الحب قال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى » (متفق عليه) ،

وغيرة الله أن يأتى الرجل المؤمن ماحرم الله عليه .

والغيرة المحمودة هى الغيرة المعتدلة ، أما الغيرة المفرطة والتى لايوجد لها مبرر فهى مذمومة قال رسول الله ﷺ : « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل . وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » (رواه أبو داود والنسائى وابن حبان) .

حقوق الزوج :

وكما أن على الزوج حقوقاً لزوجته فكذلك

←

نحو بيت سعيد

للزوج حقوق على امرأته . وقاعدة الإسلام العادلة أنه لاحق إلا في مقابلة واجب ، ونذكر من هذه الحقوق مايلى :

١ ـ **الطـــاعة** : فلايجوز للمرأة عصيان زوجها أو مخالفة أمره إلا فيما حَرَّمَ الله وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها » (رواه الترمذى وابن ماجة) .

٢ ـ **التجمـــل** : على المرأة أن تتجمل لزوجها وأن تتزين له بحيث لا يقع نظره عليها إلا وهى فى أحسن حالاتها بهاء . .

٣ ـ **أن تكون بارة بزوجها** : ومن البرّ به أن لا توقعه فى الحرج والإثم بعنادها وإصرارها على خلاف ما يطلب وعمل مالا يرغب خاصة إذا أقسم عليها أن تفعل شيئاً ما أو أقسم عليها أن لا تفعل[٣] .

والمرأة الصالحة تبرّ زوجها إذا أقسم ولاتضطره للتكفير عن يمينه بعد الحنث فيه ، لأنها تخشى الله وترعى حق زوجها ولاتضطره لتحمل المشقات فضلاً عما يسببه هذا التصرف من انعكاسات تعود على البيت . .

٤ ـ **الرعايـة التـامة** : وتعنى أن على المرأة أن ترعى حق زوجها غائباً وحاضراً فلاتدنس عرضه ولاتبدد ماله وتبتعد عن كل مايسوءه أو ينال من سمعته وأن ترحم أبناءه وبناته سواء كانوا أبناءهما معاً أم لا قال رسول الله ﷺ : مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته . وإن نظر إليها سرته . وإن أقسم عليها أبرته . وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » (رواه الإمام أحمد) .

٥ ـ **القنـــاعة** : يجب على الزوجة العاقلة أن لاترهق زوجها بكثرة المطالب وأن تكون قانعة راضية بما قسم الله لها . فإن كثرة مطالب المرأة ربما دفعت زوجها إلى السعى فى كسب الحرام وفى ذلك شقاء الأسرة كلها فى الدنيا والآخرة وأيضاً فإن كثرة مطالب الزوجة تجعل الزوج يعيش مهموماً مغموماً عندما لا يستطيع تلبية مطالبها . وهمه وغمه لابد أن ينعكس عليها والبيت كله .

(٣) أي وهو فى كلا الحالين لا يأمر بمعصية ، أو ينهى عن طاعة . وفى النهى عن الطاعة له ذلك فى حدود مارخص الشارع له كأن يمنعها من صيام غير فرض أثناء إقامته لا سفره .. مجلة الأزهر .

وفى الكتاب العزيز : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ .

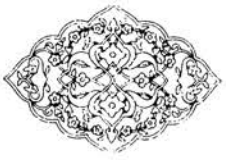
٦ ـ **الوعـظ والتهـذيب** : قرر الله تبارك وتعالى هذا الحق ليستعان به على حفظ دعائم البيت كيلا تعصف به رياح الغضب أو تدمره عواصف الخلاف .

ولأن الرجل هو المسئول عن حفظ البيت ورعايته والدفاع عنه ضد الأنواء والأعاصير فقد كلفه الله تبارك وتعالى بذلك فى قوله الحكيم : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً . إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ [النسـاء ٣٤] .

فإذا ظهرت على المرأة أعراض النشوز ـ وهو التمرد والعصيان ـ فإنه يحق للزوج أن يقوم بنصحها ووعظها حيث يذكرها بالله ويخوفها من غضبه وعقابه، ويذكرها كذلك بحقه عليها،وأن الله فرض عليها طاعته . على أن يكون ذلك بطريقة حكيمة مؤثرة،وليس له أن يزيد على ذلك من نحو سب أو شتم أو كلام مكروه،فإن لم ينفع هذا العلاج كان له أن ينتقل إلى مابعده وهو الهجر بأن يعرض عن كلامها وليس له أن يزيد فى ذلك على ثلاثة أيام ، وأن يعتزل فراشها ولايزيد ذلك على شهر وقوفاً عند حدود ماورد فى ذلك ، فإذا لم ينفع هذا العلاج أيضاً انتقل إلى الأمر الثالث وهو الضرب ، وكان ﷺ يكرهه وما فعله قط .

وبعد :

فإن البيت السعيد يزهى بالمـراة الصالحة الحافظة لزوجها ، ونفسها ، وبيتها ، القائمة على رعاية ما استرعاها الله ـ سبحانه ـ وهى التى يبارك لها ، ويتم بها الخير والسعادة ،



* مجلة الأزهر : هذا الجزء من بحث قيم تقدم به كاتبه إلى مجلة الأزهر ، التى ترجو أن يتاح لها فرصة العرض منه إن شاء الله . عادل رفاعه خفاجة ..

رجال القراءات

أبو عمرو بن العلاء البصري

الإمام أبو عمرو بن العلاء البصرى
زَبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جلهم ابن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان.
الإمام السيد ابو عمرو التميمي المازنى البصرى أحد القراء السبعة.

قال : الحافظ أبو العلاء الهمذانى : هذا الصحيح الذي عليه الحذاق من النساب .

وقد قيل إنه من بنى العنبر . وقيل من بنى حنيفة .

وحكى القاضى أسد اليزيدي : أنه قيل إنه من فارس . من موضع يقال له : « كازرون »[1] .

وقد اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولاً لا ريب أن بعضها تصحيف من بعض . وأكثر الناس من الحفاظ وغيرهم . على أنه زَبَّان كما ذكرنا .

وقال الذهبي : والذي لا أشك فيه أنه زبان بالزاى . وقد أغرب ابن البانش في حكايته ـ ربان بالراء الموحدة . وأغرب من ذلك ما حكاه أبو العلاء عن بعضهم ـ ريان ـ بالراء . وآخر الحروف ـ أى الياء ـ قال : وهو تصحيف .

وجاء فى إبراز المعانى : البدر الثالث أبو عمرو بن العلاء البصرى المازنى من بنى مازن بن مالك بن تميم بن مر .. هو الخالص النسب ، وليس في السبعة من أجمع على صراحة نسبه غيره .

(١) بلدة معروفة من فارس .

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

مولده :

ولد سنة ثمان وستين ، وهناك روايات مختلفة في سنة مولده ، لكن المقدم هو الذى أثبتناه ، وقد حكى بعضهم أنه ولد سنة خمس وخمسين .

رحلته في طلب العلم وأساتذته

توجه مع أبيه لما هرب من الحجاج .. فقرأ بمكة والمدينة .. وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة . **فليس في القراء السبعة اكثر شيوخاً منه :**

سمع أنس بن مالك . وقرأ على الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وحميد بن قيس الأعرج ، وأبى العالية : رفيع بن مهران الرياحى ـ على الصحيح ، وسعيد بن جبير ، وشيبة بن نصاح ، وعاصم بن أبى النجود ، وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، وعبد الله بن كثير المكى ، وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة بن خالد المخزومى ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبر ، ومحمد ابن عبد الرحمن بن محيصن ، ونصر بن عاصم ، والوليد بن يسار ، ويقال : بشار الخزاعى ، وأبى جعفر يزيد بن القعقاع المدنى . ويزيد بن رومان ، وسعيد بن جبير ، وحميد بن قيس ، وعن أهل الحجاز ، وغيرهم .

قال الحسن بن مخلد : حدثنا محمد بن إسماعيل قال : حدثنا ابن المبارك قال : قرأت على أبى عمرو بن العلاء .

قرأ أبو عمرو على مجاهد ، وقرأ مجاهد على ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ وقرأ ابن عباس على أبىّ ـ رضى الله عنه ـ وقرأ أبىّ على النبي ﷺ :

وفي هذا بيان لسنده ـ رضى الله عنه ـ إلى رسول الله ـ ﷺ .

قال فضلان[٢] المقرىء : حدثنى أبو حمدون عن اليزيدي عن أبى عمرو قال : سمع سعيد بن جبير قراءتى فقال : الزم قراءتك هذه .

وقال أبو سفيان بن العلاء ، أخو أبى عمرو بن العلاء : « كان أبو عمرو إذا لم يحج أمرنى[٣] . فسألت عكرمة بن خالد

←

(٢) لم أجده في طبقات القراء ـ لا فى شيوخ ابن مجاهد ، ولا فى تلامذة أبى حمدون الذهلى .

(٣) أى أمره بالحج ليلقى عكرمة بن خالد المخزومى ، وكان قد عرض عليه القرآن بمكة . وقد روى عكرمة القراءة عَرْضاً عن أصحاب ابن عباس . وكان حجة ثقة ، توفى سنة ١١٥ هـ .

رجال القراءات

المخزومى عن الحروف » أى عن وجوه القراءات وكلماتها .

وكان أبو عمرو حسن الاختيار ، سهل القراءة ، غير متكلف يؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل .

وكان في عصره جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوه . منهم:عبد الله[٤] بن أبى إسحاق ، وعاصم[٥] بن أبى الصباح الجحدرى ، وعيسى بن عمر الثقفى النحوى . وكان هؤلاء أهل فصاحة أيضاً ، ولم يحفظ عنهم في القراءة ما حفظ عن أبى عمرو . وإلى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم .

تلاميذه

روى عنه القراءة على بن نصر ، وحماد بن زيد ، وعبد الوارث بن سعيد ، وهارون بن موسى الأعور العتكى ، وأبو زيد سعيد بن أوس،ويونس بن حبيب ، وعبيد بن عقيل ، ويحيى بن المبارك اليزيدي ، وعبد الملك بن قُريب الأصمعى ، وشجاع بن أبى نصر ، وأبو نعيم الخراسانى ، ومعاذ بن معاذ العنبرى ، وسهل بن يوسف ، وحسين بن على الجُعفى ، وخارجة بن مصعب ـ وداود بن يزيد الأودى ، ومحبوب بن الحسن ، وعبد الرحيم بن موسى ، وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، وأحمد بن موسى اللؤلؤى ، والعباس بن الفضل الأنصارى قاضى الموصل ، وقد روى غير هؤلاء حروفاً ليست على كثرة ما روى هؤلاء ـ فأمسكت عن ذكرهم .

وفي العرض والسماع :

روى القراءة عنه عَرْضاً وسماعاً أحمد بن محمد بن عبد الله الليثى المعروف بـ « ختن ليث » ، وأحمد بن موسى اللؤلؤى ، وإسحاق بن يوسف بن يعقوب الأنبارى المعروف بالأزرق ، وحسين بن على الجعفى ، وخارجة بن مصعب ، وخالد بن جبلة اليشكرى ، وداود بن يزيد الأودى،ويونس بن حبيب وغيرهم . وروى عنه الحروف [٦] محمد بن الحسن بن أبى سارة ، وسيبويه ، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد ..

قال الأصمعى : قال لى أبو عمرو : لو تهيأ لى أن أفرغ ما في صدرى في صدرك لفعلت . لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها . ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرِىء لقرأت كذا وكذا وكذا وكذا ، وذكر حروفاً .

(٤) عبد الله بن أبى اسحاق إمام البصريين في النحو ، مقرىء ثقة . توفى سنة ١١٧ هـ ، وهو جد يعقوب الحضرمى . أحد القراء العشرة .

(٥) عاصم الجحدرى من قراء البصرة . توفى سنة ١٢٨ هـ . ومثله عيسى بن عمر الثقفى . وقد مر ذكره .

(٦) سبق أن بينا أن الحروف يعنى بها القراءات .

وقال أبو عبيدة : كانت دفاتر أبى عمرو ملء بيت إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها ، وتفرد للعبادة ، وجعل على نفسه أن يختم القرآن في كل ثلاث .

وقال أيضاً : حدثنا أبو عمرو قال : أخافنا الحجاج فهرب أبى نحو اليمن . وهربت معه ، فبينما نحن نسير إذا أعرابى ينشد على بعير له :

لا تضيقَنَّ بالأمور فقد تفـ
ـرج غماؤها بغير احتيال
رب مـا تكـره النفـوس مـن الامـ
ـر له فرجة كحل العقال

فقال أبى : ما الخبر ؟ فقال : مات الحجاج ، فكنت بقوله(فرجة)أَسَرَّ منى بقوله : مات الحجاج .

وقال الأصمعى : سمعت أبا عمرو يقول : ما رأيت أحداً قبلى أعلم منى . وقال الأصمعى :أنا لم أر بعد أبى عمرو أعلم منه . وكان إذا دخل شهر رمضان لم يُتِمَّ فيه بيتَ شعر ، وسمعته يقول : أشهد أن الله يضل ويهدى ـ ولله مع هذه الحجة على عباده .

وكان ـ رضى الله عنه ـ صاحب كرامة يأبى أن يتحدث عارفوه بها .

وروينا عن الأخفش قال : مر الحسن بأبى عمرو وحلقته متوافرة ، والناس عكوف . فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو . فقال : لا إله إلا الله ـ كادت العلماء أن تكون أرباباً ، كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول .

وروينا عن سفيان بن عيينة قال : رأيت رسـول الله ﷺ فى المنـام ـ فقلـت : يا رسول الله ـ قد اختلفت علىَّ القراءات ـ فبقراءة من تأمرنى أن أقرأ ؟ فقال : اقرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء . وعن أبى عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنى شجاع بن أبى نصر : وكان صدوقاً قال : رأيت النبي ﷺ فى المنام فعرضت عليه أشياء من قراءة أبى عمرو ، فما رد علىَّ إلا حرفين : أحدهما (س ٢ آ ١٢٨) : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ـ والآخر (س ٢ آ ١٠٦) ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِأْهَا ﴾ .

قال ابن مجاهد ـ وحدثونا عن وهب بن جرير قال : قال لى شعبة : تمسك بقراءة أبى عمرو ـ فإنها ستصير للناس إسناداً .

وقال أيضاً : حدثنى محمد بن عيسى بن حيان ـ حدثنا نصر بن على قال : قال لى أبى : قال شعبة : انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه ، فإنه سيصير للناس إسناداً .

قال نصر : قلت لأبى : كيف تقرأ ؟ قال على قراءة أبى عمرو . وقلت للأصمعى : كيف تقرأ ؟ قال : على قراءة أبى عمرو . قلت وقد صح ما قاله شعبة ـ رحمه الله ـ فالقراءة التى عليها الناس اليوم بالشام والحجاز واليمن ومصر هى قراءة أبى عمرو . فلا تكاد تجد أحداً يلقن القرآن إلا على حرفِهِ خاصة في الفرش[٧] . وقد يخطئون فى الأصول ، ولقد

←

(٧) الفرش أى الفروع ؛ لأن القراءات في مجملها : أصول وفرش ، فالأصول : القواعد المطردة في سائر القرآن ، والفرش : الكلمات المفردة لا يقاس عليها .

رجال القراءات

كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمسمائة . فتركوا ذلك؛ لأن شخصاً قدم من أهل العراق ، وكان يلقن الناس بالجامع الأموى على قراءة أبى عمرو ، فاجتمع عليه خلق .. واشتهرت هذه القراءة عنه .

وأقام سنين ـ كذا بلغنى ـ وإلا فما أعلم السبب فى إعراض أهل الشام عن قراءة ابن عامر . وأخذهم بقراءة أبى عمرو وأنا أعد ذلك من كرامات شعبة .

وفاته

مات أبو عمرو بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وهناك أقوال ليست مصدرة هذا التصدير .

قال : أبو عمرو الأسدى : لما أتى نعى أبى عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه . فإنى لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهها له آخر الزمان . والله لو قُسِم علمُ أبى عمرو وزهدُه على مائة إنسان لكانوا كلُّهم علماء زهاداً . والله لو رآه رسول الله ﷺ لسره ما هو عليه .

مذهبه في القراءة :

كان أبو عمرو إذا التقى الحرفان وهما من كلمتين على مثال واحد متحركين أسكن الأول وأدغمه في الثاني ، ولا يبالى أكان ما قبل الأول ساكناً أو متحركاً بعد أن لا يكون من المضاعف مثل :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ .. سورة البقرة . ١٨٧ ، و﴿ مَسَّ سَقَرَ ﴾ .. القمر ٤٨ .. ، و﴿ كُنَّ نِسَاءً ﴾ .. النساء ١١ .. فإنه لم يكن يدغم هذا الجنس لأن فيه إدغاماً .

فإذا سكن الأول منهما وهما على مثال واحد لم يكن في قوله قول غيره إلا الإدغام ، إلا إن كان الأول منوناً لم يدغم لأن التنوين فاصل ، وكان يدغم اللام في اللام ، والباء في الباء ، والتاء في التاء ، والثاء في الثاء . وكذلك حروف المعجم كلها متحركها وساكنها إلا الواو المضموم ما قبلها وهى ساكنة مثل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى ﴾ . البقرة ٦٢ .. وما كان مثله . فإذا انفتح ما قبل الواو الساكنة أدغمها مثل : ﴿ عَصَوا وَّكَانُوا ﴾ .. البقرة ٦١ . و ﴿ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا ﴾ .. الأعراف ٩٥ .. وكذلك الياء المكسور ما قبلها وهى ساكنة كقول ﴿ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ ﴾ .. النساء ١٢٧ .. و﴿ فِي يُوسُفَ ﴾ .. يوسف ٧ و﴿ الَّذِي يَدُعُّ ﴾ .. الماعون ٢ ـ وأما الألف فلا تدغم في شيء ، ولا يدغم فيها شيء .

وكان لا يدغم التاء من (أنت) . في قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِي ﴾ يونس ٤٣ ـ لقلة حروف الاسم . وكذلك اللام في قوله ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ ﴾ .. الحجر ٥٩ ولا التاء في ﴿ كُنتَ تَرْجُوا ﴾ . القصص ٨٦ .. و﴿ كِدتَّ تَرْكَنُ ﴾ .. الإسراء ٧٤ .. لما نقص من (كنت) ومن (كدت) . والناقص من (كنت) واو هى عين الفعل ، ومن (كدت) ياء هى عين الفعل أيضاً . كان الأصل في (كنت) كونت ، وفي (كدت) كيدت . ويدخل

في قياس ذلك : ﴿ جِئْتِ شَيْئاً ﴾ .. مريم ٢٧ .. لأن (جئت) ناقص العين ، ولا ينبغى أن يدغم قياساً[٨] .

وكان يدغم الحرف في المقارب له في المخرج إذا كان من كلمتين ، فيدغم الميم في الباء إذا تحرك ما قبل الميم مثل : ﴿ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ .. الأنعام .. ٥٣ ـ فإن سكن ما قبلها لم يدغم مثل : ﴿ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ .. البقرة ١٣٢ ـ و﴿ الْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ .. البقرة .. ٢٤٩ ـ و﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ . البقرة ١٩٤ ..

وكان يدغم النون في اللام إذا تحرك ما قبلها مثل : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ . البقرة ٥٥ ـ ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ ﴾ . إبراهيم ٤٥ ـ فإن سكن ما قبلها لم يدغم مثل قوله : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ﴾ ـ يونس ٧٨ ـ و﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾ ـ آل عمران ١٣ ـ ويدغم الباء في الميم في قوله : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ ـ في كل القرآن ـ لكسر ما قبل الباء .

ويدغم القاف في الكاف ، والكاف في القاف إذا كانا من كلمتين وما قبلهما متحرك ، ولا يدغم إذا كانا في كلمة واحدة إلا (خلقكم) ـ في كل القرآن ـ و (رزقكم) ـ في جميع القرآن ـ و﴿ طَلَّقْتُنَّ ﴾ ـ التحريم ٥ ـ و﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا ﴾[٩] ـ الاعراف ٨٠ ـ

ويدغم الدال فى الذال إذا سكن ما قبل الدال ، وكان الحرف في موضع خفض مثل قوله : ﴿ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ ـ البقرة ٥٢ ـ ولا يدغم في النصب مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ ـ آل عمران ٨٢ ـ وكذلك الدال في الضاد مثل قوله تعالى : ﴿ مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ ـ يونس ٢١ ـ ، ولا يدغم في النصب مثل قوله تعالى : ﴿ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ ﴾ ـ هود ـ ١٠ ـ

ويدغم التاء التى للتأنيث المتصلة بالفعل في أحد عشر[١٠] حرفاً : في الجيم مثل : ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ ـ النساء ٥٦ ـ وفي الطاء والظاء والدال والذال ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، والتاء والزاى .

(قوله في إدغام الحروف التى لا تعرف لها حركة) وهى :

الدال من قد ، والذال من إذ ، واللام من هل وبل ، وتاء التأنيث ، ونون الإعراب[١١] .

فكان يدغم دال قد في التاء كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تركناها ﴾ ـ القمر ١٥ ـ ، وفي الذال مثل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ ـ الاعراف ١٧٩ ـ وفى الزاى مثل : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ ﴾ ـ الملك ٥ ـ ، وفى السين مثل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ ـ المجادلة ١ ـ ، وفي الشين مثل :

←

(٨) روى أبو عمرو الدانى الإدغام في (جئت شيئا) وعلله بقوة الكسرة في التاء . ـ انظر كتاب التيسير ـ .
(٩) كان ابن مجاهد يأخذ في ذلك بالإظهار ـ انظر التيسير ص ٢٢ .
(١٠) أسقط الدانى من هذه الحروف التاء . ولذلك عدها عشرا .
(١١) يريد تنوين الإعراب .

رجال القراءات

﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾ ـ يوسف ٣ ـ ، وفي الصاد مثل قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴾ ـ الفرقان ٥٠ ـ وفي الضاد كقوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا ﴾ ـ الروم ٥٨ ـ ، وفى الظاء كقوله : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾ ـ ص ٢٤ ـ ، وفي الجيم مثل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ ﴾ ـ النساء ١٧٠ ـ .

وكان يدغم ذال إذ في التاء كقوله : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا ﴾ ـ ص ٢١ ـ ، وفي الزاى كقوله : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ ﴾ ـ الأنفال ٤٨ ـ ، وفي السين كقوله : ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ـ النور ١٢ ـ ، وفي الصاد كقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا ﴾ ـ الأحقاف ٢٩ ـ ، وفي الظاء كقوله : ﴿ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ ـ الزخرف ٣٩ ـ ، وفي الدال كقوله : ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ ـ الكهف ٣٩ ـ ، وفي الجيم كقوله : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم ﴾ ـ الأحزاب ١٠ ـ ، ولم يدغم أحد من القراء الذال في الجيم غير أبى عمرو .

وكان يدغم تاء التأنيث المتصلة بالفعل فى الطاء كقوله : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ ﴾ ـ آل عمران ٧٢ ـ ، ولاخلاف فى ذلك بين الناس . وفى الظاء كقوله تعالى : ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ـ الأنبياء ١١ ـ ، وفى الصاد كقوله : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ النساء ٩٠ ـ ، وفى السين مثل : ﴿ أَنبَتَتْ سَبْعَ ﴾ ـ البقرة ٢٦١ ـ ، وفى الجيم مثل ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ ـ النساء ٥٦ ـ وفى الزاى مثل : ﴿ خَبَتْ زِدْنَاهُمْ ﴾ ـ الإسراء ٩٧ ـ ، وفى الثاء مثل : ﴿ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ ﴾ التوبة ٢٥ ـ ، وفى الدال مثل : ﴿ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ ـ يونس ٨٩ ـ

وكان يدغم لام هل فى التاء ، فى موضعين : فى سورة الملك قوله : ﴿ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ ، وفى سورة الحاقة قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ .

وروى هارون الأعور عنه الإدغام في قوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ـ مريم ٦٥ ـ ، و﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ ـ المطففين ٣٦ ـ . روى ذلك على بن نصر ، عن هارون ، عنه وعن يونس بن حبيب ، وعن أبى عمرو : (هل ثوب الكفار) . مدغم وروى عبيد بن عقيل عن هارون عن أبى عمرو ـ قال : إن شئت أدغمت ما كان مثل هذا ، وإن شئت بينت .

وكان يدغم لام ـ بل ـ في الراء كقوله : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ ﴾ ـ النساء ١٥٨ ـ ، و﴿ بَلْ رَانَ ﴾ ـ المطففين ١٤ ـ . وأما لام ـ قل ـ فلا يدغمها إلا في الراء مثل قوله : ﴿ وقُل رَّبِّ ﴾ ـ طه ١١٤ ـ ولام ـ قل ـ مفارقة للام : هل وبل ؛ لأن (لام) ـ قل ـ يتغير سكونها فتقول : قال ويقول ، و(لام) هل وبل ـ لا تتغيران ولا تتحرك لَامَاهُمَا ؛ لأن سكون (لام) هل وبل ـ لازم ، وسكون لام ـ قل ـ غير لازم .

وكان يدغم تاء التأنيث التى في الجمع في السين كقوله تعالى : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ ﴾ ـ النساء ٥٧ ـ . وفي الصاد كقوله : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴾ ، وفي الضاد كقوله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ ـ العاديات ١ ـ ، وفي الزاى كقوله : ﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾ ـ الصافات ٢ ـ ، وفي الذال مثل : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾ ـ الذاريات ١ ـ ، ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ﴾ ـ المرسلات ٥ ـ ، وفي

الثاء كقوله : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ ﴾ ـ البقرة ٩٢ ـ ، وفي الجيم مثل : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ﴾ ـ المائدة ٩٣ ـ .

وكان يدغم الراء في اللام تحركت[١٢] أو سكنت مثل : ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ـ هود ٧٨ ـ ، و﴿ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا ﴾ ـ النحل ٧٠ ـ ، والساكنة مثل قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾ ـ نوح ٤ ـ . و﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ـ المنافقون ٥ ـ وما كان مثله ـ وكان يدغم الباء الساكنة في الفاء مثل قوله : ﴿ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ ﴾ ـ النساء ٧٤ ـ ، ولا يدغم الفاء في الباء مثل قوله : ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ﴾ ـ سبأ ٩ ـ .

وكان لا يدغم ما التقى من الحرفين المثلين في كلمة ، إن كان مما يدغمه إذا انفصلا وكانا من كلمتين ، إلا قوله : ﴿ سَلَكَكُمْ ﴾ ـ المدثر ٤٢ ـ ، و﴿ مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ ـ البقرة ٢٠٠ ـ وأما ﴿ وُجُوهَهُمْ ﴾ ـ آل عمران ١٠٦ ـ ، و﴿ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ ـ النور ٣٣ ـ ، و﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴾ ـ البقرة ١٣٩ ـ ، وما أشبهه ، فلا يدغم شيئاً من ذلك إلا أن يكون قد أدغم في الكتاب[١٣] مثل : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ ﴾ ـ الكهف ٩٥ ـ و﴿ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ ﴾ ـ الزمر ٦٤ ـ .

وكان لا يدغم ﴿ خَلَقَكَ ﴾ ـ الكهف ٣٧ ـ . ولا يدغم الحرفين إذا لم يكونا على مثال واحد في موضع النصب إذا سكن ما قبلهما كقوله : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ ـ يونس ٦٥ ـ ، ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِماً ﴾ ـ الجمعة ١١ ـ ، و﴿ هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ ﴾ ـ الأعراف ١٥٦ ـ كل هذا بالإظهار .

وكان يُشِمُّ الحرف الأول إذا أدغم إعرابه[١٤] في الإظهار من الرفع والخفض[١٥] في كل ما أدغم إلا في الميم مع الميم ـ والباء مع الباء ، والباء مع الميم ، والميم مع الباء . ولا يشم في النصب . وهذا قول اليزيدي عن أبي عمرو . وقال عباس بن الفضل عن أبي عمرو : إنه يشم الميم عند الميم ، والباء مع الباء . في موضع الرفع والخفض ، ولا يشم في النصب .

وهذه جملة من جمل الإدغام عن أبي عمرو . اختصرت ما حضرني منها[١٦] .

الراويان الناشران لقراءته :

هذا وللإمام أبي عمرو ـ عدا ما ذكر آنفا ـ

(١٢) في التيسير ص ٢٧ أن أبا عمرو كان لا يدغم الراء في اللام إذا انفتحت وسكن ما قبلها مثل : (والحمير لتركبوها) .

(١٣) الكتاب ـ المراد به مصحف عثمان . أي أنه جاء بنون واحدة .

(١٤) إشمام الحركة هو الإشارة إليها بالشفتين من غير تصويت بها ، وكأنه تهيئة للجارحة أن تخرج الحركة ثم لا تخرجها . أو قل : إنه هَمٌّ بها دون إخراجها باللفظ .

(١٥) لا إشمام في الخفض ولعله أراد بالإشمام الروم ، وهو الإتيان ببعض الحركة ، وهذا اصطلاح للمتقدمين

(١٦) ذكر ابن الجزري نقلا عن الداني أن جميع ما أدغمه أبو عمرو من الحروف المتحركة على مذهب ابن مجاهد ألف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفاً . والذي صوّبه ابن الجزري ألف ومائتان وسبعة وسبعون . انظر النشر ١ / ٢٩٥ .

راويان ، اختيرت قراءتهما مجمع عليها ، في سائر الأمصار والأعصار . وقد قرأت بها القرآن الكريم عرضاً وسماعاً على أساتذتنا بأسانيدهم .

الأول : أبو عُمر حفص بن عمر بن صهبان ، النحوى الضرير ، الدورى نسبة لموضع بقرب بغداد ـ ولد به أيام المنصور سنة خمسين ومائة . كان إمام عصره في القراءة . وشيخ وقته في الإقراء . وهو أول من جمع القراءات . وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين .

والثانى : أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي ، نسبة لموضع بالأهواز . وكان ضابطاً ، محرراً ، ثقة . وتوفى أول سنة إحدى وستين بالرقة . وقد قارب التسعين .

طرق الدورى :

فأما الدورى فمن طريقي : أبى الزعراء وابن فرح ـ الحاء المهملة ـ عنه ـ فأبو الزعراء من طريقي : ابن مجاهد والمعدل عنه فعنه ، وابن فرح من طريقى أبى بلال والمطوعى عنه فعنه .

وأما طرق السوسى : فمن طريقي : ـ ابن جرير ، وابن جمهور عنه .

فابن جرير من طريقي : عبد الله بن الحسين ، وابن حبش عنه فعنه . وابن جمهور من طريقي الشذائى ، والشنبوذى عنه فعنه ..

ولم أستوعب جميع الطرق الفرعية اختصاراً . فمن أرادها فليطلبها في المطولات وفي المصادر الكبار .

ومن المقرر أن « الدورى ، والسوسى » أخذ القراءة عن يحيى اليزيدي ، وهو أخذها عن الإمام أبى عمرو ـ رضى الله عن الجميع ـ ونظمنا في سلكهم .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى ، وعلى آله وصحبه وسلم .



من المناظرات بين المسيحية والإسلام

لفضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

يحفظ التاريخ عددا من المناظرات بين المسلمين والمسيحيين فيما يتصل بالعقيدة والتشريع فى الديانتين ، وعرض هذه المناظرات أو بعض منها لا يخلو من متع أدبية وعقلية ، وقد بدأت سلسلة هذه المناظرات منذ ظهور الإسلام . ولاتزال تحدث إلى الآن بين حين وآخر .

وأولى هذه المناظرات ما حدث بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران ، فقد كتب النبى ﷺ إلى أسقف نجران يدعوه إلى الإسلام فَكَبُرَتْ عليه هذه الدعوة ، ولم يقبل أن يكون عيسى - عليه السلام - وقد ولد من غير أب ، بشرا وليس ابنا لله تعالى ، ثم أرسل إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وفدا من النصارى ، فسألوه كيف يقول عن المسيح بن مريم : إنه عبد الله ! فقال : نعم هو عبد الله ورسوله وهو أخى ، فجادلوه وجادلهم ، وأنزل الله سبحانه فى هذا الموقف آيات : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ . . . ﴾ الخ ، و ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ وقرأ رسول الله ﷺ عليهم هذه الآيات ودعاهم إلى المباهلة ، وهى الملاعنة أى أن يستنزل كل فريق لعنة الله على الآخر إن كان كاذباً .

وأصبح رسول الله فأخذ الحسن والحسين ، فى خميلة أو عباءة له ، ومن ورائهم ابنته فاطمة ، ومن ورائهم على - زوج ابنته - وقال : هؤلاء هم أهل بيتى - فنكص القوم - وكان فيهم السيد - وهو رئيس القوم والعاقب - وهو الذى يلى الرئيس . فتشاوروا ،

وقالوا : والله ما باهل قوم نبياً فبقى منهم أحد ، لاصغير ولا كبير . ويقال إنهم ذهبوا أيضاً إلى اليهود من بنى النضير وبنى قينقاع وغيرهم ـ ممن كانوا بالمدينة ، فقالوا لهم إنكم تجدون صفتة فى كتابنا ، وإذا لاعنتموه هلكتم ، فامتنعوا عن الملاعنة ووافقوا على أن يدفعوا له الجزية .

هذه المناظرة تختلف رواياتها فى بعض التفاصيل ، ولكنها تتفق جميعاً فى أنهم أشفقوا على أنفسهم وطلبوا الصلح على دفع الجزية ، وقد قيل إنهم كانوا ثمانية ، وقيل كانوا أكثر وبعض الروايات تصل بهم إلى أربعة عشر رجلاً وبعض الروايات لا تذكر أنهم اتصلوا باليهود . وكل ذلك لا يضر مادام لا يعارض حقيقة المناظرة وأنها حدثت .

وقد كانت هناك مناظرات بين المسلمين والمسيحيين فى عهد الخلفاء وفى الدولة الأموية ، ثم فيما بعد ذلك . وكان تسامح الحكام الإسلاميين وإعطاؤهم الكتابيين حرية الدين وحرية العبادة مما جَرّأ أهل الكتاب يهودا ومسيحيين على التحدث عن دينهم وبيان مزاياه مما يدعو المسلمين إلى الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم ، ولم يكن فى ذلك كله بأس على الإسلام ، بل كان فيه فرصة للتحدث عن الإسلام وبيان مزاياه .

وتعدى الأمر المناظرات الكلامية إلى الكتابة ، وأشهر ما يعرف من ذلك ـ ولعله الوحيد من نوعه ما كتبه يوحنا الدمشقى . وهو راهب متنسك ، اشتهر بالعلم والفصاحة ، وكان يلقب بذى اللسان الذهبى لبلاغته وجودة حديثه وخطابته ، وهو لقب أطلق على غيره ، فكانوا يقولون فلان فم الذهب وكان يوحنا الأنطاكى أيضاً يسمى ذا اللسان الذهبى .

دون يوحنا هذا حواراً بين شخص شرقى مسلم ، وآخر يونانى مسيحى حول ألوهية المسيح وحرية الإرادة ، وكان لبقاً ذكيا فى هذا الحوار الذى كتبه ، فكاد يصور الشخص المسلم حائرا متلعثماً . وصاحبه المسيحى ذكياً حاضر الإجابة قوى الحجة ، كما صور الإسلام دين تواكل وخضوع للمقادير . ولم يكن يريد من هذا الحوار مجرد الدفاع عن المسيحية وبيان صحتها ، بل أراد به أن يضع نموذجاً للجدل الذى ينبغى أن يواجه به المسيحيون المسلمين . وكان يوحنا هذا يعاصر هشام بن عبد الملك . وهو حفيد منصور بن سرجون الذى كان يتولى الإدارة المالية للرومان إبان الفتح الإسلامى، ولم يكن مخلصاً للرومان ، ولا محبا لحكمهم ، ولعل مذهب الإرادة الواحدة الذى اخترعه هرقل ، وغضب منه الكاثوليك والأرثوذكس كان ذا أثر أو هو الأثر الوحيد فى نفور منصور من حكمهم ، وقد كتب هو وأسقف دمشق عهدا مع خالد ابن الوليد نص على أن يفتحوا له بابا من أبواب دمشق ، وأن يسمح لهم المسلمون ببقاء كنائسهم وصلبانهم . فلما دخل المسلمون دمشق قابل الأسقف خالدا وبيده صحيفة المعاهدة صائحا : ياأبا سليمان هذا عهدك . فطمأنه خالد على كل ما اتفقا عليه وظل منصور وابنه من بعده يتوليان شئون الإدارة المالية حتى عربت الدواوين فى عهد

الوليد بن عبد الملك . وتولى يوحنا هذه الوظيفة مدة ، ثم ترهب فى دير القديس ساربا قريباً من بيت المقدس . ولا تزال أطراف من مناظرته التى كتبها تدرس إلى الآن .

وكان المأمون « الخليفة العباسى » من ذوى الثقافة الواسعة ، وكان يميل إلى حرية الفكر . ويؤثر دعوة غير المسلمين إلى الإسلام عن طريق المحاجة والإقناع ، وكان مجلسه مدرسة تضم أصحاب المذاهب والآراء المتباينة من الفقهاء والمتكلمين ، وكان يصغى باهتمام لجدلهم ويشاركهم فيه ، وكان يدعو أصحاب النحل والمرتدين فيسائلهم عن عقائدهم ويناقشهم فيها ، وقد قال مرة لأحد المرتدين : لأن أستحييك بحق أحب إلى من أن أقتلك بحق ، ثم خاض معه فى جدل عن سبب ارتداده .

واستدعى المأمون جماعة من رؤساء النساطرة ، وعقد لهم مناظرة مع بعض علماء المسلمين فخاضوا فى مسائل جوهرية فى عقيدة الدينين ، وانتصر المسلمون ، ولم يستطع النساطرة أن يحيروا جوابا . وعرض عليهم المأمون أن يدخلوا فى الإسلام فلم يقبلوا ، وخشى عليهم من العامة والغوغاء الذين كانوا تجمعوا لهذه المناظرة فوكل بهم حراسا يبلغونهم مأمنهم ، ولا ريب أن المأمون فى هذا كله كان مسلماً حقاً يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذه كانت مناظرة كاملة أدلى فيها كل من الطرفين بحجته أمام الآخر ، وحاجَّ كل واحد منهما صاحبه فى أدلته

وفى القرن السادس عشر ـ عهد سيطرة المغول على شرق آسيا والهند ـ حدثت مناظرة أو ما يمكن أن نسميه مناظرة ـ بين الإسلام والمسيحية وبعض الأديان الأخرى أهمها البوذية ، والمناظرة لم تتم ، ولكن كانت ذات أثر كبير فى تاريخ التبشير المسيحى وتقوية الإسلام .

كانت هذه المناظرة على يد الملك أكبر حفيد تيمور لانك « ١٥٥٦ ـ ١٦٠٥ » م . وديانة المغول كانت"الشامانية"، ويبدو أنهم بدءا من جنكيز خان لم يكونوا مستريحين لها . وكان الملك أكبر مسلماً سنيا ، ولكنه لم يكن يعادى الشيعة ، وكان يتصف بالذكاء وسعة التسامح ، وكان ذا ولع بمعرفة الأديان والنحل ، وخطرت له مرة فكرة التعرف على المسيحية ، وكان الثغر الهندى"جوا" مركزا للتبشير المسيحى ، وكانت بـه أسقفية نشيطة ، فبعث إليها الملك برسالة يطلب أن يحضر إليه بعض الآباء اليسوعيين ليشرحوا له مبادىء المسيحية ، فابتهجت الكنيسة بهذه الدعوة ، وبعثوا إلى رئيس الجماعة اليسوعية « الجزويت » يخبرونه بهذه البشرى ، فابتهج بهذا النبأ وأرسل بعثة اختار لها عددا من ذوى الكفاية والعلم ، وأشيع أن الملك أكبر سيعتنق المسيحية هو وقومه ثم الهند كلها بعد ذلك .

وأخبر الملك علماء المسلمين وكهان البوذية بهذه المناظرة ، فاحتشد لها الناس من أستاذ

←

الجامعة إلى رجل الشارع ومن قهرمانة القصر إلى الخادمة ، وبدأ الحديث بأسئلة ألقاها الملك على رجال المسيحية وناقشهم فيها فلم يجد لديهم مقنعاً ، وقال: إنها إجابات لا تستقيم مع المنطق . ففض الاجتماع ولم تتم المناظرة ، ولم ييأس دعاة المسيحية وقالوا: إنه رجل ضيق الأفق الفكرى منفعل بأفكاره الإسلامية ومحاوراته مبنية على ما لديه من فكر إسلامى،وهذا يعنى أنها كانت مناظرة بين المسيحية والإسلام ناب فيها الملك عن علماء المسلمين .

واشهر واقوى مناظرة فى العصر الحديث هى التى حدثت فى الهند بين الشيخ رحمة الله الهندى والقس الانجليزى فندر ، وهى موضحة فى كتاب « إظهار الحق » الذى طبع فى جزءين كبيرين وقدم له الشيخ أبو الحسن الندوى . وقد كان الانجليز حين احتلالهم الهند شجعوا الإرساليات التبشيرية بكل أنواعها ، ولم يكن يعنيهم تنصير البوذيين ولا الهندوك ولا السيخ ولا غيرهم ، ولكن كان الذى يعنيهم هو قهر الإسلام وإضعاف دعاته ؛ هذا لأن الإسلام دين مقاومة ، لا يقبل أن يكون للكافرين على المسلمين سبيلاً - بينما الديانات الأخرى فى الهند ديانات مسالمة .

وفى سنة ١٨٥٤ م وفد على الهند القس فندر ، وهولاهوتى انجليزى كبير ، وقس ذو شهرة كبيرة ، فأحسنت الإدارة الانجليزية استقباله ، وهيأت له الإقامة والتنقل والإنفاق ، فمضى هنا وهناك يلقى محاضراته ، ولكن الذى كان يعنيه هو تحطيم الإسلام والغض منه وأخيراً انبرى له الشيخ رحمة الله ، واستعان فى مناظرته بدرسه الكتاب المقدس والمصادر المسيحية الأخرى . ولم يكن القس فندر راغبا فى هذه المناظرة ، ولم يكن يحسب أن لدى مناظره هذه المعلومات اللاهوتية الواسعة ، فوافق مبدئياً على المناظرة ، وحدد لها الوقت والمكان . والمكان هو بلدة أكبر أباد - أكره - فى حى يسمى « حى عبد المسيح » وهو رجل هندى تنصر وتسمى بهذا الاسم - وأكبر أباد مركز تبشير قوى ذو نشاط واسع . واجتمع المتناظران فحددا المواضيع التى ستدور المناظرة حولها ، ومنها وقوع التحريف فى الكتاب المقدس ، والتثليث وصدق القرآن والنسخ وصدق نبوة محمد ﷺ ، كما اتفقا على أن من يهزم منهما فى المناظرة يترك دينه ويدخل دين مناظره .

وبدأت المناظرة فى موعدها المحدد - « رجب ١٢٠٧ ، ١٠ من أبريل سنة ١٨٥٤ » - فى حفل مهيب رهيب فقد كان الاعلان عن المناظرة قد فشا ، واهتم بها قسس وغير قسس ، واهتم بها أهل الديانات الأخرى كما اهتمت السلطة الانجليزية ، فحضر الحفل قضاة منها وحكام وجنود وأتباع ، وحضر أعيان البلد ووجهاء الناس من داخل البلد وخارجه ، وبدأ الشيخ رحمة الله فعرض ثمانية مواضع محرفة فى الأناجيل ، ولم يسع القس فندر إلا أن يعترف

بها ، وقال الشيخ : حيث ثبت التحريف فقد أصبح الإنجيل كله « يعنى الأناجيل الأربعة » بمدرجة الشك ، وانتهت الجلسة الأولى ، ولم يعد القس للجلسة الثانية ، بل غادر بلاد الهند كلها ، ويبدو أنه لم يحتمل الضجة الهائلة الكبرى التى قامت حول هذه المناظرة .

ثم كانت ثورة الهنود ضد الانجليز سنة ١٨٥٧ م التى اذنهت بتثبيت أقدام الانجليز ورأوا أن من عوامل تثبيتهم إسكات علماء المسلمين ، فاعتقلوا ذوى الخطر منهم ، وأعدموا عددا وعذبوا وأهانوا آخرين ، ولكن الشيخ رحمه الله تنكر فى ثوب فلاح . ثم فر إلى مكة . حيث كان الشيخ دحلان ، صاحب السيرة المعروفة إمام الحرم ومُدَرِّسُهُ ، فلما عرف قصص الشيخ رحمه الله عرف به الحاكم ، وأفرد له كرسياً ليدرس .

أما القس فندر فطاف الأقطار الأوروبية ، يعلن فى كل بلد أنه ناظر المسلمين فى الهند وانتصر على علمائهم ، وأرسلته الكنيسة الانجليزية إلى القسطنطينية فى عهد السلطان عبد العزيز ، فتحدث عن انتصاره حديثاً أزعج السلطان ، فبعث إلى واليه فى مكة أن يسأل حجاج الهند عن هذه المناظرة ، فأرسل إليه بحقيقة الأمر جملة وتفصيلاً ، فطلب الخليفة أن يحضر الشيخ رحمة الله إلى القسطنطينية ، فأرسل إليه وما كاد القس فندر يعلم بوصوله حتى أسرع بمغادرة البلد .

هذه أطراف من مناظرة لا يزال المبشرون يدورون فى محيطها ، وهم لا يذكرونها ، ولكنهم يرمون الإسلام بما رماه به فندر ، وهم لا يجدون من يرد مفترياتهم .



الأزهر حتى مشارف المناهج الحديثة

« على مدى تجاوز الألف عام والأزهر الشريف يفتح قلبه لأبناء المسلمين ويمد ذراعيه إليهم أين كانوا . وبخيراته المالية وعلومه الإسلامية جعل لمصر منزلة سامية مرموقة لدى الشعوب الإسلامية وغيرها . فهو - بلا منازع - أقدم جامعة عاشت للإسلام والمسلمين . وعاشت لمصر تمدها برصيد لا يفيض رفْدُه . ومورد لا ينفصل خيْرُه حتى ترك طابعه فى كل مكان فليس مكان فى الارض يجهل أهله الأزهر بحال .

وعلى مدى هذا التاريخ المُحْسِنِ المعطاء توالت على الأزهر ألوان مختلفة من طرق التدريس ، حتى لم يعد غريبا أن تجد لكل نظام دراسى فى العالم أصولا تمتد إلى هذا الأزهر الكريم .

والأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى ، بالتاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر يتحدث فى دراسة موثقة عن فترة لها طرقها التدريسية نقدم منها الجزء التالى حتى مشارف المناهج الحديثة » .

١ ـ طرق الدراسة قديما بالجامع الأزهر :

كانت طرق التدريس فى الأزهر هى الطرق التى تقوم عليها الدراسة فى غيره من المساجد الكبيرة قبله كجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع ابن طولون بالقطائع وغيرهما من مساجد العالم الإسلامى فى شكل حلقات علمية ، فكانت الدروس تعقد به ، حيث يتصدر كل حركة أستاذها والشيخ أو الأستاذ يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد ليتمكن من رؤية طلبته وإسماعهم إذا كثروا أمامه ، والطلبة متحلقون حوله على شكل دائرة غير كاملة ، كل منهم صامت ينصت إلى درس شيخه ، وكأن على رأسه الطير .

وكانت الدراسة تقوم على الحوار والمناظرة والتحليل والمناقشة ثم يسأل الطلاب فى كل

مايعن لهم من مشكلات العلم ومعضلاته ..

وأحيانا تكون الدراسة عن طريق « الأمالى » وهى : أن يملى الشيخ على طلابه من كتاب مخطوط ، من تأليفه أو تأليف غيره ، والطلاب يكتبون خلف الشيخ ، وبعد كل فقرة يقف الشيخ ليشرح ما فيها من أفكار وألفاظ غامضة ..

وقد تكون الدراسة على صورة ثالثة وهى أن يكلف الشيخ أحد طلابه الممتازين بالقراءة والشيخ يشرح ماغمض من عبارات المؤلف ... فإذا فرغ الشيخ من درسه كلف الطالب القارىء بإعادة الدرس على زملائه بصورة أخرى وهو مايطلق عليه فى عصرنا الحاضر اسم « المعيد » .

أى أن الدراسة بالأزهر كانت حرة .. « وكل شيخ له طريقة » ولا سلطان لأحد عليه يفرض عليه طريقة معينة ، بل الشيخ بالاتفاق مع طلابه ، والطالب حر أيضا فى أن يجلس إلى الحلقة التى يرغبها .. والتى تتناسب مع عقليته وسنه وتحصيله ..

والمهم فى الدراسة بالأزهر أنها تعتمد على التحليل والمناقشة والحوار بين الطلاب والشيوخ بما يثقف العقل وينمى ملكة الفهم .. وقد ظلت الدراسة على هذه الحال إلى وقت قريب إلى أن اضطر المسئولون إلى وضع قوانين ولوائح لتطوير الأزهر ..

ويصف لنا على مبارك فى كتابه : « الخطط التوفيقية » طريقة الدراسة على نظام الحلقات فيقول : « كان فى السابق لكل أهل مذهب من المذاهب الأربعة عمد معينة من عمده لا يجلس فى التدريس بها غيرهم ، ولكل شيخ من أهل المذهب عمود لايتعداه ، ولا يتعدى أحد عليه ..

والمتكلم على ذلك مشايخ المذاهب كشيخ المالكية وشيخ الحنفية .

ويجلس الشيخ أمام العمود مستقبلا والطلبة حلقة حوله . فاذا كثروا جلس على كرسى من خشب أو جريد ، وهم أمامه بلا تحلق ...

وكانت العادة سابقا ألّا يجلس على الكرسى إلا نحو شيخ الجامع ، ولا يمكن من ذلك غيره ، ثم بطل هذا فجلس كثير من العلماء على الكراسى ...

ولكل طالب مكانه لا يتعداه ويقيم من يجلس فيه ، فاذا جلسوا ابتدأ الشيخ بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقرر لهم الدرس بالدقة ، وهم يقابلون عليه فى الورق ويسألونه مابدا لهم ... وليس على الشيخ أن يلاحظ حال الطالب من الاجتهاد أو التكاسل أو حضور أو غيبة . بل هو موكول إلى نفسه ، إلا أن يكون له ولى عليه من نفسه (أى قريب له) يلفته إلى حفظ المتون قبل زمن الحضور أو معه ،

←

فيحفظ جميع المتون أو بعضها فينجح فى مسعاه لأن من حفظ المتون حاز الفنون ...

وقبل حضورهم حلقة الدرس لابد أن يطالعوه بالدقة متنا وشرحاً وتقريراً مرة فأكثر ، جماعات وفرادى ..

وقد يطالع الشيخ عليه (أي الدرس) مواد أخرى حتى يكون مستحضراً لأطراف المسألة ، وما يرد عليها وما يجاب به .. وكذا كبار الطلبة[١] ..

« وكانت العادة فيه غالباً أن أفضل الطلبة يطالع لباقيهم درس شيخه مطالعة بحث وتفتيش حتى يأتوا إلى الشيخ وهم متهيئون لما يلقيه » .. ويضيف على مبارك فيقول :

قال فى (خلاصة الأثر) : « وكان الشيخ سالم الشبشيرى[٢] ، شيخ وقته يطالع لجماعة شيخه « النور الزيادى[٣] » درسه على عادة مشايخ الأزهر ..

وكثير منهم يحصل الكتب التى حضرها فيملكها بشراء أو نسخ بيده أو غيره .. خصوصاً الرسائل الصغيرة[٤] .

المدرسون بالجامع الأزهر

كان لا يتصدى للتدريس بالجامع الأزهر إلا من درس العلوم والفنون المتداولة به ومارسها ممارسة بحث وتحليل دقيق ، وتلقاها من أفواه العلماء والمشايخ لمدة طويلة قد تصل أحياناً إلى ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل ، وبعد أن يصبح متأهلاً لتصدر الحلقة ، حلالا لمشكلات المسائل ومعضلاتها ، يطلب من شيوخه ويستأذنهم **أن يعطوه إجازة علمية** .. ثم يحدد له شيوخه قطعة من كتاب يبحثها بحثاً عميقاً ويراجع عليها كافة المصادر الخاصة بموضوعه ثم يجتمع شيوخه وزملاؤه يوم الامتحان فيتراكمون ويتزاحمون لحضور درسه .. فيتصدر الحلقة مكان شيخه ، ويبدأ درسه بالبسملة والحمدله والحوقلة والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابته ، ثم يذكر المصادر التى رجع إليها فى بحثه من باب الأمانة العلمية[٥] ويدخل فى درسه ثم يتوغل فيه شيئاً فشيئاً وبعضهم كان يتأنق فى الابتداء ، ويسلك فى درسه طريق الإغراب ، وبعض الحاضرين يتعصب عليه ويتعنت والبعض ينتصر له ، خاصة عند توجيه الأسئلة إليه ، فإذا وفق فى الإجابة والإقناع .. يعتبر هذا نجاحاً له وعلى

(١) راجع : الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع للسخاوى جـ٩ ، ص ٣٢ ، ٩٢ .

(٢) نسبة إلى « شبشير » إحدى قرى « مركز طنطا » وتقع فى المسافة بين طنطا والمحلة الكبرى بالقرب من « محلة روح » (الباحث) .

(٣) نسبة إلى « محلة زياد » إحدى قرى « مركز سمنود » محافظة الغربية (الباحث) .

(٤) كان النسخ مهمة من المهام الأساسية للشيوخ والطلاب ، لأنه الشىء الوحيد لتزويد المكتبات بنسخ كثيرة من الكتاب الواحد ، ولم تكن آلات الطباعة قد اكتشفت بعد (الباحث) .

(٥) راجع تصدير العلامة جلال الدين السيوطى محاضرة ألقاها أمام لجنة امتحانه ليحظى بدرجة التدريس بجامع شيخون سبق أن صورتها مجلة الأزهر .

الشيوخ أن يمنحوه الإجازة العلمية . وإذا تلعثم فى الإجابة ربما أقاموه ومنعوه من التصدر ، وعليه أن يجلس من جديد فى حلقات الشيوخ ؟

ثم صارت هذه الحال فى العصر الحديث إلى التساهل .. ويعلق على ذلك على مبارك الذى شاهد بنفسه هذه الحال فيقول : « ثم تساهلوا فى ذلك حتى صار من يتصدر لا يتعرض له أحد ، حتى كثر المتصدرون ، وصار فيهم من لا أهلية فيه » .

وقد تنبه المسئولون بالأزهر والغيورون عليه إلى هذه الحال ، ورأوها خطراً يقضى على الأزهر عاجلاً أو آجلاً .. فأجمعوا على عمل قانون يجرى عليه المشايخ فى تصدرهم ومنع غير المستحقين ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ « مصطفى العروسى » شيخ الأزهر ولما فاجأه العزل عن المشيخة سنة ١٢٨٧هـ وحل محله الشيخ«محمد المهدى العباسى الحنفى » رأى أن من المصلحة العائدة على العلم بالحفظ وعدم الابتذال تطبيق ما ارتآه سلفه ، فاستأذن الخديوى فى عمل قانون الامتحان لكل من يريد التدريس من المستجدين وقد راعى الشيخ المهدى فى هذا القانون الأخذ بأطراف من التقاليد والأعراف القديمة مع ماجدّد فيه ، ومع الدقة والحزم ومراعاة الأمانة المطلقة فى الامتحان وهذا هو أول قانون من قوانين الأزهر وسنشير إليه بعد .

٢ ـ الإجازات العلمية بالجامع الأزهر :

لم يكن للأزهر قبل صدور هذا القانون شهادات معيّنة ؛ ولكن كانت هناك إجازات علمية تمنح للطلاب من أكابر الشيوخ وفطاحل العلماء ، متى كمل استعداد الطلاب ونضجت مداركهم ، وأصبحوا أهلا للتدريس أو الافتاء أو القضاء ، وقد تمنح الإجازة فى العلوم الشرعية أو العربية جميعا وتسمى « إجازة عامة »[٦] وقد تمنح فى مادة واحدة نظرية أو عملية كالطب مثلاً فتسمى « إجازة خاصة » فى الطب وممارسة العلاج وقد تمنح الإجازة فى كتاب خاص متى أتم الطالب دراسته أو حفظه بحيث يمكنه تدريسه ، وهذه الطريقة سار عليها الأزهر قديما فى عصوره الزاهرة .

وقد ذكر العلامة القلقشندى[٧] ـ وهو من أعلام الأزهر ـ فى كتابه الموسوعى : « صبح الأعشى ... » طائفة من هذه الإجازات ، نذكر منها بعض ما جاء فى إجازته هو والتى أخذها من العلامة « سراج الدين أبى حفص عمر »

(٦) الإجازات : جمع إجازة بكسر الهمزة وهى : أن يجيز الشيخ للطالب أن يروى عنه مروياته فى العلوم التى تلقاها الطالب عليه بعد الدراسة على كثير من الشيوخ فى العلوم المختلفة المعتاد دراستها بالجامع الأزهر وقد يبلغ عدد الموقعين عليها أربعين عالما أو أكثر .

(٧) نسبة إلى « قلقشندة » إحدى قرى مركز طوخ محافظة القليوبية ، وكانت له حلقة كبيرة مشهورة فى الجامع الأزهر ، شغل عدة مناصب فى دولة المماليك الجراكسة آخرها رئيس ديوان الإنشاءات سنة ٨٢١هـ وله عدة مؤلفات بخطوطة منها : ضوء الصبح المسفر ، ومطبوعة ومنها : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا فى أربعة عشر جزءا .

الشهير بابن الملقِّن ، وكتبها للقلقشندى القاضى « تاج الدين بن غنوم » فقد جاء فيها بعد البسملة والديباجة : « ولما كان فلان أدام الله تسديده وتوفيقه ، ويسّر إلى الخيرات طريقه ـ ممن شَبَّ ونشأ فى طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى ، وإلى نيل السعادة إن شاء الله يفضى .. استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده جمال العلماء ، أوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء : سراج الدين مفتى الإسلام والمسلمين أبو حفص عمر بن الملقن ... الخ .

« وأذن لفلان المسمى فيه ، أدام الله معاليه ، أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الربانى ، أبى عبد الله محمد بن إدريس المطلبى الشافعى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ... وأن يقرأ ما شاء الله من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبيه ـ حيث حل وأقام ، كيف شاء متى شاء وأين شاء ـ وأن يفتى من قصد استفتاءه خطا ولفظا ، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه ... لعلمه بديانته وأمانته ، ومعرفته ودرايته وأهليته لذلك وكفايته ... وكتب فى تاريخ كذا »[٨] .

وقد ذكر القلقشندى أيضاً صيغة إجازة علمية لابنه أخذها من الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدايم تتضمن أن ابنه أتقن حفظ كتاب « المنهاج » فى الفقه الشافعى للنووى وذلك سنة ٨١٣هـ .

٣ ـ قانون الامتحان سنة ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧٢م :

هذا القانون هو المشهور بقانون الامتحان ، لكنه بحث مواضيع أخرى تهم إصلاح الأزهر .. وقد عالج هذا القانون العيوب التى طرأت على النظام القديم ، ومنع التساهل فى تعيين المدرسين ، فنظم طريقة الحصول على « شهادة العالميّة » وحدد المواد التى يمتحن فيها الطالب قبل الحصول عليها ، ورتبها على ثلاث درجات : أولى ، وثانية ، وثالثة ، وجعل منحها بأمر أو براءة من ولى الأمر ... وبذلك منع أن يدعى العلم من ليس من أهل العلم ...

أما العلوم التى تدرس وطريقة تدريسها ، فلم يمسّها بتعديل أو تبديل ... بل بقيت كما كانت ، وبقى حرص الأزهريين عليها كما كان .

(٨) راجع : صبح الاعشى جـ١٤ ص ٣٢٢ ط دار الكتب والجدير بالملاحظة أن نظام الإجازات هذا تخرج به آلاف العلماء فى العصور الإسلامية الزاهرة .

٤ ـ بداية الإصلاح والتطوير :

كانت النظرة التى نظرها رجال الأزهر إلى محمد على وبنيه ، وإلى كل ما جد فى عهدهم من تغيير ـ شمل النواحى التعليمية وغيرها ـ نظرة شك وريبة ، ثم كان لـ« دنلوب » بعد الاحتلال البريطانى وقبضته بيد من حديد على زمام التعليم فى مصر أثر كبير على صلابة الأزهريين ووقوفهم فى وجه من يريدون التغيير والتطوير من ذوى النوايا السيئة .

ولكن صيحات الإصلاح لم تذهب أدراج الرياح .. فقد صاح الشيخ محمد عبده صيحاته القوية .. وتحمس لها مؤيدون وتفتحت لها آذانهم ، ووعتها أذهانهم .

وإن كانوا قلة قليلة ... فقد كان جمهرة الأزهريين ينظرون نظرة ارتياب وشك كذلك للشيخ محمد عبده ... ذلك أنه عرف لديهم أنه صديق للورد « كرومر » كما عرف لديهم كذلك بأنه يسالم الانجليز ويتعاون معهم ..

ذلك أنه شاع لدى رجال الأزهر أن اللورد « كرومر » قبل شفاعة أصدقاء الشيخ محمد عبده ليعود من منفاه إلى مصر ، ورد الشيخ الجميل بما هو أجمل منه فكتب تقريراً قدمه إلى اللورد كرومر لا إلى غيره بما يراه من إصلاح التعليم فى مصر فكان ذلك بمثابة التسليم بأنه القوة الفعالة فى مصر .. فأثار ذلك حفيظة الأزهريين وهذه الظروف مهما يكن لها من مبررات من شأنها أن تهيج شكهم فيه ومعارضتهم له وإن كان أقوم عملاً وأوفق منهجاً ، وذلك لأنه كان يرى أن جلاء الانجليز مرهون باستنارة الشعب وفهمه لحقوقه وواجباته وهمته فى أدائها وغضبه من الاعتداء على هذه الحقوق ثم إن الإمام كان يرى أن مسألة مصر لا تحل بمواجهتها لانجلترا بل بالحالة الدولية العامة ونظرة الدول إلى مصلحتها فى استقلال مصر ... وإلى أن يحدث ذلك ينبغى على القادة أن ينيروا الشعب بالتثقيف والتعليم ، ولا يجعلوا كل همهم الاشتغال بالسياسة .

٥ ـ مجلس إدارة للجامع الأزهر :

صدر فى يناير سنة ١٨٩٥م قانون بتشكيل « مجلس إدارة الأزهر » ويتكون هذا المجلس من خمسة أعضاء : ثلاثة من كبار العلماء أحدهم شافعى وهو الشيخ حسن المرصفى[٩] ، والثانى مالكى وهو الشيخ سليم البشرى[١٠] ، والثالث حنبلى وهو الشيخ يوسف النابلسى[١١] شيخ الحنابلة إذ ذاك ، واثنين أحناف من موظفى الحكومة وهما الشيخ محمد عبده[١٢] ، والشيخ عبد الكريم سالمان[١٣] .

(٩) نسبة إلى « مرصفى » إحدى قرى مركز شبين القناطر محافظة القليوبية (الباحث) .

(١٠) نسبة إلى « محلة بشر » إحدى قرى مركز « شبراخيت » محافظة البحيرة ولد سنة ١٢٤٨هـ ـ ١٨٢٩م ومات سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م ودفن بزاوية السادات المالكية بصحراء قرافة السيدة زينب بعد حياة حافلة بمآثر الأعمال ...

(١١) نسبة إلى « نابلس » إحدى قرى فلسطين .

(١٢) ولد « بمحلة نصر » سنة ١٢٥٨هـ ـ ١٨٤٩م وقيل ١٢٦٥هـ وأبوه « عبده خير الدين » وأمه « حنينة » من أسرة عثمان من الغربية ويرجع أصلها إلى « بنى عدى » فى سن العاشرة التحق بالجامع الأحمدى بطنطا ثم درس بالأزهر ... (اقليم البحيرة ص ٥٨٨ ـ ٥٩٤) .

(١٣) ولد فى « جنبواية » إحدى قرى البحيرة سنة ١٢٦٥هـ وهو من أصل البانى ... مات فى مايو سنة ١٩١٧م وشهد جنازته سعد زغلول وعلماء الأمة (اقليم البحيرة ص ٥٩٤ ـ ٥٩٧) .

أعمال مجلس إدارة الأزهر

كان أول بحث لهذا المجلس هو وضع قانون « مرتبات العاملين بالأزهر » وقد تقرر فيه أن المرتب السنوى لايقل عن اثنى عشر جنيها ، ولا أن يزيد على ثلاثين جنيها وثلثى جنيه فى العام ، وبينهما درجات ترتفع الواحدة عما تحتها ثلاثة جنيهات وأن المرتبات السنوية لا تنقص بحال عن خمسة وسبعين قرشا ، ولا أن تزيد على ثلاثمائة قرش .. وقد أدى ذلك إلى استقرار النفوس بعض الشىء عن ذى قبل ..

ثم نظر المجلس ثانيا فى « التدريس والتعليم والامتحان » فوضع مشروع قانون عام ضمنه خصائص الإدارة العمومية ، وما لمجلس الإدارة ولشيخ الجامع الأزهر من أعمال تخصه وما شروط الانتظام فى طلبة العلم بالأزهر وما المدة اللازمة لذلك وكذلك العلوم التى تدرس والمسامحات ، وبيان المقاصد منها والوسائل ..

أما الامتحان فجعل نوعين : أحدهما لنيل « شهادة الأهلية » وثانيهما : لنيل شهادة « العالمية » ، وإضافة علوم أخرى إلى العلوم التى كانت تدرس بالأزهر وهى : التاريخ الإسلامى ومتن اللغة وآدابها ، وصناعة الإنشاء ، ومبادىء الهندسة ، وتقويم البلدان ..

وقد رفع المجلس إلى الخديو مذكرة تتضمن بياناً بالمبالغ المحتاج إليها ، فصدر الأمر إلى ديوان الأوقاف بتقريرها فى ميزانية سنة ١٨٩٧م .

وقد ذكر لنا الشيخ عبد الكريم سالمان فى كتابه أعمال مجلس إدارة الأزهر المبالغ المطلوبة لتنفيذ هذا القانون وبيان مصارفها وهى :

	جنيه
لأربعة وعشرين عالما .	٦٠٠
مكافأة للطلبة .	٦٠٠
مكافأة لمشايخ الأروقة والحارات والملاحظين .	٦٠٠
لعلوم الحساب وتقويم البلدان والتاريخ الإسلامى .	٦٠٠
للخط العربى .	٣٦٠
مصارف الإدارة العمومية للأزهر .	١٥٠
لدار الكتب الأزهرية .	٤٦٤
	٣٣٧٤

أما المبلغ الذى رصد لمكافآت الطلاب فكان الغرض منه بث روح الغيرة فيهم ، وترغيبهم فى تحصيل العلوم المتداولة فى الأزهر ، وأن يكون تحصيلهم لها على وجه يبقى معه ماحصلوه منها راسخاً فى الذهن ، لا أن يكون مقصوراً على مجرد فهم العبارات والمناقشات اللفظية ...

ولهذا وضع المجلس قراراً بصرف هذا المبلغ على الطلاب وقرر فيه أن يعمل لهم امتحان اختيارى فى آخر كل سنة دراسية فى

أى علم من العلوم التى تقرأ فى الأزهر ، وحدد أوقات الامتحان وكيفيته ، وأن يكون تحريرياً ، وأن توزع المكافآت على الناجحين بنسبة ما حصلوه ونجحوا فيه ... وذلك فى أول العام الدراسى بمحضر من شيخ الأزهر وأعضاء مجلس الإدارة وكل أفاضل العلماء فى الأزهر[١٤] .

٦ ـ صدى تدريس العلوم الحديثة بالأزهر :

رأى مجلس إدارة الأزهر أن يستطلع ويختبر قوة المشتغلين بالعلوم الحديثة مع العلوم القديمة ، وحال المقتصرين على القديم فقط ، خاصة بعد أن حركت المكافآت همم الطلبة ونشاطهم إلى تعلم العلوم الحديثة ، فقرر أنه لا يقبل طلب امتحان المكافأة فى علم من العلوم الحديثة وحده ، بل لابد أن يصحب بثلاثة علوم على الأقل من العلوم المتداولة وأن من أراد الامتحان فى العلوم القديمة وحدها فله ذلك دون حجر عليه ، ثم تبين بعد الامتحان أن الذين نجحوا فى العلوم القديمة مع اشتغالهم بالعلوم الحديثة ، أكثر من الذين نجحوا مع اقتصارهم على العلوم القديمة وحدها .. وقد سجل المجلس ذلك فى تقريره السنوى مدعوماً بالأدلة والأرقام ..

٧ ـ القانون رقم ١٠ لسنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م وأهم مواده :

بصدور هذا القانون أصبحت مدرسة القضاء الشرعى المنشأة عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ـ قسما من أقسام الأزهر .

والقانون الجديد هذا ينظم الدراسة بالأزهر على قواعد جديدة ، وأهم ما تضمنه تقسيم الدراسة بالأزهر إلى مراحل ، لكل منها نظام خاص ومواد مخصوصة ... وإنشاء هيئة تشرف على الأزهر برياسة شيخه ، تسمى « مجلس الأزهر الأعلى »[١٥] ، وإنشاء « هيئة كبار العلماء »[١٦] ، وإضافة مواد التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء إلى مواد الدراسة القديمة .

وقد جاء فى المادة الأولى من هذا القانون : أن الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر ، والمعاهد الأخرى هى :

البقية ص ٦١٠

(١٤) عبد الكريم سالمان : أعمال مجلس إدارة الأزهر . د . ت وقد صودر هذا الكتاب .. ولم نعثر منه إلا على نسخة فريدة بمكتبة الأزهر .

(١٥) انعقد هذا المجلس لأول مرة فى تاريخه بدار مشيخة الأزهر وفق النظام الجديد فى ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ ٤ من يونية سنة ١٩١١م وكان يتكون من الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر رئيسا ثم الشيخ بكرى عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية ، والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية والشيخ هارون عبد الرازق نائب شيخ السادة المالكية والشيخ أحمد البسيونى شيخ السادة الحنابلة ، وأصحاب السعادة أحمد شفيق باشا مدير عموم الأوقاف وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل نظارة الحقانية ، وأحمد ذهنى باشا ناظر مدرسة المهندسخانة سابقا (الباحث) .

(١٦) تتكون هذه الهيئة من ثلاثين عالما من كبار العلماء وأفاضلهم على أن يكون عدد علماء المالكية منهم ٩ علماء والحنفية ١١ والشافعية ٩ والحنابلة ١ وبعد أن تداول مجلس الأزهر فى اختيارهم ، وبعد الاطلاع على الباب السابع من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م وبعد الاطلاع على المواد ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٧ من القانون المشار إليه .

التربية العسكرية في الإسلام

الفصل الأخير

بعد حياة عسكرية طويلة حافلة بالخبرة في القيادة والحرب قال القائد العسكري المشهور المشير مارشال الامريكي في كتابه (الجنود في مواجهة النيران) .. « إذا رغبنا في الحصول على الجندي الصالح للقتال ، فيجب أن تتجه انظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلاً » .

١٤ـ مقاومة الحرب النفسية :

● ووضع الإسلام خير المبادىء لمقاومة أساليب الحرب النفسية التي يهدف العدو من ورائها إلى تدمير الروح المعنوية وإرادة القتال للمسلمين شعباً وجيشاً وإضعاف روح العمل والجهاد وقتل الإيجابية لديهم ، فيقرر أن العقيدة الراسخة المؤسسة على الإيمان الذى لا يتزعزع هى الركيزة العظمى لتحصين المسلمين ضد الحرب النفسية بمختلف صورها وألوانها .

● إن المؤمن إيماناً كاملاً لا يخاف الوعيد ولا يرهبه التهديد ، وليس جباناً ، رعديداً كأولئك الذين يقول فيهم الكتاب الكريم : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (الأحزاب ١٩) .. بل إن المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية إلا إيماناً وثباتاً واستعداداً للبذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران ١٧٣)

● ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية « تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة » لذلك كان الإيمان بالنسبة للمسلمين نوراً يهديهم ، وكان بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين ، فكان جوابهم : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضى عنهم :

﴿ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٧٤)

● ولعل من أروع الأمثلة التى تذكر فى هذا المقام ما حدث بين قائد جيش الفرس وبين خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين وكان تفوق الأعداء ظاهراً فى العدد والعدة ، فبعث قائدهم برسالة محاولاً بث روح اليأس فى نفوس المسلمين وزعزعة ثقتهم فى قدرتهم على التغلب على جيشه المتفوق تفوقاً ساحقاً ، وهنا تتجلى عظمة العقيدة الراسخة ، وأثرها العظيم فى مواجهة حرب التخذيل وتثبيط العزائم ، إذ بعث خالد برد يقول فيه : « لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ..» وبهذا انتصر المسلمون .

١٥- دور المرأة فى الدفاع عن أمتها :

● وتعلمت المرأة فى المدرسة الإسلامية أن لها دوراً فعالاً فى الدفاع عن أمتها سواء فى ميدان المعركة أو فى الجبهة الداخلية :

● ففى ميدان المعركة تقوم المرأة بخدمات الإعاشة والإمداد بالمياه والطعام وبالخدمة الطبية من إسعاف وتمريض وإخلاء للجرحى والشهداء .

قالت الرُّبَيع بنت معوذ - رضى الله عنها : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » . (رواه البخارى وأحمد)

وقالت أم عطية الأنصارية رضى الله عنها : « غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى » (رواه مسلم وأحمد وابن ماجة)

● وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أنه سئل عن جرح النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال : جرح وجه النبى صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته (من الأسنان) وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة عليها السلام ، تغسل الدم ، وعلىٌ يمسك ، فلما رأت الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألزقته فاستمسك الدم » (رواه الشيخان) .

● ووصل دور المرأة فى المعركة إلى حد الاشتراك فى القتال ، فقد أخرج مسلم من حديث أنس أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين وقالت للنبى صلى الله عليه وسلم : « اتخذته إن دنا منى أحد المشركين بقرت بطنه » فهذا يدل على جواز القتال للمرأة وإن كان فيه ما يدل على أنها لا تقاتل إلا مدافعة ، وليس منها أنها تقصد العدو وتطلب قتاله .

● أما عن دور المرأة فى الجبهة الداخلية فكان دوراً إيجابياً باليقظة والحراسة لحماية القاعدة التى انطلق منها الجيش ، ففى غزوة الأحزاب رأت صفية بنت عبد المطلب يهودياً يطيف بالحصن فقالت لحسان بن ثابت : إن هذا اليهودى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا اليهود ،

ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا فانزل إليه فاقتله ، فأجابها حسان : يغفر الله لك يابنة عبد المطلب ، والله ما أنا بصاحب هذا ، فأخذت صفية عوداً ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته .

● ثم إن من أعظم أدوار المرأة المسلمة وقت الحرب ، ضربها القدوة والمثل لزوجها وأولادها فى الروح المعنوية وإرادة القتال المبنية على الإيمان والعقيدة الراسخة ، فتشجعهم على الخروج للقتال ، وعلى الاستبسال فيه ، وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم ، بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به ، ومن أروع الأمثلة على ذلك ما قدمته الخنساء من مثل فريد حينما استشهد أولادها الأربعة فى المعركة ، ويجىء إليها نبأ استشهادهم فتقول : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .» .

١٦ـ عقيدة الجهاد فى سبيل الله :

● عقيدة القتال ـ فى مفهوم العلم ـ تعتبر هى منبع الإرادة القتالية والشعلة التى تضىء قلب المقاتل بنور الإيمان ، بالقضية التى يقاتل من أجلها والتى تشكل فى نفسه قوة ذاتية تحركه إلى الفدائية فى القتال إلى درجة استرخاص النفس فى سبيل تلك القضية .

● ولقد جعل الله تعالى « الجهاد فى سبيل الله » هو الوظيفة الشريفة التى كرم بها الأمة الإسلامية كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُو اجْتَبَاكُمْ ﴾ (الحج ٧٨) (واجتباكم يعنى اختاركم) .

● فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها جل شأنه فى خير منزلة بين الأمم فى قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠) ، وفى قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة ١٤٣) ومعنى أمة وسطا أى خياراً معتدلين (إن خير الأمور الوسط) ومعنى شهداء على الناس أى فى مقام عال (الشهيد فى اللغة هو الذى ينظر من عل) ..

● وقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الإسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب ، ولم يرد لها أن تخضع ولا أن تجنح إلى الذلة ولا أن تستكين إلى هوان يوماً ما ، لهذا المعنى السامى الذى أراده الله سبحانه نرى القرآن الكريم حافلاً بآيات الجهاد ، ونرى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومسالك أصحابه جميعاً فى هذا الاتجاه ، ولابد هنا من التنويه بأن الإسلام بقدر عنايته بالجهاد ، عنى بأن تكون نفوس أهله رحيمة وألا يشطوا فى اتجاههم فالقصد إذن من الجهاد هو إعلاء كلمة الله وصيانة العزة للأمة الإسلامية ، ولعل هذا مما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وليست عزة الإسلام المطلوبة عزة الجبروت ولا الطغيان أو ترويع الآمنين ، وإنما هى عزة العدالة والحق والرحمة والإنصاف .

● وقد ربط الله سبحانه وتعالى الإيمان بالجهاد فى صورة متماسكة لا انفصام لها

بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه ، فإن عقد الإيمان الذى بين المؤمنين وبين الله جل شأنه ، من أهم شروطه أن يبيع المؤمنون ـ بمقتضى هذا العقد ـ أنفسهم وأموالهم مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، وثمن ذلك إنما هو الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة ١١١)

١٧ـ الصبر فى الجهاد (التطعيم المعنوى)

● ويعلم الإسلام المجاهد ويربيه على قوة التحمل والصبر على مشاق القتال وأن يحتفظ بأعصابه وثباته ورباطة جأشه ولا يهتز أمام المفاجآت أو الصدمات ، قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُواْ وَصَابِرُوا وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ٢٠٠)

● فتلك هى عناصر القوة فى الجهاد ، وهى تتعلق بالمجاهد قبل أن تتعلق بمعدات القتال ، وهكذا تثبت المدرسة الإسلامية أن معدات القتال وحدها لا تشكل عنصر القوة فى الجهاد ، بل لابد من قلب مؤمن وعزيمة صادقة وصبر قوى ورغبة دافقة ومصابرة للأعداء ، فلا ينفد الصبر ، بل تستعمل الحيلة فى المقاومة والصمود ، ولا تضطرب الأعصاب عند الصدمة الأولى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما الصبر عند الصدمة » (رواه البخارى) .

وليس الجهاد نزهة أو سياحة . إنما هو بلاء واختبار ، ولقد قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢)

● وحتى يكون الصبر والعزيمة الصادقة ، يجب على المحارب أن يقدر المشقة قبل أن يقدر الانتصار . وأن يعرف أنه يذوق البلاء قبل أن يذوق نعمة الانتصار . ولقد قال سبحانه وتعالى للمجاهدين : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ » (آل عمران ١٨٦) .

وقال سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٣ ـ ١٥٧) .

● وإن الله تعالى كان يربى روح الصبر فى المجاهدين بحملهم على توقع الأذى والبلاء ، حتى إذا نزل بهم لم يكن مفاجئاً لهم ، ولقد قال سبحانه فى ذلك : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ٢١٤) .

● وإن توقع الشدة يسهل احتمالها ، ويجب على الذين يتقدمون للحروب أن يدرعوا دائماً بالصبر والإيمان ، فإن الصبر يكون معه النصر ، والإيمان يشد العزيمة ، ويقوى الاحتمال ، فلا يتخذ القتال هزوا ولعباً ، ولا يفهم أنه ما دامت معه الأسلحة فإن النصر معه ، لأن الأسلحة مهما يكن فتكها قد تتحطم فى يد من لا يستطيع حملها ، أما الإيمان فهو القوة الدائمة التى تدفع إلى العمل ولا تمل ولا تتحطم ، ولا يمكن أن تنالها أيدى الأعداء ، وهو الذى يجدد الأسلحة ، والأسلحة وحدها لا تجدد القلوب ولا تدفع الوهن .

● وتوضح المدرسة الإسلامية للمقاتل ناحية هامة فى مجال تحمل المشاق فى المعركة فهى توضح له أنه إذا اشتد القتال فلا يصح أن يتصور أنه هو وحده الذى يعانى من شدته ، بل عليه أن يعلم أن عدوه أيضاً يعانى ، وأن الصمود والثبات إلى النهاية هو السبيل إلى النصر ، قال تعالى : ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (النساء ١٠٤) .

● وحتى فى حالة عدم الحصول على النصر الكامل فإن الإسلام لا يقر الانهيار فى الروح المعنوية أو إرادة القتال ، بل يدعو المجاهدين إلى طرح الحزن واستعادة قوتهم والإبقاء على بطولتهم وشجاعتهم والمحافظة على روحهم المعنوية ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٩ ـ ١٤١)

● ولقد امتحن المسلمون وامتحن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا بإيمانهم أقوى من الأحداث التى واجهتهم ، قال تعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ (آل عمران ١٤٦)

١٨ـ التحكم فى درجة التذبذب العاطفى :

● الحرب من طبيعتها احتمال النجاح والفشل ، والمطلوب من المقاتل ـ باعتباره إنساناً له عواطف تجعله يفرح للنجاح ويحزن للفشل ـ أن يتحكم فى مدى تأثره العاطفى ، بمعنى أنه لو تم له النجاح فلا يصح أن يذهب به فرحه إلى درجة التهور أو الاستكانة السلبية أو الغفلة وترك الحذر ، وإذا فشل فى معركة فلا يصح أن يذهب به حزنه إلى درجة الانهيار المعنوى ، أى أنه مطلوب منه أن تكون مسافة التأرجح أو التذبذب العاطفى بين حالتى الفرح والحزن قصيرة بقدر الإمكان لأن هذه المسافة كلما قصرت كلما منحت المقاتل قدرة أكبر على الصمود فى المعركة الممتدة فيظل محتفظاً بثباته وقدرته القتالية فى جميع الأحوال حتى النهاية ، وهذا من مقومات النصر .

● ذلك بالضبط هو ما تعلمه المدرسة الإسلامية للمقاتل المؤمن ، والشر الذى يصيب المؤمن لا يحمله على اليأس ، والخير الذى يناله لا يحمله على البطر ، بل إن المؤمن

ينتفع بما يصيبه من خير أو شر ! فيتلقى الخير بالشكر ليزيده الله خيراً ، ويتلقى الشر بالصبر ليزيده الله أجراً ، وهو فى كلتا الحالتين كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (رواه مسلم) .

١٩ـ النصر أو الشهادة :

● وقد جعلت المدرسة الإسلامية شعار المجاهدين الصادقين فى قتال الأعداء : « النصر أو الشهادة » يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء ٧٤)

● والمتأمل فى المقابلة بين يُقتل (بضم الياء) ويَغلب (بفتح الياء) قد يتساءل : لماذا لم يقل المولى جلت حكمته : فيَغلب (بفتح الياء) أو يُغلب (بضم الياء) ؟ لأن المقاتل إما أن يكون غالباً أو مغلوباً ؟ .. ويمكن الإجابة على ذلك بأن المجاهد المؤمن لا يغلب أبداً (أى لا يقهر) وذلك لأن ينتظر إحدى الحسنيين ، ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج ، لأنه فائز فى كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب .

(تم البحث)

محمد جمال الدين محفوظ



الرسالات السماوية
بين
التطور والتجديد

الفصل الأخير

ولكن كيف نفسر ظاهرة عدم وجود كتب مقدسة قبل موسى عليه السلام ؟ إنها ظاهرة طبيعية ، ذلك أنه ليس لدينا أثر يبين لنا صورة واضحة لحياة الإنسان قبل ستة آلاف سنة ، وما وجد من آثار تكشف لنا عن بعض جوانب الحياة الإنسانية فيما قبل زمن تدوين نص التوراة الموجودة بين أيدينا ، فليس فيه كتاب بالمعنى المفهوم لنا من هذه الكلمة ، وإنما هى بعض نقوش تعبر عن صورة غير متكاملة لبعض أنشطة الحياة المختلفة ، حتى الجانب الديني ، فإننا نجد أن ما يعبر عنه هو أقوال متفرقة هنا وهناك ، وجدت منقوشة على جدران ما تركوه من آثار وما خلفوه من أوانٍ أعدت للاستعمال ، فعدم وجود كتب الرسل السابقين نتيجة لهذه الظاهرة العامة ، وترك القرآن الكريم الحديث عنها ، أمر طبيعى ، لأنه لم يتحدث عن السابقين إلا لضرب الأمثال فى معرض الحوار والمناقشة حول وحدانية الله ، ولا يتطلب هذا المقام حديثاً عن كتب لا وجود لها ، ولا يعرف المجادلون عنها شيئاً .

إن من الخطأ العلمى أن يعتمد القائلون بنظرية التطور فى الأديان السماوية على التوراة الموجودة بين أيدينا فى الاستدلال على صحة رأيهم ، ذلك أن هذا النص لا يمثل الوحى الذى نزل على موسى عليه السلام حتى يمكن القول ـ كما يدعون ـ بأن من مظاهر هذه المرحلة ـ وهى ما يسمونها مرحلة : « صبا البشرية » ـ أنها ذكرت تواريخ ، ولكنها غير دقيقة ، لأن هذا القول ينسب إلى الوحى عدم الدقة فهم يتحدثون عن تطور الأديان السماوية التى نزل بها الوحى من السماء ، فى حين أن ما بين أيدينا لا يعبر عن الوحى ، وإنما هو حصيلة الثقافة الدينية لشعب اليهود صاغها كُتَّاب العهد القديم بأسلوبهم ، ومما لاشك فيه أن فكرهم لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن مضمون الوحى الذى نزل على موسى عليه السلام ، بل اختلط به كثير من الثقافات الأخرى ، التى احتك بها الشعب اليهودى فى مسيرته التاريخية .

ويضاف إلى ذلك أنه لم يكن هناك نص واحد فى بداية مرحلة تدوين الثقافة الدينية للشعب اليهودى ، بل وجد العديد من النصوص ، ففى القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً كان هناك على الأقل ثلاثة مدونات للنص العبرى للتوراة ، ثم ظهر اتجاه فى القرن الأول قبل الميلاد إلى تدوين نص واحد ، ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم إلا فى القرن الأول بعد

الميلاد ، وهو ليس بين أيدينا اليوم ، إذ أن أقدم نص عبرى للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد .

فإذا كان هذا هو وضع الكتاب المقدس ، فكيف يعتمد عليه فى الاستدلال على نظرية التطور فى الأديان السماوية ؟

إن نظرية التطور تنسب إلى الوحى أشياء ليس من طبيعته التحدث عنها ، ألا وهى تحديد الزمن ، ذلك أن الرسالات السماوية جاءت لهداية الإنسان وعلاجه من الأمراض الاجتماعية ، حتى تقوم المجتمعات الإنسانية على أسس سليمة تحفظها من التفكك والانهيار ولما كانت خصائص الإنسان العامة ، واحتياجاته الأصلية لا تختلف من زمن لآخر ، ولا تتفاوت بتفاوت الأقطار والأمصار كان دين الله واحداً من يوم بدء خلق الإنسان حتى عصرنا الحالى وإلى أن تقوم الساعة ، ولذا فلا مجال لذكر التاريخ فى مرحلة وعدم ذكره فى أخرى ، كما يدعى القائلون بنظرية التطور فى الأديان السماوية ، لأن الإنسان واحد فى كل مراحله ، وما يعتريه من ضلال فى العقيدة وأمراض فى السلوك على اختلاف الأجيال والعصور تكاد تكون متطابقة : كفر بالله ، وعبادة الأصنام ، واستغلال القوى للضعف ، وإشاعة الفاحشة فى المجتمع ، وتسلط المادية على حياة الناس .. و .. و .. إلخ .

ولهذا فحين قص القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم أخبار السابقين لم يحدد زمن وجودهم ، ولم يذكر تاريخ الأحداث التى قصها ، لأنه ليس من العناصر الرئيسية المرادة من سرد هذه الأحداث ، ولأن طبيعة الحدث عامة ، فمن الممكن أن يحدث فى أي زمن وفى أي مكان ، فتحديدها بزمن معين يفقدها صفة العمومية ويحصرها فى دائرة محلية ، وهذا يتنافى مع عموم الرسالة .

فما جاء فى الكتاب المقدس من تحديد زمن بعض الأحداث لا يعبر عن وحى ، وإنما هو رأي الكاتب ومادام الكاتب بشرا فهو لا محالة سوف يخطىء فى تحديد التاريخ ، خاصة أن وسائل البحث فى مجال التاريخ لم تكن قد تقدمت فى ذلك العصر .

وعليه فخطأ المعطيات التاريخية فى الكتاب المقدس لا يدل إلا على ضعف الإنسان فى مجال التصورات التاريخية فى ذلك العصر ، فلا يصلح على الإطلاق أن يتخذ دليلاً على التطور فى الأديان السماوية ، لأن تحديد التاريخ ليس جزءاً من عملية هداية الإنسان إلى طريق الحق ، وعلاجه من الأمراض الاجتماعية .

ويرى أصحاب نظرية التطور فى الأديان السماوية أن المرحلة الثالثة ـ وهى ما أطلقوا عليها مرحلة : « شباب الجنس البشرى » تتميز بوضوح وحدانية الله وتحطيم الأصنام .

وهذا قول ينطوى على اتهام للرسل السابقين بأنهم لم يوضحوا قضية

الوحدانية ، ولم يحطموا الأصنام وفى ذلك أيضا إنكار ـ أو إغفال ـ لما جاء فى القرآن الكريم ، فقد جاء فيه الحديث عن جهود الأنبياء السابقين فى بيان وحدانية الله بصورة واضحة ، ليس فيها غموض ولا تورية ، فلو استعرضنا ما قاله الرسل السابقون لأقوامهم لظهر لنا وضوح دعوتهم إلى وحدانية الله وترك عبادة الأصنام ، فنوح قال لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[1] وجاء بـ « الأعراف ٥٩ » ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . وقال هود : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [2]وكذلك قال صالح .

كما حطم إبراهيم الأصنام بيده يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ . قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[3] .

ألا يدل هذا على وضوح الدعوة إلى وحدانية الله ، ونبذ عبادة الأصنام ؟ ثم ألا يعد ما فعله ابراهيم عليه السلام تحطيماً للأصنام ؟

فالقول بأن ما يميز المرحلة الثالثة ـ طبقاً لما يرونه من تقسيم تاريخ الأديان السماوية ـ إلى مراحل ـ هو وضوح وحدانية الله وتحطيم الأصنام لا يستند إلى دليل ، بل إن آيات القرآن الكريم تثبت خلافه ، ألا وهو أن هذه كانت السمات العامة لكل الأديان من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم : وضوح الدعوة إلى وحدانية الله ، ومحاربة كل صور الشرك وعبادة الأوثان ، والأصنام ، يقول تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[4] ويقول ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[5] .

ويبدو أن السبب فى وقوع بعض العلماء فى هذا الخطأ هو أنهم قارنوا بين القرآن الكريم في وضوح الوحدانية فيه ، وحربه على عبادة الأوثان ، وبين ما فى نص الكتاب المقدس الموجود بين أيدينا من خلط فى مفهوم تصور وحدانية الله ومهادنة لبعض صور الشرك أو قبول ما توحى به وهذه المقارنة قائمة على أساس غير سليم ، إذ لا تجوز المقارنة بين وحى الله ، وما كتبه البشر ، الذى خلط فيه بين ما هو صالح وآخر سىء يتنافى مع مانزل على الرسل السابقين .

(١)الشعراء ١٠٧ ـ ١٠٨
(٢) الاعراف ٦٥
(٣) الأنبياء ٥١ ـ ٥٨ .
(٤) الشورى ١٣ .
(٥) فصلت ٤٣ .

ولهذا ينبغى علينا طرح فكرة تطور الأديان السماوية بعيداً ، وعدم قبول أية صورة من صورها ، فدين الله واحد ، ورسالة الأنبياء فى أصولها واحدة ، وخصائص دعواتهم متطابقة :

- ففى دائرة الألوهية دعوا كلهم إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأوثان والأصنام .
- وفى دائرة الرسل اعترفوا جميعاً بأنهم بشر ، وأن وظيفتهم لم تتعد البلاغ للناس .
- كما بينوا للناس أن الله هو المسيطر على كل ما فى الوجود ، فهو واهب الحياة للناس فى الدنيا . وباعثهم للجزاء فى الحياة الأخرى .
- كما دعوا جميعا إلى الخير والعمل الصالح ومكارم الأخلاق ، وحاربوا الشر والرذيلة
- كما وضح من سيرتهم أن موقف الأعداء منهم كان واحداً ، فقد كانوا مصرين على عبادة آلهتهم من دون الله ، وأنكروا البعث ، واستخفوا بوعد الله .

هذه هى الملامح الرئيسية لكل الرسالات السابقة كما ذكرها القرآن الكريم ، فليس فيها ما يشير إلى تطور ، أو اختلاف واحدة عن الأخرى .

وأخيراً يجرى على ألسنة المسلمين أن الأديان الثلاثة : « اليهودية والنصرانية والإسلام » .. أديان سماوية ، ويتدارس طلاب العلم في مدرجاتهم القضايا الدينية على أساس صحة هذه القضية ، بل يتناول الباحثون والمتخصصون فى المجال الدينى المسائل المشتركة بين الأديان الثلاثة ، بحثا ودراسة واستنتاجاً من منطلق الاعتقاد بأن الله أنزل اليهودية على موسى وأنزل النصرانية على عيسى عليهما السلام .

شاع هذا الرأي بين المسلمين واعتنقه جمهرة العلماء على الرغم من أن كثيراً من آيات القرآن الكريم تؤكد أن الإسلام فقط هو الدين السماوى ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٦) أي أن الدين المنزل من السماء هو الإسلام لا غيره .

ويقول : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلَا نَصْرَانِياً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً ﴾(٧)

ويحكى القرآن الكريم دعاء يوسف ربه فيقول : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(٨) .

وقد وردت آيات كثيرة على لسان رسل وصالحين ، عاشوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم يدعون فيها ربهم أن ينعم عليهم بالإسلام ، وأن يوفقهم إلى أن يموتوا مسلمين ، ولم ترد آية واحدة ، تذكر أن أحداً من السابقين على الإسلام سأل ربه أن ينعم عليه باعتناق اليهودية والنصرانية ، ذلك أن الله لم ينزل دينا سماه بهذا الاسم ، فلم يذكر فى كتابه الكريم أنه أنزل اليهودية على موسى أو أنزل النصرانية على عيسى عليهما السلام لأن اليهودية نسبة إلى يهودا والنصرانية نسبة إلى قرية الناصرة التى انتسب إليها أتباع عيسى عليه السلام .

إذاً ، فلا علاقة للتسمية بما أنزل الله على هذين النبيين ، فما أنزل على موسى هو الإسلام . وما أنزل على عيسى هو الإسلام .

(٦) آل عمران ١٩ .
(٧) آل عمران ٦٧ .
(٨) يوسف ١٠١ .

أما ما أطلق عليه اسم : « اليهودية » فهو عبارة عن تسمية لما عند اليهود من المبادىء والتشريعات الدينية التى جمعوها من تراثهم أي أنه وحى اختلط بما أخذوه من روافد ثقافية أخرى . ولا شك أن هذا الجديد يحمل من المعالم ما جعله ، يختلف كلية عما نزل على موسى عليه السلام . وهو الذي سمى بـ « اليهودية » .

فاليهودية هى من صنع اليهود ، وكذلك النصرانية أما ما نزل على موسى فهو الإسلام ، وهو نفسه الذى نزل على عيسى لأن الله يقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أي أن الدين الذى نزل من عند الله هو الإسلام سواء نزل على موسى أو على عيسى عليهما السلام أو على غيرهما من الأنبياء السابقين ولكن ما نزل عليهما عندما اختلط بالثقافات البشرية ، ضاعت معالمه وأخذ اسماً آخر مقتبساً من الملابسات التى مرت بالأتباع ، سواء تعلقت بشخص أم بمكان .

والدليل على أن دين الله ، الذي نزل على الأنبياء جميعاً واحد ، وهو الإسلام أن كلمة « دين » لم تأت فى القرآن الكريم بصيغة الجمع « أديان » على الإطلاق ، لأن دين الله واحد ، وان تعددت رسالاته ورسله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾(٩) .

ولم يأت تعدد الرسالات إلا لتصحيح ما حرف ، لأن المجتمعات البشرية دأبت على تغيير الرسالات بعد رسلها ، فكلما طال الزمن ، بعد الرسل ، تمادى الناس فى غيهم وضلالهم فحرفوا وبدلوا ، فإذا ضاعت معالم الرسالة ، أرسل الله رسولا آخر ليبلغهم الرسالة من جديد حتى جاء خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فحفظت رسالته من التحريف والتبديل يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١٠) .

لأن الله قد كتب فى الأزل أنه سيكون خاتم الرسل ، فحفظ ـ سبحانه ـ القرآن الكريم مما أصاب ما نزل على الرسل السابقين ، ولذا لم يعد الأمر فى حاجة إلى إرسال رسول آخر .

وجملة القول أن دين الله واحد ، هو الإسلام ، وهو ما أنزله الله على جميع الأنبياء والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أما ما يعرف باليهودية والنصرانية ، فهى تسمية لما فى أيدي اليهود ، وكذلك ما فى أيدى النصرانية ، من مبادىء وتشريعات دينية لا صلة لها بالإسلام إلا باعتبارها منسوبة فى أصلها ، إلى من أنزل عليه الإسلام من قبل وهما موسى وعيسى عليهما السلام ، أو باعتبار إن فيهما بعضاً مما أنزله الله عليهما ، وإن كان هذا البعض قد اختلط بما أضافه أتباعهما إلى وحى الله ، ولهذا أطلق القرآن عليهم « أهل الكتاب » ، ولم يطلق عليهم اسم يدل على أنهم أتباع دين نزل من الله على هذين النبيين ، لأن ما يتسمون به إنما هو علم على مجموع الثقافات الدينية التى اتخذوها ديناً لهم .

(٩) فصلت ٤١ ـ ٤٣ .

(١٠) الحجر ٩ .

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيدة / ح . أ . غ درويش - القاهرة

تزوجت من مليونير عربي مقيم بالقاهرة عام ١٩٧٥ . وكنت ثيبا واستمر زواجنا حتى طلقني في أغسطس عام ١٩٨٦ دون حضور مجلس الطلاق ، ولم أنجب أولادا منه ، وله أولاد من زوجة أخرى .

والمطلوب تحديد حقوقي الشرعية من بعد زواج دام احدى عشرة سنة ، علما بأن أمواله وجميع أملاكه الموجودة بالسعودية باسماء أبنائه .. وله حصص في شركات على حافة الإفلاس ، وله نقود سائلة بالبنوك .. فما حقوقي الشرعية والتزاماتي ؟

ج : السيدة السائلة لها نفقة عدة تقدر بثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض وإن لم تكن من ذوات الحيض وليست حاملاً فعدتها ثلاثة أشهر ولها نفقة الأشهر الثلاثة .

ولها نفقة متعة لا تقل عن سنتين من النفقة ، وللقاضي أن يزيدها حسب طول مدة الزوجية (من ثلاث سنوات إلى ثلاث سنوات ونصف) .

وعادة يقضي القاضي بالنفقة الشهرية حسب غنى الزوج ويساره أو إعساره ، وغالباً ما يكون في حدود (٢٥٪ أو ٣٠٪) في المائة من الدخل الشهري .

وكل ما أعطاه الزوج لزوجته حال الزواج من هبات فهو ملك خالص لها لا يجوز الرجوع فيه ، وعلى الزوجة أن ترد لزوجها كل ما أخذته من حاجياته الخاصة ، وكذلك ترد إليه كل ما أخذته دون أن يأذن لها فيها ..

←

الفتاوى

س : من السيد هـ . أ . م - أحمد - بنها قليوبية

تم صرف مبلغ متجمد معاش لوالدى المستحق لهذا المعاش من القوات المسلحة بسبب استشهاد ابنه في العمليات الحربية نتيجة تعديل فى قانون المعاشات بأثر رجعى من عام ١٩٦٢ تاريخ الاستشهاد حتى اليوم نرجو بيان الحكم فيما يأتى :

١ - هل تجب الزكاة في هذا المبلغ متى وصل النصاب المقرر ؟ وما شروط وتوقيت خضوعه لزكاة المال ؟

٢ - هل يجوز اعطاء ابن أخيه نصيبا من مبلغ الزكاة المقرر ، علما بأن ابن الأخ يعول أسرة من خمسة أفراد ومريض ويتعاطى علاجا يفوق امكاناته ؟

ج : عن الأول نفيد بأنه لا يجب عليه زكاة إلا بحصوله على المبلغ ومضى عام عليه بعد ذلك فتجب الزكاة . والزكاة تجب على الجزء المدخر الذى مر عليه عام فقط ، أما ما انفق منه للحاجة فلا زكاة فيه .

وعن الثانى : يجوز صرف الزكاة أو جزء منها لابن الأخ المشار إليه في السؤال إذا لم يكن عنده نصاب من الزكاة ، والنصاب مقداره بتقدير نصاب الفضة (٥٩١ جم) عيار ٩٠ ، ما يساويه بالجنيهات حسب سعر الجرام يوم وجوب الزكاة .. لأن من وجبت عليه الزكاة لا يجوز صرف الزكاة إليه .

س : من السيد / ع . ف . سليم - أسيوط

رجل أنقذه الله هو وابنه من حادث سيارة ويريد أن يفعل شيئا لله شكرا له ، هل يأتى بخروف يذبحه ويوزعه على الفقراء ؟ أم يشترى لحما ويوزعه أم ماذا يفعل ؟

ج : للسائل الخيار فى أن يفعل ما استطاع عمله ، وما كان أيسر له ، سواء كان ذلك لحما أو خروفاً يذبحه ويوزعه على الفقراء ، أو نقوداً وهذا هو الأفضل لأنه الأنفع للفقراء .

●●●

س : من السيد / ع . ك . عبد العزيز - مصر القديمة

قلت لزوجتى :

١ - لو ذهبت إلى أمك بدون اذنى « تبقى طالق » وأقصد الطلاق .. وذهبت

٢ - قلت لها تحرمى على ..

٣ - بعد شهرين قلت لها أعتبرى نفسك مطلقة ..

٤ - بعد شهر ونصف قلت لها أنت طالق وكررتها أكثر من مرة في مجلس واحد .. فما الحكم ؟

ج : نفيد عن الأول بأنه طلاق معلق ، وما دام الزوج يقصد به الطلاق فتقع به طلقة رجعية وعن الثالث تقع به طلقة رجعية .. وعن الرابع يقع به الطلاق المكمل للثلاث ، وبذلك بانت منه الزوجة بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا شرعيا ،

فإذا طلقها الثانى أو توفى عنها وانقضت عدتها منه تحل للأول بعقد ومهر جديدين وبحضور شاهدين وبرضاها .

●●●

س : من السيد / أ . س . يوسف ـ مصر الجديدة :

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ذهبية ، ثم توفى الخاطب وترك : أبا . اخوة أشقاء .. فما حكم الشبكة ؟ ومن يرث وما نصيبه ؟

ج : الشبكة جزء من المهر والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ، وما دام الخاطب قد توفى قبل العقد فإن الشبكة ترد إلى ورثته وتكون كلها للأب ، ولا شيء للمخطوبة من الشبكة لأنها أجنبية كما لا شيء للإخوة الأشقاء في التركة لحجبهم بالأب

●●●

س : من السيد / م . ع . ابراهيم ـ شبرا مصر

توفيت امرأة عن : أولاد أعمام أشقاء ذكور واناث ، وعمة شقيقة .. فما الحكم ؟

ج : التركة كلها للذكور من أولاد الأعمام الأشقاء تعصيباً ، ولا شيء للإناث من أولاد الأعمام ولا للعمة الشقيقة لأنهن من ذوات الأرحام المؤخرات في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ..

والله أعلـــم ..

عبد الحميد السيد شاهين



من أعلام الأزهر

أحمد شفيع السيّد[1]

الأديب الشاعر الراوية

طلب منى أخى الدكتور على الخطيب أن اخص الأستاذ أحمد شفيع السيد بحديث أدبى يكون حلقة فى السلسلة التى أكتبها عن أعلام النهضة الفكرية المعاصرة ، وعجيب أن أطيل الحديث عن النابهين فى أجزاء متوالية ثم اسكت عن هذا الأديب الراوية . والناقد الشاعر ، مع أنّى نهلت من أدبه ، وترعرعت فى حديقته ، ويعلم الله كم حاولت أن أكتب وأنشر ، ولكنى أجد ما أكتب عن الأستاذ اقل بكثير مما فى نفسى ، فأمزق ما كتبت ، وأرجىء الحديث لميعاد قادم ، ولكن إلى متى !

لقد اختص الأستاذ بميزة فريدة بين زملائه وعارفيه ، هى أنه كان موضع محبتهم الوثيقة جميعاً ، فما تجد أستاذاً أو تلميذاً أو كائناً مَنْ كان ممن عرف الرجل إلّا أعجب بفضله ، وتدفق فى الثناء عليه ، وهذا الإجماع النادر ليس عفو المصادفة ، ولكنه يرجع إلى ذخيرة ثمينة من الخلق الرفيع تحلى بها الأستاذ الكبير ، وقد جمعت بين لآلئها الساطعة ، براءة النفس ، وسخاء اليد ، وسعة الأفق ، وحلاوة الحديث ، مع سعى موصول فى قضاء الحاجات ، وتحقيق الرغبات لمن ضاقت حيلهم من العاجزين ، فرأى الشيخ أن يبذل أقصى الجهود فى تقريب أمانيهم البعيدة ، وهى جهود متكررة متصلة لا تكاد تنقطع فى يوم ! هذا مع سعة الصدر ، وبشاشة الوجه ، وكرم الإيثار ، وجمال التواضع ، وإذا كان للأستاذ من يماثله فى الأدب والعلم ، فأين مَن ماثله فى مكارم الأخلاق إلا النادر القليل .

لقد كان منزله الكريم ندوة أدبية دائمة تجمع تلاميذه الكثيرين ، وتلاميذ الأمس غير تلاميذ اليوم ، فقد كان طلبة كلية اللغة

(١) لنا عن شعر الأستاذ أحمد شفيع بحث تحليلى نشر بعدد جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ من مجلة الأزهر

للدكتور/ محمد رجب البيومى

العربية لعهد الأستاذ ، أدباء شعراء علماء ، ومنهم صفوة مختارة يصطفيها الأستاذ كل عام من بين طلّابه ، ويؤثرهم بتسديده وتوجيهه ، فكانوا يجتمعون فى منزله ، هذا يتلو قصة ، وذاك ينشد قصيدة ، أو يقرأ بحثا ، وأستاذنا من وراء ذلك يرسل نقده الصّائب فى تشجيع معتدل ، ويحيى فى نفوس أبنائه روحا طمّاحة تهفو إلى المجد ، وقد يفرض عليهم قراءة فصول معينه من أمهات التراث الأدبى ، لتكون موضع النقاش ، وأنا أذكر أنه دفعنى إلى استيعاب فصول من كتاب زهر الآداب ، وطالبنى بحفظ كثير من أشعاره ، لأن الأستاذ كان راوية ممتازا ، يروى أمامه البيت ، فيقرنه بعدة أبيات قيلت فى معناه على مّر العصور ، وهكذا فتن الأستاذ طلابه بالرواية الشاملة ، والحفظ الجيد ، غير ما دفعهم إليه من النظم فى موضوعات اجتماعية ، أو خلجات ذهنية ، فإذا وجد قصيدة مرموقة حملها بنفسه للأستاذ الكبير محمد فريد وجدى لتنشر فى مجلة الأزهر ، ثم جعل يشيد بصاحبها فى حجرات الدرس ، وفى لقاءاته الفكرية مع الأدباء ، فى ندوة الشيخ إبراهيم حمروش ، وفى مقهى الحلمية ، وفى مجلسه مع زملائه الأساتذة بالكلية ، وله أثناء ذلك بشاشة فرحة تنبىء عن سرور عظيم .

ومما أذكره له فى مضمار التشجيع لأبنائه ، أن مشيخة الأزهر كانت تقيم احتفالاً سنوياً بالهجرة الشريفة يحضره ملك البلاد ،



فضيلة الأستاذ الدكتور احمد شفيع

ووزراء الدولة ، ويرأسه شيخ الأزهر فيخطب الناس مع الكبار من العلماء ، ويذاع الحفل فورياً ، ثم تتحدث عنه الصحف اليومية مسجلة ما دار به تلخيصاً وتعليقاً ، وفى ذات عام طلب الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى من الأستاذ أحمد شفيع أن يعد قصيدة لحفلة المحرّم ، وقد سبق أن فعل فأجاد ، وكان اختيار الشيخ دائماً موضع المباهاة لمن يقع عليه الاختيار فيسارع بالإجابة شاكراً ، ولكن الأستاذ أحمد شفيع ذهب إلى الشيخ الأكبر ورجاه أن يختار شاعراً نابهاً من شعراء تخصص المادة بدلاً

عنه هذه المرة ، فتعجب الإمام المراغى وسأل عن السبب ، فقال الأستاذ هذا موقف مشهود يفيد الطالب النابه ، ويجعل له ذكراً فى الناس ، أما نحن فيشملنا الفضل لأننا آباء الطلاب وأساتذتهم ، وقد قام المراغى من مجلسه ، وحيا الشيخ مقدراً مثنياً ، وأجاب رغبته فى احتفاء !

هذا وتلاميذ الأستاذ يعرفون إعجابه الزائد بالأستاذ المراغى ، إذ كان لا يفتأ يتحدث عن نهضته بالتعليم الأزهرى وإنشائه للكليات ، ومواقفه السياسية الجريئة ، وآرائه الفقهية المستنيرة ، ودروسه الذائعة فى تفسير القرآن ، وله فيه عدة قصائد لم يشأ أن ينشرها ، ولكنه كان ينشدها فى مجالسه الخاصة ، ومما علق بذهنى من شعره فى هذا المجال :

يازعيم الإصلاح فى الشرق أنقذ
أمة تنشد الهدى من بيانه

لَذكرنا بيُمن عودك فينا
عودُ موسى بالحق من برهانه

شهد الشرق للمفاخر حفلاً
عَشِىَ الغربُ من سنا مهرجانه

ياعميد القضاء تغضب للعد
ل وتُغلى النفيسَ من ميزانه

وتردّ الحقوق غير مبالٍ
بعَسُوفٍ يلجّ فى بهتانه

نضرة الشعر من جلالك لاحت
فتجلى للناس حُسن افتتانه

نضر الله أوجها تزن المجد
وتعلى بين الورى من شانه

همة لا تنال منها الليالى
ومضاءٌ كالنجم فى دورانه

يابشير الهناء واصلَنا الد
هرُ وكان الملحَّ فى هجرانه

لان بعد الشموس حتى حمدنا
بعد ذاك الشموس حُسنَ لِيانه

علمتنا الأيام أن نرصد الشر
إلى أن يزول فى طغيانه

ولشفيع مذهب فى الأسلوب الشعرى يدعو إليه فى محاضراته بكلية اللغة ، ومجالسه الأدبية فى ندوات السمر ، فهو يميل بالقصيدة إلى عربيتها الخالصة ذات البحر الواحد ، والقافية الواحدة ، ويدعو إلى الإشراق والوضوح دون غموض فى الرمز أو شطط فى الخيال ، وكثيراً ما قرأ علينا من ذاكرته قصائد رائعة لأعلام الشعر العربى فى أزهى عصوره المتعاقبة ، وله عند كل بيت إشارة ، ولدى كل معنى وقفة ، ولا تخلو قصيدة ما من تعليق صائب يبديه ، وقد كنت أجمع بعض ما يقوله عرضاً فى حديثه ، ثم أقدمه إليه مكتوباً فكان يسر كثيراً ، وربما أضاف بعضه إلى مذكراته الأدبية التى كان يضعها سنوياً للطلاب فى إيجاز .

قرأ يوماً قصيدة صفى الدين الحلى (لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا) فأخذ

يثنى على ما اشتملت من الحكم الرائعة ، ويقول:"إنه حاول أن يقلد المتنبى والطغرائى ليسير له ذكر بهذه التجاريب الخلقية العميقة ، لأن شعر الحكمة أكثر تداولاً ، وأعم شيوعاً إذ هو يجرى مجرى المثل على كل لسان ، حتى إذا وصل إلى قول صفي الدين :

لا يحسن الحلم إلا فى مواطنه
ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا

قال: إن الشطر الأول مسلم ، فللحلم مواضع لا يتجاوزها لأنه غير محتمل عند سماع الإهانات السفيهة من نذل لئيم ولا عند الأفعال القبيحة كالاعتداء على النفوس والأعراض ، أما الشطر الثانى فلا يفهم معناه على ظاهره لأن الوفاء مطلوب فى جميع الحالات:شكر الإنسان أو غدره ، فالغادر فى منهج الإسلام لا يقابل بالغدر تطبيقاً لقول الله عز وجل ﴿ **وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين** ﴾ ، وكان الأولى أن يقول صفى الدين :

ولا يليق الندى إلا لمن شكرا .

فيكون قد نحا منحى المتنبى حيث قال :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ثم قال فى هدوء : على أن حوادث التاريخ توحى بعكس ما قال المتنبى ، فمعاوية كان يضع الندى موضع السيف ليجمع الشمل ، ويرأب الصدع فصلح أمره ، وهدأ باله ، ولكن الذى يسلك هذا المسلك لابد أن تكون له حصافة معاوية ، وبعد غوره » هذا بعض ما قاله الأستاذ بصدد التعليق العارض ، وكم له من وثبات فكرية تنبىء عن ذهن متوقد ، ونفس كريمة حقاً ، وقد ظل قرابة خمسة وعشرين عاماً أستاذاً للأدب فى كلية اللغة يغرس فى نفوس أبنائه بذور الذوق ويهبهم رقة الإحساس ولطف التهدِّى إلى أسرار البيان ، وكان درسه الأدبى سلسلة تتصل بدروس من سبقه من أشياخ الأدب السلفى:كسيد على المرصفى ومحمد المهدى وأحمد الأسكندرى ومحمد عبد المطلب وحسين والى ، ويزيد على بعضهم سعة محفوظه التى لا تندرج تحت حصر ، ومن جميل ما يحمد له أنه كان يروى كثيراً من القصائد السياسية المعاصرة التى كانت تقوم بعض الأسباب دون إذاعتها ، كهجاء المنفلوطى للخديوى عباس ، ومرثية أحمد محرم لإبراهيم الوردانى ، وذم شوقى لأحمد عرابى ، وكان يعقبه بقوله:لا أعرف لشوقى عثرة سوى هذا الهجاء ، ولعله كان مدفوعاً إليه ، وكنت أعارضه فأقول إن الذى يدفع مضطراً إلى هجاء رجل يرضى عنه لا يكرر الهجاء مثنى وثلاث ، فالإصرار على الهجاء تعبير عن شعور متمكن ، وفى نشأة شوقى بمعية الخديوى توفيق ، فولده عباس ما يؤثل خصومته للزعيم المفترى عليه ، فإذا رأى النقاش قد انتقل من الأدب للسياسة ، قال: لنرجع إلى الشعر القديم ، حيث لا خلاف ، ثم ينتقل إلى رواية الفرائد الأدبية ، والطرف الفكاهية بما اشتهر عنه ،

أحمد شفيع السيد

لأن روحه المرحة جعلته مصدر الفكاهة الرقيقة الموجهة ، وكان أستاذنا الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء وزميله فى التدريس بالكلية يسأل عنه يومياً ليروى نكتة اليوم فإذا لم يجده طلب الأستاذ الدكتور إبراهيم أبا الخشب ليقول له فى ابتسام : ماذا قال شفيع وأنا غائب ؟

وقد وُلد رحمه الله بالإبراهيمية شرقية فى أبريل سنة ١٩٠٣ ، وكنت أداعبه فأقول فى **أى يوم من أيام إبريل** ، فيقول مبتسماً لا تصدق شهادة الميلاد ، فآباؤنا فى هذا الزمن من أوائل هذا القرن لم يكونوا حريصين على تسجيل الميلاد فى وقته المحدد ، وقد يمضى عام دون تسجيل ، إلا أن المسألة إذا انحصرت فى عام فلا حرج ، ثم التحق بالأزهر بعد أن حفظ القرآن وجوده ، وكان لَدَى والده الشيخ السيد حسين نسخة من الطبعة الأولى لكتاب جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمى فوقعت فى يد الابن الناشىء قبل أن يلتحق بالأزهر فأكبّ على استظهار ما تضم من النثر والشعر ، وإليها يرجع تعلقه الشديد بالأدب واهتمامه بتاريخ الأمة العربية على مر العصور ، وكنت أقول له: إن السيد أحمد الهاشمى ناقل لا مبتكر ، فيقول: وماذا فى الأمالى والكامل والعقد الفريد وعيون الأخبار غير النقول ، ويعقب على ذلك بقوله : لا تبخس الناس أشياءهم يارجب ، فاختيار الأديب قطعة من عقله ، وشتان بين من يقدم الدر ومن يقدم الخزف ، ثم التحق بالأزهر عشر سنوات فحسب نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطياً بعض سنى الدراسة عن طريق الامتحان الخارجى حيث لم يمنع القانون حينئذ طالب السنة الأولى بالقسم الثانوى أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية فى العام نفسه ، وهكذا أنس الطالب من نفسه شجاعة وعلماً فتقدم ليختصر خمسة أعوام فى عام واحد بتوفيق الله ، ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية عامين قبل أن يعين مدرساً بمعهد الزقازيق ، وله عن ذكرياته بالمحاكم الشرعية نوادر لو جمعت لأفادت .

وقد مكث بالمعهد الأزهرى تسع سنوات انتقل بعدها إلى كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧ ، لأن شيخ المعهد إذ ذاك وهو فضيلة الأستاذ الكبير محمود أبو العيون كان دائم الزيارات العلمية للأساتذة بالفصول ، فهو يفاجئهم مفاجآت متصلة ليكونوا على أهبة الاستعداد الحافل ، وله مع كل أستاذ حديث عقب الدرس يثنى أو ينقد ، وقد استمع كثيراً إلى دروس الأستاذ شفيع فى مادتى الأدب والإنشاء ، فحرص على مواصلة زياراته مغتبطاً مشجعاً ، حتى إذا طلب منه الأستاذ الأكبر ترشيح عالمين من علماء المعهد لكليتى اللغة والشريعة اختار الأستاذ أحمد شفيع لتدريس الأدب والأستاذ عبد اللطيف السبكى لتدريس الشريعة ، وهو اختيار صادف أهله ، فإذا سألنا اليوم عن تفوق المعاهد بالأمس ففى صنيع الأستاذ أبى العيون وفى جودة اختيار المدرس والطالب معاً تعليل ما كان من سبق علمى ، إذ كان طالب المعهد الثانوى إذ ذاك عالماً وهو يتعلم ، كان يهيىء الدرس قبل الحضور لمناقشة الأستاذ ،

وكان يخطب فى المحافل فصيحاً بليغاً دون خلل ، وكان يفتى فى مسائل الفقه مُستندا إلى أهم المراجع فى ثقة وإخلاص ، فليت شعرى أَنَجِدُ اليوم من المتخرجين فى الكليات الجامعية والمدرسين بالمعاهد والمدارس الثانوية مَنْ يصل إلى مستوى الطالب الأزهرى فى معهده الثانوى القديم؟! إننا نجيب بالنفى الحاسم ، والحسرة تملأ نفوسنا ، والأمل فى تغيير الوضع يخايل خواطرنا ، وأكثرنا يردد قول جرير :

ذم المنـازل بعد منـزلـة اللـوى
والـعيش بـعـد أولئـك الأيـام

وقد أقيم سرادق « فخم » فى ساحة معهد الزقازيق لتوديع الأستاذ وتحيته وتهنئته بالترقية ، خطب فيه شيخ المعهد ، وصفوة من قادة الرأى بمدينة الزقازيق ، وكانت البلاد مشغولة حينئذ بمحاربة الاحتلال ، وتهيئة القوة الرادعة المسلحة التى تصون الوطن من الاعتداء ، فألقى الأستاذ أحمد شفيع قصيدة رنانة بدأها بتحية الشباب الأزهرى الناهض ، وأشاد بحركة الإصلاح التعليمى فى المعاهد والكليات ، وضرب على أوتار القلوب حين ألم بالوضع السياسى فطالب بتقوية الجيش ، وهتف بأن المعاهدة بين مصر وانجلترا لا تحقق مطمح البلاد ، إذ لابد من سياج حافظ للأمن داخلياً وخارجياً ، وليس تعدد المعانى مما يشين فى موقف الشاعر الخطيب ، لأنه هنا يفصح عن رغبات الجمهور فى حشد حماسى يتطلب من يهتف بمشاعره واضحة دون لبس ، وفى هذه القصيدة الحماسية رنة بحترية تسمعها فى مثل قول الشاعر المقتدر :

أَصِخْ لداعى العُلا ياباعث العرب
واهتفْ بنجواك هذا منتدى الأدب

هذا عكاظُ، أعاد الدهـرُ جدتَـهُ
فـراح يختال فى أثـوابه القشب

شبـابُنا النـاهضُ الوثـاب حليتـه
وللشبـاب حِلًى مـوصولـةُ النسب

مابهجة الزهر يكسوه الضحى ذهبا
أبهى إلى ناظرى من حفلنا العجب

وما الصباح تفيض السحر بسمتُهُ
ألذ فى خاطرى مِن شاعرٍ طرب

والشعر والسحر عز الفصل بينهما
والشعر أبقى على الأيام والحقب

ياقوم هذى يد الإصلاح قد بسطت
وليس يَخدع أن القيد من ذهب

إن يدفع الناسُ عن أوطانهم سعدوا
أو لا ، فبين يد الأهوال والنوب

أو ذادت الطير عن أوكارها حدبا
فالنيل من أهله أَوْلَى بذا الحدب

يـابـانىّ المجـد لا تهتف بمنقبـة
إن لم تَشِدْهُ على الأرماح والقضب

طغى على الناس دينٌ لا مردّ له
قوامُهُ فى الحديد الصلد واللهب

مـا بال مصر أقـال الله عثـرتها
تمشى الهوينى ولا تسنّ فى الدأب ..

ومضت القصيدة المحفلية تشيد بمصر ، وبالنجباء من أعلام الأزهر ، وتشكر المحتفلين وتحيى ذكرياتهم المجيدة فيما سلف من عهد الزمالة ، وترسل حنات الوداع فى طرب هاتف ، وقد طار صداها إلى كلية اللغة فاستقبلت الوافد الجديد شاعراً أديباً مرموقاً واحتل شفيع مكان التوجيه القيادى فى مفتتح عهده ، فأشرف على كثير من الرسائل العلمية التى تقدم بها طلبة تخصص المادة فى البلاغة والأدب والنقد ، فكان ـ رحمه الله ـ يقترح الموضوع ويعد مراجعه ، ويرسم خطته ، حتى أعان نخبة مختارة من تلاميذه ، صاروا فيما بعد زملاءه فى التدريس ، فرعوا له مكانة الأستاذ ، وفضل المربى القائد ولم يشغله التدريس ـ وهو يومئذ مقيد بكتاب تحدده الكلية ـ عن التأليف الخاص للنفع العام ، فأصدر دراسات عن الأدب المملوكى ، والأدب المعاصر ، وخص مصطفى لطفى المنفلوطى وعبد العزيز البشرى بترجمتين وافيتين ، كما اشترك مع زميله الأستاذ محمود رزق سليم فى كتابة مؤلف عن الأدب الحديث ، كان يوزع قبل أن يستكمل طبعه على هيئة الملازم المنفردة ، فليتنا نجد من يحرص على جمعه وإعادة نشره قبل أن يضيع .

يتبع

د . محمد رجب البيومى

الأزهر حتى مشارف المناهج الحديثة ـ بقية

معهد مدينة الأسكندرية ، ومعهد مدينة طنطا ، ومعهد مدينة دسوق ، ومعهد مدينة دمياط ، وكل معهد يؤسس فى القطر المصرى بإرادة سنية وكذاكل معهد أهلى يتقرر إلحاقه بالجامع الأزهر أو بأحد المعاهد الأخرى بالشروط والأوضاع التى تبين فى لائحة يضعها المجلس الأعلى ويصدق عليها بإرادة سنية .

وقد جاء فى المادة الثالثة : أن مدرسة القضاء الشرعى تكون قسما ملحقا بالجامع الأزهر وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها فى قانون ٢٥ فبراير سنة١٩٠٧م ، ويحل مجلس الأزهر الأعلى محل ناظر المعارف العمومية فى جميع الاختصاصات التى له الآن بمقتضى القانون المشار إليه .

٨ ـ إنشاء أقسام للتخصص بالأزهر :

بما أن الأزهر كان فى حاجة أخرى إلى أقسام للتخصص يزداد فيها العالم تمكنا فى المواد الأزهرية الأصيلة فقد رؤى إنشاء قسم التخصص سنة ١٩٢٣م ويتكون هذا القسم من مجموعة شعب منها : شعبة الفقه والأصول لتخريج قضاة شرعيين ، وكان ذلك تمهيداً لإلغاء مدرسة القضاء ...

ثم توجهت العناية إلى التوسع فى دراسة العلوم الحديثة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية ، فزودت هذه المعاهد بالمعامل اللازمة لهذه الدراسة .

د . مجاهد توفيق الجندى

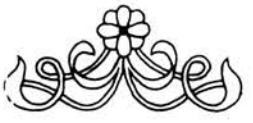
الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

الإعصار



أنا مسلم



طفل الحياة

الإعصار

للشاعر: محيى الدين عطية

ترى هل وشت عينى بما كان خافيا ... وقالت لكم مالم يقله لسانيا ؟

فعيناى مرآة ، إذا راق ماؤها ... بدت حادثات الدهر فيها سواقيا

فطوراً يموج البحر بالحزن هادراً ... وطوراً يمر النهر بالفرح صافيا

فإن لاح منها - رغم حرصى - مرارة ... فلا لوم ، فالأيام صارت لياليا

ولم أدر أين السر فيما أصابنا ... وفينا كتاب الله مازال هاديا

فهذى حروب نصطليها ، كاننا ... قطيع يمد العنق للذبح ساعيا

وبالباب سمسار يبيع سيوفه ... وفى الدار ذئب يرقب الحفل راضيا

فلا تعطنى - يارب - قوساً وأسهماً ... فقد صرت جرحا بعد أن كنت راميا

ولاتبن لى بيتا وسوقا ومصنعاً ... فقد هدم الإعصار ماكنت بانيا

ولكننى ارنو لعقل وحكمة ... ووعىٍ وإيمانٍ يصون البواقيا

أنا مسلم

للشاعر أبوزيد إبراهيم سيد

بِالشَّرْقِ اوْ بالغربِ لَسْتُ بمقتدِى ... أَنَا قُدْوتِى ماعشت شرعُ محمدِ
حاشاى يطوينى سرابٌ خادعٌ ... وَمَعِى كتابُ اللَّهِ يَسْطَعُ فى يَدِى
رُوحُ الحياة ونورها وجمالُها ... من حادَ عنه ففى ظلامٍ سَرْ مَدِى
أَنَا لَسْتُ معصوبَ العيونِ مكبَّلاً ... فاضيعَ فى حلك الوجودِ الأسودِ
وعقيدتى صُبحٌ تألَّق فى الورى ... فتالقت دُنيا بصُبْحٍ مُسعِدِ
وصحا على نور العقيدة عَالَمٌ ... قَدْ هَبَّ يَفْتِكُ بالظلامِ المُزْبِد
وتحطَّمَ الشِرْكُ المدِلُّ ببأسِهِ ... وهوى بأَعْماقِ الخضَمِّ المزْبِدِ

* * *

انا مسلمٌ واقولها ملَء الورى ... وعقيدتى نورُ الحياة وسؤدُدِى
سَلْمَانُ فيها مِثْلُ « عمرو » لا ترى ... جِنْساً عَلَى جِنْسٍ يفوقُ بمحتدِ
وبلالُ بالإسلام يشمخُ عزةً ... ويدكُ تيجانَ العنيد الملحِدِ
وَخُبَيْبُ أَخْمَدتِ القَنَا انفاسهُ ... لكن صوت الحق ليس بمُخمَدِ
وَرَمَى صُهَيْبُ بكل مالٍ للعدا ... ولغير ربْحِ عقيدةٍ لَمْ يقْصِدِ
إن العقيدةَ فى قُلوب رِجَالِها ... مِنْ ذَرَّةٍ أَقْوى وأَلْفِ مهنَّدِ
انا مسلم ما كنت يوماً سافكا ... لِدمٍ ومَا أَنَا بالظَّلُوم المعْتَدِى
لِلَّهِ أَسْعَى فَاتِحاً وَمُجَاهداً ... ولغير ربى جبهتى لَمْ تَسْجُدِ
وَعِبَادَتِى لِلَّهِ جَلَّ جَلالُهُ ... فانا سِوَى ربِّ الورى لم أَعْبُدِ
سَأَعُودُ للدُّنْيَا صَبَاحاً مشرقاً ... وتُضِيءُ دنيانا بشرْع محمد
وَنُعيدُ أَمْجَادَ الحَياةِ وَعِزَّةً ... شمَّاء تَسْمُو فَوْقَ هَامِ الفَرْقَدِ
وَنَقُولُها : اللَّهُ أكْبرُ حسبنا ... وبشرعة اللَّهِ المهيمن نَقْتَدِى

طفل الحياة

شعر/ رشاد محمد يوسف

المغنى العظيم أجهده اللحن ... وذابت على الشفاه الأغانى
وهو كان الهزار فى ألق الصبح ... يناجى الضياء فى اطمئنان
شارك الطير شدوه فتعالت ... أغنيات المروج والرعيان
وعلى ضفة الغدير تلاقت ... راقصات الظلال والشطآن
سكب الآه فانتشى كل صب ... عشق الناى وانطلاق المثانى[1]
واستحال الوجود خفقة قلبٍ ... وصدى غنوةٍ ورقصة بان
صاغ من خفقة القلوب نداءً ... يستحث الحياة فى الوجدان
صاغ من قبلة الندى همساتٍ ... توقظ النور فى الشذا الوسنان

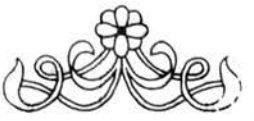
●●●

كان روحَ الحياة يبعث فيها ... خطرات من قلبه النشوان
كان نبضَ الحياة ينفث فيها ... صلوات من روعة وافتنان
كان كالعطر هامساً يتهادى ... يسرق الخطو فى رياض الجنان
دربه الحرف والأصالة فيه ... هى والصدق آية «الفنان»
إنه شاعرٌ وللشعر طهرٌ ... وخلودٌ فى خاطر الأزمان
إنه شاعر وحسب القوافى ... أن ترى شاعراً نقىَ اللسان
هو طفلُ الحياة كم يتساقى ... خمر أفراحها بغير دنان
والعظيمُ العظيمُ من أسعدَ ... الناسَ وأحيا مباهجَ الإنسان
من يحيل الحياة نجوى لشاكٍ ... ويحيل الوجود سلوى لعانى
من يذيب الأسى من النفس حتى ... تهجر النفسُ عَالَم الأحزان
من يبث الأمان فى خاطر الناس ... ينادى مبشراً بالأمان
ويغنى الحياة لحنَ سلام ... وانطلاقٍ ونشوةٍ وتفانى
إنه الشاعرُ الذى نتمناهُ ... يعيدُ الربيع للأغصان

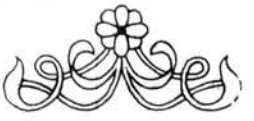
(١) المثانى : جمع مثنى ، وهو مابعد الأول من أوتار العود .

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



الرحلات في عالم الحشرات



الأعجاز العلمي

في القرآن الكريم (٢٢)

تقديـــــــم : -

ظهرت تفسيرات ونظريات عديدة خاصة بالضوء منذ عصر ابن الهيثم عالم البصريات الذي قال إن الضوء أشعة تخرج من الجسم المرئى وتسقط على العين . ثم جاء بعد ذلك نيوتن العالم البريطاني الذي ادعى أن الضوء جسيمات دقيقة جداً تخرج من الجسم لتسقط على العين . ثم ظهرت نظرية الموجات الأثيرية التى سريعاً ما حل محلها نظرية الموجات الكهرومغناطيسية على يد كلارك مكسويل الذي عندما صاغ معادلاته الرياضية الأساسية للمجال الكهرومغناطيسي وجده يسرى بسرعة ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية الواحدة ، وهى نفسها سرعة الضوء في الفضاء كما قاسها فيزو وفوكولت وغيرهما .

وبصرف النظر عن تلك النظريات نجد بالتجربة والقياس أن الضوء الأحمر ينبعث من الجسم المادى [أى يشعه الجسم تلقائياً] عندما نرفع درجة حرارته إلى نحو عدة مئات سنتجراد ثم بزيادة التسخين تنبعث الألوان : البرتقالى ، **فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق فالنيلى ، ثم البنفسجى .**

ويكون هذا الخليط في مجموعه اللون الأبيض ترسله الشمس من سطحها الخارجى الذي تبلغ درجة حرارته نحو ٦٠٠٠ درجة سنتجراد . أما الأجسام التى في درجات حرارة جو الأرض العادى البارد نسبياً فإنها لا تشع الضوء ذاتياً ولكنها ترده أو تعكسه إذا سقط عليها وذلك بدرجات متفاوتة ، كما يحدث من المرايا وسطح القمر .. وكافة الأجسام التى تميزها في ضوء النهار مثلاً .

وضوء النهار ناجم عن تشتت أو تناثر أشعة الشمس في طبقات الغلاف الجوى الكبيرة الكثافة نسبياً والممتدة من سطح الأرض إلى ارتفاع نحو ٢٠٠ كيلو متر ، وتلك هى القبة الزرقاء ، أو القشرة من غلاف الأرض الجوى التى تواجه الشمس دائماً بأن تنسلخ من جسم غلاف الأرض الجوى المظلم بدوران الأرض حول محورها لكى تظل تواجه الشمس .

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ .

« يس ـ ٣٧ ـ »

أما النور فهو إما أن يكون « نوراً » حسياً أى من نوع الضوء الذى نبصر به الأشياء

المادية ، وإما أن يكون النور معنوياً من النوع الذي تبصر به القلوب وتهتدى العقول في بيداء الحياة الدنيا . وبدونه تظلم الأفئدة وتحيد الأنفس عن الحق وسط ظلمات الشك وقلق الكفر وانعدام الإيمان ، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى مثلاً :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

« الحج ـ ٤٦ ـ » .

ويذكر كتاب الله العزيز الضوء والضياء والنور ومشتقاتها بالمعانى التى شرحناها بإعجاز تضمنته آيات عديدة تكون في مجموعها **العمق الثاني والعشرين من أعماق الإعجاز العلمى في القرآن الكريم ، وذلك على النحو الآتى :**

من آيات النور المعنوى :

١ ـ ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

« البقرة ـ ٢٥٧ ـ » .

فالظلمات هنا هى ظلمات الكفر ، والنور هو نور الحق والإيمان . وهذا هو نفس المعنى فى قوله تعالى :

٢ ـ ﴿ ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ... ﴾ .

« البقرة ـ ٢٥٧ ـ » .

٣ ـ ﴿ ... قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ .

« المائدة ـ ١٥ ـ » .

ويشير النور هنا إلى الرسول الكريم ﷺ الذي يبلغ الرسالة .

٤ ـ ﴿ ... وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ... ﴾ .

« المائدة ـ ١٦ ـ » .

والمراد هنا كذلك من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان . وتتكرر هذه المعانى فى قوله تعالى :

٥ ـ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ .

« المائدة ـ ٤٤ ـ » .

٦ ـ ﴿ ... وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ .

« المائدة ـ ٤٦ ـ » .

٧ ـ ﴿ .. فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

« الأعراف ـ ١٥٧ » .

٨ ـ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ... ﴾ « التوبة ـ ٣٢ ـ » .

٩ ـ ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ .

« إبراهيم ـ ١ ـ » .

١٠ ـ ﴿ ... أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ .

« إبراهيم ـ ٥ ـ » .

١١ ـ ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾ « النور ـ ٣٥ ـ » .

ومعنى النور هنا هدى عام وشامل يهدى سبيل كافة ما فى الكون من مخلوقات وكائنات حية وغير حية كأجرام السماء التى تسبح في خضم فضاء الكون المظلم بنظام دقيق في مسارات رسمها لها الخالق العليم فلا تحيد عنها .

١٢ ـ ﴿ . . . نُورٌ عَلَى نُورٍ . . . ﴾ « النـور ـ ٣٥ ـ » .

والمراد هدى فوق هدى وعناية ورعاية وعدل من كنوز الرحمة والحنان والعلم والمعرفة والإيمان ... وغيرها من صفات الرحمن .

١٣ ـ ﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ .

« النـور ـ ٤٠ ـ » .

يعنى من لم يهده الله تعالى إلى نور الإيمان فلا سبيل إلى هدايته ليسلك طريق النجاة .

١٤ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ « الأحزاب ـ ٤٣ ـ » .

١٥ ـ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ . . . ﴾ « الزمر ـ ٢٥ ـ » .

١٦ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ « الحديد ـ ٩ ـ » .

١٧ ـ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ . . . ﴾ « الصف ـ ٨ ـ » .

يعنى يغير اليهود الكتاب ويحرفونه ليحولوا دون عبادة الله تعالى ، إلا أن الله مكتمل نوره ومتم كتابه ودينه .

١٨ ـ ﴿ . . . لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ « الطلاق ـ ١١ ـ » .

١٩ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ « النساء ـ ١٧٤ ـ » .

هو نور القرآن الكريم الذي يهدي إلى سبيل الرشاد .

٢٠ ـ ﴿ . . . قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ . . . ﴾ « الأنعام ـ ٩١ ـ » .

٢١ ـ ﴿ . . . مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً . . . ﴾ « الشورى ـ ٥٢ ـ » .

٢٢ ـ ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ . . . ﴾ « الأنعام ـ ١٢٢ ـ » .

والتفسير ليس حال من كان يعيش في ظلمات الكفر والجهل فهو كالميت بضلاله ليس حال ذلك كمن أحياه الله بالإيمان وأنار بصيرته بالحجة البينة أمام الناس .

٢٣ ـ ﴿ . . . وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ . . . ﴾ « الحديد ـ ٢٨ ـ » .

أى نوراً تهتدون به فى حياتكم الدنيا .

٢٤ ـ ﴿ ... نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾ .

« التحريم ـ ٨ ـ » .

٢٥ ـ ﴿ ... مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... ﴾ .

« النور ـ ٣٥ ـ » .

أى أن مثل هدى الله وأدلته الواضحة كمثل فجوة في جدار يوضع فيه المصباح فتجمع فيها الضوء وتوفر ..

٢٦ ـ ﴿ ... يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ .. ﴾ .

« النور ـ ٣٥ ـ » .

٢٧ ـ ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ .

« الأحزاب ـ ٤٦ ـ » .

وحقيقة السراج أنه من مصادر الضوء ، إلا أن المراد هو هداية الحائر بنور الهدى .

من الآيات التى تذكر النور بالمعنى الحسى :

يجىء ذكر النور بمعناه الحسى ، أى بمعنى الضوء الذى نبصر به الأشياء المادية ونميزها ، في مثل قوله تعالى :

١ ـ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِن نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ .

« نوح ـ ١٦ ـ » .

والقمر كما نعلم لا يضىء ذاتياً ولكن يرد أو يعكس ضوء الشمس الساقط على سطحه إلى الأرض فينيرها بنوره الفضى الذي طالما تغنى به الشعراء .. ومن الإعجاز حقاً أن يفرق القرآن الكريم بين نور القمر (المرتد) وضوء الشمس (المنبعث) ويشبه الشمس بالسراج وهو مصدر مرموق للضوء .

٢ ـ ﴿ ... وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ... ﴾ .

« الفرقان ـ ٦١ ـ » .

والمراد بالسراج هنا الشمس كما قلنا ، أما القمر فهو ينير بضوء الشمس المرتد كما نعرف في عصر العلم ، ويسميه القرآن الكريم (قمراً منيراً) ..

٣ ـ ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ... ﴾ .

« الأنعام ـ ١ ـ » .

والله الذي خلق الكون المادى جعل فيه الظلمات والنور كما هو مألوف ومعروف .

٤ ـ ﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ... ﴾ .

« الرعد ـ ١٦ ـ » .

والفرق واضح بين الظلام الحالك والنور المبين ، وعلى أية حال فإن النور بكل معانيه هو ضد الظلام بكل معانيه كذلك .

آيات فيها لفظ أضاء أو مشتقاتها :

إن من أروع صور الإعجاز العلمى في القرآن الكريم قصر لفظ « أضاء » ومشتقاته على الضوء المنبعث ذاتياً من مصادر الضوء مثل الشمس والبرق ... فنجد مثلاً قوله تعالى :

١ ـ ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً ... ﴾ .

« يونس ـ ٥ ـ » .

←

٢ ـ ﴿ . . . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ . . ﴾ .
« البقرة ـ ٢٠ ـ » .

٣ ـ ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ . . . ﴾ .
« البقرة ـ ١٧ ـ » .

والنار من مصادر الضوء كما نعلم .

٤ ـ ﴿ . . . يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ . . . ﴾ .
« النـور ـ ٣٥ ـ » .

٥ ـ ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً . . . ﴾ .
« يونس ـ ٥ ـ » .

٦ ـ ﴿ . . . مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ .
« القصص ـ ٧١ ـ » .

وفي الواقع تبدأ هذه الآية الكريمة بقوله تعالى :
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . ﴾ .
« القصص ـ ٧١ ـ » .

وليس ذلك بالأمـر العجيب ، فضوء الشمس مثلاً لا يصل إلى أعماق المحيطات ، وهناك الظلام مقيم ، وتتلمس كائنات الأعماق ـ مثل الأخطبوط ـ أقواتها بأذرعها العديدة بدلاً من العين !

خاتمـة :

قلنا إن الضوء الذي نرى به الأشياء عبارة عن موجات كهرومغناطيسية ، ولهذه الموجات أطوال تم قياسها بطرق عديدة . وتنحصر أطوال موجات الضوء بين ٣٣, . ميكرون للون البنفسجي و ٧٧, . ميكرون للون الأحمر ـ علماً بأن الميكرون وحدة قياس تساوى جزءا من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر الطولى الواحد ـ وأصغر من موجات الضوء طولاً الأشعة فوق البنفسجية ، فالأشعة السينية ، فالأشعة الكونية وكلها لا تميزها ولا تبصر بها أعيننا .

أما الموجات الكهرومغنـاطيسية ذات الأطوال التى تزيد على أطوال موجات الضوء فهى الأشعة تحت الحمراء التى تصل أطوال موجاتها إلى أكثر من ١٠ ميكرون ، ثم موجات اللاسلكى المختلفة ، وهى بدورها لا تميزها الأعين ولا تبصر بها ، بـاستثناء بعض الكائنات الأخرى التى نجهلها ، وقد تكون منها الكلاب ..

وأعجب العجب أن القرآن الكريم يشير إلى هـذه الحقائق المتعلقـة بعالم الأشعـة الكهرومغناطيسيـة وما نبصره منهـا وما لا نبصره في مثل قوله تعالى :
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ .
« الحاقة ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ » .

للحديـث بقيـــة

د . محمد جمال الدين الفندى

الرحلات في عالم الحشرات

د. كارم السيد غنيم

تمهيد :

تعتبر الرحلات الجماعية شكلاً من الأنشطة الحياتية الهامة فى الحيوانات حيث تتجمع أعداد غفيرة من الأفراد تنتظم فى أسراب أو قطعان مهاجرة تترك أوطانها وتتجول فى الأرض ويعينها فى ذلك ما اكتسبته من خبرة سابقة بمعالم الطرق والسرعة فى الحركة والقدرة على تحمل المشاق التى تواجهها .

وإنه لمن الجدير بالذكر أن الانتقال من مكان إلى آخر يُعَدُّ عادة من أشهر عادات الحيوانات ، وتجوُّل هذه الكائنات على سطح الأرض أو فى الماء أو فى الهواء ليس بالأمر العشوائى ، وإنما هو عملية محسوبة ومضبوطة . قد يتحرك الحيوان من موطن إلى آخر ليقيم فيه فإذا ما دَرَسْت تاريخ هذا الموطن وعلاقة الحيوان به وجدت أنه نفس الموطن الذى وضع ـ أو ولد ـ فيه وترعرع فى ربوعه . وحينما تقوم الحيوانات برحلات هجرة بَراً أو جواً فإنها تخرج وقد بيتت النية للعودة بتوقيت محدد ، وتهتدى فى طريق عودتها بعلامات وإشارات خاصة تنطبع فى ذاكرتها خلال رحلة الذهاب . وقد يتخذ الحيوان موطنين يتردد فيما بينهما خلال فصول السنة المختلفة ، فأيائل البغل فى بعض جبال روكى بأمريكا تقضى الصيف فى المرتفعات العالية حيث يجود لها المرعى ، ولكن ما إن يبدأ أول هطول غزير للجليد فى الخريف حتى تشرع الأيائل فى العودة إلى مواطنها الشتوية التى قد تبعد عن مصايفها مسافة تتراوح بين ١٠ ، ٦٠ ميلا .

وأما فى الطيور فإن هجرتها تبدأ من مواطن تزاوجها حين حلول المناخ البارد ،

←

حيث تتجه إلى مشاتل للغذاء فى المناطق الدافئة ، ثم تعود بعد مرور هذا الفصل من السنة إلى مواطن إقلاعها فى رحلة الذهاب . بينما نجد أن أنواعاً مختلفة من الأسماك تقوم بهذا النشاط من الانتشار ـ الرحلات والهجرة ـ منها أسماك السلمون وثعابين السمك . وأما هجرة الحشرات فتأخذ طابعاً خاصاً بها ، ففى الغالب تقوم الحشرات بهجرتها لاستعمار مواطن جديدة هروباً من ظروف صعبة حلّت بها فى المواطن الأصلية . وقد يكون السلوك غريزياً ، إلّا أنَّ الأبحاث الحديثة تشير إلى وجود مؤثرات فسيولوچية تنظم القيام بهذا السلوك الانتشارى . وقبل الخوض فى رحلات الحشرات وهجراتها نرى أنه من اللائق إعطاء فكرة موجزة عن هذا العالم العجيب ..

الحشرات ونشاط طيرانها

تتميز الحشرات بأنها كائنات حيوانية ذات ثلاثة أزواج من الأرجل خاصة فى الأطوار اليافعة منها ، كما يوجد زوجان ـ أو على الأقل زوج واحد ـ من الأجنحة (وفى مقالنا هذا سوف نغض الطرف عن الحشرات غير المجنحة فى طورها اليافع) . تنتقل الحشرات من مكان لآخر مشياً أو عَدْواً أو سباحةً أو طيراناً ، ومن ثم فأعضاء الانتقال فيها مؤهلة تشريحياً ووظيفياً للقيام بهذه الأعباء . وأنه لمن المدهش أن نرى حشرة تنزلق على صفحة الماء وكأنها على أرض صلبة فإذا ما فحصناها وجدنا أرجلها مزودة بخفٍّ تبطنه شعيرات غير قابلة للبلل بما يمنع كسر الغشاء الخارجى لسطح الماء ويؤدى فقط إلى وخزه .

أما بالنسبة لسرعة الانتقال فى الحشرات فهى متباينة من نوع لآخر ، نجدها فى عدو الصرصور مقدرة بـ ٤,٧كم/ساعة ، وفى الخنافس المائية ـ حيث تجرى على سطح الماء ـ مقدرة بـ ٢,٥كم/ساعة ، وهذه سرعات كبيرة جداً إذا أخذ فى الحسبان الحجم الضئيل للحشرات .

ويعد الطيران أحد أشكال الانتقال والانتشار ، وتستخدم الحشرات فى ذلك ، الأجنحة التى تتصل بعقلات الصدر ، وتختلف عن أجنحة الطيور والخفافيش فى أنها امتداد للسطح الخارجى فى الجسم ، وطبيعة شكل هذه الأعضاء تختلف من رتبة حشرية إلى أخرى ، فقد نجدها غشائية رقيقة (كما فى الرعاشات « أبو المقص ») ، وقد نجدها غمدية غليظة (كما فى الخنافس والسوس) وربما نراها مبرقشة زاهية الألوان مكساةً بالحرافيش (كما فى الفراشات) .

وتزاول الحشرات طيرانها بسرعات مختلفة : تتوقف على معدل ضربات (أو خفقات) الأجنحة الذى يختلف من نوع حشرى لآخر ، فأبو دقيق مثلاً تخفق أجنحته بمعدل ٥ ـ ٦ ضربات/ثانية ويزداد ذلك فى النحلة لنجده ٢٠٠ ضربة/ثانية . ويعين هذه الأجنحة على حركاتها عضلات قوية موجودة فى الصدر ومتصلة بها ، بعضها ذو نظام طولى والبعض الآخر ذو نظام عرضى ، وتعمل المجموعتان بالتناوب فى تحريك الجناح .

حالات خاصة للطيران والرحلة

من الملاحظ أن الحشرات خلال أطوارها اليافعة تتميز بوجود حالة من تغلّب نشاط الطيران على بقية الأنماط الأخرى من الأنشطة الحيوية لهذه الكائنات ، فيأخذ الطيران فى هذه الفترة من الحياة نمطاً خاصاً هو « الهجرة » فى سرب ، وقد يستغرق هذا الطيران ـ خصوصاً الذى يتم عقيب خروج الأطوار اليافعة من عذاريها (خادراتها) مباشرة ـ ما بين أيام قليلة (كما فى أغلب المنّ المجنّح) أو ١٥ ـ ٣٠ ساعة فقط (كما فى حشرة Ascia ، حيث تبلغ الحشرات خلال هذه الفترة من الطيران حالة النضج التناسلى ، فترمق الأرض بناظريها لتحديد موقع الهبوط ، وتهبط لتبنى عُشّاً جديداً ولحظتها تبدو عليها مظاهر أهمها انحلال عضلات الأجنحة وسقوطها . ثم تشرع الأفراد المرافقة لملكتها فى بناء العش الجديد وهو الذى تَفرِّح فيه الملكة ملكاتٍ أُخَر لإكثار النوع .

بالإضافة إلى هذا النمط من الطيران فإن الحشرات تقوم بأنماط أخرى تأخذ شكل هجرة طويلة الأمد لاسيما إذا كمنت فترة ثم خرجت من كمونها (Diapause) ، ومن الحشرات مثل (Eurygaster) من رتبة نصفيات الأجنحة ما يهاجر إلى مواقع البيات الصيفى (Aestivation) وهناك يتم نضجها التناسلى والذى على أثره تعود إلى مسقط رأسها .

وقد تهاجر بعض الحشرات على الرغم من أنها ناضجة تناسلياً ، كالجراد وبعض الفراشات والرعاشات ، وعموماً يجب ألّا يغيب عن ذهن القارىء أن الغالبية العظمى من حالات الهجرة لا تحدث إلّا خلال فترة الطور اليافع من الحشرة ، إذ هو القادر على الطيران .

شركاء الرحلة :

هل يتخلى منهم أحد عن الآخر ؟

غالباً ما تقوم الإناث بعملية الهجرة ، وليس هذا تجاهلاً للذكور ، وإنما الأمر يتوقف على السلوك التسافدى لهذه الحشرات ، فبينما نجد ذكور وإناث الجراد يهاجران سوياً ويرجعان معاً فى سرب واحد ، فإن حشرة مثل Eurygaster تهاجر ذكورها وإناثها معاً ذهاباً إلى موقع البيات الصيفى إلّا أن الذى يعود أدراج الربوع هو الإناث فقط فهناك تلقى الذكور حتوفها !!

خط السير المتبع

يتوقف اتجاه الرحلة أو الهجرة على سرعة الريح واتجاهها . ولإجلاء هذه المسألة نقول إن للحشرات طبقة هوائية تزاول فيها النشاط الطيرانى فى يسر وسهولة أكثر من الطبقات الجوية الأخرى ، هذه الطبقة الهوائية الملائمة تعرف بالطبقة القطرية أو « التخوم الهوائية » (Boundary Iayer) والتى من خصائصها قلة سرعة الريح نسبياً . وإذا ارتفعنا إلى أعلى فى الجو فإننا نجد الأحوال غير ميسورة لاشتداد سرعة الريح (Wind Velocity) على سرعة الهواء (Air Speed)

←

فلا تستمتع الحشرات بطيرانها هناك بل تنجرف أدراج الريح العاصف رغم أنفها . ويتوقف حجم التخوم الهوائية المناسبة لطيران حشرة ما ، على قدراتها فى تعودها على الطيران عند سرعات هوائية متباينة ، كما تتوقف أيضاً على نظام الغطاء النباتى لسطح الأرض أسفل الحشرات المحلقة فى الهواء ، وكذلك أيضاً على سرعة الريح نفسها .

الشكل العام للتنظيم الحشرى إبَّان الطيران فى رحلة أو هجرة ما ، يتوقف على كون هذه الحشرات داخل نطاق التخوم الهوائية المناسبة أو خارجها .

(أ) إذا أقلع سرب من حشرة Ascia فى فلوريدا للطيران المنخفض (١ ـ ٤ أمتار أعلى سطح الأرض) فإنه يحلق فى مأمن من العواصف ، ثم يتجه شمالاً أو جنوباً ، على حسب نوع السلوك الذى بدَا على الحشرة قبل إقلاعها مباشرة . فى أثناء طيرانها تحط الحشرات على الأزهار لتمتص رحيقها ، وبعد مضى فترة من الطيران يتجمع أفراد الأسراب المتجاورة أكثر فأكثر لتشكل أسراباً كبيرة تبدأ بها رحلة الهجرة الحقيقية التى يتحدد خط اتجاهها على أساس زاوية سقوط أشعة الشمس أو هيئة سقوط الضوء المستقطب على منطقة وجود الحشرات فى هذه اللحظة ، فتبدأ الأسراب فى الهجرة بشكل منظم .

(ب) ليس معنى أن الحشرة تفضل الطيران فى تخومها الهوائية أنها غير قادرة على الطيران فى مناطق هوائية أعلى ، فلقد شوهدت أفراد حشرة Ascia تطير فى مناطق كالأرجنتين على ارتفاعات تصل أحياناً إلى ٥٠٠٠ قدم من سطح الأرض ، أمّا عن اتجاهها فكان هو نفس اتجاه الرياح السائدة فى هذه المناطق . وذلك هو نفس الوضع فى كل الحشرات التى تقوم بالطيران والهجرة مثل الجراد والرعاشات والمنّ وغيرها . والأكثر من هذا أن تلك الحشرة المشار إليها استطاع أفراد من أسرابها أن تطير فى اتجاه مضاد للريح أحياناً ووصلت سرعاتها ٨ ـ ١٠كم/ساعة .

أما فى أسراب الجراد فإذا ما خرجت أفراد أحياناً عن تخومها الهوائية : فإنْ كان ذلك نهاراً أسلمت قيادها للريح العاصف على أنها ترصد علامات وإشارات أرضية لتهتدى بها عند عودتها إلى أسرابها بعد سكون الريح ، أما إذا حدث ذلك أثناء الليل فلا قدرة حينئذ لهذه الأفراد الشاردة على رؤية علامات أو إشارات أرضية ومن ثم تضل طريق العودة إلى مكان السرب بعد سكون الريح .

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين اكتشفوا وجود حافز فيزيائى يعين الحشرات التى تلقى بنفسها فى كتل هوائية عليا تكتنفها رياح عاتية ، على ضمان السلامة من شر هذه الرياح ، ذلك الحافز أو العامل هو « الحمل الحرارى » (Heat Convection) المنبعث من حرارة قشرة الأرض والصاعد إلى طبقات الهواء وهى حالة يقتصر وجودها على فترة النهار فقط ، أما فى الليل فلا معين للحشرات إذا ألقت بنفسها عنوة فى كتل هوائية عنيفة .

العودة أدراج الربوع

رحلات العودة شائعة فى الطيور أكثر منها فى الحشرات ، فإذا قامت بها الحشرات

فالعائدون هم أفراد الجيل الجديد فقط دون الآباء والأمهات ، ولعل أبو دقيق الملكى (Danaus Plexippus) من أبرز الأمثلة على ذلك ، حيث ينشط ويتكاثر خلال شهور الصيف بالجزء الشمالى من أمريكا الشمالية وجنوبى كندا ، ولما كانت الأطوار اليافعة من هذه الحشرات لا يمكنها أن تعيش طويلاً تحت درجات الحرارة المنخفضة وانعدام الرحيق فى تلك المناطق شتاء فإنها تبدأ فى الخريف - وقبل حلول الشتاء القارس - بالهجرة إلى الجنوب حول خليج المكسيك وفلوريدا وكاليفورنيا ، وفى أثناء رحلتها الطويلة (التى قد تصل إلى ٢٠٠٠كم فى المتوسط ، بمعدل قد يصل إلى ١٠٠كم فى اليوم أحياناً) فإنها تسرع باللجوء إلى أغصان الأشجار من وقت لآخر وخاصة أثناء الليل حين تنخفض درجات الحرارة ، وربما تظل أياماً لا تستأنف رحلتها إلّا إذا ارتفعت الحرارة عن ١٣ درجة مئوية ، أما عن أحوالها فى المهجر الجديد فهى إما أن تنشط وتتكاثر فى الشتاء ، كما هو الحال فى مناطق فلوريدا وحول خليج المكسيك حيث الحرارة المعتدلة ، وإما أن تخلد إلى البيات الشتوى (Hibernation) كما فى ولاية كاليفورنيا ، حيث تَجْثُمُ فى مجموعات متزاحمة لا تطير إلّا نادراً ، وإذا طارت ففى الأيام الدفيئة حيث تتحرك لجمع الرحيق اللازم لغذائها . وهنالك فهى متوقفة تماماً عن التزاوج والتكاثر . إذا حلَّ الربيع ، وارتفعت درجة الحرارة تبدأ أسراب الحشرات فى الطيران علئدة إلى الشمال . الذى جاءت منه . تستغرق هذه الرحلة حوالى الشهرين .

فى هذا المجال يجب أن نلفت النظر إلى أن هناك دراسات وبحوثاً أُجريت ولا تزال على الحشرات المختلفة التى تقوم برحلات أو هجرات هنا وهناك ومنها الفراشات كفراشة الدودة القارضة (Agrotis Ypsilon) وأبى دقيق الخبازى (Venessa Caddui)

رحلات البحث عن الغذاء

(أ) النمل :

فى الأحوال المناخية والبيئية والتعدادية الملائمة تعيش جماعة النمل فى أعشاشها بأشكال لها معتادة دون وجود أجنحة ، ومن أهم مظاهر حياتها قيامها بحملات تشنها على كائنات من حولها ، وهذا السلوك من العجب والغرابة لدرجة أن أساطير قديمة ثارت حوله لوحشيته فى الهجوم والإغارة ولدقته فى النظام وزحف الحشود وقدراته فى التصرف السريع مع ما يواجهه خلال المسير ، من أبرز هذه الأنواع نمل فى غابات البرازيل وبيرو وحول قناة بنما وكندا وفى مناطق من غابات أفريقيا يخرج النمل فى جحافله الهجومية التى لا يقل تعدادها عن ثلاثين ألف فرد ، يسيرون فى ركب قد يصل طوله إلى خمسة عشر متراً وعرضه يقرب من المترين ، ويقطع فى اليوم الواحد مسافة تتراوح بين ١٠٠ ، ٢٠٠ متر يمضيها فى شن غاراته العدوانية على أعشاش النمل الأخرى والحيوانات التى يقابلها سواء صغيرة الحجم كالعناكب مثلاً أو كبيرة كالثدييات ، إلّا أنه لا يخرب زرعاً ولا يحطم نباتاً . يتقدم الركب فى نظام مدهش ، ففيه نقطة مركزية يتجمع فيها عدد كبير من الأفراد

←

يحيطون بالملكة والذرية الصغيرة ، ومن حولهم أفراد حراسة أقوياء ومن حول هؤلاء بقية الركب ، أثناء تقدمه تظهر أشكال من السلوك عجيبة منها أنه إذا ما ابتعد عن معسكره الأصلى بمسافة ما ـ وغالباً ما تكون كبيرة ـ أخذ الأفراد ينتشرون بين أفرع الأشجار لتتخذ لها مواقع استراتيجية تهجم منها على فرائس تراها أو تنتظرها لتقتنصها .

من هذه العجائب أيضاً أن مسارات للمرور تخط فى هذه المساحة من الأرض بين أفرع الأشجار ، وقد يغدو فيها النمل ويروح حتى ليحدث ارتباكاً فى المرور كما هو الحال فى المدن المزدحمة بالسكان ، يصل نشاط النمل ذروته وذلك فى الصباح الباكر . ويقل نشاطه بعد الظهر ويخفت مع دخول الليل ، فتجمع الأفراد نفسها ويتحرك الركب ليقضى ليلة فى معسكر خلوى مؤقت انتظاراً للصباح الباكر التالى لاستئناف النشاط ، ومن النمل ما يتخذ لنفسه فى هذه الأرض الجديدة مواطن وأعشاشاً ، ومنه ما لا ينسى موطنه الأصلى فيعود إليه مع الغنائم التى اغتنمها من حملات إغارته على كائنات أخرى ، من المثير للدهشة كذلك ، فى سلوك النمل إبان سير أسرابه فى حملات الإغارة ، هو تصرفه أمام المنخفضات العميقة وذلك بإنشاء « كبارى معلقة » يستخدم أجسامه فى بنائها حيث تتشابك أرجل أفراده بعضها بالبعض الآخر فى أعداد ضخمة تسمح بعبور بقية أفراد السرب .

(ب) النحـــل :

يعيش النحل في حياة اجتماعية كاملة كما هو الحال في النمل ، فالخلية (Hive) تضم فئات مختلفة في مجتمع متعاون على أفضل ما يكون التعاون ومترابط بأعظم عرى الترابط كأنه البنيان المرصوص ، فالملكة (Queen) صاحبة السلطان والسيادة ليست بمتسلطة بل يسرى عليها نظام الخلية وتنطبق عليها قوانينها العامة ، إلّا أن هذا لا يمنع وجود رعاية وعناية خاصة بها من عدد من النحل الشغال (العاملات) (Workers) تلك الفئة التى تنوعت وظائفها وتعددت أعمالها فمنها من يناط به عمليات النظافة العامة للخلية وإماطة الأذى عن أنحائها ، ومنها من يتحمل مشاق عمليات جلب الغذاء لجميع أفراد المجتمع الذي تعيش فيه ، بالإضافة إلى الوصيفات اللائى أشرنا إليهن سابقاً ، أضف إلى ذلك وجود عدد من الذكور (Drones) في انتظار اللحظة الموعودة ساعة ترغب الملكة في التزاوج لإكثار الذرية وإنشاء خلايا نحل جديدة .

تذهب النحلات الشغالة في رحـلات مشهورة لجمع الرحيق وحبوب اللقاح من أعضاء تأنيث الأزهار لتعود به إلى الخلية ، وفي هذه الرحلات تكون العادة خروج عدد محدد من « الطلائع » لاستكشاف مواقع الأزهار وتحديد كثافة الرحيق ومعلومات أخرى تهم النحل ، ثم تعود هذه الطلائع لتعطي بقية الأفراد العاملات المعلومات المطلوبة فإذا بأعداد غفيرة منها تخرج منتظمة في سرب متجهة نحو موقع الأزهار لتقوم بعمليات جماعية لجمع الغذاء المطلوب لها ولبقية أفراد مجتمعها هناك في الخلية .

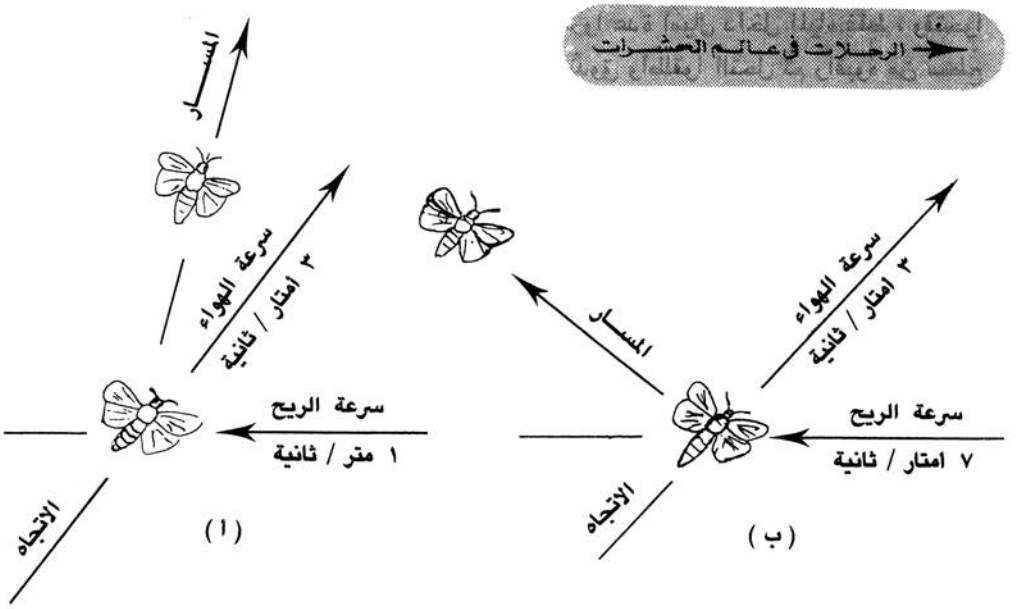
تختلف المسافات التى تستطيع الشغالات أن تقطعها بعيدة عن الخلية ، والتى تصل أحياناً إلى أكثر من عشرة أميال ، حسب مواقع الحقول والبساتين حيث توجد الأزهار ، وهنا أسئلة هامة تقفز إلى ذهن المرء المفكر المتدبر منها : من الذي علم الشغالات من النحل طريق العودة إلى خليتها ؟ وكيف تعود أنفسها على طريق الوصول إليها ؟ ولماذا تركت خلايا النحل التى قد تمر عليها في طريق العودة دون أن تدخلها ؟ ونحن في نهاية هذا المقال سنحاول تقديم الإجابة على طرف من هذه الأسئلة بما يخدم الغرض من موضوع مقالنا .

أثبت بعض الباحثين أن النحل له المقدرة على الإلمام بمعالم الطريق التى تطير فيها وهذا هو السر في قدرتها على العودة إلى الخلية بعد رحلة غذاء طويلة أو قصيرة . ومن التجارب الشيقة في هذا المضمار أن جماعة من الباحثين أخذوا عدداً من النحل من خلية تقع على حافة بحيرة متسعة ، ثم ميزوا هذه الأفراد بوضع طلاء على أجسامها لتسهيل عملية رصدها ، ونقلت هذه الأفراد في صندوق لمسافة عدة أميال بعيداً عن البحيرة في منطقة مزروعة ممتدة على جانب شاطىء الماء ، ثم فتح الصندوق وأطلقت أفراد النحل ، وشوهدت عن كثب ، فوجدت أنها دارت ثم دارت في الهواء وفي النهاية وصلت إلى الخلية التى أخذت منها بجانب حافة البحيرة . وبالطبع فإن السبب هنا هو المعالم الأرضية من أعمدة وشجر ومبانٍ وخلافه ، ولتأكيد هذه النظرية ، قامت جماعة الباحثين بتكرار التجربة ولكن من خلية نحل بجوار نفس البحيرة في نهار ساطع الشمس ، وأبحروا عدة أميال داخل المياه فقط ، وفتحوا الصندوق وأطلقوا النحل ثم راقبوه من سطح المركب ، فإذا به يطير ويدور في جميع الاتجاهات بدون تحديد اتجاه معين ولم يتمكن من الوصول إلى الخلية التى أخذ منها في بداية التجربة وهى الموضوعة على حافة البحيرة ، السبب في ذلك هو أن صفحة الماء في البحيرة ليست عليها علامات أو معالم مميزة كى يستطيع أفراد النحل التقاطها وتمييزها .

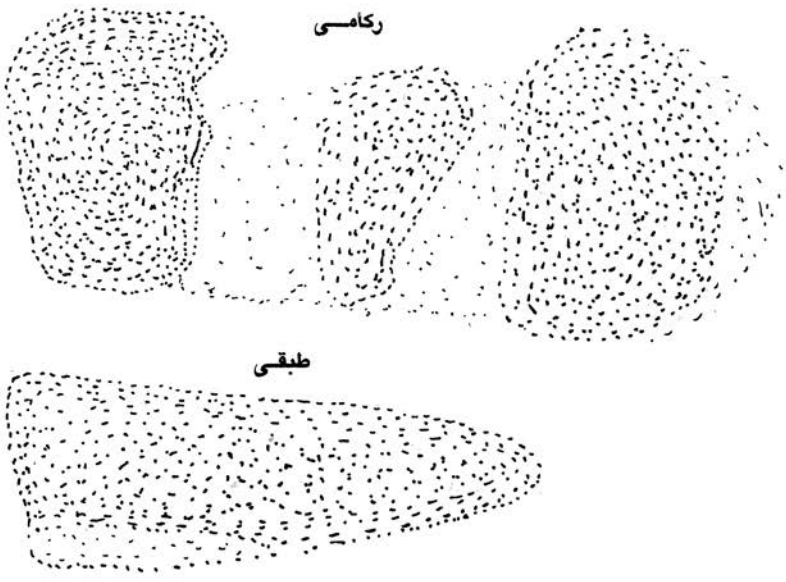
من العلماء من أثبت أيضاً أن من قدرات أفراد النحل على تحديد طريق العودة في الرحلات استرشادها بموضع الشمس ، وأبسط تجربة توضح ذلك أنك لو أمسكت نحلة أثناء عودتها إلى خليتها وحبستها في صندوق لمدة زمنية ما كساعتين مثلاً ، ثم أطلقت سراحها بعد ذلك ، فإنها تطير بنفس الزاوية التى كانت تطير بها قبل إمساكها بالنسبة للشمس . ولكن في غضون الفترة التى حبست فيها تكون الأرض قد دارت قليلاً ولم تعد الشمس في نفس الموضع بالنسبة للخلية ، ومن ثم فالنحلة العائدة في هذه التجربة تنخدع وتفتقد تحديد مكان خليتها . ولكن الذي حدث ويحدث هو أن النحلة العائدة لا يستمر طيرانها في الطريق الضال ، وإنما تكف عن ذلك في نقطة معينة خلال مشوار العودة ، تلك النقطة تقع على مسافة تبلغ ما بين مكان الأزهار والمكان الذي كانت فيه الخلية .

أضف إلى هذا وذاك قدرات أخرى على معرفة طريق العودة منها إفراز وشم روائح خاصة تميز أفراد المجتمع الواحد ، وكذلك الرقص بأنواعه المختلفة.

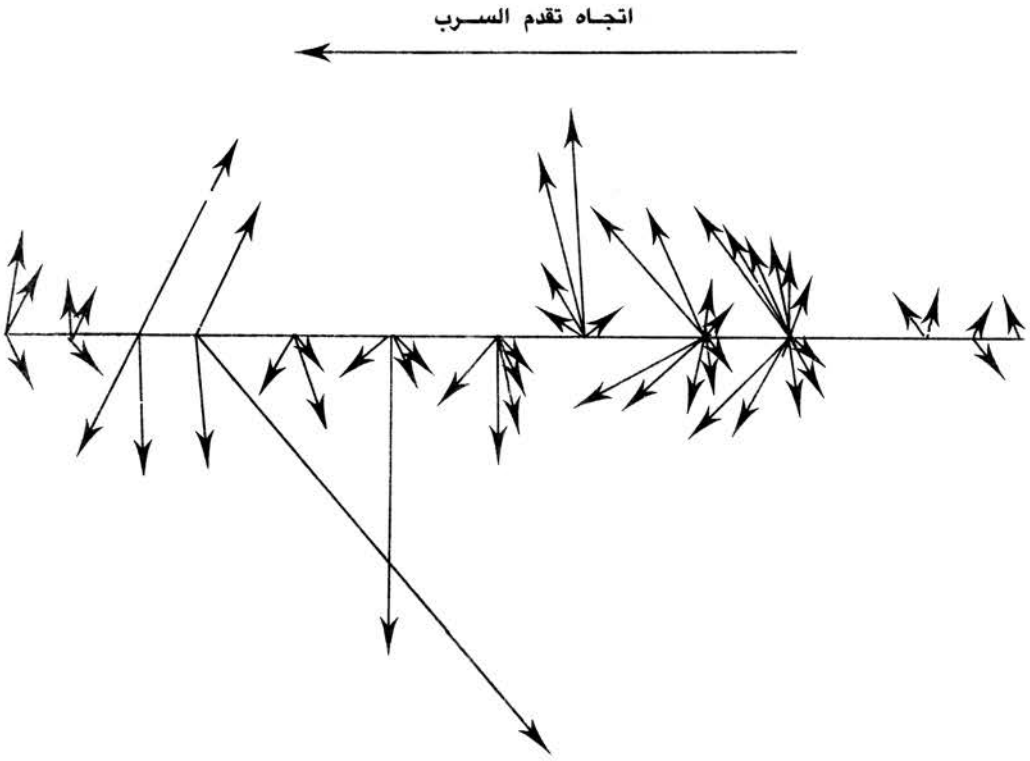
فلنرجئها إلى حلقة قادمة إن شاء الله ..



شكل (١) يوضح العلاقة بين الاتجاه والمسار وسرعة الريح . (أ) الحالة التى تزيد فيها سرعة الهواء على سرعة الريح . (ب) الحالة التى تزيد فيها سرعة الريح عن سرعة الهواء .



شكل (٢) يوضح اشكال الاسراب المكونة من الحشرة الكاملة للجراد .



شكل (٣) يوضح الأوضاع المختلفة التى يتخذها أفراد الجراد في السرب . التخطيط المبين هو حصيلة عدد من الصور الفوتوغرافية الماخوذة للسرب على فترات متفرقة أثناء تقدمه . طول كل سهم مرسوم يتناسب مع عدد أفراد الجراد المتجهين اتجاه ذلك السهم ..

طرائف

« لفظ خاتم »

فى قولنا نبينا محمد ـ ﷺ ـ خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، والفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الختم الذى هو زينة للابسه .

والكسر : اسم فاعل بمعنى الآخر ، وفى الصحاح الخاتم بكسر التاء وفتحها ، وخاتمة الشىء آخره ونبينا ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

وقوله ، تعالى ﴿ ختامه مسك ﴾ أى آخره ، لأن آخر ما يجدون رائحة المسك .

« ليس تأسفى على الدنيا »

لما احتضر سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ تحسر عند موته .

فقيل له : علام تأسفك يا أبا عبد الله ؟

قال : ليس تأسفى علي الدنيا ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد إلينا ، وقال : « ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب » .

وأخاف أن نكون جاوزنا أمره ، وحولى هذه الأشياء ، وأشار إلى ما يليه : وإذا هو سيف ودست وجفنة .

« جرأة فى الحق »

كان سليمان بن عبد الملك مهيبا ، لا يجرؤ امرؤ أن يكلمه ، وكان بعض وزرائه قد استأثر بشئون أغضبت العامة ، فدخل عليه أعرابى ، فصيح اللسان ، شديد العارضة جرىء الفؤاد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته ، فإن وراءك ما تحب إن قبلته .

قال : هات يا أعرابى .

قال : سأطلق لسانى بما سكتت عنه الألسن أداء لحق الله وحق أمانتك ، إنك قد أحاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك .

فقال سليمان : أما أنت فقد نصحت ، إلا أنك جردت لسانك فهو سيفك .

فقال : أجل ياأمير المؤمنين هو لك لا عليك .

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقفة

« حقا »

وقف أعرابى على قوم يسألهم :
فقالوا : من أنت ؟
قال : إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب .

لا خير .. إلا مع !

ليس شىء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل ، ولا خير فى القول إلا مع الفعل ، ولا فى المال إلا مع الجود ، ولا فى الصدق إلا مع الوفاء ، ولا فى الحياة إلا مع الصحة ، ولا فى الفقه إلا مع الورع ، ولا فى الصدقة إلا مع حسن النية .

« قالوا »

- أعظم من الذنب اليأس من الرحمة ، وأشد من الذنب المماطلة بالتوبة .
- أولى الناس بالله أشدهم توليا له .
- ارفع إزارك فهو أنقى لثوبك وأتقى لربك .
- خير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .
- من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ؛ أثمرت مودته ندما .
- من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه من الآخرة .
- أى ملك جعل دينه خادما لملكه ؛ فملكه وبال عليه .
- آفة النصح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهاراً .
- أشقى الولاة من شقيت به رعيته .

« نصيحة »

المرء يعرف فى الأنام بفعله
وفعائل الحر الكريم كأصله
لاتستغيب(١) فتستغاب فربما
من قال شيئا قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها
مادمت فى جد الكلام وهزله

« دعاء »

اللهم إنك قد أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا .

(١) لم نقع على هذا الاشتقاق فى لسان العرب ، فثمة الثلاثى والخماسى .

من روائع الماضى

بمجلة الأزهر

الاحتكار والتسعير

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ
محمد محمد المدنى

وضع الاسلام معالجة إيجابية لمشكلات الحياة ، فهو وإن كان يخدم الحرية الفردية لكل إنسان فى تصرفه وتجارته وصناعته ، لكنه جعل لذلك حدا وضوابط تمنع أن يطغى أحد على أحد أو يستغل حاجته فوضع قسطاساً مستقيماً يكفل العدل ويمنع الظلم ويقر أسباب الأمن والطمأنينة والرضا والسعادة قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

يعانى الناس فى هذه الأيام كثيراً من المتاعب بسبب ارتفاع موجة الغلاء ، واستغلال التجار لحاجتهم الملحة ، طمعاً فى الربح الكثير ، وجمع الثروات الطائلة على حساب الشعب ، وتعمل الحكومات جهد طاقتها على إصلاح هذه الحال السيئة ، التى من شأنها أن تشيع فى الناس القلق والاضطراب ، وأن تخل بما ينبغى أن يسودهم من الطمأنينة والهدوء ، ليتمكنوا من التفرغ لأداء أعمالهم والقيام بواجباتهم فى يسر وتناسق واطراد ، وهى لذلك تحارب الاحتكار ، وتسعر البضائع ، وتتدخل حتى فى تقدير القيمة الإيجارية للمساكن والحوانيت ، إلى غير ذلك من وسائل متنوعة ، تفرضها لمصلحة الشعب ، باسم الهيمنة عليه والرعاية لشأنه ، اللتين هما أساس الولاية العامة .

وقد يظن أن هذه الوسائل التى تلجأ إليها الحكومات فى هذا الشأن هى وسائل مبتكرة تفتقت عنها أفكار أهل النظم الاقتصادية الحديثة ، وأخذتها عنهم الحكومة ، وهى فى الواقع من النظم التى جاء بها الإسلام منذ عهده الأول ، وتكلم فيها الفقهاء ، ووضعت بينهم موضع الدراسة والبحث حتى لم يبق فى شأنها لمن جاء بعدهم جديد ، ولا احتمال لمزيد .

وهأنذا أضع بين أيديكم « برنامج الإسلام » فى معالجة هذا الشأن من نواحيه المختلفة لتروا كيف تشتمل هذه الشريعة الغراء على الحلول الإيجابية الفعالة لمشكلات الحياة .

* * *

إعداد وتقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

الأصل فى المعاملات والتصرفات هو أن كل إنسان حر فيما يملك ، له حق التصرف فى ماله على النحو الذى يرى أنه يحقق مصلحته . ويتفرع على هذا الأصل « حرية التجارة » ؛ فللتاجر أن يبتغى الكسب الحلال من أى وجه ، وأن يسلك إليه ماشاء من السبل : ولكن هذا كله إنما يكون حسناً ومتفقاً مع خطة الإصلاح العامة إذا كانت أمور الناس تجرى رخاء ؛ فلا حرب ولا مجاعة ولا اضطراب : أما إذا حدث شىء من ذلك فإن الرأى والحزم أن يتدخل أولو الأمر فيحدوا من حرية الفرد فى سبيل مصلحة المجموع .

ولما كان أهم ما يسبب الاضطراب فى الأسواق ، ويحمِّل الناس فى الظروف الطارئة ألوان العناء ، هو الاحتكار وإغلاء الأسعار ، عالجتهما الشريعة الإسلامية علاجاً ناجعا من شأنه أن يقضى عليهما ، أو يخفف إلى حد بعيد من ضررهما .

وإليكم البيان :

١ ـ الاحتكار :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من احتكر حُكرة يريد أن يُغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » . والحكرة : حبس السلع عن البيع .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقعده بعُظْم من النار يوم القيامة » أى بمكان عظيم منها .

فهذه أحاديث ثلاثة ، يبين أولها أن الاحتكار « جريمة » وذلك هو ما يعبرون عنه الآن بالتكييف القانونى للفعل ، إذ يقول عليه الصلاة والسلام عن المحتكر : إنه « خاطىء » . وفى الحديث الثانى يذكر أن الله يعجل بعقوبة المحتكر فى الدنيا ، إذ يبشره « بالجذام » و« الإفلاس » سواء أكان المراد بهما الجذام والإفلاس الحقيقيين ، أو جعلا رمزاً لنوعين من العذاب المعنوى يصاب بهما المحتكر . أما الحديث الثالث فيذكر عقوبة المحتكر فى الآخرة ، وهى ليست النار فحسب ، وإنما « مقعد عظيم منها » أعده الله له وجعل ذلك « حقاً عليه » جل جلاله .

بهذا استوفت المسألة جانب غرس الوازع الدينى ؛ ومن ذا الذى يرضى لنفسه أن يكون فى نظر الشارع خاطئاً ، معرضاً للبلاء والفقر فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة ؟ وحقاً إن للوازع الدينى لأثراً فى نفوس كثير من الناس ، وإنه إحساس شريف يخالج المؤمن فى جميع حالاته ، ويجعل من نفسه رقيباً على نفسه ، فيريح المجتمع من كثير من ألوان

المخالفات والمظالم ؛ **وقد أدركت الحكومات قيمته وآثاره فانتفعت به عن طريق تقوية الدين والخلق فى النفوس ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً** ؛ ولكن الشارع لا يقف عند هذا الحد من العلاج ، ولا يكتفى بالثمرات التى يجنيها المجتمع من هذا الوازع الدينى ، لعلمه أن الناس قد تطغى عليهم أهواء وأغراض تنسيهم أمر الدين ، وتدفعهم إلى الاستهانة به ؛ ولذلك خطا خطوة أخرى ، فجعل من حق الوالى العام أن يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه .

روى مالك فى الموطأ « أن عمر بن الخطاب قال : لا حُكرة فى سوقنا ، لا يعمِدْ رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من أرزاق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ، ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده فى الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر ، فليبع كيف شاء الله ، وليمسك كيف شاء الله » .

فرق عمر ـ رضى الله عنه ـ بين حالتين : حالة الذين يتربصون بالأسواق ، ويعمدون إلى ما فيها من سلع ، فيشترونها ويحتفظون بها احتكاراً لها وإغلاء أو انتظارا لغلائها ، وحالة الجالب الذى يجوب مواطن السلع فى الشتاء والصيف ليجتلبها للناس ، ويحتمل فى سبيل ذلك عناء البرد والحر ، وما يلقى فيهما من النصب ؛ فالأولون محتكرون ظالمون يدل تصرفهم على أنهم أصحاب نوايا سيئة ، يعتمدون على ما فى أيديهم من فضول « أذهاب » أى أموال ذهبية يغرون الناس بها ، ويستخدمونها فى جمع السلع وإخفائها ، كما يفعل اليهود الآن ومن سار فى المسلمين سيرتهم من التجار الذين لا يخافون الله ؛ ولذلك يشتد عليهم عمر ، ولا يعترف بأن فعلهم هذا مشروع ، ولا يرضى بأن يترك لهم الحرية فى سوق المسلمين ، يعبثون بها . أما الجالب المغامر الذى يسعى فى سبيل رزقه ، ويبذل فى سبيل المجتمع من راحته وجسمه وعرقه ، فذلك هو ضيف عمر ، أى تحت رعايته يمنعه ويحميه ، ويترك له الحرية فى البيع على الصور التى يختارها ؛ ذلك بأن الشبهة عنه منفية ، فهو لا يعتمد كالأولين على ذهبه الذى فضل عنه ، ولكن يعتمد على قوته وسعيه وعمله .

وقد دلت التجارب العملية عل أن الجالب الذى يجلب لا يميل إلى اختزان ما جلب ، ولكنه يؤثر أن يبيعه بما تيسر من الربح ليجلب غيره ، وقلما جاء جالب بشىء ثم رجع به دون أن يبيعه بما يصادفه من السعر ، فمثل هذا رأى عمر أن يتركه وما يريد ، لأنه آمن من أن يعبث أو يسىء ، ولأنه يخشى إذا تحكم فيه بدون داع إلى التحكم ، أن ينصرف الناس عن التسوق والجلب فتقل السلع ، ويضيق الناس بقلتها .

وللفقهاء تفصيلات واستدلالات وتفريعات تتعلق بهذا الشأن ، وتبين متى يجب إرغام المحتكرين على البيع بثمن المثل ، ومتى يجب أن يتركوا أحرارا ، وما الأصناف التى يمنع فيها الاحتكار ، وغير ذلك من التفصيلات التى

ترتب عليها بينهم بعض الخلاف فى تقدير الحرية فى التصرف والتجارة ؛ ولسنا نطيل بذكر هذه التفصيلات ، ولكن الذى ينبغى أن نعرفه هو أن الفقهاء قد اعتمدوا على هذه الأصول التى قدمناها من أحاديث الرسول ﷺ . ومن عمل عمر الذى استنبطه من الشريعة والمصالح التى تنبنى عليها الأحكام فى مثل هذه الشئون ، اعتمد الفقهاء على ذلك فى التفرقة بين الحالات ، فليست الأحوال العادية ، حين تكون الأمور ميسرة ، والتجارة خاضعة لقانونها الطبيعى ، كحالة الاضطراب والقلق التى تصاحب الحروب والمجاعات أو تعقبها ، وتستلزم علاجاً حازماً تقدم فيه مصلحة الأمة على حرية التصرف فى الملك والتجارة .

كما أن أصناف البضائع ليست كلها مما ينطبق عليه قانون المنع من الاحتكار ، وإنما القاعدة فى ذلك هى حاجة الأمة إلى شىء ما ، لا فرق بين طعام وكسوة ، ومسكن ، حتى إنه يباح لولى الأمر أن يجبر المالكين على تأجير بيوتهم التى تفيض عن حاجتهم ، إلى المحتاجين إليها ، الذين لا يجدون سواها ، وغاية مالهم فى ذلك أن يأخذوا أجر المثل ، كما يباح لولى الأمر أن يقرر ما نعبر عنه اليوم « بتجنيد جميع القوى أو بعضها » كأن يحتاج الناس ، أو يحتاج الجيش المحارب ، إلى صناعة أهل طائفة كالنجارة والنساجة والحدادة والسباكة والبرادة ونحوها ، فلولى الأمر أن يلزمهم بهذه الأعمال ، ويحشدهم لها بعوض المثل ، وقل مثل ذلك فى المهندسين والأطباء والصيادلة فى حالة خطر عام كارتفاع النيل ، أو انتشار الوباء فى إقليم من الأقاليم .

ومن هذا يتبين أن الشريعة الإسلامية ، وإن كانت تحترم الحرية الفردية لكل إنسان فى تصرفه وتجارته وملكه وصناعته ، لكنها تجعل لذلك حداً ، فإذا دعا داعٍ من مصلحة الأمة إلى وقف هذه الحرية ، أو الانتقاص منها ، لَبَّتْهُ الشريعة الإسلامية ، فجندت فى سبيل القيام به ما تراه من قوى فى جميع النواحى المختلفة ، ولم ترض فى أى شىء منها بأى نوع من أنواع الاحتكار ، أو الضن على الجماعة ، أو التهرب من أداء حقها .

٢ ـ التسعير :

وشأن التسعير فى خضوعه للظروف والأحوال إباحة ومنعا ، كشأن الاحتكار ، فقد منعه رسول الله ﷺ ؛ وحمل أهل العلم هذا المنع على الحالات العادية التى لا يجوز فيها إكراه الناس على بيع أموالهم بغير ما تطيب به نفوسهم ، لأن ذلك ظلم مناف للملكية وحرية التصرف ، ولكن إذا طرأت أحوال خاصة من مجاعة أو اضطراب اقتصادى أو نحو ذلك ، وامتنع أرباب السلع من بيعها ـ مع ضرورة الناس إليها ـ إلا بزيادة على القيمة المعروفة ، وجب إلزامهم بقيمة المثل ، ولا يكون هذا حينئذ جبراً على البيع ، وإنما هو ـ كما يقول أشهب المالكى ـ منع من البيع بغير السعر الذى يحدده الحاكم على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، فلا يمنع البائع ربحه المعقول ، ولا يقر ما يضر بالناس ، أو هو كما يقول ابن القيم : إلزام بالعدل الذى الزمهم الله به .

ولما كان هذا قد يجر إلى ظلم أو تضييع لربح أهل الأموال ، فقد أحيط بضمانات استنبطها أهل الفقه والنظر ، وفى ذلك يقول ابن حبيب من فقهاء المالكية : « ينبغى للإمام أن يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشىء ويحضر غيرهم ، استظهارا على صدقهم ، فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ، فينازلهم إلى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا به » .

وهذه الطريقة بعينها هى التى تسير عليها كل الحكومات الراقية فى عصرنا الحاضر ، إذ تجمع ما يسمى « بلجنة التسعيرة » فى دار « المحافظة » أو « المديرية » أو ما إلى ذلك ، برياسة حاكم الإقليم أو من ينيبه ، وحضور بعض الوجوه من الأعيان والتجار ، فإذا قررت هذه اللجنة بعد المشاورة والمحاسبة شيئاً حمل الناس عليه .

ومما قررته الشريعة متصلاً بهذا الشأن أن التاجر الذى يعبث بمصالح إخوانه ونظرائه ، فيرخص عن القيمة لتكسد سلعهم ـ وهو ما نسميه فى عصرنا الحاضر بالمضاربة ـ يلزمه الحاكم بأن يبيع كما يبيع به عامة التجار لئلا يفسد على أهل السوق بيعهم ، وربما أدى ذلك إلى الشغب والخصومة ، وهذا إذا انفرد الواحد أو العدد اليسير بحط السعر دون جمهور أهل التجارة .

ويدل على ذلك ما رواه يونس بن يوسف عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبى بلتعة وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر : « إما أن تزيد فى السعر وإما أن ترفع من سوقنا ! » وذلك أنه كان يبيع دون سعر الناس ، فأمره عمره أن يلحق بسعر الناس أو يقوم من السوق ! أقول : هذا يشبه ما نعرفه فى عصرنا بالحكم « بإغلاق المحل » عقوبة على ما ثبت للحاكم من التلاعب .

وإذا كان بين الفقهاء بعض الاختلاف فيما ذكرنا من الأحكام ، فهو اختلاف فى التطبيق ، بعد الاتفاق على المبادىء المستمدة من الكتاب والسنة ، وما تقضى به مصالح الأمة ، وفى بعض ذلك اختلاف سببه اختلاف ما روى عن رسول الله ﷺ مما صح عند البعض ولم يعرفه الآخرون .

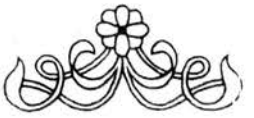
* * *

بذلك يتبين أن الشريعة الإسلامية قد كفلت مصالح التجارة ومصالح الناس ، ولم تسمح بإيذاء أحد على حساب الآخر ، أو إثراء أحد بدون مبرر ، فوضعت قسطاساً مستقيماً يكفل العدل ويمنع الظلم ، ويقر فى الناس أسباب الطمأنينة والرضا والحياة السعيدة !

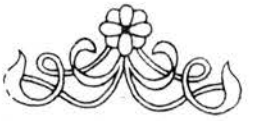
وتلك هى الشريعة العادلة الرحيمة ، التى لم يستطع العباقرة على مدى العصور والدهور أن يحيدوا عن مبادئها وأحكامها حين يكون العدل رائدهم ، والإصلاح مقصدهم ، وهذا لعمرى هو الإعجاز !

اللغة والأدب والنقد

بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار



الذوق العربي وظاهرة الانسجام الصوتي



رؤية جديدة في صيغتي المدح والذم

نظرية جديدة في اللغة

فرحت وأنا أقرأ للأستاذ الكبير البشير بن سلامة كتابه الجديد « نظرية التطعيم الإيقاعى فى الفصحى » ؛ لأن الكتاب يثير بعمقه ، وجدة أفكاره ، ودقة منهجه ، وسلامة بحثه قضايا لغوية خطيرة ؛ ويدعو إلى فكر لغوى مستنير ، ويحرك الجمود اللغوى الذى نُعايشه إلى أفق رحب تشرق فيه شمس التطور . والتجديد والبناء والحركة ؛ ولأن الكتاب جاء فى وزن مؤلفه الفكرى والأدبى المستنير ، ويخطط لحياة لغوية جديدة .

ماذا يقول مؤلف الكتاب الأستاذ البشير بن سلامة ؟ وماذا يعنى بنظرية التطعيم الإيقاعى فى الفصحى ؟

يقول المؤلف : « إن كل عبقرى أضفى على الجملة العربية نمطاً جديداً غيَّر به إيقاع صياغته ونظامها ، فإنه قدر فى الحقيقة على إقحام لهجته العامية المحلية فى الفصحى ، وتطعيم صوغه لها بهذه الإيقاعات من كلامه » ومعنى هذا أن أمثال ابن المقفع والجاحظ والبديع والتوحيدى .. وابن خلدون وأبى نواس وأبى العتاهية والشابى ومحمود المسعدى وغيرهم قد طعموا شعرهم أو نثرهم بإيقاعات لهجاتهم المحلية بدون أن يشعروا بذلك ، لقدرة حباهم الله بها ، لأن اللغة العربية الفصحى بإعجازها وطاقتها الكبرى قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكاملة فى نموها ، مع الارتباط بواقع أهلها المتحول المتحرك الذى تعتبر اللغة المحلية جزءاً منه ، يحمل خلاصة الحياة المعاشة ، ويترجم عنها أحد الترجمة ؛ **ولكن تبقى الفصحى دائماً هى القادرة على السمو بذلك الواقع ، وتلك الحياة . وهذا سر من أسرار بقائها .**

ويؤكد الأستاذ البشير بن سلامة أنه لا يدعو بتلك النظرية إلى العامية ولا إلى الاستعاضة عن الفصحى بلهجة من اللهجات ، بل إن هذه النظرية تسد الباب على كل من يدعو إلى العامية ، لأنها تثبت أن

د. محمد عبد المنعم خفاجى

الفصحى قادرة على امتصاص حيوية اللهجات للسموّ بها . ويدعو مفكرنا الكبير إلى دراسة اللهجة المحلية للكاتب العبقرى ، والشاعر المبدع من حيث إيقاعاتها ونظامها ؛ ثم يبحث فى أدبه عن هذه الايقاعات .

ومن أجل ذلك يعرض أديبنا الأستاذ البشير بحثه الذى فكر فيه طيلة خمس عشرة سنة ، والذى سيقلب ـ حينما يجد التطبيق العلمى عن طريق المخابر ـ الكثير من المفاهيم اللغوية المعروفة فى الشعر والنثر .

لقد درس الباحث تطور الجملة العربية عند المولدين ، عرض لخصائصها عند مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع ، وفى شعر مثل بشار وأبى نواس ؛ فابن المقفع مثلاً يحول الأسلوب من مجرد جمل معطوفة بسيطة إلى جمل مركبة متشعبة لاتكاد تنتهى . ولا ريب أن تطور الجملة العربية الفصحى عند المولدين ناشىء عن تأثير لغات هؤلاء الكتاب والشعراء ، وهى لغات تأثروا بها لأنها اللغات الأم وهى بنفسها تمازجت مع لغة الكلام السائدة وهى العامية وأضفت على كتاباتهم شعراً ونثراً موسيقى جديدة وإيقاعات جديدة تطورت على أساسها الجملة العربية الفصحى .

ومن أجل ذلك يرى الأستاذ البشير بن سلامة العمل على التقريب بين الشقة التى تفصل بين الكلام واللغة ، والحد من التفاوت بين الفصحى والعامية ، من أجل الظفر باللغة المثلى فى تمازجها مع الحياة ؛ وذلك ما كان طه حسين ينادى به ، ويرى للوصول إليه ضرورة تيسير الكتابة والقراءة أولاً وتيسير النحو ثانياً للتحرر اللغوى من سلطان الذاكرة وخلق نثر جديد ، وكان القرآن الكريم حدثاً لغوياً بإخراجه العرب من سلطان الذاكرة إلى عالم النثر الحقيقى .

ويدرس باحثنا الكبير العوامل التى أثرت فى لغة طه حسين النثرية : من المواءمة لروح العصر والحرص على الطابع المصرى والشخصية المصرية ، والتمسك بكل مايمس عبقرية اللغة ونموها وإيقاعها والتجاوز المطلق الشامل المفتوح على المستقبل .

ولهذا بحث الكاتب الكبير تطور الجملة العربية فى الأدب الأفريقى ، ووازن بين لغة ابن رشيق ولغة « أبوليوس » المفكر الأفريقى القديم الذى كان يتصرف فى اللغة اللاتينية تصرفاً مطلقاً ؛ ويؤكد المؤلف أن كل عباقرة العربية الفصحى ، ممن بزوا غيرهم فى ميدان الخلق الأدبى ، لم يخلدوا فى مجال الأدب ، ولم يكتب لآثارهم البقاء ، ولم تكن إضافاتهم اللغوية ذات خطر ، إلا لأنهم عرفوا كيف يضمنون لغة الخلق عندهم أجمل ما فى لغتهم العامية من إيقاعات ونبضات ونبرات وشحنة موسيقية من دون أن يدخلوا الضيم على الفصحى ، أو يمسُّوا عبقريتها .

ويرى أن القدماء مع جهودهم الكبيرة فى استقصاء أسرار العربية ، وضبط قوانينها ، ومع اهتمامهم بالألفاظ وظواهر تغيرها ،

←

وذهابهم إلى جواز القياس وإلى الاشتقاق والقلب والإبدال والنحت والارتجال والاقتراض ؛ لم يولوا الجملة ونواميس تغيرها نفس العناية ، لامن حيث التراكيب بل من حيث موسيقاها وإيقاعاتها وبما يجعل الجملة متعانقة مع الحياة الحية ، معبرة على حركة الواقع وتموجاته ، منطلقة إلى القفز فى مجاهل المستقبل .

ويبحث الأستاذ الكبير البشير بن سلامة ضوابط الإيقاع بصورة مجملة ، ولكنه فى الوقت نفسه ينادى بدراسة تطور الايقاعات فى الجملة العربية على حسب العصور والأعلام ، وبضبط تطور الجملة العربية من حيث الأسلوب والشكل عند الكتاب الخلَّاقين خلال العصور المتعاقبة ، بعد أن بدأ بعض الباحثين من عرب ومستشرقين كبلاشير فى وضع قواميس لضبط تطور معانى الكلمات العربية .

كما يرى ضرورة التجديد اللغوى القائم على الاستيعاب للتراث العربى الإسلامى ، والتمسك باللغة الفصحى وأصولها ومع الارتباط بالشخصية وبالثقافة القومية ، وملاءمة روح العصر التقاءً بالإنسانية عامة ، وابتكارا لأشياء جديدة .

إن هذا الكتاب الصغير الحجم ، الكبير المضمون ، الذى يحمل نظرية جديدة فى اللغة ، هى نظرية (التطعيم الإيقاعى فى الفصحى) ، لجدير أن يأخذ مكانه فى مجال البحوث اللغوية واللسانية الحادة ، ليسير البحث اللغوى على هداه إلى خطوات أوسع ، وميادين أرحب ولتنال الفصحى ـ بهذا التجدد والتأثر والتأثير ـ مكانها الرفيع الخالد دائما بين مختلف اللغات العالمية .

والأستاذ البشير الذى بدأ اتجاهه إلى الأدب والكتابة والشعر منذ عام ١٩٤٧ وهو فى السادسة عشرة من عمره ، والذى أثار من قبل قضية اللغة ومشكلة الكتابة فى كتابه القيم « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » الصادر عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٧١ ؛ والذى اختار دائما الفصحى لغة للأدب الرفيع ؛ والفكر المتجدد ؛ إذ لم تكن الفرنسية بالنسبة له إلا إداة لإثراء كتاباته بالفصحى محتوى ونهجا ؛ ينادى دائما بأن الفصحى فى جوهرها هى لغة شعبية تطورت على أساس أنها لغة الحياة ، وأن اللغة وخاصة الفصحى لم تتطور بالألفاظ والمعانى فحسب ، بل بالإيقاع الذى لم يعتبره القدماء أمرا هاما ، وأصبح اليوم مسألة جوهرية فى علم اللسانيات الحديث .

مرحباً بالكتاب ، وتقديراً لمؤلفه على هذا البحث العميق الجاد ، الذى وصل إلى نتائجه بعد تفكير دقيق طوال خمسة عشر عاماً ، سوف يثرى البحوث اللغوية ولا ريب ، وسينهض باللغة ويسمو بمستواها إلى المنزلة اللائقة بمكانتها كلغة إنسانية عالمية ، وكلغة حملت رسالة سماوية جليلة ، هى القرآن الكريم .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

بكاء الديار
وبكاء الممالك والأعصار

للأستاذ / السيد حسن قروت

مازلت اقول : إن الشعر الباكى فى سبيل الديار وما حدث لها من صروف الزمان اشهى إلى النفس من الشعر الباكى لأجل سقوط الممالك والاستيلاء على المدن الكبيرة . لأن الأول يدخل فى مجال الوفاء والآخر يدخل فى حظيرة الذل والفشل والاستخذاء . واقرا معى لشاعر جاهلى يبكى دار من احب واثر الدموع على عينيه حين ينظر فهو يقول :

نظرت كأنى من وراء زجاجة
إلى الدار من فرط الصبابة أنظر

فعيناى طورا تغرقان من البكا
فأعشى ، وطورا تحسران فأُبْصِرُ

ثم اقرأ لشاعر إسلامى أندلسى يبكى سقوط طليطلة فى يد الأعداء حيث يقول :

لثكلك كيف تبتسم الثغور
سروراً بعدما يئست ثغور ؟

لقد خضعت رقاب كن غلباً
وزال عتوها ومضى النفور

وهان على عزيز القوم ذل
وسامح فى الحريم فتى غيور

طليطلة أباح الكفر منها
حماها ، إن ذا نبأ كبير

فالشاعر الجاهلى يعبر عن شوقه إلى دار محبوبته ، والشاعر الإسلامى يبكى مصرا من أمصار الأندلس كان متيما بأصحابه الشجعان ثم زالوا وقام مقامهم أذلاء هان عليهم الدفاع عن الأرض والعرض والدين

←

ونحن مع وفاء الأول فى ارتياح ومع مذلة الآخر فى انزعاج .

وحين دخل طارق بن زياد الأندلس سنة ٩٢ هـ بجنود أغلبهم من البربر ، وكان هو من البربر ويفتح الأندلس بأمر من سيده القائد العظيم موسى بن نصير وهو من الموالى تعجب من خطبته العظيمة بما حوت من معان جليلة وأساليب رائعة وفهم عميق لنفسيات المحاربين ولا تجد صدى لهذا الفتح المبين فى نفوس شعراء العرب فى ذلك الزمان ، زمان بنى أمية فى عز سلطانهم وإقبال الدنيا عليهم زمن الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان ثم عمر بن عبد العزيز .

ويظهر أن فتح الأندلس رج الخلافة فى دمشق والعرب فى الشرق والغرب ، وكانت الدعاية لها قوية فإذا بأكرم العرب أصولاً يؤمونها متنافسين ، فحوت من العدنانيين « خندف » ومنهم قريش ، ومن قريش حل بها من بنى هاشم جماعة كلهم من ولد إدريس ابن عبد الله الحسنى العلوى ، ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد سقوط دولة بنى أمية ، ومن قريش أيضاً بنو مخزوم ونزل بهم من قحطان الأزد ومنهم الشاعر محمد بن هانىء ، ويخيل إلىَّ أن الأنصار سكان المدينة المنورة من الأوس والخزرج نزحوا جميعاً إلى الأندلس . يقول ابن سعيد : والعجب أن تعدم هذا النسب بالمدينة وتجد منه بالأندلس فى أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة .. ولقد أخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة « الأنصار » فلم يجد منه إلا شيخاً من الخزرج وعجوزاً من الأوس . قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالأندلس فى شرقها وغربها . وناهيك أن بنى الأحمر وهم ملوك الأندلس بغرناطة وهم من نسل الصحابى قيس ابن سعد بن عبادة الخزرجى ، قد حلوا بها وقد حكموا من سنة « ٦٦٧ ـ ٨٩٧ » هـ وهم الذين سلموا الأندلس إلى أعداء العرب والإسلام . روت كتب التاريخ أن أبا عبد الله ابن أبى الحسن آخر ملوك بنى الأحمر لما خرج فى حاشيته قاصدا بر العدوة من أرض المغرب العربى لآخر حياتهم بالأندلس سمع إطلاق المدافع مؤذنة بالفتح فبكى ، فقالت له أمه عائشة تلك الكلمة الخالدة : « عليك أن تبكى بكاء النساء ما عجزت أن تدافع عنه دفاع الرجال » . والغريب فى الأمر أنه منذ أن سقط الحكم الأموى المروانى وشعراء الأندلس يبكون الأمصار والدول المنقرضة والممالك الزائلة فكأن أهل الأندلس منذ عصر عبد الرحمن الناصر « ٣٠٠ ـ ٣٥٠ » هـ فقدوا الحمية والنخوة وحب القتال ، فكل أمورهم كان التوجه إلى شمال أفريقية يستنجدون الملوك والأمراء لينقذوهم من أعدائهم الذين يهجمون عليهم من الشمال والشمال الشرقى .

قلنا إن الفتح تم على يد غير العرب من المسلمين والقيادة كانت لغير العرب طارق بن زياد وموسى بن نصير وأبنائه ، فلما كانت فى يد العرب ولاة وأمراء اختلفوا وتصارعوا وظهرت القيسية واليمانية ، وكل عوارض الأدواء من الفرقة والفخر بالأنساب والأحساب ، وكان لعبد الرحمن الداخل وبنيه جهدهم الرائع فى صيانة الأندلس والدفاع

عنها حتى سقطت دولتهم ، وبقى الخصام وسل الحسام هى لغة التعارف بين العرب إلى أن تركوها غنيمة لأعدائهم وأعداء الإسلام .

قالوا إن الفرنجة حين رأوا الشجاعة من المسلمين والعرب نصحهم كبيرهم بقوله : إن المسلمين اليوم كالسيل يجرف كل ما صادفه فاتركوهم حتى يملأوا أيديهم من الغنائم ويركنوا إلى الترف ، وأول هزيمة لحقت المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقى كانت حين انتصروا فتسابقوا إلى الغنائم فهجم عليهم قائد الفرنجة فاجتاحهم وهزمهم وتسمى هذه المعركة معركة بلاط الشهداء ، وكانت سنة ١١٤ هـ ، على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك .

وأنا لا أؤرخ لفتح الأندلس وولاته ولكنى أتحدث عن شعر قيل حين نكبت الأندلس مصراً بعد مصر ودولة بعد دولة حتى انتهى الأمر بفجيعة لا تنسى أبد الدهر .

ومن أشهر ما قيل فى رثائهم قول الشاعر (أبى البقاء صالح بن شريف الرندى) قال :

لكل شىء إذا ما تم نقصان
فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
مَنْ سَرَّهُ زمن ساءته أزمان

ومنها :

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران

وهذه القصيدة التى تملأ القلوب أسى ، وتبعث الدموع دماً ، فراجعها فى مظانها إن أحببت ، ومن العجيب أن العرب منذ دخلوا الأندلس إلى أن خرجوا منها وهم فى حرب لا تنطفىء لها نار ، ولا يضعف لها أوار ، ومع ذلك لا نرى لها شعراً حماسياً كالذي نراه فى شعر المشارقة فى وصف الحروب والزحف والانتصار ، ولولا شعر ابن هانىء فى مدائح المعز لدين الله الفاطمى لخلا شعر الأندلس من شعر الحماسة وما يصوره من انطباع الواقع على قلوب الشعراء ، ولئن فقد الشعر الحماسي الأندلسي في فتح الأندلس ، وفى انتصارات عبد الرحمن الناصر ، فإن شاعراً مصرياً انفعل بفتح الأندلس وراعته بطولة طارق بن زياد فنظم قصيدة تعد من عيون الشعر العربى فى عصرنا الحديث هو (على محمود طه) رحمه الله يقول فى مطلعها متحدثاً عن القائد وجنوده :

أشباح جن فوق صدر الماء
تهفو بأجنحة من الظلماء ؟
أم تلك عقبان السماء وثبن من
قنن الجبال على الخضم النائى ؟
لا ، بل سفين لُحْنَ تحت لواء
لِمَنِ السفينُ تُرَى وأى لواء ؟
ومن الفتى الجبار تحت شراعها
متربصا بالموج والأنواء ؟
يعلى بقبضته حمائل سيفه
ويضم تحت الليل فضل رداء

ويسير على النهج واصفا السماء والبحر والمدائن ، والبدوى الذى تعلم ركوب البحار ويخاطب البطل :

يابن القباب الحُمر ويحك من رمى
بك فوق هذى اللجة الزرقاء ؟

ويصف موقف القائد من جنوده حين أحرق السفن وحضهم على الجهاد فيقول :

ووقفت والفتيان حولك وانبرت
لك صيحة مرهوبة الأصداء

هذى الجزيرة إن جهلتم أمرها
أنتم بها رهط من الغرباء
البحر خلفى والعدو إزائى
ضاع السفين إلى الطريق ورائى
وتلفتوا فإذا الخضم سحابة
حمراء مطبقة على الأرجاء

ويقول عن الانتصار والانطلاق نحو الأمصار والاستعداد للبناء والاستقرار :

وأتى النهار وسار فيه طارق
يبنى لملك الشرق أى بناء

هذا الشعر الحماسى يرتفع بنا إلى العصور الزاهرة فيقف جنبا إلى جنب بجوار أبى تمام فى قصيدته البائية التى كانت صدى لفتح عمورية بقيادة الخليفة المعتصم العباسى ، وتأخذ معانيها من خطبة طارق حين الغزو .

وهكذا ترانا لا ننسى أمجادنا ونربط الماضى بالحاضر والمستقبل .

وإذا كانت الأندلس أبكتنا لسقوطها ، ولم ننس ما قدمت للبشرية من حضارة وثقافة ، فإننا فى العصر الحاضر نبكى أرضا عربية سلبها الاستعمار الاستيطانى والعيون تنظر والعقول تفكر ، تلك الأرض هى فلسطين ، وقد سقطت فى يد اليهود ، بنى إسرائيل ، الصهاينة ومنذ ١٨٩٧ والصراع دائر بين العرب وتطلعات الاستعمار ، ومع فهمنا لحيله وأحابيله فإن الضعف أزرى بنا فوقعنا فيما يملأ القلوب أسى وألما ، ويترك فيها ضغينة تدعو إلى القول والعمل ، وكم قال شعراؤنا فى النكبة والنكسة ، ومازالوا يقولون ، وصارت فلسطين وصمة عار فى جبين العالم أجمع ، وعلامة بارزة على إخفاق العصر الحديث فى مبدأ تقرير المصير ، ولقد قامت مصر العربية الإسلامية بواجبها فى الدفاع عن الذمار فخاضت أربع حروب دفاعاً عن فلسطين والحق العربى .

وأنا أتحدث عن الشعر الباكى على عيون فلسطين أجد شعرا كثيراً ودواوين من شعر الحماسة وشعر البكاء ، وهو شعر فصيح صريح العروبة يحرض وينهض دليلا على إيمان قائله ، وأخذه بأساليب الشعر الحديث - راجع شعر شعراء فلسطين .

وأنا فى هذه العجالة أقدم لك شعرا باكياً أصيلاً قاله شاعر فلسطين أبو سلمى واسمه عبد الكريم الكرمى من مواليد «طولكرم» من بلاد الضفة الغربية لنهر الأردن سنة ١٩١٧ - اشتغل محاميا بعد تخرجه فى كلية الحقوق بالقدس أيام الانتداب البريطانى على فلسطين وكان مكتبه بمدينة « حيفا » حتى سنة ١٩٤٨ سنة النكبة وتحول من محام إلى مدرس لغة عربية بدمشق وله « ديوانان من الشعر » هما : « الشرد » و« أغنيات بلادى » والقصيدة التى نقدمها إليك هى قصيدة « بعد النكبة » وهى تحدثنا عن حنينه لوطنه وشوقه إلى ترابه ، ذلك الوطن الذى فى ظله عاش الأجداد والرسل ، ثم صار أبناء الوطن مشردين ليحل محلهم فى ديارهم قوم غرباء ينعمون بخيراته ، ويعيش أصحابه فى خيام تهب عليهم الرياح فيتعرضون للآلام والأسقام ، ثم إن القسوة تبدو فى تقاذفهم فى بلاد غير بلادهم فلا يعرفون رحمة راحم ولا شفقة مشفق ، فهم كعصا كسرت فصارت شظايا ، والشاعر يحمل همهم ونكبتهم كأنه طيف ثأر والوطن طلل ، ثم ينادى أبناء الوطن ليقوموا بواجبه لا يخشون الاستعمار ولا عملاء الاستعمار ، وإليك نص القصيدة وتقع فى أحد عشر بيتاً :

زحفتُ ألثم أرضى وهى باكية
والقلب باك وراحت تنتشى القُبَلُ

وعدت أنشق من عطر التراب هوى
فى ظله التقت الأجداد والرسل

أهلى على الدهر تدمينى جراحهم
فى حبهم يتساوى العذر والعَذَل

خيامهم فى مهب الريح معولة
ودورهم من وراء الدمع تبتهل

تقاذفتهم دروب العمر دامية
وأنكرتهم ربوع الأهل والملل

فى كل أرض شظاياهم مشردة
وتحت كل سماء معشر ذلل

أطوف أحمل أنّى سرت نكبتهم
كأننى طيف ثأر والحمى طلل

يافتية الوطن المسلوب هل أمل
على جباهكم السمراء يكتمل ؟

أنتم بنو الشعب لا الطغيان يرهبكم
ولا زعيم على الشيطان يتكل

يبنون أمجادها والخالد رقرقها
كأنما هى بالأيام تتصل

إن الطريق إلى العلياء مظلمة
ولن يضل وفى أيديكمُ الشعل

وهى أبيات صارخة كما ترى ، ففيها تحية الوطن باللثم والتقبيل والبكاء ، وفيها حديث المشردين ، ثم موقفه هو من الغاصبين ، والدعوة إلى تحرير الوطن ، والشاعر موفق فى التعبير عن نكبة فلسطين ، وتحس الصدق فى أدائه وأثر العاطفة فى صوره وخياله وطرائق تعبيره .

وبجانب ذلك تحس بثقافته العربية ففى البيت :

أطوف أحمل أنى سرت نكبتهم
كأننى طيف ثأر والحمى طلل

ففى « طيف ثأر » إشارة إلى معتقدات العرب فى الجاهلية فإنهم أو بعضهم كانوا يعتقدون أن كل مقتول يخرج من رأسه طير يسمى « الصدى » يصيح طالبا للثأر ولا يسكت عن الصياح حتى يؤخذ بثأر القتيل يقول شاعر العرب الجاهلى :

ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامةُ : اسقونى

و« الهامة » هى « الصدى » فهما لشىء واحد هو الطائر الذى تحدثنا عنه .

وقد يؤخذ على الشاعر رضوخه للقافية فلا يطبق المفصل فى التعبير عن مقصده كما فى قوله :

أهلى على الدهر تدمينى جراحهم
فى حبهم يتساوى العُذْر والعَذَلُ

فجمعه بين « العذر والعذل » غير موفق فيه ، إذ لا يلام الإنسان على حبه أهله ، وقديماً عابوا على الكميت قوله يمدح النبى ﷺ :

إلى السراج المنير لا
تعدل بى رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع
الناس إلى العيون وارتقبوا .
وقيل أفرطت ، بل قصدت ولو
عنفنى القائلون أو ثلبوا

فقالوا : من هذا الذى يقول له فى مدح النبى ﷺ أفرطت أو يعنفه أو يثلبه أو يعيبه ..؟ وهذا خطأ منه وجهل بمواقع المدح .

البقية ص ٦٦٩

الذوق العربي

وظاهرة الانسجام الصوتي في ضوء معطيات علمي الصرف والأصوات

تقديم :

حظيت الدراسات الصوتية حديثا بنصيب موفور من العناية لما لها من اهمية ومكانة بين فروع علم اللغة .

وقد ادرك علماء العربية قديما هذا اللون ، فدرسوا اصوات العربية دراسة واعية غطت جانبيها : الفوناتيكى والفونولوجى قدر الطاقة ، ووفق الإمكان ، ووصلوا إلى حقائق كثيرة اشاد بها علماء الأصوات المحدثون[1] ، ولا سيما فى ميدان فسيولوچية الصوت اللغوى ، إذ فصلوا القول فى صفات الحروف ومخارجها ، والتمايز بينها إلى غير ذلك .

ولم يكن الأمر مقصوراً على الأصوات فحسب ، بل أحاط علماؤنا القدامى جوانب اللغة بسياج من الثراء الفكرى فى شتى الميادين ، ومصداق ذلك ما تذخر به المكتبة العربية من كنوز علمية تطاول بها الأزمان .

وقد كان لهذا الثراء الفكرى اللغوى أثره فى الحفاظ على هذه اللغة سويّة معطاءة عبر العصور ، راصدا بين يدى أهلها وناطقيها خصائصها وسماتها من جانب ، وكاشفاً اللثام عن ملامح الذوق العربى ومعالمه من جانب آخر .

والمقصود بالذوق[2] العربى ـ هنا ـ

(١) الأصوات اللغوية : د / أنيس ص ١٢١ ط ٦ الأنجلو سنة ١٩٨١ م ، التجويد والأصوات : د / نجا ص ٨ السعادة سنة ١٩٧٢ م ، البحث اللغوى عند العرب : د / عمر ص ١٠١ ـ ١٠٦ ط ٤ عالم الكتب سنة ١٩٨٢ م .

(٢) الذوق : قوة مثبتة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم . انظر : التعريفات للجرجانى ص ١١٢ لبنان سنة ١٩٦٩ م .

للدكتور/عبد المنعم عبد الله محمد

الطبع[٣] ، أى منهج العربى ومسلكه فى معالجته للغته ، وقد كان له أثره فى صياغة القوالب ، والتأليف بين لبناتها ، حتى أضحت اللغة مرآة صادقة لذويها ومجتمعها ، وليس أدل على هذا من إمكانية التعرف على ملامح أمة من خلال معجم ألفاظها .

وفكرة هذا البحث هى بيان ملامح الذوق العربى فى ضوء ظاهرة الانسجام الصوتى ، وغير خاف عليك أن علوم العربية جميعها جديرة بإبراز ملامحه ومنهجه ، فعلوم البلاغة والأدب والنقد ـ مثلا ـ تفصح عن رقته ، ومدى خصُوبة خياله ، وحضارته وعالميته ، كما أن علم النحو يكشف عن مدى دقته وشغفه باللغة ، وحرصه عليها .

أما علما الصرف والأصوات ـ ميدان الدراسة ـ فهما خير دليل على سماته فى صوغ الأبْنية وسبكها ، إذ يفصحان عن مدى سلاسته ومرونته ، ومواكبته للتيسير ، وجنوحه للتخفيف ، متوخيا السهولة والاقتصاد ، وخير دليل على ذلك ظاهرة الانسجام الصوتى بين نسيج الكلمة .

ولعل من الأمور التى دفعتنى لدراسة هذه القضية ما صادفته من تعليلات صرفية وصوتية بين ثنايا تراثنا اللغوى تكشف غموض كثير من قضايا البنية اللغوية ، وجلها تعليلات منطقية مقبولة ، صدرت من معين يكاد يكون واحدا هو مراعاة التخفيف والتآلف بين مكونات الصيغة لتحقيق الانسجام الصوتى ، مما يدل على أن الخفة هى منهج البناء اللغوى العام[٤] .

ومن ثم كانت معالجتى لهذه الظاهرة فى محاولة لبيان ملامح الذوق العربى فى إطارها ، ومدى حرصه على أن تبدو الصيغة العربية منسجمة الأصوات ، متآلفة المقاطع ، مرنة فى النطق ، سيّالة فى الأداء ، واضحة فى السمع .

وكان مسرح هذه الدراسة معطيات علمى الصرف والأصوات ، لأنها البيئة الطبيعية لمادة البحث ، فقضايا الإعلال والإبدال والإدغام وغيرها قضايا صرفية وصوتية فى آن ، كما أن تعليلات اللغويين لبيان ما تم من تفاعل داخلى بين نسيج الكلمة وثيقة الصلة بنظرية إحداث الحروف[٥] فى علم الأصوات ،

←

(٣) المنجد فى اللغة : المعلوف ، مادة (ذوق) ص ٢٤١ بيروت الطبعة الجديدة سنة ١٩٦٠ م .

(٤) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى : د / عبد الغفار هلال ص ٧١ وما بعدها دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٩ م .

(٥) التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب : هنرى فليش (بحث منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٣/٥٨) الهيئة العامة سنة ١٩٦٨ م .

تلك التى تحدد مخارج الأصوات وتبين صفاتها وفق كيفية تكوينها وإصدارها ، مما يؤكد قوة العلاقة بين علمى الصرف والأصوات ، فضلا عن علاقة علم الصرف الوطيدة بجل العلوم اللغوية ، « فما انتظم عقد علم إلا والصرف واسطته ، ولا ارتفع مناره إلا وهو قاعدته »[٦] .

وقد قام هذا البحث على منهج يتضمن الخطوط الرئيسية التالية :

أولا : بيان حقيقة الانسجام الصوتى ، ودلالته على ملامح الذوق العربى ، وتأصيل الظاهرة لدى القدامى ، وتحديد موقعها فى الدراسات اللغوية قديما وحديثا ، وما توحى به من ترابط بين علوم العربية بصفة عامة ، وعلمى الصرف والأصوات بصفة خاصة .

ثانياً : مناقشة الوسائل المتنوعة لتحقيق ظاهرة الانسجام الصوتى مع عرض لقضية المماثلة باعتبارها من أهم وسائلها ، مع توضيح أسس المماثلة وأنواعها ، وثمرتها فى ضوء النماذج التحليلية ، والأمثلة التوضيحية .

ثالثا : توضيح أثر ظاهرة المخالفة فى تحقيق الانسجام الصوتى مع عرض لصورها ، وتجلية لملامحها وجدواها فى ضوء معطيات علمى الصرف والأصوات .

رابعا : خاتمة تتضمن بعض النتائج التى تمخضت عنها تلك الدراسة ، مع الإشارة إلى بعض التوصيات فى ميدان الدراسات الصرفية والصوتية .

أولا : الانسجام الصوتى ماهيته ، ودلالته ، وأصالته وموقعه من الدراسات اللغوية

١ - الانسجام الصوتى : ماهيته ودلالته على ملامح الذوق العربى

تطالعنا مادة (س ج م) بين ثنايا المعاجم العربية[٧] دالة على التدفق والسيلان ، يقال : سجم العين والدمع ، والماء يسجم سجوما وسجاما ، إذا سال ، ودمع ساجم ومسجوم ، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم ، إذا انسجم ، أى : انصب .. وانسجم الكلام : انتظم .. والانسجام مصدر انسجم ، وهو فى عرف البديعيين « أن يكون الكلام خاليا من التعقيد ، سهل التركيب ، عذب الألفاظ ، بعيدا عن التكلف ، له فى القلوب وقع ، وفى النفوس تأثير »[٨] .

وفى عرف اللغويين المحدثين[٩] هو « عبارة

(٦) شذا العُرف فى فن الصرف : الشيخ الحملاوى ١٥ ط ١٢ سنة ١٩٥٧ م .

(٧) أساس البلاغة ص ٢٠٣ دار المعرفة سنة ١٩٨٢ ، اللسان مادة (س ج م) ط دار المعارف ، القاموس المحيط ١٢٧/٤ الحلبى مختار الصحاح ص ٢٨٧ دار المعرفة ، المعجم الوسيط ٤٣٣/١ ط ٣ اوفست شركة الأعلانات الشرقية ، المعجم الوجيز ص ٣٠٣ ط ١ دار التحرير .

(٨) المنجد فى اللغة ص ٣٢٢ .

(٩) الأصوات اللغوية : أنيس ص ١٧٨ ، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية : د / علية عزت ص ٢٥ دار المريخ .

عن تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض تأثرا يهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة أو المخالفة ، تحقيقا لتيسير النطق والاقتصاد فى الجهد العضلى » .

وفى ضوء ما تقدم تتضح العلاقة بين المفهومات المتنوعة لحقيقة الانسجام ، فهناك عموم وخصوص وجهى ، إذ أن المعنى المعجمى مضروب بين المعجميين والبلاغيين واللغويين ، وينفرد البلاغيّون بوسائل خاصة لتحقيقه تختلف عن مسالك اللغويين ، ولا غروفى هذا فلكل وجهته ومنهجه ، والهدف فى نهاية المطاف يكمن فى التآلف والتناسق سواء بين لبنات الكلمة أو الكلام .

وعلى هذا فالانْسجام الصوتى أمر يلحظ عند الأداء للفظ أو لجملة الكلام ، إذ أنه وليد التفاعل الذى يحدث فى ضوء تجاور الأصوات على صعيد الكلمة الواحدة فى صورة قلب أو إبدال أو إدغام ، أو ما شاكل ذلك من القضايا الصرفيّة ، أو بين صوتيْن يمثل أحدهما نهاية كلمة ، والثانى بداية أخرى ، ومن نماذج ذلك أحكام النون الساكنة فى السياق سواء فى كلمة أم فى كلمتَيْن .

ويمكن توضيح مفْهوم اللغويين للانسجام الصوتى وبيان دلالته على ملامح الذوق العربى فى ضوء بعض الحقائق الصرفية والصوتّية الآتية :

١ ـ قرر الصرفيون[١٠] قلب تاء (افْتَعل) دالاً ، إذا كانت الفاء زايا أو دالا أو ذالا ومن ثم قيل فى (زجر ، دان ، ذكر) : ازدجر ، ادان ، اذدكر ، والأصل (اذتجر ، ادتان ، ازتكر) .

ولا يخفى مدى الصعوبة والثقل وعدم التآلف بين نسيج الصيغة على تلك الهيئة ، ومرجع ذلك فى ضوء علم الأصوات التخالف بين صفات حروفها ، فالتاء حرف مهموس ، والزاى والدال والذال من الحروف المجهورة ، وهنا نلمح خصائص الذوق العربى إذ اقتضت قلب التاء دالاً ، ليتحقق الانسجام الصوتى بين لبنات الصيغة فى سهولة النطق ، وسلاسة الأداء ، وللمبالغة فى تحقيق ذلك كان الادغام فى الصيغة الثانية (ادان)[١١] ، كما وردت الصيغة الثالثة (اذدكر) على ثلاث صور[١٢] ، بالإظهار ، والإدغام مع تشديد الدال المهملة ، والإدغام مع تشديد الذال المعجمة ، وذلك إمعانا فى التيسير والاقتصاد فى الجهد العضلى مما هيأ الانسجام الصوتى بين ربوع البنْية اللغوية .

←

(١٠) الكتاب ٤/٤٦٩ ـ ٤٧١ تحقيق هارون ، الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧ م ط ٢ ، شرح المفصل : ابن يعيش ١٠/٤٨ ـ ٤٩ الطباعة المنيرية ، سر الصناعة : ابن جنى ١/٢٠٠ ـ ٢٠٢ البابى الحلبى ط ١ سنة ١٩٥٤ ، الممتع : ابن عصفور ١/٣٥٦ ـ ٣٥٨ تحقيق قباوة ط ٤ بيروت سنة ١٩٧٩ م .

(١١) قلبت التاء دالا ، ثم ادغمت الدال فى الدال لوجود المثلين وسكون أولهما .

(١٢) (اذدكر ـ ادّكر ـ ادّكر) والصورة الأولى ـ الإظهار ـ حكاها أبو عمرو ، انظر : الخصائص : ابن جنى ٢/١٤٢ تحقيق النجار ، دار الهدى ـ بيروت ط ٢ ، شرح المفصل ١٠/٤٩ ، وايضاً ص ١٥٠ .

٢ ـ قرر علماء الأصوات والأداء القرآنى كثيرا من الأحكام التى يمكن تعليلها فى ضوء ظاهرة الانسجام ، ومن ذلك أحكام النون الساكنة ، وسأسوق إليك نموذجين يوضّحان حقيقة هذه الظاهرة ومدى دلالتها على ملامح الذوق العربى :

(أ) **الإخفاء** :[١٣] للنّون الساكنة إذا وليها صوت من الأصوات الآتية : (الصاد ـ الذال ـ الثاء ـ الكاف ـ الجيم ـ الشين ـ القاف ـ السين ـ الدال ـ الطاء ـ الزاى ـ الفاء ـ التاء ـ الضاد ـ الظاء) .

والإخفاء فى عرف علماء القراءات[١٤] « هو النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة[١٥] فى الحرف الأول » .

ويعلل علماء الأصوات النطق بالحرف على هذه الهيئة بأنه محاولة للتقريب بين الأصوات المتجاورة ، إذ أن هناك تخالفا وبعدا بين النون الساكنة والأصوات المذكورة ، فليست بالقريبة منها القرب الذى يوجب الإدغام ، وليست بالبعيدة البعد الذى يوجب الإظهار ، ومن ثم كان التوسط بين الإظهار والإدغام فى صورة الإخفاء ، فصارا لا مدغمين ولا مظهرين[١٦] ، وفى ظل تلك الهيئة بدت الصيغة سهلة فى النطق يسيرة فى الأداء .

ومن الشواهد القرآنية التى تحققت فيها هذه الظاهرة ما ورد فى كلمة واحدة ، ومنها ما ورد فى كلمتين : فمن الأول ـ (النون مع الصاد) فى قوله تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾[١٧] وكذلك (النون مع التاء ، والذال) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾[١٨] .

ومن الثانى ـ (النون مع الدال) فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[١٩] وهكذا حقق نطق الحرف على هيئة بين الإظهار والإدغام انسجاما صوتيا بين حروف الكلمة وألمح إلى طبيعة الذوق العربى واتجاهاته فى هذا الميدان .

(ب) **الإقلاب** :[٢٠] وهو فى اصطلاح علماء القراءات « قلب النون الساكنة

(١٣) الإخفاء لغة : هو الستر ، تقول : أخفيت الشىء ، أى : سترته .

(١٤) سراج القارىء المبتدىء : للعذرى ص ١٠١ وما بعدها ، البابى الحلبى ط ٣ / ١٩٥٤ ، النشر فى القراءات العشر : ابن الجزرى ٢٧/٢ اوفست المثنى ببغداد ، الإتقان فى علوم القرآن : السيوطى البابىّ الحلبى ط ٤ سنة ١٩٧٨ م ، المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية : للقارى ص ٤٩ البابى الحلبى سنة ١٩٤٨ م .

(١٥) الغنة : صوت لذيذ مركب فى جسم النون والميم الساكنتين .

(١٦) النشر ٢٧/٢ ، شرح المفصل ١٤٥/١٠ .

(١٧) آل عمران ١٦٠ .

(١٨) النازعات ٤٥ .

(١٩) هود ٦ .

(٢٠) الإقلاب لغة : تحول الشىء عن وجهه ، انظر : النشر ٢٦/٢ ، نهاية القول المفيد : مكى ص ١٢٢ البابى الحلبى سنة ١٣٤٩ هـ .

والتنوين ، ميما قبل الباء مع مراعاة الغنة والإخفاء » وله حرف واحد هو الباء .

ومن شواهده القرآنية قول الله تعالى : ﴿ قالت من أنبأك هذا ﴾[٢١] إذ اجتمعت النون الساكنة والباء ، فاقتضت طبيعة الذوق العربى قلب النون ميما ، وذلك للتنافى الموجود بين النون الساكنة والباء من حيث المخرج والتحكم فى مجرى الهواء ، فمخرج النون من طرف اللسان ، وغنّها يستدعى خروجها من الخيشوم[٢٢] ، والباء من الشفتين ، كما أن النون حرف أغن يستدعى إصداره استمرار تسرب الهواء ، أما الباء فحرف شديد يتطلب إصداره إغلاق مجرى الهواء .

ومن ثم أبت خصائص الذوق العربى إلا الإتيان بحرف يجمع صفة المتنافيين ، فكان قلب النون ميما خير وسيلة لتحقيق التماثل والانسجام ، إذ اتفقت الميم مع الباء فى المخرج ، ومع النون فى الغنة[٢٣] .

ومن النماذج السابقة يستبين لنا أن التماثل بين لبنات الكلمة وسيلة رائدة فى تحقيق الانسجام الصوتى ، غير أنها ليست الوحيدة فى هذا الميدان ، فهناك غيرها ، كالمشابهة أو المضارعة ، وكذلك الإمالة ، وأيضاً المخالفة إلى غير ذلك كما سيأتى .

ومن نماذج المشابهة أو المضارعة ما قدره سيبويه[٢٤] من مضارعة الصاد الساكنة للزاى إذا وقعت قبل الدال فى مثل (مصدر ، أصدر ، التصدير) وعلة المشابهة هنا التقريب ، إذ أن الصاد حرف مطبق مهموس رخو ، والدال حرف منفتح مجهور شديد ، فالتنافى موجود بين المتجاورين ، ومن ثم أشربت الصاد شيئاً من الزاى لجهرها ، فصارت بين بين ، أى حرفا مخرجه بين المخرجين ، لئلا يذهب صوت الصاد البتة كراهية الإجحاف بها للإطباق ، وليس وراء ذلك من سبب إلا التخفيف والتيسير ، وعلى حد تعبير سيبويه « ليكون عملهم من وجه واحد ، وليستعملوا السنتهم فى ضرب واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام » .

وفى هذا دلالة على طبيعة الذوق العربى ومَنْهَجه وتَنَوّع وسائله فى مراعاة الانسجام الصوتى ومن هذه الوسائل ما يسمى بالمخالفة كما سيستبين لنا على امتداد البحث ، ومن نماذجها قلب النون فى صيغة (دنار) ياءً حيث صارت (دينار)[٢٥] ، وذلك تيسيرا لعملية النطق ، وتجنبا للصعوبة الكامنة فى نطق المثلين .

وهكذا يتبين لنا مفهوم ظاهرة الانسجام ، ومدى دلالتها على الذوق العربى ، وتنوع وسائلها ، مما يدل على أصالتها ، وجذورها الضاربة فى أعماق تراثنا اللغوى ، وهذا ما سنلقى عليه الضوء .

(٢١) التحريم ٣ .

(٢٢) العين : ٦٥ ، الكتاب ٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤ ، النشر ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢٣) الأصوات اللغوية : ١٨٦ ، التجويد والأصوات : نجا ١١١ .

(٢٤) باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه . انظر : الكتاب ٤/٤٧٧ ، الخصائص ٢ / ١٤٤ .

(٢٥) انظر : الكتاب ٣/٤٦٠ ، ٤/٢٣٩ ، الممتع ١ / ٣٧١ .

٢ ـ الانسجام الصوتى : أصالته وموقعه فى تراثنا اللغوى

ألمحت أمهات تراثنا اللغوى إلى ظاهرة الانسجام الصوتى ، ومدى اعتداد الذوق العربى بها ، ومعالجته للبنْية اللغوية فى ضوئها ، وإليك بعض الإشارات التى تؤكد ذلك من جانب ، وتثبت بما لا يدعُ مجالا للشك أصالة هذه الظاهرة فى شتى فروع الدراسات اللغوية .

فى كتاب العين[٢٦] يشير الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) إلى طبيعة الذوق العربى فى التأليف بين لبنات المادة ، فيقرر أن العين لا تأتلف مع الحاء فى كلمة واحدة ويعلل ذلك « بقرب مخرجيهما » ويستثنى من هذا ما جاء « من جمع بين كلمتين[٢٧] ، مثل حى على » ويستشهد بقول الشاعر :

ألا رب طيف بات منك معانقى
إلى أن دعا داعى الفلاح فحيعلا[٢٨]

أى : قال حىّ على الفلاح : وفى هذا إلماح إلى طبيعة الذوق العربى فى كيفية نسج الكلمات وفى الكتاب[٢٩] يشير سيبويه (١٨٠ هـ) فى مواطن متعددة ومتنوعة إلى ملامح الذوق العربى فى ضوء تعليلاته لكثير من قضايا الإبدال والإدغام تحت مظلة التخفيف والانسجام الصوتى ، وليكون عمل اللسان من وجه واحد ، يقول فى باب التضعيف[٣٠] ـ مثلا ـ « اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد ، ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشىء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو ضربَّب ، ولم يجىء فَعَلَّلٌ ولا فَعُلَّلٌ إلا قليلا ، ولم يبنوهن على فُعالل كراهية التضعيف ، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ، ثم يعودوا له ، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا فى موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وأدغموا ، لتكون دفعة واحدة ، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك » .

وفى هذا تجلية لمنهج العرب فى بناء صيغهم ، إذ جنحوا دائما للتيسير ، والاقتصاد فى الجهد العضلى ، وهذا ما أفصح عنه سيبويه ، بل إنه اعتمد فى تعليلاته على ذلك مرارا فى صفحات متتالية من كتابه[٣١] .

وفى البيان والتبيين[٣٢] يشير الجاحظ (٢٥٥ هـ) إلى سلامة الذوق العربى وسلاسته ومنهجه فى بناء الصيغة ، فيقرر أن « الجيم

(٢٦) العين : ٦٨ .

(٢٧) وهذه الظاهرة تسمى ظاهرة النحت ولعل السر فى ذلك الرغبة فى المحافظة على رموز الكلمات المختصرة من جانب ، ولوجود حاجز حصين بين الحاء والغين من جانب آخر وهو الياء .

(٢٨) اللسان : مادة (حعل) والرواية « ألا رب طيف منك بات معانقى إلى أن دعا داعى الصباح فحيعلا .

(٢٩) الكتاب ٤ / ٣٦٥ ، ٤١٧ ، ٤٣٧ ، ٤٦٧ .

(٣٠) الكتاب ٤ / ٤١٧ .

(٣١) الكتاب ٤/٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٣٢) البيان والتبيين ١/٦٩ تحقيق هارون ط ٤ دار الفكر .

لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير ، وهذا باب كبير ، وقد يكتفى بذكر القليل حتى يُستَدل به على الغاية التى إليها يُجرى » وفى موطن آخر يرسم صورة لثمرة التآلف بين الأصوات والكلمات ، وأثر الانسجام بصفة عامة فيقول : « وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان »[٣٣] .

وفى مؤلفات ابن جنى (٣٩٢ هـ) تجد تعليلات رائدة لما يتم من تفاعل بين أصوات الكلمة فى ضوء ظاهرة الانسجام ، مبرزا بها طبيعة الذوق العربى ، وميله إلى اليسر والخفة والاقتصاد فى آن واحد ، وهذا واضح فيما قرره بصدد الإدغام قائلاً : « والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك فى قطّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول فى الثانى حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التى كانت تكون فى الأول لو لم تدغمه فى الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدّة مما زجتها للثانية بها ، كقولك قطْطَع ، وسُكْكَر ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطته بالثانى ، فكان قربه منه ، وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه ، وإلحاقه بحكمه »[٣٤] وفى ضوء ذلك ـ أيضاً ـ صدرت تعليلات ابن جنى لكثير من القضايا الصرفية فى كتابه سر صناعة الإعراب[٣٥] .

ومما لا شك فيه أن ما قرره ابن جنى يدل دلالة واضحة على ملامح ظاهرة الانسجام الصوتى وثمرتها ، حيث التقريب بين الأصوات المتجاورة ، لتحقيق الاقتصاد فى الجهد والوقت مع مراعاة الخفة والسلاسة .

وفى هذا ما يفيد أصالة هذه الظاهرة ، وامتداد جذورها ، وأن العربى جعلها هدفا له فى معالجته لمواد لغته ، حتى أضْحت معلما على ذوقه ومنْهجه فى مراعاة التآلف بين ربوع الصيغة اللغوية .

وفى الصناعتين[٣٦] يشير أبو هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) إلى نتيجة هذا التآلف وثمرته ومدى جدواه ، فليس الشأن فى إيراد المعانى لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى .. وإنما فى جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود[٣٧] النظم والتأليف » .

ولا يخفى أن إشارة العسكرى خير دليل على أصالة هذه الظاهرة ، وموقعها فى ذوق العربى ، ذلك الذى ينسج ألفاظه ويرصف قوالبه فى ضوء الجودة والحسن والبهاء والنزاهة والنقاء والطلاوة ، وصحة السبك إلى غير ذلك .

(٣٣) البيان والتبيين ٦٧/١ .

(٣٤) الخصائص ١٤٠/٢ .

(٣٥) سر الصناعة ٢٠٠/١ .

(٣٦) الصناعتين : ٧٢ تحقيق د /مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت .

وقد أشار إلى ذلك ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) فيما اشترطه لفصاحة الكلمة ، إذا لا تتعدى شروطه هذا الإطار الذى يحدد ملامح الذوق العربى ، ويبين أصالة ظاهرة الانسجام الصوتى ، ولا سيما فى ميدان تكوين البنْية ، وتأليفها من حروف متباعدة المخارج ، وأثر ذلك فى حسنها ورقتها ، مسْتَشْهدا بالألوان ، « فكلما كانت الألوان متباينة ، كانت فى النظر أحسن ، وكذلك الحروف »[٣٧] .

وفى كتاب المفَصَّل يلمح الزمخشرى (٥٣٨ هـ) إلى سمات الذّوق العربى فى عرضه لقضايا الإبدال والإدغام ، مما يوحى بأصالة ظاهرة الانسجام ، وتوخيها فى رصف القوالب اللغوية .

ويصرح ابن يعيش (٦٤٣ هـ) فى شرحه للمفصل[٣٨] بأن الرغبة فى عدم التنافى والبعد عن الصعوبة منهج يكاد يكون مطردا فى معالجة العربى لمادته ، وهذا بدوره ينُمُّ عن ملامح الذوق العربى ، يقول معللا لإدغام المتقاربين : « لأن إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذى رفع عنه ، ولذلك شبه بمشى المقيد ، لأنه يرفع رجله ويضعها فى موضعها الذى كانت فيه ، أو قريبا منه ، فيثقل ذلك عليه ، كذلك اللسان إذا رفعته عن مكان وأعدته إليه أو إلى قريب منه ، ثقل ذلك ، فلذلك وجب الإدغام » .

وعلى هذا فمنهج العربى هو التخفيف ، ينشده بشتى الوسائل ، كأن يقرب بين الحروف أو يبدل بعضها من بعض ، أو يدغم بعضها فى بعض ، أو يلجأ إلى الإمالة أو الترقيق والتفخيم أو الإخفاء ، أو المخالفة أو ما شاكل ذلك مما يدل دلالة صريحة على أصالة ذلك وامتداده على صعيد تراثنا اللغوى .

وهاهو ذا ابن عصفور (٦٦٩ هـ) يطالعنا فى الممتع بعلة قلب التاء دالًا فى صيغة (افْتَعل) متى كانت فاؤها زايا ، بأنهم قربوا أحد الحرفيْن من الآخر ، ليقرب النطق بهما .. لأنها أخت التاء فى المخرج والشدة ، وأخت الزاى فى الجهر »[٣٩] .

وبين ثنايا كتب القراءات والتجويد نلْحظ أن الأحكام الأدائية للقرآن الكريم تفصح عن طبيعة الذوق العربى بجلاء ، إذ لا تخرج عن دائرة التخفيف ، ومراعاة التيسير والانسجام متمثلة فى السلاسة والاقتصاد ، وهاهو ذا القاصح العذرى (القرن الثامن الهجرى) يكشف عن دواعى الإمالة[٤٠] ، فلا تخرج فى إطارها العام عن مراعاة ذلك كما أن ابْن الجزرى (٨٣٣ هـ) يصف الأصوات العربية ويبينِّ مخارجها ، وينبِّهُ على ضرورة إحكام أدائها مخافة تأثير التجاور بين

(٣٧) سر الفصاحة : ٥٥ : ٨٢ تحقيق / عبد المتعال الصعيدى طبعة أولاد صبيح ١٩٦٩ م ، وانظر : كتاب سر الفصاحة للخفاجى (دراسة وتحليل) د / عبد الرازق أبو زيد ط ١ سنة ١٩٨٢ م مكتبة الشباب ص ٧٥ وما بعدها .

(٣٨) شرح المفصل ١٠ / ١٣١ .

(٣٩) الممتع ٣٥٦/١ ، وانظر : سر الصناعة ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

(٤٠) سراج القارىء : ١٠٢ وما بعدها .

الأصوات ، « لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد ، وذلك ظاهر ، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنُها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقوى وضعيف ، ومفخم ومرقق ، فيجْذب القوى الضعيف ، ويغلب المفخم المرقق ، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حاله إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب[٤١] » .

وهكذا زخرت أمهات تراثنا بالإشارات الواضحة التى رصدت معالم ظاهرة الانْسجام الصوتى ، وأَبانَتْ فى ضوْئها ملامح الذوق العربى ، وكشفت بما لا يدع مجالا للشك أصالة هذه الظاهرة ، وامتداد جذورها فى تراثنا اللغوى بمصادره المتنوعة وروافده المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وأدب ونقد وقراءات .

غير أن التحديد الدقيق لموقع هذه الظاهرة ـ حديثا ـ هو علم الأصوات الفونولوچى ، إذ يعنى بدراسة الصوت فى سياقه ، ويحدد كيفية استخدامه ، ويبرز أثر التجاور بين الأصوات .

وليس معنى ذلك أن هناك فصْلا بين نَمطى الدرس الصوتى : الفوناتيكى والفونولوجى ، فكلاهما لا يمكن أن يستغنى عن الآخر ، بل إن الدراسة الفونولوچية مرتبطة بكيفية إحداث الحروف واصدارها ، وما ينجم عن ذلك من تنوع صفاتها وخصائصها .

ولا يخفى دور علم الصرف كبيئة خصبة لبيان معالم هذه الظاهرة ، ولا غَرْو فى ذلك فالعلاقة وطيدة بين علمى الصرف والأصوات ، بل إن المناهج اللغوية الحديثة تدرس قضايا الصرف فى ضوء علم الصوتيات[٤٢] .

ومما يجدر الإشارة إليه أن وسائل الانسجام الصوتى متعددة ومتنوعة ، وسنعْرض على بساط البحث لوسيلتَيْن منها ، وهما : المماثلة والمخالفة .

(يُتْبَع)



(٤١) النشر ٢١٤/١ : ٢١٥ ، الإتقان ١٢٦/١ .

(٤٢) من ذلك :

* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د / عبد الصبور شاهين .
* المنهج الصوتى للبنية العربية : د / شاهين .
* أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى د / عبد الغفار هلال .
* من وظائف الصوت اللغوى : د / أحمد كشك .
* ظاهرة التنوين فى اللغة العربية : د / المرسى .

رؤية جديدة فى صيغتى المدح والذم

٢

(وذهب سائر الكوفيين إلى أنهما اسمان مبتدآن)[٣٠] ونص على ذلك ابن مالك والرضى[٣١] والشيخ خالد الأزهرى[٣١] والسيوطى[٣٢] والأشمونى والصبان[٣٣] .

ومعنى القول باسمية « نعم وبئس » أنهما مبنيان على الفتح لتضمنهما معنى الإنشاء وهو من معانى الحروف ، وما بعدهما مما هو فاعل ينبغى أن يكون تابعاً لنعم بدلاً أو عطف بيان ، والمعنى : الممدوح الرجل زيد ، ويبقى الكلام فى نحو : نعم رجلا زيد ويحتمل أن يقال إن رجلا تمييز عن النسبة التى تضمنها نعم بمعنى الممدوح من جهة الرجولية زيد .

ويحتمل أنه حال :

ومن قال باسمية نعم وبئس أعربهما مبتدأ وما بعدهما خبر ويجوز العكس[٣٤] وبينما رأيت الأشمونى يذكر أن الكوفيين ـ ماعدا الكسائى ـ يقولون باسمية « نعم وبئس » إذ رأيته وقع فى اضطراب وتناقض قائلاً : ذهب الفراء إلى أن الاسم المرفوع فاعل كقول الكسائى إلا أنه جعل النكرة المنصوبة تمييزاً منقولاً ، والأصل فى قولك : نعم رجلا زيد : نعم الرجل زيد ثم نقل الفعل إلى الاسم الممدوح فقيل : نعم رجلا زيد .

ثم يعلق الصبان على قول الأشمونى « تمييزاً منقولاً » : أى محولاً عن الفاعل ويقول : الظاهر أنه على مذهب الكسائى والفراء أغنى الفاعل عن المخصوص »[٣٥] .

والواقع أننا بعد هذا الخلط الشديد لا نستطيع أن نحدد رأى الكوفيين ، أيقولون باسميه « نعم وبئس » أم يقولون بفعليتهما ؟ كما هو صريح كلام الأشمونى والصبان .

ولعل هذا الاضطراب ما دعا المرادى إلى أن ينقل عن الكوفيين رأياً آخر فيقول : (لا يختلف أحد من النحويين البصريين والكوفيين فى أن « نعم وبئس » فعلان) وإنما الخلاف بينهم بعد إسنادهما إلى الفاعل فذهب البصريون إلى أن (نعم الرجل) جملة فعلية وكذلك : (بئس الرجل) ، وذهب الكسائي إلى أن نعم الرجل وبئس الرجل اسمان محكيان حيث وقعا بمنزلة تأبط شراً وبرق نحره ، فنعم الرجل عنده اسم للممدوح

(٣٠) شرح المفصل ١٢٧/٧ .
(٣١) التسهيل ١٢٦ ـ انظر الأصول ١١٣/١
(٣٢) شرح الكافية ٣١٤/٢ ـ ٣١٥ .
(٣٣) ٢٦/٣٠ .
(٣٤) الصبان على الأشمونى ٢٦/٣ ـ ٢٧ .

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم حامد هلال

وبئس الرجل اسم للمذموم وهما جملتان فى الأصل نقلا عن أصلهما وسمى بهما .

وذهب الفراء إلى أن الأصل فى قولك : نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، رجل نعم الرجل زيد ، ورجل بئس الرجل عمرو ، فحذف الموصوف الذى هو رجل وأقيمت الصفة التى هى الجملة من نعم وفاعلها وبئس وفاعلها مقام الموصوف فحكم لها بحكمه . فنعم الرجل من قولك نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل من قولك بئس الرجل عمرو ، عندهما رافعان لزيد وعمرو كما أنك لو قلت : ممدوح زيد ومذموم عمرو لكان زيد مرفوعاً بممدوح وعمرو مرفوعاً بمذموم .

والذى حملهما على ذلك أنهما رأيا العرب قد حكمت لنعم الرجل وبئس الرجل بحكم الأسماء فى بعض المواضع فحملا على ذلك فى سائر المواضع[٣٦] . وعليه فنعم الرجل مبتدأ ، وبئس الرجل مثله على الحكاية والمرفوع بعدهما خبره ، ونص على ذلك الشيخ خالد[٣٧] والسيوطى[٣٨] .

وبعد هذا العرض التفصيلى لموقف النحاة المضطرب من عرض المذهب الكوفى هل يستطيع الباحث أو القارىء أن يجزم برأي فى هذه المسألة ؟ وهل يمكن القول بأن الكوفيين يقولون باسمية نعم وبئس ، والمرفوع بعدهما بدل والمخصوص المبتدأ عند البصريين يختلف فى إعرابه عند الكوفيين ، على حين تذكر بعض المراجع أن رأي الكوفيين باسمية نعم وبئس بعد الاسناد فهما اسمان محكيان منقولان عن الجملة الفعلية .

وعدم الرجوع إلى كتب الكوفيين الأصلية سبب تعدد الروايات المتضاربة . والآن أريد توضيح المذهب الكوفى كما نصت عليه كتبه الأصلية فأقول : إن الكوفيين لم يختلفوا مع البصريين فيما ذهبوا إليه من فعلية نعم وبئس ، ولم يرد عنهم نص يشير إلى أنهم يقولون باسميتهما ، فالفراء يقول فى قوله تعالى ﴿ فَسَاءَ قَرِينًا ﴾[٣٩] .

بمنزلة قولك : نعم رجلا وبئس رجلا . وكذلك ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[٤٠] و﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾[٤١] وبناء نعم وبئس ونحوهما أن ينصبا ما وليهما من النكرات وأن يرفقا ما يليهما من معرفة غير موقتة ، وما أضيف إلى تلك المعرفة وما أضيف إلى نكرة كان فيه الرفع والنصب .

وإذا مضى الكلام بمذكر قد جعل خبره مؤنثاً مثل : الدار منزل صدق قلت : نعمت ←

(٣٦) توضيح المقاصد والمسالك ٧٦/٣ راجع ارتشاف الضرب ٩٠٦/٢
(٣٧) شرح التصريح ٩٤/٢
(٣٨) همع الهوامع دار المعرفة بيروت ٨٤/٢
(٣٩) النساء ٣٨ (٤٠) النساء ٩٧
(٤١) الصف ٣

منزلا كما قال (وساءت مصيراً) وقال ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٤٢] ولو قيل : وساء مصيراً وحسن مرتفقاً لكان صوابا كما تقول : بئس المنزل النار ونعم المنزل الجنة . فالتذكير والتأنيث على هذا ، ويجوز نعمت المنزل دارك وتؤنث فعل المنزل لما كان وصفا للدار ، وكذلك تقول : نعم الدار منزلك فتذكر فعل الدار إذا كانت وصفا للمنزل . وقال ذو الرمة :

أو حرة عيطل ثيجاء مجفرة
دعائم الزور نعمت زورق البلد

ويجوز أن تذكر الرجلين فتقول : بئسا رجلين ، وبئس رجلين ، وللقوم نعم قوما ونعموا قوما وكذلك الجمع من المؤنث .

وإنما وحدوا الفعل وقد جاء بعد الأسماء لأن نعم وبئس دلالة على مدح أو ذم لم يرد منهما مذهب الفعل مثل : قاما وقعدا فهذا فى بئس ونعم مطرد كثير . وربما قيل فى غيرهما مما هو فى معنى بئس ونعم .

وقال بعض العرب : قلت أبياتاً جاد أبياتا فوحدوا فعل البيوت وكأن الكسائي يقول : أضمر جاد بهن أبياتاً وليس هنا مضمر إنما هو الفعل وما فى معناه[٤٣] وهو يريد أن الفاعل عند الكسائى محذوف وهو (بهن) والباء زائدة والفراء يرى الفاعل ضميراً مستتراً فى الفعل .

والذي ينعم النظر فى هذا النص يرى أن الفراء ـ زعيم الكوفة ـ يتفق مع البصريين فى أن « نعم وبئس » فعلان جامدان ملازمان للإفراد ، والفاعل يشترط فيه أن يكون غير متوغى فى الابهام كما قال البصريون ، ويكون معرفة أو نكرة مضافة لمعرفة وما أضيف إلى نكرة فيه الرفع والنصب ، كما يجوز التذكير والتأنيث في هذين الفعلين تبعاً للمؤنث الواقع بعدهما .

يقول ابن السراج : (فإن كان الاسم الذى دخلت عليه « نعم » مؤنثاً أدخلت التاء فى نعم وبئس فقلت : نعمت المرأة هند ونعمت المرأتان الهندان ، وبئست المرأة هند وبئست المرأتان الهندان ، وإن شئت ألغيت التاء فقلت : نعم المرأة وبئس المرأة ، وتقول : هذه الدار نعمت البلد ، لأنك عنيت بالبلد داراً وكذلك هذا البلد نعم الدار لأنك قصدت إلى البلد)[٤٤] . ومثله قاله الانبارى[٤٥] وهكذا يؤنث الفعل ويثنى الاسمان ويجمعان[٤٦] كما ذكر الفراء فى نصه السابق .

وفى حديث الفراء عن نعم وبئس يجرى أحكامهما على ما جرى مجراهما كساء وحسن وهما فعلان لم يدع أحد اسميتهما .

ويقول الفراء فى قوله تعالى : ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ ﴾[٤٧] : لم يقل : نعمت الثواب ، وقال ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٤٧] فأنث الفعل على

(٤٢) الكهف ٣١
(٤٣) معانى القرآن ٢٦٧/١/٢٦٩
(٤٤) الاصول ١١٤/١
(٤٥) الإنصاف ١١١/١
(٤٦) شرح المفصل لابن يعيش ١٣٦/٧ ـ ١٣٧ ـ شرح الكافية للرضى ٣١٨/٢
(٤٧) الكهف ٣١

معنى الجنة ولو ذكر بتذكير المرتفق كان صواباً ، كما قال ﴿ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[٤٨] ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[٤٩] ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٥٠] وقال : ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[٥١] يريد إبليس وذريته ولم يقل : بئسوا ، وقد يكون بئس لإبليس وحده أيضا والعرب توحد نعم وبئس وإن كانتا بعد الأسماء فيقولون : أما قومك فنعموا قومك ونعم قوماً وكذلك بئس وإنما جاز توحيدهما لأنهما ليستا بفعل يلتمس معناه إنما أدخلوهما ليدلا على المدح والذم ، ألا ترى أن لفظهما لفظ فعل وأنهما لا يقال منهما يبأس الرجل زيد ولا ينعم الرجل فكذلك استجازوا الجمع والتوحيد فى الفعل .

ونظيرهما ﴿ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[٥٢] ألا ترى أنك لا تقول : (هو يعسى كما لم تقل يبأس)[٥٣] .

وليس بعد التصريح الكامل بفعليه نعم وبئس وأنهما جامدان جمود عسى دليل على رد ما يقال عن الكوفيين حتى اليوم .

أما قول الكوفيين فى إعراب المخصوص بالمدح أو الذم فيتضح من قول الفراء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾[٥٤] .

ترفع الجنات لأنه اسم لنعم كما تقول : نعم الدار دار تنزلها ، وإن شئت جعلت (ولنعم دار المتقين) مكتفياً بما قبله ثم تستأنف الجنات فيكون رفعها على الاستئناف وإن شئت رفعتها بما عاد من ذكرها فى (يدخلونها)[٥٥] وعلى هذا فهو يرى أن المخصوص :

١ ـ مبتدأ خبره الجملة الفعلية قبله

٢ ـ أو مبتدأ خبره ما بعده فى الآية الكريمة ويمكن حذفه كثيراً .

٣ ـ أو خبر لمبتدأ محذوف وهذان القولان على الاستئناف .

وفى هذا القول اتفاق مع المذهب البصرى كما نرى .

أما أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الذى قيل عنه ـ كأستاذه الفراء ـ إنه يقول باسمية نعم وبئس فأعتقد أن الأمر قد اتضح فى صورة مشرقة ، ومع ذلك فإننا نثبت هنا ما قاله ثعلب موافقاً قول الفراء .

قال فى قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[٥٦] قال الفراء : (بئس ما يرفع . « ما » ببئس ولا يجوز : بئس الذى قام زيد)[٥٧] ويقول في إيضاح شديد : (تدخل الباء على الفاعل العرب تقول : نعم بزيد رجلاً ونعم زيد رجلاً)[٥٨] .

وليس فى وسعى الآن إلا أن أقول : لقد شغل علماؤنا الأجلاء أنفسهم وشغلوا الأذهان معهم حين بنوا آراءهم على أن الكوفيين يقولون باسمية « نعم وبئس » حتى إن مؤلفاتهم لتضم العديد من المناظرات

(٤٨) آل عمران ١٩٧
(٤٩) ابراهيم ٢٩
(٥٠) البقرة ١٢٦
(٥١) الكهف ٥٠
(٥٢) الحجرات ١١
(٥٣) معانى القرآن ١٤١/٢ ـ انظر ٥٧/١ ـ ٥٨
(٥٤) النحل ٣١
(٥٥) معانى القرآن ٩٩/٢
(٥٦) المائدة ٨٠
(٥٧) مجالس ثعلب ٦٢/١
(٥٨) المصدر السابق ٢٧٣/١

الطويلة الصعبة وكل فريق يحاول الانتصار على الفريق الآخر .

فابن الشجرى مثلاً فى أماليه يروى الخلاف بين البصريين والكوفيين فى ثلاث عشرة صفحة من الجزء الثانى من ص ١٤٧ ـ ص ١٥٩ .

ومثله الأنبارى فى الإنصاف الجزء الأول يثبته فى ثلاثين صفحة من ص ٩٧ ـ ص ١٢٦ وغيرهما .

وظل هذا الخلاف راسخاً فى العقول والمؤلفات النحوية القديمة والحديثة حتى الآن(٥٩) .

فلنراجع أنفسنا ولنصف مؤلفاتنا وعقولنا ولنرجع إلى الحق فالحق أحق أن يتبع هدانا الله إلى سواء السبيل ..

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

اللهم اجعل هذا نافعاً وخالصاً لوجهك وارزقنا الرحمة والمغفرة إنك سميع مجيب

دكتور

عبد العظيم حامد محمد هلال

المراجع

١ ـ « ارتشاف الضرب من لسان العرب » لأبى حيان (دكتوراه) تحقيق د . مصطفى النحاس .

٢ ـ الأشمونى بحاشية الصبان ـ عيسى البابى الحلبى .

٣ ـ الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د . عبد الحسين الفتار ـ ط الأولى ١٩٨٥م .

٤ ـ الأمالى الشجرية دار المعرفة ببيروت .

٥ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيى الدين دار الفكر .

٦ ـ البحر المحيط لأبى حيان دار الفكر ط الثانية ١٩٨٣ .

٧ ـ البهجة المرضية للسيوطى مطبعة الشروق .

٨ ـ تاريخ آداب العرب للرافعى ط الثانية تحقيق محمد سعيد العريان

٩ ـ التسهيل لابن مالك تحقيق محمد بركات دار الكتاب العربى ١٩٦٨ م

١٠ ـ التفسير الكبير للإمام فخر الرازى ط الثالثة دار احياء التراث العربي ببيروت .

١١ ـ توضيح المقاصد والمسالك للمرادى تحقيق عبد الرحمن سليمان ط الأولى .

١٢ ـ حاشية الخضرى على ابن عقيل ـ عيسى البابى الحلبى .

(٥٩) انظر خزانة الأدب ٢/٤ ـ حاشية الخضري على ابن عقيل مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ٤٢/٢ ـ ٤٣ ـ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ط الثالثة دار إحياء التراث العربي ببيروت ١٨٢/٣ ـ أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك للشيخ محمد محيى الدين دار الفكر ط السادسة ١٩٧٤م ٧٠/٣ ـ ضياء السالك إلى أوضح المسالك للشيخ محمد النجار مطبعة السعادة ط الرابعة ٩١/٣ .

١٣ ـ حاشية الصبان على الأشمونى عيسى ـ البابى الحلبى .

١٤ ـ حاشية العينى على الأشمونى ـ عيسى البابى الحلبى .

١٥ ـ حاشية العينى على خزانة الأدب ـ دار صادر بيروت .

١٦ ـ حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى المطبعة الأزهرية ط الثانية ١٣٢٥ هـ .

١٧ ـ الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه دار الشروق ط الرابعة تحقيق د/عبد العال مكرم .

١٨ ـ خزانة الأدب للبغدادى دار صادر بيروت .

١٩ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط العشرون ١٩٨٠ م .

٢٠ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ط ١٣١٢ هـ بيروت .

٢١ ـ شرح التصريح للشيخ خالد عيسى البابى الحلبى .

٢٢ ـ شرح الكافية للرضى دار الكتب العلمية ـ ببيروت .

٢٣ ـ شرح المفصل لابن يعيش مكتبة المتنبى ببيروت .

٢٤ ـ شرح المكودى على الألفية وبهامشه حاشية الشيخ أحمد الملوى ط الثالثة ١٩٥٤م مصطفى البابى الحلبى .

٢٥ ـ ضياء السالك إلى أوضح المسالك على ألفية ابن مالك للشيخ محمد النجار ط الثالثة مطبعة السعادة ١٩٧٣ م .

٢٦ ـ فتح الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل للشيخ محمد محيى الدين ط العشرون .

٢٧ ـ الفهرست لابن النديم .

٢٨ ـ الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط الثانية ١٩٧٧ .

٢٩ ـ الكشاف للزمخشرى دار المعرفة ببيروت .

٣٠ ـ لسان العرب لابن منظور دار المعارف .

٣١ ـ مجالس ثعلب ط الثانية دار المعارف ١٩٦٩م شرح عبد السلام هارون .

٣٢ ـ المدارس النحويه د . شوقى ضيف ط الثانية دار المعارف .

٣٣ ـ المزهر للسيوطى عيسى البابى الحلبى شرح محمد المولى ، على البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم .

٣٤ ـ معانى القرآن للفراء ط دار الكتب ١٩٥٥ تحقيق الشيخ محمد النجار جـ٢ الدار المصرية مطابع سجل العرب تحقيق الشيخ محمد النجار ١٩٦٦م جـ ٣ الهيئة المصرية العامة تحقيق عبد الفتاح شلبى ١٩٧٣م .

٣٥ ـ معجم الأدباء لياقوت الحلبى .

٣٦ ـ همع الهوامع للسيوطى صححه محمد بدر الدين دار المعرفة ببيروت .

مر خير ما كتب

الدكتور/ أحمد عمر هاشم

التعليم الاسلامى بين النظرية والتطبيق

التعليم فى الإسلام حق من حقوق المسلم ، بل فريضة أوجبها الإسلام ففى الحديث يقول الرسول ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) . رواه ابن ماجة وابن عبد البر فى العلم عن أنس . فى ظل الإسلام تبوأت الإنسانية مكانتها المرموقة ، وعاشت وليس على عينها عصابة ، ولا فى قلبها غشاوة ، وانطلقت فى حياة خصبة ممتلئة ، وفى مجالات رحبة تشرق بالنور والأمل غير متلعثمة الخطى ، ولا حائرة الفكر لأن لديها من رصيدها الإيمانى علما ثابت الأصول ومعرفة نابضة بالخير والإصلاح فأمنت الإنسانية المؤمنة من مزالق الضلالة ، ومن تخبطات الجهالة ، يقول الرسول ﷺ : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى) . أخرجه الحاكم فى المستدرك .

وقد نزل القرآن الكريم بقوانين السعادة والإصلاح والرشد والفلاح فأطفأ لهيب الجهل والظلم وأضاء الحياة بالعلم والعدل وبعث فيها روح الإخلاص والحق .. وكانت أولى آيات التنزيل دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الإيمان والحق بالله الذى علم الإنسان مالم يعلم . قال تعالى فى سورة العلق ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم ﴾ .

الدكتور/ بدر الدين غازى عطية

الخلاف بين الاسلاميين والقوميين

جاء فيه :

إن الخلاف بين دعاة الإسلام ودعاة القومية والماركسية لا يتعلق فقط باستيعاب دروس الماضى وبتحديد منزلة القومية أو العروبة أو حتى الاشتراكية من الإسلام ، ولكن أخطر ما فيه هو الاختلاف حول تصورات المستقبل ومناهج الحكم والعمل الوطنى المطلوبة لإخراج مصر والأمة العربية من حالة التردى التى وصلت إليها على أيدى الحكام القوميين .

إن لب الخلاف حول هذه النقطة هو أن دعاة الإسلام يعتقدون أن تطبيق المنهج الإسلامى كفيل بتحقيق ذلك على أحسن وجه فالله سبحانه وتعالى قد أنزل الإسلام من فوق سبع سماوات ليصوغ للمسلمين حياتهم كلها بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدءاً من أدق تفاصيل الحياة بحقوق الجار

عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

وحقوق الطريق وعلاقات الأسرة والزواج والطلاق والبيع والشراء وحقوق الإنسان المسلم وغير المسلم .. بل وحقوق الأجنة والأطفال والنساء والآباء والأمهات والأيتام والعجزة والموتى وحتى الحيوانات - ومرورا بالعقود والمعاهدات والتشريعات المدنية والجنائية وانتهاء بقضايا الجهاد والحرب والسلام .

لقد أرسل الله لوطا عليه السلام ليطهر الناس من الشذوذ الجنسى وما ترتب عليه من آثار اجتماعية مدمرة . وهانحن نرى بعضها تفوح به حضارة الغرب كأمراض الايذر ومشتقاتها . وأرسل شعيبا عليه السلام ليمنع الناس من تطفيف الكيل والميزان فى البيع والشراء وهى جوانب فى صلب النظام الاقتصادى ، كما أرسل موسى عليه السلام ليحرر الناس من طغيان فرعون ، وأرسل عيسى عليه السلام بدين السماحة والحب والإخاء الإنسانى ، وأرسل محمداً عليه الصلاة والسلام خاتما للأنبياء برسالة شاملة جامعة نهائية وخالدة . وقدم الإسلام ثروة هائلة من التشريعات والتوجيهات فى سعة ويسر وأنشأ ضمن تلك التشريعات رقابة ذاتية على السلوك والأداء البشرى داخل وجدان الإنسان وخارجه وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

الدكتور/ محمد عبد العال .

النهضة العلمية فى المرحلة القادمة

إن التقدم الحقيقى لأى شعب من الشعوب هو تقدم علمى بالدرجة الأولى . فالعلم لا يقف عند حدود المعرفة بقوانين الواقع المادى المحيط بالإنسان والواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه إنما يتعداه إلى السيطرة على هذه القوانين . وتوجيهها لمصلحة البشرية .. وتاريخ العلم هو تاريخ المجتمع البشرى .. وتطور العلم مرتبط بتطور هذا المجتمع .. فرغم انتساب النظريات العلمية المختلفة إلى هذا العالم أو ذاك إلا أنها فى الحقيقة ثمرة لما تمارسه المجتمعات البشرية من أعمال وما تحققه من منجزات . فأى محاولة جادة للتنمية لابد أن تكون الأولوية فيها للتنمية البشرية من خلال غرس الانتماء فى الأفراد ولن يكون هناك انتماء حقيقى بغير لغة قوية يعتز بها ويعطى منها ويؤخذ لها من اللغات الأخرى .

الأستاذ/ أحمد بهجت

النبـــوءة

من معجزات النبوة هذا الحديث الذى تنبأ فيه الرسول ﷺ بموقف الأمة الإسلامية .. وهو موقف نعيشه اليوم ونكابد أحزانه جميعا . يقول الحديث الشريف (يوشك أن

←

من خير ما كتب

تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها) رواه أبو داود ـ كتاب الملاحم ـ باب تداعى الأمم على الإسلام ـ جزء ٤ ـ إن عبارة الرسول ﷺ ترسم صورة للعالم الإسلامى وقد تحول إلى طبق من الطعام ، طبق تقسمه وتتقاسمه وتأكل منه الأمم .. ولقد بدا هذا الواقع غريبا على أهل القرن الأول من المسلمين .. ومن ثم فقد أحسوا بالدهشة وتساءلوا ـ أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. وليذهبن من قلوب أعدائكم المهابة لكم .. وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ، هذه النبوءة التى قيلت فى بداية القرن الأول من الإسلام أثارت دهشة السامعين .. وكانت موضع عجبهم ، كانوا أقلية ضعيفة تفتقر إلى السلاح والتموين ، ورغم ذلك فقد نجح الإيمان الحقيقى فى تعويضهم عن النقص المادى وكانت المعجزة التى تحققت على أيديهم أنهم حرروا العالم من قيوده وساهموا فى الحضارة الإنسانية بقانون أفضل وسلوك أرقى ومجتمع يتيح لطاقات الإنسان أكبر قدر من النمو والحرية .. وهانحن نعيش الموقف الذى استعصى على فهم أجدادنا الأقدمين .

إن إمكانات العالم الإسلامى والعربى اليوم هائلة .. ولو أن هذه الامكانات استغلت بشكل أفضل لكانت قوة العرب والمسلمين هى القوة الثالثة العظمى مع قوة المعسكر الغربى والشرقى .. كيف يتحول هذا كله إلى طبق من الطعام المستباح ؟

الأستاذ/ ماجد أحمد مومنى

الاسلام والحضارة العربية

امتازت الحضارة العربية الإسلامية عن سائر الحضارات التى عرفتها البشرية بطابعها الروحى والمادى فهى عطاء دائب لا ينتهى . والحضارة الإسلامية حضارة إنسانية تحترم الإنسان لذاته دون النظر إلى جنسيته أو عقيدته . فهى حضارة تسعى جهدها لخدمة الإنسان والسمو به وتنأى بقيمها عن النزعات العنصرية أو الطائفية ، أو عن أن تكون أداة لامتهان الإنسان والتسلط عليه ، ولهذا نعم بخيرها المسلمون وغير المسلمين على السواء .

وكما احترمت هذه الحضارة الإنسان ، آمنت بالمثل العليا ، ودعت إليها لأنها حضارة تحمى القيم الإنسانية والأخلاق الكريمة ، إنها حضارة تريد للبشرية حياة طيبة تظللها مبادىء الأخوة والمحبة والتعاون والتكافل والتضامن والفضيلة .



أنباء وآراء

إعداد : د. عبد الرحيم السايح
الإستاذ صفوت عبد الجواد

عشر منح دراسية من الأزهر لطلاب جمهورية بنين

صرح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بأنه قد تم تخصيص عشر منح دراسية لطلاب جمهورية بنين .

جاء ذلك خلال استقبال فضيلة الإمام للسيد على هودو وزير الإعلام بجمهورية بنين وتم خلال اللقاء بحث أحوال المسلمين بجمهورية بنين ومدى استيعاب المدارس التى تهتم بالدراسات الإسلامية والعربية لأبناء المسلمين هناك والاحتياجات اللازمة من مدارس وأساتذة .

وأعلن فضيلة شيخ الأزهر أنه على استعداد لتلبية حاجات جمهورية بنين من الأساتذة وكافة الاحتياجات الفنية التى يمكن أن يقدمها الأزهر على أن يوافى الأزهر الشريف بكل هذه الاحتياجات .

مصادرة مجموعات كبيرة من المصاحف

أصدر فضيلة الدكتور عبد الفتاح بركة أمين عام مجمع البحوث الإسلامية قراراً بمصادرة طبعات متعددة من المصحف الشريف صدرت عن بعض دور النشر وذلك لوجود أخطاء بها بلغ عدد هذه الدور ما يقرب من خمس عشرة دار نشر ويعتبر هذا القرار تأكيداً لدور الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية فى الحفاظ على كتاب الله تعالى والسنة النبوية المشرفة .

من يعتقد استحالة تطبيق الشريعة مرتد

أفتى فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بكفر من يعتقد استحالة تطبيق الشريعة الإسلامية فى هذا

←

العصر . وأضاف : أن معتنق هذا القول يعتبر مرتدا خارجا عن الإسلام ، وإن كان يلتزم بالصلاة والصوم والزكاة ونطق الشهادتين وحج بيت الله الحرام .

أساتذة الاقتصاد الاسلامى : تطبيق الأنظمة غير الاسلامية وراء الأزمة الاقتصادية

أكد أساتذة الاقتصاد الإسلامى أن تطبيق الأنظمة الاقتصادية غير الإسلامية فى مصر وراء الأزمة الطاحنة التى تعيشها البلاد . جاء ذلك فى الندوة التى عقدتها كلية التجارة بالأزهر حول « المنهج الإسلامى وكيفية الخروج من الأزمات الاقتصادية » .

قال الدكتور عبد الحميد الغزالى أستاذ الاقتصاد الإسلامى بجامعة القاهرة إن الحكومة المصرية جربت النظام الرأسمالى ثم النظام الاشتراكى ثم خليطا من النظامين الاشتراكى والرأسمالى . وكانت النتيجة التدهور الاقتصادى الذى نراه اليوم .

أوضح الدكتور الغزالى أن التدهور الإقتصادى فى مصر ليس سببه الضغط السكانى المزعوم أو الحروب التى دخلتها طوعاً أو كرها .. إنما يرجع إلى البعد عن منهج الله .

مؤتمر الاعجاز العلمى للقرآن والسنة

جاء فى توصيات مؤتمر الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الذى عقد بباكستان أخيرا .

- يجب أن يدل نص الكتاب أو السنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية وفقا لقواعد اللغة ومقاصد الشارع وأصول التفسير .. فإن خرجت الحقيقة العلمية المدعاة عن مجموع معانى النص لم تكن حقيقة فى الواقع .

- يجب أن يكون الباحث فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة من العلماء المشهود لهم بالتأهيل العلمى فى مجال تخصصه .. بالإضافة إلى قدرته على فهم النصوص الشرعية من مصادرها ، والاستنباط منها والفهم لها وفق قواعد اللغة وأصول التفسير ، وعليه أن يستشير المتخصصين فى العلوم الشرعية فيما يخفى عليه وجه الإعجاز فيه .

- يوصى المؤتمر الجامعات والمؤسسات التعليمية بالعناية بقضايا الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة فى مناهجها الدراسية ، والعمل على إعداد وتدريس مادة جديدة فى كل كلية أو معهد يهتم بدراسة آيات وأحاديث الإعجاز العلمى الداخلة فى تخصص هذه الكلية أو المعهد ، وذلك لربط حقائق العلم بالوحى تعميقا للإيمان وتقوية للتدين فى قلوب الدارسين .

- يوصى المؤتمر هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالتعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث والهيئات والمنظمات الإسلامية فى العالم بإعداد تفسير ميسر

للقرآن الكريم يهتم بوجه خاص بالآيات الكونية الواردة فيه .

- يوصى المؤتمر هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالتعاون والتنسيق بين الجامعات الإسلامية بإعداد ترجمة دقيقة لمعانى القرآن الكريم مصحوبة بتعليقات وافية عن الآيات الكونية الواردة فيه لتعين الباحثين فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن من غير الناطقين باللغة العربية .

- يوصى المؤتمر هيئة الإعجاز العلمى بإصدار مجلة علمية ذات مستوى رفيع باللغتين العربية والانجليزية - تهتم بنشر البحوث المتخصصة فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بعد إجازتها من المتخصصين فى العلوم الإسلامية وعلوم الكون .

- كما يوصى المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث فى البلاد الإسلامية بتشجيع البحوث والدراسات فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة وتخصيص المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا ، ورصد الجوائز المالية لغيرهم من الباحثين فى هذا المجال .

- كما يوصى المؤتمر الجامعات والمؤسسات العلمية والهيئات والمنظمات العالمية العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية فى العالم الإسلامى بإنشاء مراكز متخصصة لبحوث الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة .. كما يوصى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بأن تبادر بإنشاء أول مركز لهذا الغرض .

بحث دور الأزهر ومنظمة الدعوة الاسلامية فى أفريقيا !

التقى مؤخراً فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بالمشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية .

وقد دار الحديث حول دور المنظمة فى افريقيا بصفة خاصة والعالم العربى والإسلامى بصفة عامة وذلك فى مجال الدعوة الإسلامية ومدى التنسيق بين الأزهر والمنظمة فى هذا المجال ودعمها بالإمكانات الفنية وتلبية احتياجاتها من الأساتذة والمناهج العلمية والكتب الدراسية .

الأوقاف تعد دراسة جديدة حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

تقوم وزارة الأوقاف بإعداد دراسة جديدة حول فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. تهدف الدراسة التى أعد مادتها العلمية ، المكتب الفنى بالوزارة ويقوم بمراجعتها كبار رجال الدعوة ، إلى توضيح الأسس الشرعية لهذه الفضيلة ، وشروط من يتولى القيام بها ، وكيف يمارس المسلم هذه الفضيلة بحيث لا يسىء إلى نفسه أو إلى مجتمعه .. من المقرر أن تصدر الدراسة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وذلك فى إطار خطة الوزارة إصدار سلسلة من الدراسات حول القضايا التى تثار على الساحة العامة .

أنباء وآراء

لجنة الاقتراحات بمجلس الشعب توافق على مشروع قانون نقابة الأئمة !

وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب من حيث المبدأ على مشروع القانون الخاص بإنشاء « نقابة الأئمة » الذى تقدم به الشيخ منصور الرفاعى عبيد وسوف يعرض على لجنتى الحكم المحلى والشئون الدينية لإبداء الرأى فيه ..

يختص المشروع بإنشاء نقابة عامة لأئمة المساجد وعلمائها والعاملين فى حقل الدعوة .

اتحاد للجامعات الاسلامية

تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) الاجتماع التأسيسى لاتحاد الجامعات الإسلامية . يهدف الاجتماع الذى سيعقد بالرباط إلى دراسة مشروع النظام الأساسى لاتحاد الجامعات فى البلاد الإسلامية وإقراره هذا المشروع الذى يركز على توثيق التعاون بين الجامعات الإسلامية .

سيضم الاتحاد المزمع تأسيسه جميع الجامعات فى البلدان الإسلامية على اختلاف تخصصاتها .

جامعة إسلامية جديدة فى لاهور

صرح الدكتور عبد القادر آزاد رئيس مجلس علماء الإسلام فى باكستان بأن المجلس قد بدأ فى إقامة جامعة إسلامية جديدة فى مدينة لاهور الباكستانية بالتعاون مع الأزهر الشريف ، وأضاف إن هذه الجامعة سيلحق بها دار لتربية المسلمين الجدد تربية إسلامية صحيحة ، وأوضح الدكتور آزاد فى تصريحات خاصة : إن المرحلة الأولى لدار تربية المسلمين الجدد ستشمل إنشاء ٤٠ منزلا تخصص لمن يدخلون الإسلام حديثا بعائلاتهم حيث يقيمون بهذه المنازل لمدة ستة شهور يتعلمون خلالها قواعد الدين الإسلامى واللغة العربية .

وكشف الدكتور آزاد النقاب عن أن حوالى ٤٠ ألفا من اليهود والنصارى والبوذيين والهندوس فى باكستان قد شهروا إسلامهم بفضل الجهود التى بذلها مجلس علماء باكستان .

وأشاد ـ فى هذا الصدد ـ بتعاون الأزهر مع المجلس حيث أوفد الأزهر إليه ثلاثة مبعوثين أحدهم فى « لاهور »، والثانى فى « ملتان » والثالث فى « كراتشى » .

الأزهر يضم ٨٥ معهداً جديداً خلال هذا العام

ضم الأزهر الشريف ٨٥ معهداً جديداً

خلال هذا العام وذلك بناء على قرار رئيس الوزراء بضم هذه المعاهد . والمعاهد موزعة كالتالى :

القاهرة ثلاثة معاهد ، الجيزة أربعة معاهد ، بنى سويف معهدان ، الفيوم معهد واحد ، أسيوط معهد واحد ، سوهاج تسعة معاهد ، قنا ثلاثة معاهد، الوادى الجديد معهدان ، أسوان ستة معاهد ، القليوبية معهد واحد، المنوفية ستة معاهد ، الغربية أربعة عشر معهداً ، الدقهلية اثنا عشر معهداً ، البحيرة معهدان ، كفر الشيخ سبعة معاهد ، الشرقية تسعة معاهد ، مرسى مطروح معهد واحد ، الإسماعيلية معهد واحد .

الغرفة الاسلامية تناقش وسائل دعم العلاقات التجارية بين الدول الاسلامية !

عقدت فى القاهرة اجتماعات الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع .

وقد ناقش ممثلو الغرفة التجارية للتجارة والصناعة خلال اجتماعاتهم التى استمرت ٦ أيام وسائل دعم العلاقات التجارية والاقتصادية فيما بين الدول الإسلامية ..

بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار - بقية

أما قول أبو سلمى يصف حال المشردين من أهله :

تقاذفتهم دروب العمر دامية
وأنكرتهم ربوع الأهل والملل

فهو ينظر إلى الواقع قبل أن يقع ، فقد أصابهم الضيم فى كثير من الأوطان العربية وحسبنا ما يلاقونه فى لبنان وما حدث لهم فى الأردن ، والنقد موجه إليه فى أول الأمر حين كان العرب يعطفون عليهم . وقد أخذت القافية بما يريد من معنى فى قوله :

فى كل أرض شظاياهم مشردة
وتحت كل سماء معشر ذلل

فقد عدل عن الأذلاء إلى « ذلل » التى تفيد معنى الانقياد السهل الذى يجىء مع الرضا ولو استقامت له القافية بغيرها لأجاد ، ولكن الشعر آخر الأمر يمثل بكاء الممالك والدول والامصار .

وخلاصة القول أن الشعر الذى يتصف بالبكاء يتجه اتجاهين بينهما قرابة ونسب : الاتجاه الأول نحو بكاء الديار ويكثر فى الحب وشعر الغزل ، أما الاتجاه الآخر فمنوط بشعر الحماسة وشعر القهر والضعف ، وقد مثلنا له بالشعر الذى قيل فى الأندلس والشعر الذى قيل فى فلسطين ، ولئن ضاعت الأندلس « الفردوس المفقود » فالآمال مازالت متوهجة بعودة فلسطين إلى أهلها مهما ادلهمت الحادثات وتعثرت خطوات الأمل .

فهـرس العـدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « فى ظلال الجوار » د . على أحمد الخطيب	٥٤٥
● النداء من وراء الحجرات للشيخ مصطفى الحديدى الطير	٥٥٢
● الرابطة بين محمد ﷺ واتباعه للأستاذ محمد صابر البرديسى	٥٥٦
● القرآن والمرأة د . رءوف شلبى	٥٥٨
● نحو بيت سعيد للشيخ عبد المقصود عسكر	٥٦٢
● رجال القراءات « أبو عمرو بن العلاء البصرى » للشيخ إبراهيم عطوة عوض	٥٦٨
● من المناظرات بين المسيحية والإسلام للدكتور عبد الجليل شلبى	٥٧٧
● الأزهر حتى مشارف المناهج الحديثة د . مجاهد توفيق الجندى	٥٨٢
● التربية العسكرية فى الإسلام للواء أ/ح محمد جمال الدين محفوظ	٥٩٠
● الرسالات السماوية بين التطور والتجديد د . محمد شامة	٥٩٦
● الفتاوى للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين	٦٠١
● من أعلام الأزهر د . محمد رجب البيومى	٦٠٤

الشعر والشعراء

● الأعصار للشاعر محيى الدين عطية	٦١٢
● أنا مسلم للشاعر أبو زيد إبراهيم سيد	٦١٣
● طفل الحياة شعر / رشاد محمد يوسف	٦١٤

العلوم الكونية

● الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم د . محمد جمال الدين الفندى	٦١٦
● الرحلات فى عالم الحشرات د . كارم السيد غنيم	٦٢١
● طرائف ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٦٣٠
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر اعداد عبد الفتاح حسين الزيات	٦٣٢

اللغة والأدب والنقد

● نظرية جديدة فى اللغة د . محمد عبد المنعم خفاجى	٦٣٨
● بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار للأستاذ السيد حسن قرون	٦٤١
● الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى د . عبد المنعم عبد الله محمد	٦٤٦
● رؤية جديدة فى صيغتى المدح والذم للأستاذ الدكتور عبد العظيم حامد هلال	٦٥٦
● من خير ما كتب للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٦٦٢
● انباء وآراء د . أحمد عبد الرحيم السايح الأستاذ صفوت عبد الجوار	٦٦٥

القسم الانجليزى

● المقالة الرابعة للأستاذة فاطمة محمد سرى	٦٧٣
● المقالة الثالثة للأستاذ عبد الحكيم طه	٦٧٨
● المقالة الثانية د . سعد مصطفى مصطفى	٦٨٢
● المقالة الأولى د . أنس مصطفى النجار	٦٨٦

24. **The ENHANCING** Al Rafie الرافع

While He elevates His believers by lifting their stature above others. He humbles into disrepute and disfavour the non-believers. He extols and advances His followers in prestige, and decries and denounces His enemies to degeneracy and debasement.

25. **The EXALTING** Al Mueiz المعز

26. **The ABASING** Al Muzil المذل

He bestows His Realm on those whom He wishes to elevate in stature. Those are the ones whom He delivers of the need, lust and ignorance, and to whom He revealed His Presence, and gifted them with enough strength and contentment that they feel not the need for others. Such are they whom He, in His Divine Way, chooses to exalt.

Similarly, He abases those whose hearts harbour greed, avarice and self-conciet.

27. **The ALL-HEARING** Al Samiea السميع

He hears all, though it be tenuous or inaudible.

28. **The ALL-SEEING** Al Baseer البصير

He sees all, though the invisible. Nothing escapes Him.

29. **The JUDGE** Al HAKAM الحكم

He is The Autonomous Ruler who is absolutely self-governing and acknowledges no claim to interference to His Will and Judgement.

30. **The JUST** Al Adl العدل

His Dealings are the idal justice.

Original Publication by: Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity.

them. He requites evil with good. In Arabic etymology, the root of the corresponding word implies a 'covering' which connotes an act of 'shielding'.

16. The VANQUISHER Al Qahhar القهار

He subdues completely the most powerful of His enemies. There is no being, but subjugated under His Compulsion, and defenceless under His Mastery.

17. The BESTOWER Al Wahab الوهاب

His Gratituties and Gifts are countless and free from any claim of remuneration or return.

18. The DONOR OF LIVELIHOOD Al Razzaq الرزاق

He created the means sufficient to maintain life, and provided it as sustenance to His beings for their support, enjoyment and well-being.

19. The REVEALER Al Fattah الفتاح

Through His Loving Care and Guidance, He unveils everything that is obscure, and discloses everything that is enigmatic. He, Alone, holds the key to prescience, and has the key of living. He reveals all these mysteries to His beings through His Divine Providence.

20. The ALL-KNOWING Al Aleem العليم

His Knowledge is absolute and thorough. He knows all hidden and obvious, microscopic and macroscopic, beginning and end, cause and effect.

21. The CONSTRAINING Al Qabid القابض

22. The MUNIFICENT Al Bassit الباسط

He takes away life and so cause death. He also gives life at birth. He restrains means of livelihood just as he donates liberally. He may restrict our field of vision, or He may open for us vistas of insight.

23. The DEGRADING Al Khafid الخافض

→

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced by :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

11. The PROUD — Al Mutakaber — المتكبر

Only grandeur and pride are His exclusive Privity.

12. The CREATOR — Al Khaliq — الخالق

13. The EVOLVER — Al Bariae — البارئ

14. The FASHIONER — Al Musawer — المصور

To create is to evoke something into being out of non-existence by an act of the will. In Arabic etymology, creation stresses 'design' as the first stage of causation to exist; evolution implies the process of production and development according to plan; and lastly, fashioning emphasizes the act of composing and giving form, shape and inherent qualities, thereby yielding the final produce.

Hence, in this sense, 'creation' precedes 'evolution' since the effect of the will comes before the power, and 'evolution' precedes 'fashioning' as the making of the entity is precedent to the making of character or traits.

15. The OFT-FORGIVING — Al Ghafar — الغفار

This Attribute designates repeated and recurrent forgiveness by The Divine One. With such forgiveness, He not only remits penalty on account of an offence, but also waives repayment of wrong-doers and makes return for

a mere strenous journey, Zakat and Chairty will be a donation, eating will be filling the empty sac of the stomach, marriage will be the satisfaction of the sexual desire. Again without Intention, all responsibility for actions are lifted, even for crimes. There is no responsibility for the actions of the insane, the forgetful, the very young, the compelled, and other similar examples that are well documented and explained in literature dealing with Islamic Law.

Intention as has been explained is justified by the existance of two basic elements, namely, the "thought in the mind" and the "inclination of the self". In the above examples, one or both of these elements is non existant; and Allah knows well the inner realities of our Intentions and the realities of the elements formulating it. The Prophet says "There is no penalty to my Ummah for forgetfullness, fault, and what they might have been compelled upon". From the Holy Quran "(Pray) Our Lord ! Condemn us not if we forget or fall into erro" (Surat Al-Baqarah, II, 286).

The fourth phase is the excution of action and deed; which is the phase charged with responsibility. It is the phase for which Allah created mankind and gifted him with distinctions. What therefore is the real deeds of humanity; and what is the ultimate purpose of human actions.



an action and did not excute the action, earns reward. This reward is for his inner struggle against evil and the arrest of the action. Again, who has a good "Intention", but for some reason or other, no action was excuted, earns a reward for his good "Intention". By this we understand the Hadith "The intention of a person outweighs his actions". This means that good Intentions are virtuous, even when not associated with action. The attainment of the stage of good Intention will eventually lead to goodness.

On the other hand, who has an Intention of evil, and followed it with an evil action, a penalty is earned for transgression, and for the truimph of evil within the self, and developing the evil intention into an evil action.This penalization is both in life and in the Hereafter. Penalization in life does not preclude penalization in the Hereafter; but may attenuate it or render this penalization subject to pardon. Penalization in life may preclude penalization in the Hereafter; for Allah is supremely Just and Merciful to penalize a transgressor twice for one evil act. If there was no penalization in life, there would be penalization in the Hereafter. Allah is most Merciful, most Forgiving, most Pardoning.

He who intended virtue and goodness, and developed that intention into righteous action, earns ten rewards. This is partly for the trimph of goodness in the self, and partly for the act of goodness itself. If this good deed was of a continuous perpetual nature, this reward may be multiplied seven hundred times or more, all by the will of Allah. Examples of extented good deeds are beneficial knowledge to people, a running charity, pious descendants, and similar matters.

With good Intentions, several human actions originating from natural instincts that have no reward, become patterns of worship that are rewarded. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "Any act performed aiming to achieve the grace of Allah must have a reward; even a morsel of food in the mouth of your spouse". The Prophet also said "even the semen ejaculated into your wife's womb is rewarded". Some companions inquired "We enjoy the act and we are also rewarded for it ?" The Prophet answers "Yes, will you not be penalized if you place it in adultery ?". Even normal physiological actions if they are performed with the Intention of worship are all rewarded. Allah is most Generous, most Gracefull. Without Intention, all types of actions even those actions of worship become devoid of sense and purpose and loose their value. Fasting will turn into hunger, prayers will become physical movements, Hajj will be

judgement. Human sentiments and emotions have a heavy authoritative influence on mankind and these are not questioned except after they are translated into actions. In the Hadith after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) "If any of you intends a wrong action and does not do it, he is rewarded a good deed. If any of you intends a wrong action and does it, he is culpable of wrong action and Allah pardons what He wills. Who of you intends a good deed and does not do it, he has the benefit of a good deed. Who of you intends and a good deed and does it, he gains the benefit of ten good deeds up to seven hundred times; and Allah multiplies to whom He wills."

Even the Apostles who are immune from the influence of the self, may, for purpose of exemplification wrestle with some emotions and sentiments. However, Allah rectifies their disposition, reveals the example, and they retain their powers of self denial and the independence of the mind. The story of the Apostle Noah observing his pagan son drowning in the tempest, calling him to believe and board the "Ark" with them to be safe. The son replied "I will protect myself by a mountain"; the father said "On this day nothing can save from the command of Allah, except those on whom He hath mercy". Noah remembered that Allah had ordered him to carry on the "Ark" from each kind two, male and female, and his family. Noah with his emotions and inclination, not with his thinking mind wanted to include his pagan son in the context of his family. "And Noah called upon his God and said "O my God, surely my son is of my family, and Thy promise is true, and Thou art The Justest of Judges (Surat Hood, XII, 45). The intentions of Noah was that Allah knows best the emotions and feelings of parenthood. However, Allah reveals the reality to Noah and restores his prophetic abilities to have the function of the mind in thought independent from self inclinations and emotions. Allah said "O Noah ! he is not of thy family, for his conduct is unrighteous. So ask not of me that of which thou hast no knowledge. I give thee counsel, lest thou act like the ignorant" (Surat Hood, XII, 46).

The third phase is Intention being in total agreement with the self. It is the phase of coordination between the thought of the mind and the inclination of the self at time of the action. A justified intention with its dichotoms of the mind and the self, is the resolution and determination propelling to the action. There must be a determined decision decision for human action in order to charge this action with responsibility in this life and the hereafter; either with reward or penalty. Any action devoid of "justified intention" is malicious and degrading. This phase of "Intention" is legislated in Islamic law. Who has an evil "Intention" to do

intelligent animal, whose mind is the recepient structure with which he interacts and reciprocates totally with his surrounding environment. All actions of man, great or small, useful or harmful, right or wrong, are all in origin a thought of the mind. This phase of thought is exempt from penalization; and Allah atones in reward whether the thought was right or wrong. This function of the mind is an effort done inspite of the quality of outcome. This effort is recompensed once in case of wrong outcome, and recompensed twice in case of right outcome. It is related that some companions complained to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that they experienced some evil thoughts that they fail to express in words. The Prophet told them that there is no responsibility for thoughts, for the mind cannot be arrested. The Prophet, however, advised them to resort to the remembrance of Allah, a practice that supports the faith.

True resistance to wrong evil thoughts purifies the matrix of the mind, impedes wrong thoughts and fosters righteousness and correctness. Allah created the human mind with total absolute freedom of function with no guardian or authority save itself. The effort of thought is rewarded for improper thought and double if the thought is proper and appropriate.

The second phase is self inclination and desire and the influence of the self in this respect. The mind functions in absolute liberty in thought and unrestricted horizons; and the self introduces itself to dictate and dominate the mind with its inclinations, desires and egotistic discrepancies. In relaity mankind is prone to be directed by his emotions than by his rationality. The self stamps the process of the mind and codes the thought with its own marker. The self is the doorway which allows the exit of human thoughts conforming with its desires and inclinations. Who can dispel the discrepancies of the self, the whole array of antagonistic predilections, sentiments and partialities ? Only the Apostles; because Allah granted them the ability and power to separate the function of the mind in thought, and the demands of the self; in order to bear and deliver the message of Allah without any self inclinations. Also, learned men of wisdom and knowledge, they are the "heirs of Apostles" who harnessed their efforts to weaken the role of the self and strenghten the role of the mind. This phase is also exempt from penalization of wrong. There is recompense for right, and also a recompense for retreat from wrong.It is a phase of the inner self, secretly indwelling the balance between the function of the mind in thought, and self predilections. It is a phase that is not subject to

THE TRUST, RESPONSIBILITY, AND INTENTION

By _____
Abdel-Hakim Taha

Allah created mankind to be the viceregant of Allah on earth, and endowed man with qualities and characteristics of distinction above all other creations. Allah gifted mankind with superior unique qualities inspite of his clay substance, greed and ego, his vices and transgression. Mankind has been honoured with characteristics of distinction to carry, learn and propagate the Message of Allah in worship to the Oneness of Allah. This honour of endowment was granted to mankind because mankind has accepted to bear the Trust (Al-Amanah) which the heavens, the earth, and the mountains refused to bear. What is this Trust ?

It is the responsibility of action and the power of disposition. It is the correct choice between right and wrong, virtue and vice, wisdom and indiscretion, construction and destruction, belief and disbelief, faith and heresy... . What is the codification of this responsibility ? If "Intention" and disposition are the underlying drive; this Intention is in reality the volition of will to implement a certain action; or it is the inner drive coherent with performance of an action. What is the exact position of "Intention" on the scale of human conduct ?. What are the laws governing this "Intention"? What legislates actions without "Intention", and "Intention" without action ? Are there preceding phases for "Intention"? Is all the action and conduct of mankind charged with responsibility ? Consideration of all these demanding aspects relating the Intention and volition of mankind with his actions and conduct is necessary. Human action passes through four phases of evolution; which may be slow and therefore perceptible as in gross actions, or swift and therefore inperceptible as in minor usual actions.

The first of these phases is the origin of thought and the function of the mind. Mankind is by nature a rational

in status or dignity, and both share equal human rights. The moral and spiritual development of man and woman stands on a level of perfect equality according to Quranic teachings "Men shall have the benefit of what they achieve and acquire and women shall have the benefit of that which they similarly achieve and acquire (Surat Al-Nissa, IV, 32)". Another quotation from the Holy Quran that signifies man-woman equality states "And whoever does good deeds, whether male or female and he or she is a believer, these shall enter the garden and they shall not be dealth with a jot unjustly (Surat Al-Nissa, IV, 124)". This equality between man and woman is also ascertained by their equal religous duties and responsibilities, and their obligation and commitments towards Allah the Creator, and towards their fellows of mankind. Women have exactly the same duties of offering prayers, fasting, practicing zakat; enjoining in good and forbidding evil in all social, economic and political walks of life; and they have the right to equal educational opportunities within the limits of preservation of morals, decency, and sexual purity. Islamic teachings stress the equality of women in regard to spiritual advancement, and history marks the examples of several women who have through their own effort reached a high status in spiritual eminence.

Islam recognises the basic specific individualities and differences between man and woman, and advocates that each of them should preserve, cherish, uphold and comprehend these differences with honour, dignity and pride in order to fulfil their respective natural functions in society as distinct legal responsible personalities. A wife in family partnership with her husband remains totally independent in all legal, economic, personal and social matters in her own individual capacity. True scientific realities indicate that the differences between the sexes are fundamental and exacting, determining their respective independent individuality in the human race. These differences are by no means confined only to differences in structural body organs; the differences are deep seated in the overall constitution of each sex, anatomical, physiological, hormonal, psychological, tempremental, emotional, functional and in the duties and responsibilities in life. Man and woman are therefore not equal, they have never been equal, and they will never be equal. Progress and evolutionary patterns of the human society in life are possible only through the marked distinctive differentiation of the sexes. Each sex carrying its own trait of distinction and specificity, enjoys the rights that are consistent with its characteristics without transgression or infringement on the other. This is the equilibrium that Islamic doctrines uphold, the equilibrium that is fundamental to the preservation and advancement of the human race, the true civilization of society through spiritual richness.

Islamic understanding into the sociology and psychology of sex; and the awareness that sex is a very vital factor in shaping the matrix of society into real strength and progress, or into social decline and human degredation. Islam distinctly recognises that sex as one superior determining human function that moulds the future of human socities. A civilization that can successfully organize, regulate and discipline sexual relationships between its component groups of men and women, will endure longer and be healthier and more coherent than the society which neglects and undermines the delicate sensitivity and gross importance of this relationship. Islam also recognises that the sexual life of mankind is not an isolated function, but is intimately related to other social issues, mainly, economics. Here again Islam presents a complete integrated highly organized socioeconomic system that is applicable through the changing patterns of human societies through the life of mankind. Islamic injunctions and legislations as related to every single individual and to the society as a whole, consider both sex and economics as two inter-related social issues that shape the private and public life of men and women.

Any discussion that deals with the question of mam woman relationship will by necessity face the subject of equality of the sexes. Inspite of the fundamental unity of all human beings, it is impossible to practice a system of relationship that rules out all the differences and the inequalities. Some of these differences are innate and natural. There are differences in biological structure and function, in faculties, tastes and temperaments, powers, and capacities. It is obvious that the qualifications, rights and duties of men and women flow from these inborn differences. It is the task of religious education to remove all obstacles to human development, and maintain a social environment where only the natural inborn differences and inequlaties may fix the proper station in life of man and woman. The ideal of man - woman equality should be viewed with the same perspective. Customs, traditions, laws should not prevent the female from playing her full part in the collective life of the society and developing her full capacities to maximum efficiency to serve her real purpose and function in life. On the other hand, this man-woman equality should not mean that the mental and body faculties, psycholgoical make-up, functional capabilities possessed by man and woman are identically the same, and that both should exist not as complements to each other but as competitors and rivals. Such a framework of competition and rivalry for equality is certainly rationally refuted. Islamic doctrines fully support the premise of man and woman equality in the context that each sex is a complement to the other; and neither is inferior or superior

←

furtherance are good only in so far as they subserve and advance spirital interests of the society for greater harmony. When such material wealth is raised to become the primary concern and ultimate purpose of the society, the equilibrium crumbles, and the elemental ingredients of society disintegrates. The society becomes the agent of the devil, everything is twisted, falsified, and misconceptualization of primordial human issues supervenes to become in due time the accepted norms.

It is therefore imperative to achieve spiritual elevation for the harmony of the various individual groups consituting human society. The fundamental groups in any society are its male and female componets, and this brings the subject of male - female relationships, differences, equalities and inequalities. This question of male-female relationship and their respective rights and responsibilities in society is actually a part of the larger socio-economic sexual problem of mankind. The rational solution of such a complex triad depends on the degree of civilization of the society as measured by its spiritual grading. Before passing a judgement on how a society deals with its social problems, or with its economic problems, or with the men women relationship; the spiritual environment and moral commitments of that society must be precisely evaluated. Islamic doctrines present a consistent realization of the evolutionary patterns of the social, economic and sexual problems of the human race. The rights of women versus those of men as the two distinct component groups of society, originally spring from sexual, biological realities, and not from unrealistic unrooted fantasies of current times. The proper and scientifically rational approach towards this issue is determined by their respective patterns of life, and more particularly by consideration of their distinctive sex life with all its manifold manifestations and ramifications. The drastic importance of sex life of mankind and its repercussions on human conduct and behaviour in everyday life has been realized and fully recognized in Islamic understanding long before the science of sex psychology drew the attention to the extensive ramifications of the sex impulse in moulding human conduct for good or evil, and in being a primary causative agent in mental and social health or disease.

Islamic doctrines insist on the sexual purity of both sexes and a divine system was prescribed to optimize and attain that fundamental purpose. Islam introduces certain preventive measures and education to stabilize a healthy organised moral disciplined sexual life of the society. The justification for that is the deep rational insight of

MAN AND WOMAN IN ISLAM

By :
Dr. Saad Moustafa Moustafa, M.D.

According to Islamic concepts, the real purpose of human life in the most basic fundamental sence is the spiritual betterment and elevation of the individual and mankind at large. Each individual is placed throughout his life in the field of natural forces from within himself and externally from his social environment. The sences of justice, correctness, righteousness, chastity; as opposed to their direct contraries, will impose and charge each individual with attribution and trial. Each individual is urged by all religious doctrines to orient himself to a social environment that will enhance the development of altruism and restraints from the egoistic desires of the self. The response of the individual to the requirements of this situation will be the measure of spiritual progress, and an index of elevation or debasement. Such an understanding is clearly stated in the Holy Quran "Blessed is He in whose hands is the Kingdom, and He has power over all things; Who created death and life that He may try you - which of you is best in conduct (Surat Al-Mulk, Ixvii, 1 - 2)".

It is clear from this Quranic statement that Islam does not judge the civilization of human societies by their mechanical efficiency, technical progress, military power, or productive capacity; the pivot of judgement is essentially spiritual richness. A society may achieve phenomenal grades of success in materialistic wordly objectives, yet remains to be spiritually impoverished and morally destitute. Without the fundamental quality of spiritual achievement, such society will betray the natural elements of individual rights, social justice and human equality. The true criteria of human civilization from the Islamic point of view, is the harmony of the various components of the society whether horizontally to encompass the different national groups which inhabit its sphere of jurisdiction; or vertically in the mutual attitude of the different economic classes whose resultant productive efforts maintain its material existence. Material wealth and the processes which promote its

←

Zubaier ibn Al-Awam. Abu Bakre called for Ali and said "The cousin of Allah's Messenger, and the husband of his daughter, wanting to split the unity of Muslims !". Ali replied "None of that O Khalifah of Allah's Messenger", and proclaimed his fealty to Abu Bakre. Then Abu Bakre called for Al-Zubaier and said "the cousin of the Messenger of Allah, and his disciple, wanting to split the unity of Muslims !" Al-Zubaier answered "None of that O Khalifah of Allah's Messenger", and announced his fealty to Abu Bakre. Both Ali and Al-Zubaier later explained that their delay in giving fealty to Abu Bakre was because they were not consulted earlier; and acknowledged that none was more fitting to be Khalifah of the Messenger of Allah, than Abu Bakre. Ali ibn Abi Taleb later, after the death of his wife Fatimah the daughter of the Prophet; proclaimed a second public fealty to Abu Bakre, to remove any residual misunderstanding between Abu Bakre and Fatimah regardin her inheritance from the Prophet's property. Abu Bakre had stated that the Prophet had said " We Prophets are not inherited, what we leave is charity"; and refused any claim of Fatimah. This completed and ascertained the fealty of Ali to Abu Bakre.

present acclaimed the high rank of Abu Bakre and denied any claim of priority over him. Omar pledged allegiance to Abu Bakre, followed by Abu Ubaidah and the other Muhagereen present in the gathering, followed by all the Ansars attending except Saad ibn Ubadah.

These historical events took place during the afternoon of 12th Rabie Al-Awal of the 11th year of Hijrah, the same day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) passed away.

The following day at dawn prayers, Omar urged Abu - Bakre to climb to the pulpit. Omar then addressed the people assembled for prayer and said "The Prophet (prayers and peace from Allah upon him died and left for you the Holy Revelation, the words of Allah, and his own Traditions. If you adhere to their teachings, you will be guided to righteousness. Allah has also destined that you decide your word upon the best among us; the closest companion to the Prophet, the second of two when they were both in the cave, the man whom the Prophet selected to lead the prayers; give your allegiance to that man. Every person present in the mosque rose and swore allegiance to Abu Bakre in unanimous consensus.

Abu Bakre was publicly and unanimously proclaimed successor to the Prophet. From the pulpit, he stood and addressed the people. After giving praise to Allah, he said "I have been given the authority over you, and I am not the best of you. If I do well, help me; and if I do wrong, put me right. Truth is honesty, and untruth is treachery. The weak amongst you shall be strong with me until I have secured his rights, if Allah wills. The strong amongst you shall be weak with me until I have extorted from him the rights of others, if Allah wills. Obey me, so long as I obey Allah and His Messenger; but if I disobey Allah and His Messenger, you owe me no obedience. Attend to your prayers, may Allah have mercy upon you".

Few of the Muhagereen did not attend the public fealty to Abu Bakre. These were Al-Abbas and his sons, Ali ibn Abi Taleb, Al-Zubaier ibn Al-Awam, Talha, Salman Al-Farisi, Ammar ibn Yasser, Abu Zar Al-Ghaffary, and few others. Soon in the course of time all of them gave fealty to Abu Bakre. It was generally conceded that during the reign of Abu Bakre there was absolutely no dispute about his rightful succession to become the Khalifah of Rasul Allah, by virtue of consensus fealty.

When Abu Bakre finished his words to the people and the prayers, he remarked the absence of Ali ibn Abi Taleb and Al-

←

the gathering, a speaker from the Ansars stood up and addressed the assembly. He praised Allah and continued "We are the Ansars of Allah and the supporters of the Messenger; we are the fighting legions of Islam and the standard bearers. The Muhagereen are a group among us living under our protection, and now some among them want to infringe an our right and seize our rightful claim to the succession." When the man from the Ansars finished, Omar wanted to speak, but Abu Bakre prevented him to avoid his temper at such crucial situation. Abu Bakre spoke and said "We are the Muhagereen, the first people to embrace Islam, we belong to Quraysh the central tribe of all the Arabs, the tribe of the Prophet, and we are his kinsmen and the foremost compansions. We sacrificed homes, families and wealth in the cause of Islam. We embraced Islam before you and were placed in priority in the holy Quran (And the pioneers from the Muhagereen and Ansars and those people who followed them with good deeds). You are the Ansars our brothers in faith, partners in the land, and supporters against the enemy; you deserve all the praise. However, the Arab people would not recognize any authority except from Quraysh; from Quraysh will be the authority and from you will be the ministership". At the end of his words, Abu Bakre took Omar and Abu Ubaidah each by the hand and said "I nominate to you one of these two men, pledge your allegiance to whoever you choose". A man from the Ansars got up and said "O Ansars do not listen to this speech, they want to take away your right in the matter, and by Allah we deserve it". Then Abu Ubaidah said "O Ansars, you were the first people to support and protect; so do not be the first to differ and object".

A man from the Ansars, Basheer ibn Saad stood up and said "you from the Ansars, if we were the first to support this Faith, we did so for the blessings of Allah and in obedience to the Messenger; and we should not consider that a reason to heighten over others, and take for it a worldly gain. Muhammad was from Quraysh, and his people are more rightly justified to succeed him, and no one should deprive them that right or challenge them in it. Fear Allah in your conduct and do not disagree". Abu Bakre realised that it was the right moment, and told Omar give me your hand to give you allegiance; Omar said "you are more worthy than me". Abu Bakre said "you are stronger than me", and Omar said my strength is for you with your worth. Omar raised the hand of Abu Bakre and said "This is the man who was the best companion to the Prophet, the second of the two in the cave, the man chosen by the Prophet to lead the Muslims in prayer; who of you will deny his rank, the love of the Prophet for him, or is willing to claim precedence over him". Everybody

ABU-BAKRE AL-SIDDIQ
THE SUCCESSION

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar. MD.,Ph.D

The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) died on the 12th of Rabie Al-Awal of the eleventh year of Hijrah, the third of June 632 AD. With the supreme communion in paradise, the Messenger of Islam passed away. A cloud of grief and sorrow swept Al-Madinah and with the impact of the tragic event, people were stunned, not knowing what exactly was to follow. Omar Ibn Al-Khattab addressed the people assuring them that the Prophet was merely absent in spirit and that he would return. The arrival of Abu Bakre and the words he spoke to the throng of people at the mosque, finally settled the certainty of the death of the Prophet. Now that the whole issue was finally settled, two important matters had to be organized, namely, the burial of the Prophet's body, and the selection of a successor to govern the affairs of the muslim Ummah.

The Kinsmen of the Prophet, together with few close compansions including Abu Bakre and Omar arranged for the preparation of the Prophet's body for burial. As they were engaged in such matter, two men approached Omar Ibn Al-Khattab and informed him that the Ansars from the Aws and Khazraj assembled in the roofing of Bani Saidah where they were deliberating the question of who was to become the successor of the Prophet; and that the inclination was to proclaim Saad ibn Ubadah from the Ansars. The two men that brought these news to Omar were from the Ansars, they were Uwaim ibn Saidah and the other Maan ibn Adii.

Umar ibn Al-Khattab insisted that Abu Bakre should go to the gathering of the Ansars at the roofing of Bani Saidah. Both men together with Abu Ubaidah ibn Al-Garrah went to the meeting of the Ansars. As the three men entered, they saw a man wrapped up in cloak sitting in the centre of the hall. Omar asked who the man was, and was told that he was Saad ibn Ubadah, who was ill. After the three men took their place in

←

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part V

Jummada Al-Ula, 1408, Hijrah

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq

The Succession.

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

2. Man and Woman in Islam - (Part I)

By: Dr. Saad Moustafa Moustafa.

3. The Trust, Responsibility and Intention.

By: Abdel-Hakim Taha.

4. The Most Magnificent Names of Allah.

Arranged by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of the Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد العليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء السادس *
* السنة الستون *
* جمادى الآخرة ١٤٠٨ *
* فبراير ١٩٨٨ *



بسم الله الرحمن الرحيم

الجواد بعد أبى طالب

مات أبو طالب !!

وبموته انفض جمع بنى هاشم والمطلب ، ومن عجب أنه لم تقم للبطنين ـ بعده ـ زعامة طيلة الفترة الجاهلية لقريش ، تلك الفترة التى انتهت فى العام الثامن من الهجرة حين تم فتح مكة ..

لقد انفرط عقد البطنين فلم تعد لهما كلمة جامعة ، ولا رأى نافذ .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول من أحاط بتلك الحقيقة ـ من قومه ، ولكن كان لابد من « جوار » بعد أبى طالب يتيح لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرية الحركة فى ظل النظام القائم والعرف السائد ، وليس لشىء آخر ؛ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن لِيَرْهَبَ هذا المجتمع .

←

الجوار بعد أبى طالب

صحيح أن أكثر من إنسان استطاع أن يؤذى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنه ما استطاع أن يؤذيه إلا غدراً ، أو خفية ، أو خطفاً سريعاً من أمامه عليه الصلاة والسلام .

وهنا ينبغى لقارىء السيرة النبوية أن يتذكر دائماً حقيقتين :

١ ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ داعية لرسالة سماوية ، وليس محترفاً بطولة ليصارع هذا أو ذاك ، وللرسالة أسلوبها فى الداعية المختار لأنه أسوة حسنة ـ صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق بلا مراء .

٢ ـ وأنه ـ عليه الصلاة والسلام يتمتع بخلق كريم ، هو ذروة الأخلاق مجتمعة شهد له به المولى ـ عز وجل ـ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

ومن أجل ذلك كله لم يكن ـ عليه الصلاة والسلام ـ لينتقم لنفسه قط .

فأما من حيث الواقع فقد قضت ظروف تماثلت فى قوم لا يعلمون حقيقة النبوة فى تلك الرسالة ـ جعلت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواجه هذا المجتمع : وِحْدانا وجماعات فلم يثبت له منهم أحد ، ومنهم من فَقُهَ ـ بعدها ـ أمر هذا الدين ، فتمت له السلامة .

هذا « رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الأسدى القرشى » أشد قريش ، وأقوى مصارعيها حينئذ ، صارع رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصرعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثلاث مرات .

روى أبو بكر الشافعى ـ بإسناد جيد ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصرعه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث مرات ، . . . فلما كان فى الثالثة قال :

يا محمد ، ما وضع ظهرى إلى الأرض أحدٌ قبلك ، وما كان أحدٌ أبغض إلىّ منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقام عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

والأمر كذلك مع أبى الأشدين صارع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصرعه ـ عليه الصلاة والسلام .

وقصة نصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للتاجر الذى اغتصبه أبو جهل مَالَهُ معروفة ، فقد طرق رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم بابَهُ وأمره بدفع الحق إلى صاحبه ، فانصاع أبو جهل ، وقال للرجل : لا تبرح حتى تأخذ حقك .

(١) ن ـ ٤ .

وروى الإمام البيهقى ـ رضوان الله عليه ـ بسنده إلى أبى إسحاق قال :
مر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يابنى عبد شمس .

فقال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبى ! فالنبى يكون فيمن أقلّ منا وأذل .
فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً !
ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسمع ، فأتاهما ، فقال :
أما أنت ، ياأبا سفيان ، فمالِلّهِ ورسوله غضبت ، ولكنك حَمِيتَ للأصل . وأما أنت ـ ياأبا الحكم ـ فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً » فقال : بئسماً تعدنى ، ياابن أخى ، من نُبُوَّتِك .

وروى البيهقى ـ رضى الله عنه ـ أيضاً بسنده إلى يحيى بن عروة عن أبيه عروة قال :
قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :
ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كانت تظهره من عداوته ؟
فقال :
لقد رأيتهم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا :
ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سَفَّهَ أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصبرنا منه على أمر عظيم ..
قال :
فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها فى وجهه ، فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها .
فقال ـ صلى الله عليه وسلم :
« أتسمعون ـ يا معشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » .
فأخذت القومَ كلمتُهُ ـ حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر قد وقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لَيَرْفَؤُهُ[٢] حتى أنه لَيَقُول : انصرف ، ياأبا القاسم ، راشدا ؛ فما كنت بجهول .
فانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

(٢) يترضاه .

الجوار بعد أبي طالب

وروى الإمام - أحمد - بسند صحيح[٣] - قال :

حدثنا إسحاق بن عيسى ، ثنا يحيى بن سُلَيم ، عن عبد الله بن عثمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

« إن الملأ من قريش اجتمعوا فى الحِجْر فتعاقدوا بـ « اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف[٤] » لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة - رضى الله عنها - تبكى حتى دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت :

هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوْك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك !!

فقال - صلى الله عليه وسلم :

يابُنَيَّة ، أرينى وضوءًا ، فتوضأ ، ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : هاهوذا . وخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذقانهم فى صدورهم ، وعَقَرُوا فى مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصرا ، ولم يقم إليه منهم رجل .

فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قام على رءوسهم ، فأخذ قبضة من التراب . فقال : شاهت الوجوه ، ثم حصبهم بها ، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً ..»

.....

لقد سقنا هذه الأحداث بإفاضة فى مواجهته - صلى الله عليه وسلم - لقومه فرادى ومجتمعين ، وهو فى كُلّ أعزل - سقناها حَيْطَةً للمؤمن أن يمسه طائف من فكر سقيم يصور له غير الواقع وغير الحق فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأردناه أن يعلم اليقين من أمره - عليه الصلاة والسلام - ثقة له فى دينه ، وإحاطة بحقيقة الحال فى أمر « الجوار » .

ثم أعود فأذكر القارىء بالحقيقتين - سالفتى الذكر ليديم استصحابهما ما قرأ السيرة العطرة لرسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم .

● ● ● ● ● ●

كان « الجوار » - إذاً يعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « حرية الحركة » فى هذا المجتمع المتربص له الذى يود التخلص منه - عليه الصلاة والسلام .

(٣) انظر مسند أحمد ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - الحديث رقم (٢٧٦٢) ثم انظر رواية ثانية بطريق آخر صحيحة أيضاً فى الحديث رقم (٣٤٨٥) طبع المعارف بمصر .

(٤) أسماء لكبار أوثانهم .

وهذه الحقيقة تضعنا مباشرة أمام حقيقة أخرى أهم ، هى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ تعامل ـ مع قومه ـ فى إطار النظام السائد والعُرْف القائم ، ولم يتنكر لهذا أو ذاك ؛ فإن أبسط ما يترتب على إنكار هذا النظام والغض من ذلك العُرْف هو إعطاء هذا المجتمع المتحفز فرصته الحالمة فى التخلص منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بطريق لالوم عليهم فيه ولا تثريب بحكم هذا العرف وذلك النظام لدى قوم كافرين ..

وهاهو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الفترة المكية لا يقوم ، أو يقوم أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بمقاومة سرية أو علنية تهدف إلى تغيير الفساد المستشرى فى مكة بالقوة ، وظل ثالوثها الأكبر يبسط نفوذُ فَسَادِهِ :

فما هَدَمَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيتا من بيوت الدعارة ذات الأعلام المرفوعة والمعروفة[٥] بمكة ولم يكسر قنان الخمر . ولم يناد بإسقاط الربا .

بل إن الأمر لأبعد من ذلك :

هؤلاء المستضعفون المعذبون بسبب إيمانهم يطلبون إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو الله ـ تعالى ـ يستنصر لهم فيغضب ـ عليه الصلاة والسلام :

روى الإمام أحمد ـ بسنده ـ إلى خباب بن الأرت ـ من طريقين[٦] قال :

« أتينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى ظل الكعبة متوسداً بُرْدَةً له ، فقلنا : يارسول الله ، ادع الله ـ تبارك وتعالى ـ لنا ، واستنصره .

قال : فاحمر وجهه ـ وفى الرواية الثانية : فجلس محمراً وجهه ، فقال :

لقد كان من كان من قبلكم يحفر له حفرة ، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق ما يصرفه[٧] عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه ، وَلَيُتِمَّنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله تعالى ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تَعْجَلون .» .

● ● ● ● ● ●

بموت أبى طالب كثرت سهام الأذى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على وجه خلا من الحياء والمروءة وأسباب الشرف ، وكان ـ واضحاً ـ أن قريشا أبت إلا الكفر ، فلن يؤمن منها ـ وقتئذ ـ إلا من قد آمن ، فاشتد حزنُهُ ـ عليه الصلاة والسلام ، ولزم بيته ، وأقل الخروج ، ولم يكن ذلك بمانع لأذاهم فقد ألقوا بقمامتهم على بابه .

←

(٥) انظر صحيح البخارى ـ كتاب النكاح ـ باب من قال : لا نكاح إلا بولى .

(٦) مسند أحمد ٥/١٠٩ ، ١١٠ المَيْمَنِيَّة .

(٧) فى الرواية ص ١١٠ : ما يصرفه ذلك .. الحديث .

الجوار بعد أبى طالب

روى صاحب « الحلبية » عن « الشمس الشامى ، قال :

« ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال :

ياعَمُّ ، ما أسرعَ ما وَجَدتُ فَقْدَك !!!»

وبلغ ذلك « أبا لهب » فأخذته الحمية ، وقرر أن « يُجِيرَ » رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكم كانت « إجارة » تافهة لا تصول ولا تجول ، ما قامت حتى انتهت بمكر أثيم .

إجارة أبى لهب :

جاء ـ فى طبقات ابن سعد ـ بسنده ـ إلى حكيم بن حزام ـ رضى الله عنه .

وروى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى ـ بسنده عن ثعلبة بن صُقَيْر وحكيم بن حزام أنهما قالا :

«... فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه ، فقال :

يا محمد ، امض لما أردت ، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيا فَاصْنَعْهُ ، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت .

وسَبَّ ابنُ الغَيْطلة رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فَوَلَّى يصيح :

يامعشر قريش ، صبأ أبو عتبة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب ، فقال : ما فارقتُ دين عبد المطلب ، ولكنى « أمنع » ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم .

فمكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك[٨] يأتى ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ؛ إذ جاء عقبة بن أبى مُعَيْط وأبو جهل إلى أبى لهب ، فقالا له : أَخْبَرَكَ ابنُ أخيك أين مدخل أبيك ؟

(٨) أى على هذا « الجوار » .

فقال له أبو لهب : يامحمد ، أين مدخل عبد المطلب ؟

قال : مع قومه ..

فخرج إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم أنه فى النار .

فقال : يامحمد ، أيدخل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ومَنْ مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار .

فقال أبو لهب : والله ، لا بَرَحْتُ لك عدوا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش .»

كسبت قريش الكثير بإسقاط أبى لهب لجواره ، فلم يكن ـ من بين أبناء عبد المطلب ، ممن هم على دين آبائهم . من له وجاهة أبى لهب لدى قريش ، وأدركت قريش بذلك أن أحداً غير مانع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا هو مجيره من عشيرته الأَدْنَين ـ وخيل إليها أنها أحكمت قبضتها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأنها منتصرة عليه لا محالة .

وكان الأمر على غير ما تحلم ؛ فقد نزل قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[٩] .

وفيها رفع عِبْءِ تبليغهم عنه ـ صلى الله عليه وسلم ، كما فيها شهادة المولى ـ تبارك وتعالى ـ بأنه ـ أدى فيهم الأمانة على خير ما تكون ، فلتكن الرسالة ـ فى غيرهم ـ ممن كان يدعوهم إلى جانب دعوته لقريش[١٠] واستراح منهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حين .

روى ابن كثير عن الحافظ أبى نعيم ـ بسنده إلى العباس ، قال :

قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا أرى لى عندك ، ولا عند أخيك مَنَعَةً ، فهل أنت مُخرجى إلى السوق غدا حتى نقر فى منازل الناس » .

وهكذا اتجهت الرسالة بعيدا عن قوم نسوا الله فأنساهم أنفسهم لتبحث عن آخرين يستطيعون « إجارته » ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليمضى محققاً أمر ربه ...

يتبع

د. على أحمد الخطيب

(٩) الذاريات ـ ٥٤ .

(١٠) انظر تفسيرى : الطبرى والنيسابورى للآية الكريمة .

دراسة قرآنية

لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى

قال الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . ﴾ إلى آخر سورة الحجرات .

البيـــان

بعد أن ذكر الله تلك الآداب السامية التى حفلت بها سورة الحجرات ، ختمها بلون من الأدب العالى ، وهو تعليم عباده بأن لا كرم ولا شرف عند الله إلا بالتقوى ، حتى لا يتعالى بعضهم على بعض بغير حق ، فكل الناس من آدم وحواء ، فلا وجه للتعالى بالأحساب والأنساب ، ليظل الناس إخوة متواضعين متحابين .

(سبب نزول هذه الاية)

أخرج أبو داود بسنده عن الزهرى ـ مرسَلاً ـ قال : (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نزوج بناتنا موالينا ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ . . ﴾ الآية والمراد بالموالى هنا العتقاء بعد الرّق .

وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس حين عيَّر رجلاً بأمه ، لأنه لم يقم من مجلسه ليجلس مكانه إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ثابتاً كان ضعيف السمع ، وقد تفسح له الناس حتى لم يبق بينه وبين الرسول سوى هذا الرجل ، فاستمسك الرجل بمجلسه بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : قد وجدت مكاناً فاجلس فيه ودعنى ، فعيره ثابت بأم كانت له فى الجاهلية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنِ الذاكرُ فلانة » قال ثابت : أنا يارسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انظر فى وجوه القوم » فنظر ، فقال : « ما رأيت » ؟ قال : رأيت أبيض وأسود وأحمر ، فقال : « فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى » فنزلت فى ثابت هذه الآية ، ونزل فى الرجل الذى لم يتفسح له ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ . . ﴾ الآية .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وأخرج الطبرانى فى كتاب (آداب النفوس) حديثا بسنده عن أبى نضرة قال : حدثنى أو حدثنا من شهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال : « ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت »؟ قالوا نعم ، قال « ليبلغ الشاهد الغائب » .

وجاء فى كتاب آداب النفوس للطبرانى أيضا عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا ينظر إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تَحنَّن الله عليه ، وإنما أنتم بنو آدم ، وأحبكم إليه أتقاكم » .

وقيل عن الإمام على فى هذا المعنى :

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهمو آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة
وأعْظُمٌ خلقت فيهم وأعضاء
وإن يكن لهمو من أصلهم حسب
يتفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمو
على الهدى لمن استهدى أدِلاّءُ
وقدر كل أمرىء ما كان يحسنه
وللرجال على الأفعال سيِمَاءُ
وضد كل أمرىء ما كان يجهله
والجاهلون لأهل العلم أعداء

(سنة الله فى خلق الناس)

بين الله فى هذه الآية أنه خلق الخلق من ذكر واحد وأنثى واحدة ، ولو شاء لخلقهم على سنة خلقه لأبيهم من تراب ، ولو شاء لخلقهم من أب دون أم ، كما خلق حواء من آدم ، ولو شاء لخلقهم من أم دون أب ، كما خلق عيسى عليه السلام .

وبالجملة فالناس أربعة أصناف ، صنف خلق من تراب هو آدم عليه السلام ، وصنف خلق من أب دون أم وهو حواء ، وصنف خلق من أم دون أب وهو عيسى عليه السلام ، وصنف خلق من أبوين ذكر وأنثى ، وهو جميع البشر ما عدا هؤلاء ، وقد خلقهم الله على هذا النحو ليعلم الناس قدرة الله على خلق ما يشاء كما يشاء .

(« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »)

يستفاد من هذا النص أن الله قسم الخلائق إلى شعوب وقبائل ليتمايزوا ويتعارفوا ، بأن يقول الواحد منهم مثلاً أنا من شعب مصر ، من قبيلة كذا ، فيعرف نسبه .

ولقد جعل الله الشعوب والقبائل تتخذ لها أماكن مستقلة ، ليزداد التعارف بين الناس

بذكر المكان ، والشعوب رءوس القبائل ، فالعرب شعب ، وقبائله مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج ، فإذا نَفَى رجل رجلاً آخر عن قبيلته أعتبر قاذفا له ، واستحق حد القذف ، مثل نفيه عن حسبه ونسبه كما ذكره القرطبى فى المسألة الثالثة .

والشعوب جمع شَعْب بفتح فسكون ، وسمى بذلك لتشعبه قبائل وفصائل كأغصان الشجرة .

قال الجوهرى : الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم ، والجمع الشعوب : أهـ .

وقد يطلق الشعب على القبيلة العظيمة ، قال ابن عباس : الشعوب الجمهور مثل مضر ، والقبائل الأفخاذ : أهـ .

وأما الشِّعب بكسر الشين المشددة فهو الطريق فى الجبل ، والجمع الشِّعاب ، والكلام فى هذا اللفظ واسع جدا ذكره القرطبى فى المسألة الخامسة . وما ذكرناه خلاصته حتى لا نطيل على القارىء .

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

أفادت هذه الآية أن التقوى هى الأمر المراعى عند الله تعالى وليس الحسب والنسب ، وأخرج الترمذى بسنده عن شمرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « الحسب المال والكرم التقوى » يعنى أن الناس يتفاخرون بأموالهم ، ويحسبون شرفهم بها ـ ولكن الشرف والكرم بتقوى الله تعالى ، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

فمن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، والتقوى هى مراعاة حدود الله تعالى أمراً ونهياً ، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به ، والتنزه عما نهاك عنه .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : « إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان ، وأنا اليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم ، أين المتقون أين المتقون »[1] ؟

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا « إن آلَ أبي ليسوا لى بأولياء ، إن وَليِّ الله وصالحو المؤمنين » .

(مأثورات عن الزواج من أجل التقوى)

ذكر الطبرى بسنده عن أبى الجعد قال : تزوج رجل من الأنصار امرأة فطعِنَ عليها فى حسبها ، فقال الرجل : إنى لم أتزوجها لحسبها ، إنما تزوجتها لدينها وخلقها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما يضرك أن لا تكون من آل حاجب بن زرارة » ثم قال

١ ـ مجلة الأزهر : لم نعثر على هذا النص ـ فيما بين أيدينا ، ووجدنا المعنى فيما رواه الحاكم والبيهقى بلفظ « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : ﴿ أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم : أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى جاء بالإسلام فرفع به الخسيسة ، وأتم به الناقصة ، وأذهب به اللوم ، فلا لوم على مسلم ، إنما اللوم لوم الجاهلية » قال ابن العربى ، وهذا الذى لحظ مالك فى الكفاءة فى النكاح ، روى عبد الله عن مالك : يتزوج المولى العربية ـ أى يتزوج من كان عبدا وأعتق ـ الحرة العربية ، واحتج بهذه الآية ، وقال أبو حنيفة والشافعى يراعى الحسب والمال أيضاً .

وفى الصحيح عن عائشة (أن أبا حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ـ وكان ممن شهد بدرا مع النبى صلى الله عليه وسلم ـ تبنى سالما وأنكحه هندا بنت أخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وهو مولى لامرأة من الأنصار ، وضباعة بنت الزبير كانت تحت المقداد بن الأسود) .

وتزوج بلال بن رباح أخت عبد الرحمن ابن عوف ، فدل ذلك على جواز نكاح المولى العتيق من الحرة العربية ، وإنما تراعى الكفاءة فى الدين ، والدليل عليه أيضا ما جاء فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد (أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ عليه رجل فقال : « ما تقولون فى هذا ، فقالوا حَرِىٌّ إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يُشفَّع ، وإن قال أن يسمع » قال ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال « ما تقولون فى هذا » ؟ قالوا حَرِىٌّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » .

وقال صلى الله عليه وسلم « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وقد خطب سلمان الفارسى ـ وكان من الموالى ـ خطب إلى أبى بكر ابنته فأجابه ، وخطب بلال بنت البكير فأبى إخوتها ، فقال بلال : يارسول الله : ماذا لقيت من بنى البكير ؟ خطبت إليهم أختهم فمنعونى وآذونى ، فغضب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجل بلال ، فبلغهم الخبر فأتوا أختهم فقالوا : ماذا لقينا بسببك ؟ فقالت أختهم : أمرى بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فزوجوها .

وروى الدارقطنى من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أن أبا هند مولى بنى بياضة كان حَجَّاما ، فحجم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ سرَّه أن ينظر إلى من صور الله الإيمان فى قلبه ، فلينظر إلى أبى هند » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكحوه وانكحوا إليه » أى زوجوه وتزوجوا من أولاده .

وبالجملة فالتقى المؤمن خير من الفاجر النسيب ، فإن كانا تَقِيَّيْنِ قُدِّمَ النسيب منهما .

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

(سبب نزول الاية)

نزلت هذه الآية فى أعراب بنى أسد بن خزيمة ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى سنة جدبه ، وأظهروا الشهادتين ،

٢ ـ متفق عليه ورواه النسائى وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة ... مجلة الأزهر ..

ولم يكونوا مؤمنين فى السر ، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم - أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، وقيل غير ذلك فى سبب النزول ، وعلى أى قول فالآية نزلت فى بعض الأعراب لا فيهم جميعاً ، فإن منهم من آمن بالله ورسوله وباليوم الآخر .

(ولكن قولوا أسلمنا)

المقصود بالإسلام فى هذه الآية الاستسلام والخضوع رغبة فى الصدقة ، وخوفاً من القتل والسبى ، وهذه صفة المنافقين ، لأنهم أسلموا بألسنتهم وظاهر طاعتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب ، فهو الذى ينجى يوم القيامة من عذاب الجحيم .

﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

أى وإن تطيعوا الله ورسوله بالإيمان بقلوبكم تقبل أعمال الطاعات منكم ، ولا ينقصكم الله منها شيئاً ، إن الله عظيم الغفران ، فلذا يغفر للتائبين ، واسع الرحمة ، حيث قبل توبتهم وغفر لهم .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

إنما المؤمنون حقيقة من صدقوا بقلوبهم بالله ورسوله دون شك ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، رغبة فى مرضاة ربهم وتقوية لدينه ، وحماية من أعداء الحق ، أولئك هم الصادقون فى الإسلام والإيمان ، وهم الجديرون بأحسن الجزاء .

ولما نزلت هذه الآية حلف الأعراب كاذبين أنهم مؤمنون بقلوبهم ، فكشف الله سر هؤلاء المنافقين وأخبرهم أنه يعلم بحالهم فقال : ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم مهما حلفتم من الأيمان أنكم مؤمنون مخلصون .

ثم وبخهم الله على منّهم بالإسلام على الله حين قالوا لرسوله صلى الله عليه وسلم جئناك مسلمين بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فقال تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

يزعمون أنهم أسلموا طواعية ، وأنهم منحوك الإسلام مِنَّةً عليك ، قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين فى زعمكم أنكم مخلصون .

ثم ختم الله السورة بتأكيد أنه تعالى عالم بنفاقهم فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

إن الله يعلم ما غاب واستخفى فى السموات والأرض ، والله بصير بما أخفيتموه من كفركم ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطيـــر

رجال القراءات
الإمام ابن عامر الدمشقى

٤

تفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

نسبه : ورابع رجال القراءات العشر الإمام ابن عامر الدمشقى إمام أهل الشام وقاضيها : عبد الله ابن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبى - بضم الصاد وكسرها نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو أى عابر - عند بعض المؤرخين - هود - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ..

وقيل يحصب بن مالك بن أصبح بن أبرهة ابن الصباح ، وفى يحصب الكسر والضم ، فإذا ثبت الكسر فيه جاز الفتح فى النسبة ، فعلى هذا يجوز فى اليحصبى الحركات الثلاث ..

وقد اختلف فى كنيته كثيراً ، والأشهر أنه : أبو عمران إمام أهل الشام فى القراءة ، والذى انتهت إليه مشيخة الإقراء بها .

كان تابعياً جليلاً ، إماماً بالجامع الأموى ، فى أيام عمر بن عبد العزيز ، وقبله وبعده ، جُمع له بين الإمامة والقضاء ، ومشيخة الإقراء بدمشق ، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة ، ومحط رجال العلماء والتابعين ، وقُدّم على الكوفيين لعلو سنده .

مولده : - وُلد سنة إحدى وعشرين[1] ،

(١) ستأتى رواية معزوة إليه هو نفسه تفيد ولادته فى وقت متقدم جداً عن ذلك .

وقال ابن الجزرى : أو ثمان وعشرين من الهجرة على اختلاف فى ذلك .

وفاته : ـ وتوفى بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة .

قال أبو على الأهوازى : كان عبد الله بن عامر إماماً عالماً ثقة فيما أتاه ، حافظاً لما رواه ، متقنا لما وعاه ، عارفاً فَهْماً ، قيما فيما جاء به ، صادقاً فيما نقله من أفاضل المسلمين ، وخيار التابعين ، وأجلة الراوين ، لا يتهم فى دينه ، ولا يشك فى يقينه ، ولا يرتاب فى أمانته ، ولا يطعن عليه فى روايته ، صحيحٌ نقلُه ، فصيحٌ قولُهُ . عاليا فى قدره ، مصيباً فى أمرهِ ، مشهوراً فى علمه ، مرجوعاً إلى فهمه ، لَم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر . أ هـ .

وَلِيَ القضاء بدمشق بعد بلال بن أبى الدرداء . قال :

قال ابن الجزرى : إنما تولى القضاء بعد أبى إدريس الخولانى ، وكان إمام الجامع بدمشق ، وهو الذى كان ناظراً على عمارته حتى فرغ .

قال يحيى بن الحارث : وكان رئيس الجامع ، لا يرى فيه بدعة إلا غيرها .

قال خالد بن يزيد : سمعت عبد الله بن عامر اليحصبى يقول : ولدت سنة ثمان من الهجرة فى البلقا بضيعة يقال لها رحاب . وقبض رسول الله ﷺ ولى سنتان . وذلك قبل فتح دمشق . وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها ، ولى تسع سنين . وهذا القول أصح من الذى قبله لثبوته عنه نفسه ، وقد ثبت سماعه من جماعة من الصحابة منهم معاوية ابن أبى سفيان ، والنعمان بن بشير . وواثلة ابن الأسقع ، وفضالة بن عبيد .

شيوخه

أخذ القراءة عَرْضاً عن أبى الدرداء ، وعن المغيرة بن أبى شهاب صاحب عثمان بن عفان . وقيل عَرَضَ على عثمان نفسه ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

وعلى قراءة ابن عامر أهل الشام والجزيرة وذلك أعظم دليل على قوتها . وقد أجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول إلى آخر وقت على قبولها وتلاوتها ، والصلاة بها ، وتلقينها مع شدة مؤاخذتهم فى اليسير [حتى تكون دائماً على ما ورثوه عنه ـ رضى الله عنه] . ، ولازال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقيناً .

روى القراءة عنه عَرْضاً يحيى بن الحارث الذمارى . وهو الذى خلفه في القيام بها ، وأخوه عبد الرحمن بن عامر ، وربيعة ابن يزيد ، وجعفر بن ربيعة ، وإسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر ، وسعيد بن عبد العزيز ، وخلاد بن يزيد بن صبيح المرى ، ويزيد بن أبى مالك .

رواته : وأما ابن عامر .

فأول راوييه : أبو الوليد هشام بن عمار ابن نصير بن أبان ، السلمى الدمشقى ، قاضيها وخطيبها . روى أنه ما أعاد خطبة منذ عشرين سنة ، وقدّم لشهرته بالحديث خلافاً « للتيسير » أى لأن أبا عمرو الدانى قدّم عليه فى « التيسير » ابنَ ذكوان . وكان فصيحاً ، واسع الرواية . وقال الدارقطنى : صدوق ، صبور ، كثير المحن .

ومولده سنة ثلاث وخمسين ومائة أيام المنصور ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين .

وثانيهما : أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير[٢] بن ذكوان ، القرشى الفهرى ، كان إمام الجامع الأموى ، قال أبو زرعه الحافظ الدمشقى فيما قاله ابن الجزرى : لم يكن بالعراق ، ولا بالحجاز ، ولا بالشام ، ولا بخراسان . فى زمان ابن ذكوان . أقرأ عندى منه .

ومولده: يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وتوفى فى شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

طرق راوييى ابن عامر

فأما هشام فمن طريقين :

الأولى : طريق أحمد بن يزيد الحُلْوانى « السابق فى رواية قالون » .

الثانية : طريق أبى بكر محمد بن أحمد ابن عمر بن أحمد بن سليمان الداجونى ، الرملى ـ الضرير . وكان إماماً جليلاً ، ضابطاً متقناً ، ثقة حافظاً . رحل إلى العراق وأخذ عن ابن مجاهد . وأخذ عنه ابن مجاهد أيضاً .

وتوفى : فى رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة « برملة لد » عن إحدى وخمسين سنة .

فأما الحلوانى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى عبد الله الحسين بن على بن حماد بن مهران الرازى ، المعروف بالأزرق الجمال . وكان ثبتا أستاذاً ضابطاً محققاً لقراءة أبى عامر .

وتوفى : فى حدود سنة ثلاثمائة .

ثانيهما : محمد بن أحمد بن عبدان الجزرى ، وهو من رجال « التيسير » . وأخذ القراءة عَرْضاً عن الحلوانى عن هشام .

وتوفى : بُعَيْد الثلاثمائة .

(٢) بعض المؤلفات تذكر : ابن بشر ، ففى غاية النهاية لابن الجزرى ١/٤٠٤ « ابن بشر ويقال بشير » اهـ نَشْرُج برجستراسر . الخانجى ١٣٥١ .

وأما الداجونى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى القاسم : زيد بن على بن أبى بلال ـ الكوفى ـ السابقة فى الدورى .

وثانيتهما : طريق أبى بكر أحمد الشذائى .. السابقة فى السوسى .

فأما ابن عبدان عن الحلوانى فمن أربع طرق :

الأولى : السامرى عنه من طريق أبى الفتح فارس ، من « الشاطبية » و« التيسير » ، ومن تلخيص ابن بَلِّيمَةَ .

الثانية عنه : طريق ابن نفيس من عشر طرق : من كتاب تلخيص ابن بليمة ، وطريق ابن شريح ، و« روضة » المعدل ، "وكامل" الهذلى ، قرأوا كلهم على ابن نفيس ، ومن « كفاية » أبى العز ، ومن « إعلان » الصفراوى من ست طرق . فصارت إحدى عشرة طريقاً عن ابن نفيس .

الثالثة عنه : طريق الطرسوسى من ثلاثة : من "المجتبى" له ، ومن « العنوان » ، ومن قاصد الخزرجى .

الرابعة : طريق أبى بكر الطحان من كامل الهذلى فتحصل ثمان عشرة طريقاً لابن عبدان ، ـ وثمان وعشرون للحلوانى .

وأما أبو عبد الله الجمال ـ على الحلوانى ـ فمن أربع طرق :

الأولى : طريق النقاش من خمسة عنه ، قرأ بها الدانى على عبد العزيز بن خواستى الفارسى ، ومن « تجريد » ابن الفحام ، و« المصباح » ، "وكامل" الهذلى ، و« المبهج » ، و« تلخيص » أبى معشر . فصارت ست طرق للنقاش .

الثانية عنه : طريق أبى بكر أحمد الرازى ، من « المبهج » قرأ بها على الشريف أبى الفضل ، وكذلك أبو الكرم .

الثالثة : ابن شنبوذ من المبهج أيضاً .

الرابعة عنه : طريق ابن مجاهد من سبعة . فتحصل عشر طرق للجمال .

وأما زيد بن على عن الداجونى فمن ست طرق :

الأولى : من "جامع" الخياط ، ومن "المستنير" من ثلاثة . ومن « روضة » المالكى ، والكافى ، وتجريد ابن الفحام ـ من طريقين ـ "وكفاية" أبى العز ، "وغاية" أبى العلاء ، "وروضة" المعدل .

الثانية عنه : طريق المفسر من « المستنير » .

الثالثة والرابعة والخامسة عنه : طريق ابن خشيش ، وابن الصقر وابن يعقوب الأهوازى ، الثلاثة من كامل الهذلى .

السادسة عنه : طريق أبى الحسن الحمامى من «المصباح».

وأما الشذائى عن الداجونى فمن ثلاث طرق :

الأولى عنه : طريق أبى عبد الله محمد بن الحسين بن آذر بهرام الكارزينى من «المبهج» من ثلاث طرق ، ومن إعلان الصفراوى من طريقين .

الثانية عنه : طريق أبى الحسين على بن محمد الخبازى ، من كامل الهذلى .

الثالثة عنه : طريق أبى الفضل محمد ابن جعفر الخزاعى . من كامل الهذلى أيضاً . فصارت سبع طرق للشاذلى .

وقرأ الداجونى على أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البيسانى ، وأبى الحسن أحمد بن محمد بن مَامَوَيْه ، وأبى على إسماعيل بن الحويرسى[٣] الدمشقيين . وقرأ هؤلاء الثلاثة ، والحلوانى على هشام .

فهذه تتمة إحدى وعشرين طريقاً لهشام .

طرق ابن ذكوان

وأما ابن ذكوان فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى عبد الله هارون بن موسى بن شريك الثعلبى المعروف بالأخفش الدمشقى . وكان شيخ القراء بها . ضابطاً ، متقناً . إليه رجعت الإمامة فى قراءة ابن ذكوان . صنف كتبا كثيرة فى القراءة والعربية . وتوفى سنة اثنين وتسعين ومائتين بدمشق عن اثنين وتسعين سنة .

الثانية : طريق أبى العباس محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبى عمار الصورى الدمشقى . وكان مشهوراً بالضبط . معروفاً بالإتقان .

وتوفى سنة سبع وثلاثمائة بدمشق .

فأما الأخفش فمن طريقين :

إحداهما : طريق النقاش . وذكر فى رواية البزى .

ثانيتهما : طريق أبى الحسن : محمد بن النضر بن مر بن الحُرّ[٤] بن حسان بن محمد الربعى الدمشقى . عرف بابن الأخرم ـ وكان إماماً ثقة رضيا ـ أجلّ أصحاب الأخفش ، وأضبطهم . عارفاً بعلل القراءات ، بصيراً بالتفسير والعربية . متواضعاً حسن الأخلاق .

ومولده : سنة ستين ومائتين .

وتوفى : سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بدمشق .

(٣) وفى غاية النهاية ابن الحويرس ويقال : ابن الحويرسى .

(٤) وكذا هى مثبتة فى غاية النهاية نشر برجستراسر ـ الخانجى ٢/ ٢٧٠ .

رجال القراءات

وأما الصورى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى بكر محمد بن أحمد الرملى . وهو « الداجونى » المذكور فى رواية هشام ، وهو فى روايته مشهور بالداجونى ، وفى طريق الصورى الرملى .

ثانيتهما : طريق المطوعى السابق ذكره .

فاما النقّاش عن الأخفش فمن عشر طرق :

الأولى : طريق عبد العزيز بن جعفر من الشاطبية والتيسير .

الثانية : طريق أبى الحسن على بن أحمد بن عمر الحمامى . من ثمان طرق : من « التجريد » ، و« روضة » المالكى ، و« جامع » أبى الحسن الخياط و« التيسير » ، و« غاية » أبى العلاء ، و« الارشاد » ، و« الكفاية » ، و« كامل الهذلى » ، وفيها تعددت طرقه ـ فبلغت خمس عشرة طريقاً للحمامى .

الثالثة : عن النقاش : طريق أبى الفرج النهروانى من « المستنير » ، و« غاية » الهمدانى ، و« إرشادى » أبى العز . فهى أربع طرق له .

الرابعة عنه : طريق السعيدي من « كتاب التجريد » .

الخامسة : بكر بن شاذان الواعظ ، من « غاية » أبى العلاء ، ومن كتابى أبى العز فهى ثلاث طرق له .

السادسة : طريق أبى الحسن على بن العلاف ، من « تذكار » ابن شيطا ،

السابعة : طريق إبراهيم بن أحمد الطبرى من « المستنير » .

الثامنة : طريق الشريف أبى القاسم على بن محمد الزيدي من « تلخيص ابن بليمة » ، ومن « غاية أبى العلاء » ، ومن « تلخيص أبى معشر » ، ومن « كامل الهذلى » ، ومن « مصباح أبى الكرم » ، فبلغت خمس طرق له .

التاسعة : طريق أبى أحمد عبد الله بن الحسن العلوى من غاية أبى العلاء . ومن « إرشادى أبى العز » .

العاشرة : طريق أبى بكر أحمد بن محمد الرقى ، من كامل الهذلى ، فتحصل سبع وثلاثون طريقاً للنقاش .

هذا : ولقد بلغت طرق ابن عامر مائة وثلاثين طريقاً مذكورة فى الكتب الكبار .

مذهب ابن عامر فى القراءة

وكان ابن عامر ـ رضى الله عنه ـ يدغم : « اتَّخَذْتُمْ » و« لَتَّخَذْتَ » و« أَخَذْتُمْ » وما أشبه ذلك فيدغم الذال فى التاء فيجعل

الذال تاء مشددة فيها . ويظهر : (عُذْتُ) الدخان ٢٠ ، ويدغم : (لَبِثْتُ) ـ البقرة ٢٥٩ ، ويظهر الثاء فى (أُورِثْتُمُوهَا) ـ الأعراف ٤٣ ، والزخرف ٧٢ ـ ويظهر الذال فى (فَنَبَذْتُها) ـ طه ٩٦ ـ ، ويدغم (دال) قد فى (الضاد) مثل : (فَقَد ضَلَّ) ـ البقرة ١٠٨ ـ . ولا يستمر على قياس واحد فى (تاء) التأنيث المتصلة بالفعل ، ولا فى (ذال) إذْ .

وكان يدغم : (أَنْبَتَت سَبْعَ) ـ البقرة ٢٦١ ـ ، و(نَضِجت جُلُودُهُمْ) ـ النساء ٥٦ ـ ، و(حَمَلَت ظهُورُهُمَا) ـ الأنعام ١٤٦ ـ . ويظهرها عند الجيم فى :(وجَبَتْ جُنُوبُهاَ)ـ الحج٣٦ـوعند الصاد فى : (حَصِرَتْ صَدُورُهُمْ) ـ النساء ٩٠ ـ ، وعند السين فى : (مَضَتْ سُنَّتُ) ـ الأنفال ٣٨ ـ ، (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) ـ يوسف ١٩ ـ وشبه ذلك . وعند الزاى فى : (خَبَتْ زِدْنَاهُمْ) ـ الإسراء ٩٧ ـ ، وعند الثاء فى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) ـ الشعراء ١٤١ ـ ، والقمر ٢٣ ، والحاقة ٤ ـ ، والشمس ١١ ـ ، ولا يدغمها فى السين إلا فى قوله : (أَنبَتَت سَبْعَ) وحدها .

وأما دال[٥] « قد » فكان يظهرها عند السين من قوله : (قَدْ سَمِعَ) ـ المجادلة ١ ـ ، وعند الشين من قوله : (قد شَغَفَهَا) ـ يوسف ٣٠ ـ وعند الصاد فى قوله : (لَقَدْ صَدَقَ) . ويدغمها فى الضاد من قوله : (فَقَد ضَلَّ) ـ البقرة ١٠٨ ـ ، ويظهرها عند الجيم من قوله : (قدْ جِئْنَاكَ) ـ طه ٤٧ ـ وما أشبه ذلك . ويدغمها فى الظاء مثل (لَقَد ظَّلَمَكَ) ـ ص ٢٤ ـ .

وأما ذال « إذْ »[٦] فكان يدغمها فى الظاء مثل قوله : (إذ ظَّلَمُوا) ـ النساء ٦٤ ـ ، وفى الزاى مثل قوله : (وإذ زَّاغَت) ـ الأحزاب ١٠ ـ وفى الدال مثل قوله : (إذ دَّخَلْتَ) ـ الكهف ٣٩ ـ ويظهر فى قوله : (إذْ دَخلُوا) ـ الحجر ٥٢ ـ ، ويظهرها عند الصاد فى مثل قوله : (وَإذ صَّرَفْنَا إِلَيْكَ) ـ الأحقاف ٢٩ ـ ، ويدغمها فى التاء فى موضع واحد ، ويظهرها عند غيره ، وهو قوله : (إذ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ)

(٥) أدغمها هشام فى حروفها الثمانية ، وهى حروف الصفير وهى : الزاى ، والسين ، والصاد ، والضاد ، والجيم ، واختُلِفَ عنه فى (لقد ظلمك) . وأدغمها ابن ذكوان فى الذال ، والظاء ، والضاد ، واختلف عنه فى الزاى . انظر النشر ٣/٢ .

(٦) أدغمها هشام فى حروفها الستة ، وهى حروف الصفير ، والتاء ، والجيم ، والدال ، وأظهرها ابن ذكوان عندها . واختلف عنه فى الدال ـ النشر ٣/٢ .

ـ آل عمران ١٢٤ ـ ويظهرها فى قوله : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ) ـ الأنفال ٩ ـ ، و(إِذْ تُفِيضُونَ فِيه) ـ يونس ٦١ ـ وما أشبه ذلك .

ويظهر (الفاءَ) الساكنة عند الباء مثل قوله : (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ) . ويدغم : (وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا) . ولا يدغم (لام) هل وبل[٧] . فى شىء . ويدغم (بَل رَّانَ) ـ المطففون ٢٤ ـ .

قال أبو بكر : والإدغام : تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه فى مخارج اللسان كراهية أن يعمل اللسان فى حرف واحد مرتين فيثقل عليه ـ وهو عند الخليل إذا أظهر ـ مثل إعادة الحديث مرتين . أو كخطو المقيد .

النون الساكنة والتنوين :

وكلهم يظهر النون الساكنة والتنوين عند الهمزة ، والهاء ، والحاء ، والخاء ، والعين ، والغين .

وروى المسيبى عن نافع : أنه لم يظهر النون الساكنة والتنوين عند الخاء ، والغين ، مثل (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله)[٨] ـ فاطر ٣ ـ . وروى غيره عن نافع الإظهار .

إدغام المتماثلين :

واعلم أن الحرف إذا كان ساكناً ولقيه مثله متحركاً لم يكن إلا إدغام الأول فى الثانى ، لا يجوز إلا ذلك ، مثل قوله : (يُدْرِككُّم المَوتُ) ـ النساء ٧٨ ـ ، و(إذ ذَّهَبَ) ـ الأنبياء ٨٧ ـ ، و(أَنِ اضرب بِّعَصَاكَ) ـ الأعراف ١٦٠ ـ وما أشبه ذلكَ .

الفصل بين المضاف والمضاف إليه فى قراءة ابن عامر رضى الله عنه

قرأ ابن عامر الآية (١٣٧) من سورة الأنعام بهذا الضبط :

﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ فتكون : (زُيِّن) مبنياً للمجهول و(قَتْلُ) نائب الفاعل ، وحذف الفاعل ـ وهو الشيطان ـ للعلم به وهذه قراءة متواترة صحيحة قرأها ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا .. فإنه قرأ على « أبى الدرداء » و« واثلة بن الأسقع » و« فضالة بن عبيد » و« معاوية بن أبى سفيان » ، بل نقل « الذمارى » أنه قرأ على « عثمان بن عفان » رضى الله عنهم أجمعين .

(٧) ابن ذكوان بالإظهار ، وهشام بالخلاف فى غير النون والضاد ـ النشر ٦/٢ .
(٨) وهذه القراءة ليست فى الأحرف السبعة .

وفى هذه القراءة فصل المضاف ، وهو (قَتْلُ) عن المضاف إليه ، وهو (شركائهم) فاعلُ المصدر-بالمفعول به ، وهو (أولادَهم) ، أى على معنى (قتلُ شركائهم أولادَهم) فالشركاء : فاعل المصدر أضيف إليه ، والأولاد : مفعوله .

وكان على نحاة البصرة ، ومن جاراهم من علماء قبل أن ينظروا إلى هذه القراءة انطلاقاً من مذهب البصرة النحوى أن يعلموا أن القراءة ـ قبل كل شىء ـ توقيفية متلقاة بسند أمين متواتر متصل برسول الله ﷺ فهى مُوَجِّهَةٌ لقواعد النحو ، وليس مذهبُ نحوى بعينه موجهاً لها .

يرى نحاة البصرة أنه لا يفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا فى الشعر بخاصة ضرورةً ، وأنه لا يقع الفصل بينهما فى النثر ، وأنه إذا وقع فى الشعر إنما يقع ضرورة ، وبالظرف أو الجار والمجرور خاصة كقول أبى حية النميرى ـ من الوافر

كَمَا خُطَّ الكتابُ بِكَفِّ ـ يوما ـ
يَهُودِىٍ يقارب أو يُزيل[٩]

وقول ذى الرمة ـ من البسيط :

كأنَّ أصواتَ ـ من إيغالِهِنَّ بنا
أواخرِ الميس أصواتُ الفراريج

أى بكف يهودى ، وأصوات أواخر الميس ففصل فى الأول بينهما بالظرف ـ يوما ـ وفى الأخير بالجار والمجرور ـ من ايغالهن بنا .

فى إطار هذا المذهب نظر علماؤه إلى هذه القراءة ، فرأوا الفصل قد وقع فيها بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول فاستبعدوا أن يقع ذلك فى القرآن الكريم ، وأردف بعضهم ذلك بعبارات غير لائقة .. عفا الله عنا وعنهم .

ورأى ابن خالويه والزمخشرى ، ومن جاراهما أن الذي حمل ابنَ عامر على ذلك أنه وجد لفظ (شركائهم) مكتوباً بالياء فى مصاحف أهل الشام .

يريد أن أبا عامر لما رأى (شركائهم) فى هذه المصاحف بالياء اعتبرها (مضافاً إليه) فنصب (أبناءهم) وهذا التحليل من أهل هذا الرأى يوحى بأن أبا عامر نصب هذه اللفظة اجتهاداً ، وهذا منهم عَيْنُ الخطأ ، فالقراءة لا اجتهاد فيها كما سبق أن وضحنا .

ثم إن الفصل بين المضاف والمضاف إليه قد وقع فى الشعر والنثر بغير الجار والمجرور والظرف ، فوقع الفصل بالمفعول به وبالفاعل ، وبالعطف ، وبالقسم ، والجملة الشرطية .

ووقوع الفصل بالمفعول ورد له أكثر من شاهد نجتزىء منه بقول الطرماح بن حكيم ـ من الطويل :

←

(٩) البيت فى الكتابة لسيبويه ١/١٧٩ وأورده فى الإنصاف والتصريح:يُشَبِّهُ رسوم الديار وقد عبث بها البلى عبث اليهود بالتوراة تحريفا تارة وإزالة اخرى .

يَطُفْنَ بحُوزى المراتع لم تُرَع
بوادِيه من قرعِ القِسِيِّ الكنائِنِ(١٠) .

فالقسىَّ مفعول (قرع) وقد فصل به بين المضاف والمضاف إليه .

ومن الفصل بالفاعل قوله ـ من الطويل

تَمُر على ما تستَمِر وقد شَفَتْ
غلائلَ ـ عبدُ القَيْس منها ـ صُدُورِها

أى شفت عبدُ القيس منها غلائلَ صدورها .

وبالعطف ، قال الفرزدق ـ من المنسرح :

يا من رَأى عارضاً يسر به
بين ذراعى ـ وجبهةِ ـ الأسدِ

أى بين ذراعى الأسد وجبهته .

ولا عبرة بقولهم بالضرورة ، أو تخريجهم فى العطف بالقول : حذف من الأول لدلالة الثانى عليه أى بين ذراعى الأسد وجبهة الأسد ، فحذف من الأول ، فالعكس هو الأولى قولاً واحداً .

وجاء ـ فى مخطوطة كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى ووجه التهانى ـ للإمام الجعبرى الجزء الثانى ص ٤٠٥(١١) وما بعدها أكثر من شاهد على الفصل بين المتضافين مما يدل على كثرته عربية وقد قرىء (فلاتَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ) .

وروى صاحب المخطوطة ـ رحمه الله تعالى ـ قول النبي ﷺ ص ٤٠٧ .

فهل أنتم تاركو لى صاحبي وتاركو لى أمرائى

ثم قال ، وقال ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف عن الكسائى ، عن العرب :

هو غلامُ ـ إن شاء الله ـ أخيك ، فصل بالجملة الشرطية ، وقال فى « المغرب » : يجوز فصل المصدر المضاف إلى فاعله بمفعوله لتقدير التأخير ، وقال ـ فى « التسهيل » : ويفصل ـ فى السعة ـ بالقسم مطلقاً نحو حكاية الكسائى عنه : هذا غلامٌ ـ والله ـ زيدٍ ثم قال : والمثبت راجح على النافى لما عرف فى الترجيح ، أو تساويا .

فكيف وفى المثبت من لا ينطق عن الهوى

وابن عامر ـ رضى الله عنه ـ قد تلقى بالثقة إلى رسول الله ﷺ ، وهو متقدم على الغراء المتوفى سنة سبع ومائتين للهجرة بما يقرب من مائة عام . وليس فى القراء السبعة من هو عربى محض كابن عامر وأبى عمرو بن العلاء .

ومن نحاة البصرة من نزل على الحق ، ورفض منهج أصحابه فى الآية كالعلامة ابن حبان المتوفى ٧٤٥ هـ قال : « فجمهور البصريين يمنعونها : متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضاً فى لسان العرب فى عدة أبيات قد ذكرناها فى كتاب منهج السالك من تأليفنا »(١٢) .

ابراهيم عطوة عوض

(١٠) يصف إناث بقر الوحش وقد أحطن بفحلهن آمنات من الصيد .

(١١) للمخطوطة صورة نقلا بالخط بحوزة الكاتب .

(١٢) راجع للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله ـ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمجلة الأزهر عدد محرم ١٤٠٧ ص ٩٧ .

التعاطف بين الآباء والأبناء

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

تكوين الأسرة نظام فطرى عرفته الإنسانية منذ أن خلق الله البشر وأسكنهم فى أرضه .. ، وهو من شريعة النبيين والمرسلين منذ أن بعثهم الله مبشرين ومنذرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن البيت مستقر وسكن ومثابة وهو المأوى العائلى المؤسس بتشريع إلهى من زوجين كريمين تنبت في ظلهما الذرية وفي جوه تتكيف ، وفي البيت تكمن مؤثرات البيئة : لأن البيت هو الأساس والمقياس ؛ والله تعالى يقول :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ . . . ﴾

« سورة النحل ـ ٧٢ ـ »

وفي شتى العصور والدهور لا يستطيع إنسان أن يعيش وحده لأن الله خلق الناس ليعمروا الأرض ويستثمروا خيراتها وليأكلوا من طيباتها فلا تستقيم الحياة إلا في جو التعاون فى البيت « وفي المجتمع » في ظل الإيمان ومكارم الأخلاق :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

« سورة الروم ـ ٢١ ـ »

وبحسن اختيار الزوجين يتم التكامل والتكافل العائلى ويتحقق الإحصان والعفاف وسلامة الأنساب نتيجة الزواج السعيد . فإذا صلحت الأسرة صلحت الأمة : وتلك هى سنة رسل الله عليهم السلام والله تعالى يقول :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

« سورة الرعد ـ ٣٨ ـ »

عواطف الأبوة نحو البنوة

وهذه عواطف الأبوة عند رسل الله عليهم السلام كما جاء في القرآن الكريم ، فهذا سيدنا نوح عليه السلام تتحرك عنده مشاعره الأبوية الغريزية حنوا وعطفاً على ولده يريد إنقاذه بالإيمان من خطر الطوفان فيقول كما قص القرآن :

﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ . . . ﴾

« سورة هود ـ ٤٢ ـ »

ثم تظهر عاطفة الأبوة إشفاقاً على الابن تارة أخرى بصورة أخرى كما يصفها القرآن الكريم :

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . . . ﴾

« سورة هود ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ »

وحب الذرية غريزة طبيعية ، وقد جعل الله للأنبياء أزواجاً وذرية وجعل فى بيوتهم براً ومودة ورحمة فهم القدوة والأسوة الحسنة ، لأن الزواج رباط مقدس وميثاق غليظ يؤسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان : وجعل للأولياء الصالحين والحكماء العلماء النافعين المصلحين أزواجاً وذرية طيبة تنشأ في بيئة مؤمنة صالحة .

أما خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فيطلب من ربه أن يجعله مقيم الصلاة ومن ذريته فيقول :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ . . . ﴾

« سورة إبراهيم ـ ٤٠ ـ »

وحينما أودع ابنه إسماعيل الطفل الرضيع عند بيت الله العتيق العريق مع أمه هاجر وسط الصحراء والبيداء وقد أسلم أمرهما إلى الله وقال :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ . . . ﴾

« سورة إبراهيم ـ ٣٧ ـ »

ولثقته بربه الذي اتخذه خليلا دعا ربه أن يؤمن مكة لتصبح البلد الأمين ، وطلب من ربه أن يجعل مكة عامرة بسكانها وبقلوب الملايين التى تهوى من كل فج عميق لزيارة الحرم الآمن الذى تجبى إليه ثمرات كل شيء ، وببركة دعوة سيدنا إبراهيم وببركة البيت استجاب رب البيت فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومنحهم خيراً كثيراً وفضلاً كبيراً والله تعالى يقول :

﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾ .

« سورة القصص ـ ٥٧ ـ »

ويقول جل جلاله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ . . . ﴾

« سورة العنكبوت ـ ٦٧ ـ »

وقد تحققت آمال إبراهيم في أحفاده العرب ، وكان سيدنا إبراهيم ـ أيضاً ـ حريصاً على ذرياتهم قبل أن يخلق الله أحفاده من ذرية إسماعيل فتمنى لهم الهداية والرضا وطاعة الرحمن ، وأن يبعث فيهم رسولاً منهم يربيهم ويعلمهم ويزكيهم ويرشدهم ويهديهم إلى صراط مستقيم ، لأن الأنبياء يطلبون الهدى لذرياتهم ، وتلك هى سجيتهم ورسالتهم ومهمتهم هم ومن اهتدى بهديهم واقتدى بأمرهم من أتباعهم المقربين والله تعالى يقول : « في دعاء إبراهيم عليه السلام بهذا » :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . . . ﴾

« سورة البقرة ـ ١٢٩ ـ »

ولعل سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ والله أعلم ـ كان يعتقد أن الأمة الأمية تحتاج إلى العلم والحكمة أولاً ليكون ذلك وسيلة لتزكية النفوس ، ولكن الله العليم الخبير لما أرسل حبيبه محمداً صلوات الله وسلامه عليه رحمة للعالمين قال جل شأنه :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . . . ﴾

« سورة البقرة ـ ١٥١ ـ »

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . . . ﴾

« سورة آل عمران ـ ١٦٤ ـ »

كذلك يقول ربنا عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . . . ﴾

« سـورة الجمعـة ـ ٢ ـ »

فقدم الله ذكر التزكية على ذكر العلم والحكمة بعد البعثة في الآيات الثلاث وفي كل هذه الآيات البينات تقدم ذكر التلاوة لأن التلاوة أول الطريق لمعرفة دين الله وزيادة الإيمان بالله وحده :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . . . ﴾

« سورة الأنفال ـ ٢ ـ »

ومن القضايا التى لا جدال فيها أن الذى يستفيد من العلم والحكمة هم أصحاب النفوس الزكية : ولهذا تقدم هنا ذكر التزكية على ذكر العلم والحكمة : والله تعالى يقول :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

« سـورة الشمس ـ ٧ : ١٠ »

التعاطف بين الآباء والأبناء

والرسالة المحمدية كانت للناس كافة رحمة بالبشرية فليس بعد سيدنا محمد رسول وليس بعد كتاب الله كتاب.

« وسيدنا زكريا عليه السلام »

وأما سيدنا زكريا عليه السلام فقد طلب من ربه عز وجل أن يهب له ذرية طيبة فأجاب الله دعاءه وحقق له رجاءه ، يقول ربنا :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا . يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

« سورة مريم ـ ٤ ـ ٧ »

ومريم ابنة عمران حينما وضعتها أمها « امرأة عمران » توجهت إلى الله تعالى بالدعاء قائلة : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . . . ﴾

« سورة آل عمران ـ ٣٦ ـ »

قد طلبت من الله أن يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم ، وأما نبى الله داود عليه السلام فقد كان رسولاً نبياً وكان مَلكا تقيا قد أكرمه الله ووهب له ابنه سليمان فقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . . ﴾

« سورة ص ـ ٣٠ ـ »

فكان سيدنا سليمان عليه السلام أيضاً رسولاً وملكا عُلم منطق الطير وسخرت له الريح ومنحه الله ملكاً واسعاً فسيحاً كما جاء في القرآن الكريم ..

« وعباد الرحمن »

وعباد الرحمن الذين اتبعوا النور الذى أنزله الرحمن للهداية ـ يقولون : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . . . ﴾

« سورة الفرقان ـ ٧٤ ـ »

وهكذا تجد الصالحين ـ دائماً ـ يرجون ذرية طيبة تعرف الله وتؤمن بأن التقوى تنفع الذرية ـ فلا تعصى خالقها طاعة لله واقتداء برسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين يقول الله فيهم :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ . . . ﴾

« سورة الحديد ـ ٢٦ ـ »

والله أعلم حيث يجعل رسالته : وهو أعلم بمن اتقى : يعطى ويمنع ويختص برحمته من يشاء ..

والإسلام يفرض على الآباء تنشئة الأبناء على البر والتقوى ، لأن رب البيت مسئول مسئولية كاملة عن أسرته ، ولأن بيده القيادة والقوامة : وهو صاحب الرياسة يوجه ويربى ويؤدب ويهذب ويعلم ويراقب . أما الأم فهى صاحبة التدبير المنزلى وعليها الرعاية والعناية

بأطفالها الصبية الصغار ، ولابد فى البيت من وجود المودة والرحمة وبذل الجهد لهدوء البال ليطمئن كل من فيه وليسوده الاستقرار والتماسك والتعاون .

وهذا درس أبوى تربوى كريم

لقد اختار الله هذا الدرس الأبوى العظيم ليكون قرآنا كريماً يتلى لأنه صادر من لقمان الذى آتاه الله الحكمة - ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ - والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . ﴾

« سورة لقمان ١٢ - ١٣ »

ثم هو ينصح ابنه بنصيحة الحكماء العلماء ليكون ابنه نموذجاً إنسانياً رفيعاً يقتدى به فى الفضائل والشمائل إذا عمل بهذه العظات البالغات التى خلدها القرآن الكريم وكرم الله بها لقمان الحكيم ، فهو يقول :

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ .

« سورة لقمان ١٦ - ١٩ »

وبهذه التوجيهات العالية والنصائح الغالية تنتفع الذرية ويستقيم الأمر ويستتب الأمن فى البيت والمجتمعات ، ويزداد المؤمن إيماناً ويقيناً وتثبيتاً ، ولقد علمه أبوه أن الله سبحانه يعلم السر وأخفى ليراقب ربه وليحاسب نفسه بنفسه التى يقيمها الدين رقيبة تلوم وتحمى صاحبها من الوساوس والهواجس ولتتحصن من شر النزوات والشهوات الضارة والأهواء الخداعة التى تضل عن سبيل الله .

« ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب »

وكان أنبياء الله حريصين على ذرياتهم لتظل التقوى فيهم باقية ليكونوا موصولين بربهم دائماً وذلك لإيمانهم بأن من طلب العز بغير الله ذل وبأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولأن من عمل صالحاً فسيحيا حياة طيبة : ولإشفاقهم بذرياتهم يودون لهم السعادة فى الدنيا والآخرة ، والله يقول : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

« سورة البقرة ١٣٠ - ١٣٣ »

لقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ . . . ﴾

« سورة البقرة ١٢٨ »

التعاطف بين الآباء والأبناء

وكان سيدنا يعقوب عليه السلام ينصح ابنه حبًا له وحرصا عليه من حسد إخوته :

﴿ يَابُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

« سورة يوسف ٥ »

ولقد كان الرسل قدوة لكل أسرة ـ تؤمن بالله ـ في سلامة الاعتقاد ومحاربة الإلحاد ووضوح المنهاج ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة حيث يقول ربنا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ .

« سورة الأحزاب ٢١ »

والرسول هو القدوة المثالية للمسلمين أجمعين هو قدوتهم في مكارم الأخلاق وفي حسن معاملة الآباء للأبناء ليتخذوا من الإسلام منهجهم ولئلا يتردى المخالف إلى مهاوى التهلكة ومزالق الفتن ماظهر منها وما بطن ، وقد ذهب رجل إلى سيدنا عمر رضى الله عنه يشكو ابنه قائلاً إن ابنى هذا يعقنى فقال له عمر رضى الله عنه : أما تخاف الله في عقوق أبيك . !!! قال الابن ياأمير المؤمنين : أما للولد حق على أبيه ؟ قال عمر : حقه على أبيه أن يختار أمه وأن يحسن اسمه ، وأن يعلمه كتاب الله ، قال الابن : ياأمير المؤمنين : إن أبى لم يحسن اختيار أمى فهى أمة مشتراة (زنجية كانت لمجوسى) ولم يحسن اسمى بل سبمانى جعلا أى (جعرانا)ولم يعلمنى شيئاً من كتاب الله ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال : تقول ابنى يعقنى ؟ فقد عققته قبل أن يعقك .

« وبالوالدين إحسانا »

يفرض علينا ديننا القيم الإحسان إلى الوالدين وقد اقترنت طاعتهما بطاعة لله فقال جل جلاله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ .

« سورة الإسراء ٢٢ ـ ٢٥ »

روى ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قلت : ثم أى ؟ قال بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد في سبيل الله .

« البخارى ومسلم »

روى أحمد عن أنس رضى الله عنه : أنه عليه الصلاة والسلام قال : من سره أن يمد له في عمره ، ويزاد له في رزقه ، فليبر والديه وليصل رحمه » .

وروى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها « أم المؤمنين » أنه عليه الصلاة والسلام قال : (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم) « الطبرانى »

وقد أوجب الإسلام على المسلم أن يحترم والديه بألا يرفع صوته على صوتهما وألا ينهرهما وأن يبر بهما وأن ينفق عليهما إذا كانا فقيرين وأن يتلطف بهما بالود والرأفة والرحمة وأن يدعو لهما : قائلا ربِّ ارحمهما كما ربيانى صغيراً .

التقوى تنفع الذرية

دخل مقاتل بن سليمان على الخليفة أبو جعفر المنصور ـ وكان مقاتل عالماً فاضلاً جريئاً ـ فقال له عظنى . فقال له : أأعظك بما سمعت أم بما رأيت ؟ قال لا ـ بل بما رأيت . قال والله ـ ياأمير المؤمنين ـ لقد مات هشام بن عبد الملك وكان ميراث إحدى زوجاته الأربع من المال السائل (بخلاف القصور والضياع) ثمانين ألف دينار ، ومات عمر بن عبد العزيز وخلف ستة عشر ديناراً ، اشترى كفنا بخمسة وقبراً بأربعة ووزع الباقى على الورثة وكانوا أحد عشر والله ياأمير المؤمنين : لقد رأيت أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس فى سبيل الله من ماله الخاص ، ورأيت أحد أبناء هشام بن عبد الملك يسأل الناس فى الطرقات ثم تلا عليه قول الله جل جلاله :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ .

« سورة النساء ٩ »

وشباب الاسلام

وشباب الإسلام هم أحفاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وعمر بن عبد العزيز وتلاميذ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان ، فلايكفيهم أن يكون أحدهم قوى المناكب مفتول السواعد ـ وهذا مهم جداً ـ لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ... ولكن لابد من غذاء روحى يعبىء الحياة بالإيمان السليم ويثرى بالخلق القويم ويفجر ينابيع الخير فى نفوس من شاء أن يتزود بخير زاد يعينه على تفهم دينه ومع إيماننا بأن العقل السليم فى الجسم السليم يجب أن يضاف الخلق المتين لأن فى ذلك وقاية من الضرر والخطر وترفعاً عن الخضوع المذل للنزوات والشهوات ، وعلى شبابنا أن يكون نقى السريرة طاهر السيرة ليسلم من الذنوب والعيوب ومن الدنايا والخطايا وليتحلى بالنبل والعفة والعزة والوفاء والإباء والسكينة والوقار والأمانة فى القول والفعل وبالصدق مع الله ومع النفس ومع الناس ، وبالإيثار والعفو والعدل والإحسان ليكون من المتقين الأبرار ومن الطيبين الأخيار الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

محمد حافظ سليمان

الإسلام قوة صامدة

وعلم راسخ

أتت هدايات الإسلام من لدن رب العالمين متسمة بالشمول والإحاطة ، وإذا كانت أصول هذا الدين هى التى بلغها جميع الأنبياء السابقين إلى أممهم فإن تلك الأصول مع التشريع الذى نزل معها من السماء على النبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم هى التى قدر الله جل وعلا أن تصحب سير الإنسان فى الأرض آخر الدهر وان تنتظم شمل البشر فى القارات الخمس قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1] ويقول جل شانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[2] ويقول سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[3] .

وعندما ينعم المرء النظر فى أحداث التاريخ يروعه مقدار ما يترك السابقون للاحقين ، فقد استشهد رجال الإسلام الأوائل فى سبيل نشر الدعوة إلى الله ومحاربة الفتنة وأحاطوا غرس الإيمان فى هذه الدنيا بسياج متين من جهادهم ، وجاء أحفادهم وذرياتهم فورثوا الإيمان سهلاً لا ينغصه اضطهاد ولا يطارده إلحاد فاستكانوا لذلك وضعفوا مما مكن أعداء الإسلام من بلاد المسلمين فلم تبق منها واحدة تنعم بقسط من حرية الحكم والسيادة والاستقلال خصوصاً فى القرن التاسع عشر حتى النصف الأول من القرن العشرين .

ولقد خيل إلى الناظرين فى ذلك الوقت أن الحاضر والمستقبل جميعاً كانا لأعداء الإسلام فقد جمعوا القوة والعلم والحضارة الحديثة فلا نجاة من قبضتهم للذين حرموا القوة والعلم والحضارة وأصبحوا فى كل منها عالة على المستعمرين .

١ - سورة الأنبياء ٢٥

٢ - سورة سبأ ٢٨

٣ - سورة الأنبياء ١٠٧

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

تراجع الاستعمار وظهور الدول الاسلامية من جديد

لكن برغم استحواذ الاستعمار على سلطان المال والعلم والسلاح فإنه منذ النصف الثانى من القرن العشرين بدأ فى الانحسار وبرزت على الساحة العالمية دول إسلامية لها شأنها وأهميتها واستقلالها فى كل من قارة آسيا وأفريقيا .

وهذه الدول الإسلامية لا ينظر المؤرخ الباحث فى أطوارها على تعدد ظواهرها وأدوارها إلا وجب عليه أن يفترض لها سراً عجيباً كذلك السر العجيب فى صدر الإسلام وهو سر الغلبة من حيث لا تنتظر الغلبة على دولتى العالم فى ذلك الوقت ، دولة الفرس ودولة الروم فى خمس سنوات .

السر العجيب فى وقتنا الحاضر هو فى قوة صمود الاسلام

فقوة (الصمود) فى الإسلام فى زماننا المعاصر هى من العجب بمكان مثلها مثل قوة (غلبة) الإسلام عندما أشرقت على العالم شمسه وأنواره ، بل إن قوة الصمود أعجب من قوة الغلبة لأنها تملك الدفاع ولا مال لديها ولا سلاح ولا اتفاق بينها على الدفاع ، ذلك أن قوة العقيدة قد سرت مسراها فى أرجاء العالم بمعزل عن حروب الدول وسياساتها وعن عروش العواهل وتيجانها .

تفسير ظاهرة الصمود فى عقيدة الاسلام

هذا الصمود فى عقيدة الإسلام يفسره أنه عقيدة شاملة فهو يخاطب العقل ولا يقصر خطابه على الضمير والوجدان وهو بذلك حقق الصفة الكبرى للعقيدة الدينية على أتم شروطها من الشمول الذى يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه ، فالإسلام بهذا الشمول يمثل العقيدة المثلى للإنسان منفردا ومجتمعاً وعاملاً لروحه وجسده وناظراً إلى دنياه كما هو ناظر إلى آخرته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[٤] ويقول سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[٥] ويقول جل وعلا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[٦] .

فشمول العقيدة فى ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية هو المزية الخاصة فى

←

٤ ـ سورة الأعراف ١٦٢ ـ ١٦٣
٥ ـ سورة القصص ٧٧
٦ ـ سورة سبأ ٤٦

العقيدة الإسلامية وهو المزية التى توحى إلى الإنسان أنه كُلٌّ شامل فيستريح من فصام العقائد التى تشطر السريرة شطرين ثم يَعْيَ فى الجمع بينهما .

كيف يمكن إدراك شمول العقيدة الاسلامية

يمكن إدراك شمول عقيدة الإسلام من مراقبة أحوال المسلم فى معيشته وعبادته فهو مستقل بعبادته عن الهيكل والصنم والأيقونة والوثن ، ذلك أن الإسلام عند ظهوره فى القرن السابع للميلاد وقت أن نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد الخالدة (لا إله إلا الله) واجه دولة الكهانة والمراسم من الوثنيين وغيرهم بعلاقة أتباعه المباشرة بالله .

١) ففى عقيدته :

لا تتوقف نجاة المسلم على مشيئة أحد من الكهان فهو من جمهور المسلمين ما دام قد شهد بين نفسه وبين الله خالقه بأن الله واحد أحد لا شريك له وبالرسالة والنبوة لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، دون أن تكون عينا قلبه مشدودتين بشفتى حبر أو كاهن ودون أن يغالى فى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام فهو يقدر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق قدره . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(٧) وقال جل وعلا ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾(٨) والأمر كذلك فى سائر العبادات تؤدى مرفوعة إلى الله وحده لا شريك له .

ومن عناصر شمول العقيدة الاسلامية أيضا :

١) أنها تشمل الأمم الإنسانية جميعاً فليس الإسلام دين أمة واحدة ولا هو دين طبقة معينة وليس هو للسادة المسلطين دون الضعفاء المسخرين ، ولا هو للضعفاء المسخرين دون السادة المسلطين ولكنه رسالة تشمل بنى الإنسان من كل جنس وملة . وقبيل قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(٩) وقال جل وعلا ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾(١٠) .

٢) لا يختص الإسلام بنعمة هدايته أمة من الأمم لأنها من سلالة ممتازة بل هو لسائر السلالات والأمم قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١١) وقال جل وعلا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١٢) .

٧ ـ الكهف ـ ١١٠
٨ ـ النساء ـ ١٧٠
٩ ـ سورة سبأ ـ ٢٨
١٠ ـ سورة الأعراف ١٥٨
١١ ـ سورة الحجرات ـ ١٣
١٢ ـ سورة الأنبياء ـ ١٠٧

٣) وفى الإسلام يتفاوت الناس فى درجاتهم بالعلم والعمل قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[١٣] ويقول جل وعلا ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[١٤] وقال أيضاً ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴾[١٥] .

ولكن هل تترك القوى المعادية للاسلام المسلمين وشأنهم بعد قيام دولهم ؟

كلا !

ذلك أنه منذ قامت الدول الإسلامية المستقلة وبرزت على المسرح الدولى خططت القوى المعادية للإسلام بخبث ودهاء للقضاء عليه والخلاص منه حتى تطيح بالمسلمين وبرسالتهم فى مهاوى العدم وجاشت أمانيها الخبيثة تنشد الويل والدمار لقضايا المسلمين الفكرية والاجتماعية ومن أمثلة ذلك :

١) أنه عندما حددت للدويلات الإسلامية الناشئة مسارها قامت تلك القوى فبدأت بأن حذفت الولاء للإسلام من بنائها التربوى والخلقى وسلوكها العام فأضحى الولاء للأرض والجنس فقط وارتفعت أعلام القوميات الضيقة فى أغلب الأقطار الإسلامية دون أن يسمح للإسلام أن يكون جزءاً من مفهوم تلك القوميات فجهل أبناء الإسلام بعضهم بعضا وانقطع كل مسلم عن أخيه المسلم فى دولة أخرى وعامله على أنه رعية دولة أجنبية لا رابطة بينها وبينه ، ولا شعور بالتضامن الإسلامى فيما بينهما .

٢) إذا سمح للإسلام بوجود فبوجود ضعيف فى بعض الأنحاء ، وجود محروم من أسباب النماء والتأثير على حين سخرت عناصر كثيرة لجعل الولاء القومى يتحرك ويتطور ، وبمرور الأيام أخذ الإسلام فى ميدان التربية والسلوك والأخلاق يتراجع وينكمش وأخذت مفاهيم الاستعمار العالمى تملأ الفراغ المتخلف فى تلك الميادين فتكونت أجيال مستوحشة عن دينها أو منكرة له متمردة عليه لا تحمل منه سوى الأسماء الإسلامية وانتشرت بينهم المذاهب الفلسفية والاجتماعية الوضعية التى يدين بها الشرق الشيوعى أو الغرب الصليبى[١٦] .

٣) إن الولاء للإسلام هو حق أمته الكبرى ، وما من شك أن الإسلام فوق القوميات ، ولا قيمة للقوميات بدونه ، فالولاء للإسلام هو حق أمته الكبرى ، وتطبيق شريعته حق لكل مسلم فيها ومما يؤسف له أن ينقاد أعلام من المسلمين المعاصرين لمعتنقات يبرأ منها الإسلام .

١٣ ـ سورة الزمر ـ ٩

١٤ ـ سورة المجادلة ـ ١١

١٥ ـ سورة النساء ـ ٩٥

١٦ ـ كتاب (الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر) تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة سنة ١٤٠٥ هـ ـ سنة ١٩٨٥ م تنشره مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة . .

الإسلام قوة صاعدة وعلم ربح

٤) كذلك بذل أعداء الإسلام جهدهم بعد سيطرتهم أو سيطرة أذنابهم على مقدرات المسلمين فى تقطيع حقيقته العلمية وإبعادها عن أذهان أبنائه .

٥) ومما أعجز الإسلام عن الحركة الصحيحة أو كاد إضعاف مؤسساته العلمية المالية وإعلان الحرب الخفية والعلنية على ما حبسه أثرياء المسلمين عليها فى شتى العصور من أوقاف خيرية للمؤسسات العلمية وطلبة العلم .. مما أضعف هذه النهضة وذوى بهلها .

٦ ـ ثم شرعت تلك القوى المعادية للإسلام فى تحريك الأقليات الصغيرة فى العالم الإسلامى وتملى لها فى أسباب الدعوى والاغترار وتغريها بالتمرد والانتقاض وتهمس فى ترويج الأكاذيب ضد المسلمين ، ومضايقة المسئولين بشئون مختلفة أو مطالب ليست من حقها فى شىء مع أن هذه الطوائف كانت ولا تزال أسعد الأقليات فى هذا العالم واستمتاع أهلها بالحقوق المادية والأدبية التى يتمتع بها المسلمون ليست موضع ريبة .

٧) ثم كان إقحام (إسرائيل) فى الجسد الإسلامى تقسيما لشطريه وإحياء لولاء اليهودية على ما فيها من عنصرية وعداء لغيرها ، فى نفس الوقت الذى عمل فيه على قهر الولاء للإسلام الذى يحرم العصبية والتفرقة العنصرية .

وبعد :

فإن الذى لامراء فيه أن الإسلام كافح القوى المعادية له وهو أعزل فى نفوس المسلمين لأن عنصر القوة كامن فى طبيعته ، كامن فى بساطته ووضوحه وشموله وملاءمته للفطرة البشرية وتلبيته لحاجاتها الحقيقية ، كامن فى الاستعلاء عن العبودية للبشر بالعبودية لله رب البشر . وفى رفض التلقى إلا منه ورفض الخضوع إلا له من دون العالمين ، كامن كذلك فى الاستعلاء بأهله على الملابسات العارضة كما حدث للمسلمين عند خضوع دولهم تحت سلطان المستعمرين والمتسلطين فهذا السلطان ظل خارج نطاق الضمير مهما اشتدت وطأته ومن ثم لم تقع الهزيمة الروحية على المسلمين طالما عمر الإسلام القلب والضمير وإن وقعت الهزيمة الظاهرية فى بعض الأحيان .

وبرغم هذا كله :

فإن الذى لامراء فيه أن المستقبل للإسلام لأن دوره المرتقب فى إصلاح البشرية لا تملك عقيدة أخرى كما لا يملك منهج آخر أن يؤديه .

١ ـ فهو القادر على إنقاذ البشرية بما يملكه من طاقات روحية قادرة على تخليصها من أخطار حضارة الغرب المناقضة لفطرتها .

٢ ـ وهو القادر على منحها المنهج الملائم لفطرتها وفقا لاحتياجاتها الحقيقية .

٣ ـ وهو وحده الذى يملك أن يقيم لها نظاماً واقعياً للحياة ينسق لها فيه ما تحتاجه من خطى الإبداع المادى ، وخطاها فى

الاستشراف الروحى الذى لم تعرفه البشرية فى تاريخها الطويل إلا فى النظام الإسلامى .

ولا أدل على ذلك من الاستشهاد بذكر جزئية صغيرة من هذا المنهج الربانى الكامل ، ذلك أن أحدث النظريات التى ينتهى إليها فقه القانون الغربى الحديث فى كل فروعه وكان للوصول إليها دوى كبير بدعوى أنها ابتكار فى العلم ليس له نظير ، ولم يكن ابتكارا فى شىء راسخ فيما قرره الإسلام مثال ذلك فى القانون المدنى **نظرية التعسف فى استعمال الحق - فهى تطبيق للحديث النبوى الشريف (لا ضرر ولا ضرار)**[١٧] .

وقد سبق أن كتب المرحوم المستشار الدكتور عبد السلام ذهنى فى الجريدة القضائية سنة ١٩٣٧ م مقالاً تحت عنوان (تجميع القوانين والشريعة الإسلامية) ورد فيه قوله (لما كنت بمدينة ليون بفرنسا بقسم الدكتوراه من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٠ كان أستاذنا مسيو لامبير Lambert يرى الفقه الإسلامى فى المعاملات كنزاً لا يفنى ومعيناً لا ينضب وكان يشير على الطلبة المصريين بالرجوع إليه لوضع رسائلهم فى الدكتوراه فى مواضيع عن الشريعة الإسلامية وفعلاً وضع المرحوم الدكتور محمد فتحى رسالته للدكتوراه عن مذهب الاعتساف (أى التعسف) فى استعمال الحق والخروج عما شرع له عند فقهاء الإسلام ، وما كادت الرسالة تطبع فى كتاب حتى نفدت فى ستة أشهر وكتبت عنها المجلات القانونية فى أوروبا كثيراً وأشادت بعظمة التشريع الإسلامى[١٨] .

ومما كتبه الفقيه الألمانى (كوهلر) فى مقال له (إن الألمان كانوا يتيهون عجباً على غيرهم لخلقهم (نظرية الاعتساف فى استعمال الحق) وإدخالها ضمن التشريع القانونى المدنى الألمانى الذى وضع سنة ١٩٠٧ وقد ظهر كتاب الدكتور محمد فتحى وأفاض فى شرح هذه النظرية نقلاً عن رجال الفقه الإسلامى لذلك فإنه يجدر بعلماء القانون الألمان أن يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لأنفسهم ويعترفوا بالفضل لأهله وهم فقهاء الإسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الألمان بعشرة قرون)[١٩]

وليس لنا من تعليق على ذلك إلا أن نردد قول الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢٠] .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

١٧ ـ رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مسند أو رواه مالك فى الموطأ مرسلا هذا ما أورده الإمام محيى الدين النووى فى متن الأربعين حديثا النووية وقال حديث حسن.

١٨ ـ كتاب تأملات فى الشريعة الإسلامية تأليف المستشار محمود الشربينى نائب رئيس مجلس الدولة طبعة سنة ١٩٨٧ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٩ ـ المرجع السابق .

٢٠ ـ سورة فصلت ٥٣ .

ألبانيا والإسلام (٢)

ذكرنا فيما سبق أن كراهية الشعوب البلقانية للشعب الألبانى بدأت ببدء هجرة هذه الشعوب إلى البلقان قبل الميلاد بخمسة قرون تقريبا واستيلائها على الأراضى التى كان الشعب الألبانى قد وضع يده عليها حينما نزح إلى البلقان التى كانت خالية من السكان ، فانتشرت القبائل الألبانية فى ربوعها وكانت هذه الكراهية تختفى مرة ثم لا تلبث أن تطفو فوق السطح . لكن بعد الفتح العثمانى واعتناق الشعب الألبانى الإسلام وقيامه بحماية الإسلام من الشعوب البلقانية اربعة قرون ، كل ذلك جعل هذه الكراهية تتعمق جذورها فى نفوس هذه الشعوب ، وتتحين الفرص للانتقام من الألبانيين .

بعد الحرب البلقانية إلى اليوم :

ولما بدأت الشيخوخة تظهر على الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر ولقبت بالرجل المريض أخذت هذه الشعوب تتصل بالدول الغربية الكبرى التى لم تكن تخفى بغضها للإسلام تطلب منها المساعدة حتى تتمكن هذه الدول من الهجوم على العثمانيين فى البلقان وطردهم منها وتقسيم ممتلكاتها - بما فيها الأرض الألبانية - بينها . ظهر ذلك جليا خلف « كواليس » مؤتمر برلين الذى انعقد فى سنة ١٨٧٨ ميلادية .

عقب هذا المؤتمر اجتمع زعماء ألبانيا فى مدينة « برزرين » واتفقوا على مطالبة الحكومة العثمانية بمنح الشعب الألبانى الحكم الذاتى مع بقائه مربوطا بالدولة وكان الغرض من ذلك إفهام الشعوب البلقانية ومن وراءها بأن الأرض الألبانية ليست من ممتلكات الدولة العثمانية .. وافقت الحكومة العثمانية أولا ثم سحبت الموافقة بعد ذلك

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

لأسباب لا نعلمها . ثم فكرت الدول البلقانية وتدبرت وقررت أنها لا تضمن النجاح طالما كان السلاح بأيدى الألبانيين ، من هنا ظهرت فكرة تجريد الألبانيين من السلاح لتسهيل مهمة الدول البلقانية وبلور الغرب هذه الفكرة بأساليب المكر والخداع والدهاء على أنها تخدم الدولة العثمانية فى ضبط الأمن ودعم الاستقرار بعد أن قام فعلا بعض الزعماء الألبانيين يطالبون بالحكم الذاتى .

استطاعت الدول الغربية توصيل هذه الفكرة إلى زعماء الاتحاد والترقى وتجنيدها على اعتبار أنها ستؤدى إلى ضبط الأمن ودعم الاستقرار . ابتلعت حكومة الاتحاد والترقى هذه الطعمة لحداثة عهد رجالها بأساليب سياسة المكر والخداع فأرسلت فيالق إلى البلقان لتجريد المسلمين الألبانيين من السلاح ، واستخدمت أبشع الوسائل فى سبيل ذلك وأريقت الدماء وساءت العلاقات ، لكن الحكومة كانت تظن أنها الطريق الوحيد لحفظ الأمن وضبط الاستقرار .

ولما تأكدت الدول البلقانية من سحب السلاح من الألبانيين هجمت على الدولة العثمانية فعجز جيشها عن المقاومة بدون مساعدة الألبانيين فانسحب من البلقان بعد حكم دام أكثر من أربعة قرون .

أسرعت الدول البلقانية إلى احتلال الأراضى الألبانية طبقا للخطة التى كانت قد وضعتها . ولما رأى زعماء ألبانيا ماسيحيق بها اجتمعوا فى (ڤلونا) - كبرى مدن الجنوب - يوم ١٩١٢/١١/٢٨ برياسة السياسى المحنك ونائب ڤلونا بالبرلمان العثمانى (إسماعيل كمال بك) فأعلنوا استقلال ألبانيا عن الدولة العثمانية ورفعوا علم ألبانيا فى (ڤلونا) وغيرها من البلاد ، وشكلوا حكومة مؤقتة برياسة « إسماعيل كمال بك » فطالبت الدول البلقانية بالانسحاب من الأراضى الألبانية التى احتلتها لأنها ليست ممتلكات عثمانية لكن البغض والعداوة والكراهية كل ذلك أدى أدواراً فى ضياع ثلثى أراضى ألبانيا ، وذكر الحركات والحوادث والألاعيب التى حصلت بين سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢١ لتحديد حدود ألبانيا تحتاج إلى مئات الصفحات . ولولا مساعدة الدولة النمساوية من ناحية ، وتدخل الرئيس (ويلسن) الأمريكى لفقدت ألبانيا إلى الأبد . وكان تدخل الرئيس الأمريكى هو السبب المباشر لحمل مهندسى معاهدة فرساى على تقسيم ألبانيا إلى ثلاثة أقسام :

١ - القسم الأول : هو ألبانيا الرسمية المعترف بها دولة مستقلة .

٢ - القسم الثانى : هى المنطقة المعروفة بـ « تشاموريا » أو بولاية « يانينا » ويطل ساحلها على جزء من البحر الأبيض المتوسط إلى أن يتصل بمدخل بحر « الأدرياتيك » وتمتد إلى الشمال الشرقى حتى تصل إلى ما ...اء سلانيك بقليل .

ألبانيا والإسلام

٣ ـ القسم الثالث : هى المنطقة التى يطل ساحلها على بحر « الأدرياتيك» وتلتف حول البانيا الرسمية إلى أن تتصل بالمنطقة الألبانية وراء مدينة سلانيك ثم قرر مؤتمر فرساى ضم القسم الثانى ومساحته حوالى ثلث مساحة البانيا الرسمية إلى اليونان .

وقرر ضم القسم الثالث ومساحته تزيد على مساحة البانيا الرسمية إلى مملكة الصرب .

●● ●● ●●

والكلام عن « البانيا والإسلام » بعد الحرب البلقانية يدور حول مرحلتين .

المرحلة الأولى : « البانيا والإسلام » بين الحربين العالميتين .

المرحلة الثانية : « البانيا والإسلام » بعد الحرب العالمية الثانية .

(الإسلام والألبانيون فى المنطقة التى ضُمت إلى اليونان) علمنا أن هذه المنطقة احتلتها اليونان فى الحرب البلقانية ، وأقرت معاهدة (فرساى) ضمها إلى اليونان . ومن يوم الاحتلال إلى الآن أقامت الدولة اليونانية حولها ستاراً حديدياً لا يدخلها أجنبى ، ولا تخرج منها أخبار عما حدث ويحدث فيها مع المسلمين الألبانيين رغم مبادرة الحكومات اليونانية المتتابعة إلى إظهار تعاطفها مع المسلمين فى الشرق الأوسط ومع عرب فلسطين .

وإذا كان الإخوة المسلمون أو بعبارة أوضح : إذا كان أعضاء الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى لا يسألون عما حل بإخوتهم فلا غرابة إذا أقامت الحكومات اليونانية المتتابعة حولها حصاراً لمنعهم من الاتصال بالعالم الإسلامى من جهة ، وايهام العالم الإسلامى من جهة أخرى بأن لا وجود للإسلام فى المنطقة الغربية المتاخمة لحدود ألبانيا الرسمية . وليس لنا إلا أن نتجه إلى الله « تعالى » ونقول بكل مشاعرنا وأحاسيسنا : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

الاسلام والألبانيون فى المنطقة التى ضمت إلى الصرب والجبل الأسود

كانت دولة يوغوسلافيا فى العشرينيات معروفة باسم دولة الصرب والكروات والسلوفان . ولم يكن هذا الاسم يشمل كل الشعوب التى تعيش داخلها ومن بينها شعب الجبل الأسود . لذلك غيرت الدولة اسمها إلى اسم دولة يوغوسلافيا لتشمل كل الشعوب التى تعيش داخلها .

الألبانيون والاسلام فى يوغوسلافيا بين الحربين العالميتين

كانت الدولة اليوغوسلافية بعد الحرب العالمية الأولى ضد الشيوعية لذلك كانت تحترم الأديان المختلفة ومن بينها الإسلام ، غير أنها كانت تعامل المسلمين الألبانيين فى الأمور الدنيوية معاملة سيئة جداً خلاف معاملتها لمسلمي بوسنة وهرسك لاتفاقهم مع الصربيين فى الجنس واللغة وإن اختلفوا معهم فى الدين .

بدأت فى أول الأمر تصادر أراضى المسلمين الألبانيين وتملكها للنصارى الذين تجلبهم من الجبل الأسود بقصد حملهم على الهجرة وترك أراضى الآباء والأجداد للصربيين . ولما رأت المملكة اليوغوسلافية أن أكثر أراضى الألبانيين صودرت ومع ذلك رفضوا الهجرة متمسكين بالهواء الموجود فوق الأرض حاولت نقلهم إلى تركيا على اعتبار أنهم من بقايا آل عثمان .. وذهب فعلا فى أواخر الثلاثينيات رئيس وزراء يوغوسلافيا فى ذلك الوقت المعروف بـ « ستويا دينوفيتش » بنفسه إلى تركيا للاتفاق مع تركيا على نقل المسلمين الألبانيين إليها على أن يكون نقلهم وتوطينهم على نفقة المملكة اليوغوسلافية ، لكن الدولة التركية رفضت ذلك لعلمها بعواقبها ، ثم قامت الحرب العالمية الثانية وبدأ عهد جديد سنتكلم عنه بالتفصيل بعد بيان حالة الإسلام والمسلمين الألبانيين فى فترة ما بين الحربين العالميتين .

قلنا : إن المملكة اليوغوسلافية كانت تعترف بالأديان المختلفة ومنها الإسلام . ونص دستور المملكة على أن جميع مسلمى يوغوسلافيا يكونون طائفة دينية مستقلة لها رئيس أعلى يطلق عليه لقب « رئيس العلماء » يساعده فى إدارة شئون المسلمين مجلسان من العلماء مقر أحدهما بسرايفو ـ عاصمة البوسنة والهرسك ـ ومقر الآخر « أسكوب » عاصمة مسلمى يوغوسلافيا الألبانيين .

كان يتولى رئيس العلماء بمساعدة مجلسى العلماء إدارة جميع الشئون الدينية إلا القضاء الشرعى الذى كان يخضع لوزارة العدل فى كل محكمة جزئية يوجد فى دائرة اختصاصها مسلمون ألبانيون فى الجنوب ـ وكذا فى البوسنة والهرسك ـ كان يتعين وجود قاضٍ شرعى بها للفصل فى قضايا الأحوال الشخصية .

وكان فى « أسكوب » محكمة كلية شرعية للنظر فيما يحول إليها من أحكام القضاة الجزئيين . وكان يساعد مجلس العلماء مجلس للأوقاف يتولى إدارة الأوقاف الإسلامية وتحصيل ريعها ، ويتسلم من وزارة المالية المبلغ المرصود فى الميزانية العامة لمساعدة إدارة الشئون الدينية ، ويضع هذا المجلس الميزانية طبقا للبنود التى يقررها مجلس العلماء . وهذا المجلس هو الذى كان يتولى تعيين أئمة المساجد الرسمية ـ وكان عددهم فى الجنوب أكثر من أربعمائة وخمسين إماما ـ وتعيين الوعاظ وذلك بعد صدور موافقة مجلس العلماء . وهذا المجلس كان يتولى صرف مرتبات الأئمة والوعاظ طبقا للكادر الرسمى كما يصرف إعانات شهرية للمؤذنين ، ويصرف منحا للطلاب الحاصلين على الثانوية بامتياز وغير قادرين ماليا على الالتحاق بالجامعة فى بلغراد ويصرف منحا أو مساعدات للطلاب المبعوثين إلى الأزهر الشريف .

التعليم الدينى وأنواعه

كان التعليم الدينى أهم ما يشغل أعضاء

←

ألبانيا والإسلام

مجلس العلماء ، ونستطيع أن نقسم هذا التعليم إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : التعليم الدينى الأولى .

وهو عبارة عن تعليم الأطفال من بنين وبنات من السن الخامسة إلى السابعة الديانة الإسلامية فى مدارس خاصة كانت تسمى « مكاتب الصبيان » فى بحر هاتين السنتين كان الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة ، ويختمون القرآن الكريم مرة واحدة مع حفظ السور القصيرة ، ويتعلمون كيفية الوضوء والغسل والتيمم وشروط الصلاة وعدد الصلوات المفروضة وركعات كل صلاة منها وأركانها وواجباتها وكان عدد هذه المكاتب فى الجنوب يزيد على خمسمائة مكتب . وكان مجلس الأوقاف يمنح القائمين بالتدريس فيها فى بعض المناسبات مكافآت مالية .

النوع الثانى : التعليم الدينى المتوسط .

وكان فى العاصمة « أسكوب » مدرسة ـ معهد ـ « غازى عيسى بك » وهى مدرسة داخلية تحت إشراف مجلس الأوقاف الأعلى وعلى نفقته تعليما ومطعما ومشربا وكسوة . ومدة الدراسة بها خمس سنوات .. يدرس الطلاب بها العلوم العربية والدينية والعلوم الحديثة ولغة أجنبية .

النوع الثالث : التعليم الدينى المميز وفوق المتوسط .

وكان له مدرسة فى العاصمة « أسكوب » اسمها « مدرسة الكسندر الأول » وهى أيضا مدرسة داخلية تحت إشراف الحكومة وعلى نفقتها . ومدة الدراسة بها ثمانى سنوات . وكان اعتناء وزارة المعارف اليوغوسلافية بهذه المدرسة يفوق الوصف لدرجة أن أغلب أعضاء هيئة التدريس بها فى العلوم العربية والدينية والعصرية كانوا من الحاصلين على درجة الدكتوراه أو دبلوم فى الدراسات العليا مع أنها كانت مدرسة ثانوية .

النوع الرابع : التعليم الدينى الخاص .

كان له فى أغلب المدن الكبيرة معاهد دينية حرة يدرس الطلاب فيها العلوم العربية والدينية بدءاً بالصرف وانتهاءً بالتوحيد . وكان الكتاب المقرر فى التوحيد العقائد النسفية وكان المدرسون فى هذه المعاهد يقومون بالتدريس فيها حسبة لله « تعالى » ، وكان طلابها كذلك يتلقون العلوم حسبة لله « تعالى » لهذا كان خريجوها أهل علم وفضل وتقى . إلى هذه المعاهد يرجع الفضل فى إشراق الإسلام على هذه الربوع ورسوخه فى قلوب الألبانيين . وفى سنة ١٩٣٠ ميلادية جاء خريج من هذه المعاهد إلى الأزهر الشريف عملا بقوله تعالى : « .. رب زدنى علما » وفى السنة التالية قدم طلبا للدخول فى الامتحان ، فأعجبت اللجنة الممتحنة به أيما إعجاب لدرجة أنها لم تستطع أن تخفى هذا الإعجاب

بل أفصحت عنه بتهنئته بالنجاح . والدعاء له بالتوفيق فى مسعاه .

والعلماء وإن قل إيرادهم كانوا يهتمون باقتناء الكتب العلمية النادرة وضمها إلى مكتباتهم الخاصة فإذا زرت أى عالم فى منزله بهرت بالكتب العلمية التى تجدها عنده فى العلوم المختلفة كالصرف والنحو والبلاغة والمنطق والتفسير والحديث والفقه الحنفى وأصول الفقه ومصطلح الحديث والتوحيد والحكمة وعلم الوضع والعروض والقافية والمعاجم حيث كان العالم يوفر من قوت يومه ليشترى كتابا علميا قيما بخلاف المكتبات العامة الزاخرة مثل « مكتبة غازى عيسى بك » و « مكتبة اسحق بك » . وغيرهما .

بعض المظاهر الاسلامية فى البلاد التى بها أغلبية إسلامية ألبانية !

أولا : المساجد :

بمجرد اجتياز القادم حدود اليونان إلى جنوب يوغوسلافيا يواجه بقرى ومدن بها مساجد بمآذن عالية يخيل إليه أنه فى بلاد الشرق الإسلامى . وبالجنوب يزيد عدد المساجد على ألف ومائتى مسجد ، بعضها مبنى على الطراز التركى الفاخر .

ثانيا : الاحتفال بالأعياد والمواسم :

يحتفل المسلمون الألبانيون بعيدى الفطر والأضحى فتتعطل الأعمال التجارية وكذا الإدارات المدنية التى يكون أغلب موظفيها من المسلمين يتزاور الأقارب والأصدقاء طوال أيام العيدين . ويحتفلون أيضا بشهر رمضان المبارك حيث تتزين المحلات التجارية ، وتستعد المساجد لاستقبال المصلين الذين يبكرون بالحضور للاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم قبيل الصلوات ثم حضور الدروس الدينية بعدها ، وتضاء المآذن طوال ليالى رمضان حتى الفجر .

ولكل مسجد فى بعض المدن صالة كبيرة ملحقة بالمسجد لأداء الصلوات بها أيام الشتاء القارس حيث يمكن تدفئتها بسهولة دون المسجد الواسع العالى السقف . ويجتمع كبار رجال الحى الذى يقع به المسجد بعد صلاة التراويح فى هذه الصالة حتى قبيل السحور ، تقام بها ندوات دينية ، ويجيب الإمام على الأسئلة التى يوجهها إليه المترددون لقضاء بعض الأوقات ويتكرر تقديم التحيات للحاضرين والمترددين حيث يقوم رجال الحى بتزويد الصالة بما تحتاج إليه من وقود وسكر ونحوهما ويحتفلون كذلك بيوم

ألبانيا والإسلام

المولد النبوى الشريف احتفالا رائعا . ويستمر هذا الاحتفال طوال شهرى الربيعين . ويحتفلون بليلة الإسراء ونصف شعبان وليلة القدر ويوم عاشوراء ، وتضاء مآذن المساجد طوال ليالى هذه المواسم .

ثالثا : من المظاهر الدينية الرائعة توديع الحجاج إلى بيت الله الحرام واستقبالهم ويعتبر يوم توديع الحجاج ويوم استقبالهم من الأيام التاريخية السنوية . وهناك مظاهر إسلامية أخرى كثيرة مثل الاحتفال بختان الصبيان قياما بالسنة النبوية الكريمة . ولكن نكتفى بذكر ماسبق حرصا على عدم الإطناب .

اتصال مسلمى يوغوسلافيا الألبانيين بالعالم الاسلامى

بالرغم من الظروف السياسية والاقتصادية القاسية التى كان يعانيها هؤلاء المسلمون فإنهم لم يألوا جهداً فى الاتصال بالعالم الإسلامى وإظهار شعورهم بأنهم متضامنون معه فى كل كبيرة وصغيرة ؛ وتم هذا الاتصال بطرق متعددة .

أولا : تشجيع الميسورين على أداء فريضة الحج ، فلم يكن يقل عدد الحجاج عن ١٥٠ حاجا فى السنة ، وأكثرهم كانوا يقومون بالاتصال مع الحجاج الوافدين من الأقطار الأخرى للتعارف وتبادل المعلومات .

ثانيا : اشتراكهم فى المؤتمرات التى كانت تعقد للنظر فى شئون العالم الإسلامى . فحينما انعقد مؤتمر العالم الإسلامى بفلسطين سنة ١٩٣١ برياسة المجاهد الإسلامى الكبير الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر رحمه الله ، مَثَّل المسلمين الألبانيين فى هذا المؤتمر وفد برياسة سماحة (الشيخ ويسل عالى شان) رئيس مجلس علماء مسلمى جنوب يوغوسلافيا الألبانيين وعضوية فضيلة (الشيخ عطا الله قورتيش) وآخرين .

ولما انعقد المؤتمر البرلمانى الإسلامى فى مصر سنة ١٩٣٨ للنظر فى مشكلة فلسطين اشترك فى هذا المؤتمر وفد برياسة النائب المحترم المرحوم (شريف فوسا) ممثلا نواب جنوب يوغوسلافيا الألبانيين فى هذا المؤتمر .

ثالثا : إرسال أبنائهم إلى الأزهر الشريف (ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وللإبقاء على قنوات الاتصال بالعالم الإسلامى مفتوحة

توفيق إسلام يحيى

النظام السياسى فى إسرائيل

تأليف الدكتور/ فوزى محمد طايل،
المستشار بالخارجية المصرية

عرض الدكتور/ عباس رشدى العمارى

« النظام السياسى فى إسرائيل » دراسة جادة ، وإضافة علمية إلى المكتبة العربية فى وقت هى فى أمس الحاجة فيه إلى رؤية متكاملة إلى تلك الظاهرة السياسية التى عرفها القرن العشرون باسم إسرائيل بأبعادها التاريخية والسياسية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية فى إطارها « الايديولوجى » الصحيح ، وسماتها الحقيقية الكامنة وراء القنعة مختلفة من الشعارات الزائفة ، وذلك من خلال تحليل موضوعى دقيق لا يخضع الحقائق للتهوين أو التهويل الناجمين عن الحماس العاطفى

هذا هو ما حاوله الكاتب وأعتقد أنه نجح فى تحقيقه إلى حد بعيد من خلال استخدامه لمناهج علمية معتمدة (التاريخى ، والوصفى والتحليلى) التى استخدمها ببراعة مشهودة ودونما افتعال فى مواضعها الصحيحة وهو يعالج هذا الكم الزاخر من القضايا التى تصدى لها فى دراسته ، وهى الدراسة التى تزود لها برصيد هائل من المعلومات التى استمدها من ستة وأربعين مرجعاً باللغتين العربية والانجليزية ، وقدمها لنا فى ست وأربعين ومائة صفحة من القطع الكبير مصنفة فى أربعة أبواب عالجت على التوالى « مقومات النظام السياسى الإسرائيلى » ، و « المؤسسات السياسية فى إسرائيل » و « النظام الإسرائيلى أثناء العمل » ، و « طبيعة النظام السياسى فى إسرائيل » . وثمة ظاهرة بارزة بالكتاب هى

←

حرصه الدائب على تجاوز حدود الشكل والنفاذ إلى الجوهر أو المضمون الكامن وراء الشكل ، ومن ثم نجده لا يقنع فى دراسته هذه بالحديث عن الأيديولوجية الصهيونية على النحو الذى قدمت عليه فى العديد من الكتابات على أنها عقيدة قومية واكبت ظاهرة بزوغ القوميات فى القرن التاسع عشر ، ولا يقنع بالفصل التقليدى بين اليهودية والصهيونية ، وإنما يؤصل لنا برؤية متعمقة مكان اليهودية فى أساس البناء الأيديولوجى للصهيونية وانعكاسات هذه الحقيقة على صميم حياة المجتمع الإسرائيلى فهو يعرف لنا الصهيونية على أنها : « الوجه السياسى لليهودية » ، ومن ثم فليس هناك مجال للقول بعلمانية الدولة ، ذلك أن قيام الدولة الإسرائيلية فى الأرض المقدسة كان هدفاً دينياً فى المقام الأول منذ خروج بنى إسرائيل من مصر ، وإن محاولة الإيعاز بعلمانية الدولة كانت هى السبب وراء تأجيل الموافقة على مشروع الدستور الإسرائيلى الذى أعده الدكتور « ليو كوهين » بعد أن أصر المتدينون على إدراج عبارة « الإله القوى القادر » فى ديباجته واعتراض العلمانيين على ذلك ، وقد كان من المرجح أن ينتصر الأولون لولا الخشية من اتهام الغرب لإسرائيل بالعنصرية ، وبكونها دولة ثيوقراطية متدينة ، ويفسر كاتبنا الحديث عن مظاهر الحياة الأخرى فى إسرائيل على ضوء الأساس الدينى الذى جعل منه ، أو بالأحرى : اكتشف فيه ، وبحق ، حجر الزاوية فى البناء الأيديولوجى للصهيونية ؛ ومن قبيل ذلك غلبة الطابع الاشتراكى على توزيع الموارد وممارسة النشاط الإنتاجى فى الدولة ، وهو النهج الذى يجد أصوله فى التوراة التى حوت - على حد تعبير الكاتب - أعلى درجات الفكر الاشتراكى ، وفى هذا يقول إن الكلمة العبرية « ناحالا » أى الميراث لا تنصرف إلا للميراث المعنوى بمعنى انتقال الأصول المادية للوارث كوديعة وليس كحق ، ودعوة التوراة إلى إقامة مجتمع كل الأشياء فيه مملوكة على الشيوع ، وتقليد سنة « اليوبيل » التى تحل كل خمسين عاماً وتزال فيها كافة مظاهر عدم المساواة التامة فى توزيع الأرض ليعاد توزيعها بالتساوى . ويمضى الكاتب فى تتبع الأصول اليهودية فى صميم الحياة الإسرائيلية ذاتها أو فى أهم دعاماتها ونقصد « نظرية الأمن الإسرائيلى » التى يقرر الكاتب أنها تستمد أصولها من « سفر زكريا » حيث ورد فيه أن الدفاع عن أورشليم يتم بإخضاع الشعوب التى حولها .. وهذه المفاهيم هى التى دفعت بن جوريون عام ١٩٥٢ إلى أن يصف إسرائيل « بأنها ليست سوى جزء من الوطن الموعود والممتد من النيل إلى الفرات » . وهو من هذا المنطلق يؤكد أن إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ليس سوى الهدف المعلن للصهيونية . أما الأهداف الأخرى فهى السيطرة على العالم على النحو الذى ظهر فى بروتوكولات حكماء صهيون ، ويدلل الكاتب على صدق ما ورد فى هذه البروتوكولات :

بوجود عقدة الاضطهاد عند اليهود .
وبنظرتهم المتعالية إلى غيرهم من البشر .

وبالثقة الزائدة المتوافرة لدى اليهود سواء فى أنفسهم أو فيما ورد فى التوراة .

وأخيراً يسوق لنا الأمثلة العديدة على أن الأحداث الهامة التى حفل بها القرن العشرون كان اليهود من ورائها .

يخلص الكاتب من هذا كله إلى هيمنة الصبغة الدينية على الصهيونية ، وإلى دحض مزاعم القائلين بطبيعتها العلمانية بمنطق قاطع وهو تكاتف الشيوعيين والمتدينين جنباً إلى جنب فى كافة حروب إسرائيل ضد العرب .

ويعزو ذلك من ناحية أخرى إلى المرونة التى تتسم بها الأيديولوجية الصهيونية بحيث يمكنها أن تضم تحت عباءتها مبادىء سياسية متباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .

وعند حديث الكاتب عن نظام القيم الذى يحكم المجتمع الإسرائيلى يبرز لنا من جديد : التأثير الغالب لتعليمات التوراة والتلمود بالإضافة إلى التقاليد التى سادت المجتمعات اليهودية المغلقة فى الشرق والغرب وهو المزيج الذى أفرخ لنا عددا من المفاهيم المميزة عن السمو العنصرى ، وأرض الميعاد ، والمساواة والعدل ، والحقوق والحريات الفردية .

بيد أن مفهوم المساواة هنا ـ على نحو ما حرص الكاتب على تأكيده ـ لا ينصرف إلا للمساواة بين اليهود فقط دون أصحاب الديانات الأخرى (الجوييم) الذين ينظر إليهم على أنهم فى مرتبة أقل من البشر أو فى مرتبة الحيوانات .

ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن أسباب الاختلاف حول بعض الأفكار والقيم ، وأرجعها إلى اختلاف التقاليد بين كل من اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ومشكلة الربط بين الدين والدولة ، ووجود أقلية عربية كبيرة ، وأن إسرائيل تسعى إلى توحيد نظام القيم وإزالة أسباب التنافر من خلال إحياء اللغة العبرية ، والتقريب بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين داخل « الكيبوتزات » ، و « البيشوف »[1] ، و «الجيش » ، و « الجامعة » ، و « الهستدروت »[2] ، وتحسين أوضاع اليهود الشرقيين فى الجهازين الإدارى والسياسى للدولة .

ويرى الكاتب فى فكرة الخطر المشترك أهم عناصر توحيد الكلمة .

وعندما ينتقل بنا الكاتب للحديث عن « السلطات السياسية فى إسرائيل » فإنه لا يقنع ـ على نحو ما سبق الذكر ـ بمجرد إيراد الشكل الظاهرى لتنظيم هذه السلطات فهو لا يقف عند حد الحديث عن ظاهرة تعدد الأحزاب الإسرائيلية ، ولا عند تكوين الكنيست ، وشروط عضويته ، وسير العملية الانتخابية ، ولا عند تكوين السلطة التنفيذية أو تشكيل السلطة القضائية فقط ، وإنما

(١) الكيبوتزات تعنى المستعمرات و « البيشوف » تعنى المستوطنات .
(٢) اتحاد نقابات العمال .

النظام السياسى فى إسرائيل

يسعى بالتحليل ليفسر لنا السبب وراء وجود ظاهرة تعدد الأحزاب فى إسرائيل وذلك حتى تتناسب مع الثقافات المتباينة فى المجتمع الإسرائيلى ، ولإعطاء نوع من الرضى والإحساس بالمشاركة للمواطن الإسرائيلى ، وعندما يذكر لنا أن هناك فصلاً بين السلطات فى إسرائيل فإنه فى الوقت نفسه يوضح لنا السلطات الواسعة التى تتمتع بها الوزارة الإسرائيلية بسبب المسئوليات الضخمة التى تتحملها إزاء ما تواجهه من مشاكل الهجرة والاستيعاب والمشاكل الأمنية فى الخارج والداخل ، ومهمة دمج شرائح المجتمع وتشكيل القومية الإسرائيلية على نحو يكاد يجعل من « الأوتوقراطية » الصفة الغالبة على النظام السياسى فى إسرائيل .

ويركز الكاتب على حقيقة هامة تختفى عادة وراء المظهر الديمقراطى المبهر لنظام الحكم فى إسرائيل ألا وهى ضعف المؤسسات الإسرائيلية فى مواجهة الصفوة « الكاريزمية » ، ومع ذلك فإن هذه الصفوة ذاتها ـ والتى كثيرا ما تكون بعيدة عن دائرة الضوء ـ هى ذاتها التى تلعب دورا رئيسياً فى المحافظة على شكل المؤسسات فى الدولة وعلى تجانسها وتكاملها . ويضيف فى مجال حديثه عن الأحزاب وقوى الضغط الداخلية فى إسرائيل : أن هذه الأحزاب مهما تباينت برامجها فإنها تحمل « أيديولوجية » واحدة هى « الأيديولوجية الصهيونية » ، وتستهدف غايات واحدة هى « غايات الصهيونية العالمية » ثم يعدد لنا السمات الرئيسية الخمس لهذه الأحزاب وهى :

الإفراط فى التعددية .
والتوجهات الأيديولوجية القوية .
والإفراط فى التحزب السياسى .
والمركزية الشديدة لسلطة الحزب .

والتوسع فى مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى حيث يوجد لكل حزب مشروعات الإسكان الخاصة به ، وشركات البناء ، والمراكز التعاونية ونظام التأمين الصحى ... إلخ .

وعندما يعرض لخريطة الأحزاب السياسية فى إسرائيل فإنه يسعى لايضاح أبرز خصائصها مثل التعدد والميل إلى التكتل ، وعلى يمين هذه الخريطة نجد كتلة « الليكود »[٣] وحزب الأحرار ، وفى وسطها الحركة الديموقراطية للتغيير « راش »[٤] ثم يأتى بعد ذلك على يسارها التكتل العمالى (المعراخ)[٥] ثم تأتى الأحزاب الدينية مثل « مزراحى » و « أجودات إسرائيل » ، و « كاخ » ، و « تامى » .. إلخ . وتقع على يمين الليكود .

ويعرض الكاتب بعد ذلك للحركات وقوى

(٣) تجمع سياسى ينادى بأرض إسرائيل الكاملة .
(٤) كلمة (داش) اختصار للحركة الديمقراطية للتغيير .
(٥) مختصر كذلك .

الضغط غير الداخلة على الخريطة الحزبية مثل : الحركات اليمينية المتطرفة والحركات العمالية ، والحركات اليسارية ، والهستدروت الذى يعتبره كاتبنا تنظيماً سياسياً أكثر منه نقابة عمال يمثل أداة رئيسية من أدوات تنفيذ الأيديولوجية الصهيونية ومن أكبر قوى الضغط فى النظام السياسى الإسرائيلى .

وبعد ذلك يتحدث عن التأثير البالغ « للمؤسسة العسكرية فى إسرائيل » وهيمنتها شبه الكاملة على المؤسسة السياسية ودورها المؤثر فى عملية صنع القرار السياسى ، وأخيراً يشير فى هذا الصدد إلى تأثير مكونات الشخصية الإسرائيلية على توجهات الرأى العام الذى يعتبره أحد الأركان الرئيسية فى النظام السياسى الإسرائيلى .

وفى الباب الثالث من مؤلفه ينتقل بنا الدكتور فوزى طايل من الملامح التى لها صفة الثبات « الستاتيكية » للنظام الإسرائيلى إلى ممارساته « ديناميات » عندما يحدثنا عن النظام السياسى فى إسرائيل أثناء العمل فيذكر لنا أن التفاعلات التى تتم داخل النظام السياسى الإسرائيلى سواء بين المؤسسات الرسمية وقوى الضغط الأخرى أو بين السلطة العامة والأفراد أو بين السلطة العامة وقوى الضغط الخارجية ـ إنما تتم فى إطار « ايديولوجى » ثابت هو الصهيونية ، وصولا إلى هدف أسمى محدد هو هدف الصهيونية .

وفى سبيله إلى الحديث عن « ديناميات » هذا النظام قسم هذا الباب إلى فصلين : أولهما : للتعرف على أسلوب صنع القرار السياسى بصفة عامة مع التركيز على قرار السياسة الخارجية موضحاً الطابع الخاص الذى يتفرد به هذا الأسلوب سواء من حيث الدور المتنامى للنخبة أو الصفوة بداخله مما يفسح للعلاقات الشخصية المجال لكى تلعب دوراً هاماً بسبب عجز المؤسسات الدستورية عن الوفاء بمطالب الحياة السياسية مما أتاح للقيادة السياسية أن تفتح قنوات اتصالها على كبار الشخصيات الذين يقفون بعيدا عن دائرة الأحداث . ثم أشار إلى مزايا اتاحة قدر كبير من الحرية الفكرية والاستقلال فى الرأى للمشاركين فى عملية صنع القرار الأمر الذى يثرى القرار بمناظير فكرية متعددة ، وفى اطار تناوله لهيكل صنع القرار عرض للمؤسسات الداخلية مثل اللجنة الوزارية للأمن ولجنة الشئون الخارجية للأمن القومى بالكنيست ، والمؤسسة العسكرية والهستدروت والدور الذى تؤديه كل منها فى عملية صنع القرار ، ثم أشار بعد ذلك إلى تأثير المنظمة الصهيونية العالمية على عملية صنع القرار السياسى .

ونقلنا الكاتب بعد ذلك من الهيكل السياسى لصنع القرار إلى « المراحل الثلاث التى تمر بها عملية صنع القرار » من لحظة حدوث أمر يحتاج إلى قرار. وتصاعد التوقعات بحدوث أزمة تهدد نظام القيم السائد فى المجتمع الإسرائيلى ، وتوافر وقت محدد لاتخاذ القرار ، واحتمالات تطور الأحداث إلى

ما يهدد الأمن القومى بحدوث حرب مثلاً ، وتبدأ المرحلة الثالثة عندما تهدأ حدة أحد هذه الشروط أو أكثر . مثل هذا العرض لمراحل صنع القرار الإسرائيلى يذكرنا بنموذج « بريتشر » الذى استخدمه « البروفيسور ألان دوتى » فى تحليله لأزمات الشرق الأوسط . وساق لنا الكاتب نماذج تطبيقية موضحة بقرارى مايو ١٩٦٧ ، وأكتوبر ١٩٧٣ .

وثانيهما من هذا الباب فقد عرض لتدخلات الدولة فى المجال الاقتصادى فيوضح أن الحكومة تباشر سيطرتها على الاقتصاد من خلال سياسة ضرائبية دقيقة يعتبر معدلها أكبر معدل فى العالم ، وأنه من المؤشرات الإيجابية على تدخل الحكومة فى الحياة الاقتصادية أنها تستخدم الضرائب فى إعادة توزيع الدخل حيث تفوق الضرائب غير المباشرة تلك المباشرة من حيث النسبة مما يوفر للحكومة سيطرة مركزية على المجال الاقتصادى .

وفى المجال الاجتماعى يتمثل تدخل الحكومة فى هيمنتها على التعليم والثقافة من خلال نشر اللغة العبرية ، وفى الإشراف على قطاع كبير من المؤسسات الصحية ورعاية الطفولة والعجزة وفى استخدامها لسياستها الخارجية فى تنشيط هجرة يهود الشتات إليها .

أما أدوات التدخل التى تستخدمها الحكومة فتتمثل فى الجيش الذى يقوم بمحو الأمية والتعليم والتربية الأيديولوجية والصهيونية ، كما تتمثل فى « الهستدروت » ، والأحزاب السياسية ، ونظام المستعمرات ، والمستوطنات ، و«الكيبوتز» و« الموشاف» .

ويركز الكاتب هنا على دور نظرية الأمن الإسرائيلى فى اتساع مجالات تدخل الدولة ، وهى النظرية التى تجد أصولها فيما ورد فى الكتاب المقدس من تعليمات ونبوءات من ناحية ، ومن الأيديولوجية الصهيونية من ناحية أخرى ، وفى الواقع الجغرافى السكانى « الديموجرافى » لإسرائيل من ناحية ثالثة الأمر الذى أطلق يد الدولة فى عملية التوزيع السكانى الديموجرافى » .

وهنا يعرض الكاتب لنقطة بالغة الحيوية لإزالة اللبس الذى قد يعتور « مفهوم التوازن فى إسرائيل » ، فالواقع أنه على الرغم من التسليم بترجيح كفة المصلحة العامة على المصلحة الخاصة فى الأنظمة المذهبية كقاعدة عامة إلا أن الاستثناء الذى تمثله إسرائيل على هذه القاعدة هو أن التوازن يميل لمصلحة الفرد الإسرائيلى بصفة عامة والأمر الذى يساعد على ذلك استقلال القضاء ووجود معارضة جادة داخل الكنيست إلا أن هذه الحرية تظل مقيدة دائماً باعتبارات الأمن الإسرائيلى .

وأخيراً يحدثنا الكاتب فى الباب الرابع من مؤلفه عن « طبيْعة النظام السياسى فى إسرائيل » . وهو النظام الذى ينفرد بطبيعة خاصة فهو نظام عقائدى دينى ومن إيجابياته قدرته الفعالة على تعبئة الشعور العام ورفع الروح المعنوية ، وهو من ناحية أخرى ليس

علمانياً ثم إنه نظام عنصرى فيما يتبعه من تفرقة بين اليهود وغير اليهود داخل إسرائيل ، ثم أنه نظام برلمانى ناقص . وهنا نلاحظ اهتمام المؤلف بالنفاذ إلى ما وراء الشكل .. إلى الجوهر ؛ إذ على الرغم مما يوحى به نظام الدولة الإسرائيلية من صفة برلمانية فإن انتخاب الكنيست لرئيس الدولة يجعله فى مركز أدنى بالنسبة للبرلمان ، كما أن حرمان الحكومة من حق حل البرلمان يضعنا إزاء ما يسمى « بحكومة الجمعية » كذلك فإن الطابع الاشتراكى هو الغالب على نظام الدولة الإسرائيلية ، وهو الطابع الذى نجده متأصلاً فى « الكيبوتز » .

وأخيراً فإن الديموقراطية القائمة فى إسرائيل هى « ديموقراطية دولة المعسكر » بسبب التوسع فى استخدام قوانين الطوارىء وسيطرة رجال الجيش على الإعلام وعسكرة الاقتصاد الإسرائيلى .

ثم يتصدى رجال الجيش على الإعلام وعسكرة الاقتصاد الإسرائيلى .

ثم يتصدى الكاتب بعد ذلك كله لسؤال جوهرى :

إذا لم يكن النظام الإسرائيلى تيوقراطياً أو ديموقراطياً فماذا يكون ؟

ويخلص من ذلك إلى أنه نتاج الظروف الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والتاريخية التى نشأت فيها إسرائيل كما يرجع بقدر كبير إلى تلك الأيديولوجية التى تنتهجها الدولة والتى تجعل من اليهودية قوامها .

وبعد هذا العرض الشامل للأبعاد المتعددة للنظام الإسرائيلى يستشرف الكاتب بنظرة مستقبلية مصير الاستقرار السياسى فى إسرائيل موضحاً نقاط القوة والضعف فى هذا النظام فيبين لنا أن الاقتصاد الإسرائيلى يعتمد على مصادر لا يمكنه التحكم فيها لاعتماده على المعونات والاستثمارات والتبرعات الخارجية ، كما أن اعتماد إسرائيل فى العون السياسى والعسكرى والمادى على الولايات المتحدة يؤثر على استقلالية القرار السياسى الإسرائيلى ، وكذلك فإنه على الرغم من وحدة الهدف ووضوح الإيديولوجية الصهيونية فلا يزال التماسك الاجتماعى مهددا داخل إسرائيل بسبب الصراع المستمر بين الاشكنازيم (اليهود الغربيين) والسفرديم (اليهود الشرقيين) وبين اليهود المتدينين والعلمانيين .

ويشير الكاتب إلى ظاهرتين تؤرقان المجتمع الإسرائيلى حالياً هما : تنامى التيار الدينى الإسلامى ممثلاً فى عدد من الحركات الإسلامية : مثل « أسرة الجهاد المقدس » و « جماعة الإخوان المسلمين » من ناحية ، وارتفاع معدل الكثافة السكانية العربية عن اليهودية سواء بسبب الارتفاع النسبى لمعدل المواليد العرب ، أم بسبب الهجرة العسكرية .

وفى جانب نقاط القوة يبرز لنا أهمية ثبات العلاقات العسكرية المدنية على الاستقرار الداخلى ونجاح إسرائيل فى توسيع نطاق علاقاتها الخارجية .

وبعد :

فتلك دراسة جادة لعمل موضوعى ألقى الضوء على ما ينبغى أن يحيط به القارىء العربى فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى قدمه الدكتور فوزى طايل .

د . عباس رشدى العمارى

الكسب الحرام
والتخلص منه

الإسلام دين يكرم الإنسان ، ويحثه على الاعتماد على النفس ، وكسب الرزق من طريق حلال .

وقد أحلَّ الله سبحانه الحلال ، وما أوسع دائرته !! وحرم الخبائث التى تضر الإنسان فى دينه أو دنياه ، وهي قليلة .

والعمل فى الإسلام للقادر شرطٌ لشرف النفس ، وكرامة الشخص ، ونفع الأسرة والإنسانية ، كما أن التعب فى طلب الرزق الحلال يكفر ذنوباً ارتكبها الإنسان . والنصوص فى هذا كثيرة متوافرة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة منها :

قول الله تعالى ، فى طلب الرزق الحلال والأكل منه ، والتمتع به :

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا . وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ . وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك/ ١٥ .

وقوله سبحانه :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً . وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ النحل ١١٤ .

ويرشد الرسول - ﷺ - إلى أن الله تعالى يحب المؤمن القوى فى دينه ، وخلقه ، وماله وعلمه ، وجسده .. بقوله « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[1] .

● وهذه النصوص من الآيات الكريمة والحديث الشريف تبين أن الله سبحانه يحب للإنسان أن يعمل ، وأن يكسب رزقه من حلال ، وأن ينفع نفسه وغيره فى هذه الحياة .. ومتى قصد كل ذلك لوجه الله تعالى كان عمله للدنيا وللآخرة معاً ، ويسره الله له بفضله وكرمه .

● وقد سأل كثير من المسلمين عن حكم الله تعالى فى طرق كسب غير مشروعة فى الإسلام مثل :

اليانصيب ، واللوتو ، والسبق ، ولعب الورق (الكارد) ، والقمار ، والربا ، والسحر ، والرهان ، والتجارة فى الخمر ،

(١) لم يدون الكاتب مراجع الأحاديث الشريفة ، وقد نبهت المجلة إلى وجوب إثبات المراجع مرارا ، وقد اضطررنا إلى البحث عنها بقدر الاستطاعة فوجدنا هذا الحديث الشريف رواه مسلم ، كذا حدده المعجم المفهرس .

للأستاذ الدكتور
توفيق محمد شاهين

والحشيش ، وأنواع المخدرات عامة .. إلخ .

● ونفيد كل هذا الكسب حرام ، وأكل لأموال الناس بالباطل ، وسحت ، ومن الكبائر التى حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ؛ لأنها من الكسب الخبيث لا الطيب ولا الحلال ، وكل جسم تغذى منها ، وكل إنسان انتفع بها قاصداً ، وكل إنسان تعود على ذلك ولم يتب إلى الله فله النار ، وهى أولى به .

● والنصوص كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية تدل على تحريم ذلك الكسب الخبيث ، الذى لا يرضاه الله سبحانه ، ولا يرضاه رسوله ﷺ ، للمسلمين ، ولا يرضاه العقل السليم والفطرة المستقيمة ، لأنه كسب حرام مشبوه ، أتى بطريق سهل ، وبالباطل لا بالحق .

يقول الله تعالى فى تحريم هذا الكسب الخبيث :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ . وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ المائدة ٩٠ ـ ٩٢ .

ويقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ « أى بين يدى الله سبحانه يوم القيامة » إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ « أى كالمصروع » ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .. البقرة/ ٢٧٥ .

ويقول سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ « أى لحمه وشحمه ودمه وكل شىء فيه » البقرة/ ١٧٣ .

فقد حرم الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة :

« الميسر » وهو المقامرة بكل أنواعها ، ومنه لعب الصبيان بالجوز ، ولعب الورق وغيره ، وكذلك لعب « الطاولة » .

و« الأنصاب » حجارة كانوا يذبحون قوابينهم عندها ، تقرباً إلى الأصنام .

و« الأزلام » لون من ألوان القمار .. وبقية الآيات واضحة المعنى .

وكل ذلك شر من عمل الشيطان ، ومُباشِرُها ، والآكل منها بعيدٌ عن رحمة الله ، ولا يفلح فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ويعيش فى

←

المكسب الحرام والتخلص منه

غضب الله تعالى محارباً وعاصياً أوامره ، وأكلا لأموال الناس بالباطل .

ولو استعرضنا بعض أحاديث رسول الله - ﷺ - فى هذا الجانب ، لوجدناها مؤيدة وموافقة لآيات القرآن الكريم فى حرمة ذلك حرمة لا شك فيها :

يقول الرسول - ﷺ - :

« مثل الذى يلعب بالنرد (أى الزهر والورق والكارت والطاولة وما أشبه ذلك) ثم يقوم فيصلى ، مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى »[٢] .

وقال الرسول - ﷺ :

« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه (أى العاصى والمؤذى لهما) ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطى »[٣] ومن تاب تاب الله عليه .

ويروى معاذ بن جبل رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال :

« ما تزال قدما عبد (أى لا تتحرك) يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن عمله ماذا عمل فيه »[٤] .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

« إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم . وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه . والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه « أى غشه وظلمه » . ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه . ولا يتصدق به فيقبل منه . ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن . إن الخبيث لا يمحو الخبيث »[٥] .

صدق رسول الله .

التخلص منه

يقول العلماء فى القديم والحديث : إن من معه مال حرام ، وأراد التوبة والبراءة منه :

إن كان له مالك معين وجب صرفه إليه .

وإن كان المالك لا يعرفه ، ويئس من معرفته (بأن حاول معرفته ولم يستطع) فينبغى أن يصرفه فى مصالح المسلمين العامة كالقناطر (الكبارى) والرُبُط (أى حماية الثغور وحدود الدولة والدفاع عنها) وغير ذلك مما يشترك فيه المسلمون ، مثل : إقامة المدارس ، والمستشفيات ، والمساجد ، والصرف عليها ، أو يتصدق به على فقراء ، أو لأجنبى ، أو من نزلت بهم كوارث .

وله أن يصرف منه على نفسه وعياله إن كانوا فى حالة فقر شديد ، وليكن الصرف فى أضيق الحدود الممكنة ، بما يزيل الضرر

(٢) رواه احمد - رضى الله عنه - الميمنية ٥/٣٧٠ .

(٣) وهذا جزء من حديث رواه أحمد ٢/١٣٤ .

(٤) وجدنا الحديث بألفاظ مختلفة قليلا بالجامع الصحيح للإمام الترمذى ٤/٦١٢ ط مصطفى البابى الحلبى .

(٥) رواه أحمد - رضى الله عنه - الميمنية ١/٣٨٧ .

والهلاك فقط ، وليس له أن يشترى منه ما يركبه ، لأنه لا ضرورة فى ذلك .

وهذا الذى ذكرناه قاله بعض علماء الشافعية ، ومنهم الإمام الغزالى رحمه الله تعالى ، والإمام الغزالى نقل ذلك عن علماء السلف ، ومنهم : معاوية ، والإمام أحمد ابن حنبل ، والحارث المحاسبى ، وغيرهم من أهل الورع رضى الله عنهم ..

وقال بعض علماء الحنابلة : يجوز الصرف على المسجد من المال النجس ، وأيضاً لأن المال الحرام لا يتعدى الذمتين : فهو حرام فى اليد الأولى قطعاً ، ولا ثواب ولا أجر للمتصدق بهذا المال ، لأنه حرام فى الأصل ، ولكنا نرجو أن يتوب الله عليه إذا تاب توبة صادقة ، وندم على ما بدر منه ، ولم يعد إليه ثانية .

ولا يجوز إتلاف هذا المال ، أو رميه فى البحر ، أو ترك الفائدة للبنك إن كان المال موضوعاً بالفائدة .. وإنما يصرف فى مصالح المسلمين العامة .

بذلك أفتت لجنة الفتوى بالأزهر ، ودار الفتوى فى لبنان . ويضيف سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الأكبر ـ أطال الله فى عمره ـ قوله :

(وعليه فإن على من بيده مال حرام . ويئس من معرفة مالكه أن يتوب إلى الله تعالى ، ويبرأ من هذا المال ، ويصرفه فى مصالح المسلمين العامة ، كما ذكره الغزالى ، ونقله النووى من الشافعية ، وعليه أن يسعى لكسب عيشه وعيش أهله من الحلال الطيب ، فإن كان مضطراً إلى ذلك ـ كما ذكر ـ فإنه يمكنه الإنفاق منه فى حدود دفع الضرر والهلاك عنه وعن عياله ، ويدفع الباقى فى المصالح العامة ، كما ذكر ، ولا يجوز له شراء ما يركبه من هذا المال ، ولا أن يعمل به فى تجارة أو غيرها .. وهذا كله متى قصد البراءة والتوبة ، وعدم معاودة الحرام ، وإلا فلا يحل له شىء من ذلك ، والله أعلم) أ هـ .

وتذكر لجنة الفتوى بالأزهر : (أن الأئمة الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ يرون أن الأموال التى تكتسب من غير الطرق المشروعة فى الإسلام يجوز صرفها فيما يعود على جماعة المسلمين بالنفع العام ، مثل : مسجد ، مدرسة ، ملجأ ، مصنع .

وجوز الإمام ابن تيمية ، وابن القيم صرف هذه المبالغ أو بعضها للفقراء والمساكين متى تحقق فيهم شرط الفقر والله أعلم) أ هـ .

وهذه الفتاوى والآراء ليست من فراغ ، وإنما هى من القرآن الكريم ، والسنة النبوية وكتب الأئمة الأربعة ، وعن الصحابة والتابعين ، والمجتهدين من أهل الورع .

ومن أراد مزيداً من الاطلاع فليرجع إلى هذه المراجع :

تفسير روح المعانى للألوسى ٢/١١٣ . والتفسير الكبير للرازى ٦/٤٨ . والزواجر عن ارتكاب الكبائر لابن حجر الهيتمى ٢/١٨٩ . والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٦/٢٨٧ . والمجموع شرح المهذب للنووى ٩/٣٥١ ..

وبعد : -

فإن الله سبحانه بَيَّنَ الحلال والحرام ، وشرح ذلك حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووضحه الأئمة الأعلام .. فلا عذر لمعتذر ، وعلى الجاهل أن يسأل ، وعلى من قرأ هذه المقالة فليبلغ غيره ..

ولنتق الله فى كل أمورنا ، فإن الحلال يبارك الله فيه ولو كان قليلاً .. ولا بركة فى الحرام وإن كان كثيراً .

وأعمارنا قصيرة ، وسنقدم على رب بصير ، لا تخفى عليه خافيه ، ويعلم كل شىء : ﴿ فَمَنَ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ « الزلزلة » .

ولنتذكر « أن كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

ولنعلم أن الله تعالى أمرنا بما أمر به أنبياءه ورسله - عليهم السلام :

قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنونَ ﴾ المائدة/٨٨ .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ المؤمنون ٥١ .

هدانا الله لأقوم طريق ، وأرانا الحق حقا ورزقنا اتباعه ، وأرانا الباطل باطلاً ورزقنا اجتنابه ، وطهر نفوسنا وقلوبنا وجوارحنا ، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ، ورزقنا الحلال الطيب .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

د . توفيق محمد شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام - شارع جلاء - القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم ٤٠٠ جنيه ٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. «بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* باقى دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

مالك بن نمط الهمداني

صحابيًا وشاعرًا

للأستاذ
أيمن محمد ميدان

صحابى شاعر اقتلع من أعماق ذاته جذور الوثنية الأولى فصدق إيمانه ، وجاءت شذرات شعره المتناثرة هنا وهناك ترجمة أمينة لعمق اعتقاده ، وصدق إيمانه .

نسبه : هو مالك بن نمط بن قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لأى بن سلمان بن معاوية بن سفيان بن أرحب .

كان لهمدان صنم تعبده فى جاهليتها يدعى « يعوق » بقرية خيوان . ورد ذكره فى شعر لمالك بن نمط :

يريش الله فى الدنيا ويبرى
ولا يبرى يعوق ولا يريش[1]

ثم اقترب الهمدانيون من صنعاء « واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه »[2] .

إسلام همدان : فى السنة التاسعة للهجرة بعث رسول البشرية محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعو أهله إلى الإسلام ، فمكث بينهم عاماً كاملاً دونما استجابة . فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علي بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ آمراً إياه أن يرد خالد بن الوليد ، وأن يقوم بأمر الدعوة إلى الإسلام فى أهل اليمن مكانه ففتح الله على يديه ، وأسلمت همدان كلها فى يوم واحد . وكتب علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ بذلك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخبراً ومهنئاً ومبشراً . فلما قرأ كتابه خر ساجداً ، ثم جلس فقال :

←

(١) الأصنام ص ٥٧ . وقد وردت الإشارة فى القرآن الكريم لهذا الصنم فى قوله تعالى من سورة نوح : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم . وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعًا ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (آية ٢٣) .

(٢) السيرة لابن هشام ١٨٢/١ .

مالك بن نمط الهمداني

ـ السلام على همدان . السلام على همدان .

وكان إسلام همدان فى شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة تلك السنة المعروفة بسنة الوفود ، حيث قدمت القبائل العربية لمبايعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الإسلام ، مرجعه من تبوك[٣] .

وتزحف وفود القبائل اليمنية صوب المدينة المنورة لتبايع رسول الرحمة المهداة ، ومن بينها وفد همدان الذى يضم جمهرة من أشرافها وكوكبة من سرواتها وأقيالها ، فيهم مالك بن نمط الهمدانى ، فلقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرجعه من تبوك وهم يرتجزون قول مالك :

همـدان خـير سوقـة وأقيـالْ
ليس لها فى العالمين أمثالْ
محلها الهضب ومنها الأبطالْ
لها إطابـات بها وآكـالْ[٤]

مالك بن نمط بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وقف مالك بن نمط الهمدانى بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحدث بلسان قومه ، فقال : « يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر ، أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الأنصاب »[٥] .

فكتب لهم رسول الله كتابا قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من رسول الله محمد لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل مع وافدهم ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها يأكلون علافها ، ويرعون عفاءها . لنا من دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدق الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى . وعليهم فيها الصَّالِغُ والقارح ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار »[٦] .

(٣) الأصنام ص ١٠ .

(٤) الطبرى ٣/١٣٢ ، والكامل لابن الأثير ٢/٣٠٠ ، وعيون الأثر ٢٧٢ ، والبداية لابن الأثير ١/١٠٥ ، وامتاع الأسماع ١/٥١٠ .

(٥) الرَّجَز فى السيرة لابن هشام ١/٨٢ ، وطبقات ابن سعد ٢/١٠٤ ، ونهاية الأرب ١٨/٨ ، ١٠ .
السوقة : الرعية من عامة الناس . الإطابات : جمع إطابة وهى مصدر « أطاب » والمقصود تقديم الطعام الطيب .
الآكال : إقطاعات كان الملك يقطعها الأشراف وفى المحبر لابن حبيب ص ٢٥٣ « ذو الآكال : أشراف كانت الملوك تقطعهم القطائع » .

(٦) السيرة لابن هشام ٤/٢٤٣ ، وصبح الأعشى ٢/٢٤٤ .
نصية القوم : عليتهم ووجوههم . قلص : جمع قلوص وهى الناقة الفتية .
ونواج : جمع ناجية وهى الناقة السريعة . والمخلاف : المدينة بلغة أهل اليمن .

فقام مالك بن نمط بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنشده شعراً قال فيه[٧] :

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى
ونحن بأعلى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ

وهن بنا خوض قلائص تغتلى
بـركبانهـا فى لاحب متمدد

على كل فتلاء الذراعين جسرة
تمر بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ

.....

.....

فأثنى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى قومه ، فقال :

ـ نعم الحى همدان ، ما أسرعها إلى النصرة ، وأصبرها على الجهد منهم أبدال وأوتاد الإسلام .

ثم توالت بعد ذلك الوفود الممثلة للقبائل الهمدانية ، وتوالت العهود والمواثيق من الرسول إليهم . بل إن من بين القبائل الهمدانية من أسلم ولم يفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع ذلك فقد أخذت عهود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومواثيقه الطريق إليهم[٨] .

ويلقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفيقه الأعلى ، فيتولى أبو بكر خلافة المسلمين ، وتطل الفتنة برأسها متمثلة فى ردة أهل اليمن بقيادة الأسود العنسى ، وهنا تهب همدان لنجدة دين الله ، منفذة ميثاق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متخذة موقفاً رافضاً للفتنة حاسماً فى مجابهتها ، سارع فى وأدها وهى فى طور تكوينها .

وإذا عدنا لِتَلَمُّسِ أثر الإسلام فى شعره ومدى انعكاسه على مرآته الشعرية لوجدنا أن الأثر شديد ، والانعكاس واضح ودقيق . فعلى الرغم من حداثة إسلام مالك بن نمط

←

(٧) السيرة لابن هشام ٤/٢٣٤ ، وطبقات ابن سعد ٢/٣١ والعقد الفريد ٢/٣٠ ، والاستيعاب ٣/٣٥٧ ، ونهاية الارب ١٨/١٠ ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢٤٥ ، وصبح الأعشى ٢/٢٤٤ ، والإصابة لابن حجر ٣/٢٥٨ .
الحقاف : جمع حقف وهى الرمال المستديرة . والفراع : ما ارتفع من الأرض . والوهاط : ما انخفض منها . والعزاز : ماخشن وصلب . وعفاء الأرض : التى ليس لأحد منهم ملك . وعلاف : نتاج الإبل وماينتفع به منها . والصرام : النخل أو ثمره . الثلب : من ذكور الإبل من تكسرت أسنانه وهرم . والناب : الناقة المسنة . والفصيل : ولد الناقة الذى منع عن الرضاع . والقارض : المسن . والداجن : الشاة التى يعلفها أصحابها فى ديارهم . الحورى : جلود الضأن المدبوغة . الصالغ : من البقر والغنم . ماكمل وانتهى . والقارح : الفرس إذا دخل فى السنة الخامسة .

(٨) الأبيات الثلاثة وردت فى : السيرة لابن هشام ٤/٢٤٥ ، وعيون الأثر ٢٤٦ ، والاستيعاب ٣/٣٥٨ ، والإصابة ٣/٣٣٥ ، ٣٤٥ (برقم ٧٦٩٦) ، والروض الأنف ٧/٤٢٣ ، ومعجم البلدان (رحرح) ٣/٤١٣ ، وصبح الأعشى ٢/٢٤٥ .
رَحْرَحَان وَصَلدَد : جَبَلانِ بنواحى اليمن .الخوض من النوق : واحدها خوضاء وهى الغائرة العين . وتغتلى : تشتد فى سيرها . وطريق لاحب : واضح . والجسرة : الناقة القوية . والهِجَفُّ : ذكر النعام . والخَفَيْدَد : السريع النشيط .

مالك بن نمط الهمدانى

الهمدانى الذى لم يكد يمضى عليه سوى بضعة شهور فإنا نراه وقد برىء من حياته الوثنية الأولى ، وأقبل على الإسلام بقلب خاشع مؤمن بالله واحداً لا شريك له ... يقول[٩] :

يـريش الله فى الدنيـا وَيَبْرِى
ولا يَبْـرى يَعُـوقُ ولا يـريـش

وعندما وقف بين يدى رسول الله فى وفد قومه أنشد شعراً يمدح فيه رسول الله ﷺ ، فقال[١٠] :

حلفت برب الراقصات إلى مِنَى
صوادر بالركبان من هضب قَرْدَدِ
بأن رسول الله فينا مُصَدَّق
رسـول أتى من عند ذى العرش مهتد

نجد أن الروح الإسلامية فى البيت الثانى تبدو جلية تتواءم وإيمان الشاعر المطلق بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما بعث بالحق من قبل الله سبحانه وتعالى ليهدى الناس إلى الإسلام .

وله ـ رضى الله عنه ـ جذور فنية متأصلة فى ذاته الشعرية يمتاح منها بعض المعانى الموروثة التى حَضَّ عليها الإسلام ودعا إليها كالشجاعة والجود ، فيقول[١١] :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أشد على أعدائه من محمـد

● ● ●

رحم الله مالك بن نمط الهمدانى فقد كان أنموذجاً من الصحابة رضوان الله عليهم فى صدق الاعتقاد ، ورسوخ الإيمان والشاعر الذى جاء شعره مرآة دقيقة الانعكاس لصدق اعتقاده ورسوخ إيمانه ،،،

« ايمن محمد ميدان »

(٩) مزيد من الأمثلة انظر : الإصابة ٣/٢٤٨ .

(١٠) السيرة لابن هشام ١/١٨٢ .

(١١) البيتان وردا فى : السيرة لابن هشام ٤/٢٤٥ ، وعيون الأثر ٢٤٦ ، والاستيعاب ٣/٣٥٨ ، والإصابة ٣/٣٣٥ ، ٣٤٥ والروض الأنف ٧/٤٢٣ ، ومعجم البلدان (قردد) ٣/٥٤ وصبح الأعشى ٢/٢٤٥ .

حفظ الله السودان

٤

للأستاذ الدكتور
عبد الودود شلبى

انظروا فيما حولكم هنا وهناك في أي بلد عربى وأي بلد مسلم ستجدون دعاة الالحاد والعلمانية كلهم من خريجي جامعات الغرب . بل ستجدون شيوعيين تعلموا في جامعات أمريكا التى تحارب الشيوعية فوق أي أرض .

إن الغرب لا يخاف الشيوعية .. لأن الشيوعية في النهاية « صناعة أوروبية » ولا مانع عنده من تمكين لينين وماركس .. إذا كان الخيار بينهما وبين دين محمد ﷺ !!

فالشيوعية أمرها سهل ، والقضاء عليها مسالة « تكتيك » ووقت أما الإسلام فهو الخطر الذى يرتجفون من ذكر اسمه حتى على سبيل الافتراض والوهم[١]

في كتاب « جنوب السودان في مائة عام » يقول المؤلف :[٢]

« كان استمرار حركات الانفصال في الجنوب وقدرة القائمين عليها في التحرك داخل السودان وخارجه داعياً للتساؤل عن السر الذى يكمن وراء هذا الاستمرار ؟ وكيف أنه ظل قائما منذ عام ١٩٥٥ وهى السنة التى قام فيها التمرد ومازال يواصل عمله ونشاطه ، وينفذ المخطط الاستعماري الذى رسم له

←

(١) حين التقى فضيلة الشيخ الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين بهتلر الزعيم الالمانى المعروف ، وتحدث إليه تطرق الحديث بينهما إلى الإسلام والشيوعية ، فاحتد هتلر قائلاً : لا خوف من الشيوعية علينا إن شيئا من « المال » - أى رفع مستوى المعيشة - يقضى عليها .. أما الإسلام فماذا نفعل معه ؟!

(٢) دكتور محمد المعتصم .

حفظ الله السودان

بإحكام وقد جاء الرد على هذه التساؤلات في المؤتمر الصحفى الذى عقد في الخرطوم بعد انقلاب ٢٥ مايو بشهور قليلة **وأوضح المسئولون فيه أسرار وقوف بعض المنظمات الكنسية والهيئات في الخارج وراء حركة الانفصال .. يمدونها بالمال والتأييد الأدبى ويساندونها إعلاميا وكشف المسئولون عن حقيقة هذا الأمر وهم يستندون إلى وثائق رسمية .**

ومن هذه الهيئات التى أعلن أنها وراء حركة الانفصال في جنوب السودان ، اتحاد الطلاب المسيحيين البروتستانت بجامعة بون بألمانيا الغربية .. فقد جمع الطلاب الذين ينتمون إلى هذا الاتحاد تبرعات من المواطنين تحت رعاية الكنيسة .

كما فتح حساب لهذه التبرعات في البنك التجاري بعاصمة ألمانيا الغربية تحت رقم ١٠٦٧٦/٢ .

كما أسهم قساوسة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بإيطاليا بقسط موفور في النشاط لدعم حركة الانفصال في جنوب السودان وكان أغلب قساوسة هذه الكنيسة من الذين باشروا أعمالا سياسية وتخريبية في الجنوب وصدر القرار بطردهم من السودان في عام ١٩٦٣ .

ومن الأسماء التى أعلنتها الحكومة السودانية وهى تبرهن على اشتراك هؤلاء القساوسة في أعمال المعونة للانفصاليين ، أسماء ثلاثة قساوسة بالذات كانوا يعملون في مديرية بحر الغزال وهم :

١ ـ البيشوب دومنيك فيرايرا
Dominic Ferrara

٢ ـ الأب ادوارد ماسون
Eduard Mason

٣ ـ الأب الفونس روزى
Alfonse Rossi

وقد نشروا في الفترة من ١٥ مايو عام ١٩٦٩ مقالات عديدة بالمجلات المحلية ضد سياسة الحكومة السودانية تجاه الجنوب كما نشطوا في جمع التبرعات من بعض الدول الكاثوليكية الأوروبية ومجموعة الدول الاسكندنافية .

ثم جمعية الدعم الأفريقي بألمانيا الغربية التى أسسها عام ١٩٦٤ طبيب يدعى « لوبا » وأنشأ فرعا لها بمدينة فرانكفورت وآخر بمدينة (كولون) بألمانيا الغربية ـ وفتح لها صندوق توفير بالمدينة الأخيرة تحت رقم ٦٩٩٩ ثم أنشأ فروعا لها بمدينة (كراكاس) و (ميونيخ) و (هامبورج) لتواصل دعمها للانفصاليين .

وهناك لجنة العمل « بيافرا السودان » وهى إحدى المنظمات الكاثوليكية بألمانيا الغربية وقد عثر البوليس الألمانى لديها على كثير من الوثائق والمنشورات تم إعلانها في المؤتمر الصحفى في الخرطوم .

أما منظمة المساعدات الألمانية والكنيسة الكاثوليكية فقد استعانت بمجموعة من

الأفاقين والمغامرين ليمدوها بمعلومات عن حالة أبناء الجنوب من المسيحيين لتقديمها إلى الفاتيكان كما اعترف بعض المرتزقة الذين ضمتهم هذه المنظمة بأن منظمة المساعدات الألمانية ستبدأ في تقديم مساعداتها لجنوب السودان فكان هذا العمل الذى تقوم به لونا من ألوان الدعم الذى لقيه دعاة الانفصال من هيئات أجنبية .

وهناك هيئة الكنيسة الكاثوليكية البروتستانتية وهى نشيطة بين المواطنين الألمان وتجمع منهم التبرعات لمساعدة اللاجئين السودانيين وقد فتحت حسابا باسم « إعانة السودان » .

وقد تخصصت هيئة العمل الطبي بفرانكفورت بألمانيا الغربية وهيئة الخدمة الألمانية في إرسال إمداد اللاجئين عن طريق (كينيا) كما كانتا تقومان بنشاط واسع في معسكراتهم بأوغندا وتقدم لهم العون المادى الذى بلغ حتى ساعة الإعلان عن هذا الموضوع في المؤتمر الصحفى السابق ذكره ربع مليون مارك ألماني .

والهيئة الأخيرة التى أعلن المسئولون السودانيون عنها في ذلك المؤتمر هى منظمة جنوب السودان وهذه المنظمة مسجلة رسميا في لندن ومن بين أعضائها أساتذة في الجامعة وأعضاء في البرلمان وهى تقوم بنشاط إعلامي واسع ضد السودان وهي تضم اثنين من زعماء الجنوب الانفصاليين هما (بادنج جرنج) و (يعقوب جيبل) .

● ● ●

إن الحركة التنصيرية بدأت تأخذ مسارا جديدا يختلف عما كان عليه من قبل .

لم تعد الوداعة أو « الشراسة » شعارا تتستر خلفه ، ولم تعد « الهداية » أو « الضلالة » هدفا تسعى إليه .. لقد كشف التبشير عن نابه الأزرق .. وأعلن تحديه لأى اجراء تتخذه الحكومة ضد جرائمه على شعب السودان الوديع الطيب .

وإذا كانت « مملكة المسيح » ـ كما قيل ـ في « السماء » لا في « الأرض » وإذا كان المسيح قد قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر » ولا تتدخلوا في شئون الملك أو الحكم ، فقد ضرب « التبشير » بهذه الوصايا كلها عرض الحائط .. وجعل من الكهنة والكرادلة ملوكا وجبابرة يفرضون إرادتهم على المحكوم والحاكم . فقد هدد كبير الأساقفة ـ في الخرطوم ـ حكومة السودان بشن حركة إعلامية ضد هذه الحكومة في أنحاء العالم وأعلن أنه إذا لم يعد « المبشرون البيض » ـ الذين طردتهم الحكومة إلى الجنوب فلسوف يؤلب الفاتيكان ، والبابا ... و ... خمسمائة مليون كاثوليكي للانتقام والثأر ، وحينئذ سوف لا يجد مسلم واحد كسرة من الطعام أو الخبز !!

● ● ●

وقد تكررت هذه المحاولة من رئيس الأساقفة الكاثوليك لرعاية المسيحيين عندما أصدر « كتيبا » ينتقد فيه تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين .

وقد كان أسلوب هذا « الكتيب » كما يقول الأستاذ حسن مكى[٣] طافحا بأقصى عبارات الابتزاز والتهديد .

● ● ●

... إن التدخل في الشئون الداخلية للدول يعتبر جزءاً من الدور الاستعماري الذى تقوم به المؤسسات التنصيرية حيث تعتبر ذلك جزءاً من عملها لقيام أمبراطورية نصرانية تسيطر على العالم .. ففي جميع الدول التى أقام بها دعاة التنصير مراكز لهم أصبح هذا الدور واضحا جليا ، فقد قام مجلس الكنائس العالمى بدور بارز في إدارة حرب الجنوب في السودان حيث تبنى تلك الحرب الداعية إلى انفصال جنوب السودان عن شماله رغم قلة عدد النصارى هناك حيث لا يتجاوز عددهم ٧٪ من تعداد الجنوب (ومع ذلك ينصب مجلس الكنائس من نفسه وصيا على جنوب السودان) .

وقد وضح للمراقبين بعد الدور الذى أداه اتحاد الكنائس في تحقيق الاتفاق السياسي بين حكومة الرئيس نميري ومتمردي الجنوب .. مدى النفوذ الذي يتمتع به اتحاد الكنائس في هذه القضية ، ومن هنا تبرز حقيقتان جديرتان بالملاحظة :

١ ـ نفوذ اتحاد الكنائس في حركة التمرد .

٢ ـ الدور السياسي الذي تلعبه الدوائر الدينية المسيحية .

أما النفوذ القوي الذي مكن مجلس الكنائس العالمي من كبح جماح التمرد وحل مشكلة جنوب السودان حلا سياسيا على الرغم من ضآلة نسبة النصارى في الجنوب ، فيرجع إلى أن الجهات التبشيرية هي التى نظمت التمرد وهى السند الأساسى الذى يتلقى المتمردون منه السلاح والتمويل والدعاية وما يلزم من مساعدات ، حتى أن القائد الأعلى للمتمردين كان أحد رجال الكنائس البيض ـ « رالف شتاينر » .. موجود في سجون الخرطوم .

لقد ترعرع التمرد الانفصالى في أحضان الاستعمار الصليبي منذ أن فرض الاستعمار البريطاني عزلة تامة على جنوب السودان ووضع له إدارة منفصلة وجعل التعليم فيه تابعا للإرساليات حتى يتخرج منها الجيل الذى يقود التمرد .. وليس هذا الدور الخطير الذي يلعبه مجلس الكنائس العالمى هو الأول من نوعه ، فقد كان المحرك الحقيقى لمحاولة الانفصال في بيافرا (نيجيريا) وكان قائد

(٣) من كتاب التبشير المسيحى في العاصمة الثلثة .

الحركة هناك هو نفسه رجل مجلس الكنائس العالمى ـ رالف شتاينر ـ الذى قاد متمردي جنوب السودان حتى سقط أسيرا .. ولقد حاول قلب نظام (أحمدو أهيدجو) في (الكاميرون) في المحاولة الفاشلة حيث حكم على رئيس القساوسة بالاعدام . ومن هنا يتحتم على جميع الشعوب التى تهمها أوطانها أن تولى هذه المؤسسة اهتماما وحذرا مثلما توليه للجهات الامبريالية الأخرى ، نظرا لأنها تلعب نفس الدور .. وبنفس القدر .. وتحلم بإقامة امبراطورية مسيحية في العالم الثالث تكون تحت نفوذها وسيطرتها .

لقد صرح متمردو السودان من قبل بأنهم يحاربون لإقامة (دولة أزانيا المسيحية الكبرى) وهو نفس الاسم الذى تحمله جبهتهم السياسية .

بعد كل هذا لم يعد خافيا الدور السياسي الذي تقوم به الإرساليات التبشيرية في العالم الثالث والعالم الإسلامي على وجه الخصوص ـ لقد انفضح تماما الادعاء الكاذب بفصل الدين عن السياسة لدى العقلية التبشيرية . لقد خدمت السياسة الاستعمارية المؤسسات الدينية في السابق ، وجاء دور النشاط الديني الآن ليكمل الطريق بنفسه بعد أن قوى عوده[٤] .

● ● ●

إن المؤامرة أبشع مما نتصور . فقد صرح قسيس اسمه جاكسون Jackson لصحيفة انجليزية هي الجارديان Guardian بأن الهدف الذي يسعى إليه « المنصرون » إنما هو إقامة حزام جغرافي لمجموعة الدول النصرانية التى تتحكم في منابع النيل .. ! وهذه الدول التي يعنيها هذا « المنصر » هى « جنوب السودان » بعد نجاح المؤامرة وأوغندا (وعدد المسيحيين فيها لا يزيد على خمسة وعشرين في المائة) وكينيا لا تزيد نسبة المسيحيين فيها على خمسة وثلاثين في المائة ، والهدف الذي يسعون إليه بعد قيام هذه الوحدة ، إنما هو التحكم في أي بلد مسلم تتوقف حياة شعبه على مياه هذا النهر إن لم يستجب لمطالب هذه العصابات التى تقف وراءها دول كبرى بالتسليح والدعم ..

والزعم بأن هذه دول مسيحية خرافة ينقضها الواقع والحقيقة فالمسلمون أكثر من غيرهم في كل هذه الدول المرشحة للاشتراك في هذه المؤامرة ، والحلم الذي يعشعش في عقول هذه العصابة سينقلب ـ ان عاجلا أو أجلا ـ إلى « كابوس » ينتهى بهم إلى كارثة .. ؟!

● ● ●

والشيء الذى لم يكن يخطر على بالى أبداً أن اتحاد طلاب « جنوب السودان » (Sos-sa) أنشأ فرعا له في مدينة القاهرة : وعقد الاجتماع السنوى لطلبة جنوب السودان بجمهورية مصر (Sossa) لعام ١٩٨٤/٨٣ في كنيسة سان جوزيف (٢ شارع بنك مصر) وقد كانت أمثال هذه الاجتماعات الطلابية تعقد في الدار السودانية فيما مضى ..

د . عبد الودود شلبى

(٤) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٩٠ ـ ٣ محرم ١٣٩٢ هـ / ٧ مارس ١٩٧٢ نقلا عن « الغزو الفكري في الخليج العربي » رسالة ماجستير ـ مخطوطة ـ سعيد عبد الله حارب .

الإعلام الإسلامي

واليقظة المأمولة

قرأت خبرين صغيرين فيما تنشره الصحف من أخبار كثيرة ولكنهما ـ دون سواهما ـ استحوذا على تفكيرى واستوقفانى طويلا ..

أولهما : نشرته جريدة الأخبار فى ١٩٨٧/٦/١٩ بعنوان :

حملة صليبية بالأقمار الصناعية . هذا نصه :

المبشر المسيحى الأمريكى (بيللى جراهام) أعلن أنه يستعد من الآن ويخطط لحملة صليبية عالمية لنشر المسيحية عام ١٩٨٩ م يتم فيها استخدام الأقمار الصناعية وأحدث وسائل الاتصالات والمعدات الإعلامية .

وقد جاء هذا الإعلان بعد أن رأس بيللى اجتماعا عالميا عقد فى هولندا مؤخرا اشترك فيه أربعة وتسعون ومائة وثمانية آلاف مبشر من أكثر من مائة دولة وبلغت نفقاته (٢١) مليون دولار دفعتها منظمة (سامرتيان بيرس) التى يرأسها ابن بيللى جراهام .

ثانيهما : نشر بجريدة الشعب التى تصدر بمصر بتاريخ ١٩٨٧/٩/١ بعنوان : خطة خطيرة لضرب الإسلام فى تنزانيا والصومال . جاء فيه :

تشهد تنزانيا حركة نشطة لزواج الشباب المسيحى من فتيات مسلمات مع بقاء كل من الزوجين على دينه .. وقد حرص عدد من القيادات العليا على أن يتزوج أبناؤهم من فتيات مسلمات بهذه الطريقة . وتم الإعلان عن هذا الزواج على نطاق واسع لتشجيعه ..

وكانت مثل هذه الحركة قد ظهرت فى الصومال ، وتعتقد أسر مسلمة كثيرة بهذه البلاد أن هذا الزواج ليس حراماً ..

وقد أوردت الخبرين ـ معاً ـ لما يربطهما من وحدة فى الغاية واشتراك فى الموضوع . وإن تباعد زمن نشرهما .

أما اشتراكهما فى الموضوع واتحادهما فى الغاية فلأن التبشير ودعاته وأجهزته ومخططاته كُلٌّ يبذل جهوداً كبيرة لمحاولة القضاء على الإسلام .. ويسلكون سبلاً شتى للتشكيك فيه أو التقليل من شأنه فى المناطق

للأستاذ
عاطف شحاته زهران

التى يعملون بها . حتى بين أتباعه . وهم يرون فى الإسلام خطرا يعوق مسيرتهم .

ونحن نضع الخبرين أمام أعين المسئولين عن أجهزة الإعلام الإسلامى والدعوة لتراجع حساباتها ـ وتعمل على ضوء ما يجرى وما هو كائن فى الأوساط الإسلامية وما تمليه الظروف والأحوال حتى لا تنطلق من تصورات مجردة وتخيلات بينهما وبين الواقع مساحات عريضة .

لدينا الآن إذاعات موجهة من دول إسلامية تقوم بدور لا ينكر فى خدمة الإسلام والتعريف به بين المسلمين ـ فى المناطق المستهدفة ـ وغيرهم . وتغطى هذه الإذاعات مناطق شتى من العالم . ويبقى أن تتيقظ هذه الإذاعات وتنشط لاحتواء الحركات التى تستهدف المسلمين بالذات حتى لا تتهم هذه الأجهزة ـ أجهزة الإعلام والدعوة ـ بالتقصير فى أداء دورها . وهو تقصير يحاسبنا الله جميعاً عليه .

لدينا ـ فى مصر والسعودية على سبيل المثال ـ خدمات إذاعية موجهة لمعظم بلدان أفريقيا بالعديد من لغاتها ولهجاتها . وعليها أن تأخذ بأيدى إخوتنا فى أفريقيا لتعينهم على أمر دينهم ولتسهم بدور فعال فى محاولة محو الأمية الدينية التى يعانى منها كثير من المسلمين هناك . وتكشف لهم عما هو حلال وما هو حرام من أمور الدين الحنيف .

وجهل هذه المناطق بقواعد الدين ومبادئه عيب خطير فى حق المسلمين عامة . ولسنا نشك فى أن العلماء الدعاة بهذه المناطق لهم دور مهم يُؤَدَّى فما المعوقات التى حالت دون نجاحهم فى بث أحكام الزواج بهذه المناطق أليس يجب أن نحدد تلك المعوقات حتى نتمكن من إزالتها ونعمل لتصحيح الإسلام فى النفوس . لقد وفر العصر وسائل اتصالات سريعة الانتشار ولم تكن هذه الوسائل موجودة فيما قبل . إذ تيسر للصوت البشرى الطواف بالأرض فى شىء من الثانية . ونحن الآن نسمع إذاعات دولية عديدة تطاردنا فى مخادعنا وهى متباينة المشارب والأهواء .

ونحن بحمد الله لا ينقصنا المال الذى يعيننا على إيصال صوتنا ودیننا ـ عبر أقوى أجهزة البث ـ لإخوة لنا فى أنحاء متفرقة من المعمورة ، فى حاجة إلى صوت الإسلام يرشدهم ويبدد ما هم فيه من ظلام ويكشف عمليات التضليل التى تجرى من حولهم .

ويجب أن تتكاتف أجهزة الإعلام والدعوة لإيصال كلمة الله إلى الناس أنّى كانوا وحيث وجدوا ، عن طريق الاتصال الشخصى الذى يقوم به الدعاة الذين يتصلون بالناس ويعايشونهم ويبصرونهم بالدين الإسلامى ومبادئه السمحة وقيمه وحدوده وحلاله وحرامه بالمساجد والنوادى والمدارس وأماكن تجمعاتهم أنّى كانت والإذاعات الموجهة من أقطار مسلمة مسئولة عن مواجهة التحديات التى يتعرض لها المسلمون فى المناطق المستهدفة والتجاوب مع قضاياهم الملحة التى تظهر من خلال بريد المستمعين من هذه المناطق أو ما يتم من بحوث ميدانية أو يكشف عنه العلماء الموجودون بين المسلمين هناك عبر رسائلهم المنتظمة للإذاعات الموجهة فهم (سمع) هذه الإذاعات و (أعينها) هناك وليتم التعاون على ما فيه خير المسلمين فى كل مكان .

وطبقاً لما تمليه ظروف العصر ومعطياته يجب على أجهزة الإعلام والدعوة أن تساير الزمن وتعد العدة للإفادة من كل ما يتيحه العصر .. كل عصر لإبلاغ رسالة الله إلى الناس كافة قبل أن يحاسبنا الله على قعودنا أو تقصيرنا والناس أمام القائم بالإعلام الإسلامى نوعان :

نوع لم تبلغه الدعوة الإسلامية وما عرف عنها إلا أفكارا مشوهة بثتها دعايات مضادة . ولهؤلاء الحق فى معرفة صورة مبسطة صحيحة وسريعة عن الإسلام وسماحته ورقى مبادئه وتمشيه مع كل عصر حتى يتبين لهم الرشد من الغى ..

ونوع عرف الإسلام فاعتنقه .. ولكن ينقصه الكثير من المعلومات عنه . وعلينا توعيتهم وتعريفهم مبادىء دينهم وبيان رأى الإسلام فيما يعن لهم من مسائل تحتاج بيان رأى الدين فيها .

وعلى الإعلام الإسلامى ألا يغيب عن هذه المناطق الإسلامية التى تحظى بجهود مكثفة من المبشرين . فلابد للحق من جنود مخلصين مسلحين بأرقى ما وصل إليه العصر من وسائل متقدمة تمكنهم من خدمة حقهم .

إن الإعلام الإسلامى فى هذا العصر يواجه تحديات خطيرة تتطلب من القائمين عليه يقظة كاملة وخطة واضحة لمواجهة هذه التحديات . فهل ثمة أمل فى هذه اليقظة ؟

وأخشى أن تتأخر هذه اليقظة .. فتأتى بعد فوات الأوان .

اللهم اهدنا لما فيه خيرنا . ووفقنا لما يرضيك عنا .. آمين ..

عاطف شحاتة زهران

من أعلام الأزهر

أحمد شفيع السيد

الأديب الشاعر الراوية

٢

للدكتور
محمد رجب البيومى

عرف الأستاذ أحمد شفيع بهدوء النفس ، وسعة الصدر ، وأستاذ الأدب ، إذا اتسم بهاتين الصفتين جاءت أحكامه عادلة منصفة . فهو حين يعارض فكرة ما ، يعرضها فى حيدة ، ويوضح مأخذه فى تلطف ، وفى النقاد من يظهر التعالى الممجوج إذا أَبْدىَ مخالفة لما يُدرس من فكر ، ومثله يسىء أكثر مما يحسن ، لأن روح الإنصاف تفتح أبواب القبول لدى الدارسين ، فيتقبلون النقد فى ارتياح ، ولم تكن صداقة الأستاذ بما نعه من نقد أصدقائه ، إذ كانت له صلة وثيقة بالشيخ عبد العزيز البشرى حين كان قاضياً بإحدى المحاكم ، وكان الأستاذ محامياً ، وقد ظلت هذه الصلة على وثاقتها المتينة دون تفكك ، ولكنها لم تحل دون أن ينقد الأستاذ من آراء صديقه ما يراه موضع النقد ، وقد حرص على



د . احمد شفيع شلبى

اختياره شخصية أدبية يحلل عناصر إبداعها الفنى للطلاب ، فكان يعرض المبتكر من آراء

البشرى ، ولا يعفيه من نقد يسوقه فى هدوء عاقل ، فالأستاذ عبد العزيز البشرى يقول - مثلاً فى الجزء الثانى من المختار ص ٣٣ .

« إن العبقرى المبتكر من العدم ، والمبدع على غير مثال ، قد لا يكون لتفكيره شىء مما يصنع ، ولا لعقله دخل فيما يبدع ، إنما هو الطبع والغريزة ينضحان بهذا ، ولقد يفعلانه فى سر من عقله ، وفى غفلة من تقديره ، فشأنه فى هذا شأن القمرى يشدو أبدع الشدو ، ويرجع أحلى الترجيع ، ما يوقع لحناً ، ولا يتعمد تنغيماً ، وكالوردة ينفرج عنها كمها ، وما بها أن يملأ أنفك طيب شذاها ، ولا أن يبهر عينيك جمال مرآها ، وإنى لأزعم لك أن كثيرا من هؤلاء المبتدعين قل أن يشعروا بما صنعوا ، وقل أن يقدروا حق ما أبدعوا ، إنهم قناطر بين ما استودع الله من سر خلقه نفوسهم ، وبين ألسنتهم وأيديهم » .

فيقول الأستاذ أحمد شفيع معقباً على هذا الرأى ص ٣٦ من ترجمته للأستاذ البشرى :

هذا يخالف ما تعارف عليه الناس ، ويكادون يتفقون عليه عن خبرة مكرره ، وعن طبائع نفوسهم ، فالعبقرى يقاسى فى الحصول على فكرته القيمة ، ونظرياته العميقة كثيرا من المتاعب ، وقد يجهد جهده فى سبيل اقتناص فكرة واحدة ، أو صياغة مااطمأن إليه فى قرارة نفسه من حقائق الحياة ، وإذن فالشعراء والكتاب والفلاسفة غير هانئين فى هذه الحياة ، تتاح لهم الثمار ، ويواتيهم القدر بطلباتهم دون عناء ناصب وكدّ مرير » .

فالرد هادىء صائب لا يندفع ولا يشتط ، بل يحجز الأستاذ فى نفسه أشياء كانت بمثابة الأدلة المؤيدة لرأيه ، أذكر أننا ناقشناه فى هذه المسألة بعد أن دونها فى ترجمة البشرى ، فقال من فوره : كنت أود أن أضيف إلى ما قلت ، أن شوقى لا نزاع فى عبقريته ، ولكن المسودات التى نشرت بالزنكوغراف لبعض قصائده تحمل من المحو والإثبات ، والتشطيب والتصحيح ما يدل على معاناة حادة ! أفكان هذا العبقرى مستريحاً هادئاً تسقط ثماره الفكرية دون كد ، إن المسودات تنطق بغير ذلك !

ومثل آخر يدل على أثر الطبع الهادىء فى نقد الأستاذ ، حتى فيما يظن فيه الإندفاع ، فهو مثلاً أستاذ الأدب الجاهلى بالكلية لعدة سنوات ، وكان يلقى المحاضرات فى تحليله الفنى مكبراً معجباً حين وقعت الواقعة بين الأستاذ أحمد أمين ، والدكتور زكى مبارك حول ما سماه أحمد أمين (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى) فتوجه إليه تلميذه الدكتور أحمد الشرباصى على صفحات جريدة منبر الشرق بسؤال هذا نصه : بصفتكم أستاذاً للأدب العربى نود أن تحدثنا عن رأيك فى المعركة التى ثار غبارها بين الأستاذين أحمد أمين وزكى مبارك ، منذ أسابيع حول الأدب الجاهلى ، وأيهما الموفق فى اتجاهه ؟!

فجاء رد الأستاذ أحمد شفيع بالعدد الصادر فى ٢٣/١/١٩٤٠ هادئاً لا يخرج عن طابعه المعهود إذ يقول فى اتزان :

« الأستاذ أحمد أمين عالم واسع الإطلاع دلت مؤلفاته على سبقه ، وشهدت بفضله ، وهو كاتب متزن وقور تقرأ كتاباته فتلمح آثار الهدوء ، وترى عليها مخايل الاتزان والوقار ، ولكن لا أدرى كيف خرج عن وقاره حين وثب على الأدب الجاهلى فغض من قدره ، ونال من مكانته ، واسترسل فى ذلك استرسالاً أسف له الكثيرون من عَارِفى فضله ، وقد نقده الدكتور عبد الوهاب عزام نَقداً هادئاً ، ولكن الدكتور زكى مبارك تلقف هذه المقالات التى أوغرت صدره ، وحزت فى نفسه فانبرى يرد على صاحبه رداً أصاب فيه ، ورد المتنكب عن الجادة إلى سواء الصراط ، فلاقت ريح الأستاذ أمين إعصارا من مبارك » .

هذا بعض ما يشير إلى مسلكه النقدى ، أما شعره ، فهو فى أكثره ذاتى يعبر عن خواطره الخاصة ، فهو ليس ناظماً محترفاً ينتهز المناسبة ليقول ما يروق الناس ، وأعجب شىء أنه لم ينشر من شعره الذاتى على كثرته شيئاً ، بل اكتفى بإنشاده بين تلاميذه وعارفيه ، وكنت أطلب منه بعض ما أسمع فيقول : إن الأوراق متناثرة فى مكتبته الحافلة ، ففى كتاب الأغانى ورقتان ، وفى الوفيات قصيدة غزلية ، وفى الأمالى عتاب ودى ، وهكذا يتفرق الديوان فى أجزاء المكتبة دون أن يجمع ، على أن مجلة الأزهر قد ظفرت بقصائد عدة سيقت إليها دون أن يعلم لمناسبات عامة حتمت نشر أكثرها ، وبعضها مما قدمه التلاميذ لرياسة التحرير دون أن يعلم الشاعر شيئاً ، وأكبر مزية لشفيع هى « الارتجال السريع » للقريض ، فكثيرا ما تعن المناسبة الطائرة فى حديث متنوع فإذا الرجل يهتف بمقطوعة مرتجلة تجىء عفو الخاطر ، وشعر الارتجال فى أكثره سريع لم تصقله الرؤية المتأنية أو تمده الفكرة الدقيقة ، ولكنه ينبىء عن ملكة حاضرة ، وقريحة مستعدة ، فإذا اطمأن الشاعر المرتجل وعمد إلى الأناة فقد ملك الزمام .

ذهبت مرة إلى منزل الأستاذ بـ (عطفة الليمون) وطلبت كتاب (نفح الطيب) وكنت أتوقع أن أطالع النسخة البيضاء التى صدرت عن دار المأمون ، ولكن الأستاذ فاجأنى بنسخة صفراء تآكلت حروفها ، واختلطت هوامشها بمتونها فأعملت قريحتى وقلت هذين البيتين :

طلبت النفح مشكولاً ولكن
بعثت لنا بمضطرب سقيم

كصب رام أن يلقى مليحا
فأوقعه الزمان على دميم

وما كدت أعرض البيتين على شفيع حتى ارتجل منشدا :

بعثت النفح حين وثقت أنى
بعثت به إلى فطن عليم

وما يجديك من شكل مملّ
وأنت من العروبة فى الصميم

وثانية من هذا الوادى فقد انتقلت من القاهرة بضع سنوات للتدريس فى أماكن نائية ، ثم زرته فى العطلة الصيفية وكنت أعددت مقطوعة قلت فيها :

لقاهرة المعز صبوت حتى
ليرجف خافقى بين الضلوع

من أعلام الأزهر: أحمد شفيع السيد

صبوت بها لأمرين استباحا
ذماء الصبر فى كبد صديع

لدار الكتب وهى أعز دار
ومجلس كوكب الفصحى « شفيع »

هما متماثلان فمالديهما
يصاب لديه فى ذهن ضليع

لقد جادا على قلمى فروّى
بما جاد الغمام على الربيع

وتلك تفيدنا علما وهذا
يزين العلم بالخلق الرفيع

بشاشة مجلس وسخاء كف
وظرف نمّ عن ذوق بديع

فما أنشدتها للأستاذ حتى طلب قلما ، وخط بظهر الورقة فى بضع دقائق :

وقاهرة المعز إليك تصبو
كما تصبو الرءوم إلى الرضيع

لقد عهدتك شبلا عبقرياً
فكيف تراك أيام الربيع

تزف لها الروائع ناصعات
على نسق من الفن الرفيع

وذلك فضل ربك لاسواه
وليس لدار كتب أو شفيع

وله قصيدة طويلة تحت عنوان (عبيد المال) نظمها فى مجلس واحد ، لحادثة حافزة ، فقد جاء إليه غلام شاب من طلبة المدارس ، ووالده تاجر من كبار الأغنياء يسكن مع الأستاذ فى شارع واحد ويتزاوران ، فقال الغلام فى حياء خجول ، لقد جئت إليك ياسيدى لأشكو والدى ، إذ ذهبت إليه ساعة غروب الشمس فى شهر رمضان راجياً أن أتناول عنده الإفطار ، ولكنه - وهو متزوج بغير والدتى - نهرنى وطردنى ، وقال لى : اذهب لأمك فهى تأخذ النفقة الشهرية ثلاثة جنيهات !!

سمع الأستاذ القصة فكاد يبكى وقال فى حسرة : غلام يأتى إلى أبيه جائعاً فى شهر رمضان فيحرمه !!

ثم صحبنى إلى منزله ، فقال الشيخ شفيع مبادراً ، يافلان ، من الغد إذا ذهبت إلى السوق تشترى الطماطم فاطلب من البائع واحدة بعد الميزان ، ثم أطلب من الكوسة واحدة أخرى ، بعد الميزان ، فإذا ذهبت إلى المنزل فضع كوباً من الماء زيادة فى القدر الذى يطبخ فيه الخضار ، وحين يجىء ولدك المسكين ، فقدم له طبقاً لم يكلفك شيئاً ، لأن محتوياته جميعها من غيرك ، ولا عليك من ثمن الرغيف فسأعطيه إياه !!

قال الشيخ هذه الأطروفة فى لهجة المتألم ، وقد حزت فى نفسى ، وكدت أصيح من الألم ، ثم تركه شفيع دون أن يأخذ تحية الضيافة ، والتقينا من الغد فقدم إلى الشيخ الجليل قصيدة كتبها فى سويعة يسيرة ، وقال إنه جعلها ذماً للعبيد بوجه عام ، دون أن يتعرض للبخيل المشئوم ، إذ ليس من أخلاقه أن يخص أحداً بالهجاء مهما كان نذلا وضيعاً ، وقد نشرت القصيدة بعدد جمادى الأولى سنة

١٣٧٣ هـ من مجلة الأزهر ص ٤٢٣ وفيها يقول :

لـن المـال تجمـعـون وأنتـم
فى حيـاة قـد آذنت بـالـزوال

كم نصبتم حبائـل المكـر للمـا
ل وغـالبتمـو شـديـد المحـال

رازق الـذرّ فى مسـاربـه الجـو
ن ومُجـرى الأنهار بـين الجبال

ومنجى الظبـاء من ربقـة الأسر
ومـردى الآسـاد فى الأدغـال

لم يساو الإنسان فى رشده الوحـ
ش فـأضحى للمـال فى أوجـال

أضـعـاف الطيـور أهـدأ بـالا
وسراة الأنـام فى بلبـال !

كـم غبـىّ وعـاجـز مجـدود
غمـرتـه الحيـاة بـالأنفـال

وذكـى وحـوّل محـدود
نـاء فيـهـا بـأفـدح الأثقـال

حكمـة لاتحـار فيـهـا عقـول
غـير عقل عن الهـدى فى عقال

ولا يدرك أسف الشيخ على موقف الوالد الشحيح غير من يعلم سماحته المفرطة فى الكرم ، إذ كان لا يدخر شيئاً من عائده وجميع أصدقائه يعرفون أنه فى هذا الباب مثل بارع من أمثال الفتوة الإسلامية التى نقرأ بعض آثارها المجيدة فى كتب السالفين ، إذ كان يفرح بالفقير الوافد على منزله فرحاً لا يوصف وكنت أزوره بعد صلاة العشاء فأجد الثلاثة والأربعة من ضعفاء الحال يؤمون ساحته من القرى النائية لقضاء وصالحهم فى القاهرة ، اعتمادا على سخاء نفسه ، وبسطة يده ، وهو لا يكتفى بالسعى فى حوائجهم لدى الوزارات المختلفة ، بل يفسح لهم من منزله مأكلاً ومشرباً ونوماً ، وربما دفع لذوى الفاقة منهم ما يقوم بنفقات القطار أو السيارة فى الرواح والذهاب تقديراً لظروفهم العسيرة ، وإن بشاشته عند اللقاء ، وهشاشته فى السمر والإضحاك ، وأنسه بالغريب الوافد لما يشجع الطارقين على تكرار الزيارة بعزم وإقدام علما بما سيستقبلون به من الاحتفاء ، وقد كان يكرر لهم التحية أكثر من مرة فى المجلس الواحد !

على أن من المفارقة فى هذا الباب أن زاره ذات مساء فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون المصلح الدينى الكبير ، والكاتب الاجتماعى الأشهر ، وهو يومئذ سكرتير المجلس الأعلى للأزهر ، فقدم إليه ـ وكنت حاضراً ـ فنجان القهوة فحسب ، فتعجبت كثيراً ، وقلت : ياسبحان الله ، يأتى من هب ودب من الناس فيتمتعون بلذيذ الفواكه ، وهنىء المشارب ، ويأتى أبو العيون فيشرب القهوة وحدها .

فأجابنى الأستاذ أحمد شفيع إجابة تمر الليالى دون أن أنساها ، قال الأستاذ فى بساطة : الشيخ أبو العيون ضيفى أنا ، وهو غير محروم ففى منزله العامر أضعاف ما فى منزلى ، أما هؤلاء فضيوف الله ، ويفرحون بما يطعمون ويشربون ! فمن مبلغ مؤلفى كتب المكارم فى العصور السالفة ، أن لدينا من هذه الأريحيات النبية أمثلة صادقة تدل على أن مكارم الأخلاق إرث باق لورثة الأنبياء .

ومن هذه الأريحيات الماجدة ما نعرفه من سلوك الكبير مع الصغير، إذ أن أستاذنا الكبير بسنه وفضله معا كان لا يدخر وسعاً فى الإشادة بذوى الفضل من تلاميذه، وقد عهدنا التلاميذ يمدحون أساتذتهم معبرين عن مشاعرهم الشاكرة نحوهم، ولكننا رأينا الأستاذ أحمد شفيع يمدح تلاميذه النابهين بقصائده مشجعاً مباركاً، أذكر أنه أطرى الدكتور أحمد الشرباصى ـ وكان لا يزال طالباً بالكلية يحضر دروس الأستاذ ـ بقصيدة حافلة تشجيعاً له حين أظهر فى عهد الطلب باكورتين من إنتاجه، وقد قرأهما الأستاذ محتفلاً، ولم يكتف بالتنويه الشفوى بهما فى ساحة الدرس بل نظم قصيدة عامرة يتنبأ فيها بمستقبل زاهر لتلميذه الناشىء، لأن الفجر بشير الصبح، وقد كان البحر جدولا صغيراً، والبدر هلالاً ضئيلاً، والأسد شبلاً يدرج، ثم مضى الزمن فإذا هؤلاء على أحسن ما يُرجى ويؤمل! قال الأستاذ عن تلميذه:

قبس من الإصلاح لاح بصيصه
سيزيده كر المدى إشعالاً

وإذا رأيت الفجر يبسم ضوؤه
فارقب لأنوار الضحى إقبالاً

فالبحر ماذا كان؟ كان جداولا
والبدر ماذا كان؟ كان هلالا

والأُسْد فى وثباتها وثباتها
درجت على آجامها أشبالا

فإذا تركنا هذا الموقف إلى موقف آخر للأستاذ مع أحد الطلاب فإننا نذكر همته الكريمة حين زاره ذات يوم بعض تلاميذه. وعليه من سمات الحزن والحيرة مالا مزيد عليه، فعجل الشيخ بسؤاله عن بواعث ألمه، فقال: إن والده كان موظفاً بدائرة الأمير عمر طوسون، وقد فُصل بوشاية كاذبة، وفقد مصدر رزقه الوحيد، وهو رب أسرة ذات تلاميذ فى المدارس والجامعة، وما يدرى الطالب شيئاً عن مستقبله ومستقبل إخوته الذين يسكنون معه بالقاهرة، فصرفه الأستاذ على أن يعود إليه بعد يومين، ولم ينم ليلته. بل نظم قصيدة استعطاف حملها بنفسه إلى الأمير إذ سافر صباحاً إلى الأسكندرية، واتجه إلى شيخ المعهد الدينى هناك، وطلب منه أن يتصل بمقر الأمير ليحدد موعداً للقاء الأستاذ وصديقه شيخ المعهد، وقد تحدد الموعد فى اليوم ذاته، وتقدم الشيخ شفيع فقرأ القصيدة مطمئناً، وقابلها الأمير باحتفاء زائد، وأصدر أمره الفورى بإعادة الموظف المفصول مع زيادة راتبه خمسة جنيهات، ورجع الأستاذ إلى القاهرة وهو فى أكمل سعادة وأبهج انشراح، لأن للمروءة مذاقاً شهياً لدى أبنائها، فهى تفعل بنفوسهم فعل السّلاف، وأذكر أنه قال لى بصدد هذا الموقف إنه سافر إلى الأسكندرية ليبرىء نفسه أمام ضميره، ولا عليه إذا أخفق فقد فعل ما فى طوقه، وهكذا تكون رقة الإحساس دافعة للغوث العاجل، والسعى النبيل.

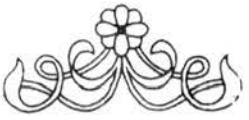
لعمرك ما وارى التراب حديثه
ولكنّما وارى ثياباً وأعظما

أ. د (محمد رجب البيومى)

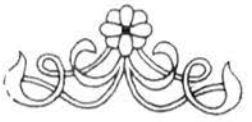
الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

فى السحر



سجدة فى طريق النور



لست ترقى

فى السَّحَر

لفضيلة الشيخ
محمد زكى ابراهيم

أبيتُ أدعوك قهّاراً لمقهورِ ... مُضاعَف الذنب إثر الذنب مغرور
يبكى حياء ، ولكن ليس يمنعه ... هذا البكاءُ من الرُّجْعَى إلى الزورِ
ويقطع الليل أوّاباً ، ويغلبه ... شيطانه ، فيغادى البور بالبور
حتى إذا شاب لم تحبسه شيبته ... عن المحاذير ، من فعل وتفكير
كم ذا ينوب وكم أوْدَى بتوبته ... حسن الرجاء فلم يعبأ بمحظور
الذنب حطَّمه ، والخوف أسقمه ... والعفو هيَّمه ، شوقاً إلى النور
يُحَدِّثُ النفس : ألاَّ تيأسى فعسى ... أن يمحو الله مكفوراً بمشكور
وَرُبَّ نفحة فيض منه تنقذني ... مما أعانيه من آثار تزويري
ومن تيمم ساحَ الفضل معترفاً ... فلن يعود بذنب غير مغفور

ظلمتُ نفسى ، وجئت الباب مرتجياً ... عفواً ، بوعد من الرحمن مبرور
ذكَّرتُ غيرى بحق الله تبصرة ... فأين منى تذكيرى وتبصيرى ؟
فما رجائى وما أملت من عمل ... إلا مداواة محذور بمحذور ؟
إنى خجلت من الغفران أطلبه ... بعد الذى كان من عابى وتغريرى

يامن تقدس ، لا تؤذيه معصيتى ... وليس يغنيه تهليلى وتكبيرى
هذا قضاؤك فالطف بى ، وخذ بيدى ... وأنت تعلم مكتوبى ومقدورى
فإن سعدت ، ففضلُ الله أسعدني ... وإن شقيت فما مثلى بمعذور
فاقبل دعائى وهبنى من لدنك هدى ... فأنت أكرم من أخْذى بتقصيرى

سجدة في طريق النور

للشاعر
رشاد محمد يوسف

يتطهر بالشكر لساني ... ويُسبح حمدا وجداني
والقلب بذكرك موصول ... يَسبح في بحر الايمان
والعين لغيرك لا ترنو ... تتملّى نور العرفان
والنفس الخاطئة الحيرى ... تتلمس أي اطمئنان
ذابت في النجوى هائمة ... تهفو لرحاب الغفران

●

يانور النور تطاردني ... ظلماء تحرق أجفاني
ياأمن الأمن يؤرقني ... رعبٌ من هول النيران
أدركني طال بي المسرى ... وأنا في درب العصيان
أدركني شابت ناصيتي ... وأنا مشبوب الالحان

●

من غيرك يعلم خافيتي ... همسي إسراري اعلاني ؟
من غيرك يملك ناصيتي ... من غيرك يدرك أشجاني ؟
من غيرك أدعو فيلبيِّ ... ويجود بفضل وحنان ؟
وجهت لأنوارك وجهي ... أحمل تقصير الإنسان
أحمل أوزاري .. يحملني ... أمل في عفو الرحمن

●

يتوضأ بالتوبة شعري ... يستغفر قلبي ولساني
أتمنى صَفْحاً يدركني ... وأتوق لفيض الإحسان

لست ترقى

شعر
أحمد محمود مبارك

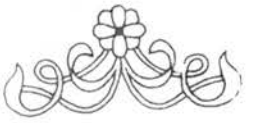
لست يامغرورُ ترقي إنما تَهْوِى وتشقى
تدَّعى العلمَ ويبدو علمُكَ المزعومُ حُمْقَا
هل عرفت الحقَّ لمَّا ذُبْتَ في الآثام عشقا
واضعتَ العمر تخدي راً وتضليلاً وفِسْقا
نشوةُ الإثم هنيها تٌ وتفنى ثم يبقى
أسفٌ يا أيُّها المغ رورُ يغرى النفسَ سحقا
ودمارٌ في الخواتيـ م فهل كنت مُحِقاً

* * *

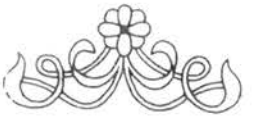
لا تَقُل : إنك تسمو ليس هذا القول صدقا
أنت بالآثام في القا ع وبالقاع ستبقى
أنت في بحر الخطايا تائهٌ والنفسُ غرقى
راكب الإثم مداهُ هُوةٌ تزداد عمقا
كلما أوغل فيها ظن أن النفسَ ترقى

العلوم الكونية

الاعجاز العلمي في القرآن الكريم



الحاسب الآلي



الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

٢٣

تقديم :

الماء[١] مذيب عالمى ، اى انه يذيب كل المواد ولكن بنسب مختلفة ، وتتصل دراسة الماء اتصالاً وثيقاً ومباشراً بدراسة نشوء الحياة على الأرض وغيرها من الكواكب . وفى الواقع لا يغطى الماء نحو اربعة أخماس سطح الأرض عبثاً ولكن بقدر معلوم لكى تحمل الأرض الحياة وتزدهر عليها :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ ﴾

« المؤمنون ١٨ » .

والمعروف أنه على الرغم من اتساع رقعة الماء بهذا القدر ظلت بعض أجزاء اليابس صحارى لا يصلها القدر الكافى من ماء المطر الذى هو أساس الحياة على اليابسة والمصدر الوحيد الأساسي للماء العذب :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾

« الواقعة ٦٨ / ٦٩ »

والمزنُ هو السحاب الممطر .

فللماء أهميته فى القرآن الكريم فهو ينبوع الرخاء المستفيض ومورد الرزق المتجدد الذى لا ينضب :

﴿ . . . وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

« الحج ٥ »

وشرع الإسلام صلاة الاستسقاء من أجل الغيث وفيه من الدعاء الكثير مثل :

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ..

اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء ، وأنبت لنا منْ بركات الأرض ..

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً ..

(١) مايرد فى هذا المقال من توجيه أو تفسير هو مسئولية كاتبه ...

للاستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

الماء فى القران الكريم

لم يقتصر لفظ الماء فى كتاب الله العزيز على الدلالة على الماء الذي نشربه أو نسقى به الزرع أو على الماء المالح الذى يملأ بطون المحيطات والبحار ، بل تعدى هذا المعنى ليدل على حالات السيولة للمادة بصفة عامة . ولعل أهم صفات الماء أنه أساس الحياة على الأرض ، وهو يدخل فى تركيب الجزء الأكبر من أجسام الكائنات الحية . وقد يستطيع الإنسان البقاء على قيد الحياة مدة أربعين يوماً من غير طعام ، ولكن ثلاثة أيام فقط من غير ماء تكفى لموته . وبالإضافة إلى ذلك يؤدى ماء الأرض دوراً رئيسياً فى توفير البيئات المناسبة للحياة وإمكان ازدهارها ، وذلك من حيث توزيع درجات الحرارة على الأرض بحيث لا تسود نهايات عظمى أو نهايات صغرى تفنى معها الحياة ، ويلقى كل ذلك الضوء على معنى قوله تعالى :

١ - ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . . . ﴾

« الأنبياء ٣٠ »

ويتكرر هذا المعنى مع شىء من البيان والتفصيل فى آيات أخرى مثل قوله تعالى :

٢ - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ . . . ﴾

« النـور ٤٥ » ..

والمراد أن الله تعالى خلق كل حى يدب من أصل مشترك هو الماء . المواد العضوية من مركبات الكربون المذابة فى الماء الوفير حتى إن الشخص الذى يزن ٧٠ كيلو جراماً مثلاً يحتوى جسمه على ٥٠ كيلو جراماً على الأقل من الماء .

٣ - ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾

« الأنعام ٩٩ »

أى أن الله تعالى هو الذى أنزل من السحاب ماء جعله أساس الماء العذب الذى به أخرج كل أنواع النباتات على الأرض .

٤ - ﴿ وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ . . . ﴾

« الرعد ٤ »

أى أن فى الأرض قطعا متجاورة ومتجانسة التربة ، فيها حدائق الكروم والزرع الذى يحصد والنخيل المثمر ، يختلف طعمها رغم أنها تسقى بماء واحد . وآية ذلك أن ذرة الكربون التى تتكون منها المواد العضوية المختلفة تكون لها تراكيب متباينة بعد أن تذوب فى الماء الذى يمتصه النبات من التربة حاملاً معه أملاحها ومذيباً نسباً متفاوتة القدر من موادها العضوية وغير العضوية أو المعدنية .

٥ - ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

« الحج ٥ »

←

والمراد أنك ترى الأرض قاحلة مقفرة فإذا نزل عليها الماء دبت فيها [وفى كائناتها الدقيقة الهامدة] الحياة وتحركت وارتفع سطحها ، ثم أثمرت من أصناف النبات ما يبهج النفس .

المطر ينقى الجو ويطهر الأبدان

يقول الخالق العليم جل شأنه :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾

« الفرقان ٤٨ »

والمعنى أن ماء المطر طاهر ومطهر .. والمعروف علمياً أن ماء المطر عندما يتكون داخل السحب الممطرة يكون فى أعلى درجات النقاء من الملوثات ، وعندما يروح متساقطاً فى الجو من قواعد السحب إلى سطح الأرض ينقيه مما قد يعلق فيه من ألوان الشوائب .. ولولا هذا التدبير من الله تعالى لامتلأ الجو المحيط بالأرض بالشوائب والملوثات التى لا تستقيم معها الحياة .

ونظراً لأن ماء المطر ينقى الجو أولاً بأول وهو يتجدد بصفة مستمرة ، فإنه يظل طاهراً يزيل الأوساخ والأنجاس :

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾

« الأنفال ١١ »

ماء الأرض

جمعت الأرض أكبر قدر من الماء من بين سائر أفراد الكواكب السيارة فى مجموعتنا الشمسية ، وقلنا إن ذلك لم يكن عبثاً أو لمجرد الصدفة :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ ... ﴾

« المؤمنون ١٨ »

ويوجد الماء فى الأرض على صوره الثلاث :

١ ـ الماء السائل الذى يملأ بطون البحار والمحيطات وهو ماء مالح لأنه أذاب كثيراً من أملاح القشرة الأرضية ، وكذلك الماء العذب المتجدد الذى يجرى فى الأنهار وينبثق من العيون ، وأصله من المطر :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ ﴾

« الزمر ٢١ »

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾

« الرعد ١٧ »

أى أن الله تعالى أنزل من السحاب مطراً سالت به الأنهار والوديان حسب تقدير تعالى . ومن أمثلة ذلك الأمطار التى تسبب فيضان النيل ، والأمطار التى تسبب السيول الجارفة فى شرق مصر وطور سيناء .. وعلينا أن ندرسها وندرس الرياح التى تجلبها حتى تكون لنا نعمة نعتمد على مائها فى الزراعة بتخزينه ، بدلاً من أن ينساب ويجرف القرى والطرق :

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

« البقرة ١٦٤ »

٢ ـ ويوجد الماء فى الأرض على هيئة غاز هو بخار الماء الذى يحمله الهواء . وقد جعل الخالق القدير بخار الماء أخف من الهواء فى الوزن ، بنسبة ٥ إلى ٨ على الترتيب ، وذلك لكى تحمله تيارات الهواء الصاعدة إلى مناطق إثارة السحب ونزول المطر ، حيث يتم تكاثف بخار الماء أو تحوله إلى نقط من الماء أو إلى بلورات من الثلج تبعاً لدرجات الحرارة السائدة فى تلك الطبقات العالية ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾

« الروم ٤٨ »

٣ ـ ومن صور الماء فى الأرض كذلك الماء الصلب ، أو الثلج ، الذى يتراكم عند القطبين وفى أعالى الجبال الشامخة ، حيث يكون مصدراً لفيضانات الأنهار التى تنبع منها ، إلا أن ثلج الأرض هو بصفة عامة بمثابة خزانات عظمى للطاقة تساعد على تنظيم درجة حرارة الجو ، وتحول دون حدوث نهايات عظمى قاتلة .

ماء التناسل

استخدم القرآن الكريم أيضاً لفظ الماء للدلالة على ماء التناسل ، لشبه بينهما فى السيولة أو من حيث التدفق ، وذلك فى مثل قوله تعالى :

١ ـ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾

« النور ٤٥ »

فقد يكون المراد من الماء هنا ماء التناسل المشتمل على الحيوانات المنوية ، وقد يكون المراد الماء الطبيعى الذى يتكون منه الجزء الأكبر من أجسام الكائنات الحية كما قدمنا .

٢ ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾

« السجدة ٨ »

والمراد هو من ماء قليل لا يؤبه له عادة . والمهين من الرجال الضعيف أو الحقير . وهذا المعنى أيضاً فى قوله تعالى :

٣ ـ ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾

« المرسلات ٢٠ »

الماء قبل خلق السماوات والأرض

يقول الله عز وجل :

﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

« هود ٧ »

وظاهر الآية الكريمة معناه أنه قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض لم يكن فى الوجود سوى عالم الماء ومن فوقه عرش الله ، ثم حدث أن خلق الله الكون الذى من حولنا وأوجدنا فيه لكى يختبرنا ويظهر حقيقة أعمالنا وإيماننا .. ولفظ الماء هنا من الغيبيات التى لا محل للخوض فيها لبعدها عن مجال العلم الطبيعى .

والله أعلـــم
وللحديث بقيـــة

محمد جمال الدين الفندي

الحاسب الآلى

خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان ومَيّزه بالعقل والطموح فهما جناحاه اللذان يعبر بهما آفاق الزمان والمكان على بساط رحلة عُمْرة فى هذا الكون الفسيح . وبهما تمكن فاستطاع أن يعطى الحياة أكثر من عمره : اكتشافا واختراعا وأداء .

رصد الكائنات من حوله ، ومن فوقه ومن تحته فدرس التشابه والاختلاف والعلاقات التى تتماسك ، والأخرى التى تتنافر حتى يلغى بعضها بعضاً ، حشد هائل لابد من تدوينه وتنسيقه ، وإيجاد طرق لتداوله . واستنباط قوانين هذا التفاعل .

ساعده ـ فى ذلك كله ـ الرصد أو الحساب ، واخترع لهذا الرصد أجهزة تسمى « الحاسبات » .

وفى بداية حياة الإنسان ، استخدم رجل الكهف « حاسباً » لا زلنا نستخدمة إلى الآن .. أعنى « أصابع اليدين » ثم استخدم معها « أصابع القدمين » فى العمليات الأكثر تعقيداً ، ولا زالت معظم أجهزة الحساب أو « الحاسبات » إلى الآن تعتمد على مبدأ هام وعام وهو : « **الحسابات عن طريق وحدات متقطعة** » كذلك كانت أصابع اليدين الأساس فيما يعرف اليوم بالنظام العشرى وهو من أسهل وأشمل النظم الرقمية المعروفة .

وفى « ماكينات » الجمع البسيطة كانت العمليات الحسابية تتم عن طريق أسنان « ترس » كوحدات متقطعة . أما فى الحاسبات « الالكترونية » المتطورة فإن الوحدة المتقطعة هذه قد تكون شحنة كهربية أو « فيلم » مغناطيساً ، ويستخدم الحاسب الرقمى هذه الوحدات المتقطعة فى إجراء عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة بدقة بالغة .

عمل الحاسب الآلى :

قبل أن نتعرف على طريقة عمل الحاسب الآلى يجب أن نحدد أولاً المراحل التى تتم بها العمليات الحسابية لدى الإنسان وهى :

١ ـ **مرحلة الإدخال** : بالنسبة للإنسان تعتبر الأعضاء المختلفة مثل : الأذن والعين والأنف واليد « وسائل إدخال » للبيانات والمعلومات قبل وصولها إلى العقل وذلك عندما يسمع أو يرى أو يشم أو يلمس ، وبعد ذلك تنتقل هذه المعلومات إلى ذاكرته ليستعملها عند الحاجة .

٢ ـ **مرحلة المعالجة** : يقوم عقل الإنسان

د . سعاد البيلى

بالتفكير فى الموضوعات ومعالجتها حتى يصل إلى الحلول المناسبة وفى سبيل ذلك قد يقوم بإجراء الحسابات اللازمة مستعيناً بجدول الضرب المحفوظ فى ذاكرته أو بتجاربه وخبراته السابقة .

٣ ـ مرحلة الإخراج : ثم يقوم بإخراج النتائج التى توصل إليها بعد المعالجة بعدة طرق . منها الكلام أو على هيئة حروف وأرقام يكتبها بيده تمثل النتيجة التى توصل إليها .

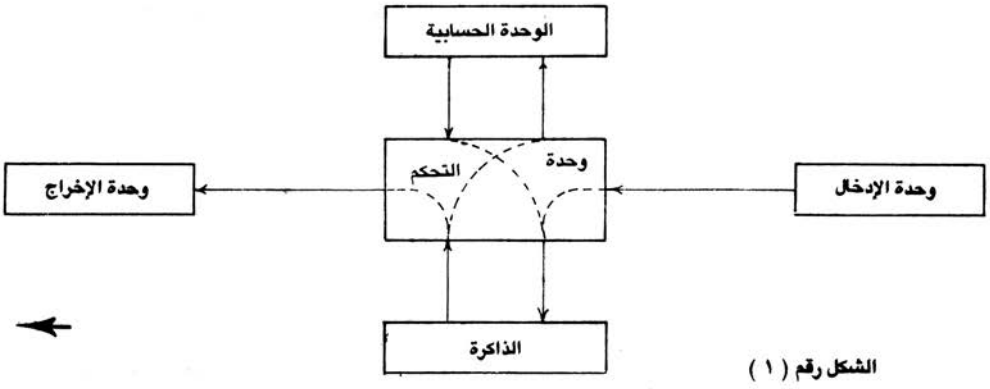
وهذه المراحل تماثل تماماً مراحل العمل فى « الحاسب الآلى » . الذى **يحتوى على خمس وحدات رئيسية** تمثل الأولى منها مرحلة الإدخال ، والأخيرة مرحلة الإخراج ـ وما بينهما من وحدات يتم فيها مرحلة المعالجة . ويوضح الشكل (رقم ١) هذه الوحدات الخمس وما بينها من علاقات فى صورة تخطيطية مبسطة وهى :

١ ـ وحدة الإدخال : وهى التى تمكن المشغِّل من إدخال البيانات والأوامر إلى الحاسب وعادة يتم إدخال هذه المعلومات من خلال « وحدة التحكم » إلى « الذاكرة » حيث يتم تخزينها إلى استخدام لاحق . وتشمل طرق الإدخال عدة وسائل منها :

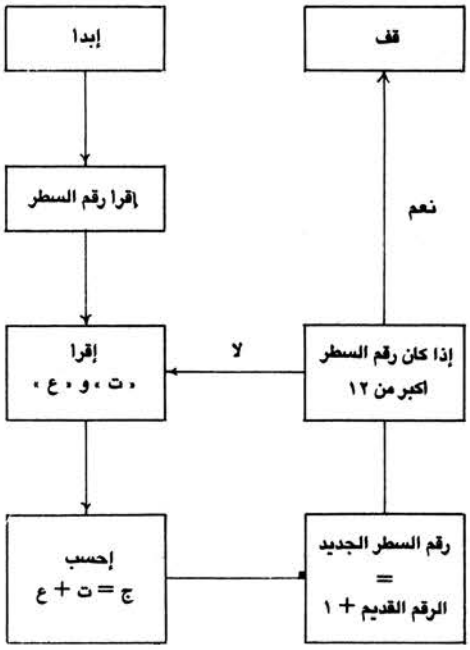
١ ـ قراءة بطاقات خاصة مثقبة بحيث يرمز كل ثقب فيها ، أو مجموعة من الثقوب ، إلى حرف هجائى (مثل أ ، ب ،) أو رقم (١ ، ٢ ،) أما فى الحاسبات الحديثة فيتم ذلك عن طريق آلة كاتبة كهربية مزودة بشاشة « تليفزيون » .

٢ ـ وحدة التحكم : وتقوم بعدة أدوار أساسية منها إمرار المعلومات بين مختلف وحدات الحاسب الأخرى . كما تقوم بدور المترجم للبيانات التى تم إدخالها قبل تخزينها فى الذاكرة ـ حيث إن للحاسبات لغة خاصة غاية فى التعقيد بينما اللغات المستخدمة في إدخال البيانات أقرب ما تكون للغة المعتادة فى حياتنا العلمية .

٣ ـ الذاكرة : وتقوم بتخزين كل البيانات والمعلومات التى تعطى لها . وفى الحاسبات الحالية يصل حجم الذاكرة فيها إلى عدة ملايين من الوحدات .. وهذه الذاكرة قد تكون كهربية أو مغناطيسية .



الشكل رقم (١)



الشكل رقم (٢)

٤ ـ وحدة الحساب : وهى ما يتم عن طريقها فعلاً كافة العمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة ، وبالإضافة إلى ذلك فإنها تقوم بإجراء بعض العمليات المنطقية و « اختبارات الدوال » . فعلى سبيل المثال فإنها تستطيع أن تختبر عددا ما مُوجَباً كان أم سالباً ثم تختار نوع الحسبة الملائمة فى أى من الحالين وتقوم بتسجيل مؤقت للنتائج التى توصلت إليها .

٥ ـ وحدة الإخراج : وهى تقوم بتقديم سجل كامل للإجابات المطلوبة وكذلك البيانات الداخلة والمطلوب تسجيلها . ويتم الإخراج على هيئة كتابة مطبوعة على ورق أو مسجلة على شرائط ويمكن استقبالها كذلك على الشاشات التليفزيونية الخاصة بذلك .

استخدام الحاسب

ولتبسيط استخدام الحاسب ، فلنتخيل شخصاً يريد أن يصل إلى عنوان منزل معين فى مدينة ما من نقطة أو ميدان فى هذه المدينة وكل حصيلة هذا الشخص هو معرفة معنى « طـريـق » و « قنطـرة » ، و « مبنـى » بالإضافة إلى الأرقام وإشارات المرور ... إلخ ، ولكنه لا يستطيع أن يقرأ عنواناً أو اسم شارع مثلاً . فى هذه الحالة فإننا نَدُلُّهُ بإصدار الأمر له فى صورة :

(سر « جنوباً » إلى « ثالث » « إشارة مرور » ثم اتجه « شرقاً » حتى تجد « قنطرة » فاعبرها واستمر « شرقاً » حتى تتخطى « ثـلاثة مبـان » ، فإذا كـان الطـريق « الجنوبى » مفتوحاً فاتجه « جنوباً » وسر مسافة مبنيين تجد العنوان المطلوب فى الركن « الجنوبى الغربى » أما « إذا » كان مغلقاً فسر مقدار « مبنى » إضافى ثم « مبنيين » « جنوباً » ثم « مبنى » إلى « الغرب »)!!

أما عند استخدام الحاسب . فإننا نسير فى سلسلة من الخطوات كالآتى :

١ ـ يجب أن نحيل المشكلة أولاً إلى ما يسمى « بالصورة الرقمية » فالحاسب الآلى لا يستطيع أن يتداول إلا خطوات رياضية وحسابية بسيطة بالإضافة إلى القرار : « نعم » أم « لا » ، ولذلك فلابد من تحويل أية مشكلة رياضية معقدة إلى صورة بسيطة .

٢ ـ يلى ذلك مرحلة « البرمجة » وهى تعنى

التخطيط لمراحل الحسابات المتتابعة فى خطوات . ويشتمل البرنامج مجموعة من الأوامر لنقل الأعداد المخزونة فى الذاكرة إلى الوحدة الحسابية عن طريق مجموعة من « الكلمات » . ومن أمثلة « الكلمات » المستخدمة كلمة « انقل » و « أضف » و « اضرب » .. إلخ . كذلك لابد من وجود عدد يميز « عنوان » البيانات التى ستتم عليها العمليات الحسابية ، وهذا العنوان يناظر عنوان المنزل فهو يدل على المكان ولا يدل على المحتوى .

٣ ـ المرحلة التالية : هى مرحلة إعطاء اسم رمزى للبرنامج وكتابة البرنامج بلغة مفهومة للحاسب مع الوضوح الكامل لتفاصيل الأوامر المطلوبة لذلك يجب فهم « شخصية الحاسب » فهما دقيقاً ، ويلى ذلك مرحلة اختبار الأخطاء وإلا ، فمن الممكن ألا يعطى الحاسب أية نتائج وقد يعطى نتائج خاطئة .

٤ ـ المرحلة الرابعة : وهى مرحلة تشغيل البرنامج وهذه المرحلة لا تحتاج المهارة والخبرة الفائقتين اللتين احتجنا لهما فى المرحلتين السابقتين طالما كان البرنامج قد تم وضعه فى الصورة الصحيحة المطابقة للهدف .

ولتوضيح ذلك ، يمكن إعطاء هذا المثال البسيط : لنفرض أن المطلوب حساب إجمالى لدخل شخص ما على مدى شهور السنة ، والمعروف أن هذا الشخص يمتلك محلاً تجارياً يدر عليه مبلغ يساوى « ت » جنيها كل شهر بالإضافة إلى عقار يعطيه دخلاً متغيراً يساوى « ع » جنيهاً شهرياً فإذا رمزنا للشهر بالرمز « ش » فإننا يمكن أن نضع هذه البيانات فى صورة جدول كالآتى :

ش	ت	ع
١	٣٠٠	٢٥٠
٢	٢٤٥	٢٢٠
٣	٢٧٠	١٨٠
٤	٢١١	٢٦٧
⋮	⋮	⋮
١٢		

أى إنه فى شهر « أ » حصل على ٣٠٠ جنيه من المحل التجارى و٢٠٠ جنيه من العقار ، **وهكذا** ..

ويمثل الشكل (رقم ٢) رسماً تخطيطياً لبرنامج الحاسب الذى سيقوم بحساب الدخل الشهرى على مدى السنة . وهو يتمثل فى الخطوات الآتية :

١ ـ البدء .

٢ ـ قراءة رقم السطر فى الجدول .

٣ ـ قراءة كل من قيمة « ت » وقيمة « ع »

٤ ـ حساب المجموع ج = ت+ع .

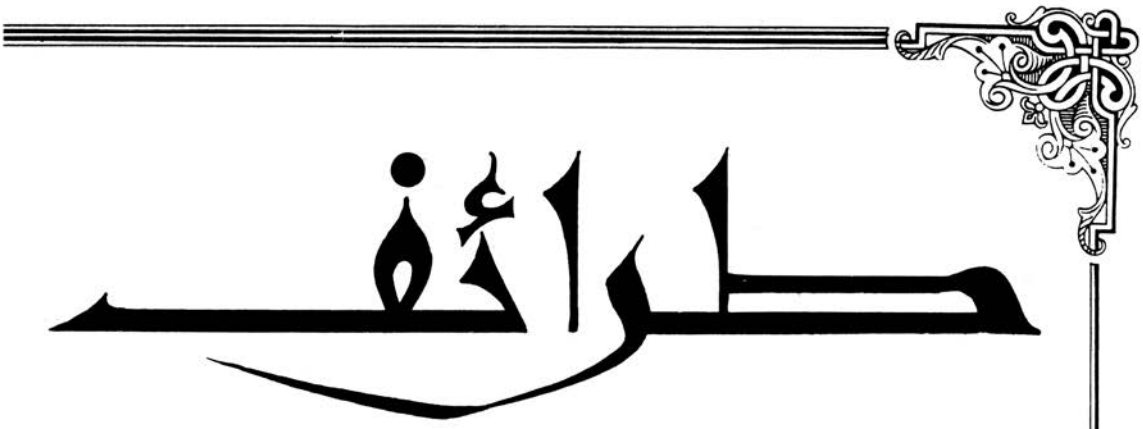
٥ ـ قراءة السطر الجديد .

٦ ـ معرفة ما إذا كان رقم السطر أكبر من ١٢ ففى هذه الحالة يتوقف ويقوم بطبع النتائج وإذا كان رقم السطر أقل من ١٢ فإنه يستمر فى حساب « ج » بعد قراءة « ت » ، « ع » .

وهكذا تتدرج درجة التعقيد فى البرامج تبعاً للمشكلة المراد حلها .

وللحاسب الآلى استخدامات وتطبيقات عديدة فى حياتنا العملية سوف نتناول بعضها فى مقالات لاحقة بإذن الله الذى علم الإنسان ما لم يعلم .

د . سعـــاد البيلـــى



« اعتراف »

حج اعرابى ، فكان لا يستغفر والناس يستغفرون .

فقيل له : لم لا تستغفر ؟

فقال : إن تركى الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله ورحمته ضعف ، كذلك استغفارى مع ما أعلم من إصرارى لؤم .

« اذهب عنى »

قال الأعصمى :

دخلت الطواف بالكعبة ، فرأيت اعرابياً عقل ناقته خارج البيت ، ثم دخل وهو يناجى ويقول : اللهم أنا مؤتزر بشملتى كما ترى ، وناقتى عجفت كما ترى ، وأنا آيس من جميع الورى ، يامن ترى ولا يُرى ، أما ترى ، أما ترى !! ما حل بى أما ترى ؟ فقلت لأصحابى : هل معكم شىء ؟

فجمعت له دنانير ، وتقدمت بها إليه

فقال : إليك عنى ، فإنى أسأل من هو أبسط كفا منك ، وأكرم وأجود وأغنى بالعطاء فاذهب عنى وخلنى مع ربى .

« أصدق الناس فراسة »

أصدق الناس فراسة ثلاثة :

العزيز فى قوله لامرأته عن سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ : « أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا » . والتى قالت لأبيها عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ : « يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِىُّ الأَمِينُ » .

وسيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فى الوصية بخلافة سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ .

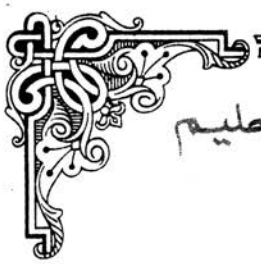
« عجبا »

لمن خاف العقاب ولم يكف ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل !!

« أربعة »

أربعة تزيد فى ماء الوجه وبهجته : المروءة ، والوفاء ، والكرم ، والتقوى .

أربعة تجلب البغضاء والمقت :



عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقفات

الكبر ، والحسد ، والكذب ، والنميمة .

أربعة تجلب الرزق : قيام الليل ، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة ، والذكر أول النهار .

وأربعة تمنع الرزق :

نوم الصُّبْحَة ، وقلة الصلاة ، والكسل والخيانة .

« حقا »

ه ربيع الجيزى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه ـ يوماً فى أزقة القاهرة ، وإذا إجانة مملوءة رمادا طرحت على رأسه ، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه .

فقيل له : ألا تزجرهم ؟

فقال : من استحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب .

« ليتنا نتدبر »

شاور معاوية الأحنف بن قيس فى استخلافه يزيد ، فسكت عنه .

فقال : مالك لا تقول ؟

فقال : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبناك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله .

فقال له : صدقت .

« نصيحة »

قال الطرطوشى : يحذر السلطان أن يولى الوزارة لئيماً :

إن اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأشراف ، وتكبر على ذوى الفضل والإنصاف .

« دعاء »

اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

البعث بالجسد والروح

لفضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى

فصل الكتاب العزيز - كعهده - فى أمر البعث بكلمة الحق ليقع الجزاء الأوفى للمخلوق على ما عمل من خير تقوم به النفس ، وآخر تقوم به النفس بواسطة الجسد ، وعلى ما عمل من شر ينطلق من النفس ، أو منها والجسد - فجاء كتاب الله الكريم قاطعا بأن البعث كائن فى الجسد والروح معا . وفى هذا البحث نقرأ لفضيلة الشيخ إبراهيم الجبالى تحليلا علميا دقيقا لتلك القضية

قال - رحمه الله :

البعث بالجسم والروح

أجمع أهل الأديان السماوية على الاعتراف بالبعث واليوم الآخر ، وبنيت الشرائع على تكليف العباد بعقائد وأعمال ، وترتيب الجزاء على امتثال التكليف أو عدم امتثاله بالثواب والعقاب ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ وكذلك رأى الفلاسفة الحكما الذين يستمدون آراءهم من نظر العقل أن لابد من جزاء فى حياة أخرى تتعرض لها النفس الناطقة بعد مفارقة البدن الذى هو من عالم المادة ، بل قد اهتدى بعض أهل الفترة بفطرتهم من غير أن يدرسوا علوما فلسفية أو يتلقوا شرائع سماوية إلى أن حياة بعد هذه الحياة يلقى فيها المحسن جزاء إحسانه والمسىء جزاء إساءته أمر لا مفر منه ولا مندوحة عنه .

روى أن بعض رؤساء العرب كان يقول دائما : من يظلم يظلم ومن اعتدى اعتدى عليه . فلما رأى أفراداً استطالوا على الناس بقوتهم ، وظلموهم معتدين ثم مضوا لسبيلهم ، وانتهت آجالهم بدون أن ينتقم منهم ، ولم يلحقهم أذى فى دنياهم ، فكر ثم قال : والله لابد من يوم يحيا فيه الناس ويتقاصون ويلقى كل امرىء جزاء ما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

أعمل هذا ومثله فكرهم فى روية فتأملوا فى صنع الحكيم العليم الذى أبدع خلق هذا العالم على أكمل نظام ، وأعطى كل نوع كماله الذى يناسبه ، فلم تقبل عقولهم أن يترك أفراد الناس فوضى يتطاحنون ويتظالمون ، ويمكن بعضهم من قهر بعض بلا رادع ولا وازع ، ثم يمضون هكذا لسبيلهم بدون أن يقتص لبعضهم من بعض ، ورأوا أن ذلك لا يتفق وما يرون من كمال الاتقان والابداع ومظاهر الحكمة والعدالة التى تتجلى فى خلق العوالم المتنوعة بسائر نواحى وجودها كلية وجزئية ، فجزموا بما جزموا به بفطرتهم وإن لم تصلهم تفاصيل الشرائع السماوية وأحكامها مما جاء به الأنبياء والمرسلون على وجه يكفى فى الإيمان والإذعان .

هكذا رأت العقول السليمة بفطرتها ، وإلى هذا وصل حكماء الفلاسفة ببحوثهم ، وبهذا وردت الشرائع السماوية برمتها ، وعلى هذا درجت الأمم المتدينة قديمها وحديثها .

ولقد شذ عن هذا بعض الناس فى بعض الأحيان والعصور فقالوا : « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » وإنك إذا فحصت حال هؤلاء وتأملت فى دخائل نفوسهم وجدت لهم دواعى نفسية دعتهم إلى التمسك بهذه المقالة والإصرار عليها ، واضطرتهم إلى التفتيش عن مستند لها مهما ضعف ، ففتشوا حتى عثروا بشبه واهية تخيلوها أدلة ثم خالوها ، إذ كانت توافق أغراضهم ، فعملوا على تثبيتها حتى دانت لها نفوسهم وخلدوا إلى السكينة عندها .

فأما دواعيهم إليها فإنها لا تعدو الحرص على تحقيق رغائب النفس الأمارة بالسوء - من انغماس المترفين فى شهواتهم ولذائذهم غير منغصين بعقوبة متوقعة ، أو استمراء الأقوياء الظالمين مراتع الظلم الوخيمة غير مروعين بقصاص عادل ، فليس أبغض إلى المستهتر فى شهواته العاكف على لذاته ، ولا أثقل على سمع المعتد بقدرته المفتات على الضعيف بفضل قوته من أن تذكره بأن هناك جزاء عادلا ، وقصاصا شاملا ، لا ينجى منه مال ولا بنون ، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين . هذه الفكرة مروعة للظالم ، منغصة للمترف ، مفسدة على كليهما ما يشعر به من لذة ، سواء أكانت لذة الاسترسال فى اللهو ، أو نشوة النصر والغلبة والقهر . ومن ذا الذى يسمح للمنغصات أن تدخل عليه بلا استئذان ، أو للمروعات تلج إلى نفسه من أى باب ؟ فالمرء مجبول على أن يحتاط لنفسه فلا يسمح لأي غبار أن يعكر عليه صفوه ، فحين يقرع سمع هؤلاء مثل هذه الكلمات فتحدث فى نفوسهم أثرها الطبيعى يثورون عليها بطبعهم ، ويهاجمونها بكل قوتهم ، ويبحثون بكل ما يملكون عن شىء يميت هذه الفكرة المنغصة للذات ، المفسدة للشهوات ، المعكرة

←

للصفو ، المفوتة للهو ؛ فإذا لم يجدوا ما ينشدون تمنوا ولو شبهة ، ثم تخيلوا ما تمنوه حاصلا ، ثم خالوا ما تخيلوا حقيقة واقعة ، بل زعموه أدلة ساطعة ؛ وهكذا يتحيل المرء على ما يوافق غرضه بأية حيلة ويسلك إليه أوهى وسيلة . ولو خلى هؤلاء وعقولهم ، ولم تعبث بتفكيرهم أهواؤهم لكان أدنى مراتب الحكم أن البعث إن لم يكن ثابتا جزما فهو على الأقل أمر محتمل فيصح الاحتياط من الوقوع فى شره أو التعرض لضرره ، بل العقل يوجب الحذر للنفس والتوقى من التعرض للخطر والضرر ولو على سبيل الاحتمال .

..... كل هذا بقطع النظر عن نصوص الشرائع التى لا سبيل إلى التخلص منها ، ولكن من لك بأن تقنع عصابات الشر وجماعات اللصوص وقطاع الطريق أن يفكروا فى أمر العقوبات والقوانين ؟

..... هل رأيت مرة مجرما يفكر فيما هو عرضة له من عقوبة ، لو فكر فى ذلك لارتدع من أول الأمر ؛ ولو فرض أن خاطب أحد المجرمين رفقاءه يذكرهم لثاروا فى وجهه : إن هذا جبن وخور ، فلتكن مقداما ولا تفكر فى مثل هذا ، ودع عنك الهواجس والخزعبلات .

وهكذا شأن المجرمين إذا دعوا إلى التفكير فى البعث والجزاء الأخروى . **ولعل هذه الحالة النفسية مما يلمح إليه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى أنه لا يمر على خاطره مقتضى إيمانه ، وإلا كان إن لم يردعه الخوف من العقاب منعه الحياء من مالك الرقاب . نعم ليس أثقل على نفس المجرم من التفكير فى ماله وصيرورة حاله ، ولا يزال يعرض عن ذلك ويتناساه حتى يران على قلبه وينساه ، ثم ينتقل إلى أن يجزم بخلافه .**

ويتلمس أوهى الأسباب يتمسك به ، حتى يقنع نفسه ومن قدر عليه قهراً أنه لا شىء مما يخاف بواصل إليه ، وإذا قدرت له السلامة مرة ومرة اتخذ ذلك ذريعة للاسترسال فى غوايته والاجتهاد فى تثبيت ما زعمه عقيدة ، ومحال مهما حاول أن يظهر بأنها عقيدة أن ترسخ الرسوخ الحقيقى الذى هو شأن العقائد ، بل هى مزعزعة بأى ريح تمر عليها لولا التشبث الشديد الذى يبعثه فى نفسه حرصه على استيفاء اللذائذ ؛ فمثل هؤلاء مثل منكرى البعث ـ والكل من فصيلة واحدة يجمعهم التغافل عن العواقب ـ أو يقولون : من الذى بعث من الآباء والأجداد على تقادم العصور والأحقاب ؟ هل عاد أحد منهم وخبرنا أن بعد الموت حياة وإذ لم نسمع ممن مضوا وهم الذين شهدوا وعرفوا فلا يكون لذلك حقيقة ولا ثبوت ، كأنهم إذ لم يروا ولم يسمعوا ممن رأى وشاهد لا يكون عليهم سلطان ولا يقدر عليهم ديان ، فما أشبههم بالنعامة تدفن رأسها بين حجرين لكيلا ترى الصياد ظنا منها أنها إذا لم تره لم يرها فتسلم ، وبذلك تستسلم حتى يدركها حتفها فى غفلتها .

ولعلك قائل إن هذا إسراف من الكاتب فى تصوير ما عليه المنكرون ، فيرى أنهم يشعرون بالبعث ويتغافلون عنه ويتناسونه ،

ولكن ماهم فى ذلك من شىء ، فهم ينكرونه من قرارة نفوسهم ويرون أنه لن يكون ، ولعل الكاتب حكمت عليه عقيدته فتخيل كل الناس على رأيه ، إذ قاس العقائد عند الناس بما حقه أن يكون فى نظره ؛ وإلا فالمنكرون منكرون وكفى .

وأقول على رسلك ورويدك رويدك ! إن من نظر فى كلام قدمائهم على تعدد طبقاتهم وتباين منازعهم ، ثم تحدث إلى محدثيهم الذين درجوا على سننهم لا يجدها تعدو ما قدمنا لك من أن أمر البعث أمر سمعنا به وما شاهدناه وما لنا به من علم ؛ **ومعنى ذلك أنهم لا يصدقون بوجوده ، لا أنهم يجزمون بعدم حصوله ، وفرق ما بينهما ، أو يقولون كما حكاه عنهم القرآن الكريم :** ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ومعنى ذلك أنهم يستبعدون أن تعود إليهم الحياة بعد أن ابتعدوا عنها ، ومعنى ذلك أنهم فى شك واستبعاد ، لا أن لديهم الجزم بالنفى ، ومثل هذا قولهم ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فكأنه ما حيرهم فى أمر البعث إلا عجزهم عن تصور من يقوم به ، وأما تصور الموجد للحياة الأولى بلا سابقة حياة فهو أمر غير محير عندهم ، نعم حاول فئات منهم أن يبرهنوا على استحالته مبالغة منهم فى الأمن منه وجلبا للطمأنينة الموهومة ليخلو لهم الجو ، فكدوا قرائحهم وأجهدوا نفوسهم وما ظفروا من ذلك بما يبل ريقهم ويحرك فى أفواههم السنتهم ، إذ كان كلامهم من جنس هذه الكلمة : **لو كان المعاد هو الأول لعاد بشخصه وبجميع مشخصاته ، ومن شخصاته وجوده فى الوقت المعين الأول ، فإذا كان وجوده فى وقت آخر كان مغايرا للموجود الأول فكان المعاد غير الأول .**

والعجب منهم أن يدعوا لأنفسهم العقل حتى مع هذا الهذيان ، فهل يرون أنهم يوم اكتملوا حتى قالوا هذه المقالة هم غير من ولدتهم أمهاتهم أطفالا على فراش آبائهم ! فكيف إذاً ينتسبون إلى آبائهم ويتوارثون معهم ويكلفونهم أن يربوهم وقد صاروا شيئا آخر بمجىء وقت آخر . وإنها لسخافة لا تستحق الالتفات إليها ولا الرد عليها .

وما أحسن قول أستاذ لتلميذه فى إفحامه وقد قال بمثل هذه المقالة : « أنا لا يلزمنى الرد عليك ، فإن السائل والمسئول قد مضيا لحالهما وجاء خلق جديد غيرهما بتبدل الوقت » وأحسن منه أن واحداً صفع صاحب هذه المقالة على وجهه ، فلما أراد الاقتصاص منه قال له : « علام ؟ قد ذهب الضارب والمضروب وجاء بدلهما شخصان جديدان » فترى أن أمر البعث لا تكاد نفس تصل إلى دليل أو شبهة تصف به قدمها وتستطيع أن تثبت استحالته وعدم إمكانه أو الجزم بأنه غير حاصل . وغاية متمسكهم أنهم لم يجزموا بحصوله ، فزعموا أنهم جزموا بعدم حصوله .

أما بعد : فالناس فى أمر البعث قسمان : فريق لا يقول بدين ولا يعتقد بصدق أحد من الأنبياء والمرسلين ؛ وهؤلاء منهم من هدته فكرته ودلته فطرته على أن لابد من يوم يحاسب فيه الناس على أعمالهم ويجزون بما

←

كان منهم ، ومنهم من سمع بمثل هذه الكلمة فنأى عنها ، أو حاربها جهد استطاعته فرارا من صدمتها له فى رغائبه وأغراضه . وفريق متدين ومعتقد صدق الأنبياء والمرسلين ؛ وهؤلاء كلهم معترفون بالبعث واليوم الآخر ، ولكن منهم من يعترف بالبعث بالجسم والروح ، ومنهم من يقول به ولكن بالروح فقط ، إذ كانت إعادة الأجسام عنده محل إشكال ، فذهب إلى التأويل فى النصوص الشرعية جريا على القاعدة المقررة : أن ما ورد من النصوص وكان إجراؤه على ظاهره غير ممكن وجب تأويله .

وليس من غرضنا فى هذه الكلمة أن نعرض لإثباته على فريق من لا يقول بالأديان ولا يذعن للتصديق بنبوة الأنبياء ورسالة المرسلين ، فهؤلاء قد أقام القرآن الكريم فى وجههم من الآيات البينات ما يفهمه كل من عنده أدنى عقل إذا لم يغمض عينيه عن النور ، ولم يجعل أصابعه فى أذنيه فراراً من صيحة الحق ، **وإنما كلامنا مع من صدق بالشرائع وأذعن لدلالة النصوص** ، وزعم أن البعث الجسمانى أمر غير ممكن أو لا فائدة منه فيجب تأويله وصرفه إلى البعث الروحى وتأويل ما ورد فى أمر النعيم والشقاء بأنه كنايات لتقريب اللذائذ الروحية إلى الفهم بتشبيهها باللذائذ الجسدية التى ألفها الناس وركنت لها نفوسهم ، حتى أصبحت أكبر عامل فى اجتذابهم والتأثير على ميولهم .

وكلام هؤلاء فى شعبتين :

الأولى : أن إعادة الأجسام غير ممكنة .
الثانية : أنها لا فائدة لها .

فأما الأولى : فقد استندوا فيها إلى شبه بعضها أو هى من بعض ـ قالوا : أولا تلك الكلمة التى سبق أن حكيناها عن بعض المنكرين ، وهى أن المعاد يلزم أن يستوفى كل مشخصات المبدوء ، ومنه وقته الذى وجد فيه ، وحينئذ يلزم أن يكون بدءاً لإعادة . وقد عرفت أن اتحاد الوقت غير لازم فى اتحاد الذات مطلقا ، ولا يقول به إلا من نسى نفسه وغفل عن ذاته ، وأنه هو نفسه الذي يبدىء كلامه وهو الذى يتمه ، وقد بدأه فى وقت وأتمه فى وقت آخر ، بل هو نفسه الذى ولد صغيراً وعاش حتى هرم وشاخ ، وهو هو الذى يموت بعد أن يستوفى أجله ، بل إذا فرض أن تقطعت أجزاؤه ونبت له غيرها ما كان ذلك بمغير شخصيته ولا بمخل بوحدته ، وعلى العموم فسخافة هذه الشبهة أوضح من أن تحتاج إلى عناء .

وقالوا ثانيا : قد يصح أن يأكل شخص شخصا فيمتزج بدن هذا ببدن ذاك ، فهل الأجزاء التى دخلت فى جسمين تعاد مع الأول أو مع الثانى أو مع كليهما ؟ ، وقد يرى بعض الناس أن هذه الشبهة من القوة بحيث لا يمكن التخلص منها ، ثم يعززها بفروض قريبة الوقوع ، كأن يقول : قد يغرق شخص فتأكله الأسماك حتى يتحد بجسمها ، ثم يأكل هذه السمكة شخص آخر تتحد بجسمه ؛ أو يقول : قد تتحات أجزاؤه وتصير ترابا تمتزج بنبات تمتصها جذوره ثم نغتذى بهذا النبات ؛ وأمثال هذه الفروض كثير ؛ ويستأنس بقول الشاعر :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحـ
ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف السير ما أظن أديم الـ
أرض إلا من هذه الأجساد

وإنك لتجد الكثير من الناس مولعا بهذه الشبهة يتشدق بها ، إما طربا لها إذ وافقت هواه وهو تخليص رقبته من ربقة التكليف ، وإما ارتباكا فى أمرها وتحيرا فى كيفية الخلاص منها ، فإذا تأملت ما سيتلى عليك لم تجد لها من الشأن ما يستحق كل هذا ، وذلك أولا أن هذا أمر إنما يعنى من يقوم بتنفيذ الإعادة والبعث ، وهذا أمر لم ينط بنا حتى نهتم بتعرف كيفيته وتدبير تنفيذه ، فالذى أخبر به هو الذى تكفل به ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وثانيا قال العلماء : إن الذى يعاد هو الأجزاء الأصلية التى لا تتبدل ولا تزيد ولا تنقص وتبقى من أول العمر إلى آخره ، فمن فرض أنه أكل شخصا أو أكل حيوانا أو نباتا اغتذى من شخص كانت الأجزاء المأكولة معادة للمأكول لا للآكل ، إذ لم تكن من الأجزاء الأصلية التى وجدت من أول خلقته إلى آخرها .

وثالثا : فإن الأجزاء ليست هى نفسها التى تحس الألم واللذة وتدرك النعيم والشقاء ، وإنما المدرك الروح والنفس ، وإحساسها ـ على ما سيأتى تفصيله فى تفنيد الشبهة الثانية ـ تارة يكون بلذة وألم روحانيين : كالغبطة التى تشعر بها النفس السامية إذا أدركت منزلة من منازل المجد والرفعة ، والمذلة والانكسار التى تلحق بعض النفوس حين تبتلى فى كرامتها ، وتارة يكون بلذة وألم جسميين : كلذائذ الطعام والشراب وآلام الضرب والجراحة مثلا ، ففى كلتا الحالتين المحس هو النفس لا الجسم ، وإنما تحس النفس بلذة جاءتها من طريق الجسم ، ألا ترى أن من عمل له عملية جراحية فى بعض أعضائه يكفى فى عدم إحساسه بالألم أن تعطل وسائل التوصيل بين العضو وبين مركز إحساس النفس الذى هو المخ وتلك الوسائل هى أعصاب الإحساس ، فحياة العضو باقية ، وطرق التوصيل مسدودة ، فلم تحس النفس بألم العضو ، حتى إذا زالت أسباب التعطيل أحست النفس بما فى العضو من ألم ، وعلى ذلك فمعنى اللذة والألم الجسمانيين هو تلذذ النفس وتألمها من أمر حل بجسمها ؛ ولا يفهم من هذا أن المعاد هو الروح لا الجسم ، بل معناه أن الجسد يعاد لتكون النفس عرضة لنوعين من النعيم والشقاء .

الأول : ما يلحقها لذاتها وهو النعيم والشقاء الروحانيان كنعيم اليقين وألم الحيرة .

والثانى : ما يلحقها لجسمها كنعيم المأكل والمشرب وألم التعذيب بالنار على ماسنذكره فى دفع الشعبة الثانية من شبهتهم .

الشعبة الثانية من شبهتهم قولهم : إن بعث الجسم لا فائدة منه ، ذاك أن الروح هى المدركة وهى الشاعرة وهى المحسة باللذائذ والآلام ، وأما الجسد فهو فى ذاته ـ لولا الروح ـ جماد لا إحساس له ؛ وإذ كانت النفس هى المحسة الشاعرة ، بل كانت

←

بالحقيقة هى المكلفة والمخاطبة ، فلتكن هى المثابة والمعاقبة ، وإذ كانت لذائذ النفس والروح غير لذائذ الجسد ، فليكن معنى النصوص الواردة فى الشرائع تمثيلا للذائذ المعنوية الروحية باللذائذ الحسية الجسدية ، إذ كانت هى المعروف للناس المألوف لهم الغالبة على ميولهم ، فهى المؤثرة فى نفوسهم بالرغبة أو الرهبة ، فما جاء من مثل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِن الْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ . عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ . مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ومن مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أو قوله : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ . كَغَلْىِ الْحَمِيمِ ﴾ أو قوله جل شأنه : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ . وأمثال ذلك من آيات النعيم أو العذاب الأليم ـ زعموا كل ذلك من باب التمثيل للذائذ والآلام الروحية المرادة باللذائذ والآلام الجسدية المعروفة ، وزادوا فى ترويج شبهتهم أسلوبا فلسفيا فقالوا : إن الإنسان وسط بين طرفين : طرف منحط هو البهائم أو الشياطين ، وطرف سام هو الملائكة ، والشرائع جاءت لتسمو به إلى الطرف الأعلى الملكى ، فكلما جد فى امتثالها صعدت روحه إلى الملأ الأعلى ، حتى يلتحق بالعالم الملكى الصرف ، فيكون أسمى من أن يتطلع فى هذا الدور الكامل إلى الجسد ولذائذه المادية أو أن يعبأ بآلام جسمية ، وأما إذا ارتكس الإنسان فى الشهوات البهيمية أو غلبت عليه الشرور الشيطانية فإنه ينحط فى حياته الأخرى ، فيلتحق بالشياطين الذين تكونوا من الشر وفى الشر يعيشون ، فهم دائما حيارى قلقون وفى حياتهم مضطربون ، لا يفارقهم الكدر والكآبة والانقباض ، بينما الآخرون فى غبطة وسرور ، أو يلحق بالبهائم فيحرم لذة الفهم والعلم

والنور ، فتكون حياته الأخرى لاغية ويكون من المهملين . هكذا قالوا ، وهكذا روجو رأيهم وخدعتهم شقاشق السنتهم ، وبهرتهم بوارق فلسفتهم ، وما كانوا فى شيء منها بموفقين لا فى نظر الشرع والنصوص النقلية ، ولا فى نظر العقل والآراء الفلسفية ؛ وإنا نطلب إليك أن تبعد عن نفسك السأم والملل وإن طال بنا وبك القول ، فللأمر أهمية كبرى ليس كبيرا عليها أن تمنحها قسطا وفيرا من وقتك ونشاطك ، والله يتولانا وإياك بالهداية إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

أما النصوص الشرعية فلا أحد من المسلمين ولا غير المسلمين من المتدينين يخفى عليه النصوص الواردة فى الشرائع السماوية من حكاية النعيم والعذاب وتفصيلها حتى نحتاج إلى سرده ، وقد ذكرنا فيما مضى طرفا منه ، وأما التأويل فيصار إليه إذا لم يستقم المعنى الصريح ، فما وجه عدم استقامته ؟

أما عدم الإمكان فقد سبق لك القول فيه واستيفاؤه .

وأما عدم الفائدة والتوجيه بما ذكروا من أن النفس هى المحسة وهى المدركة ففى نفس تقسيمهم ما يشهد بأن لذائذ النفس قسمان ، وآلامها كذلك فى هذه الحياة ، فلتكن فائدة الثواب والعقاب الجسديين فى الآخرة أن تستوفى النفس حظها وقسطها من الجزاء ، سواء منه ما يلحق النفس مباشرة : كالفرح والاستبشار والرضا ، وكالكآبة والحزن والقلق ، أو ما يلحقها بواسطة جسمها : كالمطاعم والمشارب وما معها ، وكتحريق الجسم وتكراره ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ .

وأما النظر العقلى والاعتبار الفلسفى كما يتشدقون به ، فإن العقل يحكم بأن الجزاء الأوفى هو ما يكون من جنس العمل ، وكمال العدل يقتضى أن من عمل عملا من جنس فحقه أن يستوفى أجره من ذلك الجنس .

وقد جاءت التكاليف الشرعية على نوعين .

نوع منها يرجع إلى النفس بدون مدخلية الجسم والجوارح ، وذلك كالإيمان ، وهو أصل التكاليف ، وكتطهير النفس من رذائل الأخلاق الممقوتة : كالحسد والكبر وبغض الناس وإضمار الحقد عليهم .

ونوع يرجع إلى النفس بواسطة الجسم والجوارح : كالصلاة والصيام والحج

←

والجهاد وأمثالها ، وكالكف عن الزنى والقتل وأكل مال الغير ظلما وأشباهها ، فحين تحكم النظر العقلى وترجع إلى ما يسمونه بالآراء الفلسفية ألا ترى أن من العدل وقضية العقل أن يستوفى المكلف جزاءه من الجنسين : النفسى المحض والنفسى الآتى من طريق الجسم !

نعم هذا هو ما تقتضيه العقول الراجعة فى تفكيرها إلى فطرتها السليمة التى لم تعوج بالتواء الأهواء بها ، وهذا هو عين ما جاءت به النصوص الشرعية وما يعطيه التأمل فى تفاصيل الجزاء فى اليوم الآخر ، فإنك إذا تأملت فى تلك التفاصيل الواردة تجدها قد جاءت طبق هذا الأصل تماما ، أنظر إلى الإيمان وهو أصل هذه التكاليف وأفضل الأعمال على الإطلاق تجده من قبيل العلم والتصديق ، وللعلم لذته ، يعرفها من عانى شيئا منه ، وتزداد هذه اللذة بازدياد اليقين ، وارقى أنواع اليقين المشاهدة ، وتزداد أيضا بشرف المعلوم .

فهل تنبهت إلى أن الحكيم العليم الحكم العدل اللطيف الخبير الغفور الشكور قد جازى المؤمنين على إيمانهم فى دار الكرامة بأرقى أنواع العلم متعلقاً بأكمل مايمكن أن يعلم ، فمنحهم جل شأنه رؤيته والنظر إلى وجهه الكريم فى دار كرامته ؛ وإن لها من اللذة مايصغر أمامه نعيم الجنان مهما عظم وازداد ، حتى قيل إن أنواع النعيم تكاد تكون آلاماً إذا قيست بنعيم الرؤية ولذتها ، أليس فى هذا أحسن جزاء وأوفاه ؟ وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ واعتبر بما تراه من أحوال نفسك إذا ملكك الغيظ ولم تستطع تصريفه وتفريج كربة نفسك ، حتى انقلب ذلك إلى غل ـ حماك الله ووقاك شر الغل ، فإن كنت سليماً من هذا النوع المرذول من الخلق : خلق الغل والحقد ، فاحمد الله فى نفسك واعتبر آثاره فيمن ابتلى به ، وتأمل قول حكيم : لله در الحقد ماأعدله ، بدأ بصاحبه فقتله . فإذا رأيت أن الحقد فى الدنيا يؤلم إلى درجة أن يقتل صاحبه أو يستل نفسه منه تدريجاً ويسلب هناءة حياته جملة ، فكم ترى من النعيم واللذة فى نزع الغل من صدور المؤمنين

جزاء لهم على تطهيرهم أنفسهم من شروره فى الدنيا وامتثالهم معنى الحديث الشريف : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ؟ فهذان مثالان من النعيم الروحى واللذائذ النفسية الصرفة ، وتراها تقابل معانى من جنسها .

أفليس يروق فى نظر عقلك فلسفياً أن تقول : إذاً يحسن أن يكون جزاء من أجاع نفسه فى الصيام وأظمأها وكف على الجملة عن المنهيات من شهوتى بطنه وفرجه أن يطعم من طعام الجنة ويهنأ من شرابها ويستمتع بحورها جزاء وفاقاً على ماعمل كما قال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ؟ أليس من حق من جاهد فى سبيل الله وسافر فى طريق الحج والهجرة أن يأوى إلى ظل ظليل ، وأن يكون مع أصحاب اليمين فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة ، وفرش مرفوعة ، وأن يكون له فى مقابلة أن هجر فراشه وعف نفسه عما نهى أن يكون له من المتع ماتقر له عينه ويسر له قلبه ممن وصفهم ربهم بقوله جل شأنه : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ .

واعتبر مثل ذلك فى أصحاب الجحيم فى أمثال قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ وتأمل تلك الحسرات التى تفيض بها نفوس الكفار حين يقولون : (مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار) تجد غيظ المخذول وألم المخدوع الذى تبين له الأمر بعد فوات الوقت ، فشمله الندم ولات ساعة مندم .

هذا هو حكم العقل وقضية العدل ومايقضى به صحيح الرأي ، فكيف وهو صريح الشرع ومدلول النص ! وماكان تأويله إلا عن ضعف فى الإدراك وقصر فى النظر ، ونعوذ بالله من الخذلان .

أما قولهم إن العالم الملكى هو المثل الأعلى الذى تسمو إليه النفس الإنسانية فهو إن صح ليس معناه أن ينهدم ركن من ركنى الإنسانية وهو الجسد ويهمل بتاتاً ويصير روحاً بلاجسم ، وإلا فلو كان الأمر كذلك مااستقام أن يكون النوع الإنسانى هو صفوة الخلائق على الإطلاق كما يقتضيه منحه لقب (الخلافة) فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وكما يدل عليه أن الملائكة تمنوا مكانه . ففى الحقيقة قد جمع هذا النوع الإنسانى بين النفس الملكية والجسم المادى ، واستخدم كلاً منهما فيما صلح له ، فتعاونا على ما لا تقوم به النفس المجردة ولا الجسم وحده ، ثم أوتى فضيلة المجاهدة بين الروح وملكيتها وبين الجسد وماديته ، فإذا ظفرت الروح وخرجت غالبة كان لها منزلة المجاهدين الفائزين .

وبعد أن استقر فى نفسك أن المنعم والمعذب فى الحقيقة هو النفس ، وأن لها

←

نوعين من النعيم أو العذاب : نفسى وجسدى ، وأن إحساسها بكل واحد منهما يغاير إحساسها بالآخر ، وأنها كلفت تكليفين : جسدى وروحى ، ولا يسد أحدهما مسد الآخر ، حتى لايجزى الإيمان عن الأعمال ، ولا الأعمال عن الإيمان ، وأن (قضية الجزاء الأوفى) أن لايهمل نصيب أحد النوعين ويستوفى نصيب النوع الآخر ، لانخالك فى شك من أن العقل إذا خلى ونفسه ، والفكرة إذا رجعت إلى فطرتها جزمت بأن لابد من استيفاء الجزاءين الجسدى والروحى ، حتى يكون جزاء وفاقاً ، وإن كان مرجع كليهما إلى النفس ، فهى المعذبة فى الحقيقة وهى المنعمة ، وإذا وصلت إلى هذا الحكم فلك أن تقول : إذاً ليست الذرات المادية هى التى تلقى الجزاء من نعيم وشقاء ، بل هى النفس يلحقها الجزاء مباشرة أو بواسطة الجسد ، فعلى ذلك لو فرض أن قائلاً قال : إن تلك الذرات خلقت من جديد بعد أن أعدمت الذرات المادية الأولى ، وإن المخلوق من جديد مغاير بشخصه لما سبق عدمه ، فإن هذا لا يضر فى أن النفس قد لحقها بواسطة بدنها الذى خلق لها نعيم وألم ، على أن لك أن تطعن فى مغايرة المخلوق بعد العدم للموجود أولاً ، الذى لحقه العدم والفناء ، فإنه يصح فى نظر العقل أن يقال : أو جد الشىء ثم أعدم ثم أعيد وجوده . ولو فرض أن قائلاً قال : إن الأجزاء فرقت لا أنها أعدمت ، والتفريق ليس إعداماً ماضر ذلك فى أنه إعادة بعد الفناء ، ففناء الشىء يكفى فيه تفككه حتى يزول عنه المعنى المقصود منه وإن كانت جزئياته حاصلة بذاتها .

ألا ترى أنك إذا هدمت منزلا ثم جددته ولو بأنقاضه الأولى كنت قد أفنيته ثم أعدته . والواقع أنه قد قيل بكل من هذين القولين : فقد قال جماعة : معنى الإفناء الإعدام بالكلية ، ومعنى الإعادة الخلق من جديد ، والمخلوق ثانيا هو عين المخلوق أولاً الذى لحقه العدم . وقال آخرون : بل الفناء هو تفريق الأجزاء حتى يزول عنه اسمه الأول ومميزاته وتضيع خواصه ، ثم إعادته هى جمع تلك الأجزاء ، والله عليم بها وبتقلباتها لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؛ ومعنى البعث الجسمانى قابل لكلا الرأيين ، فكل منهما محقق له . بل لو قيل إنه متى كان الغرض إيصال الأذى أو النعيم للنفس على جهتين ، إما بطريق المباشرة كالنعيم والشقاء الروحيين ، أو بطريق الحواس كالنعيم والشقاء الجسديين لم يفوت ذلك معنى البعث الجسمانى . ونظر ذلك بأن يهدم شخص بيت شخص آخر فينتقم منه بالمثل ويأبى إلا أن يصنع معه مثل ما صنع فلا يرضى بضربة ولا إهانته ، وإنما يرضيه أن يهدم بيته كما هدم هو بيته ، فهذا لا يحاول إيذاء البيت ولا يخطر بباله أن البيت يلحقه أذى ، وإنما يريد أن يعاقبه بجنس ما صنع ، حتى لو تعددتُ البيوت التى يسكنها ذلك المعتدى لكان غرضه يتحقق بهدم البيت الذي يشغله حال الانتقام منه لا الذى كان يشغله يوم تعديه عليه ، وذلك أن غرضه الانتقام من المتعدى بهدم بيته المنسوب إليه لا الانتقام من البيت نفسه .

البقية ص ٧٩٥

اللغة والأدب والنقد

أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل



مصطفى صادق الرافعي



رد هادئ على نقد مستفز

أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل

للأستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال

إن اللغة العربية ارتبطت بالقرآن الكريم حيث شرفها الله بإنزاله بها ، وهى لغة موغلة فى القدم . وهى أقدم اللغات السامية كما ذهب إلى ذلك كثير من رجالات علم اللغة المقارن من أوروبا لأدلة تراءت لهم ، ولذا كانت وحدها المؤهلة لحمل رسالة الإسلام ، ومن هنا تعرضت هذه اللغة العظيمة لهجمات أعداء الإسلام ولكنها محاولات تحطمت على صخرة الحق وفى سنة ١٣٩٨ هـ طالعنا د . لويس عوض بكتاب عنونه بمقدمة فى فقه اللغة العربية مشتملاً على أغلاط دينية ولغوية وقلب للحقائق بغية الوصول إلى هدفه المسموم .

ومن هذه الأغلاط على سبيل المثال رميه العرب بأنهم عنصريون متعصبون ، هادفاً من وراء ذلك إلى وسم الإسلام بالعنصرية والعصبية والإسلام منهما براء .

والكتاب يضم فصولاً كثيرة تستأهل المناقشة لالتماس الحق فيها والفصل الأول من هذه المقدمة يحمل عنوان : العرب ولغتهم ، وقد حاول فى هذا الفصل مسخ طبيعة اللغة العربية المستمدة من الأصل السامى ومن ثم سلك طرقاً ملتوية يريد من خلالها الوصول إلى هدفه المسموم ولو على حساب الحقائق العلمية .

وفى الفصل الثانى تعرض لموضوع إعجاز القرآن سالكاً نفس السبل المعوجة كاشفاً عن غرضه الخبيث للنيل من القرآن الكريم ومن ثم جاء كتاب الدكتور عبد الغفار هلال « أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل » لتفنيد مزاعم د . لويس عوض ووضع الحق الذى لا يزيغ عنه إلا ضال فى نصابه وسوف نعطى صورة واضحة عن مزاعم د . لويس عوض فى الفصلين الأول والثانى من المقدمة موضحين الرد عليها من قبل الدكتور عبد الغفار هلال ، مضيفين ما نراه مناسباً لدحض مزاعم د . لويس عوض .

عرض الدكتور
عبد المنعم محمد عبد الغنى النجار

الفصل الأول : والافتراءات الواردة فيه

أولاً : العربية فرع من شجرة اللغات الهندية الأوروبية :

يذهب د . لويس إلى أن صلب اللغة العربية ذاته كان من نفس الشجرة التى تفرعت عنها المجموعة الهندية الأوروبية قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازى إلى شبه الجزيرة العربية التى تحمل اسمهم الآن[١] .

وإذا كانت اللغة العربية تعتبر نموذجاً لبقية اللغات الإنسانية فإنه يخرج إلى أن ما يسمى بمجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التى خرجت من هذه الشجرة ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها[٢] ، ويؤيد رأيه بالتحليل الصرفى والصوتى . والدلالى على سبيل التضليل والالتواء للوصول إلى ما يريد ، لذا هاجم علماء فقه اللغة القدامى كالجواليقى والسيوطى والبشبيشى والخفاجى ومن جاء بعدهم من المتأخرين ، لأنهم اكتفوا بإيضاح جوانب التأثر والتأثير التى وقعت بين العربية واللغات الأخرى .

ومن منطلقه لمسخ العربية يدعى ظاهرة تكون اللغة العربية من عناصر مشتركة الجذور مع اللغات الهندية الأوروبية مفترضاً أن التكون السكانى بشبه الجزيرة لم يكن فيضانا من داخلها إلى خارجها أو حوافيها المحيطة بها ولكن كان فيضانا من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها[٣] .

ويذهب إلى أن المنطقة المحيطة ببحر « قزوين » من « ميديا » عبر جبال القوقاز حتى البحر الأسود كانت المخزن البشرى الذى خرج منه عديد من أقوام منطقة الشرق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد .

مناقشة هذا الوهم :

ويتناول د . عبد الغفار هلال هذا الجزء فى كتابه موضحاً له ومفنداً فيبين أن الإنسان وجد على ظهر هذه الأرض ولكن أمر وجوده فى بقعة أو أكثر محل خلاف بين العلماء والباحثين ويذهب معظم المؤرخين إلى أن البقعة التى نزل بها الناجون من الطوفان وهم نوح عليه السلام وتابعوه كانت المنطقة المجاورة لمنابع « سيحون » و« جيحون » أو بعض جهات « أرمينيا » على أن بعض

←

(١) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص ٤٢ .
(٢) السابق ص ٤٠ .
(٣) السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .

المفسرين[٤] قرروا أن الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام هو جبل أرارات فى هضبة أرمينيا فهذا المكان أو ذاك ربما كان الموطن الأصلى للبشرية جمعاء قبل انفصالها أو انقسامها . وفى تلك المنطقة كان يعيش الآريون والساميون والحاميون وهم نسل أولاد نوح الثلاثة : سام وحام ويافث الذين تنتسب إليهم الأجناس البشرية[٥] ، وهناك كثر التناسل ، وضاقت بهم الأرض فبدأ بعضهم الهجرات المتعددة بحثا عن القوت والاستقرار .

وكانت الجزيرة العربية وأرض الرافدين الموطن التاريخى للشعوب السامية ، وقد اقامت فيها إقامة ثابتة متصلة ، ولكن ليس معنى هذا أنها لم تنتشر وراء حدود تلك البلاد فى غزوات تتفاوت فى مداها وطول زمنها أو للإقامة فى مواطن أخرى إقامة دائمة كالهجرة إلى الحبشة .

رأيى فى هذا الموضوع :

وأرى أن قلب الجزيرة المهد الأول للإنسان وحضارته فالقرآن يحدثنا عن أول بيت وضع للناس فى قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للنـاس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾[٦] .

والقرآن هو الوثيقة التاريخية الصادقة الباقية دون تحريف أو تبديل إلى أن تقوم الساعة وإذا كان كثير من العلماء والمؤرخين يجعلون الطوفان بداية للأجناس البشرية فأين ما قبل الطوفان ؟ وإذا كنا نجد فى بحوث الأثريين ما يؤكد حضارة العراق ومصر فى عصور ما قبل الطوفان فإننا نجد كذلك أبحاثاً تؤكد أن قلب البلاد العربية وجنوبها كان أسبق إلى الحضارة من العراق ومصر فقد أكد « فشوينفرت » أن زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة قد ظهرت فى العهود القديمة غير المدونة فى بلاد العرب وبلاد اليمن ، ومنها انتشرت إلى العراق والنيل[٧] كما أن اكتشاف « دونى » بعض الأدوات المتخلفة من العصر الحجرى الجديد فى أقصى شمال بلاد العرب واكتشاف « برترام تويس » لأخرى غيرها من ذلك العصر نفسه فى الجنوب يدل على وجود الإنسان ببلاد العرب منذ عهد متقدم جداً[٨] .

الموطن الأصلى للساميين :

وما دمنا قد ارتأينا أن الإنسان فى بلاد العرب وجد فى وقت موغل فى القدم فنحن نرى

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٣٢٦٩ طبعة الشعب .
« جبل أرارات هذا هو ما نص عليه العهد القديم » .. مجلة الأزهر .
(٥) فقه اللغة د . وافى ص ٢ والساميون ولغاتهم د . حسن ظاظا ص ٥ ، واللسان والإنسان له ايضاً ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
(٦) الآية ٩٦ من سورة آل عمران .
(٧) قصة الحضارة ول ـ ديورانت جـ ٢ ص ٤٣ .
(٨) روح الحضارة لشيدر ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

أيضاً أن بلاد العرب هى الموطن الأصلى للساميين ومن هنا ذهب معظم الباحثين والمؤرخين إلى أن جزيرة العرب كانت المهد الأول للساميين وقد ذهب إلى ذلك عبد الغفار هلال فى رده على د . لويس عوض مؤيداً رأيه بأدلة كثيرة وأهمها :

١ ـ ما يؤكده التاريخ من أن الهجرات السامية خرجت من الجزيرة العربية وكانت على سبيل الغارات والهجرة . والمصادر التاريخية تسجل هذه الهجرات وهى هجرات لم يكن بد منها إزاء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للصحراء .. ولم نسمع بمثل تاريخى واحد يبين لنا أن سكان السهول والمدن المتحضرين ينزحون إلى الصحارى ليصيروا رعاة إبل وغنم إلا إذا اضطروا إلى ذلك اضطراراً .

٢ ـ النقوش التى عثر عليها مكتوبة باللغة السومرية لغة سكان بابل الأصليين تفيد أن بلادهم كانت دائماً فى خطر من إغارة قبائل سامية كانت تغير عليها من الجهات الغربية والغربية الجنوبية .

وتشير كل دلائل التاريخ إلى أن « بابل » و« آشـور » و « كنـعـان » و« مصر » و« الحبشة » كانت كلها هدفاً لغارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية .

٣ ـ يذهب المؤرخ الانجليزى « سايس Sayce » وهو أحد المدققين إلى أن الروايات والآثار السامية تشير إلى بلاد العرب موطنا أصليا للسامية إذ هو الجزء الوحيد الذى ظل ساميا تماماً لا تشوب ساميته شائبة وكان أهلها منذ أقدم العصور مدبرين لأمورها متأهبين للإغارة على من يجاورها .

٤ ـ عقلية الساميين التى تمتاز بجنوحها إلى المعانى المحسوسة المشاهدة كما يتبين ذلك من لغاتها ـ تفيد بأن الصحراء لابد أن تكون مهدهم الأصلى فتشبيهاتهم ومادة أخيلتهم مستمدة من البيئة المحسوسة .

استمع إلى امرىء القيس الذى يقول فى وصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبـر معاً

كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويمكننا الانتفاع بالأدب العربى الذى يمدنا بأوصاف وافرة لحياة البدو وبالأدب العبرى حيث نشهد الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار .

وقد أشار إلى ذلك سايس Sayce ومن هذه الأدلة وغيرها يخرج د . عبد الغفار بأن استنتاج لويس القائم على أن العرب جنس قدم إلى الجزيرة من خارجها يصبح استنتاجا غير مقبول ولا يوجد ما يؤيده .

ثانياً : القبائل الآسية المنحدرة إلى الهلال الخصيب كانت تتكلم لغة « ميدية سيكذيه » وهذا وهم آخر من أوهامه يذهب إليه فيرى أن القبائل الآسية المنحدرة من الهلال الخصيب فى القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران أياً كان منبعها وأياً كان تكوينها الأنثربولوجى كانت تتكلم لغة ميدية سيكذية وهى أحد فروع المجموعة الهندية الأوروبية وربما تكون موجات منها قد نزلت فى شبه الجزيرة ، كما نزلت موجات منها فى الهلال الخصيب وفى هذه الحالة ليس هناك ما يمنع أن تكون

←

الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية سواء فى الهلال الخصيب أو فى شبه الجزيرة هى فى حقيقتها موجات تعاقبت فى عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة الآسية ويخرج من هذا بأن العرب موجة متأخرة جداً من الموجات التى نزلت على شبه الجزيرة من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود سنة ألف قبل الميلاد أو قبيل ذلك ، والواضح أنه يريد أن يقول أن هذه اللغة التى نزل بها القرآن هى مأخوذة من لغات هندية أو أوروبية وعلى هذا فالألفاظ القرآنية التى وصفها القرآن بأنها عربية ليست عربية الأصل وهذه ضلالة من ضلالاته ويتضح من خلال كلامه أنه مبنى على الارتجال والافتراض واستخدام لفظ ربما يفيد أنه غير متيقن مما يقول مما يدحضه البحث العلمى - كما أن استنتاجه أن العرب موجة متأخرة جداً يريد أن يذهب به إلى تأخر لغتها حتى بالنسبة للغات السامية . وقد ثبت بالبحث أن اللغة العربية ليست باللغة الحديثة ولا البدائية وإنما هى لغة علم وثقافة منذ عهد الأكديين فهى أعرق لغة حية على وجه الأرض فما من لغة غير العربية تسحب وراءها ماضياً حضارياً وثقافياً وهاجاً طوله خمسون قرنا بل أن لها حضارة قديمة أقدم من حضارات الأغريق واللاتينيين والفرس جميعاً . إن الكلمات الدالة على معنى العطاء والموزعة على عدة لغات أصلها عربى قح والسبب وجود النواة الأولى التى انبثقت وأثمرت وأعطت ثمارها الأولى إلى أهل الأرض غرباً وشرقاً هكذا يقول أحد الباحثين والمنقبين والمستخدمين لأسلوب الموازنة بين اللغات والبحث العلمى يؤيده ، لأن الكلمة المشتركة بين عدة لغات يستطاع معرفة اللغة الأم منها بالجذر البدائى الأصيل الذى نشأت منه الكلمة كأحد عاملين لمعرفة ذلك وقد وجد فى اللغة العربية هذا الجذر الثنائى وهو الياء والدال[٦] وقد تعرض للكثير من الكلمات غير ذلك وإذا كان يرى أنه ليس هناك ما يمنع أن تكون الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية - سواء فى الهلال الخصيب أو فى شبه الجزيرة - هى فى حقيقتها موجات تعاقبت فى عصور متعاقبة بناء على استنتاجه انحدار القبائل الآسية من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود وغير ذلك إلى الهلال الخصيب فإن هذا الرأى مرفوض من « شبرنجر » الألمانى الذى يقول : (من المستحيل تحول الزراع إلى بدو وأنه أهون عليه أن يرى أسد البحر يعيش فوق مرتفعات الألب والماعز فى البحر على أن يتصور سكان الجبال يتحولون إلى بدو[١٠] ؟ ويوافقه فى ذلك « دى جوخيه »[١١]) .

والواقع كما ذكر د . عبد الغفار هلال : أن

(٩) مغامرات لغوية عبد الحق فاضل ١٧٨ - ١٨٢ .

(١٠) بحث الدكتور محمد غلاب من مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ٤٩٧ .

(١١) السابق ص ٤٩٨ .

العرب كانوا يرحلون وينتقلون إما للتجارة وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم عن رحلتى الشتاء والصيف وإما تحت وطأة الفقر والعوز فرادى أو جماعات بشكل سلمى أو غزاة فاتحين .

وإذا كان د . لويس يذهب إلى أن الجفاف ربما كان أحد العوامل التى تدعو إلى الهجرة اى هجرة أقوام من المنطقة المحيطة ببحر « قزوين » فإن هذا تعصب منه إذ كيف يجعل الجفاف هنا أحد عوامل النزوح وينكره على شبه الجزيرة العربية مع أن خصب جنوب شبه الجزيرة أمر ثابت لا يمكن إنكاره ولماذا لا يكون الساميون قد انتقلوا منها بعد الجفاف الذى أعقب الخصب فى جنوب الجزيرة الذى حدثنا عنه القرآن فى سورة سبأ والذى اعترف به الجيولوجيون .

ثالثاً : الربط بين الهكسوس وعاد وثمود ومدائن صالح :

وهذه فرية أخرى لجأ إليها د . لويس عوض فيذهب إلى أن الهكسوس أتوا إلى الحجاز بعد طردهم من مصر واستقروا فيها وأسسوا لهم مملكة جعلوا عاصمتها « مكة » وهم فى رأيه تلك القبائل التى سميت بالعماليق ويرجع إليهم مدينة ثمود التى ازدهرت فى القرن الثانى ق . م ويربط صوتيا بين خمودى ملك الهكسوس وثمود المدينة حيث يرى أن الهكسوس أنشأوها بعد خروجهم من مصر .

ويرى أن مدائن صالح بشمال الحجاز أنشأها الهكسوس كذلك بعد خروجهم من مصر مستخدما الفوناطيقا[١٢] فى استنتاجه فيقارن مدائن صالح بـ (متوشالح) و (مشالح) ويبنى على استنتاجه أن العرب قدموا من خارج الجزيرة ونزلوا على السكان الأصليين الهكسوس ومن كان معهم فى القرن الخامس عشر ق . م ، ويمضى فى فريته فيدعى أن المرحلة الهكسوسية تمثل فترة الجاهلية الأولى[١٣] .

ويفند د . عبد الغفار هلال هذه المزاعم بأن د . لويس عوض تجاهل حقائق تاريخية ولغوية كثيرة :

١ ـ فالحقائق التاريخية تؤكد أن قبائل انحدرت من أواسط آسيا ونزلت فى مناطق من سوريا ولبنان وفلسطين ، وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت واندمجوا بأهلها اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غرباً إلى مصر باسم الهكسوس سنة ١٧٣٠ ق . م[١٤] .

٢ ـ تصور د . لويس عوض بأنهم بعد طردهم من مصر ـ نزلوا الحجاز وأسسوا بها المدن يخالف الحقائق التاريخية فيقرر المؤرخون أن الهكسوس بعد طردهم من مصر مكثوا فى فلسطين ست سنوات ثم تقهقروا شمالاً إلى

(١٢) الأصوات .
(١٣) المقدمة ص ٤٠ .
(١٤) تاريخ الشرق القديم ص ٩٠ ، ٩١

سوريا بعد هزيمتهم فى الموقعة المشهورة فى مدينة « شاروهين » إحدى المدن الواقعة جنوب فلسطين . وعلى هذا فإن حياتهم لم تمتد داخل الحجاز .

٣ ـ إن التحقيق التاريخى ينفى أن يكونوا هم « الماليك » الذين عرفوا باسم العماليق . وعلى العكس ، مما يقول : فإن الهجرات كانت تتم من جنوب الجزيرة إلى شمالها نتيجة التجارة وهدم « سد مأرب » وتؤكد النقوش الكثيرة أن من المهاجرين عرب الغساسنة فى « حوران » بسوريا و« المناذرة » (بنو لخم) فى الحيرة والعراق ، وهناك هجرات تمت من بلاد الحجاز إلى الشمال نزحت فيها قبائل الإسماعيليين « نسل إسماعيل عليه السلام » .

٤ ـ والجوانب « الفوناطيقية » التى اعتمد عليها د . لويس عوض للربط بين « ثمود » و« خمودى » لا تتفق مع قوانين علم اللغة الحديث ، إذ يجب أن يتم التبادل على أساس من التقارب الصوتى فى المخارج والصفات والخاء والثاء متباعدتان تماماً مما لا يمكن معه تصور التبادل .

هذا إلى أن الصوت يختلف فى موقعه عن صاحبه اختلافاً بينا من حيث المعنى المراد .

وقد اعترف د . لويس بأن العلاقة الفوناطقية لا تؤدى دائماً إلى نتائج متحققة معينة .

يتبع ..

د . عبد المنعم محمد النجار



على أن هذا كله إنما يلتجأ إليه لو صح أن المعدوم إذا وجد كان مغايرا للأول ، ولا سبيل لإثبات هذا ، أو ثبت أن الأجزاء المادية المفرقة قد تتوارد على أشخاص عدة من المكلفين تدخل فى تركيبهم الأصلى ، فلا يمكن أن تعاد مع كليهما ، ولا اختصاص لأحدهما دون الآخر ؛ وقد عرفت أن شيئا من ذلك غير لازم بما قدمنا من أن الأجزاء الأصلية هى التى تعاد ، وهى التى تلازم الشخص من أوله إلى آخره .

وقد بقيت كلمة لها مساس بالموضوع ، وهى أن بعض فلاسفة الطبيعيين يزعم أن جزئيات الأبدان كلها فى تحليل وتركيب مستمر ، وأن كل جزء يتجدد بتوالى الأزمنة فينمو بالغذاء وينحل عنه البعض بالحركة أو الذبول أو ماشئت ، حتى إنه بعد مضى عدد من السنين تكون الذرات التى كانت داخلة فى تركيب الجسم قد زالت كلها وتجدد مكانها ذرات جديدة . وإن هذا لا يمنع اتحاد الشخص قبل تلك السنين وبعدها ، فلو صح هذا القول أيضا كان شاهدا لما نقول من أن اتحاد اللاحق والسابق لا يتوقف على أن الذرات الداخلة فى تركيبه باقية بشخصها لم يزد عليها ذرة ولم ينقص منها ذرة ، وإنه لشبيه باتحاد القبيلة أو الجيل من الناس على كر السنين والأعوام مع زوال الأشخاص الذين تتألف منهم القبيلة أو الجيل ، فالعرب هم العرب يعتز آخرهم بأولهم ، وقريش اليوم مثلا - هى قريش تأخذ أحكامها وإن تبدلت أشخاصها .

ومن هذا البيان نخلص بنتيجتين :

الأولى : أن إعادة الروح أمر لا غبار عليه ولا نكير فيه .

والثانية : أن إعادة البدن أمر لا يمنع منه مانع عقلى ولا وهمى . وعلى ذلك يكون صرف النصوص الشرعية عن ظاهرها ليس إلا لمجرد التشهى ، وليس له من مقتض ولا داع ، وأن تلك الثرثرة التى تلوكها ألسنة فئة من الناس ليخرجوا على حكم الشريعة بجديد ثرثرة واهية ، حتى لو قيست بمقياس العقل المحض بدون رجوع إلى نصوص الشرع لبددها وجزم بأن المقبول فى نظره هو البعث الجسمانى والروحانى ، لتستكمل النفس جزاءها وفق ما صنعت من أعمال البدن أو الروح ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ؛ وقد قال ﷺ : « والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون وإنها لنار أبداً أو لجنة أبداً » .

والله الهادى إلى سبيل الرشاد .

إبراهيم الجبالى

مصطفى صادق الرافعى

العبقرى المنسى

حينما اتصدى للكتابة عن الشاعر العبقرى ، والأديب الكاتب الألمعى ، مصطفى صادق الرافعى - رحمه الله - وجزاه عن الفصحى ، والإسلام خير الجزاء - أعلم علم اليقين أنى أمام قمة من قمم الفكر والأدب ، سامقة شامخة ، لا يرقى إليها مهيض الجناح ، كليل الجهد ، قليل الزاد ، مثلى ، كى يحيط بكل ما فيها ، ويتغلغل إلى خوافيها ، ولكن حسبى ، وحسب القارىء الكريم منى ، أن أطيف بها ، وارصد بعض معالمها التى تبدو أمام ناظرى وفكرى .

فأنا لم أحظ بلقائه ، أو أسعد وأشرف بمعاصرته ، إذ أنى كنت - حين وفاته - [1] غلاماً مغمض العينين ، ولكن قد تفتحت عيناى منذ أول عام التحقت فيه بالأزهر - على ما دبجَّتْه براعته القادرة ، فى كتبه المتعددة ، فبهرتنى ، وتركت فى نفسى وخاطرى ظلالا لا تتلاشى ، وأصداء لا تخفت ، وهل يتلاشى ، أو يخفت صوت من سابق الفحول فبزَّهم ، وطاول النجوم ففاقها ، وهو الأصم الذى لم يبلغ فى تعليمه بالمعاهد إلا مراحله الأولى ، ولكنه قد بلغ الشأو الذى لا يدرك فى العلم ، والمعرفة ، والآداب ، معتمداً على قوة نفسه ، ورجاحة عقله ، والمعيته ، وامتزج علمه بفكره ، فأخرج لنا ألواناً من ثمار القريحة الخصبة المعطاءة ، وفيضاً متدفقاً من سيل قلمه السخى الجواد ، كما يخرج الساحر من جرابه الأعاجيب الباهرة ، والخوارق المعجزة .

إنه موسوعة من العلم ، والفن ، والفلسفة ، جعلته يطرق بفكره وقلمه كثيراً

(١) انتقل إلى رحمة الله فى العاشر من مايو عام ١٩٣٧ م

بقلم
محمد عبد الرحمن صان الدين

من أبواب المعرفة ، ويجوس خلال رياضها الزهراء ، فيقطف منها ما يشاء . فهو مفسر صاحب مذهب فى التأويل ، ويتجلى ذلك فيما تعرض له من آيات قرآنية ، أتحدث عنها فيما أكتبه فيما بعد عن كتبه التى أطرقها ، إن شاء الله وهو عالم اجتماعى ، وفيلسوف مفكر ، كما يظهر فى بعض كتبه ، وهو عاطفى وجدانى مرهف الحس كما يظهر فى أوراق الورد ، ورسائل الأحزان ، وهو مصارع مقاتل إن جرح أدمى ، وإن رمى أصمى ، إن حارب كان جحيماً ، وإن سالم كان نسيماً ، وهو شاعر مغرد محلق فى رياض القريض ، وسماوات المعانى ، وهو ناقد ساخر يجعل القارىء يضحك فى الجد ، ويقطب فى الهزل ، كل هذا سأتناوله بالإيضاح والنماذج فى حينه إن شاء الله تعالى .

والرافعى فى كل ما يكتب إنما يصدر عن عقيدة راسخة بدينه ، ومبادئه ، وقيمه ، وعن إيمان بما يقول ، وفى صراحة ، لامواربة فيها ، ولا التواء .

وهو فى معالجته للموضوعات التى خاض عمارها ، يتقصىّ كل أطرافها ، ويطرق كل ركن ، وزاوية فيها ، ويعرج على كل منحنى وفجوة ، ليستخرج ما خفى واستتر من أبكار المعانى ، وبواهر الكلم ، وشوارد الحكمة .

والرافعى خبير بمدلولات الألفاظ التى وضعت لها ، والتى نقلت إليها ، عليم بتصاريف الكلمة ، وتراكيب العبارات ، يختار لكل حال ما يلائمها بذوق رفيع ، وإحساس مرهف ، ومهارة فائقة ، حتى أنه ليعطيك المعنى الهائل الكبير فى القول الموجز الصغير ، وتلك هى قمة البلاغة والفصاحة ، التى يعجز عن الصعود إليها النوابغ والفحول ، منفرداً فى أسلوبه ، ومعانيه المبتكرة ، لا يشبهه أحد قبله ، ولا أحد بعده .

ولقد استطاع بسلطان بلاغته وأسلوبه أن يتغلغل ، ويترك بصماته وظلاله فى كتابة كثير من الكتاب الأعلام ، بحيث إنك ترى الرافعي يطل برأسه ، ويحدق بعينيه من خلال سطور ما تقرأ لغيره ، ممن كانت لهم به علاقة تجاذب ، أو تنافر .

هذه الشخصية الطاغية ، والعقلية الفذة ذات الإنتاج الجم الغزير ، يكون من الغبن

والإجحاف بها ، وبتراثها ، أن أقتصر فى الكتابة عنها على مقال واحد محدد المدى ، لا يبل صدى ، ولا يغنى من جوع ، فأكون كمن يقدم لضيفه على المائدة أطباقاً فارغة ، ولقيمات يابسة ، ولذا فإنى التزم لمجلة الأزهر الغراء ، بأن أتناول ـ ما استطعت ـ من كتب الرافعى بالبحث والتحليل كل كتاب على حدة ، فى سلسلة من المقالات ، إن اتسع لها صدر المجلة ، وكان فى العمر ذماء .

وما دفعنى إلى اقتحام ذلك المضمار ، والخوض فى هاتيك الغمار ، إلا ما لاحظته وأحسست به ـ متيقناً أو واهماً ـ من إغضاء متعمد أو غير متعمد عن ذلك العملاق الفكرى والأدبى ، والكاتب الشاعر الإسلامى المبدع ، من وسائل الإعلام ، ونفثات الأقلام فى حين أن أضرابه من معاصريه ، ومن لحق بهم ، تتبارى الأقلام ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، فى تمجيدهم ، والإشادة بهم ، فى المناسبات وغيرها اللهم إلا خطفات عابرة ، ولقطات باهتة ذابلة ، كالتى يتذكرها المرء من حلم قديم مع أن أديب العروبة والإسلام ، فضله لا ينكر ، وعبقريته لا تستر .

ومن حق الجيل الحاضر ، والأجيال القادمة ، وحق الحقيقة أن تنشط الأقلام المنصفة لتزيل الغبار ، غبار التغاضى عن تلك الشخصية التاريخية ، وعن تراثها الذى يثرى العقول ، ويهذب الوجدان ، حتى لا يوصم جيلنا فيما بعد بالجحود والنكران .

إنى وأنا بصدد ارتياد بساتين الرافعى مرتاضاً ، أحب أن يكون معلوماً لدى القارىء العزيز ، أنى لست مؤرخاً للأدب والأدباء ، يحفل أول ما يحفل بالظروف والعوامل والأجواء التى لابست حياة الأديب أو الشاعر ، ولست أيضاً ناقداً بالمعنى المعروف المصطلح عليه ، الذى يلتزم فيه الناقد بالقواعد والقوانين الموضوعة للنقد ، والتى تتواءم أو تتناقض فى اتجاهاتها ومذاهبها ، ولكنى أقف متجرداً من كل المؤثرات ، أمام جوهر العمل الأدبى ، متأملاً متذوقاً ، ثم أكتب وأصف ـ فى صدق وأمانة ـ ما يوحيه ذلك العمل فى الخاطر من ومضات ، ويلقيه فى الوجدان من ظلال ، سواء أسخط ما أكتبه أم أرضى .

وعلى الله وحده التوفيق والسداد ، وحسن الجزاء .

محمد عبد الرحمن صان الدين

رَدُّ هادئ على نقد مستفز

للدكتور/ حامد طاهر

تحت عنوان « ظاهرة غير سوية يجب القضاء عليها » كتب الأستاذ الدكتور فوقية حسين محمود بالنقد كتابي « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » (وقد نشر هذا النقد في الجزء الرابع ، السنة ٥٩ ، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ ، ديسمبر ١٩٨٦ من مجلة الأزهر ، وأشير في هامشه إلى أن هذا المقال نفسه قد سبق نشره في صحيفة الأهرام الدولي ، العدد ٣٦٤٤١) .

ونظراً لوجودي خارج مصر ، فلم يتيسر لي الاطلاع ـ في حينه ـ على هذا المقال ، الذي نشر مرتين ، لكنني عندما علمت به أسرعت باستحضاره ، وقراءته ، ووجدت أن من حقي على مجلة الأزهر الغرّاء أن أنشر فيها ردّي على نقد الأستاذة الدكتورة .

ولأن النقد المذكور تعرض في أكثر من موضع لشخصي ، فإنني أودّ أن أوضح أمراً يتعلق بهذا الموضوع ، وهو أنني قضيت في الأزهر الشريف تسع سنوات منها أربع في القسم الابتدائي بمعهد القاهرة الديني ، وخمس سنوات في المعهد الثانوي ، ثم التحقت عقب ذلك مباشرة بكلية دار العلوم ، التي حصلت منها على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ، وبها عُينت معيداً في قسم الفلسفة الإسلامية ، الذي حصلت منه على درجة الماجستير بتقدير ممتاز تحت إشراف المرحوم الدكتور محمود قاسم ، وبعدها تم ترشيحي في بعثة حكومية للحصول على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون بفرنسا ، وبحمد الله وتوفيقه حصلت على تلك الدرجة بمرتبة الشرف الأولى ، لأكون بذلك

ردها دكـ على نقد مستفز

ضمن عشرة على الأكثر فى العالم العربي كله ، حصلوا على تلك الدرجة .

أقول هذا ـ مرغماً ـ لأن الأستاذة الجليلة ذكرت فى نقدها ما نصّه :

« ومن الظواهر المؤسفة التى تتفشّى فى مجال الدراسات الإسلامية ظاهرة التساهل فى تكوين الباحث العلمى فى مجال هذه الدراسات ! » ، وفى موضع آخر تقول :

« إن هذا الكتاب ظاهرة ، هى نتاج تعرف صاحبه على فكر أهل الاستشراق فقط ، دون أهل العلم المتخصصين فى العلوم الدينية ! » .

وبالنسبة لتعرفى على فكر أهل الاستشراق فهذا صحيح جداً ، لأننى قضيت فى فرنسا حوالى سبع سنوات متواصلة أدرسه وأتابعه .. أما عدم معرفتى بأهل العلم المتخصصين فى العلوم الدينية فهذا ما وضحته من خلال عرضى لدراستى فى كل من الأزهر ودار العلوم ، بالإضافة إلى تشرفى بالتلمذة المباشرة لواحد من أدق شيوخ التحقيق فى الأزهر ، هو الأستاذ الجليل السيد أحمد صقر ..

أما النقد الذى وجهته أ . د . فوقية إلى الكتاب ، فإنه يرتكز على فكرة واحدة هى أنه يضع الفلسفة الإسلامية التى هى فى جوهرها عبارة عن فهم إنسانى خالص للنصوص الدينية فى مستوى أعلى من هذه النصوص نفسها !

وأصرح ، وأعترف ، وأحيل إلى الكتاب مرة أخرى لمن يريد ، بأن هذا المعنى غير وارد على الإطلاق ، ويؤسفنى أن أقرر أنه مجرد فهم خاص من الأستاذة الدكتورة ، حاولت تطبيقه تعسفاً على فصول الكتاب التى تتوالى على النحو التالى :

ـ مجالات الفلسفة الإسلامية .

ـ قضية الأصالة فى الفلسفة الإسلامية .

ـ إحياء الفلسفة الإسلامية .

ـ المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة فى الفلسفة الإسلامية .

ـ مصادر الفلسفة الإسلامية : مقدمة لببليوجرافيا تحليلية نقدية .

ويبدو أن الأستاذة الدكتورة تخشى من مصطلح « الفلسفة الإسلامية » ، وأطمئنها إلى أن الفهم الأصيل لهذا المصطلح لا يتعارض أبداً مع القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، بل إن هناك عناصر كثيرة جداً من هذه الفلسفة تقوم بدور هام في مجال الفهم الشامل لنصوصهما .. ومن هنا جاءت عبارتى « إن الفلسفة الإسلامية طاقة مبدعة بإمكانها أن توجه حركة المجتمع الإسلامى ، وأن تبين له أفضل المناهج الممكنة » .

وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من الكتاب « مجالات الفلسفة الإسلامية » وذهبت إلى أنها تضم حوالى عشرة مجالات من بينها : مناهج البحث ، وفلسفة التاريخ ، والمنطق وشروحه ، والجدل وآداب المناظرة ، بالإضافة إلى كل من علم الكلام ، والتصوف

والأخلاق .. ولم يرد في حديثي إشارة واحدة إلى ما فهمته الأستاذة الدكتورة على نحو خاص جداً بها وحدها .

ثم إن الفصل الذى يتحدث عن « أصالة الفلسفة الإسلامية » ليس إلا ردّا موضوعياً على أهم الدعاوى التى وجهها المستشرقون ضد الفلسفة الإسلامية ، والعقلية الإسلامية بصفة عامة .. ولو راجعت الأستاذة الفاضلة هذا الفصل لوجدت فيه ما يثبت أننى على وعى كامل بمقولات المستشرقين ، ولرأت دفاعى الحار عن كل ما هو إسلامى أصيل ..

الأستاذة الدكتورة كانت تريدنى أن أتحدث فى كتابى عن العلوم الدينية من فقه ، وأصول فقه (مع أننى تحدثت عنه باعتباره أحد عناصر الفلسفة الإسلامية كما ذهب إلى ذلك المغفور له الأستاذ مصطفى عبد الرازق) وتفسير ، وعلوم حديث .. وأنا ـ هنا ـ أوفر عليها مشقة الاستنباط الخاص لأؤكد لقراء مجلة الأزهر الغراء أننى أعترف لكل واحد من هذه العلوم بشخصيته الأساسية فى فهم نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية على نحو جزئى متخصص ، أما الفهم الكلى الشامل ، الذى يأتى بعد ذلك كله ، فهو من وظائف الفلسفة الإسلامية ..

وبالمناسبة أريد أن أصحح ما ورد فى حديث الأستاذة الدكتورة من تعبير « رجال الدين » فالأصح أن نطلق بدلاً منه « علماء الدين » لأن تعبيرها هو الذى تسرّب إلينا مع الغزو الغربي لثقافتنا الإسلامية !

كذلك أريد أن أنبه إلى تلك الظاهرة الخطيرة فى مناقشتنا الفكرية ، وهى محاولة استعداء السلطات المحلية أو الخارجية على من لا يتفق معنا فى الرأى ، ووصمه بألفاظ قاسية ـ يمكن لكل الأطراف أن يستخدموها بسهولة ! ـ بدلاً من المناقشة الموضوعية القائمة على التحليل الهادىء لكل فكرة من أفكاره .. والحمد لله أننا نعيش فى جو ثقافى يسمح للآراء أن تظهر ، ولوجهات النظر المختلفة أن تعبر عن نفسها ، مع إيمانى فى النهاية بأن البقاء للأصلح ، ولا يصح إلا الصحيح .

وأخيراً .. ما كنت أودّ أن أرد على أستاذة كبيرة المقام ، مثل أ . د . فوقية حسين محمود .. لولا أنها كانت مستفزّة فى نقدها ، وفى العنوان الذى اختارته له ، ولولا حرصها الغريب على نشر مقالها مرتين فى صحيفتين سيارتين فى العالم كله .. ولولا أننى أنتمى بحكم تكوينى العلمى والدينى إلى ذلك المعهد العريق الذى تعتبر مجلة الأزهر عنواناً عليه ..

وفقنا الله لخدمة دينه ، ومنحنا صدق الدفاع عنه .

« د . حامد طاهر »

من خير ما كتب

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى :

هـذا ديننـا

هل نحن متخلفون علمياً أم خلقياً ؟.

إننا فى ميدان الإنتاج الصناعى والزراعى ضعفاء ، وفى آفاق الثقافة والحضارة أتباع نخطو حينا ونكبو أحياناً ! قلت : أعزى النفس لعل أخلاقنا أزكى !

نحن فى العالم الثالث الأفراد تحاكم الشعوب ، بل تحاكم التاريخ وعمالقته ، وقد استمعنا إلى من يرفض السنة النبوية كلها ويخطىء « عمر بن الخطاب » لتاريخه بالهجرة .

أخشى أن أقول : إن التخلف الأخلاقى فى العالم الثالث أسبق وأقسى من التخلف العلمى والصناعى والحضارى . إن بعض المجتمعات العربية نقلت النظام الشيوعى إليها أو بتعبير أدق مبادىء الاشتراكية الحديثة فماذا حدث ؟!

لقد رأيت موظفين يستغلون المرافق الحكومية وكأنهم ملوك الإقطاع ! ويتخوضون فى مال الله قدر ما يستطيعون ما داموا يستغلون القانون ويخادعون حراسه !!

المأساة الكبرى أنه لا ضمير ولا خلق . وأبرز خصائص الأمة العربية أنها تفقد نفسها حين تفقد الدين ولن تنقذها نعرة جنسية أو وطنية .

الأستاذ/ نجيب محفوظ :

المجتمع والشباب

ما واجب المجتمع نحو الشباب ؟

من المهم أن نعرف هذا الواجب حتى لو عجزنا عن تأديته بالكامل لظروف قاسية .

تعرفه لنعرف حقيقة الوضع وملابساته فلا نغالى فى اللوم والاتهام . وحتى نعقد العزم على سد الثغرات ورأب الصدع .

ما واجب المجتمع نحو الشباب ؟ عليه أن يهىء له تعليما عاماً يمحو أميته ويلقنه تربية دينية ووطنية ورياضية وينفخ فى روحه الوعى بالحياة والعالم ويضىء لعينيه الأهداف السامية .

إعـــداد
الأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام
الأستاذ عادل رفاعى خفاجه

وعليه أن يعده للعمل المناسب وفقا لاستعداده بدءا من العمل اليدوى وحتى التخصصات العلمية العالية . وأن نحترم تطلعاته السياسية والمبدئية لينمو نموا طبيعياً خالياً من الآفات . وأن يضرب له القادة المثل الأعلى فى الجدية والاستقامة والنزاهة ليكونوا القدوة المنشودة والمصباح المنير .

وليراجع المجتمع نفسه وليسألها ماذا قدم من ذلك للشباب وفيم قصر أو عجز ليتبين له الموقف الحقيقى بينه وبينهم . وليطالب المجتمع نفسه بالكمال قبل أن يطلب الشباب به .

الأستاذ .. عبد السلام داود

علامة استفهام

قال لى الأخ الصديق فهمى عمر منذ عام تقريباً : (إن أهم إنجاز يتمنى أن يقوم به كرئيس للإذاعة هو أن يمد إرسال محطة القرآن الكريم ٢٤ ساعة) إن إرسال محطة القرآن محدود الإمكانات حتى الآن ، ولكن المشاركة تستطيع توسيع رقعة هذا الإرسال إلى جميع أنحاء العالم . بل وتستطيع أن تجعل جانباً من هذا الإرسال باللغات الأجنبية حتى يتسنى للدعوة أن تصل إلى قلوب الملايين حول العالم . وليس ذلك على الله ببعيد .

الأستاذ : محمود حبيب

« كل يوم »

قرأت كتاباً بعنوان « من نور القرآن الكريم » للأستاذ أحمد عوض حماد .. تناول فيه المؤلف عدداً من القضايا المعاصرة مثل الكون - الطب النفسى - الحضارة - الشورى .. إلخ . والحق أن موضوع الكتاب شائق وممتاز إلا أن لى على الكتاب عدة ملاحظات .

● وقوع ما يزيد على العشرين خطأ فى آيات القرآن .

● شرح المؤلف الحديث النبوى « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » على أن التغنى معناه الغناء رغم أن المعنى الأصلى هو القراءة الصحيحة بأحكام التجويد بالصوت الحسن .

● قال المؤلف إن سورة الشورى بدأت بحرف « ق » ولكن سورة الشورى لم تبدأ بالقاف بل بدأت بـ « حم » ، كما كتب بداية

←

من خير ما كتب

سورة الواقعة هكذا .. الواقعة ما الواقعة وما أدراك ما الواقعة .. وصحتها (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ..)

الدكتور/ عبد الجليل شلبى

قرآن وسنة ليذكر المسلمون جيدا

العالم الآن صورة من أبشع الصور للوحشية الآدمية ، تلك الصورة التى ترسمها إسرائيل على أرض فلسطين بدماء أبنائها الأبرياء ، فالأبرياء المدنيون يقتلون لغير ما سبب ، والجرحى يطردون من المستشفيات ليرموا فى الشوارع حتى تنزف دماؤهم ويموتوا ميتة أليمة قاسية ، والأطفال والمسنون والنساء العواجز كل أولئك يقتلون ، وهم فى نظر الحكومة الإسرائيلية يستحقون القتل لأنهم مجرمون ! وإجرامهم أنهم بكوا ذويهم القتلى ، والتلاميذ فى المدارس يحصدهم الرصاص حصدا ، فيموت من يموت ويجرح من يجرح ، ومن تأوه من جرحه أو بكى ميته فهو مجرم يستحق العقاب !

الأمهات الفلسطينيات

إذا كان العالم قد شعر بالدهشة إزاء بسالة الشبان والفتيان الفلسطينيين .. فإن هذه البسالة نتاج إعداد الأمهات اللاتى فشل الاحتلال خلال عشرين سنة فى إجبارهن على الخضوع والإذعان .. وكل من يعرف طبيعة الاحتلال الإسرائيلى وخططه لسحق الشخصية الوطنية الفلسطينية يستطيع أن يدرك حقيقة دور الأمهات الفلسطينيات ، وسوف يعجز المحتلون - مهما فعلوا - عن مواجهة ذلك النوع من الأمهات الذى يستقبل الشهداء من الأبناء والبنات بإطلاق صيحات الفرح والانتصار .

الأستاذ مصطفى أمين :

فكرة

إننى لا أفهم أن تخطف إحدى الفصائل الفلسطينية طفلة فرنسية عمرها ٦ أعوام وشقيقتها وعمرها ٤ أعوام ، لا أرى شجاعة ولا شهامة فى خطف طفلتين بريئتين لا ذنب لهما إلا أنهما تحملان الجنسية الفرنسية ، هذا العمل الصغير يسىء للانتفاضة العظيمة التى قام بها الشعب الفلسطينى الذى استطاع بصموده أن يرفع صوت فلسطين ، ونحن فى حاجة إلى الرأى العام ليساند

قضايانا ، ويكفى أن نرى الجزع والفزع فى اسرائيل عندما رأوا الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ موقفاً صريحاً لأول مرة ضد سياسة طرد العرب من إسرائيل . نحن لا نحارب الأطفال ولا النساء ويجب ألا نعطى خصومنا السلاح ليحاربونا به .

د . عبد الرشيد صقر

انشروا فى مصر ابتساما

مالى أرى الناس فى الشوارع قطبوا الجبين واكفهرت منهم الوجوه وخاصمهم الضحك وغاضت من شفاههم الابتسامة . ولا يخفف هذا كله إلا عقيدة تربط المسلم بربه وتسكب فى نفسه الهدوء « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وما يزيل التوتر العصبى فى الناس إلا ابتسامة تبدد اليأس وكلمة طيبة تغرس الأمل .

الأستاذ : حسن دوح

الشعب والمحنة

نحن نواجه محنة واختباراً من الله تعالى ، ومحنتنا فى شربة الماء ولقمة الخبز ، وهى محنة لا يكشفها إلا الله وحده ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، إن الله يضع أمامنا هذا الاختبار بكل شدته ليعلم قدر إيماننا ، ووضع أمامنا الوسائل الكفيلة بإنجاحنا ، وأرسل إلينا رسولاً ليعلمنا كيف نواجه مثل هذه المحنة فأوصى الحكومة والشعب بهذه الوصية : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ . وحيال وصايا ربنا ، ونصائح نبينا يمكننا أن نجمع بين الضراعة والدعاء ، وبين العمل والادخار . وليكن حسابنا لأنفسنا وتناصحنا فيما بيننا أساساً نلتزم به جميعاً . إنها قضية كل مصرى وهى اختبار لنا جميعاً .

الأستاذ : جمال بدوى

قلب قوسين

لقد تتبعت جهود الدكتور محجوب وهو يجوب المدن الكبرى والتجمعات الطلابية يجادل الشباب فى المساجد والجامعات ويستمع إليهم ويستمعون إليه ولكى تؤتى هذه الحركة النشطة ثمارها الطيبة ، أرجو من الدكتور محجوب ، وهو يتحدث إلى الشباب أن يخلع رداء الوزير ، ويتمسك بروب أستاذ الشريعة الإسلامية . وعلى الجانب الآخر ، فإن على الشباب المتمسك بدينه أن يقابل نهج الدكتور محجوب بنهج مماثل يتطلب حسن الظن وسعة الأفق ، فنحن جميعاً فى حاجة إلى أن نأخذ أنفسنا بأدب الحوار وأدب الاختلاف فقد اختلف أجدادنا العظام فى فروع الدين دون أن تختلف قلوبهم .

أنباء وآراء

الرئيس مبارك يشارك العلماء احتفالهم بيوم الدعاة

● وافق الرئيس محمد حسنى مبارك على التشكيل الجديد للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يضم مائة شخصية مصرية وعربية وعالمية متخصصة فى شتى المجالات والمعارف من علوم إسلامية وثقافية وعربية ، من بين هؤلاء الأعضاء ثلاثون من كبار الشخصيات الإسلامية وسبعون من الشخصيات المصرية وسيرأس - إن شاء الله - الرئيس مبارك أول اجتماع للمجلس الجديد .

ومن ناحية أخرى فقد استقبل الرئيس مبارك مؤخراً الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وطالبه بضرورة الاهتمام بعلماء الدعوة الإسلامية والعاملين بها مع تقديره للدور الرائد الذى يقوم به علماء الأزهر والأوقاف لتوضيح جوهر الإسلام الصحيح وتوضيح الصورة السليمة للشباب الذين هم محل كل رعاية واهتمام من الرئيس .

كما أشار سيادة الرئيس خلال لقائه مع وزير الأوقاف إلى أهمية تنشيط الدعوة لتسير فى طريقها الصحيح لتتضح الصورة أمام الشباب لحمايتهم من الأفكار الدخيلة والوافدة . وأكد الرئيس مبارك على ضرورة الاهتمام بشئون الدعاة والعاملين فى حقل الدعوة من خلال إعداد هيكل جديد لهم وتوفير كافة الضمانات لاستقرارهم وإقامة المساكن للدعاة . وقد وافق السيد الرئيس على حضور الاحتفال الذى سيقام فى يوم الدعاة والذى يوافق ذكرى الإسراء والمعراج .

كما سيضع الرئيس - إن شاء الله - حجر الأساس لمدينة سكنية متكاملة لعلماء الدعوة والعاملين فيها وسيقوم سيادته بتوزيع عقود تمليك ٤٦٠ وحدة سكنية

إعـــداد :
د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

أخرى بإيجار رمزى بمنطقة القبة بالقاهرة .

●●●

شيخ الأزهر ورئيس بنجلاديش

● بحث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ ـ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر مع الرئيس حسين محمد أرشاد رئيس جمهورية بنجلاديش احتياجات بنجلاديش من علماء ومنح دراسية . تم ذلك خلال زيارة رئيس بنجلاديش لفضيلة الإمام الأكبر بمكتبه بإدارة الأزهر .

حضر اللقاء الدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف المرافقة ، كما حضر اللقاء سفير بنجلاديش بالقاهرة وسفير مصر ببنجلاديش وفضيلة الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر وأصحاب الفضيلة رؤساء الهيئات بالأزهر الشريف .

وقد رحب شيخ الأزهر بضيف مصر والوفد المرافق لسيادته وتحدث فضيلته عن مهام الأزهر وما يقدمه للشعوب الإسلامية من خدمات تعليمية وثقافية ودوره فى مجال الدعوة الإسلامية ورعايته للطلاب الوافدين ومن بينهم طلاب بنجلاديش الذين التحقوا بالأزهر الشريف على منح دراسية وعن التعاون الثقافى بين الأزهر وبنجلاديش فى مجال الدعوة الإسلامية وتدريب دعاة وأئمة بنجلاديش وتقديم المنح الدراسية لطلابها ، وإيفاد علماء الأزهر وتزويدها بالكتب والمراجع الإسلامية والعربية ، وأعرب ضيف مصر عن تقديره لدور الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين .. واقترح عقد اتفاقية ثقافية بين الأزهر وبنجلاديش وطلب زيادة المنح الدراسية وزيادة عدد الأساتذة والعلماء الذين يوفدهم الأزهر إلى بنجلاديش ودعم الجامعة الإسلامية المنشأة حديثاً هناك .. وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بهذه المقترحات على أن يتم الاتفاق الثقافى بالمشاركة مع وزارة الخارجية المصرية . كما أشار فضيلة الإمام الأكبر إلى الاهتمام بتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى كافة مراحل التعليم المختلفة ببنجلاديش .

←

أنباء وآراء

ووعد الرئيس أرشاد بتحقيق ذلك ، وعقب اللقاء توجه الضيف الكبير ترافقه بعثة الشريف لزيارة الجامع الأزهر الشريف .

●●●

تطبيق الشريعة الاسلامية

دعا حسين محمد أرشاد رئيس بنجلاديش إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى بنجلاديش وطالب بضرورة وقوف شعب بنجلاديش جنبا إلى جنب لبحث السبل الكفيلة بإقامة نظام حكم إسلامى يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية .

وقال أرشاد فى بيان له إن تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية هو الكفيل بتخليص بنجلاديش من الاضطرابات وتقديم الحلول لمشاكل البلاد .

●●●

ضرورة تطبيق الشريعة

صرح الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف بأنه اتفق مع شباب الجماعات الإسلامية بأسيوط على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية والالتزام بالحجاب والتعامل مع البنوك الإسلامية غير الربوية ووقف تصنيع الخمور .

الزمالة الفخرية

قررت رابطة الأدب الحديث منح : الأستاذ الكبير د . رءوف شلبي وكيل الأزهر الشريف الزمالة الفخرية تقديراً لجهوده في رعاية الحركة الأدبية والفكرية وأياديه على النهضة الحاضرة في شتى المجالات التى يرعاها بتوجيه وعناية .. **السيد الرئيس محمد حسنى مبارك**

والله الموفق

●●●

أمين عام مجمع البحوث الاسلامية

عضوا بمجمع البحوث

بباكستان !!

● تم اختيار فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عضوا بمجلس مجمع البحوث الإسلامية التابع للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بباكستان ، اشترك فضيلته فى الاجتماع السابع لهذا المجلس الذى عقد جلسته فى أواخر ديسمبر الماضى حيث بحث المجلس فى اجتماعه بعض المسائل والقضايا الخاصة بالنواحى الدينية والثقافية !!

مؤتمر وزراء الأوقاف

بالقاهرة

صرح وزير الأوقاف أنه عرض على الرئيس الخطوات التى اتخذت لعقد مؤتمر وزراء أوقاف العالم الإسلامى الذى يعقد فى القاهرة ـ إن شاء الله ـ فى النصف الأول من شعبان القادم تحت رعاية الأزهر الشريف وأضاف ـ وزير الأوقاف ـ أن جميع وزراء الدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية المتخصصة سيدعون إلى المؤتمر لوضع الاستراتيجية العامة للنهوض بالدعوة ومناقشة أهم القضايا التى تهم العالم الإسلامى وموقفه من التطرف والإرهاب وكيفية علاجه .

●●●

جدول التوريث الاسلامي

الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد بن على المقدسى الشافعي الفرضى المعروف بـ (ابن الهائم) المولود عام ٧٥٦ والمتوفى ٨١٥ هـ .

من مؤلفاته الفريدة في الميراث جدول التوريث .

أشار إليه فضيلة الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد عميد اللغة العربية السابق قام فضيلة الشيخ شحاته سليم بقة الشهير بـ (الرحبى) بتحقيق هذا الجدول ونشره وفقه الله .

انظر هداية العارفين : أسماء المؤلفين و آثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي ـ المجلد الأول المطبعة البهية باستنبول ١٣٥١ هـ .

●●●

توظيف أموال المسلمين

دعا الرئيس الباكستانى ضياء الحق فى ندوة نظمها الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية إلى استثمار احتياطى العملات الصعبة لدول منظمة المجتمع الإسلامي فى مشروعات تعود بالنفع على الشعوب الإسلامية .

وقال الرئيس ضياء الحق : إن احتياطى العملات الصعبة للأسف يستثمر فى دول غير إسلامية وهو ما يحرم المسلمين الانتفاع بهذه الأموال ، ولو سار المسلمون فى حياتهم وفقاً لتعاليم الإسلام لسيطر النظام الاقتصادى الإسلامى على النظامين الرأسمالى والاشتراكى .

←

أنباء وآراء

أول اذاعة اسلامية لوسط وجنوب أفريقيا

صرح الدكتور عبد الرحمن حمود الأمين العام للجنة مسلمى افريقيا أن اللجنة اشترت أول إذاعة إسلامية فى افريقيا خارج الدول العربية الأفريقية لخدمة المسلمين فى وسط وجنوب افريقيا وتوعيتهم بدينهم ومواجهة وسائل التبشير التى يتبعها المبشرون المسيحيون هناك .

وأوضح الأمين العام للجنة مسلمى افريقيا أن حكومةسيراليون وافقت على بيع هذه الإذاعة لتكون فى خدمة الإسلام .

والإذاعة حالياً تقوم ببث القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الأحاديث والسيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامى والعربى ونشر اللغة العربية ، وتعمل الإذاعة أربع ساعات يومياً بثلاث لغات هى : الفرنسية والانجليزية والفولانية .

مجلة الأزهر :

من المتوقع محاربة هذه الإذاعة بوسائل غير مشروعة من الجهات الاستعمارية بكل وسائل المحاربة من « التشويش » إلى بث برامج مضادة تقوم بمسابقات ذات جوائز مادية مغرية وغير ذلك .

لكن الإذاعة خطوة على الطريق الصحيح . كم نأمل من السادة ذوى النفوذ فى البلاد الإسلامية أن يعضدواهذه الخطوة بكل ما أتاح الله ـ سبحانه ـ لهم من إمكانات ـ والله المعين .

● ● ●

الاسلام وقضايا العصر

تقوم كلية أصول الدين بالقاهرة حالياً بالإعداد لمؤتمر إسلامى كبير يعقد بالكلية فى رجب القادم حول الإسلام وقضايا المجتمع المعاصر .

صرح بذلك الدكتور محمود زقزوق عميد الكلية . وقال : إن المؤتمر سيقوم بالبحث عن الحلول الإسلامية لما يعانيه المجتمع الإسلامى من أزمات . وأضاف أن الهدف من عقد المؤتمر أيضا المحافظة على الذاتية الإسلامية وحماية الشخصية الإسلامية من محاولات الاحتواء والتذويب التى تقوم بها جهات عديدة داخلياً وخارجياً والكشف عن المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وترسيخ القيم الإسلامية فى نفوس وعقول المسلمين وتوضيح مفاهيم التدين الصحيح .

تدريس السيرة فى جميع مراحل التعليم

أوصى مؤتمر السيرة النبوية الذى عقد بالمغرب فى منتصف شهر ديسمبر الحالى بضرورة إعادة كتابة تاريخ الصحابة فى ضوء الرواية الصحيحة الموثقة والمبرأة من التحامل .

كما أوصى المؤتمر بدراسة السيرة النبوية فى جميع مراحل التعليم وتشجيع الكتابة فى السيرة النبوية وحياة الصحابة بأسلوب يكون فى متناول مختلف المستويات .

ولقد تناول المؤتمر عدة محاور أصلية فى السنة منها التغير الاجتماعى وأثر الرسول ﷺ فى تغيير المفاهيم والقيم الاجتماعية . كما تناول أيضا تراث السيرة والسنة النبوية والكتابة المعاصرة عن السيرة النبوية ..

●●●

٢٨٠ من جنسيات مختلفة يشهرون إسلامهم

ذكرت المصادر الصحفية فى دولة قطر أن عدد الذين شهروا إسلامهم خلال السنوات الماضية من الأجانب ٢٨٠ شخصاً من جنسيات مختلفة أوروبية وأمريكية وأفريقية .

وقالت المصادر نقلاً عن مسئول برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى قطر قوله : إن بين هؤلاء عدداً من السودانيين والأوغنديين والفلبينيين وعدداً آخر من الأشخاص الأوروبيين والأمريكيين الذين كانوا يدينون قبل إسلامهم بالنصرانية .

●●●

قاعدة بيليوجرافية

أنشأ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض قاعدة بيليوجرافية عن العالم الإسلامى تحتوى على جميع ما نشر فى الغرب عن الدول العربية والإسلامية منذ بداية القرن الحالى وحتى الآن .

وكان المركز قد أصدر كتيباً أوضح فيه أن القاعدة تتكون من بيانات « مبرمجة » على الحاسب الآلى تضم كل ما كتبَ ونشر فى الدول الغربية وأمريكا الشمالية وأوروبا عن العالم الإسلامى سواء كان ذلك على شكل مقالات وأبحاث أم رسائل علمية أم مطبوعات رسمية صادرة عن الهيئات والمؤسسات العالمية .

أنباء وآراء

كما تغطى القاعدة كل ما كتب عن الدول الإسلامية فى مجالات السياسة والاقتصاد والعلوم والآداب وغيرها باللغة الانجليزية منذ بداية القرن الحالى حتى الآن .

كذلك تضم القاعدة معلومات عما نشر عن دول المنطقة فيما يتعلق بالإسلام وتاريخه وعلومه والعرب واللغة العربية وآدابها . وكذلك الاقتصاد والبترول والقضية الفلسطينية ..

هذه القاعدة تعد أكبر مصدر متخصص للمعلومات « البيلوجرافية » عن المنطقة الإسلامية ودولها وهى تضم أكثر من خمسة آلاف موضوع تغطى كافة العلوم والمعارف .

●●●

إعتناق ٥١٥ وثنيا الاسلام

أعلنت جمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت أن خمسمائة وخمسة عشر وثنيا من أندونيسيا اعتنقوا الإسلام . وأكدت الجمعية التى تأسست عام ١٩٨١ أنها قد أنجزت بناء أكثر من ثلاثمائة وعشرين مسجداً وسبعة وسبعين مركزاً إسلاميا . كما أقامت عشرين معهدا إسلاميا وستة وعشرين مركزا صحفيا وستة مستشفيات . كما أنها ساهمت فى أكثر من مائة وثمانين مكتبة إسلامية . وأن هذه الأعمال وزعت على مختلف الدول الإسلامية ودول العالم الأخرى .

●●●

أسرة غينية تعتنق الاسلام

اعتنقت أسرة غينية بكامل أفرادها الدين الإسلامى وقررت توجيه طاقاتها وإمكاناتها لرد العقائد والمذاهب الباطلة والمشبوهة وفى مقدمتها القاديانية .

الأسرة من قرية « أكودوم فى غانا » ، وكانت على العقيدة القاديانية الباطلة منذ احد عشر عاماً .

وبعد دور مكثف من مجلس التنمية الإسلامى بافريقيا بذله لتوضيح العقيدة الإسلامية الصحيحة أسلمت تلك الأسرة .

●●●

مشروع الزكاة العالمى

وصل عدد المستفيدين من مشروع الزكاة العالمى بقبرص التركية إلى أكثر من مائه وخمسين ألف مسلم خلال الأشهر الثلاثة

الماضية أعلن ذلك الأستاذ أحمد قرمد المشرف على المشروع ومدير بنك قبرص الإسلامى . وقال : هذا المشروع هو مساهمة فى التصدى للحملات التى تسعى لإذلال المسلمين عن طريق فتح باب الإعانات لهم .

●●●

الأزهر يستنكر حصار اسرائيل للمسجد الأقصى

استنكر الأزهر الشريف ، في بيان له ، حصار إسرائيل لمنطقة المسجد الأقصى وإطلاق القوات الإسرائيلية الرصاص على المصلين خارج المسجد ، والأعمال الغاشمة الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الذي يدافع عن عرضه ، وعما بقى تحت أقدامه من أرضه ووطنه .

ودعا الأزهر الشريف منظمات المؤتمر الإسلامي وعدم الانحياز والأمم المتحدة وكافة المنظمات الدولية المعنية إلى محاربة الإرهاب الإسرائيلي ، وتحريك الجهود الدولية لوقف العدوان الإسرائيلي .

وطالب البيان المسلمين بمؤازرة شعب فلسطين ومساندته في وقفته ضد الإرهاب الإسرائيلي وحث الأزهر الشريف الشعب الفلسطيني على مقاومة العنف الإسرائيلي بالاستعانة بالله ، والبعد عن الفرقة والانقسام .

كما أكد الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر تأييد الأزهر لنضال الشعب الفلسطيني داخل الأراضى المحتلة ، وأعلن أنه سيجرى اتصالات فورية مع منظمة المؤتمر الإسلامي لمساندة ودعم الشعب الفلسطيني ضد الممارسات القمعية الإسرائيلية .

●●●

مسجد العوادلى بالجيزة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور / أحمد فتحى سرور وزير التعليم والسيد عمر عبد الآخر محافظ الجيزة مسجد العوادلى بكفر الجبل بالجيزة حيث أدوا شعائر صلاة الجمعة ويضم المسجد داراً لتحفيظ القرآن ومكتبة دينية بتكاليف ٢٣٠ ألف جنيه .

كما تم إرساء حجر الأساس لمركز علاج الكلى ومدرسة ابتدائية بكفر الجبل بالجيزة كما تم افتتاح مجمع التوفيق الإسلامى والذى يضم مسجداً وداراً لتحفيظ القرآن وداراً للمناسبات وعيادة طبية وداراً للحضانة .

فهـــرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
● الجوار بعد ابى طالب د . على أحمد الخطيب	٦٨٩
● لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى « دراسة قرآنية » للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير	٦٩٦
● رجال القراءات : الإمام ابن عامر الدمشقى للشيخ إبراهيم عطوة عوض	٧٠١
● التعاطف بين الآباء والأبناء للشيخ محمد حافظ سليمان	٧١١
● الإسلام قوة صامدة وعلم راسخ للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٧١٨
● البانيا والإسلام للشيخ توفيق إسلام يحيي	٧٢٤
● النظام السياسي في إسرائيل د . عباس رشدى العمارى	٧٣١
● الكسب الحرام والتخلص منه د . توفيق محمد شاهين	٧٣٨
● مالك بن نمط الهمداني « صحابيا وشاعرا » للأستاذ أيمن محمد ميدان	٧٤٣
● حفظ الله السودان . د . عبد الودود شلبي	٧٤٧
● الإعلام الإسلامي واليقظة المأمولة للأستاذ عاطف شحاتة زهران	٧٥٢
● « من اعلام الأزهر » احمد شفيع السيد د . محمد رجب البيومي	٧٥٥

الشعـــر والشعـــراء

اشراف د. حسن جاد

● فـــي السحـــر للشيخ محمد زكي إبراهيم	٧٦٢
● سجدة في طريق النور للشاعر رشاد محمد يوسف	٧٦٣
● لســـت ترقـــى شعر : أحمد محمود مبارك	٧٦٤

الموضوع	الصفحة
العلـــوم الكونيـــة	
● الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د . محمد جمال الدين الفندى	٧٦٦
● الحاســـب الآلـــى د . سعاد البيلى	٧٧٠
● طـــرائف ومـــواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧٧٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر « البعث بالجسد والروح » إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات	٧٧٦
اللغـــة والأدب والنقـــد	
● اصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل د . عبد المنعم محمد عبد الغني	٧٨٨
● مصطفى صادق الرافعى « العبقرى المنسى » بقلم : محمد عبد الرحمن صان الدين	٧٩٦
● رد هادىء على نقد مستفز د . حامد طاهر	٧٩٩
● مـــن خيـــر ما كتـــب إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام عادل رفاعى خفاجة	٨٠٢
● انبـــاء وآراء إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح صفوت عبد الجواد	٨٠٦
القســـم الانجليـــزي	
● المقالـــة الرابعـــة بقلم : فاطمة محمد سرى	٨١٧
● المقالـــة الثالثـــة بقلم : عبد الحكيم طه	٨٢١
● المقالـــة الثانيـــة بقلم : سعد مصطفى مصطفى	٨٢٦
● المقالـــة الأولـــى بقلم د . انس مصطفى النجار	٨٣٠

41. The SUFFICER AL HASEEB الحسيب

He suffices all beings, and He Alone provides sufficiency. Nothing in existence is competent to meet or satisfy a need or avail such means for any other being except through His Divine Providence which is enough to prevail over all. Nothing in existence is adequate alone to suffice something else; all thing are interrelated, and all are dependent on His Grandiose Power.

42. The MAJESTICAL AL JALEEL الجليل

He is described by all the sumptuous Attributes of Majesty imputing such traits as Richness. Sovereignty, Holiness, knowledge, Power and Others which together evoke a perception of Grand Perfection.

43. The BOUNTEOUS AL KAREEM الكريم

His Bountiful Gifts are deluging. He grants Pardon instead of Just Retribution. When He promises He fulfils. When He gives He confers handsomely with unparallelled Magnanimity and Graciousness. He extends refuge to all who seek Him.

44. The VIGILANT Al RAQEEB الرقيب

He keeps Vigil over His Kingdom, as He is The All-knowing and The Maintainer.

45. The RESPONDER Al MUGEEB المجيب

Those who need Him can find His Response in many ways. He responds by giving solutions and aids; by answering prayers; by providnig sufficiency to the needy. He even offers enlightenment before invocation, and grace before appellation.

Orginal Publication by: Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity.

34. The SUPREME AL AZEEM العظيم

He is beyond concetion by the mind, and His Pre-eminence is perceived by others. His Supremacy is Eternal and Everlasting, All-Pervading in knowledge, mercy, justice and omnipotence.

35. The REMITTER AL GHAFOOR الغفور

His Forgiveness is thorough, and carried through to refrainting from exacting penalty and complete remission of sins.

36. The PRODIGAL AL SHAKOOR الشكور

Those who thank Him and obey His Commands, are lavishly rewarded by His Prodigious Gifts and Blessings.

37. The SUBLIME AL ALII العلي

Nothing is as elevated or trascendingly salient as Himself.

38. The GREAT AL KABEER الكبير

His Pride and Utmost Perfection are Absolute. He is Great, whether glorified or not, and notwithstanding the apprehension or non-apprehension of this Attribute by His beings.

39. The MAINTAINER Al HAFEEZ الحفيظ

Who but The Divine One upholds Heaven and earth, and preserves all creatures and beings.

40. The SUSTAINER AL MUQEET المقيت

He provides all sustenance for His beings, and maintains their physical and moral existence. This entails Knowledge and potency.

THE MOST MAGNIFICENT

NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced by :
Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

31. The SUBTILE AL LATIF اللطيف

He Alone knows the minutest details and mysteries of all things. He subtilizes its intricacies and idiosyncracies and imparts them tenuously to the worthy of His beings in very peculiar and mystic ways.

32. The ALL-COGNIZANT AL KHABIR الخبير

He possesses all knowledge and adeptness. No being undergoes any movement or repose, disturbance or peace, discomfiture or comfort without Him being Aware of its happening.

The term designates the encompassing of all impalpable or subliminal peculiarities of things as well as their revealed characteristics.

33. The CLEMENT AL HALEEM الحليم

He watches those who sin and disobey His Commands, but is not provoked to administer justice or inflict immediate revenge, or restrain the excercise of forbearance and charity, though utterly and infinitely capable of penalizing the offenders.

engaged himself with his wife and his trade and was not concerned with the affairs of Muslims. When the Muslims were in favourable situation, the man claimed to be one of the Emigrants, and when Muslims were in unfavourable conditions, the man kept away to his wife and his trade. Allah revealed the real intentions of the man to the Prophet. The Prophet explained that the same action might be propelled by different intentions, and it is the intention that is judged by Allah. The Prophet did not expose the man, but explained to the companions the example of action and intention. This is the teaching of Prophethood that should be followed, to expose the wrong, and not the wrong-doer in matters that concern the relationship of the individual with Allah, the Ruthful the Clement, ...



all be governed by the relationship with Allah and maximized to that grade of understanding. The most elemental human action and behaviour should be absolutely truthful, sincere and candid only to Allah. This basic molecule of understanding is fundamental to the achievement of human goodness; hence there will be no real love except that which originates from the love to Allah, and there will be no hatred except in that which contradicts or denies the love and sincerety to Allah.

When the human race seeks the true path to worship Allah, and pan-cultivate the Earth, implementing His Knowledge and according to His Divine doctrines; then and only then mankind will deserve to be the viceregent of Allah on Earth, and will deserve the tranquil happiness to live in peace, security, love, and decent finess. Mankind will then deserve eternal paradise in the Hereafter.

In the context of "action and intention", the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) presents a vivid living outstanding example which is the event of the Hijrah from Macca to Al-Madinah, the greatest of all actions in the history of Islam. Muslims emigrated from Macca, the bastion of paganism at that time, to Al-Madinah, the safe cradle of Islam, and its soil of propagation. The companions responded to the divine command sacrificing money, families, homes; sacrificing their very lifes exposing themseleves to the perils of the journey and the enmity of the pagans. In the minds of the companions, the act of emigration was the same in the balance of Allah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) explained that an action might be identical, however, the acceptance by Allah differs according to the intention of the individual performing the action. In the Hijrah, for example, if it was undertaken to triumph the cause of Allah and in support of Islam and the Messenger, that action would be highly accepted by Allah. If the Hijrah mixed between that purpose and an intention of wordly gains, Allah will accept it to the degree depending on how much there is to Allah and His cause. Allah alone knows very precisely the gradings of the intentions, and the ratings of sincerety. If the hijrah was for worldly gains, that would be subject to the laws that govern and control worldly matters; and Allah would not accept that action as one sincerely for the cause of Allah.

The reason for that presentation is that a companion of the Prophet called Muhajir Um Qays, had emigrated with the intention of marrying Um Qays and trading with her wealth. When the Muslims settled at Al-Madinah, that man

detail all doctrines of previous religions, including all that pertains to human betterment and refinement. These codes and legislations are presented in complete comprehensive doctrinal manifesto, statements of belief to mankind to the day of judgement. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) says ."My example and the examples of the other Prophet's before me; is the like of a man who built a palace, beautified and ornamented it, except the place of one brick. The on-looker would say "If it were this brick"; I am that brick. I have been sent to complete the refinement of human manners."

The pan-cultivation and refinement of the Earth can be defined as the institution of elegant decent ornate life on Earth. This does not mean that it is a life devoid of wrong - that is impossible - because wrong is the twin opposite of right. As a matter of fact, the real measure of Right is always contained in what is in reality wrong. The proper understanding of elegant decent ornate life on Earth is that Life in which the essentials and balances of virtue supervene; truth, goodness, mercy, justice, beauty, and love. These cannot be achieved except when all human actions and activity accord with the divine doctrines from Allah; and the whole strategy of human action is propelled to dominate the faith of Allah. The soil will be cultivated in the name of Allah seeking His giving; the merchant trades without dishonesty or fraudulence. The teacher transmits knowledge to the generations in serious dignity and reverence to the task without conceit, caprice or arrogance. The student will receive knowledge in gratitude to Allah, and respect to the knowledge and teacher; to share in the furtherance and development of life. The scientist will serve for the betterment of humanity and to achieve refined and decorous life for mankind. Everyone should share with an input for which he was created to perform; the resultant will be a driving force in the direction of a harmonized society, elegant, decent, ornate life on Earth; seeking and directed by the divine doctrines of the Faith of Allah - Islam as optimized by the Holy Quran and the Traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

Human relationships between individuals in a society and between groups, should be governed by the relationship with Allah even in the most primitive and simplest form of relationship. Relationships between husband and wife, between parents and children, between sisters and brothers, between relatives, between neighbours, between citizens at large. Relations between societies, between nations should

THE PURPOSE OF HUMAN ACTION

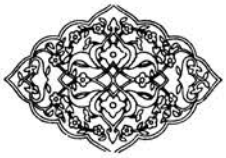
By :
Abdel-Hakim Taha

Human action passes through four phases: The first is the origin of thought and the function of the mind. The second is the inclination and desire of the self which acts independently of the mind and influences it. The third phase is the intention which is the phase of coordination between the thought of the mind and the inclination of the self, at the time of action, it is the resolution and determination propelling the action. The fourth phase is the execution and fulfillment of action. It is the phase charged with responsibility. It is the phase for which Allah created mankind and gifted him with distinctions. What therefore is the real human action, and what is the ultimate purpose of human action that Allah created mankind to perform. Very simply its is two purposes. The first is to worship the Oneness of Allah in accordance with all the divinely planned evolutionary sequences of Heavenly Religions, which terminated with Islam, and the Holy Revelation of the Glorious Quran conveyed to humanity by the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). The second is the pan - cultivation and refinement of the earth by the action of mankind.

The issue of worship of Allah, and the graduation of divine codes throughout history is a matter that accords with rational reasoning. These divine codes are educational institutions from Allah to mankind. In life, we educate the individual through an educational curriculum which is appropriate to age, maturity, and mental abilities, till he achieves knowledge. Allah, The Divine Creator, The All-Wise, The All-knowing, The All-Cognizant, instructed mankind in systemic upgrading of instructions and knowledge that is at all stages specifically designated to human capabilities at particular phases of human history. This systemic upgrading reached its pinnacle of completion in the real knowledge embodied in the doctrinal teachings of Islam. The religion of Islam constitutes in distinctive

conduct of the individual, and more particularly applicable to man woman relationships. Havelock Ellis, a leading sex psychologist says in his book, Psychology of Sex, "... We have always to remember that the whole art of livng lies in a fine balance of expression and repression. For repression is a central fact of life as expression. We are constantly at the same time repressing some impulses and expressing other impulses...."

The qualifications and provisions ascribed to the Islamic pattern of life are essentially in the interest of sexual chastity, psychological and physical health, and organized stable family life and social harmony. This effort is fundamental to the realization of the real values of life, to social goodness, and human welfare.



different sicknesses, their desires are different and finally they differ in their mental, moral, and psychological build up and tendencies...".

There is no escaping from the fact that there are certain inherent constitutional and psychological differences which sharply segregate men and woman as two different components of society. There is no question as to the constructive receptivity of the woman and the constructive activity of the man, which renders them different in authority and ruling, different in functions and missions. Modern faminests and protagonists of sex equality are misguided. Women have misunderstood their own nature, needs and functions, and have allowed themselves to be exploited and used up by male-like ideas and ideals. She has came to believe that her femininety is inferior, and has become complexed of her womanliness. These false ideas formulated a false standard, and consequently she identified herself with man. She ignored that her independent personality as woman is quite different, more wholesome and more potent than that of man; and that she is entirely equal in her own distinct domain to man.

Islamic doctrines uphold the distinction of the sexes, and concedes specific functions and responsibilities of each sex, to which specific rights and authority is granted. This sex individuality must be respected by each sex and promoted to maximum efficiency to fulfill their effective position in social structure. The most cohesive man woman relationship is marriage; and for that the differentiation of the sexes must be highly graded, pronounced and fully accepted and recognized by both man and woman. The acceptance of these divine doctrines of Islamic Shariah must be basic to the sound understanding of the incumbent provisions and qualifications made upon man and woman in society, for the purpose of regulating their performance and conduct in life. These regulatory codes are divinely prescribed for mankind to achieve spiritual betterment, purity, chastity benevolence that lead to social harmony and stability resulting in true moral richness and progressive civilization of mankind. These stipulations on man and woman differ in accordance with their varying positions and functions in soiciety. These qualifications and provisions will maintain the delicate balance and equilibrium between the various human impulses. The balance between self expression and self repression, freedom and order, uniformity and diversity; should be well developed within the individual himself in order to achieve social stability. This is applicable to every

logic within the qualifications, differentiation, limitations and restrictions set forth by the Holy Quran for both man and woman. Within the dimensions of these qualifications, there should follow a scheme of life in which men and women must, by virtue of their individual natures, be assigned special rights and exclusive responsibilities, apart from the equal rights and duties ascribed to mankind in general. The acceptance of sex differentiation and the duties and responsibilities attributed to each sex, is in reality the determining factor of peace of mind, comfort, harmony and stability of relationship between the two sexes. If these differences were obliterated from our minds or devalued; sex life, marriage would totally lose its charm, attraction, and purpose.

Some contemporary authors emphasize the need that human socieities should recognize the paramount importance of the differences of the sexes. These authors warn against any blind irrational ridiculous social reformations that deny the natural inborn differentiation between the sexes and the complementary position of man and woman in respect to each other in society. Dr. Alexis Carrel, a French Nobel Prize winner says in his famous book, Man the Unknown "...The differences existing between man and woman are of a fundamental nature. They are caused by the very structure of the tissues, and by the substances secreted by the ovary. Ignorance of these fundamental facts has led the promoters of feminism to believe that both sexes should have the same responsibilities. In reality, woman differs profoundly from man. Everyone of the cells of her body bears the mark of her sex. The same is true of her organs and, above all, of her nervous system. Woman should develop their aptitudes in males. Their part in the progress of civilization is higher than that of men. They should not abandon their special function".... . The American writer, Margaret Mead states in her book Male and Female... "Every adjustment that minimizes a difference, a vulnerability, in one sex, a differential strength in the other, diminishes their possibility of complementing each other, and corresponds - symbolically - to sealing off the constructive receptivity of the female and the vigorous outgoing constructive activity of the male, muting them both in the end to the duller version of human life, in which each is denied the fullness of humanity that each might have had." Dr. Gina Lambrose writes in her book, The Soul of Woman "... that not only man and woman are different in height, in structure of bones and muscular system, but they are also different in quality and quantity of air and food they absorb, that they are subject to

←

further analyses and qualifies this equality that it is a differentiated equality one involving the special individual rights, responsibilities and commitments of man and woman within the framework of their position in society. Within this framework of special function dependant responsibilities, both man and woman are absolutely subject to equal rights.

Islamic doctrines envisage and optimize that matrimony, family cohesion. reproduction, nuturing and culture of children are the most dominating influencing determinants of social harmony and stability. Within the institution of family life, man and woman are entrusted and committed to special obligations and attributions. These obligations and attributions of each sex start long before matrimony and follow through it. In Islam, equality of man and woman individual rights in Islam really means an equality which is basically adjusted to and qualified to conform with the special functions, duties and responsibilities of each sex within the structure of the family institution. Based on this rational conception of differential equality between man and woman that is dependant on their various functions in family and society; Islam recognizes the reciprocal superiority of each sex over the other according to position, function, duty and responsibility of each. Consequently, men are superior to woman in certain functions and woman are superior to men in other functions; the concept of equality being preserved and qualified in respect to human rights with due regard to the natural facts.

Islamic doctrines accord and attribute man as being more ruling and potentate than woman. This attribution to man does not imply a natural superiority of man or an inherent inferiority of woman; it is an attribution based on the natural differences between the sexes, and the resultant variability in function, duty and responsibility. In family life, domestic and social implications, final ruling and authority should rest with one sex or the other; co-equal authority will fail. Man has been granted the burden of this trust because of his constitutional eligibility, his comparative freedom from certain natural limitations which characterize the sexuality of a woman throughout her life. The question ultimately resolves itself into one of natural inborn differences between man and woman in respect to their constitution, faculties, powers, functional abilities, aptitudes, temperaments and psychology. When we rationally and honestly accept such differences and dividing lines, then the concept of perfect real equality between woman and man can only be true and

MAN AND WOMAN IN ISLAM

(Part - II)

By :
Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The Islamic attitude towards the life of mankind has been outlined and well defined in the Holy Quran. Accordingly, the life of an individual is an opportunity provided by the forces of nature to bring out the best and most excellent conduct and spiritual performance of his or her faculties. The response of each individual to the intricate network of human relationships throughout his or her life is the real measure of understanding, responsibility, and performance. From the complex sphere of human relationships arises the concept of equality, and the demand for human rights. All religious doctrines have indicated teachings to organize human rights and equality. Islam has introduced a highly disciplined system of codes and legislations to ensure human rights and equality. It therefore remains that the social conduct and performance of the individual in various angles and manifestations are the main concern of the religious spirit. Islam emphasizes that every individual should seek and pursue the efforts of social goodness, betterment, and values which will harmonize human relationships at all levels of social involvements.

Despite the great stress that Islam gives to the essential and fundamental equality of men and women and their equal human rights in basic matters of human concern; Islam fully recognises the sex and functional differences of man and woman. The Holy Quran distinctly features these differences and emphatically regards both man and woman to be complementary to each other, one sex making up for what the other lacks. With this reality, every sex is attributed with specific uniqueness in body structure and function, and therefore charged and entrusted with corresponding appropriate duties and responsibilities in society. The Holy Quran presents a general doctrine of sex equality, and

mount of Abu-Bakre. Ussamah urged Abu Bakre either to mount, or he would dismount. Abu Bakre answered "I shall not mount, and you shall not dismount; what if I dust my feet for an hour in the cause of Allah". Then he said to Ussamah "If you can consider helping me with Omar, do". Ussamah ordered Omar ibn Al-Khattab to leave the army and remain with Abu Bakre at Al-Madinah. Before Abu Bakre left, he stood to address the men. He said after giving praise to Allah "O people, listen for I command you with ten, that I ask you to observe. Do not be dishonest, do not plunder, do not betray, do not mutilate, do not kill a child, an elder, or a woman. Do not cut down palms or burn it, do not cut down fruiting trees. Do not slay sheep, cow or camel except for food. You shall pass by people in seclusion, leave them to their seclusion. You shall pass by people who will offer you food, eat from it after remembering to utter the Name of Allah. You shall meet people who have shaved the middle of their scalps and left the hair in circle, kill them with your swords. Go forth in the Name of Allah". Abu Bakre then turned to Ussamah and said "Do exactly what the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered you to do. Start with Qudaa, then come to Aable, and do not neglect anything the Prophet instructed.

The army marched north to reach the exact destinations the Prophet had ordered, and to make the hoofs of the horses stamp the regions of Al-Balqaa and Al-Darum. They fought those who resisted them, and made their presence power, and display of authority and force very well expressed and manifest. The army did not encounter any confrontation with the Bezintine legions.The army returned to Al-Madinah after forty days on its mission, Abu bakre and all senior companions of Muhagereen and Ansars went out to greet the return of the gallant victorious army and the young commander Ussamah ibn Zayd. The Arab tribes of the Northern region who witnessed the mission of Ussamah's army were highly impressed by the display of Muslim power in this part of the peninsula, and this certainly made many of these tribes change their mind as to their enemity to the authority at Al-Madinah.



Khalifah Abu Bakre ordered to expedite the mission of Ussamah, the same tune of resentment was renewed, besides the fact that the whole mission should be reconsidered in the light of the ongoing tribal events. Ussamah himself told Omar ibn Al-Khattab to go to Abu Bakre and urge him to cancel the mission, and leave the Muslim army close to Al-Madinah as counter force against any armed revolt. Some members of the army added "and tell the Khalifah to change our command to an older man, if he insisted to expedite this mission."

Omar ibn Al-Khattab went and conveyed to Abu Bakre the message he carried, that the Muslim army should remain close to Al-Madinah to combat any tribal hostility; and in case the Khalifah decided to expedite the mission, there should be a change of command to a more elderly experienced man than Ussamah ibn Zayd. Abu Bakre became very disappointed and disapproving and retorted that the army must move to its destination north as originally planned by the Prophet, no matter what the consequences may be, even if he were to be hounded by dogs and wolves. When Omar told Abu Bakre about changing the command of Ussamah to a more elderly man; Abu Bakre became really furious, pulled the beard of Omar and said "The Prophet has personally commissioned Ussamah, and you ask me to decommission him!". Abu Bakre then ordered a public announcement - The mission of Ussamah is to be accomplished, every trooper in Ussamah's army present at Al-Madinah must join the army at Al-Gurf. Abu Bakre then delivered his famous speech amidst a great gathering of people.

Abu Bakre said after praising Allah "O people, I have been appointed this office inspite of my desire, and by Allah, how I wish that I may be releaved the burden. You may expect from me the same as from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) but Allah chose the Prophet and purified him from error and evil. I am but a follower of the path, and not one to innovate. I am not any better than any of you. Help me, if you observe me on the path, then follow me; and if you observe me divert, put me straight..." I am but a follower of the path, and not one to innovate; I shall not allow a tradition of the Prophet (prayers and peace frm Allah upon him) except to enact upon it."

Abu Bakre then went out to meet the assembly of the army at Al-Gurf, to attend the depature of the army and to make supplication to Allah for the success of the expedition. Abu Bakre walked on foot while Ussamah was mounted, and Abdel-Rahman ibn Aof holding the reins of the

←

also remained committed to their faith of Islam, and accepted the authority of Al-Madinah in the person of Abu-Bakre as the Khalifah of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

The refractory defiant conditions of the Arab tribes against the administration at Al-Madinah, were all very well known to Abu Bakre and the Muhagereen and Ansars around him. At Al-Gurf outside Al-Madinah a muslim army under the command of Ussamah ibn Zayd was assembled and was ready to move north to the Syrian borders to Balqaa, and Al-Darum of Palestine as ordered by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) before his illness. The expedition was detained because of the illness of the Prophet and his subsequent death. Now, that the successor of the Prophet was proclaimed, what would be the final decision as to the function of that army, considering the prevailing anarchy, opposition, and insubordination of the Arab tribes to the authority at Al-Madinah.

This decision was to be taken by Abu Bakre, the closest companion to the Prophet, the man unanimously proclaimed Khalifah after the death of the Prophet. What channel of policy would he follow; to respond to the challenging fiery violent tribal revolt; or would he with his stoic confident character follow the policy of the Prophet to safeguard the northern borders, and postpone the tribal convulsions to the evolution of events. The safeguard of the northern borders was always a vital issue in the mind of the Prophet, the battle of Muatah, and the expedition to Tabouk were examples of the grave necessity to safeguard the north borders of the peninsula as a long range strategy. The army assembled under the command of Ussamah ibn Zayd with orders from the Prophet, before his illness, and during his illness to go north in display of alertness and strength along the northern borders, was also an integral part of that strategy founded by the Prophet himself. Abu Bakre was very clear and decisive, his first mandate after he was proclaimed Khalifah was "expedite the mission of Ussamah"

Ussamah ibn Zayd ibn Harithah was commissioned in command of that army which included among its members several of the senior close companions of the Prophet as Omar ibn Al-Khattab, Abdel-Rahman ibn Aof and others. There was resentment among the members of the army that Ussamah a youth of twenty years was to command such an important expedition that included close companions of senior age and experience. This resentment was subdued by the Prophet himself at one time during his illness. Now that the

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

"First Mandate, Mission of Ussamah"

By :
Dr. Anas Mustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

At the time when the Muhagereen and the Ansars were proclaiming fealty to Abu Bakre Al-Siddiq to become the first Khalifah after the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him); harbringers went out of Al-Madinah to annouce to the distant tribes the news of the death of the Prophet. The news of the Prophet's death, and the succession of Abu Bakre as Khalifah spread across the Arab peninsula exceedingly fast. The Arab tribes became recalcitrant to remain under the authority of the new administration at Al-Madinah now that the Prophet had died. Most of these tribes became insubordinate, defiant and unwilling to respond to the ruling of Al-Madinah and refused the practice of the Zakat. The distant tribes of the north-east, east, mid-east, and south of the peninsula; denied their Islam and renounced their belief in Allah and His Messenger Muhammad, and disavowed the Revelation of the Holy Quran. They followed impostors who allegedly claimed prophethood. The whole Arab Peninsula was in mutiny, insurgence and uprising against the Muslim authority at Al-Madinah and against the man responsible for the security of the Faith and the administration of the affairs of Muslims. That man was Abu Bakre, the successor of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The fire of revolt and insurrection spread to cover most territories except the region between Al-Madinah north and Macca south along the western stretch. The people of Macca remained faithful to their Islam after Suhayl ibn Amre advised them to remain honest to their faith. The tribe of Thaqif at Al-Taif also remained adherent to their faith after Osman ibn Al-Aas reminded them that they were the last to embrace Islam and that they should not be the first to renounce. The tribes of Muzainah, Ghiffar, Guhaynah, Ashgaa, Asslam and Khuzaah,

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60, PART VI

Jummada Al-Akhira, 1408, Hijrah.

CONTENTS

1. Abu-Bakre Al-Siddiq.
First Mandate - Mission of Ussamah.
By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

2. Man and Woman in Islam (Part II)
By: Saad Moustafa Moustafa.

3. The Purpose of Human Action.
By: Abdel-Hakim Taha.

4. The Most Magnificent Names of Allah.
Collected by: Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH
SECTION